حاشية العلامة الصاوي

على

تفسير الجلالين

جلال الدين المحلّي (ت: ٨٦٤هـ)

جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)

تأليف

العالم العلّامة العارف بالله تعالى

الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي

(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

حققت على نسخ خطية نفيسة

ومطبوعة قديمة سليمة من التحريف والتبديل

شرف بخدمتها

مرعي حسن الرشيد

راجعها وقدم لها

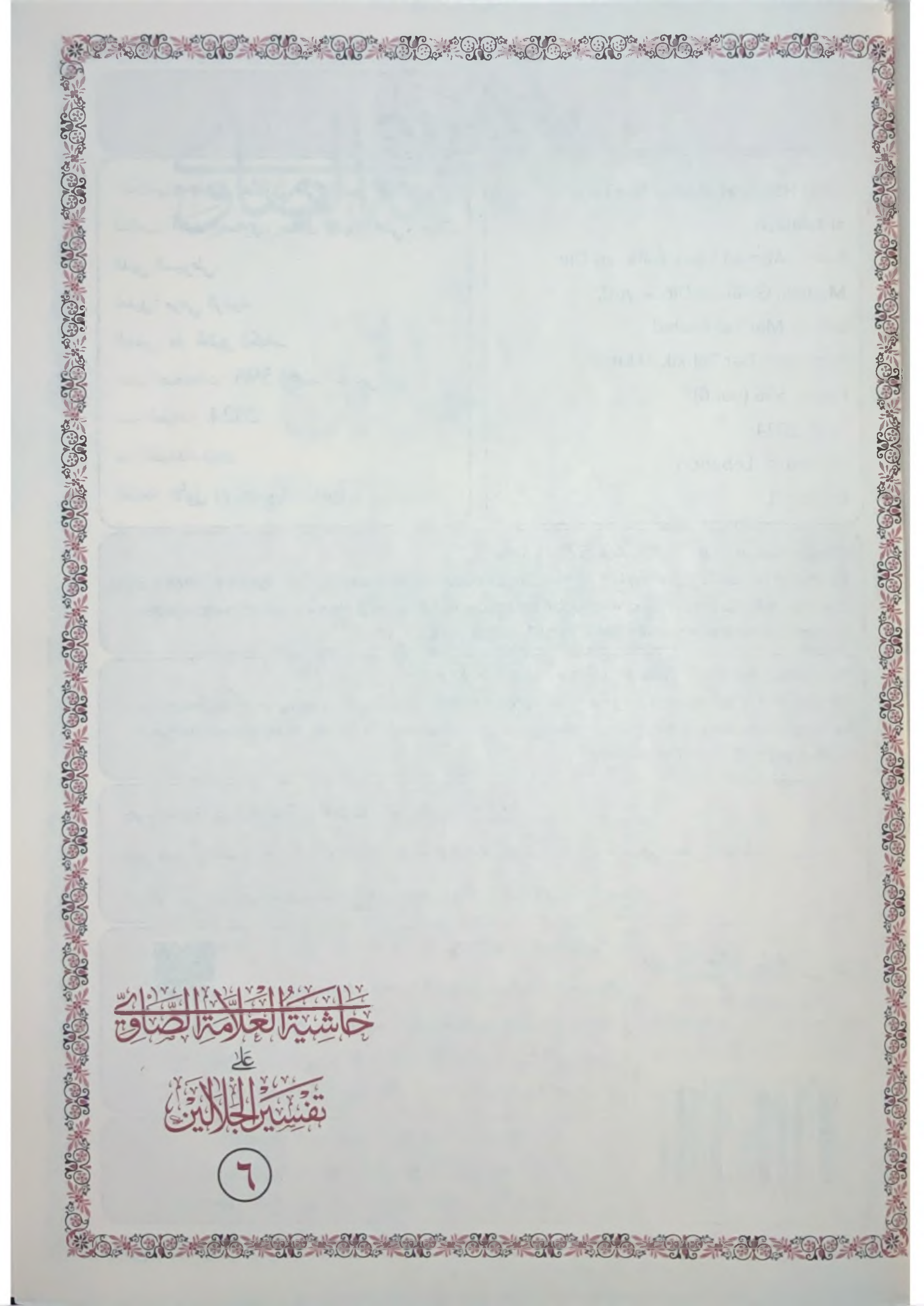
الدكتور عبد القادر الحسين

الجزء السادس

سورة الزمر - سورة المجادلة

دار تحقيق الكتاب

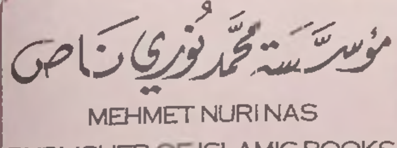
للطباعة والنشر والتوزيع


حاشية العلامة الصاوي
على
تفسير الجلالين
٦

دار تحقيق الكتاب

الكتاب: حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين.
المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي.
تحقيق: مرعي الرشيد
الناشر: دار تحقيق الكتاب
عدد الصفحات: 596 (المجلد السادس)
سنة الطباعة: 2024
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)

Title: Ḥāshiyat al-Ṣāwī ʻalá Tafsīr al-Jalālayn
Autor: Aḥmad Ṣāwī, Ǧalāl-ad-Dīn Maḥallī, Ǧalāl-ad-Dīn Suyūṭī,
Editor: Mar'ī al-Rashīd
Publisher: Dar Tahkik Al Kitab
Pages: 596 (vol.6)
Year: 2024
Printed in: Lebanon
Edition: 1



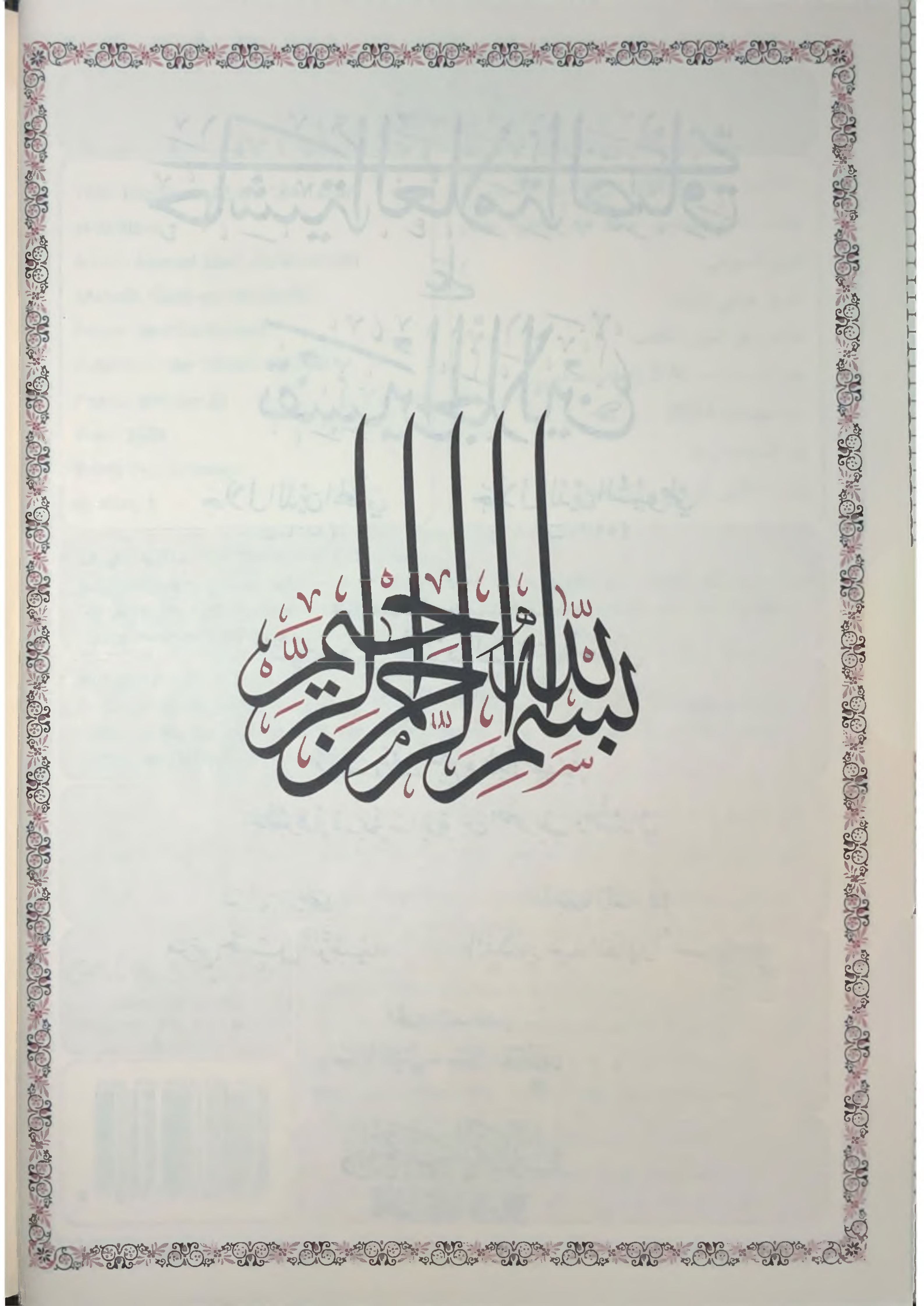

ISBN 978-9933-638-15-3

DAR TAHKIK AL KITAB

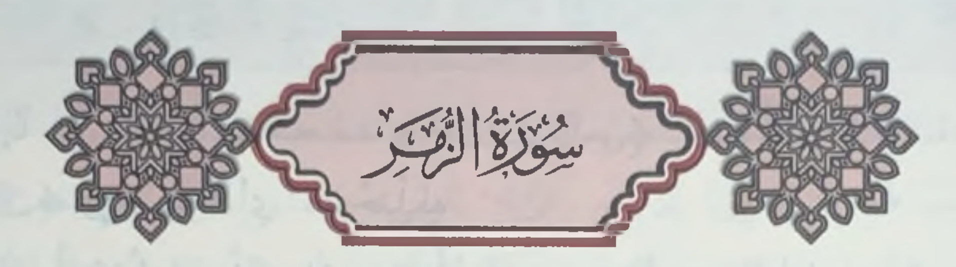


Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi
No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/İstanbul/Turkey : +9 (0212)5190979
Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN : +9 (0482)4622775
www. tahkikalkitab.com : info@tahkikalkitab.com

Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık
Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır
دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ ....



مَكِّيَّة إلَّا ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟...﴾ الآية فمَدنيَّة، وهي خمسٌ وسَبعون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: القُرآنِ ـ مُبتَدأ ـ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبَرُه، ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلكِه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صُنعِه.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الزُّمَرِ

سمِّيت بذلك؛ لذكر لفظ (الزمر) فيها في قوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾، وسيأتي أنَّ الزمر جمعُ زُمْرةٍ، وهي الطائفة، وتسمَّى أيضاً بـ: سورة الغرف؛ لذكر الغُرف فيها، قال تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾.

وروي: مَن أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه.. فليقرأ سورة الغُرَف[١]، وورد: أنه ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ (الزمر) و(بني إسرائيل)[٢].

قوله: (إلا ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ﴾... إلخ) فإنها نزلت في وَحشيٍّ قاتل حمزة عمِّ النبي ﷺ؛ فإنه أسلم بالمدينة، وظاهرُهُ: أنها آية واحدة، وقيل: إن الذي نزل بالمدينة سبعُ آيات: هذه الآية، وستٌّ بعدها، وقيل: إنهما آيتان: هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ...﴾ الآية، فتحصَّل أنَّ فيها ثلاثةَ أقوال: قيل: مكية إلا آية، وقيل: إلا آيتَين، وقيل: إلا سبعاً.

قوله: (وهي خمس وسبعون) وقيل: ثنتان وسبعون.

قوله: (﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾) أي: إنزال القرآن كائنٌ وحاصلٌ من الله لا من غيره، نزل ردًّا لقول المشركين: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ولقولهم: ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٨].

---

(١) رواه القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٣٢) عن وهب بن مُنبه.

(٢) رواه الترمذي (٢٩٢٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٤٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ ....

(٢) ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ ـ مُتعلِّق بـ(أنزل) ـ ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ مِن الشِّرك أي: مُوحِّداً له.

(٣) ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ لا يَستَحِقُّهُ غيره، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ الأصنامَ ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ وهُم كُفَّار مكَّة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ﴾ . . . **إلخ**) شروعٌ في بيان تَشريف المنْزَلِ عليه إثر بيان شأن المنْزَلِ من حيث كونُهُ من عند الله.

قوله: (﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾) هو عين الكتاب الأول؛ لأنَّ المعرفة إذا أُعيدت معرفةً كانت عيناً.

قوله: (**متعلق بـ«أنزل»**) أي: والباء سببيَّة، والمعنى: بسبب الحقِّ الذي أنت عليه وإثباتِهِ وإظهارِهِ.

قوله: (﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ﴾) تفريع على قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ . . . إلخ، والخطابُ له والمرادُ ما يشمل جميعَ أمَّتِهِ.

قوله: (﴿مُخۡلِصٗا﴾) حال من فاعل (اعبُد)، و﴿ٱلدِّينَ﴾: مفعولٌ لاسم الفاعل.

قوله: (**أي: موحِّداً له**) أي: مفرداً له بالعبادة والإخلاص؛ بألَّا تقصدَ بعملك ونيَّتِكَ غيرَ ربِّك.

قوله: (﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ﴾ . . . **إلخ**) (ألا): أداة استفتاح، والجملة مستأنفةٌ مُقرِّرةٌ لما قبلها من الأمر بالإخلاص.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ . . . **إلخ**) اسم الموصول: مبتدأ، و﴿ٱتَّخَذُواْ﴾: صلته، والخبر محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (قالوا)، وقوله: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾ . . . إلخ مقولٌ لذلك القَول، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ . . . إلخ: استئنافٌ بيانيٌّ واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر، تقديره: ماذا يحصل لهم؟ وهذا هو الأحسن، وقيل: إنَّ خبر المبتدأ هو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ﴾ . . . إلخ، وقوله: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾ حالٌ من فاعل ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ على تقدير القول؛ أي: قائلِين: ما نعبدهم . . . إلخ.

قوله: (**الأصنام**) قدَّره؛ إشارةً إلى أن ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ تَنصب مفعولين، الأول محذوفٌ.

قوله: (**وهم كفار مكة**) تفسيرٌ للموصول.

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ ....﴾

قالُوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾: قُربَى، مَصدَر بِمَعنَى تَقرِيباً، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبَين المُسلِمِين ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمرِ الدِّين؛ فيُدخِلُ المُؤمِنِين الجَنَّةَ والكافِرِين النَّار، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ في نِسبةِ الوَلَد إلَيه، ﴿كَفَّارٌ﴾ بِعِبادَتِه غيرَ الله.

﴿٤﴾ ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كَمـا قـالُـوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مـريـم: ٨٨] ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ واتَّخذَهُ ولَداً غَير مَن قالُوا: المَلائكةُ بَنات الله وعُزَير ابنُ الله

حاشية الصاوي

قوله: (قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾... إلخ) أي: فكانوا إذا قيل لهم: من خلقكم، ومن خلق السماوات والأرض، ومن ربُّكم؟ فيقولون: الله، فيقال لهم: وما معنى عبادتكم الأصنام؟ فيقولون: لتقرِّبنا إلى الله زلفى، وتشفع لنا عنده.

قوله (مصدر) أي: مؤكِّدٌ ملاقٍ لِعامله في المعنى، والتقدير: ليُزلفونا زلفى، أو ليقربونا قربى.

قوله: (وبين المُسلمين) أشار بذلك إلى أنَّ المقابل محذوف.

قوله: (فيدخل المؤمنين الجنة) أي: فالمرادُ بالحكم: تمييزُ كلِّ فريقٍ عن الآخر.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾) أي: لا يُوفِّق للهدى مَنْ هو كاذب كفار؛ أي: مجبولٌ على الكذب والكفر في عِلمه تعالى.

قوله: (في نِسبة الولد إلى الله) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾... إلخ توطئةٌ لقوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ﴾... إلخ، ويَصح أن يكون من تتمة ما قبله، وحينئذٍ فيقال: كاذبٌ في نسبة الألوهيَّة لغيره تعالى.

قوله: (﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾) أي: لو تعلَّقت إرادته باتِّخاذ ولدٍ على سبيل الفرض والتقدير، والآيةُ إشارةٌ إلى قياس استثنائيٍّ حذفت صُغراه ونتيجته، وتقريره أن يقال: لو أراد الله أن يتَّخذ ولداً لاصطفى مما يَخلق ما يشاء، لكنه لم يَصطف من خلقه شيئاً، فلم يرد أن يتخذ ولداً.

قوله: (غير مَنْ قالوا) أي: غير المخلوق الذي قالوا في شأنه: إنه ابن الله.

سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ

والمَسِيح ابن الله، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ﴾ تنزيهاً لَهُ عن اتِّخاذِ الوَلَد، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ لِخَلقِه.

﴿٥﴾ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ ـ مُتعلِّق بـ﴿خَلَقَ﴾ ـ ﴿يُكَوِّرُ﴾: يُدخِل ﴿ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ فيَزِيد، ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ﴾ يُدخِلهُ ﴿عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ﴾ فيَزِيد، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى﴾ في فَلَكِه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾: لِيومِ القِيامة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (تنزيهاً له عن اتخاذ الولد) أي: لأنه ممتنعٌ عقلاً ونقلاً؛ أمَّا عقلاً: فلأنه يلزم أن يكون الولدُ من جنس خالقه، وكونُهُ جنساً منه يَستلزم حدوث الخالق، وهو باطلٌ، وأمَّا نقلاً: فقد تواترت الآيات القرآنية والأحاديث النَّبوية والكتب السماوية على أنَّ الله تعالى لم يتَّخذ ولداً.

قوله: (﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾) هذا بيانٌ لتنزُّهه في الصفات إثرَ بيان تنزُّهه في الذات؛ لأنَّ الوحدة تنافي المماثلة فضلاً عن الولد، والقَهاريَّة تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد، وإلا.. لكان مقهوراً، تعالى الله عن ذلك.

قوله: (﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾) تفصيلٌ لبعض أفعاله الدَّالَّةِ على انفراده بالألوهيَّة، واتِّصافه بالصفات الجَليلة.

قوله: (﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ﴾) من التكوير، وهو في الأصل: اللَّفُّ والليُّ، يقال: كوَّر العمامة على رأسه؛ أي: لفَّها ولواها، ثم استعمل في الإدخال والإغشاء، فكأنَّ الليل يغشى النهار، والنهارَ يغشى الليل.

قوله: (فيزيد) تقدَّم أنَّ مُنتهى الزيادة أربعة عشر ساعة، ومنتهى النقص عشر ساعات، فالزيادة أربع ساعات تارة تكون في الليل، وتارة تكون في النهار[1].

قوله: (ليوم القيامة) أي: ثمَّ ينقطع جرَيانه؛ لانتقال العالم من الدنيا؛ فإنَّ تسخير الشمس والقمر إنما كان في الدنيا لمصالح العالم، فلما انتقَل العالم.. فقد فرغت مصالحه.

(١) انظر (٥/ ٢٧١ و٤١٥).

﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ ....

﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغالِبُ على أمرِه المُنتقِمُ مِن أعدائِه، ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ لِأوليائِه.

﴿٦﴾ ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ أي: آدَمَ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾: حَــوَّاء، ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: الإبلِ والبَقر والغنَم والضَّأن والمَعز ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾) إنما صُدِّرَت الجملة بحرف التَّنبيه؛ لِلدلالة على كمال الاعتناء بمضمونها، كأنه قال: تنبَّهوا يا عبادي؛ فإني الغالب على أمري، السَّتَّار لذنوب خلقي، فلا تشركوا بي شيئاً، وأخلِصوا عبادتكم لي.

قوله: (﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾) هذا من جملة أدلَّة توحيده وانفراده بالعزَّة والقهر وجميع صفات الألوهيَّة.

قوله: (﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾) إن قُلت: إن (ثم) للترتيب، فيقتضي أنَّ خلق الذريَّة قبل خلق حواء، وهو خلاف المعروف المشاهد، وأجيب بثلاثة أجوبة:

الأول: أن (ثم) لمجرد الإخبار، لا لترتيب الإيجاد.

الثاني: أن المعطوف تعلَّق بمعنى (واحدة) و(ثم) عاطفة عليه، كأنه قال: خَلقكم من نفس كانت متوحدة لم يخلق نظيرها، ثم شُفعت بزوج.

الثالث: أن معنى ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾: أخرجكم منها يومَ أخذ الميثاق دفعة واحدة؛ لأنَّ الله تعالى خلق آدم وأودع في صلبه أولاده كالذَّرِّ، ثم أخرجهم وأخذ عليهم الميثاق، ثم ردَّهم إلى ظَهره، ثم خلق منه حواء.

قوله: (﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾... إلخ) إنما عبَّر عنها بالنزول؛ لأنها تكوَّنت بالنبات وهو غذاءٌ لها، والنبات بالماء المنزل، فهو يسمَّى عندهم بالتدريج، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا...﴾ [الأعراف: ٢٦] الآية.

وقيل: إنَّ الإنزال حقيقة؛ لما روي: أنَّ الله خَلق الأنعام في الجنة، ثم أنزلها في الأرض كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ﴾ [الحديد: ٢٥]؛ فإنَّ آدم لما أهبط إلى الأرض.. نزَل معه الحديد.

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ....

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ مِن كُلٍّ زَوجانِ ذَكَر وأُنثَى، كما بَيَّنَ في سُورة (الأنعام)، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نُطَفاً ثُمَّ عَلَقاً ثُمَّ مُضَغاً، ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ هي ظُلمةُ البَطن وظُلمةُ الرَّحِم وظُلمةُ المَشِيمة، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾) الزوجُ: ما معه آخر من جِنسه، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر.

قوله: (كما بيَّن في سورة «الأنعام») أي: في قوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ...﴾ [الأنعام: ١٤٣] الآيات.

قوله: (﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾) هذا بيانٌ لكيفيَّة الخلق الدَّالَّة على باهر قُدرته تعالى.

قوله: (﴿خَلْقًا﴾) مصدر لـ﴿يَخْلُقُكُمْ﴾، وقوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ صفة لـ﴿خَلْقًا﴾.

قوله: (أي: نطفاً... إلخ) فيه قصورٌ وعكس ترتيب الإيجاد[1]، فالمناسب أن يقول: أي: حيواناً سويًّا من بعد عِظامٍ مكسوَّة لحماً من بعد عِظام عارية من بعد مُضَغٍ من بعد عَلَقٍ من بعد نُطَفٍ.

قوله: (﴿فِى ظُلُمَٰتٍ﴾) بدل اشتمال من ﴿بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ بإعادة الجارِّ، ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه بالمصدر؛ لأنه من تَتمة العامل، فليس بأجنبي.

قوله: (وظلمة المشيمة) أي: فهي داخل الرحم، وهو داخِل البطن.

والمشِيمَةُ: بوزن (كريمة)، وأصلها: مَشْيِمَة بسكون الشين وكسر الياء، نُقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها، وهي غِشاء ولد الإنسان، ويقال لها: الغلاف والكيس، ويقال لها من غير ولد الإنسان: السَّلا.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمُ﴾) مبتدأ، و﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: خبران له، وجملة ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ خبرٌ ثالثٌ.

قوله: (﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) جملة مستأنفة، نتيجة ما قبله؛ أي: فحيث ثبَت أنه ربنا وله الملك نتج منه أنه لا إله إلا هو.

(١) عبارة العلامة الجمل: فيه قصور وعدم موافقة ترتيب الآية. «فتوحات» (٣/ ٦٢١).

﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٦ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ ....﴾

﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ عن عِبادَتِه إلى عِبادة غَيرِه؟!

﴿٧﴾ ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ وإنْ أرادَهُ مِن بَعضِهِم، ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ﴾ الله فتُؤمِنُوا ﴿يَرۡضَهُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾) أي: تُمنعون.

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ﴾) أي: له الغنى المطلق، فلا يَفتقر إلى ما سواه.

قوله: (﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾) أي: لا يفعل فعل الراضي؛ بأن يُثيب فاعله ويمدحه، بل يفعل فعل السَّاخط؛ بأن ينهى عنه، ويعاقبَ فاعله ويذمَّه عليه.

قوله: (وإن أراده من بعضهم) أشار بهذا إلى أنه لا تَلازم بين الرضا والإرادة، بل قد يرضى ولا يريد، وقد يريد ولا يرضى، وإنما التلازم بين الأمر والرضا، خِلافاً للمعتزلة القائلين بالتلازم بين الرضا والإرادة، وبنَوا على ذلك أموراً فاسدةً، ومن هنا قال العلماء: إن الأمور أربعة: تارةً يأمر ويريد وهو الإيمان من المؤمنين، وتارةً لا يأمر ولا يُريد وهو الكفر منهم، وتارةً يأمر ولا يريد وهو الإيمان من الكفار، وتارةً يريد ولا يأمر وهو الكُفر من الكفار.

وحكي: أنَّ رجلاً من المعتزلة تَناظر مع رجل من أهل السنة، فقال المعتزلي: سبحان من تنزَّه عن الفحشاء، فقال السُّني: سبحان من لا يقع في مُلكه إلا ما يشاء، فقال المعتزلي: أيُريد ربك أن يُعْصَى؟ فقال السُّني: أيُعْصَى ربُّنا قهراً؟ فقال المعتزلي: أرأيتَ إن منعني الهدى وحكم عليَّ بالردى؛ أحسن إليَّ أم أساء؟ فقال السُّني: إن منَعك ما هو لك فقد أساء، وإن منَعك ما هو له فالمالكُ يفعل في مُلكه كيف يشاء، فبُهت المعتزلي[1].

قوله: (﴿يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾) أي: لأنه سببٌ لِفَوزكم بسعادة الدارين، لا لانتفاعه به، تعالى الله عن ذلك.

---

(١) انظر القصة بين القاضي عبد الجبار والأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني عند الإمام الباجوري في «شرحه للجوهرة» (ص١٢٤).

لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ⑦ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ....

ـ بِسُكُونِ الهاء وضَمِّها مَع إشباعٍ ودُونه ـ أي: الشُّكرَ ﴿لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ﴾ نَفسٌ ﴿وَازِرَةٞ وِزۡرَ﴾ نَفسٍ ﴿أُخۡرَىٰۗ﴾ أي: لا تَحمِلهُ، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِما في القُلُوب.

⑧ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أي: الكافِرَ ﴿ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ﴾: تَضَرَّعَ ﴿مُنِيبًا﴾: راجِعاً ﴿إِلَيۡهِ

حاشية الصاوي

قوله: (بسكون الهاء... إلخ) أي: فالقراءات ثلاث سبعيَّات[1].

قوله: (﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾) أي: لا يحملُ شخصٌ إثمَ كفرِ شخصٍ آخرَ، وما وردَ: من أنَّ الدَّالَّ على الشرِّ كفاعله[2].. فمَعناه: أنَّ عليه إثمَ فعله وإثمَ دلالته، ولا شك أنَّ دلالته من فِعله، فآل الأمر إلى أنَّ عتابه على فِعله لا على فعل غيره.

وقوله: ﴿وَازِرَةٞ﴾ أي: وأمَّا غير الوازرة فتحمل وزر غيرها، بمعنى: أنَّ مَنْ كان ناجياً وأُذِنَ له في الشفاعة يشفع في غيره، فيَنتفع المشفوع له بتلك الشفاعة إن كان مسلماً، وأمَّا الكافر فلا ينتفع بشفاعة مُسلمٍ ولا كافرٍ.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾) عِلة لقوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ﴾ أي: يخبركم بأعمالكم؛ لأنه عَلم بما في القلوب فضلاً عن غيرها.

قوله: (أي: الكافر) أشار بهذا إلى أن (أل) في ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ للعهد.

قوله: (﴿ضُرّٞ﴾) المرادُ به جميعُ المكاره، كانت في نفسه أو مالِه أو أهله.

قوله: (﴿مُنِيبًا إِلَيۡهِ﴾) أي: تاركاً عبادةَ الأصنام؛ لعلمه بأنها لا تَقدر على كشف ما نزل به.

---

(١) قرأ نافع وعاصم ويعقوب وحمزة بضم الهاء من غير صلة، والمكي وابن ذكوان والكسائي وابن وردان وخلف في اختياره بالضم مع الصلة، والسوسي وابن جماز بإسكانها، ولدوري أبي عمرو وجهان: الإسكان والضم مع الصلة، ولهشام وجهان أيضاً: الإسكان والضم من غير صلة. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٧٤).

(٢) رواه بهذا اللفظ الديلمي في «الفردوس» (٣١٢١) من حديث عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما، وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ومَن دعا إلى ضلالة.. كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةً مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنۡ ....

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةً﴾: أعطاهُ إنعاماً ﴿مِّنۡهُ نَسِيَ﴾: تَرَكَ ﴿مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ﴾: يتضرَّعُ ﴿إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ وهو اللهُ، فـ(ما) في مَوضعِ (مَن)، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شُركاءَ ﴿لِّيُضِلَّ﴾ ـ بِفَتحِ الياءِ وضَمِّها ـ ﴿عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾: دِينِ الإسلامِ، ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ﴾: بَقيَّةَ أجَلِكَ، ﴿إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

﴿٩﴾ ﴿أَمَّنۡ﴾ ـ بِتَخفيفِ الميمِ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أعطاه إنعاماً) أي: أعطاه على سَبيل الإنعام والإحسان، فـ(إنعاماً) مفعول لأجله؛ لأن التخويل هو: إعطاءُ النِّعم على سبيل التَّفضيل والإحسان من غير مُقتضٍ لها.

قوله: (وهو الله) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) موصولة بمعنى (الذي) مراداً بها الله تعالى[1]، ويصحُّ أن يراد بها الضُّرُّ، والمعنى: نسي الضرَّ الذي كان يدعو لِكشفه، ويصح أن تكون (ما) مصدرية، والمعنى: نسي كونه داعياً من قبل تخويل النعمة، والأظهَر ما قاله المفسِّر.

قوله: (﴿لِّيُضِلَّ﴾) اللامُ للعاقبة والصيرورة.

قوله: (بفتح الياء وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ﴾) الأمرُ للتهديد، وفيه إشعارٌ بقُنوطه من التَّمتُّع في الآخرة.

قوله: (بقية أجلك) أشار بذلك إلى أن ﴿قَلِيلًا﴾ صفة لموصوف محذوف؛ أي: زماناً قليلاً.

قوله: (﴿إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾) أي: ملازمُها ومعدودٌ من أهلها على الدَّوام.

قوله: (﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾) هو من تمام الكلام المأمور بقوله، وحينئذٍ: فالمعنى قل للكافر: أَمَّنْ هو قانتٌ... إلخ.

قوله: (بتخفيف الميم) أي: والهمزة للاستفهام الإنكاري، و(مَنْ): موصولة مبتدأ، خبره محذوف، قدَّره بقوله: (كمَنْ هو عاصٍ).

---

(١) وهذا عند مَنْ يجيز إطلاق (ما) على أولي العلم؛ كقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾. انظر «الفتوحات» (٣/ ٦٢٢).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء؛ أي: ليفعل الضلال بنفسه، والباقون بضمِّها؛ أي: لم يقنع بضلاله في نفسه حتى يحمل غيره عليه، فمفعوله محذوف. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤١٤).

هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ....

﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾: قائم بِوَظائِف الطَّاعاتِ ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: ساعاتِه، ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ في الصَّلاةِ ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: يَخافُ عذابَها، ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ﴾: جنَّةَ ﴿رَبِّهِۦ﴾ كمَن هو عاصٍ بِالكُفرِ أو غيرِه، ـ وفي قِراءة: ﴿أَمَنْ﴾، فـ(أم) بِمَعنَى (بَل) والهمزةِ ـ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يَستَوِيانِ كما لا يَستَوِي العالِمُ والجاهلُ، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يَتَّعِظ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحابُ العُقُول.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾) جمع إِنًى بالكسر والقصر ك: مِعًى وأمعاء[1].

قوله: (ساعاته) أي: أوَّلَهُ وأوسطَهُ وآخرَهُ، وفي الآية دليلٌ على أفضليَّة قيام الليل على النهار؛ لما في الحديث: «**ما زال جبريل يُوصيني بقيام الليل حتى علمت أنَّ خِيار أمتي لا ينامون**»[2]، وقال ابن عباس: من أحبَّ أن يُهوِّن الله عليه الوقوف يوم القيامة.. فليَره الله في ظلمة الليل[3].

قوله: (وفي قراءة: ﴿أَمَنْ﴾) أي: بالتشديد، وعليها: فـ(أم) داخلة على (مَنْ) الموصولة، فأُدغمت الميم في الميم، وتُرسم على هذه القراءة ميماً واحدة وهمزة متصلة بالنون كقراءة التخفيف؛ اتباعاً لرسم المصحف، والإعرابُ على كلٍّ من القراءتين واحدٌ لا يتغيَّر، وقوله: (بمعنى: بل) أي: التي للإضراب الانتقالي، وقوله: (والهمزة) أي: التي لِلاستفهام الإنكاري، والقراءتان سبعيَّتان[4].

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾) أي: وهم المؤمنون العارِفون بربِّهم، وقوله: (﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾) أي: وهم الكفار.

قوله: (أي: لا يستويان) أشارَ به إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾) أي: أصحاب القُلوب الصافية، والآراء السديدة، وخصَّهم لأنهم المنتفعون بالتذكر.

---

(١) وتقدَّم للمصنف رحمه الله أن (آناء) إما جمع أَنًى ك: عصاً، أو إِنًى ك: مِعًى، أو أَنْي ك: ظبي، أو إِنْي ك: حِمْل، أو إِنْو ك: جِرْو.

(٢) أخرجه أبو حنيفة في «مسنده» من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه. انظر «شرح المسند» لملا علي القاري (ص٥٥٧).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٣٩).

(٤) قرأ الحرميان: نافع وابن كثير بتخفيف الميم، والباقون بتشديدها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤١٤).

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ

﴿١٠﴾ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ﴾ أي: عَذابَه بِأن تُطِيعُوه، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ بِالطَّاعةِ ﴿حَسَنَةٌ ۗ﴾ هي الجنَّةُ، ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ﴾ فهاجِرُوا إلَيها مِن بَين الكُفَّار ومُشاهَدةِ المُنكَرات، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ يَٰعِبَادِ﴾... إلخ)[١] أمر الله سبحانه وتعالى رسولَه ﷺ بأوامر لنفسه ولأُمَّته؛ زيادةً في الحثِّ لهم على التجرُّد لطاعة الله تعالى، واجتنابِ الشُّكوك والأوهام.

قوله: (بأن تُطيعوه) أي: تمتثلوا أوامره، وتجتنبوا نواهيَهُ، وهو تَفسير للتقوى التي هي جعلُ العبدِ بينه وبين العذاب وقايةً.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿أَحْسَنُوا۟﴾: صلته، و﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾: متعلق بـ﴿أَحْسَنُوا۟﴾، و﴿حَسَنَةٌ﴾: مبتدأٌ مؤخَّرٌ.

قوله: (هي الجنة) أي: بجميع ما فيها من النَّعيم المقيم، فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾.

قوله: (﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾) جملةٌ من مبتدأ وخبر، وهي حاليَّة.

قوله: (فهاجروا لها... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالأرض أرضُ الدنيا، والمعنى: مَنْ تعسَّرت عليه التقوى في محلٍّ.. فليهاجر إلى محلٍّ آخر يتمكَّن فيه من ذلك؛ إذ لا عُذر في التفريط أصلاً، وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطاً في صحة الإسلام، فلمَّا فُتِحَتْ مكة نُسِخَ كونُهُ شرطاً، وصارت تَعتريها الأحكام؛ فتارةً تكون واجبةً؛ كما إذا هاجر من أرضٍ لا يتيسَّر له فيها إقامةُ دينه لأرضٍ ينتظم[٢] فيها دينه، ويُقيم شعائره، وتارةً تكون مندوبةً؛ كما إذا هاجَر من أرض لا أخيار بها لأرض بها أخيار يجتمع عليهم للإرشاد، وتارةً تكون مكروهةً؛ كما إذا هاجرَ مِن أرض بها الأخيار وأهل العِلم والصلاح لأرض لا أخيارَ بها ولا عِلم ولا عمل، وتارةً تكون محرَّمةً؛ كما إذا هاجر من أرضٍ يَأْمَنُ فيها على دينه لأرض لا يأمَنُ فيها عليه.

---

(١) اتفقوا في القراءة على حذف الياء وصلاً ووقفاً، مراعاة للرسم. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٧٥).

(٢) في (ط٢): (يتعلَّم).

إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ ....

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطَّاعة وما يُبتلَون به ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بِغَيرِ مِكيال ولا مِيزانٍ.

(﴿١١﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ مِنَ الشِّرك، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ﴾ أي: بِأن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ مِن هٰذه الأُمَّة، ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾) هذا ترغيبٌ في التقوى المأمورِ بها.

قوله: (على الطاعات) أي: أو عن المعاصي.

قوله: (وما يُبْتَلَوْنَ به) أي: ومِن جملته مفارقةُ الوطن المأمورُ بها في قوله: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾.

قوله: (﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾) أي: لما وردَ: «**تُنْصَبُ الموازينُ يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج، فيُوفون بها أجورهم، ولا تُنْصَبُ لأهل البلاء، بل يُصَبُّ عليهم الأجر صبًّا، حتى يَتَمنَّى أهل العافية في الدنيا أنَّ أجسادهم تُقْرَضُ بالمقاريض مما يَذهب به أهلُ البلاء من الفضل**»[١].

قوله: (﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾... إلخ) الحكمة في هذا الإخبار: إعلامُ الأمَّة بأن يتَّصفوا به ويَلزموه؛ فإنَّ العادة أنَّ المتَّصف بخلقٍ ثم يأمر به أو يعرِّض بالأمر به.. يؤثِّرُ في غيره، كما قيل: حالُ رجلٍ في ألفِ رجلٍ أنفعُ من قَالِ ألفِ رجلٍ في رجلٍ.

قوله: (من هذه الأمة) جوابٌ عمَّا يُقَالُ: إنَّ رسول الله ﷺ ليس أوَّلَ المسلمين مطلقاً، فأجابَ: بأنَّ الأوَّليَّة بحسَب سَبق الدعوة[٢].

قوله: (﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾) سبب نزولها: أنَّ كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ما حمَلك على هذا الذي أتيتنا به، ألا تنظرُ إلى ملَّة أبيك وجدك وقومك فتأخذَ بها؟! فنزلت[٣].

فالمقصودُ منها: زجرُ الغير عن المعاصي؛ لأنه ﷺ إذا كان خائفاً مع كمال طهارته وعظَمته.. فغيره أولى، وذلك سنَّة الأنبياء والصالحين؛ حيث يُخبرون غيرهم بأنهم متَّصفون به؛ لِيكونوا مثلهم، لا الملوكِ والمتجبِّرين؛ حيث يَأمرون غيرهم بما لم يتَّصفوا به.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٨٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٩١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أو يقال: المعنى: أن الإخلاص له السَّبْقَةُ في الدنيا؛ فمن أخلص كان سابقاً، فالأول أمرٌ بالعبادة مع الإخلاص، والثاني بالسبق، فلاختلاف جِهَتيهما نُزِّلا منزلة المختلفين، فصح عطف أحدهما على الآخر. انظر «تفسير النسفي» (٣/ ١٥٩).

(٣) انظر «زاد المسير» (٤/ ١١).

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ﴾ ....

(١٤ - ١٦) ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ مِنَ الشِّرك، ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ غيره فِيهِ تَهدِيد لَهُم وإيذانٌ بِأَنَّهُم لا يَعبُدُون الله تَعالى، ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ بِتَخلِيدِ الأنفُس في النَّار وبِعَدَمِ وُصُولِهِم إلى الحُور المُعَدَّة لَهُم في الجَنَّة لَو آمَنُوا، ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾: البَيِّن، ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيه تهديدٌ لهم) أي: من حيثُ الأمرُ.

قوله: (وإيذانٌ) أي: إعلامٌ.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾) خبر (إنَّ).

قوله: (﴿وَأَهۡلِيهِمۡ﴾) أي: أزواجَهُم وخدمَهُم يوم القيامة؛ لما وردَ: أنَّ الله تعالى جعل لكلِّ إنسانٍ منزلاً وأهلاً في الجنة؛ فمَنْ عمل بطاعة الله.. كان ذلك المنزل والأهل له، ومَنْ عمل بمعصية الله.. دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممَّن عمل بطاعة الله، فخسر نفسَه وأهله ومنزله[1].

وقيل: المرادُ: أهلُهُم في الدنيا؛ لأنهم إن كانوا من أهل النار.. فقد خَسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة.. فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده.

قوله: (﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾) أي: حين يدخلون النار.

قوله: (بتَخليد الأنفس) راجع لقوله: ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾، وقوله: (بعدم وصولهم إلى الحور العين... إلخ) راجع لِقوله: ﴿وَأَهۡلِيهِمۡ﴾ على سبيل اللَّف والنَّشر المرتَّب.

قوله: (﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾) أي: الذي لا خطأ فيه، وتصديرُ الجملة بأداة التنبيه إشارةٌ إلى فَظاعته وشناعته.

قوله: (﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ﴾) ﴿لَهُم﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿ظُلَلٞ﴾: مبتدأٌ مؤخَّر، و﴿مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾: حالٌ.

---

(١) رواه الخازن في «تفسيره» (٤/ ٥٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

مِنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ ....

طِباقٌ ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ﴾ مِنَ النَّار، ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ﴾ أي: المُؤمِنين لِيَتَّقوهُ، يَدُلُّ عليه: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾.

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: الأوثانَ ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ﴾: أقبَلُوا ﴿إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ بِالجنَّة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (طباق) أي: قطعٌ كبار، وإطلاق الظُّلَل عليها تهكُّمٌ، وإلا.. فهي محرقةٌ، والظلَّةُ تقي من الحرِّ.

قوله: (﴿وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ﴾) أي: لغيرهم وإن كان فراشاً لهم؛ لأنَّ النار دركاتٌ؛ فما كان فراشاً لجماعة يكونُ ظلَّةً لآخرين(١).

قوله: (﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ﴾) أي: فالحكمةُ في ذكر أحوال أهل النار تخويفُ المؤمنين منها؛ ليتَّقوها بطاعة ربِّهم.

قوله: (يدلُّ عليه) أي: على الوصف المقدَّر وهو قوله: (المؤمنين).

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.. إلخ) قيل: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عَوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم؛ سألوا أبا بكر رضي الله عنه، فأخبرهم بإيمانه، فآمنوا(٢).

قوله: (الأوثان) هذا أحدُ أقوال في تفسيره، وقيل: هو الشيطان، وقيل: كلُّ ما عُبِدَ من دون الله تعالى، وقيل غير ذلك.

قوله: (﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ بالجنَّة) أي: على ألسِنة الرسل، أو على ألسنة الملائكة عند حُضور الموت، وفي الحقيقة البشرى تَحصل لهم في الدنيا بالثناء عليهم بصالح أعمالهم، وعند الموت،

(١) أو أنه من باب: إطلاق اسم أحد الضدين على الآخر، أو أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الإيذاء والحرارة.. سميت باسمها؛ لأجل المماثلة والمشابهة، والمراد: إحاطة النار بهم من جميع الجهات. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٣٨).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١١٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ ....

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ وهو ما فِيهِ صَلاحُهُم، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحابُ العُقُول.

﴿١٩﴾ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ الآيـةَ [الأعراف: ١٨]، ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾: تُخرِجُ ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ - جَواب الشَّرط، وأُقِيمَ فِيه الظَّاهِر مَقامَ المُضمَر،

حاشية الصاوي

وعِند الوضع في القبر، وعند الخروج من القُبور، وعند الوقوف للحساب، وعند المُرور على الصراط؛ ففي كلِّ موقفٍ من هذه المواقف تَحصل لهم البشارة بالروح والريحان.

قوله: (﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي﴾[١]) أي: الموصوفين باجتناب الأوثان والإنابة إلى الله تعالى، والإضافةُ لتشريف المضاف.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾) قيل: المرادُ: يَستمعون الحسن والقبيح؛ فيتحدَّثون بالحسن، ويكفُّون عن القبيح، وقيل: يسمعون القرآنَ وغيرَهُ، فيتَّبعون القرآن، وقيل: يَسمعون القرآن وأقوالَ الرسول، فيتَّبعون المحكم ويَعملون به، ويتركون المتشابه ويُفوِّضون علمه لله تعالى، وقيل: يسمعون العزيمة والرخصة، فيَأخذون العزيمة، ويتركون الرخصة، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾) أي: الموصوفون بتِلك الأوصاف.

قوله: (﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾... إلخ) يحتمل أنَّ (مَنْ) شرطيَّة، وجوابها قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ كما قال المفسِّر، وأُعيدت الهمزة؛ لتأكيد معنى الإنكار، ولِطُول الكلام، وأقيم الظاهر مُقام المضمر؛ أي: أفأنت تُنقذه؟ ويحتمل أنها موصولةٌ مبتدأٌ، والخبر محذوفٌ، تقديره: أنت لا تنفعه، فجملة قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ مستقلَّةٌ مؤكِّدة لما قبلها.

وهذه الآية نزلت في حقِّ أبي لهب وولده، ومَنْ تخلَّف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان، وقد كان حريصاً على إيمانهم[٢].

---

(١) قرأ يعقوب بإثبات الياء وقفاً، والباقون بحذفها مطلقاً. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٧٥).

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/ ١٢).

لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ....

والهَمزةُ لِلإنكارِ ـ، والمَعنَى: لا تَقدِر على هِدايَتِه فتُنقِذهُ مِن النَّار.

(٢٠) ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ بِأن أطاعُوهُ ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: مِن تَحت الغُرَف الفَوقانيَّة والتَّحتانيَّة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (والهمزة) أي: الأولى، والثانيةُ توكيدٌ لها.

قوله: (للإنكار) أي: الاستفهامِ الإنكاريِّ.

قوله: (والمعنى: لا تَقدر على هدايته... إلخ) أشار بهذا إلى أنَّ قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ مجازٌ مرسلٌ؛ حيث أطلق المسبَّب وأراد السبب؛ لأنَّ الإدخال في النار مسبَّبٌ عن الضلال لترك[1] الهدى، كأنه قال: أأنت تَهدي من أضلَّ الله وجعل له النار بسبب ضلاله؟

وجعلها السَّمرقنديُّ في «حواشي رسالته» استعارةً بالكناية؛ حيث شبَّه استحقاقهم العذابَ بالدخول في النار على طريق المكنيَّة في المركَّب، وحذف المركَّب الدالَّ على المشبَّه به، ورمز له بذكر شيءٍ من لَوازمه وهو الإنقاذ، وفيه إشكالٌ، انظر بَسطه في «حاشيتنا على رسالة البيان» لأستاذنا الشيخ الدردير[2].

قوله: (﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾) أي: وهم الموصوفون بالصفات الجميلة السابقة، المخاطَبون بقوله: ﴿يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾... الآية، و(لكن) ليست للاستدراك[3]، وإنما هي للإضراب عن قصة إلى قِصة مخالفة للأُولى.

قوله: (﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾) مُقابل قوله في حقِّ أهل النار: (لهم ظُلل من النار ومن تحتهم ظُلَل)[4].

---

(١) في (ط٢): (وترك).

(٢) والإشكال هو: أنه بعد التصريح بقوله: ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ لا يصح أن تكون مكنيَّة، بل هي تصريحية، والإنقاذ ترشيحٌ. انظر «حاشية الصاوي على تحفة الإخوان» (ق٣٤).

(٣) لأنه لم يأت نفيٌ كقوله: ما رأيت زيداً لكن عمراً، بل هو لترك قِصة إلى قصة مخالفة للأولى؛ كقولك: جاءني زيد لكن عمرو لم يأت. «فتوحات» (٣/٦٢٦).

(٤) كذا في الأصول، وسياق الآية: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ....

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ ـ مَنصُوب بِفِعلِه المُقدَّر ـ ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ : وَعْدَه.

﴿٢١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ : تعلَم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ : أدخَلَهُ أمكِنةَ نَبع ﴿فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ : يَيبَس ﴿فَتَرَىٰهُ﴾ بَعد الخُضرةِ مَثلاً ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ : فُتاتاً، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ : تَذكِيراً ﴿لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يَتذكَّرُونَ بِه لِدَلالَتِه على وَحدانيَّة الله تَعالى وقُدرَتِه.

﴿٢٢﴾ ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فاهتَدَى ....

حاشية الصاوي

قوله: (بفعله المقدَّر) أي: وتقديرُهُ: وَعدهم الله وعداً.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾... إلخ) استئنافٌ مَسوقٌ لبيان تمثيلِ الحياة الدنيا في سرعةِ زوالها وقربِ اضمحلالها بما ذكر من أهوال الزرع؛ تحذيراً من زَخارفها والاغترار بها.

قوله: (أدخله أمكنة نبع) أي: فمرادُهُ بِالينابيع: الأمكنةُ التي أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد؛ بحيث تكون قريبةً من وجه الأرض، وتُطلق الينابيع على نفس الماء الجاري على وجه الأرض، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾) صيغة المضارع لاستحضارِ الصورة واستمرارِهَا.

قوله: (﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾) أي: من أحمر وأخضَر وأصفر وأبيض، واختلافُ تلك الألوانِ إمَّا في ثماره، أو في عُوده، ومراده بالزرع: كلُّ ما يستنبت.

قوله: (فُتاتاً) أي: متفتِّتاً ومتمزِّقاً.

قوله: (﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾... إلخ) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أكلُّ الناس سواءٌ فمن شرح الله صدره... إلخ، والاستفهام إنكاري، و(مَن): اسمٌ موصولٌ مبتدأٌ، خبرُهُ محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (كمن طبع... إلخ)، وهذه الآية مرتَّبةٌ على قَوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

---

(١) كذا في الأصول، والآية قبلها: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ....﴾

﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كمَن طُبِعَ على قَلبِه؟ دَلَّ على هذا ﴿فَوَيْلٌ﴾: كَلِمة عذاب ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن قَبول القُرآنِ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن.

﴿٢٣﴾ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ - بَدَل مِن ﴿أَحْسَنَ﴾ - أي: قُرآناً ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ أي: يُشبِهُ بَعضُه بَعضاً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾) أي: نورِ المعرفةِ والاهتداءِ، وفي الحديث: «إذا دَخل النورُ القلبَ.. انشرح وانفسَح»، فقيل: ما علامة ذلك؟ قال: «الإنابة إلى دار الخُلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهُّب للموت قبل نُزوله»[١].

قوله: (دلَّ على هذا) أي: المقدَّر.

قوله: (كلمةُ عذابٍ) أي: كلمةٌ تفيد العذابَ للمخاطَبِ بها.

قوله: (أي: عن قَبول القرآن) أشار بذلك إلى أن (مِنْ) بمعنى (عن)، وفي الكلام مضافٌ محذوفٌ، ويَصحُّ أن تبقى (مِنْ) على بابها للتعليل؛ أي: قسَت قلوبهم من أجل ذكر الله؛ لِفَساد قلوبهم وخسرانها، ومن المعلُوم المشاهد: أنَّ الأطعمة الفاخرة تكون داءً لبعض المرضى، ومِن هنا قول بعض العارفين[٢]: [الوافر]

بذِكرِ الله تَزدادُ الذنوبُ وتَنطمِسُ البَصائرُ والقلوبُ

قوله: (﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾... إلخ) سبب نزولها: أنَّ أصحابَ رسول الله ﷺ حصل لهم بعضُ مَللٍ، فقالوا لرسول الله ﷺ: حدِّثنا حديثاً حسناً، فنزلَت[٣].

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٥)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٣٨٩) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ذكره الإمام الشعراني في «قواعد الصوفية» (١/ ٨٦)، وقد يكون مرادُ العارف بالذكر: الذكرَ حال الشهود والحضور مع المولى سبحانه وتعالى؛ لأن العارفين يَعدُّون الذكر لأهل الشهود ذنباً، ولأنَّ من أدب أهل الحضرة الصمتَ عن العبارات باللسان، فمَن لم يصمت.. وقع في سوء الأدب.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

﴿مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ....

في النَّظمِ وغَيره، ﴿مَّثَانِيَ﴾: ثُنِّيَ فِيه الوَعدُ والوَعِيد وغَيرُهما، ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾: تَرتَعِدُ عِند ذِكرِ وعِيده ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾: يَخافُون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾: تَطمَئِنُّ ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: عِند ذِكر وَعدِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (في النظم) أي: اللفظ، وقوله: (وغيره) أي: المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع، قال البُوصيري رضي الله عنه في هذا المعنى(١): [البسيط]

ردَّتْ بَلاغتُها دعوى مُعارِضِها ... ردَّ الغَيُورِ يدَ الجاني عَنِ الحُرَمِ

فمَا تُعَدُّ ولا تُحصَى عَجائِبُها ... وَلا تُسَامُ مِنَ الإكْثَارِ بالسَّأَمِ

واعلم: أنَّ في هذه الآية أثبت أنَّ القرآن مُتشابه، وفي آية أخرى أثبت أنه محكمٌ، وفي آية أخرى أنَّ بعضَهُ محكمٌ، وبعضَهُ متشابهٌ، ووجهُ الجمع بينها: أنَّ المراد بالمتشابه في آية الاقتصار عليه: ما أشبه بعضُهُ بعضاً في اللفظ والمعنى من حيثُ البلاغةُ وحسنُ الترتيب، وبالمحكم في آية الاقتصار عليه: ما لا يَأتيه الباطلُ من بين يدَيه ولا من خلفه، وبالمتشابه في آية الجمع: ما خفي معناه، وبالمحكَم: ما ظهر معناه، وتقدَّم هذا الجمع(٢).

قوله: (﴿مَّثَانِيَ﴾) جمع مَثْنًى، من: التثنية بمعنى: التكرير، ووصف به المفرد وهو (الكتاب)؛ لأنَّ الكتاب جملةٌ ذاتُ تفاصيلَ، تثنَّى وتكرَّر؛ نظير قولك: الإنسان عُرُوقٌ وعظامٌ وأعصابٌ.

قوله: (وغيرهما) أي: كالقَصص والأحكام.

قوله: (﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾) أي: تنقبضُ وتتجمَّعُ من الخوف.

قوله: (عند ذكر وعيده) أشار بهذا إلى أن (إلى)(٣) بمعنى (عند).

قوله: (تَطمئن) أي: تسكنُ وتستقرُّ.

قوله: (أي: عند ذكر وعده) أشار بهذا إلى أن (إلى) بمعنى (عند)، فالتضمينُ في الحرف، وهو أحدُ وجهين، والآخرُ: ضمَّن (تَلين) معنى (تسكن) فعدَّاه بـ(إلى)، والمفسِّر قد جمع بينهما.

---

(١) في قصيدته «البردة» المشهورة.

(٢) انظر (١/ ٤٧٠).

(٣) كذا في الأصول، والصواب: (من)؛ كما في «الفتوحات» (٣/ ٦٢٨) عن العلامة الكرخي.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ ....﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الكِتابُ ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿أَفَمَن يَتَّقِي﴾: يَلقى ﴿بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ أي: أشدَّه بِأن يُلقى في النَّار مَغلُولةً يداهُ إلى عُنُقِه كمَن أمِنَ مِنهُ بِدُخُولِ الجَنَّة، ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: كُفَّارِ مكَّة: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جَزاءَهُ.

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رُسُلَهم في إتيانِ العَذاب، ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: ....

حاشية الصاوي

والحاصل: أنَّ الله تعالى بيَّن حال المؤمن عند سَماع القرآن، فحالة ذكر الوعيد يَغلب عليه الخوف، فيتصاغرُ، وفي حال ذكر الوعد يَغلب عليه الرجاء، فيتَّسع صَدره، وتطمئنُّ نفسه؛ لأنَّ الخوف والرجاء مَصحوبان للعبد كجناحَي الطائر؛ إن عدم أحدَهما.. سقط.

قوله: (أي: الكتاب) أي: الموصوفُ بتلك الصفات.

قوله: (﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾) أي: سببٌ في الهدى، أو بُولغ فيه حتى جُعِلَ نفسَ الهدى.

قوله: (﴿أَفَمَن يَتَّقِي﴾) الهمزةُ داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أكل الناس سواء فمن يَتقي... إلخ. و(مَنْ): اسمٌ موصول مبتدأٌ، خبره محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (كمَنْ أمِنَ منه).

قوله: (مَغلولةً يداه) أي: وفي عنقه صخرةٌ من كبريت مِثل الجبال العظيمة، فتشتعل النار فيها وهي في عُنقه، فحرُّها ووهجُها على وجهه، لا يُطيق دفعها عنه؛ للأغلال التي في يَده وعنقه.

قوله: (﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾) التعبيرُ بالماضي لِتَحقُّق الحصول.

قوله: (أي: كفارِ مكةَ) الأوضح أن يقول: (أي: الكفار من هذه الأمَّة).

قوله: (أي: جزاءه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾) بيانٌ لحال المكذِّبين قبلهم، وما حصل لهم في الدنيا من العذاب.

فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا ....

مِن جِهةٍ لا تَخطُرُ بِبالِهِم، ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾: الذُّلَّ والهَوان مِن المَسخ والقَتلِ وغَيرِه ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟﴾ أي: المُكذِّبُون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عَذابَها ما كَذَّبُوا.

(﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾) ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: جَعَلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُون، ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ - حالٌ مُؤَكِّدة - ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي: لَبسٍ واختِلاف ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكُفرَ.

﴿٢٩﴾ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ لِلمُشرِك والمُوَحِّد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ - بَدَل مِن ﴿مَثَلًا﴾ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (لا تَخطر ببالهم) المراد بالجهة: السببُ؛ أي: أتاهم العذاب بسبب لا يخطر ببالهم؛ كاللواط في قوم لوط مثلاً.

قوله (﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾) أي: يصدِّقون ويُوقنون، وقوله: (ما كذبوا) جواب (لو).

قوله: (﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾) اللام موطئةٌ لقسم محذوف[1]، ومعنى (ضربنا): بيَّنَّا ووضَّحنا.

قوله: (حال مؤكِّدة) أي: لفظ ﴿قُرْءَانًا﴾، وكما تسمَّى مؤكدة بالنسبة لما قبلها تسمَّى مُوطئة بالنسبة لما بعدها[2]؛ كما تقول: جاء زيد رجلاً صالحاً.

قوله: (﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾) نعت لـ﴿قُرْءَانًا﴾، أو حال أخرى.

قوله: (أي: لَبْسٍ واختلافٍ) فمعناه صحيحٌ ولا لَبْسَ ولا تناقضَ فيه.

قوله: (﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾) عِلة لقوله: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

قوله: (﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾... إلخ) المعنى: اضرب يا محمدُ لقومك هذا المثل، واذكُره لهم؛ لعلهم يؤمنون.

---

(١) اللام واقعة في جواب قسم محذوف، وتقدَّم هذا كثيراً للمصنف رحمه الله.

(٢) لأن الحال في الحقيقة (عربيًّا)، و(قرآناً) تَوطئةٌ له، ويجوز أن يكون منصوباً على المدح؛ لأنه لما كان نكرة امتنع إتباعه للقرآن، أو ينتصب بـ(يتذكرون) أي: يتذكرون قرآناً. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٢٤).

فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ....

﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾: مُتنازِعُونَ سَيِّئةٌ أخلاقُهم، ﴿وَرَجُلًا سَلِمًا﴾: خالِصاً ﴿لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ - تمييز - أي: لا يَستوِي العَبدُ لِجَماعةٍ والعَبد لِواحِدٍ؛ فإنَّ الأوَّل إذا طَلَبَ مِنهُ كُلٌّ مِن مالِكِيهِ خِدمَتَه في وقتٍ واحِد تَحَيَّرَ فِيمَن يَخدُمهُ مِنهُم، وهَذا مَثَل لِلمُشرِك، والثَّانِي مَثَل لِلمُوحِّد، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وَحدَه، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهل مكَّة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يَصِيرُون إلَيهِ مِن العذابِ فيُشرِكُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾) التَّشاكسُ: التَّخالُفُ والتَّشاجر مع سوء الخُلق، ومثله: التَّشاخُسُ؛ بخاء بدل الكاف.

قوله: (﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾) بألفٍ بعد السِّين مع كسر اللام، وتركها مع فتح السين واللام، قراءتان سبعيَّتان، فالأُولى: اسم فاعل، والثانية: مصدرٌ، وُصِفُوا به على سبيل المبالغة، وقرئ شذوذاً بكسر السين وسكون اللام(١).

قوله: (﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾) الاستفهامُ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (تمييزٌ) أي: محوَّل عن الفاعل، والمعنى: لا يستوي مَثَلُهُما وصفتُهما.

قوله: (أي: لا يستوي العبدُ لجماعةٍ) هذا هو المثل المحسوس للمشرك الذي يَعبد غير الله، فقوله: (لجماعة) أي: سيِّئةٍ أخلاقُهُم، وقوله: (والعبدُ لواحدٍ) هذا هو المثل المحسوس للموحِّد الذي يعبد الله وحده، وقوله: (فإنَّ الأول... إلخ) تقريرٌ للمثل الأول، ولم يتعرَّض للثاني؛ لِوضوحه.

قوله: (﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾) أي: على عدم استواء هذين الرجلَين.

قوله: (﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾) أي: مع بيان ظُهوره، وهو إضرابٌ انتقاليٌّ من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أنَّ أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (سالماً) بالألف وكسر اللام، والباقون: (سَلَماً) بفتح السين واللام، وابن جُبير بكسر السين وسكون اللام. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٢٥).

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ ....﴾

(٣٠ - ٣١) ﴿إِنَّكَ﴾ ـ خِطاب لِلنَّبيِّ ﷺ ـ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: سَتَمُوتُ ويَمُوتُون، فلا شَماتةَ بِالمَوتِ، نَزلَت لَمَّا استَبطَؤُوا مَوتَه ﷺ، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيُّها النَّاس فِيما بَينكُم مِن المَظالِم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

(٣٢) ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أَحَد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بِنسبةِ الشَّرِيكِ والوَلَد إِلَيهِ، ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾: بِالقُرآنِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾) العامَّة على التشديد، وهو مَن سيموت، وأمَّا الميْتُ ـ بالتخفيف ـ فهو مَنْ فارقته الرُّوح بالفعل[١].

قوله: (**فلا شَماتة بالموت**) الشماتةُ: الفرحُ ببليَّة العدوِّ.

قوله: (**نزلت لما استَبطؤوا موته... إلخ**) أي: وذلك أنهم كانوا يَنتظرون موته، فأخبر الله تعالى بأنَّ الموت يعمُّهم، فلا معنى لِشماتة الفاني بالفاني.

قوله: (**أيها الناس**) أي: مؤمنهم وكافرهم، وقوله: (﴿تَخْتَصِمُونَ﴾) أي: يُخاصم بعضكم بعضاً، فيُقْتَصُّ للمظلوم من الظالم؛ لما روي: أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرُون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا مَنْ لا درهم ولا متاعَ له، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المفلس مَنْ يأتي يوم القيامة بصلوات وزكاة وصيام، ويأتي قد شَتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفَك مال هذا، وضرب هذا، فيُعْطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَت حسناتُهُ قبل أن يقضي ما عليه.. أُخِذَ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طُرِحَ في النَّار**»[٢].

قوله: (**أي: لا أحد**) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾) أي: ومِن جملة الكذبِ على الله الكذبُ على رسوله؛ بأن يقول مثلاً: قال رسول الله كذا، أو هذا شرعُه، والحال أنه لم يكن قاله، ولم يكن شرعه.

---

(١) وعلى هذه التفرقة جماعةٌ من الفقهاء والأدباء، وعندي فيه نظرٌ؛ فإنهم صرحوا بأن الميت ـ مخفف الياء ـ مأخوذٌ ومخفَّفٌ من الميِّت المشدد، وإذا كان مأخوذاً منه.. فكيف يُتصوَّر الفرق بينهما في الإطلاق؟! «تاج العروس» (١٠١/٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ....

﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مأوًى ﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾؟ بلى.

(٣٣ - ٣٤) ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو النبيُّ ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هُم المُؤمِنُون، فـ(الَّذِي) بِمَعنَى (الَّذِينَ)، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الشِّركَ، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لِأنفُسِهِم بِإيمانِهِم.

(٣٥) ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾) ظرفٌ لـ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾، والمعنى: كذَّب بالصدق وقتَ مجيئه.

قوله: (بلى) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريريٌّ، والمعنى: في جهنم مثوىً للكافرين؛ لأنَّ (بلى) يجاب بها النَّفي، ويُصيِّره إثباتاً؛ كما تقدَّم.

قوله: (فـ«الذي» بمعنى «الذين») أي: بالنسبة للصلة الثانية؛ ولذا رُوعي معناه، فجُمِعَ في قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، وروعي لفظها في قوله: ﴿جَآءَ... وَصَدَّقَ﴾.

قوله: (﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾) أي: كلُّ ما يشتهون من وقت حضور الموت؛ كالأمن من الفتَّانات عنده[1]، ومن فتنة القبر وعذابِه، ومن هَول الموقف... إلى غير ذلك.

قوله: (لأنفسِهم) متعلق بـ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ إحسانَ الإنسان لنفسه، وثمرتُهُ عائدةٌ عليها، فلا يعود على الله نفعُ محسنٍ، ولا ضرُّ مسيءٍ، تعالى الله عنه.

والإحسان للنفس يكون بطاعة الله والالتجاء إليه، وبذل المعروف للخلق محبَّةً في الخالق، وبهذا تكون النفس عزيزةً، ومن أعزَّ نفسه.. أعزَّه الله، وبضدِّها تتميَّزُ الأشياءُ.

قوله: (﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾) متعلق بمحذوف؛ أي: يسَّر الله لهم ذلك ليكفروا... إلخ، واللام: للعاقبة والصيرورة، وهو تفصيل لقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾.

---

(١) كذا جمعه في الأصول، ولعل الأولى (فُتَّان) كـ(رُمَّان)، وفي الحديث عند أبي داوود في «سننه» (٣٠٧٠): «المسلم أخو المسلِم يتعاونان على الفتَّان» يروى بضم الفاء وفتحها، فالضم: جمع فاتن؛ أي: يُعاون أحدهما الآخر على الذين يُضلون الناس عن الحق ويفتنونهم، وبالفتح هو الشيطان، لأنه يَفتن الناس عن الدين. انظر «تاج العروس»، مادة (ف ت ن)، و«النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤١٠).

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن ....

(أسوَأ) و(أحسَن) بِمَعنى السيِّئ والحسَنِ.

(﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أي: النَّبيَّ؟ بَلى، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخِطابُ لَه ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: الأصنام أن تَقتُلَه أو تَخبلَه، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾: غالِبٍ على أمرِه، ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ مِن أعدائِهِ؟ بَلى.

﴿٣٨﴾ ﴿وَلَئِن﴾ ـ لامُ قَسَم ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بمعنى: السيئ والحسَن) أي: فـ(أفعل) التفضيل ليس على بابه، وهو جوابٌ عمَّا يقال: مقتضاه: أنه يُكَفَّرُ عنهم الأسوأ فقط، ويُجَازَوْا على الأحسن فقط، ولا يُكَفَّر عنهم السيئ، ولا يُجَازَوْا[1] على الحسن.

قوله: (﴿عَبْدَهُۥ﴾) أي: رسولَ الله ﷺ، وقيل: المرادُ به: الخالصُ في العبوديَّة لله، وهو الأتمُّ، ويؤيِّده قراءة (عباده) بالجمع، وهي سبعيَّة أيضاً[2]، والمعنى: أنَّ مَنْ أخلَص لله في عبادته.. كفاه ما أهمَّه في دينه ودُنياه وآخرته.

قوله: (﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾) يصحُّ أن تكون الجملة حاليةً، والمعنى: أنَّ الله كافيك في كلِّ حالٍ حتى في حال تخويفهم لك، ويصح أن تكون مستأنفةً.

قوله: (أو تَخْبِلَهُ) أي: تُفْسِدُ أعضاءه، وتُذْهِبُ عقلَهُ.

قوله: (﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾) أي: ينتقم من أعدائه لأوليائه، وتأخير قوله: (بلى)؛ للإشارة إلى أنه راجع لقوله: ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ أيضاً.

---

(١) كذا في (أ) بحذف النون في الموضعين، على لغة التخفيف المعروفة، وفي (ط٢) بإثباتها، وهي ظاهرة.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالجمع، وقرأ الباقون بالإفراد، وقيل: قراءة الجمع محمولةٌ على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فإن قَومهم قصدوهم بالسوء؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾، وكفاهم الله تعالى شرَّ مَنْ عاداهم. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٨٨).

﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ....﴾

﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾: تعبُدُون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنامَ، ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾؟ لا، ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾؟ لا، - وفي قِراءة بِالإضافةِ فِيهِما - ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: يَثِقُ الواثِقُون.

(﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾) أي: فلا جواب لهم غيره؛ لقيام البراهين الواضحة على أنه المنفرد بالخلق والإيجاد.

قوله: (﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم﴾... إلخ) (رأى): متعدِّية لمفعولَين: الأول قوله: ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾، والثاني قوله: ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ...﴾ إلخ، وقوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ...﴾ إلخ: جملة شرطية مُعترضة بين المفعول الأول والثاني، وجوابُها محذوفٌ؛ لدلالة المفعول الثاني عليه، وتقديره: لا كاشفَ له غيره.

قوله: (﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾) قدَّمه؛ لأنَّ دفعَه أهمُّ، وخصَّ نفسه؛ لأنه جوابٌ لتخويفه من الأصنام.

قوله: (﴿هَلْ هُنَّ﴾) عبَّر عنها بضمير الإناث؛ تحقيراً لها، ولأنهم كانوا يسمُّونها بأسماء الإناث؛ كاللات والعزَّى ومَناة.

قوله: (وفي قراءة بالإضافة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾) أي: كافيَّ، فلا ألتفتُ لغيره.

قوله: (يثق الواثقون) أي: يَعتمد المعتمدون.

قوله: (﴿قُلْ يَٰقَوْمِ اعْمَلُوا﴾... إلخ) هذا الأمرُ للتَّهديد.

---

(١) قرأ أبو عمرو بالتنوين ونصب (ضرَّه) و(رحمته)، وهو الأصل في اسم الفاعل. والباقون بالإضافة وهو تخفيف. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٣٠).

إِنِّي عَـٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ....

حالَتِكُم، ﴿إِنِّي عَـٰمِلٌ﴾ على حالَتي، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن﴾ ـ مَوصولةٌ مَفعُول العِلم ـ ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾: يَنزِلُ ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائِمٌ هو عَذاب النَّار، وقَد أخزاهُم الله بِبَدرٍ.

﴿٤١﴾ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ ـ مُتعلِّق بـ(أنزَلَ) ـ ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ اهتِداؤُهُ، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ فتُجبِرَهُم على الهُدى.

﴿٤٢﴾ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ....

حاشية الصاوي

قوله: (حالتكم) أي: وهي الكفر والعناد، وفيه تشبيهُ الحال بالمكان؛ بجامع الثبوت والاستقرار في كلٍّ.

قوله: (مفعولةُ العلم) أي: لأنها بمعنى (عرف) فتنصب مفعولاً واحداً.

قوله: (﴿يُخْزِيهِ﴾) أي: يُهينُهُ ويذلُّه.

قوله: (﴿لِلنَّاسِ﴾) أي: لمصالح الناس في مَعاشهم ومَعادهم.

قوله: (متعلق بـ«أنزل») ويصحُّ أن يكون متعلقاً بمحذوف حال؛ إمَّا من فاعل (أنزل)، أو من مفعوله.

قوله: (﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾) هذا تسليةٌ له ﷺ، والمعنى: ليس هداهم بيَدك ولا في ضمانتك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه، وإنما هو بيدِنا؛ فإن شئنا.. هديناهم، وإن شئنا.. أبقيناهم على ما هم عليه من الضلال.

قوله: (﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾) أي: يقبض الأرواح عند حضور آجالها، فالنَّفْسُ والروحُ شيءٌ واحدٌ على التحقيق[1]، وذلك القبض؛ ظاهراً بحيث ينعدم التمييز والإحساس، وباطناً بحيث تنعدم الحياةُ والنَّفَس والحركة.

---

(١) وروي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ في ابن آدم نفساً وروحاً، بينهما مِثل شعاع الشمس، فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والحياة، فيُتوفيان عند الموت، وتتوفى النفس وحدها عند النوم. فأثبت رضي الله عنه =

﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ....

﴿وَ﴾ يتوفَّى ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يَتوفَّاها وقتَ النَّوم، ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: وقتِ مَوتِها، والمُرسَلةُ نفس التَّمييز تَبقى بِدُونِها نَفس الحَياة بِخِلافِ العَكسِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَ﴾ يتوفى ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾) أشار بهذا إلى أنَّ الموصول معطوفٌ على (الأنفس) مسلَّط عليه (يتوفى)، والمعنى: يقبض الأرواح التي لم تحضُر آجالها عند نومها ظاهراً؛ بحيث ينعدم التمييز والإحساس، لا باطناً؛ فإنَّ الحياة والنَّفَسَ والحركة باقية؛ ولذا عرَّفوا النوم بأنه فطرةٌ طبيعيَّةٌ تهجم على الشخص قهراً عليه، تمنع حواسَّه الحركةَ، وعقلَهُ الإدراكَ، وأمَّا في حالة اليقظة فالروح سارية في الجسد ظاهراً وباطناً؛ لأنها جسمٌ لطيف شفاف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباكَ الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها، وقيل: مَقرُّها القلب، وشعاعُهَا مقوِّمٌ للجسد كالشَّمعة الكائنة وسَط آنية من زجاج، فأصلها في وسطه، ونورُهَا سارٍ في جميع أجزائه.

قوله: (﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾) أي: لا يردُّها إلى جَسدها، وتحيا حياة دنيوية.

قوله: (أي: وقت مَوتها) ظاهره: أن قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ راجعٌ لقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى﴾ فقط، ويصحُّ رجوعه له وللذي قبله، ويُرَادُ بـ(الأجل المسمَّى) في الممسوكة: النفخةُ الثانيةُ.

قوله: (نَفْسُ التمييز) أي: والإحساس.

قوله: (نَفْسُ الحياة) أي: والحركة والنَّفَس.

قوله: (بخلاف العكس) أي: فمتى ذهبت نفسُ الحياة لا تبقى نفس التمييز والإحساس.

واعلم: أنه اختُلِفَ؛ هل في الإنسان روحٌ واحدةٌ، والتَّعددُ باعتبار أوصافها، وهو التحقيق، أو رُوحان؛ إحداهما: رُوح اليقظة التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد. كان الإنسان متيقِّظاً، فإذا أخرجت منه نام الإنسان ورأت تلك الروحُ المناماتِ، والأخرى: روحُ الحياة

= في ابن آدم شيئين وسمى أحدهما نفساً، والآخر روحاً، وجعل نسبة الروح إلى النفس كنسبة الشعاع إلى الشمس في كونه متعلقاً بها وأثراً لها، وعلى ما ذكره المصنف ليس في ابن آدم إلا شيء واحد. «فتوحات» (٣/ ٦٣٢) وأطال في مناقشة الأقوال وتوجيهها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٢ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٤٤ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ ....﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ ﴿لَآيَاتٍ﴾: دَلالاتٍ ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيَعلَمُون أنَّ القادِرَ على ذلك قادِرٌ على البَعث، وقُرَيش لَم يَتَفَكَّرُوا في ذلك.

﴿٤٣﴾ ﴿أَمِ﴾: بَل ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنامَ آلِهةً ﴿شُفَعَاءَ﴾ عِندَ الله بزَعمِهِم، ﴿قُلْ﴾ لَهم: ﴿أَ﴾يَشفَعُون ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ مِن الشَّفاعةِ وغَيرِها، ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنَّكُم تَعبُدُونَهُم ولا غَير ذلك؟ لا.

﴿٤٤﴾ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مُختَصٌّ بِها فلا يَشفَعُ أحدٌ إلَّا بإذنِه، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: دُون آلِهَتِهم ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾: نَفَرت وانقَبَضت ......

حاشية الصاوي

التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان حيًّا، فإذا فارقَته مات، فإذا رجعت إليه حييَ؟ وكلامُ المفسِّر محتملٌ للقولين.

قوله: (المذكور) أي: من التَّوفِّي والإمساك والإرسال.

قوله: (وقريشٌ لم يتفكَّروا) قدَّره ليكونَ قوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ إضراباً انتقاليًّا.

قوله: (أي: الأصنامَ) بيانٌ للمفعول الأول.

قوله: (أيشفعون) أشار بهذا إلى أنَّ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه.

قوله: (لا) أشار به إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (أي: هو مختصٌّ) جوابٌ عمَّا يقال: مقتضى الآية نفيُ الشفاعة عن غيره تعالى مع أنه قد جاء في الأخبار أنَّ للأنبياء والعلماء والشهداء شفاعاتٍ، فأجابَ: بأنَّ المعنى: لا يملك الشفاعة إلا الله، وشفاعات هؤلاء بإذن الله ورِضاه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قوله: (﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾) أي: تُردُّونَ فيجازيكم بأعمالكم.

قوله: (﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾) (إذا): مَعمولة لقوله: ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾.

قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ....

﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ بِمعنى: يا الله ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُبدِعَهُما، ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غابَ وما شُوهِدَ، ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمرِ الدِّين، اهدِنِي لِما اختَلَفُوا فِيهِ مِن الحقِّ.

(﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾) ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا﴾: ظَهَرَ ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾: يَظُنُّون، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾) أي: لنسيانهم حقَّ الله تعالى، وهذه الآية تجرُّ بذيلها على أهل اللهو والفسوق الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها على مجالس الطاعات.

قوله: (﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾) أي: التَجِئْ إلى ربِّك بالدعاء والتضرع؛ فإنه القادرُ على كلِّ شيءٍ.

قوله: (أي: يا الله) أي: فحُذِفَتْ ياءُ النداء، وعُوِّض عنها الميم، وشدِّدت لتكون على حرفين كالمعوَّض عنه.

قوله: (اهدني) هذا هو المقصود بالدعاء، وتمام تلك الدعوة النبويَّة على ما ورد: «**اهدِني لما اختلف فيه من الحق بإذنك** ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾»[1].

قوله: (﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾... إلخ) بيانٌ لغاية شدَّة ما ينزل بهم.

قوله: (﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾) أي: بالمذكور من الأمرين.

قوله: (﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾) ظرفٌ لـ(افتدوا).

قوله: (﴿وَبَدَا لَهُم﴾... إلخ) كلامٌ مستأنفٌ، أو معطوف على قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟...﴾ إلخ.

(١) رواه مسلم (٧٧٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ ....

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العَذابُ.

﴿٤٩﴾ ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجِنسَ ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾: أعطيناهُ ﴿نِعْمَةً﴾: إنعاماً ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ مِن الله بِأنِّي لَهُ أهلٌ، ﴿بَلْ هِىَ﴾ أي: القَولةُ ﴿فِتْنَةٌ﴾: بَلِيَّة يُبتلى بِها العَبد، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ التَّخوِيل استِدراجٌ وامتِحان.

(﴿٥٠﴾ - ﴿٥١﴾) ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِن الأُمَم كقارُونَ وقَومِه الرَّاضِينَ بِها، ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي: جَـزاؤُهـا، ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: قُرَيش ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾) أي: الأعمالُ السيئة حين تُعْرَضُ عليهم صَحائفُهُم.

قوله: (الجنس) أي: فهو إخبارٌ عن الجنس بما يفعله غالبُ أفرادِهِ.

قوله: (إنعاماً) أي: تفضُّلاً وإحساناً.

قوله: (﴿عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ من الله... إلخ) أي: أو منِّي بوجوه كسبه، أو أني أُعْطِيتُه بسبب محبة الله لي وفلاحي.

قوله: (أي: القولَةُ) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير عائدٌ على القولة، وقيل: عائدٌ على النعمة، والمعنى: أنَّ النعمة فتنةٌ؛ أي: امتِحان واختبار؛ هل يشكر عليها أو يكفرها؟

قوله: (أنَّ التَّخويلَ) أي: إعطاءَ النِّعم تفضُّلاً وإحساناً.

قوله: (الراضِين بها) أشار بذلك إلى أنَّ قَومه لم يقولوها بالفعل، وإنما نُسِبَتْ لهم من حيثُ رضاهم بها.

قوله: (﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾) أي: جزاءُ أعمالهم السَّيئةِ.

قوله: (﴿مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾) بيان لـ(الذين ظلموا).

سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَا عِبَادِيَ ....

﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بِفائِتِين عَذابَنا، فقُحِطُوا سَبعَ سِنِينَ ثُمَّ وُسِّعَ عَلَيهِم.

﴿٥٢﴾ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يُوَسِّعهُ ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتِحاناً، ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقهُ لِمَن يَشاءُ ابتِلاءً، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بِه.

﴿٥٣﴾ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فقحطوا سبع سنين) أي: أوائل سِني الهجرة حتى أكلوا الجِيَفَ والعظمَ المحرَّق.

قوله: (ثم وُسِّع عليهم) أي: استدراجاً لهم، لا رضاً عليهم.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾) أي: القائلون: إنما أُوتيته على علم عندي.

قوله: (﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾) أي: وإن كان لا حيلةَ له ولا قوة، طائعاً أو عاصياً.

قوله: (﴿وَيَقْدِرُ﴾) أي: لمن يشاء وإن كان قويًّا شديداً، طائعاً أو عاصياً، فليس لبسطِ الرزق الدنيويِّ ولا لقبضه مدخلٌ في محبة الله ولا بُغضِهِ، بل بحكمته تعالى.

قوله: (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكورِ.

قوله: (﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾... إلخ) سبب نزولها: أنَّ رسول الله ﷺ بعث إلى وحشيٍّ قاتلِ حمزةَ يَدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني إلى دينك وأنت تَزعم أنه مَنْ قَتَلَ أو أشرك أو زنى.. يلقَ أثاماً، يضاعفْ له العذاب، وأنا فعَلت ذلك كلَّه، فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾، فقال وحشيٌّ: هذا شرطٌ شديدٌ لعلي لا أقدر عليه، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، قال وحشي: أراني بعد في شبهة؛ أيغفر لي أم لا؟ فنزلت هذه الآية، فقال وحشي: نعم، الآن لا أرى شرطاً، فأسلم[1].

---

(١) رواه عطاء عن ابن عباس، وفيه نظر، وهو بعيد الصحَّة، والمحفوظ في إسلامه غير هذا، وأنه قَدِم مع رسل الطَّائف، فأسلَم من غير اشتراط. انظر «زاد المسير» (٣/ ٣٢٩).

﴿ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ﴾ ....

﴿ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ﴾ - بِكَسرِ النُّون وفتحِها، وقُرِئَ بِضَمِّها -: تيأَسُوا ......

حاشية الصاوي

وهذه الآية عامَّةٌ لكلِّ كافر وعاصٍ؛ لأنَّ العبرة بعُموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن ثَمَّ قيل: إنها أرجى آية في كتاب الله تعالى.

وفيها من أنواع المعاني والبيان أمورٌ حِسَانٌ؛ منها: إقباله تعالى على خلقه، ونداؤه إيَّاهم.

ومنها: إضافتهم إليه إضافةَ تشريفٍ.

ومنها: الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾.

ومنها: إضافة الرحمة لأجلِّ أسمائه، الجامعِ لجميعِ الأسماء والصفات، وهو لفظ الجلالة.

ومنها: الإتيان بالجملة المعرَّفة الطرفين المؤكَّدةِ بـ(إن) وضمير الفصل في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ للإشارة إلى أنه تعالى لا وصفَ له مع عباده إلا الغفران والرحمة.

ومناسبةُ هذه الآيةِ لما قبلها: أنَّ الله تعالى لما شدَّد على الكفار التشديدَ العظيمَ في قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا...﴾ الآية، أتْبَعَها بذكر عظيم غُفرانه ورحمته لمن آمن؛ ليجمع العبدُ بين الرَّجاء والخوف.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾) أي: فرَّطوا في الأعمال الصالحة، وارتكبوا سيئ الأعمال وأكثروا منه.

قوله: (﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾) إن قُلت: إنَّ في هذا إغراءً بالمعاصي واتِّكالاً على غفرانه تعالى، وهو لا يَليق.

أجيبَ: بأنَّ المقصودَ تنبيهُ العاصي على أنه ينبغي له أن يُقْدِمَ على التوبة، ولا يَقنط من رحمة الله، وليس ذلك إغراءً بالمعاصي، بل هو تطمينٌ للعصاة، وترغيبٌ لهم في الإقبال على ربِّهم.

قوله: (بكسر النون وفتحها) أي: من باب: (جَلَسَ) و(سَلِمَ)، وهما سبعيَّتان[1].

قوله: (وقرئ بضمِّها) أي: من باب: (دخل)، وهي شاذَّة.

---

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بكسر النون، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٥٥).

مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ....

﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ لِمَن تاب مِن الشِّركِ، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

(﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾) ﴿وَأَنِيبُوٓا۟﴾: ارجِعُوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟﴾: أَخلِصُوا العَمَل ﴿لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ بِمَنعِهِ إن لَم تَتُوبُوا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾) أي: إشراكاً أو غيره، وهو مُقيَّد بالتوبة كما قال المفسِّر؛ لأنَّ بها يخرج العاصي من ذُنوبه كيوم ولدته أمُّه؛ كما في الحديث: «التَّائبُ من الذنب كمَنْ لا ذنب له»[1]، وأمَّا مَنْ مات مسلماً ولم يَتب من ذنوبه.. فأمره مفوَّضٌ لربِّه؛ إن شاء غفر له، وإن شاء عذَّبه بقدر جُرْمِهِ، ثم يُدخله الجنة، وأمَّا مَنْ مات مشركاً.. فلا يُغْفَر له بنصِّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، ومن هنا قيل: رحمة الله غلبت غضبه؛ لأنَّ دار الغضب مخصوصةٌ بمن مات مشركاً، بخلاف دار الرحمة فهي لمن عدَا ذلك.

قوله: (لمن تاب مِن الشرك) إنما خصَّ الشرك؛ لأن التوبة منه مقبولةٌ قطعاً بنصِّ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، بخلاف التوبةِ من غير الشرك ففيها قولان: قيل: مقبولة ظنًّا، وقيل: قطعاً، والفرقُ: أنَّ تعذيب العاصي تطهيرٌ، وتعذيب الكافر غضب، فمآل العاصي للجنة وإن طالَت مدَّته في النار؛ لأنَّ مُعاملته بالفضل والرحمة، بخلاف الكافر فمعاملتُهُ بالعدل.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾) تعليلٌ لما قبله، وهذان الوصفان يكونان لمن تاب؛ فالغفرانُ نجاتُهُ من النار، والرَّحمةُ دخوله الجنة.

قوله: (﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾) أتى بهذه الآية عَقب التي قبلها؛ لئلا يتَّكلَ العاصي على الغفران ويتركَ التوبةَ والرجوعَ إلى الله، فأفاد أنَّ الرجوع إلى الله والإقبالَ عليه مطلوبٌ، ومَنْ ترك ذلك فله الوعيدُ العظيمُ.

قوله: (إن لم تتوبوا) راجعٌ لقوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ ....

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ هو القرآنُ، ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ قبلَ إتيانِه بوقتِه.

(٥٦ - ٥٩) فبادِرُوا قبلَ ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾) أي: على لِسان أحسن نبيٍّ وهو محمَّد ﷺ، وهذا معطوفٌ على قوله: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾، والمعنى: ارجعوا إلى ربِّكم، والزموا أوامرَ أحسن كتابٍ أنزل إليكم ونواهِيَهُ، وهذا الخطاب عامٌّ للأوَّلين والآخرين من لدن آدم إلى يوم القيامة، ولكن مَنْ أدركه التكليف كُلِّفَ باتِّباعه، ومَنْ لم يُدركه؛ بأن كان متقدِّماً عليه.. يلزمه اتباعه لو فُرِضَ أنه أدركه، ومن هنا أَخْذُ الميثاقِ على الأنبياء وأُمَمِهم أنه إن ظَهر محمد وأحدهم حيٌّ.. يلزمه اتباعه، وفي الحديثِ: «لو أدركني موسى.. ما وسعه إلا اتباعي»[1]، وحينئذٍ فالمعنى: اتَّبِعُوا يا عبادي من أوَّل الزمان لآخِره أحسنَ كتابٍ أنزل إليكم من ربِّكم، فالمكلَّف بهذا الخطاب مَنْ أدركَه ومَنْ لم يُدركه، لكن مَنْ لم يُدركه مكلَّفٌ به لولا مانعُ الموت؛ ولذا كلِّف به من بقي حيًّا حتى أدركه كالخضر وإلياس وعيسى عليهم السلام.

قوله: (القرآن) تفسيرٌ لـ﴿أَحۡسَنَ﴾؛ فإنَّ ما أنزل إلينا من ربِّنا كتبٌ كثيرةٌ، وأحسنها القرآن، وهذا كلُّه على ما فهم المفسِّر، وقيل: معنى ﴿أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم...﴾ إلخ أي: من القرآن، وهو أوامرُهُ دون نَواهيه، أو عزائمه دون رُخَصه، أو ناسخه دون منسوخه، أو ما هو أعمُّ، والخطاب لخصوص هذه الأمَّة، فتدبَّر.

قوله: (﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ﴾) معمولٌ لمحذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (بادروا قبل أن تقول... إلخ)، وقدَّره غيرُهُ: (كراهةَ - أو مخافةَ - أن تقول نفسٌ... إلخ)[2]، وحينئذٍ: فيكون مفعولاً لأجله، وهو أسهل مما قدَّره المفسِّر. والمرادُ: نفسُ الكافر، ونكَّرها؛ للتَّحقير.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٦) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) قال الزمخشري: كراهة أن تقول، والحوفي: أنذرناكم مخافة أن تقول، ونكَّر (نفس)؛ لأنه أريد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر، أو أريد الكثير. انظر «البحر المحيط» (٧/ ٤١٧).

عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ....

أصلُه: يا حَسرَتي، أي: نَدامَتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعتِه، ﴿وَإِن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقيلة ـ أي: وإنِّي ﴿كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ بِدِينِهِ وكِتابِه، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ بالطَّاعةِ فاهتَدَيتُ ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ عَذابَه، ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾: رَجعةً إلى الدُّنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المُؤمِنينَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أصله: يا حَسرتي) أي: فقلبت الياء ألفاً، فهي في محلِّ جرٍّ، ونداؤُهَا مجازيٌّ؛ أي: هذا أوانُكِ فاحضري.

قوله: (أي: طاعتِهِ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالجنب: الطاعةُ مجازاً؛ لأنَّ الجنب في الأصل: الجهةُ المحسوسةُ، ويرادفه الجانبُ، فشبِّهت الطاعةُ بالجهة؛ بجامع تعلُّق كلٍّ بصاحبه؛ لأنَّ الطاعة لها تعلُّقٌ بالله تعالى، والجهة لها تعلُّق بصاحبها.

قوله: (﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾) الجملةُ حاليَّةٌ، والمعنى: فرَّطتُ في جنب الله وأنا ساخرٌ.

قوله: (﴿أَوْ تَقُولَ﴾... إلخ) (أو): لِلتنويع في مقالة الكافر.

قوله: (بالطاعة) وفي نسخة: (بألطافه) أي: إسعافه، ولو قال: (بآياته).. لكان أظهَر.

قوله: (﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) إمَّا معطوفٌ على (كرَّةً) فيكون من جملة المتمنَّى، والفاء عاطفةٌ للفعل على الاسم الخالص؛ نظير قول الشاعر[1]: [البسيط]

لـولا تَـوَقُّـعُ مُـعْـتَـرٍّ فَـأُرْضِـيَـهُ ... مَـا كُـنْـتُ أُوثِـرُ إِتـرابـاً عَـلَـى تَـرَبِ

ويكون إضمارُ (أن) جائزاً لا واجباً، قال ابن مالك[2]: [الرجز]

وَإِنْ عَلَى اِسْمٍ خَالِصٍ فِعْلٌ عُطِفْ ... تَنْصِبُهُ (أَنْ) ثَابِتاً أو مُنْحَذِفْ

(١) نسبه ابن مالك في «شرح الكافية» (٣/١٥٥٨) لرجل من طيئ، وهو عند غيره بلا نسبة، و(إتراباً): مصدر أترب الرجل: إذا استغنى، والترب بفتحتين هو: الفقر والحاجة.

(٢) «الخلاصة»، باب: (إعراب الفعل).

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ....

فيُقال له مِن قِبَل الله: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى﴾: القُرآنُ وهو سَبَب الهِداية، ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾: تكبَّرتَ عن الإيمانِ بها، ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

﴿٦٠﴾ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بِنِسبةِ الشَّريك والوَلَد إلَيهِ، ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مَأوًى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمانِ؟ بَلى.

حاشية الصاوي

أو منصوبٌ في جواب التمنّي، ويكون مرتَّباً على التمنّي، والفاء للسببية، وإضمارُ (أن) واجبٌ.

قوله: (فيُقال له... إلخ) جواباً لمقالته الثانية، وأُخِّرَ عن الثالثة؛ ليتَّصل كلامُ الكافر بعضُه ببعضٍ، ولم تؤخَّر المقالةُ[1] عن الثالثة؛ لئلا يكونَ مخالفاً للترتيب الوجوديِّ؛ فإنَّ الكافر أوَّلاً يتحسَّر، ثمَّ يحتجُّ بحججٍ واهية، ثمَّ يتمنَّى الرجوع إلى الدنيا.

إن قلتَ: إن (بلى) يجابُ بها النَّفي، ولا نفي في الآية.

أجيبَ: بأنَّ الآية متضمِّنةٌ للنفي؛ لأن معنى قوله: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾: لم يَهدني.

قوله: (وهي سبب الهداية) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالهداية: الوصولُ بالفعل، وأمَّا إن أريد بالهداية مطلقُ الدَّلالة.. فالآياتُ نفسُها دالَّةٌ.

قوله: (بنسبة الشريك... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد: كذبٌ يؤدِّي للكفر، وإلَّا.. فظاهرُ الآيةِ يعمُّ كلَّ كذبٍ على الله تعالى، وحينئذٍ: ففيها تحذيرٌ وتخويفٌ لمن يتعهَّد الكذبَ على الله؛ كالإفتاءِ بغير الشَّرع، وروايةِ الحديثِ بالكذب.

قوله: (﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾) الجملة حاليَّةٌ إن جُعِلَتِ الرؤيةُ بصريَّةً[2]، أو مفعولٌ ثانٍ إن جُعلت علميَّةً.

قوله: (﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ﴾... إلخ) هذا تقريرٌ لاسوِداد وجوههم.

---

(١) أي: الثانيةُ، وهي كذلك في (ط٢).

(٢) وهو أولى؛ لأنَّ كون الوجوه وألوانها من متعلَّقات البصر أظهرُ من كونهما من مُتعلقات القلب. «فتوحات» (٣/ ٦٤٠) عن شيخه العلامة الأجهوري.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦١ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ ....﴾

﴿٦١﴾ ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾ مِن جَهنَّم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشِّركَ ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: بِمَكانِ فَوزِهم مِن الجَنَّة بِأن يُجعَلُوا فِيه، ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾) ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: مُتَصَرِّف فِيه كيف يَشاء، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مَفاتِيحُ خَزائِنهما ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿اتَّقَوْا﴾ الشِّركَ) أي: جعَلوا بينهم وبينه وقايةً، وهو الإيمان، وهذه تقوى العامَّة، وتقوى الخواصِّ فعلُ الطاعات وتركُ المعاصي، وتقوى خواصِّ الخواصِّ عدمُ خُطور الغير ببالهم.

قوله: (﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾) الباء: سببيَّة متعلقة بـ(ينجي)، وفي قراءة سبعيَّة أيضاً: (بمفازاتهم) جمعاً باعتبار الأشخاص[1].

قوله: (أي: بمكان فَوزهم) أي: بمكان ظَفَرِهِمْ بمقصودهم، والمعنى: يُنجي الله المتقين بسبب دخولهم في مكان ظفرهم بمقصودهم، وهو الجنة.

قوله: (﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾) يحتمل أن تكون هذه الجملةُ مستأنفةً مفسِّرة لـ(مفازتهم) فلا محلَّ لها من الإعراب[2]، ويحتمل أن تكون حاليَّةً من قوله: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

قوله: (﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾) هذا دليلٌ لما قبله، ودخل في الشيء الجنةُ وما فيها، والنَّارُ وما فيها، فلا مُشارك لله في خَلقه.

قوله: (﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾) المقاليد: جمعُ مِقْلادٍ، أو مِقْلِيدٍ، والكلام كنايةٌ عن شدَّة التمكن والتصرُّف في كلِّ شيء في السماوات أو الأرض، وروي عن عثمان ﵁ أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد فقال: «**تفسيرُها: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمدِه، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوةَ إلا بالله، هو الأوَّل والآخر، والظَّاهر والباطن، بِيَده الخيرُ، يحيي ويميت، وهو على كلِّ شيءٍ قدير**»[3]، فهذه الكلماتُ مفاتيحُ خزائن السماوات والأرض، مَنْ تكلَّم بها فُتِحَتْ له.

---

(١) وبها قرأ حمزة والكسائي وشعبة. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٥٨).

(٢) أي: لأنها استئناف بَياني، كأنه قيل: وما مفازتهم؟ فقال: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾.

(٣) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩)، والطبراني في «الدعاء» (١٧٠٠).

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ....

مِن المَطَرِ والنَّباتِ وغَيرِهما، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ مُتَّصِلٌ بِقَولِهِ: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا... إلخ﴾، وما بَينَهُما اعتِراضٌ.

(٦٤) ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ - (غَير) مَنصُوب بِـ﴿أَعْبُدُ﴾ المَعمُول لِـ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ بِتَقدِيرِ (أن)، بِنُونٍ واحِدة وبِنُونَينِ، بِإدغامٍ وفَكٍّ -.

(٦٥) - (٦٦) ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾: واللهِ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا مُحمَّدُ فَرضاً ....

حاشية الصاوي

قوله: (من المطر... إلخ) بيانٌ للخزائن.

قوله: (متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّى﴾) أي: فهو معطوفٌ عليه من عطفِ اسميَّةٍ على فعليَّةٍ، ولا مانعَ فيه.

قوله: (المعمول لـ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾) أي: والأصل: أتأمُرونني بأن أعبد غير الله، قدَّم مفعول (أعبد) على (تأمروني) العامل في عامِله، وحُذِفَت (أن).

قوله: (بنون واحدة) أي: مخففة مع فتح الياء لا غير، وهذه النون نون الرفع، كُسرت للمناسبة، واستُغني بها عن نون الوقاية.

قوله: (بإدغام) أي: مع فتح الياء وسكونها، وقوله: (وفكٍّ) أي: مع سكونِ الياء لا غير، فالقراءات أربع سبعيَّات[1].

قوله: (﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾... إلخ) اللام: مُوطئة لقسم محذوف[2]؛ أي: والله لقد أُوحي، ونائب الفاعل قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ...﴾ إلخ، والمعنى: أُوحي إليك هذا الكلام[3].

قوله: (فرضاً) أي: على سبيلِ التقديرِ وفَرضِ المحالِ، وهو جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّر: كيف يقع الشرك من الأنبياء مع عِصمتهم؟ وقيل: المقصودُ بالخطاب: أممُهم؛ لِعِصمتهم من ذلك.

---

(١) قرأ ابن كثير بإدغام نون الرفع في نون الوقاية وفتح الياء، وأرسلها الباقون، وقرأ نافع: (تأمرُونِيَ) بنون خفيفة وفتح الياء، وابن عامر: (تأمرونَني) بالفك وسكون الياء. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٤١).

(٢) اللام واقعة في جواب قسم مقدَّر؛ كما قدَّره المصنف رحمه الله.

(٣) لأنَّ الجملة التي يُرادُ بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات.

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ....

﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إنعامَهُ عليك.

﴿٦٧﴾ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: ما عرفوه حقَّ معرفته، ....

حاشية الصاوي

إن قلتَ: كان مقتضى الظاهر: لئن أشركتم، فما وجه إفراد الخطاب؟

أجيبَ: بأن المعنى: أُوحِيَ إلى كلٍّ واحدٍ منهم: لئن أشركتَ... إلخ؛ كما يقال: كَسانا الأمير حلَّةً؛ أي: كسا كلَّ واحد منَّا حلَّةً.

قوله: (﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾) من باب: (تَعب)، وقرئ شذوذاً من باب: (ضرَب)[1].

قوله: (﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾) عطف مسبَّب على سبب، وجملةُ المعطوفِ والمعطوفِ عليه جوابُ القسَم الثاني، وهو ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾، والقسمُ الثاني وجوابُهُ جوابٌ عن القسم الأول، وهو ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ﴾، وحُذِفَ جوابُ الشرط وهو (إن أشركتَ) لِلقاعدة[2].

قوله: (﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾) عطفٌ على محذوف، والتقدير: فلا تُشرك بل الله... إلخ.

قوله: (﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾) أي: على ما أعطاك من التوفيق لِطاعته وعبادته؛ لأنَّ الشكر على ذلك أفضلُ من الشكر على باقي النِّعَم.

قوله: (﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾) **إن قلتَ**: إنَّ مفهوم الآية يقتضي أنَّ المؤمنين يَعرفون الله حقَّ معرفته، ومقتضى قوله ﷺ: «**سُبحانك، ما عرَفناك حقَّ معرفتك**»، وقوله: «**سبحان مَنْ لا يعلم قدْرَهُ غيره، ولا يَبلغ الواصفون صفته**»: أنه لا يَعلم اللهَ إلا اللهُ، فكيف الجمع بينهما؟

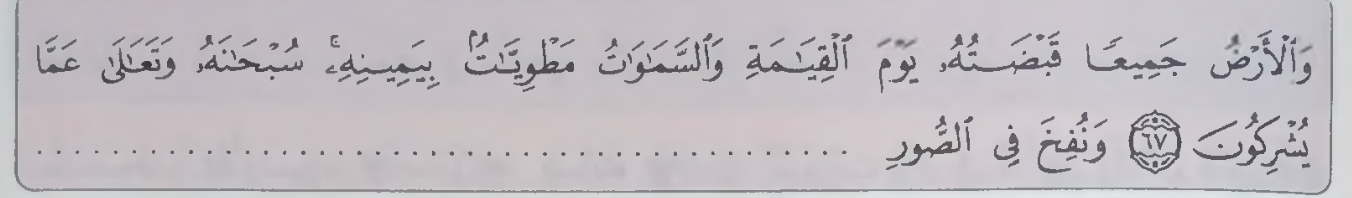
أجيبَ: بأنَّ الآية محمولةٌ على المعرفة المأمورِ بها، المكلَّفِ بتحصيلها، ولا شكَّ أن المؤمنين عرَفوه حقَّ معرفته التي فُرِضَت عليهم، وهي تنزيهُهُ عن النقائص، ووصفُهُ بالكمالات، والحديث محمولٌ على المعرفة التي لم تُفْرَضْ على العباد، وهي معرفة الحقيقة والكُنه، فتدبَّر.

---

(١) كذا في «المصباح»، مادة (ح ب ط).

(٢) وهي: إذا اجتمع الشرط والقسم.. حذفت جواب الآخر منهما، واستغنيت بجواب المتقدِّم، قال ابن مالك:

واحذِف لدى اجتماع شرطٍ وقَسَمْ ... جوابَ ما أخَّرتَ فهو مُلتَزَمْ


وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ....

أو ما عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَته حِين أشرَكُوا بِه غَيرَه، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ ـ حال ـ أي: السَّبع ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ أي: مَقبُوضةٌ لَه، أي: في مُلكِه وتصرُّفِه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾: مَجمُوعاتٌ ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾: بِقُدرَتِه ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ مَعَه.

﴿٦٨﴾ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ ....

حاشية الصاوي

فتحصَّل: أنَّ العجز عن الإدراك إدراكٌ، والبحث عن الذات إشراكٌ، ولم يكلِّفنا الله إلا بأن ننزِّهَهُ عمَّا سواه سبحانه وتعالى.

قوله: (أو: ما عظَّموه حقَّ عظمته) مفهومه: أنهم عظَّموه لا حقَّ تعظيمه، وهو كذلك؛ لأنهم معترفون بأنه الإله الأكبر الخالق لكلِّ شيءٍ.

قوله: (﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾) الجملة حاليَّةٌ من لفظ الجلالة، والمعنى: ما عظَّموه حقَّ تعظيمه والحال أنه موصوفٌ بهذه القدرة الباهرة، وقدَّم الأرضَ؛ لمباشرتهم لها، ومعرفتهم بحقيقتها.

قوله: (أي: في ملكه وتصرُّفه) أشار بذلك إلى أنه ليس المرادُ حقيقةَ القبضِ، بل المراد التصرُّفُ والملكُ ظاهراً وباطناً، بخلاف أُمور الدنيا؛ فإنَّ للعبد فيها أملاكاً ظاهريَّةً، وقيل: إنه كنايةٌ عن انعدامها بالمرَّة، وهو ظاهرٌ، ويقال في الطيِّ مثلُ ذلك.

قوله: (﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾... إلخ) التعبيرُ في هذا وما بعده بالماضي؛ لتَحقق وقوعه، أو لكونه واقعاً في علم الله تعالى أزلاً؛ لأنَّ كلَّ ما ظهر فهو جارٍ في سابق عِلمه. والنافخُ إسرافيلُ، وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره عليهم السلام.

و﴿ٱلصُّورِ﴾ بالسكون في قراءة العامَّة[1]، وهو القرنُ، فيه ثقب بعَدد جميع الأرواح، وله ثلاث شُعب: شعبةٌ تحت الثرى تخرج منها الأرواح وتَتصل بأجسادها، وشعبةٌ تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموتى، وشعبةٌ في فَم إسرافيل، وهو ملكٌ عظيمٌ، له جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب، والعرش على كاهله، وقدَماه قد نزلتا عن الأرض السفلى مسيرة مئة عام.

(١) قرأ زيد بن علي وقتادة بفتحها جمع «صُورة»، وهذه ترد قول ابن عطية: إن الصور هنا يتعين أن يكون القرن، ولا يجوز أن يكون جمع صورة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٤٤).

﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ....

النفخة الأولى، ﴿فَصَعِقَ﴾: مات ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مِن الحُورِ والوِلدانِ وغَيرِهما، ....

حاشية الصاوي

قوله: (النفخة الأولى) ظاهرُ المفسِّر أنَّ النفخ مرَّتان: نفخة الصعق، ونفخة البعث، وهو ظاهر الآية، وقيل: إنَّ النفخ ثلاث مرَّات؛ فالنفخةُ الأولى تَطول ويكون بها الزلزلة وتسيير الجبال وتكوير الشمس وانكدار النجوم وتسخير البحار، والنَّاسُ أحياءٌ وَالِهُونَ[1] ينظرون إليها، فتذهل كلُّ مرضعة عمَّا أرضعت، وتضع كلُّ ذات حملٍ حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، وهي المعنيَّة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

والنفخةُ الثانيةُ يكون بها الصَّعق، وعندها يموت كلُّ مَنْ كان حيًّا حياةً دنيويةً، وأمَّا مَنْ كان حيًّا حياةً أُخرويةً.. فإنه يُغْشَى عليه.

والنفخةُ الثالثةُ نفخةُ القيام، وبين هاتين النَّفختين أربعون سنة على الصحيح؛ لتَستريح الأرض من الهول الذي حصل لها، وفي تلك المدَّة تمطر السَّماء، وتنبت الأرض، ولا شيء[2] على ظَهرها من سائر المخلوقات.

قوله: (مات) أي: مَنْ كان حيًّا في الدنيا، ويُغْشَى على مَنْ كان ميتاً من قبلُ لكنَّه حيٌّ في قبره؛ كالأنبياء والشهداء.

قوله: (مِن الحور.. إلخ) أي: فهو استثناءٌ من الصَّعق بمعنى: الموت، ويستثنى منه بمعنى: الغَشْيِ والدَّهْشِ موسى عليه السلام؛ فإنه لا يغشى عليه، بل يبقى متيقِّظاً ثابتاً؛ لأنه صَعِقَ في الدنيا في قصَّة الجبل؛ فلا يصعق مرة أخرى.

قوله: (وغيرهما) أي: كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلك الموت؛ فإنهم لا يموتون بالنفخة الأولى، وإنما يموتون بين النفختين؛ لما روي: أن رسول الله ﷺ تلا ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ...﴾ الآية، فقالوا: يا نبيَّ الله؛ مَنْ هم الذين استثنى الله تعالى؟ قال: «هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فيقول الله لملك الموت: يا ملك الموت؛ مَنْ بقي مِنْ خلقي؟ - وهو أعلمُ - فيقول: يا ربِّ؛

---

(١) الوَلَهُ: ذهابُ العقل والتحيُّر من شدة الوجد. «المختار»، مادة (و ل هـ).

(٢) في (ط٢): (ولا حيّ).

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ ....

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: جَمِيعُ الخَلائِق المَوتَى ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾: يَنتَظِرُونَ ما يُفعَل بِهِم.

حاشية الصاوي

بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وميكائيل وعبدُك الضعيف ملك الموت، فيقول الله تعالى: خُذْ نَفْسَ إسرافيل وميكائيل، فيَخرَّان ميتَيْنِ كالطَّودَيْنِ العظيمين، فيقول: مُتْ يا ملك الموت، فيموت، فيقول الله لجبريل: يا جبريل؛ مَنْ بقي؟ فيقول: تباركتَ وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، وجهك الباقي الدائم، وجبريل الميت الفاني، فيقول: يا جبريل؛ لا بدَّ من مَوتك، فيقع ساجداً يَخفق بجناحيه يقول: سبحانك ربي، تباركتَ وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام»[1].

قوله: (﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾) أي: بعد أربعين سنة على الصحيح، وقربَ نفخة القيام تأتي سحابةٌ من تحت العرش فتُمطر ماءً خاثراً كالمني، فتنبت أجسام الخلائق كما ينبت البقل، فتتكامل أجسامهم، وكلُّ ابن آدم تأكُله الأرض إلا عجبَ الذَّنَبِ؛ فإنه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف، فتركَّب عليه أجزاؤه، فإذا تمَّ وتكامل.. نُفِخَ فيه الروح، ثم انشقَّ عنه القبر، ثم قام خلقاً سويًّا، وفي النفخة الثانية يقول: أيَّتُها العظامُ الباليةُ، والأوصال المتقطِّعة، والأعضاء المتمزِّقة، والشُّعور المنتشرة؛ إنَّ الله يأمركنَّ أن تجتمعن لفَصل القضاء، فيجتمعن، ثم ينادى: قوموا للعرض على الجبار، فيَقومون؛ كما قال تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ...﴾ [القمر: ٧] الآية، فإذا خرجوا من قُبورهم.. تُتَلَقَّى المؤمنون بمراكب من رحمة الله؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، ويمشي المجرمون على أقدامهم حامِلِين أوزارهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، وفي الآية الأخرى: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١].

قوله: (﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾) بالرفع في قراءة العامَّة، خبرٌ عن الضمير، وقُرئ شذوذاً بالنصب على الحال، وخبر الضمير قوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾[2].

قوله: (ما يفعل بهم) أي: من الحسابِ والمرورِ على الصراط وإدخالِهِمُ الجنَّةَ أو النَّارَ.

---

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩)، وابن راهويه في «مسنده» (١٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وفيهما: أن آخر من يموت مَلك الموت.

(٢) وبها قرأ زيد بن علي. انظر «الدر المصون» (٩/٤٤٥).

وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ

٦٩ ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: أضاءَت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حِين يَتَجَلَّى الله لِفَصلِ القَضاء، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: كِتابُ الأعمالِ لِلحِسابِ، ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي: بِمُحمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِه يَشهَدُون لِلرُّسُلِ بِالبَلاغِ، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: العَدلِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾) المراد بالأرض: الأرضُ الجديدةُ المُبدَّلَةُ التي يُحشَرُ الناس عليها.

قوله: (حين يتجلى) أي: حين يَكشف الحجاب عن الخلائق فيَرونه حقيقة؛ لما في الحديث: «ستَرَون ربكم لا تمارون فيه كما لا تمارون في الشمس في اليوم الصَّحو»(١)، وهذا النور يَخلقه الله تعالى، فتضيء به الأرض، وليس من نُور الشمس والقمر، وهو مخصوصٌ بمَنْ يرى الله تعالى في القيامة، وهم المؤمنون.

قوله: (﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾) أي: أعطي كلُّ واحدٍ من الخلائق كتابَهُ بيَمينه أو شماله.

قوله: (﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾) أي: وذلك أنَّ الله تعالى يجمع الخلائق الأوَّلين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكُفار الأمم: ألم يأتكم نذير؟، فيُنكرون ويقولون: ما جاءنا من نذير، فيسأل الله الأنبياء عن ذلك، فيقولون: كذَبوا، قد بلَّغناهم، فيسألهم البينة ـ وهو أعلم بهم ـ إقامةً للحجة، فيقولون: أمَّةُ محمد تشهد لنا، فيؤتى بأمة محمد ﷺ، فيشهدون لهم أنهم قد بلَّغوا، فتقول الأمم الماضية: من أين عَلموا وإنما كانوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلتَ إلينا رسولاً، وأنزلت علينا كتاباً أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرتَ، ثم يؤتى بمحمد ﷺ، فيسأله الله عن أمَّته، فيزكيهم ويَشهد بصدقهم(٢).

قوله: (أي: العدل) أي: بالنسبة للكافرين، وأما المؤمنون.. فحكمُهُ فيهم بالفضل.

---

(١) رواه بلفظه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٥)، وفي «صحيح البخاري» (٧٤٣٤)، و«مسلم» (٦٣٣): عن جرير، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم ستَرون ربكم كما تَرون هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس.. فافعَلُوا».

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري ﷺ في قصة سيدنا نوح عليه السلام وإنكارِ قومه.

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ....

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

﴿٧٠﴾ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءَهُ، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالِمٌ ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلا يَحتاجُ إلى شاهِدٍ.

﴿٧١﴾ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِعُنفٍ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: جَماعاتٍ مُتفرِّقةً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: جزاءه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (أي: عالم) أشار بذلك إلى أنَّ اسم التفضيل ليس على بابِهِ؛ إذ لا مشاركة بين القديم والحادث.

قوله: (فلا يحتاج إلى شاهد) أي: لأنه عالمٌ بمقادير أفعالهم وكيفيَّاتها، وإنما الشهودُ وكتابةُ الأعمال لحِكَمٍ عظيمة؛ منها: إقامةُ الحجَّة على مَنْ عاند، وقد أشار صاحب «الجوهرة» لهذا بقوله[1]: [الرجز]

والعَرْشُ والكُرْسيُّ ثُمَّ القَلَمُ	والكاتبونَ اللوحُ كُلٌّ حِكَمُ
لا لاحْتِيَاجٍ وبِهَا الإيمانُ	يَجِبْ عَلَيْكَ أيُّهَا الإنْسَانُ

قوله: (﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... إلخ) هذه الآية وما بعدها تفصيلٌ لما أُجْمِلَ في قوله: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾.

قوله: (بعنف) أي: شدَّةٍ؛ لأنهم يُضربون من خلف بالمقامع، ويُسحبون من أمام بالسلاسل والأغلال.

قوله: (﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾) المرادُ: دارُ العذاب بجميع طباقها.

قوله: (﴿زُمَرًا﴾) جمع زُمْرَةٍ؛ من: الزَّمْرِ، وهو الصوت؛ سمُّوا بذلك؛ لأنَّ الجماعة لا تخلو غالباً عنه.

قوله: (جماعات مُتفرقة) أي: فوجاً فوجاً؛ كما في آية: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ [الملك: ٨]، والمعنى: كلُّ أمَّةٍ على حِدَةٍ.

(١) انظر شرح المصنف على «الجوهرة» (ص٣٩٠).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ......﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ - جواب ﴿إِذَا﴾ - ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾: القُرآنَ وغيرَه، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ الآيةَ [الأعراف: ١٨] ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: مُقَدَّرِين الخُلُودَ، ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مَأْوَى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جَهَنَّمُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾) حتى: ابتدائية، تُبْتَدأ بعدها الجمل.

قوله: (﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾) أي: ليتلقَّوْا حرارتها بأنفسهم.

قوله: (جواب ﴿إِذَا﴾) أي: باتفاق.

قوله: (﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾) أي: من جِنسكم.

قوله: (القرآنَ) أي: بالنسبة لأمة محمد ﷺ، وقوله: (وغيرَهُ) أي: بالنسبة لبقيَّة الأمم.

قوله: (﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾) أضاف اليوم لهم؛ باعتبار انحِصار شدَّته فيهم، وليس المراد به يومَ القيامة جميعَهُ؛ فإنه مختلفٌ باعتبار الأشخاص، فيكون نعيماً وسروراً للمؤمنين، وشدة وعذاباً للكافرين.

قوله: (﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾) إقرارٌ بما وقع منهم، وإنما أنكروا حين سألهم الله تعالى؛ طمعاً في النجاة، فلمَّا قامت الحُجَج عليهم وتحتَّم الأمرُ بعذابهم.. رأوا أنَّ الإنكار لا فائدة فيه، فأقرُّوا، وبالجملة: فالقيامةُ مواطنُ، تارةً يُنكرون، وتارةً تقرُّ أعضاؤهم، وتارةً يقرُّون بألسِنَتهم.

قوله: (﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) أظهر في محل الإضمار؛ إشارةً لسبب استحقاقهم العذابَ، وهو الكفرُ.

قوله: (مقدَّرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حالٌ مقدَّرة؛ وذلك لأنَّهم عند الدخول ليسوا خالدين، وإنما هم مُنتظرون ومقدِّرون الخلودَ.

قوله: (﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾) أظهر في محل الإضمار؛ إشارةً إلى بيان سببِ كفرهم الذين استحقُّوا به العذابَ، وقوله: (جهنَّمُ) هو المخصوص بالذم.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝٧٣﴾ ....

۝٧٣ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بِلُطْفٍ ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ - الواوُ فِيهِ لِلحالِ بِتَقدِيرِ (قَد) - ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ - حال - ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾: مُقدِّرِينَ الخُلُودَ فِيها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾) أخَّر وعد المؤمنين؛ ليَحسن اختتامُ السورة به؛ ليكونَ آخر الكلام بشرى المؤمنين.

قوله: (بلطف) أشار بذلك إلى أن السَّوْقَ في الموضعَين مختلفٌ؛ فسَوْقُ الكفَّار سَوْقُ إهانةٍ وانتقامٍ، وسَوْقُ المؤمنين سَوْقُ تشريفٍ وإكرامٍ، وفي المعنى: سَوق المؤمنين سوق مراكبهم؛ لأنهم يذهبون راكبين، فيُسْرَعُ بهم إلى دار الكرامة والرضوان، فشتَّان بين السَّوْقين، وهذا من بَديع الكلام، وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدلُّ على الهوان في حقِّ جماعةٍ، وعلى العزِّ والرضوان في حقِّ آخرين.

قوله: (﴿زُمَرًا﴾) أي: جماعاتٍ على حسَب قربهم ومراتبهم.

قوله: (﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾) ﴿حَتَّىٰ﴾: ابتدائية.

قوله: (الواو فيه للحال) والحكمةُ في زيادة الواو هنا دون التي قبلها: أنَّ أبواب السجن مُغلقة إلى أن يجيئها صاحبُ الجريمة، فتفتح له ثم تُغلق عليه، فناسب ذلك عدم الواو فيها، بخلاف أبواب السرور والفرح فإنها تُفْتَحُ انتظاراً لمن يدخلها.

قوله: (﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾) عطف على قوله: ﴿جَاءُوهَا﴾.

قوله: (﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾) أي: سَلمتم من كلِّ مكروه، وقوله: (﴿طِبْتُمْ﴾) أي: طهِّرتم من دنس المعاصي؛ لما ورد: أنه على باب الجنة شجرةٌ ينبع من ساقها عينان، يشرب المؤمنون من إحداهما، فتطهر أجوافهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، ثم يغتسلون من الأخرى، فتطيب أجسادهم، فعندها يقول لهم خزنتُها: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[1].

---

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٢٤٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٨٠) عن سيدنا علي ﷺ.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ....

وجَواب ﴿إِذَا﴾ مُقدَّر، أي: دَخَلُوها، وسَوقُهم وفتح الأبواب قبلَ مَجِيئِهِم تكرِمة لَهُم، وسَوقُ الكُفَّار وفَتحُ أبواب جَهَنَّم عِندَ مَجيئهم لِيبقَى حَرُّها إلَيهِم إهانةٌ لَهُم.

﴿٧٤﴾ ﴿وَقَالُوا۟﴾ ـ عطفٌ على (دَخَلُوها) المُقَدَّر ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بِالجنَّةِ، ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أرضَ الجنَّة، ﴿نَتَبَوَّأُ﴾: نَنزِلُ ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ لِأَنَّها كُلَّها لا يُختارُ فِيها مَكانٌ على مَكان، ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ الجَنَّة.

حاشية الصاوي

قوله: (وجواب ﴿إِذَا﴾ مقدَّرٌ) هذا أحد أقوال ثلاثة[1]، وقيل: إنَّ جوابها قوله: ﴿وَفُتِحَتْ﴾ والواو زائدة، وقيل: هو قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ والواو زائدة.

قوله: (وسوقُهُمْ) مبتدأ، و(تكرمةٌ): خبره، وكذا ما بعده.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟﴾) أي: بعد استقرارهم في الجنة.

قوله: (﴿ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾) أي: حقَّقه لنا في قوله: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

قوله: (﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾) أي: ملَّكها لنا نتصرَّف فيها تصرُّفَ الوارث فيما يَرثه، وقد كانت لآدم وحده، فأخذها أولاده إرثاً منه وقيل: المراد: أورثنا أرض الجنة التي كانت للكفار لو آمنوا، والأقرب: أنَّ المراد: ملَّكنا إياها كالميراث؛ فإنه ملكٌ بلا ثمنٍ، ولا شُبهة لأحد فيه، فكذلك منازل الجنة.

قوله: (لا يُخْتارُ فيها مكان على مكان) أي: بل يرضى كلُّ إنسان بمكانه الذي أُعِدَّ له؛ بحيث لو أُطلِقَ له الاختيارُ لا يختار غيره؛ لزوال الحِقد والحسد من القلوب، وهذا جوابٌ عمَّا قيل: كيف ذلك مع أنَّ كلَّ إنسان له محلٌّ مُعَدٌّ لا سبيل له إلى غيره؟

وأجيبَ أيضاً: بأنَّ المعنى: يختار في مَنازله ما يشاء؛ لما ورد: إن كلَّ واحد له جنةٌ لا توصف سعةً ولا حسناً، فيتبوأ من جنَّته حيث يشاء، ولا يَخطر بباله غيرها.

قوله: (﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾) هذا من كلام الله تعالى؛ زيادةً في سُرور أهل الجنة، وقوله: (الجنة) هو المخصوص بالمدح.

---

(١) قدَّره الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٦٤): حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنَتها: سلام عليكم طِبتم فادخلوها خالدين.. دخلوها، فحذف (دخلوها)؛ لأن في الكلام دليلاً عليه، وقدَّره الزمخشري: اطمَأنُوا، وقدَّره المبرد: سعدُوا.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿٧٥﴾ ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ - حال - ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ مِن كُلِّ جانِبٍ مِنهُ، ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ - حال مِن ضَمير ﴿حَآفِّينَ﴾ - ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ مُلابِسين لِلحَمدِ، أي: يَقُولُونَ: سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِه، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بَين جَميعِ الخَلائِق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: العَدلِ، فيَدخُل المُؤمِنُون الجَنَّة والكافِرُونَ النَّار، ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خُتِمَ استِقرارُ الفَريقَينِ بِالحَمدِ مِن المَلائِكة.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾) الخطاب للنبي ﷺ، بل ولكلِّ مؤمنٍ؛ زيادةً في السرور؛ لأنَّ رؤية الملائكة في الآخرة من النعيم؛ لاتحاد روحانيَّتهم مع الإنس، وأما في الدنيا فمفزعٌ؛ لأنَّ النوع الإنسانيَّ ضعيفٌ، مكبَّلٌ بأنواع الشهوات والحجب؛ فلا يستطيع رؤية المقرَّبين.

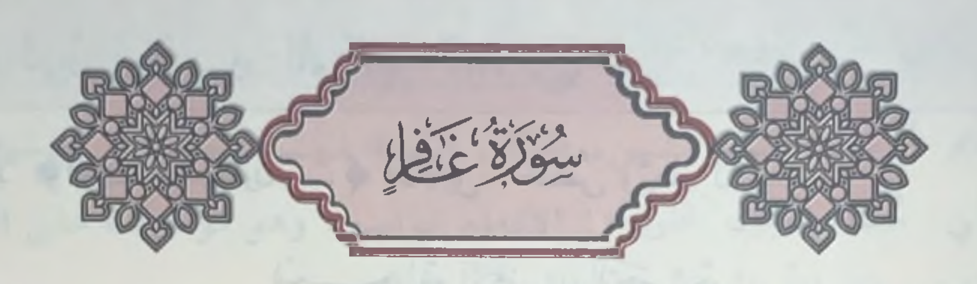
قوله: (﴿حَآفِّينَ﴾) أي: محيطين مصطفِّين بحافَته وجوانبه.

قوله: (أي: يقولون: سبحان الله وبحمده) أي: تلذذاً؛ لأنَّ منتهى درجاتهم الاستغراقُ في تَسبيحه تعالى وتَقديسه.

قوله: (ختمَ استقرار الفريقين... إلخ) أي: كما ابتدأ ذكر الخلق بالحمد في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ ففيه تنبيهٌ على أنه تعالى ينبغي حمدُهُ في مبدأ كلِّ أمر ونهايته.

قوله: (من الملائكة) أي: أو من جميع الخلق؛ فإنَّ جميع أهل الجنة يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النِّعم العظيمة، ويَجدون لذلك الحمدِ لذَّةً عظيمةً؛ لزوال الحجاب عنهُم، والله سبحانه وتعالى أعلَم.





حاشية الصاوي

سورة غافر

وتُسمَّى سورة المؤمن؛ لقوله في أثنائها: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾، وسورة الطَّوْلِ؛ لافتتاحها به في أوصاف الباري تَعالى.

واعلَم: أنَّه ورد في فضل الحواميم أحاديثُ كثيرةٌ؛ منها: قوله ﷺ: «**الحواميمُ دِيباج القرآن**»[1].

ومنها: «لكلِّ شيء ثمرةٌ، وإنَّ ثمرة القرآن ذوات ﴿حمٓ﴾، هنَّ روضاتٌ حِسَانٌ مُخْصَبَاتٌ مُتجاورات، من أحبَّ أن يَرتع في رياض الجنة.. فليَقرأ الحواميم»[2].

ومنها: «مَثل الحواميم في القرآن كمثل الحِبَرَات في الثياب»[3]، ومنها: «لكلِّ شيءٍ لبابٌ، ولبابُ القرآن الحواميم»[4].

ومنها: «الحواميم سبع، وأبواب النار سبع: جَهنم، والحميمة، ولظى، والسعير، وسقر، والهاوية، والجحيم؛ فكل ﴿حمٓ﴾ تقف يوم القيامة على باب من هذه الأبواب، فتقول: لا يَدخل النار مَنْ كان يؤمن بي ويَقرؤني»[5]، فتحصَّل أنه يقال: حَواميم، وآل حم، وذوات حم، خلافاً لِمن أنكر الأول[6].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٣٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

(٢) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٢٣).

(٣) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٨/ ٢٦٢)، والحبرات: أثوابٌ يَمانية من قطن أو كتَّان مخططة، قال الأزهري: ليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً، إنما هو وَشْيٌ معلوم.

(٤) رواه أبو عُبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص٢٥٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً، واللباب: الخالص.

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٥٠) عن الخليل بن مرة مرسلاً.

(٦) وهو الجواليقي؛ كما نقَله عنه تلميذه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٩) قال: (وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: مِن الخطأ أن تقول: قرأت الحواميم، وليس من كلام العرب).

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ ....

مكيَّة إلَّا ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ...﴾ الآيتين، خمسٌ وثمانونَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حمٓ﴾ الله أعلَم بمُرادِهِ بِه. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ - مُبتَدأ - ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ - خبرُه - ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلكِه، ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بِخَلقِه.

حاشية الصاوي

قوله: (مكية) أي: وكذا بَقية الحواميم.

قوله: (إلا ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾... إلخ) الصواب أن يقال: (إلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ...﴾ الآيتين)، وأوَّل الآية الثانية: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ الآية؛ لأنَّ هاتين الآيتين هما المدنيَّتان، خلافاً لما يُوهمه المفسِّر.

قوله: (خمس وثمانون) وقيل: ثنتان وثمانون.

قوله: (﴿حمٓ﴾) بسكون الميم في قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بضمِّ الميم وفتحها وكسرها؛ فالأوَّل على أنه خبرٌ لمحذوف، والثاني على أنه مفعولٌ لمحذوف ومُنِعَ من الصرف لِلعَلمية والتأنيث، أو شبهِ العجمة، والثالث على أنه مبنيٌّ على الكسر، مبتدأٌ خبرُهُ محذوف؛ أي: هذا مَحله مثلاً[1].

قوله: (الله أعلم بمراده) تقدَّم أنَّ هذا القول في مثل هذا الموضع أسلَمُ، وقيل: اسمٌ من أسماء الله تعالى، وقيل: مفاتيح خزائنه، وقيل: اسم الله الأعظم، وقيل: مفاتح السور، وقيل: كلُّ حرف منه يُشير إلى كلِّ اسمٍ من أسمائه تعالى مبدوءٍ بذلك الحرف؛ فالحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحكيم وهكذا، والميمُ افتتاح اسمه مالك ومجيد ومنَّان وهكذا؛ لما روي: أنَّ أعرابيًّا سأل النبي ﷺ: ما (حم) فإنا لا نَعرفها في لساننا؟ فقال النبي ﷺ: «بدءُ أسماء وفواتحُ سُوَر»[2].

قوله: (العزيز في ملكه[3]) أشار بذلك إلى أنه مِن: عزَّ بمعنى: قهر وغلب.

---

(١) قرأ الزهري برفع الميم، وابن أبي إسحاق وعيسى بفتحها، بالمنع من الصرف؛ لأنه ليس في الأوزان العربية وزن (فاعيل) بخلاف الأعجميَّة، نحو: قابيل وهابيل، وقرأ أبو السمال بكسرها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٥٢).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٢٤) عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ.

(٣) في (أ): (العزيز في ملكه)، والمثبَت من «الفتوحات».

غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ ....

(٣) ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ لِلمُؤمِنِين، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ لَهُم، - مَصدَر - ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ لِلكافِرِين، أي: مُشَدِّدِه ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾: الإنعامِ الواسِع، وهو مَوصُوف على الدَّوام بِكُلٍّ مِن هَذِه الصِّفات، فإضافةُ المُشتَقِّ مِنها لِلتَّعرِيف كالأخِيرة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾) أي: ماحِيهِ من الصُّحف.

واعلم أنَّ (غافر) و(غفَّار) و(غفور) صيغُ نسبةٍ على الصحيح؛ لأنَّ أوصافه تعالى لا تفاوُتَ فيها، بخلاف أوصاف الحوادث[١].

قوله: (﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾) أتى بالواو؛ إشارةً إلى أنه تعالى يجمع للمؤمنين بين محوِ الذنوب وقَبول التوبة، فلا تلازم بين الوصفين، بل بينهما تغايرٌ؛ إذ يمكن مَحو الذنوب من غير توبة، ويمكن قبول التوبة في بعض الذنوب دون بعضٍ.

قوله: (مصدر) وقيل: جمع (توبة)؛ كـ: دَوْم ودَوْمَة[٢].

قوله: (للكافرين) أي: وأمَّا العصاةُ وإن عُوقبُوا فلا يعاملهم الله بالشدَّة.

قوله: (أي: الإنعام الواسع) وقيل: الطَّول بالفتح: المنُّ، وقيل: هو الغنى والسَّعة، وكلُّها ترجع لما قال المفسِّر.

قوله: (وهو موصوف على الدوام... إلخ) هذه العبارة جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الصفات الثلاثة التي هي (غافر) و(قابِل) و(شديد) مُشتقاتٌ، وإضافةُ المشتق لا تُفيده تعريفاً؛ فكيف وقعت صفاتٍ للمعرفة التي هو لفظ الجلالة؟

فأجاب المفسِّر: بأنَّ محلَّ ذلك: ما لم يُقصَدْ بالمشتق الدوام، وإلَّا.. تعرَّف بالإضافة، ونظيره ما قيل في: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، وأجيب: أيضاً: بأنَّ الكلَّ أبدالٌ، وهو لا يُشترط فيه التبعيَّة في التعريف.

---

(١) فصفاتهم تَقبل الزيادة والنقصان، وصفاتُ الله تعالى منزَّهة عن ذلك، فالمبالغة فيها مجاز. انظر «حاشية الصبان على شرح الأشموني» (٢/ ٤٥٠).

(٢) وهو شجر المُقْل.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ....

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجعُ.

﴿٤﴾ ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِن أهلِ مكَّةَ، ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ لِلمَعاشِ سالِمِين؛ فإنَّ عاقِبَتَهم النارُ.

﴿٥﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾ كعادٍ وثَمُودَ وغَيرِهما ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: يَقتُلُوه، ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟﴾: يُزِيلُوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بِالعِقاب، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ لَهُم؟ أي: هو واقِعٌ مَوقِعَه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) يصح أن يكون حالاً؛ لأنَّ الجُمَل بعد المعارف أحوال، ويصح أن يكون مستأنفاً.

قوله: (﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾) أي: فيجازي كلَّ أحدٍ بعمله.

قوله: (﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾) أي: في إبطالها والطعن فيها، وهذا هو الجدال المذموم، وأمَّا الجدال في نَصر آيات الله بالحجج القاطعة الذي هو وظيفة الأنبياء ومَنْ على قدمهم.. فهو ممدوحٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

قوله: (﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ﴾... إلخ) الفاء واقعة في جواب شرط مقدَّر، تقديره: إذا علمتَ أنهم كفارٌ.. فلا تحزن ولا يَغررك إمهالهم؛ فإنهم مأخوذون عن قريب، وهذا تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾) أي: قبل أهل مكة، وهو تسليةٌ له ﷺ أيضاً.

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾) أي: مِن بعد قوم نوح.

قوله: (﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾) أي: يتمكنُوا من إصابته بما أرادوه به.

قوله: (أي: هو واقعٌ موقعه) أي: فهو عدلٌ منه سبحانه وتعالى.

وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ

﴿٦﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ [هود: ١١٩] الآية ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ - بدل من ﴿كَلِمَتُ﴾ -.

﴿٧﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ - مُبتدأ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) أي: كما وقع للأمم السابقة.

قوله: (﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾) أي: وجبت وثبتت، والمعنى: مثل ما وقع وحصل لِلمكذِّبين قبل هؤلاء يحصلُ لهؤلاء في الآخرة، وإكرامُهُمْ في الدنيا بالنِّعم إنما هو ببَركتك يا محمَّد.

قوله: (بدل من ﴿كَلِمَتُ﴾) أي: بدل كلٍّ من كلٍّ إن أريد بلفظ الكلمة خصوصُ قوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾، أو بدل اشتمال إن فسِّرت الكلمةُ بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ... إلخ﴾، ولا شكَّ أن الكلمة بهذا المعنى مشتملةٌ على قوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ مبتدأٌ) أي: اسم الموصول مبتدأ، و﴿يَحْمِلُونَ﴾: صلته، وقوله: (﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾): اسم الموصول معطوف على الموصول قبله، و﴿حَوْلَهُۥ﴾: صلته، والتقدير: والذين حولَه، وليس معطوفاً على الضمير في ﴿يَحْمِلُونَ﴾؛ لإيهامه أنَّ مَن حولَه حاملٌ أيضاً.

واعلَم: أنَّ حملة العرش أعلى طبقات الملائكة وأوَّلُهُم وجوداً، وهم في الدنيا أربعة، وفي يوم القيامة ثمانية، ورَد: أنَّ لكلِّ ملك منهم وجهُ رجل، ووجهُ أسد، ووجه ثور، ووجه نسرٍ، وكلُّ وجهٍ من الأربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس، ولكلِّ واحد منهم أربعة أجنِحة: جناحان على وجهه؛ مخافة أن ينظر إلى العرش فينصدع، وجناحان يصفق بهما بالهواء[1].

يروى: أنَّ أقدامهم في تُخوم الأرض السفلى، والأرضون والسموات إلى حُجَزِهِمْ[2]، ورؤوسهم خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون أطرافهم، وهم أشدُّ خوفاً من أهل السابعة، وأهلها أشدُّ خوفاً من أهل السادِسة وهكذا.

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٠٠)، ورجاله ثقات إلَّا أنه من الإسرائيليات؛ إذ رَواه وهب من قوله، وهو مشهور بِرواية الأخبار الإسرائيلية. انظر «المطالب العالية» (١١/ ٥١٨).

(٢) أي: محلِّ عقد الإزار، والحديث رواه ابن راهويه في «مسنده» (١٠) من حديث الصور المعروف عند المحدِّثين، وهو حديث طويل جدًّا.

وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ....

﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ ـ عَطفٌ علَيه ـ ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ ـ خَبرُه ـ ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: مُلابِسِينَ لِلحَمد، أي: يَقُولُون: سُبحانَ الله وبِحَمدِه، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ تَعالى بِبَصائِرِهم، أي: يُصَدِّقُون

حاشية الصاوي

والعرش: جوهرةٌ خضراءُ، وهو من أعظم المخلوقات خلقاً، ويكسى كلَّ يومٍ من ألف لون من النور.

قوله: (﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾) أي: وهم الكَرُوبِيُّونَ[1] ساداتُ الملائكة.

قال وهب: إنَّ حول العرش سبعين ألف صفٍّ من الملائكة، صَفٌّ خَلْفَ صَفٍّ، يطوفون بالعرش، يقبل هؤلاء ويُدبِر هؤلاء، يكبِّر فريق ويُهلِّل فريق، ومن وراء هؤلاء سبعون ألفَ صفٍّ قيامٌ، أيدِيهم إلى أعناقهم واضعين لها على عواتقهم، فإذا سمعُوا تكبيرَ أولئك وتهليلَهم.. رفعُوا أصواتهم فقالوا: سبحانك اللهم وبحمدك، ما أعظمَك وأجلَّك! أنت الله لا إله غيرك، والخلق كلُّها إليك راجعون، ومِن وراء هؤلاء مئةُ صفٍّ من الملائكة قد وضعُوا اليمنى على اليسرى، ليس منهم أحدٌ إلا يسبِّح بتسبيحٍ لا يُسبِّحه الآخرُ، ما بين جناحي أحدهم ثلاث مئة عام، وما بين شَحمة أذن أحدهم إلى عاتقه أربع مئة[2].

قوله: (أي: يقولون: سبحان الله وبحمده) أي: لما ورد: «أنَّ حملة العرش يكونون يوم القيامة ثمانيةً، أربعة منهم يقولون: سُبحانك اللهم وبِحمدك، لك الحمد على علمك وحِلمك، وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عَفوك بعد قدرتك»[3].

قوله: (ببصائرهم) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ وصفهم بالتسبيح يغني عن وصفهم بالإيمان، فما فائدة ذكره عَقبه؟ فأجابَ: بأنَّ التسبيح من وظائف اللسان، والإيمان من وظائف القلب، فأفاد فائدةً لم تكن في الأول، فذكره للاعتناء بشأنه.

---

(١) مأخوذ من: كَرَبَ: بمعنى: دَنَا وقَرُب، فهو كَارِبٌ، وهم المُقَرَّبون، ويقال لِكل حيوان وثيق المفاصل: إنه لَمكرب الخلق، إذا كان شديدَ القوى، والأول أشبَه. انظر «النهاية» لابن الأثير (٤/ ١٦١).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ١٤٠).

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤٨١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٥٥) من حديث هارون بن رئاب الأسدي.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ ....﴾

بوحدانيَّتِه، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وَسِعَ رَحمَتُك كُلَّ شيء وعِلمُك كُلَّ شيءٍ، ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ مِن الشِّركِ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾: دِينَ الإسلامِ، ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: النارِ.

(٨ - ٩) ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: إقـــامـــةٍ ﴿ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ﴾ ـ عَطفٌ على (هُم) في ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾ أو في ﴿وَعَدتَّهُمْ﴾ ـ ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) أي: يطلبون المغفرة لهم، وحكمةُ طلبِهم المغفرةَ لهم: أنَّهم تكلمُوا في بني آدم حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فلمَّا وقع منهم ذلك.. أمرهم الله بالاستغفار لهم؛ جبراً لما وقع منهم، ففيه تنبيهٌ على أنَّ مَنْ تكلَّم في غيره يَنبغي له أن يستغفر له.

قوله: (يقولون) أي: في كيفيَّة الاستغفار لهم، وهذه الجملة المقدَّرة حالٌ من ضمير (يستغفرون).

قوله: (﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ﴾... إلخ) قدَّم هذا بين يدَي الدعاء توطئة له؛ للإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يدعوَ الله تعالى وهو موقنٌ بالإجابة، ولا يتردَّد في الدعاء؛ فإنه مانعٌ من الإجابة.

قوله: (﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾) قدَّم الرحمة على العلم؛ لأنَّ المقام للدعاء، والرحمةُ مقصودةٌ فيه بالذات، وإلا.. فالعلمُ سابقٌ عليها.

قوله: (من الشرك) أي: وإن كان عليهم ذنوبٌ.

قوله: (﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾) أي: بأن آمنوا.

قوله: (﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾) أي: اجعل بينهم وبينه وقايةً تمنعهم منه؛ بأن توفِّقهم لصالح الأعمال.

قوله: (﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾... إلخ) أي: بأن مات على غير الكفر، فيدخلُ فيه أهلُ الفترة والمجانين.

وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ ....

وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه، ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي: عذابَها، ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ القِيامةِ ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ مِن قِبَلِ المَلائكةِ وهُم يَمقُتُون أنفُسَهم عِند دُخُولِهم النَّار، ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ إيَّاكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ﴾) أي: زوجاتهم؛ لما وردَ: «إذا دخل المؤمن الجنة.. قال: أين أبي؟ أين أُمي؟ أين ولدي؟ أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملُوا عملَك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم، فإذا اجتمع بأهله في الجنة.. كان أكملَ لِسُروره ولذَّتِه»[1].

قوله: (في ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾) أي: وهو أولى؛ لأنه يُصَيِّرُ الدعاء لهم بالدخول صريحاً، بخلافه على ﴿وَعَدتَّهُمْ﴾ فإنه ضمنيٌّ.

قوله: (﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾) الضمير راجع للآباء والأزواج والذريَّة.

قوله: (﴿يَوْمَئِذٍ﴾) التنوين عوضٌ عن جملةٍ مأخوذةٍ من السياق، والتقدير: يوم إذ تُدْخِلُ مَنْ تشاء الجنةَ، ومَنْ تشاء النارَ، وهو يوم القيامة.

قوله: (﴿وَذَٰلِكَ﴾) أي: ما ذكر من الرحمة ووقاية السيئات.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) شروعٌ في ذكر أحوال الكفار بعد دخولهم النارَ إثرَ بيانِ أنهم من أصحاب النار.

قوله: (وهم يمقتون أنفسهم) أي: يُبغضونها، ويظهرون ذلك على رؤوس الأشهاد، فيقول الواحد منهم لنفسه: مقتك الله يا نفسي، فتقول الملائكة لهم وهم في النار: لمقتُ الله إيَّاكم إذ أنتم في الدنيا وقد بَعَثَ إليكم الرسلَ فلم تؤمنوا.. أشدُّ من مَقتكم أنفسَكُم اليومَ.

قوله: (﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾) أي: بُغْضُهُ، والمرادُ: لازمُهُ وهو الانتقام والتعذيب؛ لأنَّ حقيقته محالةٌ في حقِّ الله تعالى.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٤/ ٦٩).

أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ....

﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

﴿١١﴾ ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: إماتَتَينِ ﴿وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: إحياءَتَينِ؛ لِأنَّهُم نُطَفاً أمواتٌ، فأُحيُوا ثُمَّ أُمِيتُوا ثُمَّ أُحيُوا لِلبَعثِ، ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾: بِكُفرِنا بِالبَعثِ، ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ مِن النَّارِ والرُّجُوعِ إلى الدُّنيا لِنُطيعَ رَبَّنا ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾: طَرِيقٍ؟ وجَوابُهم: لا.

﴿١٢﴾ ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي: العَذابُ الذِي أنتُم فِيه ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾ أي: بِسَبَبِ أنَّهُ في الدُّنيا ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ بتَوحِيدِه، ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾: يُجعَلْ له شَرِيك ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾: تُصَدِّقُوا بالإشراكِ، ﴿فَٱلْحُكْمُ﴾ في تَعذِيبِكُم ﴿لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ﴾ على خَلقِه، ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾: العَظيم.

﴿١٣﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: دَلائِلَ تَوحِيدِه ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ بِالمَطَرِ، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يَتَّعِظ ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: يَرجِعُ عن الشِّرك.

حاشية الصاوي

قوله: (**لأنهم نطفاً أمواتٌ**) كذا في بعض النسخ بنصب (نطفاً) على الحال، والمناسب أن يقول: (لأنهم كانُوا أو خُلِقُوا نطفاً)؛ فإنَّ الإماتة إعدامُ الحياة ابتداءً، أو بعد سَبق الحياة.

قوله: (﴿ذَٰلِكُم﴾) مبتدأ، و﴿بِأَنَّهُۥ﴾: خبره، والضمير للشأن.

قوله: (﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾) هذا من جملة ما يُقالُ لهم في الآخرة؛ بدليل قوله: (في تعذيبكم)، وأمَّا قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ فكلامٌ مستأنفٌ منقطعٌ عمَّا قبله، ويصحُّ أن يكون الكلام تمَّ بقَوله: ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾، وقوله: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ تفريعٌ على ما تقدَّم، كأنه قال: إذا علمتم أن الخلق فريقان: مؤمنون، وكفار.. فلا تعترضوا؛ فإنَّ الحكم لله؛ أي: القضاء بأنَّ هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار.. لله وَحده الموصوفِ بكونه يُرينا آياته، فيعتبر بها مَنْ يشاء فيهتدي، ويكذِّب بها مَنْ يشاء فيَضِلُّ.

قوله: (﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم﴾) أي: من أجلِكم.

قوله: (**بالمطر**) أي: بسببه؛ فإنَّ الماء سببٌ في جميع الأرزاق؛ كما هو مُشاهَدٌ.

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ ....

(﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾) ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾: اعبُدُوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مِن الشِّركِ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إخلاصَكُم مِنهُ. ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: اللهُ عَظِيم الصِّفاتِ أو رافِعُ دَرَجات المُؤمِنِين في الجَنَّة، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: خالِقُه، ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾: الوَحيَ ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: قَولِه ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ﴾: يُخَوِّفَ المُلقى علَيهِ النَّاسَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾) يُطلق الدعاء على الطلب حقيقةً، وليس مراداً هنا بإجماعٍ؛ بقرينة ما قبله وما بعده، وعلى العبادةِ مجازاً كما هنا، من باب: تسمية الكلِّ باسم جزئه؛ لأنَّ الدعاء من جزء العبادة، وسمِّيت العبادةُ دعاءً؛ لأنه أعظمُ أجزائها؛ لما في الحديث: «الدعاء مخُّ العبادة»[1].

قوله: (﴿مُخْلِصِينَ﴾) حالٌ من فاعل (ادعوا)، وأشار بذلك إلى أنَّ الإنسان مأمورٌ بالعبادة ظاهراً، وبإخلاصِ قلبه من أنواع الشَّك والشرك الأكبر والأصغر؛ فقوله: (من الشرك) عامٌّ في الشركِ الأكبرِ وهو الكفر، والأصغرِ وهو الرياءُ.

قوله: (﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾) مُبالغة فيما قبله؛ أي: اعبدوه وأخلصُوا له قلوبكم، هذا إذا رضي الكافرون بذلك، بل ولو كرهُوا وقاتلوكم ومانَعوكم من عبادته.

قوله: (أي: اللهُ عظيمُ الصفات) أشار بذلك إلى أن (رفيع) صفةٌ مشبهة، خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو منزَّهٌ في صفاته عن كلِّ نقصٍ، وقوله: (أو رافع) أشار به إلى أنَّ (فعيل) صيغة مبالغة مُحوَّلة عن اسم الفاعل.

قوله: (﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الوحي) سمِّي بذلك؛ لأنه يَسري في القلوب كسريان الروح في الجسد؛ ولذا كان لا يطرأُ على النَّبي النسيانُ.

قوله: (﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾) بيانٌ لـ﴿الرُّوحَ﴾، أو حالٌ منه.

قوله: (أي: قوله) وقيل: المرادُ بالأمرِ: القضاءُ.

قوله: (الملْقَى عليه) هو فاعل الإنذار، وهو كنايةٌ عن الموصول في قوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، والمفعول الأول محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (الناس)، والمفعول الثاني هو قوله: ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ ....

﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ ـ بِحَذفِ الياء وإثباتِها ـ: يَوم القِيامةِ لِتَلاقِي أهل السَّماء والأرضِ والعابِدِ والمَعبُود والظَّالِم والمَظلُوم فِيه.

(١٦ - ١٧) ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾: خارِجُون مِن قُبُورِهم، ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ يَقُولُه تَعالى ويُجِيبُ نَفسَه؟ ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ أي: لِخَلقِه. ....

حاشية الصاوي

قوله: (بحذف الياء) أي: وصلاً ووقفاً، وقوله: (وإثباتها) أي: وصلاً ووقفاً، أو وصلاً فقط، فالقراءات ثلاثٌ سبعيَّاتٌ[١].

قوله:(لتلاقي أهل السماء) علةٌ لتسميته يومَ التَّلاق.

قوله: (﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾) بدلٌ من ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ بدل كلٍّ من كل، ويكتب (يوم) هنا وفي (الذاريات) في قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ منفصلاً؛ لأنَّ ﴿هُم﴾ مرفوعٌ بالابتداء فيهما، فالمناسبُ القطعُ، وأمَّا في غير هذين المحلَّين نحو: ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣]، ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥].. فيكتب موصولاً؛ لأن (هم) مجرورٌ، فالمناسبُ وصلُهُ.

قوله: (خارجون من قبورهم) أي: ظاهِرون لا يستترون بشيء؛ لكون الأرض إذ ذاك قاعاً صَفصفاً؛ لما في الحديث: «يحشرون حفاةً عراةً غُرْلاً»[٢].

قوله: (﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ﴾) الحكمةُ في تخصيص ذلك اليوم مع أنَّ الله لا يخفى عليه شيءٌ في سائر الأيام: أنهم كانُوا يتوهَّمون في الدنيا أنهم إذا استَتَرُوا بالحيطان مثلاً لا يراهم الله، وفي هذا اليوم لا يتوهَّمون هذا التَّوهُّمَ.

قوله: (﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾) هذا حكايةٌ لما يقع من السؤال والجواب حينئذٍ، وهو كلامٌ مستأنفٌ واقعٌ في جواب سؤال مُقدَّر، كأنه قيل: ماذا يكون حينئذ؟ فقيل: يقال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ...إلخ﴾.

قوله: (يقوله تعالى) قيل: في يوم القيامة؛ كما وَرد: «يُحشر الناس على أرض بيضاء مثل

(١) أثبت ياء (التلاقي) وصلاً ووقفاً ابن كثير، وأثبتها في الوقف دون الوصل من غير خلاف ورشٌ، وحذفها الباقون وصلاً ووقفاً، إلا قالُون فإنه روي عنه وجهان: وجه كورش، ووجه كالباقين. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٦٤).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٧)، ومسلم (٢٨٦٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ ....﴾

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يُحاسِبُ جَميعَ الخَلق في قَدرِ نِصف نَهار مِن أيَّام الدُّنيا لِحَديثٍ بِذلك.

﴿١٨﴾ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾: يَومَ القِيامة، ـ مِن (أزِفَ الرَّحِيل): قَرُبَ ـ ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ﴾ تَرتَفِع خَوفاً ﴿لَدَى﴾: عِندَ ﴿ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ﴾: مُمتَلِئِين غمًّا، ـ حال مِن ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾

حاشية الصاوي

الفضة، لم يُعْصَ الله عليها، فيؤمَرُ منادٍ ينادي: لمن الملك اليوم؟» فيقول العبادُ مؤمنُهم وكافرُهم: لله الواحد القهار، فيقول المؤمنون هذا الجواب سُروراً وتلذذاً، ويقوله الكافرون غمًّا وانقياداً وخضوعاً[١].

وقيل: بين النفختين حين تَفنى جميع الخلائق ويبقى الله وحده؛ فلا يرى غير نفسه، فيقول: لِمَن الملك اليوم؟ فيجيب نفسه بعد أربعين سنة: لله الواحد القهَّار؛ لأنه بقي وحده، وقهَر خلقَه[٢].

قوله: (﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ﴾... **إلخ**) مِن تتمة الجواب، أو لحكاية ما يقوله الله تعالى عَقِب جواب الخلق.

قوله: (﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾) ﴿لَا﴾: نافية للجنس، ﴿ظُلْمَ﴾: اسمها، و﴿ٱلْيَوْمَ﴾: خبرها.

قوله: (**في قدر نصف نهار**) أي: لا يَشغله حسابُ أحدٍ عن أحد، بل كلُّ إنسان يرى أنه هو المحاسَب.

قوله: (**من: أزف الرحيل**) من: باب (تَعِب) أي: دنا وقَرُب.

قوله: (﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ﴾) بدل من ﴿ٱلْـَٔازِفَةِ﴾، و﴿ٱلْقُلُوبُ﴾: مبتدأٌ، خبره: ﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾، وهو متعلق بمحذوف، قدَّره بقوله: (ترتفع).

قوله: (﴿ٱلْحَنَاجِرِ﴾) جمع حُنْجُور كـ: حُلْقُوم وزناً ومعنًى، أو جمع حَنْجَرة.

---

(١) رَواه ابن النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٢)، وقال: إنه أصح ما قيل في الآية عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) وهذا القول ظاهر جدًّا؛ لأنَّ المقصودَ إظهارُ انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعاوى المدَّعين، وانتساب المنتسِبين؛ إذ قد ذهب كلُّ مَلِكٍ وملكه، ومتكبر وملكه، وانقَطعت نسبهم ودعاويهم، ودلَّ على هذا قولُهُ الحقُّ عند قبض الأرواح وطيِّ السماء: «أنا الملك، أين مُلوكُ الأرض؟». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٣٤٠).

مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ....

عُومِلَت بِالجَمعِ بِالياء والنُّون مُعامَلَةَ أصحابِها ـ ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: مُحِبٌّ ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ لا مَفهُوم لِلوَصفِ؛ إذ لا شَفِيعَ لَهم أصلاً ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠]، أو له مَفهُوم بِناءً على زَعمِهم أنَّ لَهُم شُفَعاءَ، أي: لَو شَفَعُوا فرضاً لَم يُقبَلُوا.

﴿١٩﴾ ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: اللهُ ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ بِمُسارَقَتِها النَّظَر إلى مُحَرَّم، ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾: القُلُوب.

﴿٢٠﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يَعبُدُون أي: كُفَّارُ مَكَّة ـ بِالياءِ والتَّاء ـ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهُم الأصنامُ ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ فكَيفَ يَكُونُون شُركاءَ لله؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾) ﴿مِنْ﴾: زائدةٌ في المبتدأ.

قوله: (﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾) أي: يُؤذَنُ له في الشفاعة فيُقبَل.

قوله: (إذ لا شفيع أصلاً) أي: لا مُطاع ولا غيره.

قوله: (أي: لو شفعوا... إلخ) تفسير للمفهوم على الوجه الثاني.

قوله: (﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾) خبرٌ رابعٌ عن المبتدأ الذي أخبر عنه بـ(رفيع) وما بعده، والإضافة على معنى (مِنْ) أي: الخائنة من الأعيُن.

قوله: (بمسارقتها النظر إلى محرَّم) ومن جملة ذلك: الرجلُ ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابه غضَّ بصره، فإذا رأى منهم غفلةً.. تجسَّس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غضَّ بصرَه.

قوله: (﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾) أي: عن العباد من خيرٍ وشرٍّ.

قوله: (أي: كفار مكة) تفسير للواو في ﴿يَدْعُونَ﴾.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾) من باب التهكم بهم؛ إذ الجماد لا يوصف بقضاءٍ ولا بغيره.

---

(١) قرأ نافع وهشام: (تدعون) بالخطاب للمشركين، والباقون بالغيبة إخباراً عنهم بذلك. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٦٨).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ ....

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأقوالِهِم، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بِأفعالِهِم.

﴿٢١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ - وفي قِراءة: ﴿مِنكُمْ﴾ - ﴿قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن مَصانِعَ وقُصُور، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أهلَكَهُم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ عذابَه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾) وعيدٌ لهم على أفعالهم وأقوالهم؛ أي: فيُجازيكم بها.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة.. أردفه بتخويفهم بأحوال الدنيا فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾... إلخ؛ لأنَّ العاقل مَنِ اعتبر بغيره، والهمزة داخلة على محذوف؛ أي: أضلُّوا ولم يسيروا؟ إلخ، وقوله: (﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ﴾)... إلخ ﴿كَيْفَ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ مقدَّم، و﴿عَـٰقِبَةُ﴾: اسمها، والجملة في محل نصب على المفعولية، وقوله: ﴿كَانُوا۟﴾... إلخ جواب ﴿كَيْفَ﴾، والواو: اسم (كان)، والضمير للفصل، و﴿أَشَدَّ﴾: خبرها.

قوله: (﴿فَيَنظُرُوا۟﴾) يجوز أن يكون منصوباً في جواب الاستفهام، وأن يكون مجزوماً نسقاً على ما قبله.

قوله: (﴿عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾) أي: حالُ مَنْ قبلهم مِنَ الأمم المكذِّبة لرسلهم كعادٍ وثمود وأضرابهم.

قوله: (وفي قراءة: «منكم») أي: بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهي سبعيَّة[1].

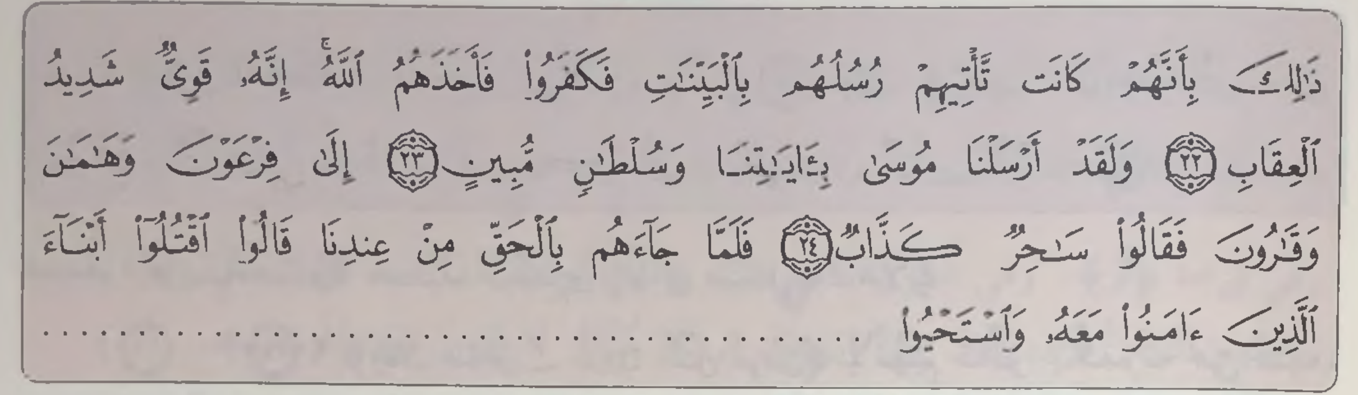
قوله: (﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) عطف على ﴿قُوَّةً﴾.

قوله: (من مصانع) أي: أماكن في الأرض تخزن فيها المياه كالصَّهاريج.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ لَهُم...﴾ إلخ) ﴿لَهُم﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ مقدَّم، و﴿وَاقٍ﴾: اسمها مؤخَّر على زيادة (مِن)، و﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿وَاقٍ﴾، و(مِن) فيه: ابتدائية، ومفعول ﴿وَاقٍ﴾ محذوف، قدَّره بقوله: (عذابه)، و(كان) لِلاستمرار؛ أي: ليس لهم واق أبداً.

---

(١) وبها قرأ ابن عامر. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٧٠).


ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ ....

﴿٢٢﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالمُعجِزاتِ الظاهِرات، ﴿فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بُرهانٍ بَيِّنٍ ظاهِرٍ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟﴾: هو ﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بِالصِّدقِ ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: أخذهم بسبب أنهم كانت... إلخ.

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾... إلخ) شروعٌ في ذكر قصة موسى مع فرعون، وحكمة تكرارها وغيرها: تسليتُهُ ﷺ، وزيادة في الاحتجاج على مَنْ كفر من أُمَّته.

قوله: (﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾) قيل: المراد به نفسُ الآيات، فالعطف مرادفٌ، وإنما التغاير باعتبار العنوانَين، وقيل: المراد به: بعضُ الآيات، وهو العصا واليد، وحينئذٍ: فيكون من عطف الخاص على العام، والنكتة: الاعتناءُ بهما.

قوله: (﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾) خصَّهم بالذكر؛ لأنهم الرؤساء؛ فإنَّ فرعون كان ملكاً، وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز، وإنما جمعه الله معهما؛ لأنه شاركهما في الكفر والتكذيب في آخر الأمر وإن آمن أوَّلاً؛ فإنَّ فعله آخراً دلَّ على أنه مطبوعٌ على الكفر كإبليس.

قوله: (﴿فَقَالُوا۟﴾) نسبة القول لقارون باعتبار آخِر الأمر.

قوله: (هو ﴿سَٰحِرٌ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿سَاحِرٌ﴾ خبرٌ لمحذوف، و﴿كَذَّابٌ﴾ عطف على ﴿سَٰحِرٌ﴾، والمعنى: ساحرٌ فيما أظهر من المعجزات، كذَّابٌ فيما ادَّعاه أنه من عند الله.

قوله: (﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ) أي: أَعيدُوا عليهم ما كنتم تفعلونه بهم، فهذا القتلُ غيرُ القتلِ الأول؛ لأنَّ فرعون بعد ولادة موسى أمسك عن قتل الأولاد، فلمَّا بعث الله

نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ....

استبْقُوا ﴿نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: هَلاكٍ.

(﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ لِأَنهم كانُوا يَكُفُّونَهُ عن قَتلِه، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ لِيَمنَعَه مِنِّي؛ ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ مِن عِبادَتِكم إيَّاي فتَتَّبِعُونه، ﴿وَأَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ مِن قَتلٍ وغَيرِه. ....

حاشية الصاوي

موسى وعجز عن مُعارضته.. أعاد القتل في الأولاد؛ ليمتنع الناس من الإيمان، ولئلا يكثر جمعهم فيَكيدوه، فأرسل الله عليهم أنواع العذاب؛ كالضفادع والقمل والدم والطوفان، إلى أن خرجُوا من مصر، فأغرقهم الله تعالى، وجعل كيدَهم في نحورهم.

قوله: (واستبقوا ﴿نِسَآءَهُمْۚ﴾) أي: بناتهم للخدمة.

قوله: (هلاك) أي: ضياعٍ وبطلانٍ لا يغني عنهم شيئاً.

قوله: (لأنهم كانُوا يكفونه عن قتله) في حكمة منعهم له عن قَتله وجوهٌ:

أوَّلها: أن المانع له من قتله الرجل المؤمن الآتي ذكره، فكان صاحبَ سرِّ فرعون، وكان يتحيَّل في منع فرعون من قَتله.

ثانيها: أنهم منَعوه من قتله احتقاراً له، فكانُوا يقولون: إنه ساحرٌ ضعيفٌ، فإن قتلتَه قالت الناس: إنهم قتلوه لعجزهم عن مُعارضته.

ثالثها: خوفهم على فرعون؛ لأنهم كانُوا يعلمون أنه إن تعرَّض لموسى بسوء.. أُخِذَ حالاً.

رابعها: ليشتغل عنهم بمخاصمة موسى؛ لأنَّ شأن الملوك إذا لم يجدُوا مَنْ يشتغلُوا به تعرَّضُوا لرعاياهم.

قوله: (﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾) اللام: للأمر، وهو أمرُ تعجيزٍ في زعم فرعون.

قوله: (فتتبعونه) المناسبُ أن يحذف النون.

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ....

ـ وفي قِراءة ﴿أَوْ﴾، وفي أُخرَى بِفَتحِ الياء والهاء وضَمِّ الدَّال ـ. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لِقَومِه وقد سَمِع ذلك: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة... إلخ) تحصَّل أن القراءات أربعٌ سبعيَّات: رفع (الفساد) ونصبه مع الواو، أو (أو)[1].

قوله: (﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ﴾) بإدغام الذال في التاء وإظهارها، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾) لم يسمِّ فرعون، بل ذكره في ضمن المتكبرين؛ لتعميم الاستعاذة والتقبيح على فرعون أنه متكبِّرٌ متجبِّرٌ.

قوله: (﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾) لما التجأ موسى إلى مولاه تعالى.. قيَّض له مَنْ يخاصمُ عنه هذا اللعينَ، قال ابن عباس: لم يكن من آل فرعون مؤمنٌ غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي قال لموسى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ...﴾ إلخ[3].

وفي الحديث: «الصِّدِّيقون حبيب النجار مؤمن آل يس، ومؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، والثالث أبو بكر الصديق، وهو أفضلُهم»[4]، وكان اسم الرجل حزقيل، وقيل: شَمعان بفتح المعجمة بوزن: سلمان.

---

(١) قرأ الكوفيون (أو أن) بـ(أو) التي للإبهام، والباقون بواو النسَق على تسلُّط الحرف على التبديل وظهور الفساد معاً، وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص: (يُظْهِر) بضم الياء وكسر الهاء من: أظهر، وفاعله ضمير موسى عليه السلام، (الفسادَ) نصباً على المفعول به، والباقون بفتح الياء والهاء من: ظهر، (الفسادُ) رفعاً بالفاعلية. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٧١).

(٢) قرأ أبو عمرو والأخوان بإدغام الذال مع التاء وبإظهارها، والباقون بالإظهار فقط. انظر «المرجع السابق».

(٣) رواه ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٦)، وقيل: هذا الرجل هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾. انظر «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٤٩).

(٤) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٦٥٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٤٠)، وفيهما: (والثالث علي بن أبي طالب، وهو أفضلهم)، وسِياق المصنف عند الخطيب في «السراج المنير» (٣/ ٤٧٩)، ونقله =

يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ ....

- قِيل: هو ابنُ عَمِّه - ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن﴾ أي: لِأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالمُعجزاتِ الظَّاهِرات ﴿مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي: ضَرَرُ كَذِبه، ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ بِهِ مِن العَذاب عاجِلاً، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مُشرِك ﴿كَذَّابٌ﴾: مُفترٍ.

﴿٢٩﴾ ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾: غالِبينَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: ابن عمه) وقيل: كان من بني إسرائيل يَكتم إيمانه من آل فرعون.

قوله: (أي: لأن ﴿يَقُولَ﴾ ... إلخ) أي: لأجل هذا القول من غير تأمُّل وتفكُّرٍ.

قوله: (﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾) الجملة حاليَّة من فاعل ﴿يَقُولَ﴾.

قوله: (﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾) أي: إن لم يُصبكم كلُّه فلا أقلَّ من أن يصيبكم بعضُهُ إن تعرَّضتم له بسوءٍ.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾) هذا من الكلام الموجَّه إلى موسى وفرعون؛ فالأول معناه: أن الله هدى موسى إلى الإتيان بالمعجزات، ومن كان كذلك فلا يكون مسرفاً كذَّاباً، فموسى ليس بمسرفٍ ولا كذَّاب.

والثاني معناه: أنَّ فرعون مسرفٌ في عزمه على قتل موسى، كذَّابٌ في ادِّعائه الألوهيَّة، وحينئذٍ: فالله لا يَهدي مَنْ هذا وصفُهُ.

قوله: (﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ﴾... إلخ) أي: فلا تُفسدُوا أمركم، ولا تتعرَّضُوا لبأس الله بقتل هذا الرجل.

= في «الفتوحات» (٤/ ١٢) عن القرطبي، وقال صاحب «روح البيان» (٨/ ١٧٦): يمكن أن يقال: لا مخالفةَ بين هاتين الروايتين؛ لما أن المراد تفضيل أبي بكر في الصديقيَّة، وتفضيل علي في السَّبق وعدم صُدور الكفر عنه ولو لحظةً، فأفضليَّة كلٍّ منهما من جهة أخرى.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ....﴾

ـ حال ـ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مِصر، ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾: عَذابِه إن قَتلتُم أولياءَه، ﴿إِن جَآءَنَا﴾؟ أي: لا ناصِر لَنا، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: ما أُشِير علَيكُم إلَّا بِما أُشِير بِهِ على نَفسِي وهو قَتلُ مُوسى، ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: طَرِيقَ الصَّواب.

(﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي: يَـوم حِزب بعد حزب، ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ ـ ﴿مِثْلَ﴾ بَدَل مِن ﴿مِّثْلَ﴾ قبلَه ـ أي: مِثلَ جَزاء عادةِ مَن كَفرَ قَبلكُم مِن تَعذِيبِهم في الدُّنيا، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

(﴿٣٢﴾ - ﴿٣٣﴾) ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: من الضمير في ﴿لَكُمُ﴾.

قوله: (﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾) أي: بعد أن سمع تلك النَّصيحةَ ولم يقبلها.

قوله: (أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي) أي: فلا أظهرُ لكم أمراً وأكتمُ عنكم غيره.

قوله: (﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾) أي: ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى.

قوله: (أي: يوم حزب بعد حزب) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ مفردٌ في معنى الجمع؛ أي: أيامها[1].

قوله: (أي مثل جزاء... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (عادة) تفسير للدأب، والمعنى: جزاء الأمر الذي اعتادُوه واستمرُّوا عليه، وهو كفرُهُم.

قوله: (﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾) أي: فلا يعاقبهم بغير ذنب.

قوله: (﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾... إلخ) لما خوَّفهم بالعذاب الدنيويِّ.. شرع يخوِّفهم بالعذاب الأخرويِّ.

---

(١) وذلك لأن الأحزاب لم يَنزل بها العذاب في يوم واحد، بل نزل بها في أيام مختلفة مُترتبة، ويدل لهذا التفسير قوله: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ وهؤلاء لم يُهلكوا في يوم واحد. «فتوحات» (١٣/٤) عن شيخه العلامة الأجهوري.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٣٣﴾ ....

ـ بِحَذفِ الياء وإثباتِها ـ أي: يَومَ القِيامة، يَكثُر فِيهِ نِداءُ أصحاب الجَنَّة أصحابَ النَّار وبِالعَكسِ، والنِّداءُ بِالسَّعادةِ لِأهلِها وبِالشَّقاوةِ لِأهلِها، وغَيرُ ذلك، ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن مَوقِف الحِسابِ إلى النَّار، ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مِن عذابِه ﴿مِنْ عَاصِمٍۗ﴾: مانِع، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بحذف الياء) أي في الوصل والوقف، وقوله: (وإثباتها) أي: في الوصل والوقف، فالقراءات أربعٌ سبعيَّاتٌ، وهذا في اللفظ، وأمَّا في الخط فمحذوفةٌ لا غير[١].

قوله: (وغير ذلك) من جملته أن يُنَادَى: ألا إنَّ فلاناً سعد سعادةً لا يشقى بعدها أبداً، وفلانٌ[٢] شقي شقاوةً لا يسعد بعدها أبداً، وأن ينادى حين يذبح الموتُ: يا أهل الجنة؛ خلود بلا موت، ويا أهل النار؛ خلودٌ بلا موت، وأن يُناديَ المؤمنُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾، ويناديَ الكافرُ: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾، وأن ينادي بعضُ الظالمين بعضاً بالويل والثبور، فهذه الأمور كلُّها تقع في هذا اليوم.

قوله: (﴿مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار) أي: لأنهم إذا سمعُوا زفير النَّار أدبرُوا هاربين، فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدُوا الملائكة صفوفاً، فيرجعوا[٣] إلى مكانهم.

قوله: (﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾) الجملة حاليَّةٌ، وقوله (﴿مِنْ عَاصِمٍۗ﴾) مبتدأ، ومن: زائدة، و﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلِّق بـ﴿عَاصِمٍۗ﴾.

قوله: (﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾) بإثبات الياء وحذفها في الوقف، وبحذفها في الوصل مع حذفها في الخط على كلٍّ[٤].

---

(١) أثبت الياء وصلاً ووقفاً ابن كثير، وأثبتَها في الوقف دون الوصل من غير خلاف ورشٌ، وحذفها الباقون وصلاً ووقفاً، إلا قالُون فإنه رُوي عنه وجهان: وجه كورَش، ووجه كالباقين. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٦٤).

(٢) كذا في الأصول، على القطع، وفي «الفتوحات» (٤/ ١٤): (ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة... إلخ).

(٣) كذا في الأصول، بحذف النون، وهي لغة مشهورة، والقطر بالضمِّ: الجانِب والناحية.

(٤) قرأ ابن كثير في الوقف بالياء بعد القاف، والباقون بغير ياء، واتَّفقوا على التنوين في الوصل. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٧٧).

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِىٓ ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ ....

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلَ مُوسى، وهو يُوسُف بن يَعقوب في قَول عُمِّرَ إلى زَمَن مُوسى، أو يُوسُف بن إبراهِيم بن يُوسُف بن يَعقُوب في قَولٍ، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالمُعجِزاتِ الظَّاهِرات، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ مِن غَير بُرهانٍ: ﴿لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ أي: فلَن تَزالُوا كافِرين بِيُوسُف وغَيرِه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثل إضلالِكُم ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مُشرِكٌ ﴿مُّرْتَابٌ﴾: شاكٌّ فِيما شَهِدَت بِهِ البَيِّنات.

﴿٣٥﴾ ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِىٓ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾: مُعجِزاتِه ـ مُبتَدأ ـ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: بُرهانٍ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾... إلخ) المتبادرُ أنّه من كلام الرجل المؤمن، وقيل: من كلام موسى.

قوله: (عَمِرَ إلى زمن موسى) هذا القول لم يوافقه عليه أحدٌ من المفسِّرين؛ لأنَّ بين يوسف وموسى أربع مئة سنة، فالصواب أن يقول: (عَمِرَ إلى زمن فرعون)؛ فإنَّ فرعون أدركه وعَمِرَ إلى أن أدركَ موسى.

و(عَمر) بوزن: (خرج)[1] و(نصر) و(ضرب)، وهو لازمٌ ويتعدَّى بالتضعيف.

قوله: (أو يوسف بن إبراهيم) أي: فيوسفُ هذا سبطُ يوسفَ بنِ يعقوبَ، أرسله الله إلى القبط، فأقام فيهم عشرين سنة نبيًّا.

قوله: (﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ﴾) أي: فما زالت أُصولكم.

قوله: (أي: فلن تزالُوا كافرين بيوسف وغيره) أتى بهذا؛ دفعاً لما يتبادر من ظاهر الآية أنهم كانُوا مؤمنين بيوسف وندمُوا على فراقه، بل كانُوا كفاراً به، وانقيادُهُم له خوفاً من سَطْوَته بهم، وطمعاً في جاهه الدنيويِّ.

قوله: (﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾... إلخ) من كلام الرجل المؤمن، وقيل: ابتداءُ كلامٍ من الله تعالى.

---

(١) كذا في الأصول، وفي «القاموس» أنه بوزن (فرِح ونصَر وضرَب)، وانظر «الفتوحات» (٤/ ١٤).

أَتَنٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ....

﴿أَتَنٰهُمْ كَبُرَ﴾ جِدالُهم - خبَر المُبتدأ - ﴿مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثل إضلالِهِم ﴿يَطْبَعُ﴾: يَختِم ﴿ٱللَّهُ﴾ بِالضَّلالِ ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ - بِتَنوين ﴿قَلْبٍ﴾ ودُونَه -، ومتى تَكبَّرَ القَلب تَكبَّر صاحِبُه وبِالعَكسِ، و(كُلٌّ) على القِراءَتَينِ لِعُمُومِ الضَّلال جَمِيع القَلب، لا لِعُمُوم القُلُوب.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَتَنٰهُمْ﴾) صفة لـ﴿سُلْطَٰنٍ﴾.

قوله: (خبر المبتدأ) هذا أحسن الأعاريب في هذا المقام[(١)]، وقوله: (﴿مَقْتًا﴾) تمييز محوَّل عن الفاعل؛ أي: كبر مقتُ جِدالهم، و﴿عِندَ﴾ ظرف لـ﴿كَبُرَ﴾، ومقت الله إيَّاهم: سخطُهُ وإنزالُ العذاب بهم.

قوله: (مِثل إضلالهم) المناسب أن يقول: (مثل ذلك الطبع).

قوله: (بتنوين «قلب» ودونه) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[(٢)].

قوله: (ومتى تكبَّر القلب. . . إلخ) أشار بذلك إلى التوفيق بين القراءتين؛ لأنه يلزم من اتصاف القلب بالكبر اتصافُ الشخص به؛ لأنَّ القلب سلطان الأعضاء؛ فمتى فسد. . فسَدت.

قوله: (لِعُموم الضلال جميعَ القلب) أي: جميع أجزائه، فلم يبق فيه محلٌّ يقبل الهدى، وهذا خلاف القاعدة في (كل)؛ فإنَّ قاعدتها: أنها إذا دخلت على نكرةٍ مفردةٍ أو مجموعةٍ أو معرفةٍ مجموعةٍ. . تكون لعموم الأفراد، وإذا دخلت على معرفةٍ مفردةٍ. . تكون لعموم الأجزاء، وهنا قد دخلت على النكرة المفردة، فكان حقُّها أن تكون لعموم الأفراد، وإنما أريد هذا المعنى وإن كان مخالفاً للقاعدة؛ للمبالغة في وصول الضلال لقلوبهم وتمكُّنه منها.

---

(١) ولكن لا بدَّ من حذف مضاف؛ لِيَعود الضمير من (كبر) عليه، والتقدير: حالُ الذين يجادلون كبر مقتاً، وهذا الوجه واحد من الأعاريب العشرة التي ذكَرها السمين في «الدر المصون» (٩/ ٤٧٨).

(٢) قرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتنوين (قلب)، وصفًا القلب بالتكبر والجبروت؛ لأنهما ناشئان منه وإن كان المراد الجملة، كما وصف بالإثم في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾، والباقون بإضافة (قلب) إلى ما بعده؛ أي: على كل قلب شخص متكبِّر. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٨١).

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ ...

(﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾: بِناءً عالياً ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: طُرُقَها المُوَصِّلة إليها، ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ ـ بالرَّفع عطفاً على ﴿أَبْلُغُ﴾، وبالنَّصبِ جواباً لـ﴿ٱبْنِ﴾ ـ ﴿إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي: مُوسى ﴿كَـٰذِبًا﴾ في أنَّ لَهُ إلهاً غَيرِي. قال فِرعونُ ذلك تَموِيهاً، ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾) أي: مُعرضاً عن كلام المؤمن.

قوله: (بناءً عالياً) أي: مفرداً طويلاً ضخماً، وتقدَّمت قصَّته في سورة (القصص)[١].

قوله: (طرقها) أي: أبوابها الموصِلة إليها، وحكمة التكرار في (أسباب): التفخيمُ والتعظيمُ؛ لأنَّ الشيء إذا أُبْهِمَ ثمَّ وُضِّحَ.. كان أدخلَ في تفخيم شأنه.

قوله: (عطفاً على ﴿أَبْلُغُ﴾) أي: فيكون داخلاً في حيِّز التَّرجي.

قوله: (وبالنصب جواباً لـ﴿ٱبْنِ﴾) أي: فهو منصوبٌ بـ(أن) مضمرةً بعد الفاء؛ كقوله[٢]: [الرجز]

يا ناقُ سِيرِي عَنَقاً فَسِيحَا إلى سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيحَا

وقيل: إنه منصوبٌ في جواب الترجي[٣]. والقراءتان سبعيَّتان[٤].

قوله: (﴿إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾) أي: أنظرَ إليه وأطَّلعَ على حاله.

قوله: (تمويهاً) أي: تلبيساً وتخليطاً على قومه، وإلَّا.. فهو يعرف ويعتقد أنَّ موسى صادقٌ في جميع ما قاله.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) أي مثل ذلك التَّزيين.

---

(١) انظر (٥/١٤٨-١٤٩).

(٢) من الشواهد المشهورةِ، وهو لأبي النجم العجلي كما في «شرح الشواهد الكبرى» لِلعيني (٤/١٨٦٨).

(٣) وهو قول الكوفيين؛ أجازوا النصب في جواب الترجي حملاً له على التمني، ودفَعه ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص٦٢٣) بتوجيه النصب إمَّا بالعطف على معنى (لعلي أن أبلغ)، أو على (الأسباب) على حدِّ:

ولُبسُ عباءةٍ وتقرَّ عيني

(٤) قرأ حفص بنصب العين، والباقون بالرفع. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٨٣).

وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ....

طَرِيق الهُدَى - بِفَتحِ الصَّاد وضَمِّها - ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾: خَسارٍ.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي﴾ - بِإثبات الياء وحَذفِها - ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ تَقدَّم، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾: تَمتُّعٌ يَزُول، ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ - بِضَمِّ الياء وفتحِ الخاء وبِالعَكسِ - ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رِزقاً واسعاً ....

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح الصاد وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾) هو الرجل المؤمن، وقيل: المرادُ به موسى عليه السلام.

قوله: (﴿اتَّبِعُونِ﴾) أي: امتثِلُوا ما آمركم به.

قوله: (بإثبات الياء وحذفها) أي: وهما سبعيَّتان، وهذا في اللفظ، وأمَّا في الخط فهي محذوفة لا غيرُ؛ لأنها من ياءات الزوائد[2].

قوله: (تمتُّعٌ يزولُ) أي: تمتُّعٌ قليلٌ يسيرٌ لا بقاءَ له.

قوله: (﴿دَارُ الْقَرَارِ﴾) أي: الثبات، فلا تحوُّلَ عنها.

قوله: (﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾) أي: ولم يَتُب منها.

قوله: (﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (بضم الياء... إلخ) أي: وهما سبعيَّتان[3].

قوله: (﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾) أي: وما وردَ: من أنَّ الحسنة بعشر أمثالها، فهذا في ابتداء

---

(١) ضمَّ الصاد الكوفيون ويعقوب، وفتَحها غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٨٠).

(٢) أثبت الياء وصلاً قالون وأبو عمرو وأبو جعفر، وحذفها الباقون. انظر المرجع السابق.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشُعبة بضم الياء وفتح الخاء، والباقون بفتح الياء وضم الخاء. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٨٥).

وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ ....

بِلا تَبِعة.

(﴿٤١﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالِبِ على أمرِه، ﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾ لِمَن تابَ. ﴿لَا جَرَمَ﴾: ....

حاشية الصاوي

الأمر عند المحاسبة، فإذا تمَّ الحساب. . تفضَّل الله على عباده بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ.

قوله: (بغير تبعة) أي: فرزق أهل الجنة لا يتوقَّف على دفع ثَمنٍ، بل يتنعَّمون نعيماً خالياً من العلل، صافياً من الكدر، جعلَنا الله من أهل الجنة بمنِّه وكرمه.

قوله: (﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ﴾. . . إلخ) أتى بالواو في النداء الأول والثالث؛ لأنه كلام مستقلٌّ مستأنفٌ، وتركها من الثاني؛ لأنه من تعلُّقات الكلام الأول، والعطف يقتضي المغايَرة، وقوله: (﴿مَا لِيٓ﴾) أي: أيُّ شيءٍ يثبت لي، فـ﴿مَا﴾: مبتدأ، والجارُّ والمجرور خبرٌ عنه، وقوله: (﴿أَدْعُوكُمْ﴾) حالٌ، والاستفهام للتعجب، ومحطُّ العجب هو قوله: ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، كأنه قال: أعجَب من هذه الحال؛ أدعوكم إلى النجاة والخير، وتدعونني إلى النار والشَّرِّ!

قوله: (﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ﴾. . . إلخ) هذا بدل من قوله: ﴿تَدْعُونَنِيٓ﴾ الأولِ بدل مفصَّل من مجمل.

قوله: (﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ﴾) أي: بوجوده، والمرادُ: نفيُ المعلوم من أصلِه.

قوله: (﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ﴾) راجع لقوله: ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾.

قوله: (﴿إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾) أي: إلى عبادته، وامتثال أوامره، واجتنابِ نواهيه.

قوله: (﴿لَا جَرَمَ﴾) ﴿لَا﴾: نافية، و﴿جَرَمَ﴾: فعل ماض بمعنى: حقَّ، وقوله: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ﴾ فاعله، والمعنى: حقَّ ووجبَ عدمُ استجابة دعوة آلهتكم.

أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ ....

حقًّا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ لِأعبُدَهُ ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ أي: استجابةُ دعوةٍ ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾: مَرجِعَنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: الكافرين ﴿هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا عاينتُم العذابَ ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، قال ذلك لَمَّا تَوَعَّدُوهُ بِمُخالَفتِه دِينَهم.

(﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾) ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ بِهِ مِن القَتل، ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾: قَومِه مَعَهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (حقًّا) مفعولٌ[1] لمحذوف دلَّ عليه (لا جرم)، والمعنى: حقَّ ما تدعونني إليه حقًّا، وهي كلمةٌ في الأصل بمنزلة (لا بدَّ)، ثمَّ تحوَّلت إلى معنى القسَم.

قوله: (﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ﴾) ﴿ما﴾: اسم موصول، فحقُّها أن تفصل من النون، وإنما وصلت بها تبعاً للمصحف.

قوله: (أي: استجابة دعوة) أي: لا شفاعةَ لها دنيا ولا أخرى، وقيل: المعنى: ليست له دعوةٌ إلى عبادته؛ لأنَّ الأصنام لا تدَّعي الربوبيَّة ولا تدعو إلى عبادة نفسها، وفي الآخرة تتبرَّأ من عُبَّادها.

قوله: (﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾) أي: من النصيحة.

قوله: (لما توعَّدوه) أي: ففرَّ هارباً إلى جبل، فأرسل فرعون خلفه ألفاً ليقتلوه، فوجدوه يصلي والوحوش صفوفٌ حولَه، فأكلت السِّباع بعضهم، ورجع بعضهم هارباً، فقتله فرعون[2].

قوله: (﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾) أي: شدائد مكرهم، وقد نجَّى الله تعالى ذلك الرجلَ مع موسى من الغرق أيضاً.

قوله: (معه) أي: ولم يصرِّح به؛ لأنه أولى منهم بذلك.

---

(١) أي: مطلقٌ، وقد تقدَّم في سورة (هود) مزيد بيان عن (لا جرم)، انظر (٣/ ٢٧٢).

(٢) عقوبةً على عدم قَتلهم لذلك الرجل المؤمن. «فتوحات» (٤/ ١٨).

سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا ....

﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾: الغرَقُ. ثُمَّ ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾: يُحرقُون بها ﴿غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾: صَباحاً ومَساءً، ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يُقالُ: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ﴾ يا ﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ - وفي قِراءة: بِفَتح الهمزة وكسرِ الخاء أمرٌ لِلمَلائكةِ - ﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ عذابَ جَهنَّم.

﴿٤٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذۡ يَتَحَآجُّونَ﴾: يَتخاصَم الكُفَّار ﴿فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (ثم ﴿ٱلنَّارُ﴾) أتى بـ(ثمَّ)؛ إشارةً إلى أنه كلامٌ مستأنفٌ، و﴿ٱلنَّارُ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾: خبره، والمعنى: تُعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار؛ لما روي: «**أنَّ أرواح الكفار في جوف طيرٍ سودٍ، تَغدو على جهنم وتروح كلَّ يوم مرتين، فذلك عرضها**»[1].

قوله: (﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾) إما معمولٌ لـ(ٱدْخُلُوا)[2]، أو لمحذوفٍ تقديرُهُ: يقال لهم يوم تقوم الساعة: ادخلُوا، وعليه درج المفسِّر.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً، فعلى القراءة الأولى: يكون ﴿ءَالَ﴾ منادى على حذف ياء النداء، وعلى الثانية: يكون مفعولاً لـ﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾[3].

قوله: (عذاب جهنم) تفسير للأشد؛ فإنه أشدُّ ممَّا كانُوا فيه؛ لأنَّ ذاك عرضٌ، وهذا دخولٌ واستيطانٌ.

قوله: (﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾) تفصيلٌ للتَّخاصم.

---

(١) رواه ابن أبي شَيبة في «مُصنفه» (٧/ ٥٤) من حديث هذيل بن شرحبيل، وفيه: (أرواح آل فرعون) بدل (أرواح الكفار).

(٢) على ما مشى عليه المفسِّر من قراءة غير الكسائي وحمزةَ ونافع وحفص؛ بوصل الهمزة.

(٣) قرأ الكسائي وحمزة ونافع وحفص: (أدخلوا) بقطع الهمزة؛ أمراً من: أدخَل، والباقون: (ادخلُوا) بهمزة وصل. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٨٥).

فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ

جَمع (تابع)، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾: دافِعُون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾: جُزءاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؟

(﴿٤٨﴾ - ﴿٥٠﴾) ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ فأدخَل المُؤمِنِينَ الجنَّة والكافِرِين النَّار. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قَدرَ يوم ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟﴾ أي: الخزنةُ تهكُّماً: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالْمُعجزاتِ الظاهِراتِ؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أي: فكفَرُوا بِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (جمع تابع) ك: خَدَم وخادِم.

قوله: (دافعون) أشار بذلك إلى أن ﴿مُّغْنُونَ﴾ مضمَّن معنى: دافعون، فنصب ﴿نَصِيبًا﴾، ويصح أن يضمَّن معنى: حامِلون، و﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: صفة لـ﴿نَصِيبًا﴾.

قوله: (﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾) أي: فلو استطعنا لدفعنا عن أنفسنا؛ فكيف ندفع عنكم؟!

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾) أي: فلا يغني أحدٌ عن أحدٍ شيئاً.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾) أي: من الضعفاء والمستكبرين جميعاً حين حصل لهم اليأسُ من تحمُّل بعضِهم عن بعضٍ.

قوله: (﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾) أتى بالظاهر في محلِّ الضمير؛ تقبيحاً عليهم، أو لبيان محلِّهم فيها.

قوله: (﴿يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾) أي: يخفِّف عنَّا شيئاً من العذاب في يوم[1]، وقوله: (أي: قدر يوم) أشار بذلك إلى أنه ليس في الآخرة ليلٌ ولا نهارٌ.

قوله: (﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ﴾... إلخ) المقصودُ من ذلك: إلزامُهُم الحجَّةَ، والتوبيخُ على تفريطِهِم.

قوله: (﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾) أي: أتونا فكذَّبناهم، وتقدَّم أنهم قبل الدخول يُنكرون، وبعده يُقِرُّون.

---

(١) فيكون (يوماً) ظرفاً لـ(يخفف)، ومفعول (يخفف) محذوف؛ كما قدَّره المصنف، ويجوز أن يكون (من العذاب) هو المفعول لـ(يخفف)، و(مِن): تبعيضية، و(يوماً) ظرفاً. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٨٨).

قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ ....

﴿قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ﴾ أنتُم فإنَّا لا نَشفَعُ لِلكافِرين، قال تَعالى: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: انعِدامٍ.

(﴿٥١﴾ - ﴿٥٢﴾) ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: جَمعُ (شاهِد) وهُم المَلائكة يَشهَدُون لِلرُّسُلِ بِالبَلاغِ، وعلى الكُفَّار بِالتَّكذِيب. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ - بِالياءِ والتَّاء - ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ﴾: عُذرُهم لَو اعتَذَرُوا،

حاشية الصاوي

قوله: (فإنَّا لا نشفع لكافرٍ) أي: لِتحتُّم خلوده في النار، فالشَّفاعةُ لا تفيد شيئاً.

قوله: (انعدام) أي: من الإجابة.

قوله: (﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾) أي: بالحجة والظَّفرِ على الأعداء وإن وقع لهم بعضُ امتحانٍ، فالعبرةُ بالعواقب وغالب الأمر.

قوله: (﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾) معطوف على قوله: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، والمعنى: ننصرهم في الدنيا والآخرة.

قوله: (جمع شاهد) أي: ويصح أن يكون جمعَ (شهيد)، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١].

قوله: (وهم الملائكة) أي: والأنبياء والمؤمنون، أما الملائكة.. فهُم الكرام الكاتبون، يشهدون بما شاهدُوا، وأما الأنبياء.. فإنهم يحضرون يوم القيامة يَشهدون على أممهم، وأما المؤمنون من أمة محمد ﷺ.. فتَشهد على باقي الأُمم يوم القيامة.

قوله: (﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾) بدل من (يوم) الأول.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما سبعيَّتان[1].

قوله: (لو اعتذروا) جوابٌ عمَّا يقال: مقتضى الآية أنهم يذكرون أعذارهم إلا أنها لا تنفعهم، وحينئذٍ: فيكون بينها وبين الآية الأخرى وهي ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] تنافٍ، فأجابَ: بأنَّ معنى (لو اعتذروا) فرضاً، لا تنفعهم معذرتهم، فهذه الآية على سبيل الفرض والتقدير.

(١) قرأ نافع والكوفيون بياء التذكير، وغيرهم بتاء التأنيث. انظر «البُدور الزاهرة» (ص٢٨١).

﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ۝٥٣ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٤ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ ....

﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ أي: البُعدُ مِن الرَّحمة، ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ الآخِرة أي: شِدَّةُ عذابِها.

(﴿٥٣﴾ - ﴿٥٤﴾) ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾: التَّوراةَ والمُعجِزات، ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ مِن بَعد مُوسى ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿هُدٗى﴾: هادِياً ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: تَذكِرةً لِأَصحابِ العُقُول.

﴿٥٥﴾ ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا مُحمَّد ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بِنَصرِ أوليائِه ﴿حَقّٞ﴾ وأنتَ ومَن تَبِعَك مِنهُم، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ لِيُستَنَّ بِك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾) هذا مرتَّبٌ على قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾، فهذا من النصر الدنيوي الموصِل للنصر الأخروي.

قوله: (من بعد موسى) أي: إلى نزول عيسى، فآتاه الله الإنجيل ناسخةً لبعض أحكام التوراة.

قوله: (﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾) لم يعبِّر عنه في جانب بني إسرائيل بالهدى كما عبَّر في جانب موسى؛ إشارةً إلى أنه لم يكن هدًى لجميعهم، بل هدًى لِمن آمن وصدَّق، ووبالٌ لمن طغى وكفر.

قوله: (هادياً) أشار بذلك إلى أن ﴿هُدٗى﴾ حالٌ من ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾، وكذا قوله: ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾.

قوله: (﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾) هذا نتيجةُ ما قبله؛ أي: إذا علمت أن الله ناصرٌ لرسله في الدنيا والآخرة.. فاصبر حتى يأتيَك النَّصر من ربِّك.

قوله: (﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾) أي: اطلب المغفرة من ربك لِذنبك، والمقصودُ من هذا الأمرِ: تعليمُ الأمَّة ذلك، وإلَّا.. فرسول الله ﷺ معصومٌ من الذنوب جميعها، صغائرَ أو كبائرَ، قبل النبوة وبعدها على التحقيق، كجميع الأنبياء، وإلى هذا أشار المفسِّر بقوله: (لِيُسْتَنَّ بك) أي: يُقتدى بك.

وأجيب أيضاً: أنَّ الكلام على حذف مضاف، والتقدير: واستغفر لذنب أمَّتك، وإنما أضيف الذنب له؛ لأنه شفيعٌ لهم، وأمرهم متعلِّقٌ به، فإذا لم يسْعَ في غفرانه في الدنيا.. أتعبه في الآخرة، قال تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكلُّ هذا تشريفٌ لهذه الأمة المحمدية، فقد تشرَّفت بأمورٍ؛ منها: أن نبيَّها مأمورٌ بالاستغفار لها، ومنها: صلاةُ الله وملائكتِه عليها، وغير ذلك.

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ....

﴿وَسَبِّحْ﴾: صَلِّ مُتَلَبِّساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ﴾ وهو مِن بَعد الزَّوال ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾: الصَّلواتِ الخَمس.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: بُرهانٍ ﴿أَتَاهُمْ إِن﴾: ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾: تَكَبُّر وطَمَع أن يَعلُوا عَلَيك، ﴿مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ﴾ مِن شَرِّهِم ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِأقوالِهِم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بِأحوالِهِم.

حاشية الصاوي

وأجيب أيضاً: بأنَّ المراد بالذنب: خلافُ الأَولى، وسمِّي ذنباً بالنسبة لمقامه، من باب: حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين.

قوله: (صلِّ) إنما فسَّر التسبيح بالصلاة؛ لقرينة قوله بعد: ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

قوله: (وهو بعد الزوال) أي: وفيه أربع صلوات: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، وقوله: ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ أي: وهو من الفجر إلى الزوال، وفيه صلاةٌ واحدةٌ، وهي الصبح؛ فلذلك قال: (الصلوات الخمس).

قوله: (﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ﴾ ... إلخ) بيانٌ لتفصيل أنَّ جدالهم ناشئٌ من الحقد الذي في صُدورهم، وفيما تقدَّم بيَّن عاقبةَ جدالهم، وما أعدَّ لهم في نظيره[1].

قوله: (﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾) وصفٌ كاشفٌ؛ إذ يَستحيل المجادلة في آيات الله بسلطان.

قوله: (﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ﴾) خبر ﴿إِنَّ﴾.

قوله: (﴿مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾) هذا وعدٌ حسنٌ من الله تعالى بأنَّ المتكبِّر لا يَبلغ ما أمَّله بكبره، وإنما يُجْعَلُ كيدُهُ في نَحره.

قوله: (﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾) أي: تحصَّن بالله من كيدهم، والتَجِئْ إليه في دفع مَكرهم.

قوله: (﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾) تعليلٌ لما قبله.

---

(١) أي: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ....

﴿٥٧﴾ ونَزَلَ في مُنكِرِي البَعث: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ابتِداءً ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ مَرَّةً ثانِية وهي الإعادةُ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: الكُفّار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فهُم كالأعمَى، ومَن يَعلَمُه كالبَصِير.

(﴿٥٨﴾ - ﴿٥٩﴾) ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَ﴾ لا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهو المُحسِنُ، ﴿وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ - فِيه زيادةُ (لا) - ﴿قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُون - بِالياء والتَّاء - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾) أي: سبعاً طباقاً، على هذا الوجه المشاهد.

قوله: (ابتداءً) أي: من غير سَبق مثال.

قوله: (﴿أَكْبَرُ﴾) أي: أعظم بحسب العادة، وإلَّا.. فالكلُّ بالنسبة إليه تعالى لا تفاوت فيه بين الصغير والكبير، بدءاً وإعادةً.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾) أي: والأقلُّ يَعلمه، وهو مَنْ آمن.

قوله: (فهم كالأعمى... إلخ) هذا نتيجة ما قبله، وهو دخول على قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ... إلخ﴾.

قوله: (﴿وَ﴾ لا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ) راجع للبصير، وقوله (﴿وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾) راجع لقوله: ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ على سبيل اللف والنَّشر المشوَّش، وهو من أنواع البلاغة.

قوله: (فيه زيادة «لا») أي: للتوكيد؛ لطول الكلام بالصلة.

قوله: (﴿قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ﴾) ﴿قَلِيلًا﴾: صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق؛ أي: يتذكرون تذكراً قليلاً، و﴿مَّا﴾: زائدة لتوكيد القِلة.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

(١) قرأ الكوفيون بتاء الخطاب، والباقُون بياء الغيبة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٩٣).

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ....

أي: تَذكُّرهم قَليل جِدًّا. ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِها.

﴿٦٠﴾ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي: اعبُدُوني أُثِبْكُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: تذكُّرُهم قليلاً) هكذا بالنصب على الحال، والخبر محذوفٌ، والتقدير: يحصل حال كونه قليلاً.

قوله: (﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾) أي: لوضوح الأدلَّة على حصولها.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها) أي: جحداً وعِناداً، والأقل يؤمنون؛ لقيام الدليل العقلي والشرعي على أنه تعالى قادرٌ على كل شيء، وأخبر على ألسِنة رسله أنه كما بدأنا يُعيدنا؛ فلو جوِّز تخلُّفه.. للزم إمَّا كذبُ خبره تعالى أو عجزُهُ، وكلاهما محالٌ، تنزَّه الله عنه.

قوله: (﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾) الدعاء في الأصل: السؤال والتضرع إلى الله تعالى في الحوائج الدنيوية والأُخروية الجليلة والحقيرة، ومنه: ما ورد: «**ليسأل أحدكم ربَّه حاجته كلَّها حتى في شسع نَعله إذا انقطع**»[1].

وقوله: (﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾) أي: أُجبكم فيما طلبتم؛ لما ورد: «**إذا قال العبد: يا رب.. قال الله له: لبَّيك يا عبدي**»[2].

إن قلت: إن قوله: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وعدٌ بالإجابة، ووعده لا يتخلَّفُ، مع أنه مشاهدٌ أنَّ الإنسان قد يدعو ولا يُستجاب له.

أجيب: بأن الدعاء له شروطٌ، فإذا تخلَّف بعضها.. تخلَّفت الإجابة؛ منها: إقبال العبد بكليَّته على الله وقت الدعاء؛ بحيث لا يجعل في قلبه غير ربِّه، وألَّا يكون لمفاسدَ، وألَّا يكون فيه قطيعة رحم، وألَّا يستعجل الإجابة، وأن يكون مُوقناً بها، فإذا كان الدعاءُ بهذه الشروط.. كان حقيقاً

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٠٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البزار في «مُسنده» (٣/ ٢٠٢)، وأبو حفص ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (١٤٦) عن سيِّدتنا عائشة رضي الله عنها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ ....

بِقَرِينةِ ما بَعده، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ﴾ ـ بِفَتحِ الياء وضَمِّ الخاء وبِالعَكسِ ـ ....

حاشية الصاوي

بالإجابة، فإمَّا أن يعجِّلها له، وأما أن يؤخِّرها له، فالإجابة على مراده تعالى، وحينئذٍ: فالذي ينبغي للإنسان أن يدعُوَ الله تعالى، ويفوِّض له الأمر في الإجابة؛ ولذا ورَدَ: «ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له؛ فإمَّا أن يعجَّل له في الدنيا، وإمَّا أن يؤخَّر له في الآخرة، وإما أن يكفَّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا؛ ما لم يَدْعُ بإثمٍ أو قطيعة رحمٍ أو يستعجل»، قالوا: يا رسول الله؛ وكيف يستعجل؟ قال: «يقول: دعوتُ فما استجاب لي»[١].

والدعاء من خصائص هذه الأمَّة؛ لِما حكي عن كعب الأحبار قال: أُعْطِيَتْ هذه الأمَّة ثلاثاً لم يُعْطَهُنَّ أمَّةٌ قبلهم إلا نبيٌّ، كان إذا أرسل نبيٌّ. . قيل له: «أنت شاهدٌ على أمَّتك»، وقال تعالى لهذه الأمة: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وكان يقال لِلنبي: «ليس عليك في الدين من حرج»، وقال تعالى لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وكان يقال للنبي: «ادعني أستجب لك»، وقال لهذه الأمة: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠][٢].

وقد يطلق الدعاءُ على مطلق العبادة مجازاً، من إطلاق الخاصِّ وإرادة العامِّ، وهما تفسيران للدعاء هنا، مشى المفسِّر على الثاني، وعبَّر عنها بالدعاء؛ إشارةً إلى أنَّ المقصودَ من العبادة الذلُّ والخضوع والفقر والمسكنة، والدعاءُ مشعرٌ بذلك.

قوله: (بقرينة ما بعده) أي: وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي. . . إلخ﴾، فتحصَّل أنَّ في الآية تفسيرين: أحدهما حقيقة، والثاني مجاز، اختار المفسِّر الثاني؛ لوجود القرينة، ويصحُّ إرادة الحقيقة؛ لأنها الأصل.

قوله: (بفتح الياء وضمِّ الخاء) أي: والقراءتان سبعيَّتان[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٠٤/م٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حكاه عن كَعب الأحبار القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٢٧)، ورواه مرفوعاً الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ١٢٤) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) قرأ ابن كثير وشُعبة ورُويس وأبو جعفر بضم الياء وفتح الخاء، وغيرهم بفتح الياء وضم الخاء. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٨١).

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ....

﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: صاغِرين.

﴿٦١﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ﴾ إسنادُ الإبصار إليهِ مَجازِيٌّ لِأنَّه يُبصَرُ فِيه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله فلا يُؤْمِنُون.

(﴿٦٢﴾ - ﴿٦٥﴾) ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (صاغرين) أي: أذلاء، فمَنْ أَنِفَ واستكبر في الدنيا.. أُلْبِسَ ثوبَ الذُّلِّ في الآخرة، ومَنْ تواضع وتذلَّل في الدنيا.. أُلْبِسَ ثوبَ العزِّ والفخر في الآخرة، فبابُ الذلِّ والانكسار من أعظم الأبواب الموصِلة إلى الله تعالى؛ لما حكي عن سيِّدي أحمد الرفاعي أنه قال: طرَقت الأبواب الموصلة إلى الله تعالى فوجدتها مزدحمةً إلا بابَ الذل والانكسار[1]، وورَدَ: أن داوود سأل ربَّه فقال: يا ربنا؛ كيف الوصولُ إليك؟ قال: «يا داوود؛ خلِّ نفسك وتعال».

قوله: (﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾... إلخ) هذا من جملة الأدلَّة على باهر قدرته تعالى، كأنَّه قال: لا يليق منكم أن تتركُوا عبادة مَنْ هذه أفعالُهُ.

قوله: (مجازي) أي: عقليٌّ، من: إسناد الشيء إلى زمانه.

قوله: (﴿لَذُو فَضْلٍ﴾) أي: جودٍ وإحسانٍ.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾) أي: وهم الكفار، وكان حقًّا على الناس جميعِهِمْ أن يشكرُوا الله تعالى ويوحِّدوه.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمُ﴾) الإشارة: مبتدأ، و﴿ٱللَّهُ﴾، و﴿رَبُّكُمْ﴾ و﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، و﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أخبارٌ أربعةٌ له.

قوله: (﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾) من: الأفك بفتح الهمزة، وهو الصَّرف، وأمَّا الإفك بالكسر.. فهو الكذب.

---

(١) ذكره ﷺ في كتابه «البرهان المؤيد» (ص١١٧).

كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ

فكيفَ تُصرَفُون عن الإيمانِ مَع قِيام البُرهانِ؟! ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾ أي: مِثل إفكِ هؤلاءِ إفكُ ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: مُعجِزاتِه ﴿يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: سَقفاً ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾: اعبُدُوه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾... إلخ) هذا تسليةٌ له ﷺ، والمعنى: لا تحزَن يا محمد؛ فلا خصوصية لأمَّتك، بل مَنْ قبلهم كذلك.

قوله: (أُفِكَ الذين) بضمِّ الهمزة، فعل ماض مبني للمجهول، وأشار بذلك إلى أنَّ المضارع بمعنى الماضي، وأتى به مضارعاً؛ استحضاراً للصورة الغريبة.

قوله: (﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾) هذا من جملة أدلَّة توحيده، وقوله: ﴿قَرَارًا﴾ أي: محلَّ قرار؛ أي: سكونٍ مع كونها في غاية الثقل لا ممسكَ لها إلا قدرةُ الله تعالى.

قوله: (﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾) أي: صوَّركم أحسنَ تصويرٍ؛ حيث جعلكم مُنتصبي القامة، بادي البشرة، مُتناسبي الأعضاء، تمشون على رجلين، وجعل محلَّ المواجهة من أعلى، ومحل الأقذار من أسفل، فسُبحان الحكيم العليم.

قوله: (﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾) أي: المستلَذَّاتِ ملبساً ومطعماً ومركباً.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمُ﴾) أي: الفاعلُ لذلك كلِّه، واسم الإشارة: مبتدأٌ، و﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: خبران له.

قوله: (﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾) أي: الحياةَ الذاتيَّةَ التي لا فناء لها ولا انقضاء.

قوله: (اعبدوه) تقدَّم أنه أحدُ تفسيرين، ويصح إرادة الآخر وهو السؤال والتضرُّع، والمعنى: إذا علمتم أنَّ الله مالك الملك المتصرِّف فيه دون غيره.. فاسألوه في جميع ما تحتاجون؛ لأنَّ خير الدنيا والآخرة عنده دون غيره.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ ....

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشِّركِ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿٦٦﴾ ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: دلائلُ التَّوحيدِ ﴿مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿٦٧﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مُخْلِصِينَ﴾) حال، وقوله: ﴿ٱلدِّينَ﴾ مفعولٌ للمخلصين، والمعنى: غير مشركين غيره، لا ظاهراً ولا باطناً.

قوله: (﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) يحتمل أنه من كلام العباد، فهو مقولٌ لقولٍ محذوف حال، والمعنى: قائلين ذلك؛ لما وردَ عن ابن عباس: (من قال: لا إله إلا الله.. فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين)[1]، فهو إشارةٌ إلى أن العبد لا يُؤْجَرُ على الحمد ولا يعدُّ به شكوراً إلا إذا كان موحداً، وأمَّا الكافر فعمله يذهب هباءً منثوراً، ويحتمل أنه مستأنفٌ من كلامه تعالى؛ تعليماً لعباده كيفيَّة الحمد.

قوله: (﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ﴾... إلخ) أمر الله تعالى نبيَّه بأن يخاطب قومه بذلك؛ زجراً لهم حيث استمرُّوا على عبادة غير الله بعد ظهور الأدلَّة العقليَّة والنقليَّة.

قوله: (﴿لَمَّا جَآءَنِىَ﴾) أي: حين جاءني.

قوله: (دلائلُ التَّوحيد) الأدلَّةُ العقليَّةُ والنقليَّةُ.

قوله: (﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾... إلخ) إما من: الإسلام بمعنى: الانقياد، أو بمعنى: الخُلوص، وعلى كلٍّ فالمفعول محذوفٌ، تقديرُهُ على الأول: أسلم أمري له، وعلى الثاني: أخلص قلبي من عبادة غيره تعالى.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾... إلخ) لما ذكر فيما تقدَّم من جملة أدلة توحيده أربعةَ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٣٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩٤).

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ﴾ ....

بِخلقِ أبيكُم آدمَ مِنهُ، ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: دَم غَلِيظ، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ بمعنَى: أطفالاً، ﴿ثُمَّ﴾ يُبقِيكُم ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾: تكامُلَ قُوَّتِكُم مِن الثَّلاثِين سنةً إلى الأربَعِين، ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ﴾ ـ بِضَمِّ الشِّين وكَسرِها ـ، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ﴾ أي: قبلَ الأشُدِّ والشَّيخُوخة، فعَلَ ذلك بِكُم لِتَعِيشُوا ....

حاشية الصاوي

أشياء من دلائل الآفاق، وهي الليل والنهار، والأرض والسماء، وثلاثةً من دلائل الأنفس، وهي التصويرُ وحسنُ الصورة ورزقُ الطيِّبات.. ذكر هنا كيفيَّة خلقِ الأنفس ابتداءً وانتهاءً.

قوله: (بخلق أبيكم آدم... إلخ) أي: فالكلام على حذف مضاف، ويصحُّ إبقاء الكلام على ظاهره باعتبار أنَّ أصل النُّطفة الغذاء، وهو ناشئٌ من التراب.

قوله: (﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾) أي: بعد مضيِّ أربعين يوماً.

قوله: (﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾) أجمل هنا في المراتب، وفصَّلها في سورة (المؤمنون) في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ... إلخ﴾ [المؤمنون: ١٢]، فهنا حذف مرتبتَين: المضغة، والعظم العاري عن اللحم.

قوله: (بمعنى: أطفالاً) إنما أوَّله بالجمع؛ لتحصل المطابقة بين الحال وصاحبها؛ فإنَّ ﴿طِفْلًا﴾ حال من الكاف في ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾، فالحال مفردةٌ لفظاً، جمعٌ معنًى؛ لأنَّ لفظ الطفل يقع على المذكر والمؤنث، والمفرد والجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ﴾ [النور: ٣١].

قوله: (﴿ثُمَّ﴾ يُبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾ متعلِّق بمحذوف، وهو معطوف على قوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾.

قوله: (﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ﴾) معطوف على ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾.

قوله: (بضمِّ الشين وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (فعل ذلك بكم لتعيشوا) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ﴾ معطوفٌ على محذوف، وهما علَّتان، والمعلول ما تقدَّم من الأفعال الصادرة منه تعالى.

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضمِّ الشين، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٩٥).

وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ . . . . . .

﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾: وقتاً مَحدُوداً، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دَلائلَ التَّوحِيدِ فتؤمِنُون.

﴿٦٨﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أرادَ إيجادَ شَيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ - بِضَمِّ النُّون وفَتحها بِتَقدِير (أنْ) - أي: يُوجَد عَقِب الإرادةِ التي هي مَعنى القَول المذكُورِ.

(﴿٦٩﴾ - ﴿٧٢﴾) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ ﴿أَنَّىٰ﴾: كيفَ ﴿يُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمانِ؟ . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (وقتاً محدوداً) أي: وهو وقت الموت.

قوله: (﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾) معطوف على قوله: ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾، ويصح أن يكون معطوفاً على محذوفٍ، تقديره: فعل ذلك لتتدبَّرُوا ولعلكم تعقلون.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾) هذا نتيجة ما قبله، وقوله: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ مرتَّبٌ على ما تقدَّم، والمعنى: مَنْ ثبت أنَّ هذه أفعاله.. عُلِمَ أنه لا يعسر عليه شيءٌ، ولا يتوقَّف إلا على تعلُّق إرادته به.

قوله: (بضمِّ النون) أي: على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: فهو يكون.

قوله: (وفتحها) أي: فهو منصوب بـ(أن) مضمرةً وجوباً بعد فاء السببيَّة الواقعة في جواب الأمر[1]، والقراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (عقب الإرادة التي هي معنى القول المَذكور) الأوضح أن يقول: وهذا القول المذكور كنايةٌ عن سرعة الإيجاد، فالمعنى: إن أراد إيجاد شيءٍ.. وُجِدَ سريعاً من غير توقُّفٍ على شيء، وإلَّا.. فكلامُ المفسِّر يقتضي أنَّ معنى الآية: فإذا أراد إيجادَ شيءٍ.. فإنما يريد إيجاده فيوجد، وهذا لا معنى له.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾... إلخ) هذا تعجُّبٌ من أحوالهم الشنيعةِ، وبيانٌ لعاقبة أمرِهم.

---

(١) وهذا مما روعي فيه ظاهر اللفظ من غير نظر لِلمعنى؛ أي: أنه قد وجد في اللفظ صورة أمر فنَصبنا في جوابه بالفاء، وأما إذا نظرنا إلى جانب المعنى.. فإن ذلك لا يصح؛ لِوُجوهٍ ذكرها السمين الحلبي في «الدر المصون» (٢/ ٨٩).

(٢) نصب النونَ الشاميُّ، ورفعها غيره. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٨١).

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ ....

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ مِن التَّوحِيد والبَعثِ وهُم كُفارُ مكَّةَ، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عُقُوبةَ تكذِيبِهِم ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ - ﴿إِذِ﴾ بِمَعنى (إذَا) - ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ - عَطفٌ على ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾ فتكُون في الأعناقِ، أو مُبتدأ خَبرُه مَحذُوف أي: في أرجُلِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾) إمَّا بدلٌ من الموصول قبله، فهو في محل جرٍّ، أو في محل نصبٍ أو رفعٍ على الذَّم[1].

قوله: (من التوحيد) أي: وسائر الكتب والشرائع.

قوله: (﴿إِذِ﴾ بمعنى «إذا») جوابٌ عمَّا يقال: إن (سوف) للاستقبال، و(إذ) للماضي، وحينئذٍ: فلا يصح تعلُّق الماضي بالمستقبل، فأجابَ: بأنها مستعملةٌ في الاستقبال مجازاً، والمسوِّغ الإشارةُ إلى أنَّ هذا الأمر محقَّقٌ وواقعٌ[2].

قوله: (عطف على ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾) أي: وقوله: ﴿فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ خبرٌ عنهما.

قوله: (أو مبتدأ... إلخ) أي: وجملة ﴿يُسْحَبُونَ﴾ حالٌ من الضمير المستكن في الظرف، أو مُستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدَّر، كأنه قيل: فماذا حالهم؟ فقيل: ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾.

---

(١) عبارة السمين في «الدر المصون» (٩/ ٤٩٤): (قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾: يجوز فيه أوجه: أن يكون بدلاً من الموصول قبله، أو بياناً له، أو نعتاً، أو خبرَ مبتدأ محذوف، أو منصوباً على الذم، وعلى هذه الأوجه فقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ جملة مُستأنفة سِيقت للتهديد، ويجوز أن يكون مبتدأ، والخبر الجملة من قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، ودخول الفاء فيه واضح).

(٢) ولا حاجة إلى إخراج (إذ) عن موضوعها، بل هي باقية على دلالتها على المضي، وهي منصوبة بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ نصب المفعول به؛ أي: فسوف يعلمون يوم القيامة وقت الأغلال في أعناقهم؛ أي: وقت سبب الأغلال، وهي المعاصي التي كانوا يَفعلونها في الدنيا، كأنه قيل: سيعرفون وقت مَعاصيهم التي تجعل الأغلال في أعناقهم، وهو وجه واضح، غاية ما فيه التصرف في (إذ) بجعلها مفعولاً بها، ولا يضرُّ ذلك؛ فإنَّ المعربين غالِب أوقاتهم يَقولون: منصوب بـ(اذكر) مقدراً، ولا يكون حينئذ إلا مفعولاً به؛ لاستحالة عمَل المستقبل في الزمن الماضي، وجوَّزوا أن يكون منصوباً بـ(اذكر) مقدراً؛ أي: اذكر لهم وقت الأغلال لِيَخافوا وينزجروا. انظر «الدر المصون» (٩/ ٤٩٥).

﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ﴾ ....

أو خبره ـ: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ أي: يُجرُّون بها ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ أي: جهنَّم، ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: يُوقَدُون.

(﴿٧٣﴾ - ﴿٧٦﴾) ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تبكيتاً: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ معه وهي الأصنامُ؟ ﴿قَالُوا ضَلُّوا﴾: غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم، ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾ أنكرُوا عِبادَتَهم إيَّاها، ثُمَّ أُحضِرَت، قال تَعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أي: وَقُودُها، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مِثل إضلالِ هؤلاءِ

حاشية الصاوي

قوله: (أو خبره ﴿يُسْحَبُونَ﴾) أي: وعليه فالرابط محذوفٌ، قدَّره بقوله: (بها)، فتحصَّل أنَّ المعنى: أنَّ الأغلال والسلاسل تكون في أعناقهم ويُسحَبون في جهنم على وجوههم، وهذا على الإعرابين الأوَّلين، وعلى الثالث فالمعنى: أنَّ الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، ويسحبون في جهنم، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (أي: جهنم) وقيل: الحميمُ: الماءُ الحارُّ.

قوله: (﴿يُسْجَرُونَ﴾) أي: يعذَّبون بأنواع العذاب.

قوله: (﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾) التعبير بالماضي لتحقُّق الوقوع.

قوله: (﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾) ترسم (أينَ) مفصولة من (ما).

قوله: (وهي الأصنام) تفسير لـ(ما).

قوله: (﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾) هذا في أوَّل الأمر يتبرَّؤون من عبادة الأصنام؛ لرجاء أنه ينفعهم، فهو إضرابٌ عن قوله: ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾، وهذا قبل أن تُقْرَنَ بهم آلهتُهم.

قوله: (ثم أحضرت) جوابٌ عمَّا يقال: إن حملَ الآية على هذا الوجه يخالف قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، فأجاب: بأنهم أوَّلاً تضل عنهم آلهتهم ويتبرَّؤون، ثم تُحْضَرُ وتُقْرَن بهم.

يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ....

المُكذِّبين ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ويُقالُ لَهُم أيضاً: ﴿ذَٰلِكُم﴾ العَذابُ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ مِنَ الإشراكِ وإنكارِ البَعثِ، ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تَتوسَّعُون في الفَرَح. ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مَأوَى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿٧٧﴾ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بِعَذابِهِم ﴿حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ ـ فِيه (إنْ) الشَّرطِيَّة مُدغَمة و(ما) زائِدة تُؤكِّد مَعنى الشَّرط أوَّلَ الفِعل، والنُّون تُؤكِّدُ آخِرَه ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ويقال لهم أيضاً) أي: توبيخاً.

قوله: (تتوسعون في المعاصي) أي: تُظهرون السرورَ في الدنيا بالمعصيةِ وكثرةِ المال وضياعِهِ في المحرَّمات، فالمرحُ: شدَّةُ الفرح، وهو وإن كان ذمًّا في الكفار يجرُّ بذيله على كلِّ مَنْ توسَّع في معاصي الله، فله من هذا الوعيد نصيبٌ.

قوله: (﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾) عطف على قوله: ﴿ذَٰلِكُم.. إلخ﴾، داخلٌ في حيِّز القول المقدَّر.

قوله: (﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾) لم يقل: فبئس مدخَل المتكبرين؛ لأنَّ الدخول لا يدوم، وإنما يدوم الثَّواءُ؛ ولذا خصَّه بالذَّم.

قوله: (﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾) هذا تسليةٌ من الله لنبيِّه ﷺ، ووعدٌ حسنٌ بالنصر له على أعدائه.

قوله: (بعذابهم) أي: وسمي وعداً بالنظر لكونه نصراً للنبي، فهو في الحقيقة وعدٌ ووعيدٌ.

قوله: (فيه) خبر مقدَّم، و(إن) الشرطيَّة مبتدأ مؤخَّر، وقوله: (مدغمة) حال من (إن)، ولم يذكر المدغم فيه، وهو (ما) الزائدة، وقوله: (تؤكد معنى الشرط) أي: التعليق، وقوله: (أول الفعل) حال من (ما) الزائدة، والمعنى: حال كونها واقعةً في أوَّل فعل الشرط، وقوله: (والنون تؤكِّد) أي: تؤكد الفعل، فحذف المؤكَّد بالفتح، وقوله: (آخره) حالٌ من النون؛ أي: حال كونها واقعةً في آخر الفعل، فتحصَّل أنَّ هنا مؤكِّدين ـ بالكسر ـ وهما: (ما) والنون، ومؤكَّدين ـ بالفتح ـ وهما: التعليق، وفعل الشرط.

بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ ....

﴿بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ﴾ بِه مِن العَذاب في حَياتِك، ـ وجَواب الشَّرط مَحذوفٌ أي: فذاكَ ـ ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أي: قبلَ تَعذِيبِهم، ﴿فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ فنُعَذِّبهُم أشَدَّ العَذابِ، فالجوابُ المَذكُور لِلمَعطُوفِ فقَط.

﴿٧٨﴾ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ﴾) مفعول ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ الثاني، والكاف: مفعول أول.

قوله: (وجواب الشرط) أي: الأول.

قوله: (﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾) عطف على قوله: ﴿نُرِيَنَّكَ﴾.

قوله: (فالجواب المذكور للمعطوف فقط) أي: ولا يصح أن يكون جواباً عن الأول؛ لأنَّ من المعلوم أنَّ جواب الشرط مسبَّب عن فعله، ولا يحسن أن يكون انتقام الله منهم في الآخرة مسبَّباً عن رؤية النبي ﷺ تعذيبهم في الدنيا. وفي الحقيقة: قوله: ﴿فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ دليلُ الجواب، والجواب محذوف أيضاً، والتقدير: فلا يفوتهم.

قوله: (﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾... إلخ) هذا تسليةٌ له ﷺ، كأنَّ الله تعالى يقول له: إنا قد أرسلنا من قبلك رسلاً، وآتيناهم معجزات، وجادلهم قومهم، وصبرُوا على أذاهم، فتأسَّ بهم. وقوله: ﴿رُسُلٗا﴾ المراد بهم: ما يَشمل الأنبياء.

قوله: (﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾) أي: ذكَرنا لك قصصهم وأخبارهم في القرآن، وهم خمسة وعشرون.

قوله: (﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾) أي: لم نذكر لك قِصصهم؛ تخفيفاً ورحمةً بأمَّتك؛ لئلا يعجزُوا عن حفظه، وبهذا التقرير اندفع ما قد يتوهَّم أنَّ النبي ﷺ مُساوٍ لأمَّته في عدم عِلم ما عدا الخمسة والعشرين، فتحصَّل أن النبي ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى علم جميع الأنبياء تفصيلاً، كيف لا وهم مخلوقون منه، وصلَّوا خلفَه ليلة الإسراء في بيت المقدس؟ ولكنَّه من العلم المكتوم، وإنما ترك بيان قِصصهم للأمة؛ رحمةً بهم، فلم يكلِّفهم إلا بما يطيقون.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ ....

رُوِيَ أَنَّهُ تَعالى بَعَثَ ثَمانِيَةَ آلافِ نَبيٍّ، أربَعة آلاف نَبيٍّ مِن بَنِي إسرائِيل، وأربَعةُ آلاف مِن سائِرِ النَّاس، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ مِنهُم ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لِأَنَّهُم عَبِيد مَربُوبُون، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ بِنُزُولِ العَذاب على الكُفَّار ﴿قُضِىَ﴾ بَين الرُّسُل ومُكذِّبِيها ﴿بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: ظَهَر القَضاءُ والخُسرانُ لِلنَّاس، وهُم خاسِرُون في كُلِّ وقت قبلَ ذلك.

حاشية الصاوي

قوله: (روي) في عبارة غيره: (قيل)، والصحيح: ما روي عن أبي ذرٍّ قال: قلت: يا رسول الله؛ كم عدَّةُ الأنبياء؟ قال: «**مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً؛ الرسلُ من ذلك ثلاث مئة وخمسة عشر، جمًّا غفيراً**»[١].

قوله: (﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾) أي: ما صحَّ وما استقام.

قوله: (﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾) أي: بإرادته.

قوله: (مربوبون) أي: مَملوكون، والمملوك لا يستطيع أن يأتي بأمرٍ إلا بإذن سيِّده، وهذا ردٌّ على قريش؛ حيث قالُوا للنبي ﷺ: اجعل لنا الصفا ذهباً، وغير ذلك مما تقدَّم تفصيله في سورة (الإسراء)[٢].

قوله: (﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾) أي: حُكمه وقضاؤه، والمعنى: ظهر وبرز حكمَةُ بنزول العذاب بهم.

قوله: (﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾) الحكمة في خَتم هذه الآية بـ(المبطلون)، وختم السورة بـ(الكافرون): أنَّه ذكر هنا الحقَّ، فكان مُقابلته بالباطل أنسبَ، وهناك ذكر الإيمان، فكان مقابلته بالكفر أنسبَ.

قوله: (أي: ظهر القضاء... إلخ) دفع بذلك ما يقال: إنهم خاسرون من قبل يوم القيامة، فأجاب: بأنَّ المراد: ظهرَ الأمرُ الذي كان مخفيًّا.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦٦).

(٢) انظر (٤/ ٨٣-٨٥).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾

(﴿٧٩﴾ - ﴿٨١﴾) ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ قِيلَ: الإبِلَ خاصَّةً هُنا، والظاهرُ والبَقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ مِن الدَّرِّ والنَّسلِ والوَبَر والصُّوف، ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ هي حَملُ الأثقال إلى البِلادِ، ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البَرِّ ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾: السُّفُن في البَحر ﴿تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدَّالَّةِ على وَحدانِيَّتِه ﴿تُنكِرُونَ﴾؟ ـ استِفهام تَوبِيخ، وتَذكِيرُ (أيِّ) أشهَرُ مِن تأنيثِه ـ.

(﴿٨٢﴾ - ﴿٨٣﴾) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ......

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: الإبل خاصة) أي: لأنها هي التي يوجد فيها المنافع الآتية.

قوله: (﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾... إلخ) هذه الآية نظير قوله تعالى في (النحل): ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ...﴾ الآية [النحل: ٥].

قوله: (﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البرِّ... إلخ) أفرد الحمل عمَّا قبله؛ لكونه مزية عظيمة، وقرن بينها وبين الفلك؛ لِما بينهما من شدَّة المناسبة، حتى سمِّيت الإبلُ سفائنَ البرِّ.

وعبَّر بالاستعلاء هنا في جانب الفلك، وفي قصة نوح عبَّر بالظرفية حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ [هود: ٤١]؛ لما قيل: إن سفينة نوح كانت مُغطَّاة، فظاهرها كباطنها، فالخلق مظروفون فيها، وما عداها فالشَّأنُ فيها أنها غيرُ مغطَّاة، فالخلق على ظاهِرها.

قوله: (﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾... إلخ) «أيَّ»: منصوب بـ﴿تُنكِرُونَ﴾، قُدِّم لكونه له صدر الكلام.

قوله: (وتذكيره أشهَر مِن تأنيثِه) أي: فلم يَقل: أيَّة آيات الله؟ وذلك لأنَّ التفرقة في الأسماء الجامدة بين المؤنث والمذكر غريب، وهي في (أيّ) أغربُ؛ لإبهامها.

قوله: (﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوٓا۟﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أعجزُوا فلم يَسيروا... إلخ؟، والاستفهام إنكاري، وتقدَّم نظيرُهُ غيرَ مرَّة.

كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ....

كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن مَصانِعَ وقُصُور، ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجِزاتِ الظّاهِرات ﴿فَرِحُواْ﴾ أي: الكُفارُ ﴿بِمَا عِندَهُم﴾ أي: الرُّسُل ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ فرَحَ استِهزاء وضَحكٍ، مُنكِرِين له، ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذابُ.

(﴿٨٤﴾ - ﴿٨٥﴾) ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ أي: شِدَّةَ عَذابِنا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ - نَصبُه على المَصدَر بِفِعلٍ مُقدَّرٍ مِن لَفظِه - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾) كلامٌ مستأنفٌ مبيِّنٌ لمبدأ أحوالهم وعواقبها.

قوله: (﴿وَءَاثَارًا﴾) عطف على ﴿قُوَّةً﴾.

قوله: (مِن مصانع) أي: أماكن تخزن فيها المياه كالصهاريج.

قوله: (والقُصور) أي: الأماكن المرتفعة.

قوله: (﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾) (ما) الأُولى: نافية أو استفهامية، والثانية: موصولة أو مصدرية.

قوله: (فرحَ استهزاء) أي: سخريةٍ؛ حيث لم يَأخذوه بالقبول، ويَمتثلُوا أمر الله، ويجتنبُوا نواهيه، يدلُّ على هذا المعنى قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

قوله: (أي: العذاب) أي: فكانُوا يَعِدُونهم به لو لم يُؤمنُوا، فيستهزئون بالعذاب الموعود به، قال تعالى حكاية عن أهل مكة: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٢].

قوله: (﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾) أي: في الدنيا.

قوله: (بفعل مُقدَّر من لفظه) أي: والتقدير: سنَّ الله تعالى بهم سنَّة مَنْ قبلهم.

﴿ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾

﴿ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾: في الأُمَم أن لا يَنفَعُهُم الإيمانُ وقتَ نُزُول العَذابِ، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: تَبيَّنَ خُسرانُهم لِكُلِّ أحَد، وهُم خاسِرُونَ في كُلِّ وقتٍ قبلَ ذلك.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

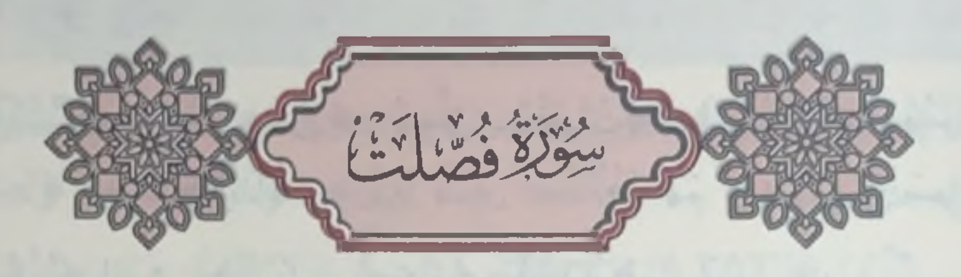
قوله: (﴿ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ﴾) أي: مضَت وسبقت.

قوله: (﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾) أي: وقت رؤيتهم العذاب.

قوله: (تبيَّن خُسرانهم) أي: ظهر ما كان خافياً، وهو جوابٌ عن سؤال مقدَّر كالذي قبله.

✿ ✿ ✿

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ....



مَكيَّة، ثلاثٌ وخمسونَ آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿حمٓ﴾ الله أعلَمُ بِمُرادِهِ بِه. ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ - مُبتَدأ - ﴿كِتَٰبٌ﴾ - خبرُه - ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: بُيِّنَت بالأحكامِ والقِصَص والمَواعِظ ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ فُصِّلَتْ

مبتدأ، و(ثلاث وخمسون آية) خبرٌ أول، و(مكيَّة) خبر ثانٍ، وتسمَّى أيضاً: سورة حم السجدة، وسورة المصابيح، وسورة السجدة.

قوله: (الله أعلم بِمُراده به) تقدَّم غيرَ مرَّة أنَّ هذا القولَ أسلمُ.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾) خصَّ هذين الاسمين؛ إشارةً إلى أنَّ نزول القرآن من أكبر النِّعم، ولا شكَّ أنَّ النِّعم من مَظهر تجلِّي الرحمة، فالقرآن نعمةٌ باقيةٌ إلى يوم القيامة.

قوله: (مبتدأ) أي: وسوَّغ الابتداء به عملُه في الجارِّ والمجرور بعده على حدِّ: ورغبةٌ في الخيرِ خيرٌ.

قوله: (﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرُه) أي: و﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ نعتٌ للخبر.

قوله: (بيِّنت بالأحكام) أي: ميِّزت ووضِّحت لفظاً ومعنى؛ فاللفظ في أعلى طبقات البلاغة، مُعجزٌ لجميع الخلق، والمعنى كالوعد والوعيد والقصص والأحكام وغير ذلك من المعاني المختلفة، فإذا تأمَّلت في القرآن تَجد بعض آياته متعلِّقاً بذات الله وصفاته، وبعضها متعلِّقاً بعجائب خَلقه من السماوات والأرض وما فيهما، وبعضها متعلِّقاً بالمواعظ والنصائح وغير ذلك، قال البُوصيري في ذلك المعنى[1]: [البسيط]

فلا تُعَدُّ ولا تُحْصَى عَجَائِبُهَا ... ولا تُسَامُ مِنَ الإكـثَارِ بالسَّأَمِ

(١) كما في قَصيدته «البُردة» المشهورة.

لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ ....

ـ حالٌ مِن ﴿كِتَٰبٌ﴾ بِصِفتِه ـ ﴿لِّقَوۡمٖ﴾ ـ مُتعلِّق بـ﴿فُصِّلَتۡ﴾ ـ ﴿يَعۡلَمُونَ﴾: يَفهَمُون ذلك وهُم العرَبُ، ﴿بَشِيرٗا﴾ ـ صفةُ ﴿قُرۡءَانًا﴾ ـ ﴿وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ سَماعَ قَبُول.

﴿٥﴾ ﴿وَقَالُواْ﴾ لِلنبيِّ: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾: أَغطِيَة ﴿مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (حالٌ من ﴿كِتَٰبٌ﴾) أي: كلٌّ من ﴿قُرۡءَانًا﴾ و﴿عَرَبِيّٗا﴾، فتكون حالاً مؤسِّسة، ويصح أن يكون الحال لفظ ﴿قُرۡءَانًا﴾ و﴿عَرَبِيّٗا﴾ صِفته.

قوله: (بصفته) أي: الكتاب، والمعنى: أنَّ المسوِّغَ لمجيء الحال منه مع كونه نكرةً وصفُهُ بما بعده.

قوله: (مُتعلق بـ﴿فُصِّلَتۡ﴾) أي: والمعنى: بُيِّنت ووضِّحت لهؤلاء.

قوله: (يَفهمون ذلك) أي: تفاصيل آياته.

قوله: (وهُم العرب) أي: وإنما خُصُّوا بالذكر؛ لأنهم يفهمونها بلا واسطة؛ لكون القرآن نزل بلغتهم، وأمَّا غيرهم.. فلا يفهم القرآن إلا بِواسطتهم.

قوله: (صفة ﴿قُرۡءَانًا﴾) ويصح أن يكونا حالين من ﴿كِتَٰبٌ﴾، وهذا على قراءة الجمهور، وقرئ شذوذاً على أنه خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو بشيرٌ ونذيرٌ، أو نعت لـ﴿كِتَٰبٌ﴾[1].

قوله: (﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ﴾) أي: تكبُّراً وعناداً، واستفيد منه: أنَّ الأقلَّ لم يُعْرِضْ، بل خضع وانقاد وآمَن، وذلك كأبي بكر وأضرابِه.

قوله: (﴿وَقَالُواْ﴾) معطوفٌ على ﴿فَأَعۡرَضَ﴾، وقوله: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ جمع كِنان، وهو ما تجعل فيه السهام، ويسمَّى جَعْبَةً ـ بفتح الجيم ـ ويجمع على: جِعَابٍ.

قوله: (﴿مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾) «ما»: واقعة على التوحيد، والفعل مرفوع بضمَّة مقدَّرة على الواو، والفاعل مستتر تقديره: أنتَ، و(ما): مفعوله.

---

(١) وبالرفع قرأ زيد بن علي. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٠٦).

وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ....

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾: ثِقَلٌ، ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾: خِلافٌ في الدِّين، ﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ على دِينِك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ على دِينِنا.

(٦ - ٨) ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ بالإيمانِ والطاعةِ، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ﴾ ـ كلمةُ عَذابٍ ـ ﴿لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾) شبَّهُوا أسماعهم بآذانٍ فيها صَمَمٌ من حيث إنها تمجُّ الحقَّ ولا تميل إلى استماعه.

قوله: (﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾) «مِن»: لابتداء الغاية، والمعنى: أنَّ الحجاب ناشئٌ من جِهتنا، فلا نستطيع التوصُّل لما عندك، والحجاب ناشئٌ من جهتك، فلا تستطيع التوصُّل لما عندنا، فنحن معذورون في عدم اتِّباعك؛ لوجود المانع من جهتنا ومن جِهتك.

قوله: (خلاف) أي: مخالفةٌ في الدين.

قوله: (﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ على دينك) أي: استمرَّ عليه، وقوله: (﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾) أي: مستمرُّون على ديننا.

قوله: (﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾) هذا ردٌّ لما زعمُوا من الحجاب، كأنَّه قال: دعواكم الحجابَ باطلةٌ لا أصل لها؛ لأني بشرٌ من جنسكم، تعرفون حالي وطبعي، وأعرف حالكم وطبعكم، فلست مغايراً لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتبايُن، ولست بداعٍ لكم إلى شيء لا تقبله العقول والأسماع، بل أنا داعٍ لكم إلى توحيد خالقكم ومُوجِدكم الذي قامت عليه الأدلة العقليَّة والنقليَّة.

قوله: (﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾) ضمَّنه معنى (توجَّهوا) فعدَّاه بـ(إلى).

قوله: (﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾) أي: مما أنتم عليه من سوء العقيدة، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الاستقامة لا تتمُّ إلا بالاستغفار والنَّدم على ما مضى؛ بحيث يكره أن يعود للكفر كما يكره الوقوع في النَّار.

قوله: (﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ، وسوَّغ الابتداءَ به قصدُ الدُّعاء.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ قُلْ أَئِنَّكُمْ ....﴾

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ﴾ ـ تـأكـيـدٌ ـ ﴿كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: مقطُوع.

۝٩ ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزةِ الثَّانية، وتَسهيلِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾) إنما خصَّ منْعَ الزكاة، وقَرَنَهُ بالكفر بالآخرة؛ لأنَّ المال أخو الروح، فإذا بذَله الإنسان في سبيل الله. . كان دليلاً على قُوَّته وثباته في الدين، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥] أي: يثبِّتون أنفسهم؛ ولذا كان ﷺ يُؤلِّف حديث العهد بالإيمان بالمال، وقاتل أبو بكر مانعي الزكاة بعد وفاته ﷺ؛ ففي هذه الآية تخويفٌ وتحذيرٌ للمؤمنين من منع الزكاة، وتحضيضٌ على أدائها.

وقال ابن عباس: هم الذين لا يقولون: لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهِّرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد.

فإن قلت: على تفسير الجمهور يُشكل بأن الآية مكيَّة، والزكاة فُرضت بالمدينة، فلم يكن هناك أمرٌ بالزكاة حتى يذمَّ مانعها. **والجواب**: أن المراد بالزكاة: صرفُ المال في مراضي الله.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. . . إلخ) ذكر تعالى وعدَ المؤمنين إثر وعيد المشركين؛ جرياً على عادته سبحانه وتعالى في كتابه.

قوله: (﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع) أي: بل هو دائمٌ مستمرٌّ بدوام الله، وهذا أحد تفاسير في هذه الآية، وقيل: غير منقوص، وقيل: غير مَمنون به عليهم؛ فلا يعدد الله ولا ملائكته عليهم النِّعم في الجنة ويَطلبهم بشكرها؛ لانقطاع التكليف بالموت، وأيضاً: نفوس أهل الجنة مطهَّرة فلا تزال تشكر الله تعالى وإن كان غيرَ مطلوبٍ منهم؛ تَلذذاً وفرحاً بنعم الله تعالى، ولأنَّ الجنة دار ضيافة مَولانا تعالى، والكريم لا يُعَدِّد نعمَهُ على أضيافه.

قوله: (﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾) قدَّم الاستفهام على التأكيد؛ لأنَّ له صدرَ الكلام، وهو استفهامُ إنكارٍ وتشنيع، و(إنَّ) واللام لتأكيد الإنكار، والمعنى: أنتم تعلمون أنه لا شريكَ له في العالم العُلوي والسفلي؛ فكيف تجعلون له شريكاً من النوع الإنساني؟!

لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ....

وإدخالِ ألِف بَينها بِوَجهَيها وبين الأُولى - ﴿لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ الأحدِ والاثنين، ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: شُركاءَ، ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ﴾: مالِكُ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جمعُ عالَم وهو ما سِوى الله، وجُمِع لاختِلاف أنواعِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (وإدخال ألف. . . إلخ) المناسب أن يقول: (وتركه)؛ لأن القراءات السبعيَّة هنا أربعٌ، لا اثنتين كما يُوهمه كلامه[١].

قوله: (﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾) قال ابن عباس: إنَّ الله خلق يوماً فسمَّاه يوم الأحد، ثم خلق ثانياً فسمَّاه الاثنين، ثمَّ خلق ثالثاً فسمَّاه الثَّلاثاء، ثمَّ خلق رابعاً فسمَّاه الأربعاء، ثمَّ خلق خامساً فسمَّاه الخميس، فخلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق مواضع الأنهار والشجر والقُرى يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحوش والسباع والهوامَّ والآفة يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، وفرغ من الخلق يوم السبت[٢]. وهذا هو الصحيحُ، وقد مشى عليه المفسِّر، وقيل: إنَّ مبدأ الخلق السبت[٣].

قوله: (﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾) عطفٌ على ﴿تَكْفُرُونَ﴾ عطفَ سببٍ على مسبَّب.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) اسم الإشارة عائدٌ على الموصول، وأتى بالخطاب مفرداً؛ إشارةً إلى أنَّ المخاطب فردٌ غير مُعيَّن.

قوله: (وجُمِعَ. . . إلخ) جوابُ عمَّا يقال: إنه جنسٌ يصدق على كلِّ ما سوى الله، والجمع لا بدَّ أن يكون له أفرادٌ ثلاثة فأكثر، فأجابَ: بأنه جُمِعَ باعتبار أنواعه.

---

(١) قرأ قالون وأبو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام، وأدخلُوا بين الهمزة المحققة والمسهلة ألفاً، وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير إدخال، والباقون بِتَحقيقهما من غير إدخال. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٠٥).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٥٠)، وفيهما بعد خلق الجبال يوم الثلاثاء: (ولذلك يقول الناس: إنه يوم ثقيل).

(٣) كما في «صحيح مسلم» (٢٧٨٩) عن سيدنا أبي هريرة، قال: أخَذ رسول الله ﷺ بيَدي فقال: «خلق الله عزَّ وجلَّ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثَّ فيها الدوابَّ يوم الخميس، وخلَق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخِر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العَصر إلى الليل».

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ....

بِالياء والنون تَغليباً لِلعُقلاء.

﴿١٠﴾ ﴿وَجَعَلَ﴾ - مُستأنف، ولا يَجوزُ عَطفُه على صِلة (الذي) لِلفاصل الأجنبيِّ - ﴿فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جِبالاً ثَوابتَ ﴿مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ بِكَثرةِ المِياه والزُّرُوع والضُّرُوع، ﴿وَقَدَّرَ﴾: قَسم ﴿فِيهَآ أَقْوَاتَهَا﴾ لِلناس والبَهائمِ ﴿فِيٓ﴾ تمامِ ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: الجَعل وما ذُكر معَه

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والنون) إشارة لسؤال آخر؛ فلو أتى بالواو.. لكان أوضح، وحاصِل هذا السؤال: أنَّ هذا الجمعَ خاصٌّ بالعقلاء، والعالم غالبه غير عاقل، فأجاب بقوله: (تغليباً... إلخ).

قوله: (مستأنف... إلخ) هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترَضَةٌ بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمل المعترضة، ولا يقال: إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صِلتَه، ويغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع، فالأولى إسقاط هذه العبارة كما هو في بعض النسخ، وقوله: (للفاصل) أي: وهو قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ... إلخ﴾؛ فإنه معطوف على ﴿تَكْفُرُونَ﴾، فليس من أجزاء الصِّلة.

قوله: (﴿مِن فَوْقِهَا﴾) الحكمة في قوله: ﴿مِّن فَوْقِهَا﴾: أنه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها.. لتوهم أنها هي التي أمسكتها عن النزول، فجعل الله الجبال فوقها؛ ليعلم الإنسان أن الأرض وما عليها ممسوكٌ بقدرة الله تعالى.

قوله: (﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا﴾) قال محمد بن كعب: (قدَّر الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان)[١]، فخصَّ كلَّ قوتٍ بقُطر من الأقطار، وأضاف القوت إلى الأرض؛ لكونه متولداً منها وناشئاً فيها، وذلك أنه تعالى جعل كلَّ بلدة مُعَدَّةً لنوع من الأشياء المطلوبة، حتى إن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء الموجودة في تلك البلد وهكذا، فصار ذلك سبباً لرغبة الناس في التجارات واكتساب الأموال، وجميعُ ما خلقه الله لا يَنقص عن حاجة المحتاجين ولو زادت الخلق أضعافاً، وإنما ينقص توصُّل بعضهم إليه، فلا يجد له ما يَكفيه، وفي الأرض أضعاف كِفايته.

قوله: (﴿فِيٓ﴾ تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف؛ دفعاً لما يتوهم أنَّ الأيام ثمانية: يَومان في خلق الأرض، وأربعة في خلق الأقوات، ويومان في خلق السماوات، فيُنافي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: ٣٨].

(١) انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٠٥).

سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ......

في يوم الثُّلاثاء والأربعاءِ، ﴿سَوَآءً﴾ ـ منصوبٌ على المصدَر ـ أي: استوتِ الأربعةُ استواءً لا تَزيد ولا تَنقُص، ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن خَلقِ الأرضِ بِما فيها.

﴿١١﴾ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾: قصَد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾: بُخارٌ مُرتَفِعٌ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ إلى مُرادي مِنكُما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ ـ في مَوضع الحال ـ أي: طائعَتَين أو مُكرَهَتَين، .....

حاشية الصاوي

والحكمةُ في تقدير هذه المُدَّة مع أنه تعالى قادرٌ على خلق كلٍّ في قدر لَمحة: تعليمُ العباد التمهُّلَ والتأنِّيَ في الأمور، والبعدَ من العجلة.

قوله: (في يوم الثلاثاء) بفتح الثاء وضمِّها.

قوله: (﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾) متعلق بـ﴿سَوَآءً﴾، والمعنى: مُستوية للسائلين؛ أي: جواب السائلين فيها سواءٌ، لا يتغيَّر لسائل بزيادةٍ ولا نقصٍ.

قوله: (قصَد إلى السماء) أي: أراد، والمعنى: تعلَّقت إرادته بخلق السماوات.

قوله: (﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾) المرادُ به: بخارُ الماء، وذلك أنَّ العرش كان على الماء قبل خَلق السماوات والأرض، ثمَّ أحدث الله في ذلك الماء اضطراباً، فأزبَد وارتفع، فبقي على وجه الماء، فخلق منه اليُبوسة وأحدث منه الأرض.

قوله: (﴿فَقَالَ لَهَا﴾... إلخ) اختلف في قول الله لِلأرض والسماوات وجوابهما له؛ فقيل: هو حقيقة، وأجابَتا بلسان المقال، ولا مانع منه؛ لأنَّ القادر لا يُعجزه شيءٌ، فخلق فيهما الحياة والعقل والكلام وتكلمتا، ويُؤيِّده ما رُوِيَ: أنه نطق من الأرض مَوضع الكعبة، ونطق من السماء بحذائها، فوضع الله فيهما حرمه[١].

وقيل: إن معنى القول في حقِّ الله تعالى ظهورُ تأثير قدرته، وكِلاهما[٢] كناية عن الطاعة والانقياد.

---

(١) عزاه الماوردي في تفسيره «النكت والعيون» (٥/ ١٧٣) إلى أبي النَّصر السكسكي.

(٢) كذا في الأصول، ولعلها: (وكلامهما)، ويُوضحه ما عند غيره من المفسرين: (وفي قولهما وجهان: أحدهما: أنه ظهور الطاعة منهما حيث انقادًا وأجابا.. قائمٌ مقام قولهما، الثاني: أنهما تكلمتا بذلك). انظر «تفسير القرطبي» (١٨/ ٣٩٧).

قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ....

﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا﴾ بِمَن فِينا ﴿طَآئِعِينَ﴾ فيه تغليبُ المذكَّرِ العاقل، أو نُزِّلَتا لِخطابِهما مَنزِلَته.

﴿١٢﴾ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ - الضَّمِيرُ يَرجِع إلى السَّماء لأنَّها في مَعنَى الجمعِ الآيِلةِ إليه - أي: صَيَّرها ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ الخميسِ والجمعةِ، فرَغ مِنها في آخِر ساعةٍ منه، وفيها خَلق آدمَ، ولِذلك لم يَقُل هُنا: سواء، ووافَق ما هُنا آياتِ خَلقِ السَّماوات والأرض في سِتَّة أيام، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيه تغليبُ المُذكر العاقل) أي: حيث جمعُوا جمعه.

قوله: (﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾) تفصيل لتكوين السماء.

قوله: (أي: صيَّرها ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ (قضى) مُضمَّنٌ معنى (صيَّر) فـ﴿سَبْعَ﴾ مفعول به[1].

قوله: (وفيها خلَق آدم) ظاهره: أنَّ آدم خلق في نفس اليوم الذي خُلقت فيه السماوات، وهو خلاف المشهور من أنَّ بين خلق آدم وخلقِها ألوفاً من السنين.

وأجيب: بأنَّ المراد: أنه خلق في مثل ذلك اليوم؛ كما تقول: ولد محمد يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين.

قوله: (ووافَق ما هنا... إلخ) أي: بتقدير المضاف السابق، والمشهور: أنَّ الأيام الستة بقدر أيام الدنيا، وقيل: كلُّ يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا، فتكون الستة أيام بقدر ستة آلاف سنة.

إن قلتَ: إنَّ اليوم عبارة عن الليل والنهار، وذلك يحصل بطلوع الشمس وغرُوبها، وقبل خلق السماوات لا يُعقل حصول اليوم فضلاً عن تسميته بالأحد ونحوه.

أجيب: بأنَّ الله تعالى قدَّر مِقداراً خلق فيه الأرض وسمَّاه الأحد والاثنين، ومقداراً خلق فيه الأقوات وسمَّاه الثلاثاء والأربعاء، وهكذا، فالتسمية لِلمقادير التي خلقت فيها تلك الأشياء.

---

(١) ويجوز أن يكون منصوباً على الحال من مفعول (قضاهن) أي: قضاهنَّ مَعدودة، و(قضى) بمعنى: صنَع، وأن يكون تمييزاً، قال الزمخشري: «ويجوز أن يكون ضميراً مُبهماً مفسراً بـ(سبع سماوات) على التمييز» يعني بقوله: «مبهماً»: أنه لا يعود على السماء؛ لا من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى، بخلاف كونه حالاً أو مفعولاً ثانياً، وأن يكون بدلاً من (هن) في (فقضاهن). قاله مَكي. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥١٣).

وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا ....

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر بِه مَن فيها مِن الطاعةِ والعِبادةِ، ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: بِنُجُوم ﴿وَحِفْظًا﴾ ـ مَنصوبٌ بِفِعله المُقدَّر ـ أي: حَفِظناها مِن استِراق الشَّياطِين السمعَ بِالشُّهُب، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلكِه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بِخَلقِه.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ أي: كُفارُ مَكةَ عن الإيمانِ بعد هذا البَيانِ ....

حاشية الصاوي

بقي شيءٌ آخرُ، وهو أنَّ ما هنا يقتضي أنَّ الأرض خلقت قبل السماوات، فيخالف آية (النازعات) المفيدة أنَّ الأرض خُلقت بعد السماوات، قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

وأجيب: بأنَّ الله تعالى خَلق الأرض أوَّلاً في يومين كُرويَّة، ثم خلق بعدها السماء، ثم بعد خلق السماء دحَا الأرض وبسَطها، فخلق الجميع في ستة أيام، والدحي[١] بعد ذلك، فلا تناقُض، واستشكل ذلك الرازيُّ، وأجاب عنه بما لا طائلَ تحته[٢].

قوله: (﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾) الوحي كنايةٌ عن التَّكوين.

قوله: (الذي أمر به من فيها.. إلخ) وقيل: المعنى: خلق فيها شمسَها وقمرها ونجومها وأفلاكها، وخلق في كلِّ سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البِحار وجبال البَرَدِ والثلج.

قوله: (بفعله المقدَّر) أي: وهو معطوف على ﴿زَيَّنَّا﴾.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكور بتَفاصيله.

قوله: (﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾) مرتَّبٌ على قوله فيما تقدَّم: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ.. إلخ﴾، والمعنى: بيِّن يا محمد لقومك طريق الرشاد، وأظهِر لهم الحججَ القاطعةَ الدَّالةَ على ذلك، فإن أعرضُوا بعد إقامة الحُجَج وبيان الهدى.. فخوِّفْهم بعذابٍ مثل عذاب مَنْ تقدَّمهم من الأُمَم؛ لأنه جرَت عادة الله تعالى

---

(١) كذا في الأصول، وهي لغةٌ في الدَّحْو، قال في «المصباح»، مادة (د ح ي): (دحا الله الأرض يَدحوها دَحواً: بسَطها، ودحاها يَدحاها دَحياً لغةٌ).

(٢) انظر «مفاتيح الغيب» (٢٧/ ٤٥٧).

﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ....

﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾: خوَّفتُكُم ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي: عذاباً يُهلِكُكم مِثلَ الذي أهلَكَهُم، ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

ألَّا يعذب أمَّةً إلا بعد طلوع شمس الحقِّ لهم، وإعراضِهم عنه، وفي قوله: ﴿أَعْرَضُوا﴾ التفاتٌ من خطابهم بقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ إلى الغيبة؛ إشارةً إلى أنهم كما أعرضُوا جُوزُوا بالإعراض والالتفات من خِطابهم؛ لأنَّ الخطاب شأنُ مَنْ يُرْجَى إقبالُهُ، وهم ليسُوا كذلك.

قوله: (﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾) عبَّر بالماضي؛ إشارةً إلى تحقيقه وحُصوله.

قوله: (﴿صَٰعِقَةً﴾) هي في الأصل: الصيحة التي يَحصل بها الهلاك، أو قطعةُ نارٍ تنزل من السماء، معها رعدٌ شديدٌ، والمراد هنا: العذاب المهلِك، وقرئ شذوذاً: (صعقة) بغير ألف مع سكون العين في الموضعَين[(١)].

وقوله: ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ التَّشبيهُ في مُطلق الهلاك وإن كان هلاك عاد وثمود عامًّا، وهلاكُ هذه الأمَّةِ خاصٌّ ببعض أفرادهم، فهو تَشبيه جزئيٍّ بكلِّيٍّ، وبهذا اندفع ما قد يقال: إنَّ العذاب العامَّ لا يأتي لهذه الأمَّة؛ لما وَرد في الأحاديث الصحيحة مِن أمن الأمَّة من ذلك[(٢)].

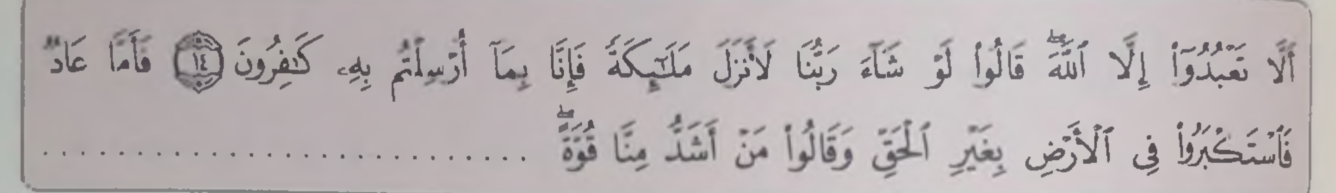
وأجيب أيضاً: بأنه لا يَلزم من التخويف الحصولُ بالفعل، وحينئذ فالمعنى: أنتم ارتكبتُم أموراً تستحقُّون عليها ما نزل بعادٍ وثمود.

قوله: (﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ﴾) ظرف لـ﴿صَٰعِقَةِ﴾ الثانية، والمعنى: صَعقتهم وقت مجيء رسلهم إليهم، والضمير في ﴿جَآءَتْهُمُ﴾ عائدٌ على عاد وثمود، وقوله: (﴿ٱلرُّسُلُ﴾) المراد بهم: هود وصالح ومَنْ قبلهما من الرسل، وهم نُوح وإدريس وشيث وآدم، لكن مجيءُ هود وصالح لهاتين القبيلتين حقيقيٌّ، ومجيءُ مَنْ قبلهما لهاتين القبيلتَين باعتبار اللازم؛ لأنَّ كلَّ رسولٍ قد جاء بالتوحيد، وتكذيبُ واحدٍ تكذيبٌ للجميع.

---

(١) وهي قراءة ابن الزبير والنخعي والسلمي وابن مُحيصن. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥١٤).

(٢) كما روى الإمام مُسلم في «صحيحه» (٢٨٩٠) من حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سألتُ ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنَعني واحدة؛ سألتُ ربي ألا يُهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يُهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألتُه ألا يجعلَ بأسَهم بينهم فمنَعنيها».


أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ ....

أي: مُقبِلين علَيهم ومُدبِرين عنهُم، فكَفَروا كما سيأتي، والإهلاكُ في زمَنِه فقَط، ﴿أَن﴾ أي: بِـأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ﴾ عـلـيـنـا ﴿مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ على زَعمِكم ﴿كَـٰفِرُونَ﴾.

﴿١٥﴾ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ﴾ لَمَّا خُوِّفُوا بِالعذاب: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي: لا أحدَ؛ كان واحِدُهم يَقلَعُ الصَّخرةَ العَظيمةَ مِن الجبَل ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مقبلين عليهم) أي: وهم هود وصالح، وقوله: (ومدبرين عنهم) أي: وهم الرسل الذين تقدَّمُوا على هود وصالح، وهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قوله: (﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾... إلخ) يصح أن تكون (أن) مخفَّفةً من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، أو مَصدرية، أو تفسيرية، وكلام المفسِّر يُشير للمعنيين الأولين؛ حيث قدَّر الباء، و(لا): ناهيةٌ في الأوجه الثلاثة، ويصح أن تكون نافيةً أيضاً في الوجه الثاني، والفعل منصوبٌ بـ(أن)، حذفت منه النون للناصب، و(لا) النافية لا تَمنع عمل (أن) في الفعل.

قوله: (﴿قَالُواْ﴾) أي: عاد وثمود لهود وصالح.

قوله: (﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾) أي: إنزالَ ملائكته بالرسالة، فمَفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوفٌ، والمعنى: لو شاء ربُّنا إرسالَ رسولٍ.. لجعله مَلكاً لا بشراً، وهذا توصُّلٌ منهم لإنكار الرسالة؛ لزعمهم أنها لا تكون للبشر.

قوله: (على زَعمكم) أي: وإلا.. فهم يُنكرون رسالتهما.

قوله: (﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أي: تعظَّمُوا على أهلها، واستَعلَوْا فيها، وهذا شروعٌ في حكاية ما يخصُّ كلَّ طائفةٍ من القبائح والعذاب بعد الإجمالِ في كُفرهم.

قوله: (﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾) أي: فنحن نَقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بقوَّتنا، قال ابن عباس: إنَّ أطوَلهم كان مئة ذراع، وأقصرهم كان ستين ذراعاً[1].

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ١٣٣).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ ....

يَجعَلُها حيث يَشاء، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يَعلَموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ المُعجزاتِ ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿١٦﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: بارِدةً شَديدةَ الصَّوت بِلا مَطَر ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ ـ بِكَسر الحاء وسُكُونها ـ: مَشؤُوماتٍ عليهم، ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾: الذُّلِّ ....

حاشية الصاوي

قوله: (يَجعلها) أي: يَضَعها حيثُ شاءَ.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ . . . إلخ) هذه الجملة معترضةٌ بين المعطوف والمعطوف عليه، خوطب بها النبيُّ ﷺ؛ للتعجب من مَقالتهم الشنيعة، والهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أيَقولون ذلك ولم يرَوا؟

قوله: (﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾) ضمَّنه معنى (يكفرون) فعدَّاه بالباء، وهو معطوفٌ على قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾.

قوله: (﴿صَرْصَرًا﴾) من: الصِّرِّ وهو البرد، أو من: الصَّرير وهو التَّصويت بشدَّة، والمفسِّر جمع بينهما.

قوله: (بكسر الحاء وسُكونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، قيل: هما صفة مشبهة، والسكون للتخفيف لها؛ كـ(أَشِر) و(فَرِح)، وقيل: إنه بالسكون مصدرٌ وُصِفَ به[2].

قوله: (مَشؤومات) أي: غير مباركات، من: الشؤم ضد اليُمْنِ، وهو تفسيرٌ لكلٍّ من القراءتين، وكانت آخر شوال، صبح الأربعاء إلى غروب الأربعاء التي تَليها، وذلك بسبع ليال وثمانية أيام حسوماً، قال ابن عباس: وما عذِّبَ قومٌ إلا في يوم الأربعاء[3].

قوله: (﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾) أي: العذاب الخِزي، فهو من إضافة الموصوف لصِفته، وقوله: (الذل) وصف به العذاب مبالغةً، وإلَّا . . فحقُّه أن يوصف به أصحابُ العذابِ.

---

(١) قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر الحاء، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥١١).

(٢) إلا أنَّ هذا يُضعفه الجمع؛ فإنَّ الفصيح في المصدر الموصوف أن يُوحَّد، وكأنَّ المسوِّغ للجمع اختلافُ أنواعه في الأصل. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥١٨).

(٣) انظر تفسير الماوردي «النكت والعيون» (٥/ ١٧٤).

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ ...﴾

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾: أشدُّ ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ بِمَنعِه عنهُم.

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: بَيَّنَّا لَهم طَريقَ الهُدى ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ﴾: اختارُوا الكُفرَ ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾: المُهِينِ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا﴾ مِنها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ.

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾ -بِالياءِ، والنونِ المفتُوحة وضَمِّ الشين وفتحِ الهمزةِ-

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾) شروعٌ في ذكر أحوال الطائفة الثانية.

قوله: (بيَّنَّا لهم طريقَ الهدى) أي: فالمراد بالهداية: الدَّلالةُ، لا الوصولُ بالفعل.

قوله: (﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾) أي: الإيمان.

قوله: (المُهين) أي: الموقع في الإهانة والذُّل.

قوله: (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾) أي: من الكفر وتكذيبِ نبيِّهم.

قوله: (﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) أي: مع صالح، وكانوا أربعةَ آلاف، وتقدَّم في (الأعراف) أنه نجا مَنْ كان مع هود، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [الأعراف: ٧٢] وكانوا أربعة آلاف أيضاً كما تقدَّم لنا في سورة (هود)[١].

قوله: (﴿وَ﴾اذكر ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾) (يومَ): ظرفٌ معمولٌ لمحذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكُر).

قوله: (بالياء) أي: مع فتح الشين، ورفع ﴿أَعْدَآءُ﴾ على أنه نائب فاعل.

قوله: (وفتح الهمزة) أي: من ﴿أَعْدَآءَ﴾ على أنه مفعول، والفاعل على كلٍّ هو الله تعالى، والقراءتان سبعيَّتان[٢].

---

(١) انظر (٣/ ٢٩٤).

(٢) قرأ نافع بنون مفتوحة وضمِّ الشين على البناء للفاعل وهو الله تعالى، والباقون بياء الغيبة مضمومةً وفتح الشين على البناء للمفعول. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥١٢).

أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ....

﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُساقُون، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا﴾ - زائدةٌ - ﴿جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾) المرادُ بهم: كلُّ مَنْ كان من أهل الخلود في النار مطلقاً، من أوَّل الزمان لآخِره.

قوله: (﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾) المرادُ: مَوقفُ الحساب، وإنما عبَّر عنه بالنار؛ لأنها عاقبةُ حشْرِهِمْ.

قوله: (يُساقون) وفسَّره البيضاوي بحبس أوَّلهم على آخرهم حتى يجتمعوا[1]، ولا ينافي ما قال المفسِّر؛ فإنَّ المراد: يُساق آخرهم لِيَلحق أوَّلهم، فيحصل الاجتماع والازدحام حتى يكون على القدم ألفُ قدمٍ.

قوله: (زائدة) أي: للتأكيد، وإنما أُكِّدَ؛ لأنهم يُنكرون مضمون الكلام.

قوله: (﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾... إلخ) أي: بأن يخلق الله فيها النُّطق والفهم والإدراك كاللسان، فتقرَّ بما فَعلته من المعاصي حقيقةً، وهو التحقيق.

وقيل: النُّطقُ كنايةٌ عن ظهور المعاصي على تلك الجوارح؛ كظهور النَّتانة على فُروج الزُّناة، ونحو ذلك[2].

وقيل: النُّطق من غير فهمٍ ولا إدراكٍ؛ عن أنس بن مالك قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: **«ما تَدرون ممَّ أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «مِن مخاطبة العبد ربَّه، فيقول: يا ربِّ؛ ألم تُجِرْني من الظلم؟ فيقول: بلى، قال: فيقولُ: فإني لا أُجيز اليوم على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، وبالكرام الكاتبين البَرَرة عليك شهوداً، قال: فيختم على فيه ويُقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثمَّ يُخَلَّى بينه وبينها فيقول: بُعْداً لَكُنَّ وسُحْقاً؛ فعنكنَّ كنتُ أناضل»**[3].

قوله: (﴿وَجُلُودُهُم﴾) المراد بها: مُطلق الجوارح، فيكون من عطف العامِّ على الخاصِّ، وقيل:

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٦٩).

(٢) وقد ردَّ العلامة الغماري هذا القول وأبطله من وُجوه خمسة، ذكرها في كتابه «بِدَع التفاسير» (ص١٢٢).

(٣) رواه مُسلم (٢٩٦٩).

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ....

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: أراد نُطقَه، ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قِيل: هو مِن كلامِ الجُلود، وقِيل: هو مِن كلامِ الله تعالى كالذي بعدَه، ومَوقِعُه قَريب مِمَّا قبلَه بأنَّ القادر على إنشائِكم ابتِداءً وإعادَتِكم بعدَ الموت أحياءً قادِرٌ على إنطاقِ جُلودِكم وأعضائِكم.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عن ارتِكابِكُم الفَواحشَ مِن ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنَّكم لم تُوقِنُوا بِالبَعث، ....

حاشية الصاوي

المراد بالجُلود: خصوصُ الفروج، ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية، ويكون هذا في شهادة الزنا، وحينئذ: فالآية فيها الوعيد الشديد على إتيان الزنا، والأقربُ الأوَّلُ.

قوله: (﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ﴾) أي: توبيخاً وتعجُّباً من هذا الأمر الغريب.

قوله: (﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾... إلخ) أي: جواباً لهم واعتذاراً عمَّا صدَر منهم.

قوله: (﴿تُرْجَعُونَ﴾) أي: تُرَدُّون إليه بالبعث، وعبَّر بالمضارع مع أنَّ المقالة بعد الرجوع بالفعل؛ لأنَّ المرادَ بالرجوع البعثُ وما يترتَّبُ عليه من العذاب الدائم، والعذابُ مُستقبلٌ بالنسبة لِمَقالتهم.

قوله: (قيل: هو) أي: قوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ... إلخ﴾.

قوله: (كالذي بعده) أي: وهو قولُه: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾.

قوله: (وموقعه) أي: مناسبة قوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾، ووجهُ مناسبته له في المعنى: أنه يقرِّبه من العقول من حيثُ إنَّ القادر على الإبداء والإعادة قادرٌ على إنطاقها.

قوله: (﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾) أي: تَستخفون من هؤلاء الشهود، وهو لا يكون إلا بترك الفعل بالكليَّة؛ لأنها ملازمةٌ للإنسان في حركاته وسَكناته.

قوله: (من ﴿أَن يَشْهَدَ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿أَن يَشْهَدَ﴾ في محلِّ نصبٍ بنزع الخافض، ويصحُّ أن يكون مفعولاً لأجله، والتقدير: مخافةَ أن يشهد... إلخ.

وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ....

﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عندَ استِتارِكُم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ ـ مُبتدأ ـ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ ـ بدلٌ مِنه ـ ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ ـ نعتٌ، والخبر ـ: ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي: أهلَكَكُم، ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ﴾ على العذابِ ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾: مَنزل ﴿لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ﴾: يَطلُبُوا العُتبى أي: الرِّضا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾: المَرضِيِّين.

حاشية الصاوي

قوله: (عند استِتاركم) أي: من الناس.

قوله: (﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا﴾) المراد به: ما أخفَوْهُ عن الناس من الأعمال، فظنُّوا أنَّ عِلم الله مُساوٍ لعلم الخلق، فكلُّ ما ستَروه عن النَّاس لا يعلمه الله.

قوله: (﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ﴾... إلخ) اعلَم: أنَّ الظنَّ قسمان: حسنٌ، وقبيحٌ؛ فالحسنُ: أن يظنَّ العبد المؤمن بالله عزَّ وجلَّ الرحمة والإحسان والخير؛ ففي الحديث: «أنا عند ظنِّ عبدي بي»[1]، والقبيحُ: أن يظنَّ بالله نقصاً في ذاته أو صفاته أو أفعاله.

قوله: (﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾) نتيجة ما قبله.

قوله: (﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾) إن قلتَ: إنَّ النار مأوى لهم صبَرُوا أو لا؛ فما وجه التقييد بالصبر؟

وأجيب: بأنَّ في الآية حذفاً، والتقدير: فإن يصبرُوا أو لا يَصبروا.. فالنَّار مثوًى لهم، وإنما حذف المقابل؛ لِلعلم به؛ لأنه إذا كانت لهم النار مع الصبر.. فهي لهم مع عدمِه بالأولى، بخلاف الدنيا؛ فإنَّ الإنسان مع الصبر ربَّما تخفُّ مُصيبته، أو يُعوَّض خيراً، ومع عدمه يزاد فيها، ويَغضب الله عليه.

قوله: (أي: الرضا) وقيل: العتبى: الرُّجوعُ إلى ما يحبُّون.

قوله: (المَرضيِّين) أي: المرضيِّ عليهم[2].

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) عدَّاه بـ(على) استغناءً بها عن (عن)، كما قال الشاعر:

إذا رَضِيَت عليَّ بنو قُشَير ... لَعَمرُ الله أعجبَني رِضاها

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ ....

(٢٥) ﴿وَقَيَّضْنَا﴾: سَبَّبنا ﴿لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ مِن الشَّياطِين ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمرِ الدُّنيا واتِّباعِ الشَّهَوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ مِن أمرِ الآخِرة بِقَولِهِم: لا بعثَ ولا حِسابَ، ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بِالعذابِ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ الآيةَ [هود: ١١٩] ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾) أي: لِكفار مكة، ومعنى (سبَّبْنا): هيَّأنا وبعثنا، والمعنى: سبَّبْنا لهم قرناء يُلازمونهم ويستولون عليهم استيلاءَ القَيْضِ، وهو قشرُ البيضِ على البيض.

قوله: (﴿فَزَيَّنُوا لَهُم﴾) أي: من القبائح.

قوله: (﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مِن أمر الدُّنيا... إلخ) وقيل: ما بين أيديهم من أمر الآخرة، وما خَلفهم من أمر الدنيا، قال القشيريُّ: إذا أراد الله بعبدٍ سوءاً.. قيَّض له إخوانَ سوءٍ وقرناءَ سوءٍ يَحملونه على المخالفات، ويدعونه إليها، ومن ذلك الشيطان، وأشرُّ منه النفس، وبئس القَرين، يدعوه اليوم إلى ما فيه الهلاك، ويشهد عليه غداً، وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً.. قيَّض له قرناءَ خيرٍ يُعِينونه على الطاعة، ويحملونه عليها، ويَدعونه إليها[1].

وفي الحديث: «**إذا أراد الله بعبده شرًّا.. قيَّض له قبل موته شيطاناً؛ فلا يرى حسناً إلا قبَّحه عنده، ولا قبيحاً إلا حسَّنه**»[2]، وعن عائشة قالت: «إذا أراد الله بالوالي خيراً.. جعل له وزير صدقٍ؛ إن نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانَه، وإذا أراد غير ذلك.. جعل له وزير سوءٍ؛ إن نسيَ لم يذكِّره، وإن ذكر لم يُعِنْهُ»[3]، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بعث الله من نبيٍّ ولا استخلف من خليفةٍ إلا كانت له بِطانةٌ تأمره بالمعروف وتَحُضُّه عليه، وبِطانةٌ تأمره بالشَّر وتحضُّه عليه، والمعصومُ مَنْ عصَمَه الله تعالى**»[4].

قوله: (﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾) أي: ثبت وتحقَّق.

---

(١) «لطائف الإشارات» (٣/ ٣٢٥) بتصرف.

(٢) رواه البيهقي في «القضاء والقدر» (٤٧٧)، والآجُري في «الشريعة» (٥٦٥) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها بلفظ: «إذا أراد بعبد شرًّا.. قيَّض الله له شيطاناً قبل موته بعام؛ يَفتنه ويصده ويضله، حتى يموت حين يموت وهو شرُّ ما كان، ويقول الناس: ماتَ فلان وهو شرُّ ما كان».

(٣) رواه أبو داوود (٢٩٣٢) مرفوعاً.

(٤) رواه البخاري (٧١٩٨)، وفيه: (إلا كانت له بطانتان: بِطانة تأمره... إلخ).

فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ....

﴿فِىٓ﴾ جملةِ ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾: هلكت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

(﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عِندَ قِراءةِ النَّبي ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾: ائتُوا بِاللَّغَط ونَحوِه وصِيحُوا في زَمَن قِراءتِه؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فيَسكُتُ عن القِراءة. قال تَعالى فِيهم: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾) حال من الضمير في ﴿عَلَيْهِمُ﴾، والمعنى: كائنين في جملة أُممٍ.

قوله: (﴿قَدْ خَلَتْ﴾) صفةٌ لـ﴿أُمَمٍ﴾.

قوله: (هلكت) المناسب أن يقول: (مضَت).

قوله: (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾) تعليلٌ لاستحقاقهم العذاب.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أي: من كفار مَكة، وإنما قالُوا ذلك؛ لأنه لما كان النبي ﷺ يقرأ. . يَستميل القلوب بقراءته، فيصغي إليها المؤمن والكافر، فخافُوا أن يتَّبعه الناس[1].

قوله: (﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾) اللَّغوُ: الكلامُ الذي لا فائدة فيه، وهو بفتح الغين في قراءة العامَّة، من: لَغِيَ كـ(فَرِح)، وقرئ شذوذاً بضمِّ الغين[2]، من: لَغا يَلغُو كـ: دعا يدعو، ومنه حديثُ: «**أنصِتْ فقد لَغَوت**»[3].

قوله: (باللغط) بسكون الغين وفتحها، وهو كلامٌ فيه جَلبةٌ واختلاطٌ.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾) أي: في القول، فإذا غَلبتموه سكت؛ لأنه لم يكن مأموراً حينئذٍ بقتالهم.

قوله: (قال تعالى فِيهم) أي: في شأنهم.

---

(١) روى الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ١٥) عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ وهو بمكة إذا قرأ القرآن. . يَجهر به، فكان المشركون يَطردون الناس عنه، ويقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوا فيه لعلكم تغلبون.

(٢) وهي قراءة قتادة وأبي حيوة وأبي السمال والزعفراني وابن أبي إسحاق وعيسى. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٢٣).

(٣) رواه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «إذا قلتَ لصاحبك: أنصِت، يوم الجمعة والإمام يَخطب. . فقد لَغَوتَ»، وسياق المصنف رحمه الله عند النسائي في «الكبرى» (١٧٢٧).

فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ ....

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: أقبحَ جزاءِ عَمَلِهم.

﴿٢٨﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذابُ الشَّديدُ وأسوأُ الجزاء ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ - بتَحقيقِ الهمزةِ الثانيةِ وإبدالِها واواً - ﴿ٱلنَّارُ﴾ - عطفُ بَيانٍ لِلجزاء المُخبَرِ به عن ﴿ذَٰلِكَ﴾ - ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: إقامةٍ لا انتِقالَ منها ﴿جَزَآءًۢ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أي: استمرُّوا على الكفر وماتُوا عليه.

قوله: (أي: أقبح جزاء عمَلهم) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف؛ دفعاً لما قد يتوهَّم أنهم يجزون بنفس عملهم الذي عَملوه في الدنيا كالكفر مثلاً، والمعنى: أنَّ المستهزئين برسول الله يُجازَون بأقبح جزاء على أعمالهم، وفي هذه الآية وعيدٌ لكلِّ مَنْ يفعلُ اللَّغطَ في حال قراءة القرآن، ويشوِّشُ على القارئ، ويخلط عليه؛ فإنه حرامٌ بإجماعٍ إن لم يقصد إبطالَ النَّفع بالقرآن كراهةً فيه، وإلَّا . . فهو كافرٌ.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكور من الأمرَين كما قال المفسِّر.

قوله: (بتَحقيق الهمزة الثانية) أي: الكائنة أول ﴿أَعْدَآءِ﴾، والقراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (عطف بيَان) هذا أحدُ أوجهٍ في إعرابها، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿جَزَآءُ﴾، ورُدَّ: بأنَّ البدل يصح حُلول المبدل منه محلَّه، وهنا لا يصح؛ لأنه يَصير التقدير: ذلك النار، ويصح أن يكون مبتدأً و﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ خبره، ويصحُّ أن يكون خبرَ مبتدأ محذوفٍ.

قوله: (﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾) في الكلام تجريدٌ، وهو أن ينتزع من أمرٍ ذي صفةٍ أمراً آخرَ موافقاً له في تلك الصفة على سبيل المبالغة؛ فقد انتَزع من النار داراً أخرى سمَّاها دارَ الخلدِ، والمعنى: أنَّ الدار نفسَها هي الخلد[2].

---

(١) أبدل الهمزة الثانية واواً خالصةً المدنيان والمكي والبصري ورويس، وحققها الباقون. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٨٣).

(٢) وقيل: الآية على معناها، وليس فيها تجريد، والمراد: أنَّ لهم في النار المشتملة على الدركات داراً مخصوصةً، وهي في وسَط النار، تُسمَّى دار الخلد، هم فيها خالدون. انظر «تفسير أبي السعود» (٨/ ١٢)، و«الفتوحات» (٤/ ٤٢).

بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟

ـ مَنصوبٌ على المصدَر بِفعلِه المُقدَّر ـ ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في النارِ: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أي: إبليسَ وقابيلَ سَنَّا الكُفرَ والقَتلَ، ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النارِ؛ ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أي: أشدَّ عذاباً مِنَّا.

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ على التَّوحيدِ وغَيرِه مِمَّا وجَب علَيهِم،

حاشية الصاوي

قوله: (مَنصوب على المصدر بِفعله المقدَّر) والتقدير: يُجزون جزاءً.

قوله: (﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾) الباء: إمَّا زائدةٌ، أو ضمَّن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ معنى (يكفرون) فعدَّاه بالباء.

قوله: (في النار) حال من فاعل (قال).

قوله: (﴿رَبَّنَآ﴾) أصله: (أَرْئِيْنَا)؛ الرَّاءُ فاءُ الكلمة، والهمزةُ الثانية عينها، والياءُ لامُها، حذفت الياء؛ لبناء الفعل على حَذفها، ونُقلت حركة الهمزة للساكن قبلها، فسقطت الهمزة وصار وزنه: (أفنا)، وهي بصريَّةٌ تعدَّت بالهمزة للمفعول الثاني الذي هو الاسم الموصول، ومفعولها الأول الضمير، والمعنى: صيِّرنا رائين بأبصارِنا.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾) أي: لأنَّ الشيطان على قِسمين: جنيٍّ، وإنسيٍّ؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقدَّم الجنَّ لأنهم أصل الضلال.

قوله: (سنَّا الكفرَ والقتلَ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ؛ فقابيل قَتل أخاه هابيل، فهو أول مَنْ سنَّ القتل، وإبليس أوَّل مَنْ كفر بالله.

قوله: (﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾) أي: إمَّا حقيقةً، فيكونان أشدَّ عذاباً منا، فتَشْتَفِي قُلوبنا، أو هو كنايةٌ عن كونهم في الدَّرْكِ الأسفل.

قوله: (﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾) أي: في دركات النار.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾... **إلخ**) شروعٌ في بيان حال المؤمنين إثرَ بيان وعيد الكافرين، والمعنى: قالوا: ربُّنا الله؛ اعترافاً برُبوبيَّته، وإقراراً بوحدانيَّته.

قوله: (﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾) أي: ظاهراً وباطناً؛ بأن فعلُوا المأمورات، واجتنبُوا المنهيَّات، وداموا

تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ....

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عِندَ الموتِ ﴿أَنْ﴾: بأنْ ﴿لَا تَخَافُواْ﴾ مِن الموتِ وما بعدَه، ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما خَلَّفتُم مِن أهلٍ وولَد فنَحنُ نَخلُفُكم فِيه، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

(﴿٣١﴾ - ﴿٣٢﴾) ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: نَحفَظُكم فِيها ....

حاشية الصاوي

على ذلك إلى الممات؛ قال عمر بن الخطاب: الاستقامةُ: أن تَستقيم على الأمر والنهي ولا تَزوغ زوغان الثعلب[1].

قال ابن عباس: نزَلت هذه الآية في أبي بكر الصديق[2].

قوله: (عِند الموت) أي: أو عند الخروج من القبر، ولا مانع من الجمع، والمرادُ: ملائكة الرحمة تأتيهم بما يَشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن.

قوله: (﴿أَنْ لَا تَخَافُواْ﴾) (أنْ): مخفَّفة من الثقيلة، أو مصدرية، أو مُفسِّرة، وكلام المفسِّر يحتمل المعنيَين الأوَّلين.

والخوف: همٌّ يَلحق النفس لِتَوقع مَكروه في المستقبل، والحزن: همٌّ يَلحقها لفوات نفع في الماضي.

قوله: (﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾) أي: وهي دارُ الكرامةِ التي فيها من النَّعيم الدَّائم والسُّرور ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطر على قلب بشرٍ.

قوله: (﴿ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾) أي: في الكتب المنزلة وعلى ألسِنة الرسل.

قوله: (﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾... إلخ) يحتمل أن يكون هذا من كلام الله تعالى، وهو وليُّ المؤمنين ومَولاهم، ويحتمل أن يكونَ من كلام الملائكة، والمعنى: كنَّا أولياءكم في الدنيا، ونكون معكم في الآخرة؛ فلا نُفارقكم حتى تدخلُوا الجنة.

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٠٢٣)، وفيه: (ولم يَروغوا روَغان الثعلب) بدل قوله: (ولا تزوغ زوغان الثعلب)، والزَّوَغان: الجَوْرُ في المنطق، وما في «المجالسة»؛ أنسَب بالمعنى، وروَغان الثعلب: ذهابه يمنةً ويَسرة في سرعة خديعة، فهو لا يَستقرُّ في جهة.

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/ ٥١).

وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا ....

﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: نَكونُ مَعَكم فيها حتَّى تَدخُلُوا الجَنَّة، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: تطلُبون، ﴿نُزُلًا﴾: رِزقاً مُهيَّئاً ـ مَنصوبٌ بـ(جعل) مُقدَّراً ـ ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ أي: اللهِ.

(﴿٣٣﴾ - ﴿٣٥﴾) ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لا أحَدَ أحسَنُ قولاً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا تَدَّعُونَ﴾) مِن الدعاء بمعنى: الطلب، وهو أعمُّ من الأول، والمعنى: لكم كلُّ ما تَشتهون وكلُّ ما تَطلبون ولو لم يكن مشتهًى؛ كالرُّتَب العليَّة والفضائل السنيَّة.

قوله: (منصوبٌ بـ«جعل» مقدَّراً) ويَصح أن يكون حالاً من قوله: ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾.

قوله: (﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾) متعلق بـ﴿تَدَّعُونَ﴾، أو صفة لـ﴿نُزُلًا﴾، وخصَّ هذَين الوصفين دون (شَديدِ العقابِ) مثلاً؛ إشارةً إلى مَزيد السرور لهم وإكرامِهم، وأنه تعالى يعاملهم بالمغفرة والرحمة، ويتجلَّى لهم بأوصاف الجمال دُون أوصاف الجلال.

قوله: (﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾... إلخ) قيل: نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ؛ لأنه هو الذي جمَع تلك الأوصاف؛ لأنَّ الداعين إلى الله تعالى أقسام:

فمِنهم: الدَّاعون إلى الله بالتوحيد قولاً كالأشعريِّ والماتريدي ومَنْ تبعهما إلى يوم القيامة، وفِعلاً كالمجاهِدين.

ومنهم: الدَّاعون إلى الله تعالى بالأحكام الشرعية، كالأئمة الأربعة ومَنْ على قدَمِهم.

ومنهم: الدَّاعون إلى الله تعالى بِزَوال الحُجب الكائنة على القلوب لمشاهدة علَّام الغيوب؛ بحيث يكون دائماً في حضرة الله، ليس في قلبه سِواه، كالجُنَيد وأضرابه من الصوفيَّة أهل الحقيقة.

ومنهم: مَنْ يدعُو إلى الله بالإعلام بأداء الفرائض كالمؤذِّنين. وهذه الأقسامُ مجموعةٌ في النبي عليه الصلاة والسلام، متفرِّقةٌ في أصحابه، ثم انتقلت منهم إلى مَنْ بعدهم، وهكذا إلى يوم القيامة؛ لِقوله في الحديث الشريف: «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرِين على الحقِّ، لا يضرُّهم مَنْ خالفهم حتى يَأتيهم أمرُ الله وهُم على ذلك**»[1].

---

(١) رواه مسلم (١٩٢٠) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه.

مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ....

﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالتَّوحيدِ ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالتوحيد) أي: وفرُوعه، وإنما خصَّه؛ لأنَّه رأسُ الأمور وأساسُها.

قوله: (﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾) أي: امتَثل أوامر ربِّه، واجتنب نواهيَهُ، وحيث كان داعياً إلى الله مع اتصافه بالعمل الصالح.. كان قولُهُ مقبولاً، ويؤثِّرُ في القلوب، وأمَّا مَنْ كان بخلاف ذلك.. فلا يكون قولُهُ مقبولاً، ولا يُؤثر في القلوب، ولا تنبغي صُحبته، قال العارف: لا تصحب مَنْ لا يُنهضك حاله، ولا يدلُّك على الله مَقاله[1]، وقال بعضهم[2]: [المتقارب]

أتَـنـهَـى الـنَّـاسَ ولا تَـنْـتَـهِـي مَـتَـى تَـلْـحَـقُ الـقَـوْمَ يـا لُـكَـعُ؟
وَيـا حَـجَـرَ الـسَّـنِّ أما تَـسْـتَـحِـي تَـسُـنُّ الـحَـدِيـدَ وَلا تَـقْـطَـعُ

فمَن لم يُؤثِّر كلامُهُ في نفسه.. فلا يؤثِّرُ في غيره بالأولى، قال بعضُهم[3]: [الكامل]

يـا أيُّـهـا الـرَّجُـلُ الـمُـعَـلِّـمُ غَـيْـرَهُ هَـلَّا لِـنَـفْـسِـكَ كـانَ ذا الـتَّـعْـلِـيـمُ
تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السَّقامِ وَذي الضَّنى كَـيـمَـا يَـصِـحَّ بِـهِ وَأنـتَ سَـقِـيـمُ
ابْدَأ بِـنَـفْـسِـكَ فـانْـهَـهَـا عَـن غَـيِّـهـا فَـإذا انْـتَـهَـتْ عَـنـهُ فـأنـتَ حَـكِـيـمُ
فَـهُـنَـاكَ يُـسْـمَـعُ مـا تَـقُـولُ ويُـشْـتَـفَـى بـالـقَـوْلِ مِـنْـكَ وَيَـنْـفَـعُ الـتَّـعْـلِـيـمُ
لا تَـنْـهَ عَـن خُـلُـقٍ وتَـأْتِـيَ مِـثْـلَـهُ عـارٌ عَـلَـيْـكَ ـ إذَا فَـعَـلْـتَ ـ عَـظِـيـمُ

وبالجُملة: فالدَّعوةُ إلى الله لا تَنفع إلا مِنْ قلب ناصح، وأعظمُ الداعين إلى الله تعالى الأولياء المسلِّكون، الذين يُوصلون الخلق إلى طريق الحقِّ، وهم مَوجودون في كلِّ زمنٍ، غيرَ أنه لا يجتمع

---

(١) من حِكم الإمام ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى. انظر «إيقاظ الهمم» (ص٥٧).

(٢) حكاهما الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣٦/ ١٢١) من شعر ابن تومرت، وحكاهما بنحوهما أيضاً الحافظ الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٨) لأحمد الغزالي في عِظة لأخيه حُجة الإسلام صاحب «الإحياء»، واللُّكَع: اللئيم ذليل النفس.

(٣) هو أبو الأسود الدؤلي على الذي رجَّحه البغدادي في «خزانة الأدب» (٨/ ٥٦٧) نقلاً عن اللخمي في «شرح أبيات الجمل».

﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ ....

﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ في جُزئيَّاتِهما لأنَّ بَعضَها فوقَ بعضٍ، ﴿ٱدْفَعْ﴾ السيئةَ ﴿بِٱلَّتِي﴾ أي: بِالخَصلةِ التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالغَضبِ بِالصبرِ، والجَهلِ بِالحِلمِ، والإساءةِ بِالعَفوِ، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

حاشية الصاوي

بهم ولا يَعرفهم إلا من لَحَظَهُ الله تعالى بفضله؛ كما قال بعض العارفين: الأولياء عرائسُ مُخدَّرة، ولا يرى العرائسَ المجرِمُون[1]. نفعنا الله بهم أجمعين.

قوله: (﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾) أي: تحدُّثاً بنعمة ربِّه، وفرحاً بالإسلام.

قوله: (﴿وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾) يحتمل أن (لا) زائدةٌ للتوكيد؛ لأنَّ الاستواء لا يكونُ من واحد، بل من اثنَين، كأنه قال: لا تستوي الحسنة مع السيئة، بل الحسنة خيرٌ، والسيئة شرٌّ، ويحتمل أن (لا) أصليَّةٌ، والمعنى: لا تَستوي مراتب الحسَنات، بل بعضها أعلى من بعض، ولا تستوي مَراتب السيئات، بل بعضُها أعلى من بعض؛ فأعلى الناس مَنِ ارتكب أعلى الحسنات، وأدنى الناس مَنِ ارتكب أعلى السيئات، وهذا ما مشى عليه المفسِّر.

قوله: (﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾) أي: حيث فُعِلَتْ معك سيِّئةٌ.. ادْفَعْهَا بخصلةٍ هي أحسَنُ.

قوله: (كالغضبِ بالصبر... إلخ) أي: أعلى المراتب أن تعطيَ مَنْ حرَمك، وتصلَ مَنْ قطَعك، وتعفوَ عمَّن ظلمك، وقد كان هذا خلقَ رسولِ الله ﷺ.

قوله: (﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾... إلخ) (إذا): فجائية، ظرف لِمعنى التشبيه، فعاملُهَا معنويٌّ مؤخَّر، واغتُفِرَ تأخيرُ عاملها المعنوي؛ لأنه يُغْتَفَرُ في الظروف ما لا يُغتفر في غيرها، و﴿ٱلَّذِي﴾: مبتدأ، و﴿بَيْنَكَ﴾: خبر مقدَّم، و﴿عَدَٰوَةٌ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملة صِلة الموصول، و﴿كَأَنَّهُۥ﴾... إلخ: خبر الموصول، والمعنى: فإذا فعلتَ مع عدوِّك ما ذُكِرَ.. فاجأك في الحضرة انقلابه وصيرورتُه مشابهاً في المحبَّة للصديق الذي لم تَسْبِقْ منه عداوةٌ.

قوله: (﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾) الحميمُ: يطلق على الماء الحارِّ، وعلى القريب الذي تَهتمُّ لأمره، وهو المراد هنا.

---

(١) من كلام سيدي أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى، كما نقلَه الإمام القشيري في «رسالته» (٢/ ٤١٨)، وفيها: (ولا يرى العرائسَ إلا المحرمون).

وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ....

أي: فيَصِير عَدُوُّك كالصَّدِيق القَريبِ في مَحَبَّتِه إذا فعلتَ ذلك، ـ فـ﴿ٱلَّذِى﴾ مُبتدأ و﴿كَأَنَّهُۥ﴾ الخبرُ، و(إذا) ظرفٌ لِمَعنى التَّشبيه ـ. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: يُؤتَى الخَصلةَ التي هي أحسَنُ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾: ثَوابٍ ﴿عَظِيمٍ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿وَإِمَّا﴾ ـ فِيه إدغامُ نُون (إنْ) الشَّرطيَّةِ في (ما) الزائدةِ ـ ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي: يَصرِفكَ عن الخَصلةِ وغيرِها مِن الخَير صارِفٌ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ ـ جَوابُ الشَّرط، وجَواب الأمرِ مَحذوف ـ أي: يَدفَعْه عنك ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيَصير عدُوُّك كالصَّديق القريبِ) هذا تفسيرٌ لمعنى (الولي الحميم)؛ فالوليُّ: القريب، والحميمُ: القريبُ الصديقُ، فهو أخصُّ من الوليِّ، قال بعضُهم في وصفه[1]: [الرجز]

إنَّ أَخــاكَ الــحَــقَّ مَــنْ كَــانَ مَــعَــكْ	ومَــنْ يَــضـرُّ نَــفْــسَــهُ لِــيَــنــفَــعَــكْ
ومَــنْ إذا رَيْــبُ الــزَّمــانِ صَــدَعَــكْ	شَــتَّــتَ فِــيــكَ شَــمْــلَــهُ لِــيَــجــمَــعَــكْ

قوله: (في محبَّته) هذا هو وجهُ الشَّبهِ.

قوله: (إذا فعلتَ ذلك) أي: الإحسانَ للعدوِّ.

قوله: (التي هي أحسَن) الأوضح أن يقولَ: (وهي مقابلةُ الإساءةِ بالإحسانِ).

قوله: (ثوابٍ ﴿عَظِيمٍ﴾) وقيل: المراد بالحظِّ: الخلقُ الحسنُ، وكمالُ النَّفسِ.

قوله: (﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ . . . إلخ) المراد بالنزغ: الوسوسةُ، والمعنى: وإن يُوسوس لك الشيطان بترك ما أُمِرْتَ به . . فاستعذ بالله؛ أي: اطلب التحصُّنَ من شرِّه. ومن جملةِ وسوستِهِ الغضبُ؛ فإنه ربما يَحمله على ارتكابِ منهيٍّ عنه، فإذا حصل عنده . . فليَدْفَعْهُ بالاستعاذة، فإن لم يَزُلْ . . فليَدْفَعْهُ بالسُّكوت، ثمَّ بالجلوس إن كان قائماً، ثمَّ بالاضطجاع إن كان جالساً، فإن لم يَزُلْ بعد ذلك . . ذهب من المكان الذي هو به.

---

(١) البيتان مما نُسب لسيدنا علي ﵁؛ كما في «الإحياء» (٢/ ١٧١)، وللخليفة المأمون؛ كما في «ربيع الأبرار» للزمخشري (٥/ ١٩٥)، وانظر «عيون الأخبار» (٣/ ٧).

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ....

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِلقولِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفِعل.

(﴿٣٧﴾ - ﴿٣٨﴾) ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآياتِ الأربعَ ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن السُّجودِ لله وَحدَه، ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: فالملائكةُ ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: يُصَلُّون ﴿لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾: لا يَمَلُّون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾) تعليلٌ لما قبله، وفي هذه الآية دليلٌ على استعمال التَّعوُّذات في الصباح والمساء؛ لأنَّ الإنسان بينهما لا يخلو من نزغاتٍ شيطانيَّةٍ؛ فلذلك وردَ في الأحاديث وفي كلام العارفين كثرةُ التعوُّذ في هذين الوقتَين، فتدبَّر.

قوله: (﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿ٱلَّيْلُ﴾ وما عطف عليه: مبتدأٌ مؤخَّرٌ، والمعنى: من دلائل قُدرته وانفراده بالألوهية الليل... إلخ أي: كلٌّ من هذه الأربع.

قوله: (﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾) خصَّهما بالذكر؛ لأنَّ الكفار عبدُوهما من دون الله.

قوله: (أي: الآياتِ الأربعَ) وإنما عبَّر عنها بضمير الإناث مع أنَّ غالبها مذكَّر، والعادةُ تغليبُ المذكَّر لا العكس؛ نظراً للفظ (الآيات)؛ فإنَّ مفرده (آية)، وهو مؤنَّثٌ.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾) أي: تُفردونه بالعبادة، فاتركُوا عبادةَ غيره.

قوله: (﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾) أي: تكبَّرُوا وعاندوا؛ حيثُ جعلُوا ما به الهدى والدَّلالةُ على توحيد الله إلهاً معبوداً.

قوله: (﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾) علَّةٌ لجواب الشرط المحذوف، والتقدير: فلا تَنعدم العبادة؛ لأن الذين... إلخ. والعنديَّةُ عنديَّةُ مكانةٍ وشرفٍ، لا مكان، فهو كما تقول: عند الملك من الجند كذا وكذا.

قوله: (﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾) هذا من مجاراة الكفار، وإلَّا.. فلو تَركَ جميع الخلق عبادته.. لم يَنقص من ملكه شيءٌ؛ لما في الحديث: «يا عبادي؛ لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكم، وإنسكم وجنَّكم كانُوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ.. ما نقَص ذلك في ملكي شيئاً»[1].

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) عن سيدنا أبي ذر ﷺ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ ....

(٣٩) ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ : يابِسةً لا نباتَ فِيها، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ : تحرَّكت ﴿وَرَبَتْ﴾ : انتفَخت وعلَت، ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

(٤٠) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ مِن (ألحَدَ) و(لَحَدَ) ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ : القُرآنِ بِالتَّكذيبِ ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فنُجازِيهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾) خبرٌ مقدَّم، و(أنَّ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر، مبتدأٌ مؤخَّر، والتقدير: ومن آياته رؤيتك الأرض... إلخ.

قوله: (يابسةً) أي: فالأرض الخاشعة هي: الغبراء التي ليس بها نباتٌ، استُعير لها حال الخاشع، وهو الذُّل والتَّقاصر.

قوله: (﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾) أي: تحرَّكت حركةً عظيمةً شديدةً بسرعةٍ، وارتَفع ترابُها وعلا، فالآيةُ باقيةٌ على أصلها، خلافاً لمن قال: إنَّ فيها قلباً، والتقدير: ربت واهتزَّت[1].

قوله: (﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾) أي: يَبعثهم.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾) أي: يَميلون عن الاستقامة في الدين، ويطعنون في آياتنا بالتحريف واللَّغو والأكاذيب.

قوله: (مِن: ألحَد ولحَد) أشار بذلك إلى أنَّ هنا قراءتين سبعيَّتين، وهما: ضمُّ الياء وكسر الحاء؛ مِن: (ألحَدَ) رباعيًّا، وفتحُ الياء والحاء؛ من: (لحَد) ثلاثيًّا، من باب: (نفَع)[2]. والإلحاد: الميل والعُدول، ومنه: اللَّحد في القبر؛ لأنه أُميل إلى ناحية منه.

قوله: (فنُجازيكم) أي: بأعمالكم[3].

---

(١) ويكون المعنى: (اهتزت) أي: بالنبات، و(ربَت) أي: انتفخت وعلَت قبل أن تنبت، قال مجاهد: أي: تَصعَّدت عن النبات بعد موتها. انظر «تفسير القرطبي» (١٥/ ٣٦٥).

(٢) قرأ حمزة بفتح الياء والحاء، والباقون بضم الياء وكسر الحاء. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٢٠).

(٣) كذا في الأصول بالخطاب، وفي نُسَخ «الجلال»: (فنجازيهم) أي: بأعمالهم.

أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ....

﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديدٌ لَهم.

(٤١ - ٤٣) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾: القُرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ نُجازِيهِم ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾: مَنِيع. ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي: ليس قبلَه كِتابٌ يُكَذِّبُه

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا﴾) عدل عن مقتضى الظاهر؛ حيث لم يقل: أم من يدخل الجنة؛ تصريحاً بحصولِ الأمن لهُم، وانتفاءِ الخوف عنهم.

قوله: (تهديدٌ لهم) أي: للكفار، وزيادةُ مسرَّةٍ للمؤمنين.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾... إلخ) خبر ﴿إِنَّ﴾ محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (نجازيهم)، وهو أحد أعاريبَ، وهو أسهلها، وقيل: إنه جملة ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ... إلخ﴾، والعائد محذوفٌ، والتقدير: لا يأتيه الباطل منهم، والمعنى: لا يَبلغون مرادهم فيه، بل هو محفوظ منهم، وقيل: إن الخبر قوله: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ... إلخ﴾، والعائد محذوفٌ، والتقدير: ما يقال لك في شأنهم، وقيل غير ذلك[1].

قوله: (﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾) ظرف لقوله: ﴿كَفَرُوا۟﴾.

قوله: (﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾) الجملة حاليَّة من (الذكرِ)، والمعنى: كفرُوا بالقرآن حين جاءهم والحال أنه كتابٌ يردُّ المعارضَ ويقهرُهُ، قال البوصيري[2]: [البسيط]

كَمْ جـدَّلَـت كَـلِـمَـاتُ اللهِ مِـنْ جـدلٍ ... فِيـهِ وكَـمْ خـصَـمَ الـبُـرهَـانُ مِـنْ خَـصِـمِ

قوله: (منيع) فعيل بمعنى: فاعل؛ أي: مانعٌ المعارضَ عن الخوض فيه، ويصحُّ أن يُفسَّر (العزيز) بِـ: عديم المثال.

قوله: (أي: ليس قبله كتاب يُكذبه... إلخ) أي: لا يَتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات، بل

(١) في خبر (إن) ستة أقوال، ذكرها السمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٥٣٠).

(٢) كما في قَصيدته المشهورة «البردة».

تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ....

ولا بعدَه، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: اللهِ المَحمودِ في أمرِه. ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ مِن التَّكذيبِ ﴿إِلَّا﴾ مثلُ ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لِلمُؤمنِين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لِلكافرِين.

﴿٤٤﴾ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الذِّكرَ ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿فُصِّلَتْ﴾: بُيِّنَت ﴿آيَاتُهُ﴾ حتَّى نفهمَها، ﴿أَ﴾قُرآنٌ ﴿أَعْجَمِيٌّ وَ﴾ نَبيٌّ ﴿عَرَبِيٌّ﴾؟! - استِفهامُ إنكارٍ مِنهُم،

حاشية الصاوي

جميعُ ما فيه صدق مُطابق للواقع، ليس بعده كتابٌ أصلاً، وليس قبله ما يقدح فيه، وفي كلام المفسِّر لفٌّ ونشرٌ مُشوَّش، فقوله: (ليس قبله) راجع للخلف، وقوله: (ولا بعده) راجعٌ لما بين يدَيه.

قوله: (﴿مِّنْ حَكِيمٍ﴾) الحكيم هو: الذي يضعُ الشيء في محلِّه.

قوله: (﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾... إلخ) شروعٌ في تَسلِيته ﷺ على ما يُصِيبه من أذى الكفار.

قوله: (مِن التَّكذيب) أي: من أجل حُصوله ووقوعه.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾... إلخ) هذا هو المَقول، والمعنى: ما يقال لك من أجل حصولِ التكذيب ووُقوعه منهم إلا قولاً مثل ما قيل للرسل من قبلك، وهو ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ... إلخ﴾[(١)].

قوله: (﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾) لِقولهم: هلَّا نزل القرآن بلغة العَجم[(٢)].

قوله: (﴿لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾) أي: بلسانٍ نفهمُه، وهو لسان العرب، وقوله: (﴿ءَأَعْجَمِيٌّ﴾... إلخ) جملة مُستقلة عن جملة مقولهم، والمعنى: أنهم طلبُوا أولاً نُزوله بلغة العجم، فردَّ عليهم الله بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي: جاءت بلغة العرب، وأخبَر الله تعالى أنه لو جاءهم بلغة العجم.. لادَّعَوا التنافي بين كونه بلغة العجم وكون الجائي به عربيًّا، وغرضُهم بذلك إنكارُ كونِ القرآن من عِند الله على أيِّ حالٍ.

---

(١) ويجوز أن يكون المعنى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ أي: ما يقول لك كفار قومك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم من الكلمات المؤذية، والمطاعن في الكتب المنزلة. انظر «تفسير النسفي» (٣/ ٢١٧).

(٢) نقله العلامة الجمَل في «الفتوحات» (٤/ ٤٧) عن «حاشية الكرخي على الجلالين».

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ .....

بِتحقيقِ الهمزةِ الثانية وقَلبِها ألِفاً بإشباعٍ ودُونه ـ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى﴾ مِن الضَّلالةِ ﴿وَشِفَآءٌ﴾ مِن الجَهلِ، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: ثِقَلٌ فلا يَسمَعُونه، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ﴾ فلا يَفهمُونَه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: هُم كالمُنادَى مِن مَكانٍ بَعيدٍ لا يَسمَعُ ولا يَفهَمُ ما يُنادَى بِه.

﴿٤٥﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ﴾ بِالتَّصديق والتَّكذيبِ كالقُرآنِ،

حاشية الصاوي

والأعجميُّ يُقال للكلام الذي لا يُفهم، وللمتكلم به، والياء لِلمبالغة في الوصف؛ كأحمريٍّ. و(أعجمي) خبرٌ لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (أقرآن. . . إلخ)، وكذا قوله: ﴿وَعَرَبِيٌّۗ﴾.

قوله: (بتحقيق الهمزة الثانية) أي: من غير ألفٍ بينهما، وقوله: (وقلبها ألفاً) أي: ممدودة مدًّا لازماً، وهاتان قراءتان، وقوله: (بإشباع ودونه) فالإشباع هو: إدخال ألفٍ بين المحقَّقة والمسهَّلة، وعدمُه هو ترك الإشباع، وبَقِيت قراءة خامسة سبعيَّة أيضاً، وهي إسقاط الهمزة الأولى[1].

قوله: (﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) أي: صدَّقُوا به وأذعنُوا له.

قوله: (﴿وَشِفَآءٌ﴾ من الجهل) أي: ومن الأمراض الحسيَّة والمعنويَّة، الظاهريَّة والباطنيَّة.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾) مبتدأ، و﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿وَقْرٌ﴾ مبتدأٌ مؤخَّرٌ، والجملةُ خبر المبتدأ الأول.

قوله: (فلا يَسمعونه) أي: لِوُجود الحجاب على قلوبهم؛ فلا يُوفَّقون لاتِّباعه.

قوله: (أي: هم كالمنادى. . . إلخ) أي: فالكلام فيه استعارةٌ تمثيليَّةٌ؛ حيث شبَّه حالهم في عدم قَبول المواعظ، وإعراضِهم عن القرآن وما فيه بحال مَنْ يُنَادَى من مكان بعيد، والجامعُ عدمُ الفَهم في كلٍّ.

قوله: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾) كلامٌ مستأنفٌ، سيق لبيان أنَّ الاختلاف في شأن الكتب عادةٌ

---

(١) قرأ قالونُ وأبو عمرو وأبو جعفر بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما، وابن كثير وابن ذكوان وحفص ورُوَيس بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية من غير إدخال، ولِوَرش وجهان: أحدهما: كابن كثير، والآخر: إبدالها حرف مدٍّ مع الإشباع للساكنين، وهشام بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية، ورَوح وشعبة والأخوان وخلف بتحقيق الأولى والثانية من غير إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٨٤).

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ....

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بِتَأخِير الحِساب والجَزاءِ لِلخَلائِق إلى يَوم القِيامةِ ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدُّنيا فِيما اختَلَفُوا فِيه، ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المُكَذِّبين به ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: مُوقِع في الرِّيبة.

﴿٤٦﴾ ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عَمِلَ، ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: فضَرَرُ إساءتِه على نَفسِه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: بِذِي ظُلم لِقَولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

حاشية الصاوي

قديمةٌ، غيرُ مُختصٍّ بقومك، وهو تسليةٌ له ﷺ، والمعنى: لا تَحزن على اختلاف قومِك في كتابك؛ فقد اختَلف مَنْ قبلهم في كتابهم.

قوله: (﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾) أي: عجَّل لهم العذاب في الدنيا.

قوله: (﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾) أي: من أجل المخالَفة، وقوله: (﴿مُرِيبٍ﴾) أي: مُورِث شكًّا آخرَ.

قوله: (﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عَمِل) أشار بذلك إلى أنَّ الجارَّ والمجرور مُتعلقٌ بمحذوف، ويصحُّ أن يكون خبراً لمحذوف؛ أي: فعمَله الصالح لنفسه، والجملة على كلِّ حالٍ جوابُ الشرط إن جُعلت (مَن) شرطيَّةً، أو خبرٌ لها إن جعلت موصولةً، وكذا يقال في الجملة بعدَها.

قوله: (أي: بذي ظُلم) جوابٌ عمَّا يُقال: إن الآية لم تَنْفِ أصلَ الظلم، فأجاب: بأنَّ (ظلام) صيغةُ نسبةٍ لا مبالغة، والمعنى: ليس بِمَنسوب للظلم؛ ك: تمَّار وخبَّاز؛ أي: مَنسوب للتمور والخبز.

إن قُلت: إنَّ الظلم مستحيلٌ على الله تعالى عقلاً؛ لأنه التصرُّف في مِلك الغير، ولا ملكَ لأحدٍ معه؛ فكيف يتصوَّر إثباته حتى يحتاجَ لنفيِه؟

أجيب: بأنَّ المرادَ بالظلم المنفيِّ في الآية تعذيبُ المطيع، لا حقيقة الظلم، وإنما سمَّاه ظلماً؛ تفضلاً منه وإحساناً، كأنَّ الله تعالى يقول: لا أُدخل أحداً النَّار من غير ذنب، فإن فعلتُ ذلك.. كنت ظالماً، وهو مستحيلٌ، على حدِّ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] فتدبَّر.

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ....

﴿٤٧﴾ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تكونُ لا يَعلَمُها غيرُه، ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَةٍ﴾ - وفي قِراءة: ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ - ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾: أوعِيَتِها - جمعُ (كِمٍّ) بِكسر الكاف - إلَّا بعِلمِه، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾) أي: لله يردُّ علم جواب السؤال عن الساعة، وهذه الآية بمعنى قولِه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فالمعنى: تعيين وقت مجيئِها لا يَعلمه إلا الله تعالى، وتقدَّم ذلك عند قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤][(١)].

قوله: (لا يَعلمه غيره) أخذ الحصرَ من تقديم الجارِّ والمجرور، والمعنى: لا يُفيد علمه غيره تعالى؛ فلا يُنافي أنَّ رسول الله ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى اطَّلع على ما كان وما يكون وما هو كائن، ومن جملته وقتُ الساعة، ولكن أُمر بكتمانه؛ فلا يفيد السائل عنه شيئاً[(٢)].

قوله: (﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾) المرادُ الجنسُ، وقوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً، والجمع ظاهر[(٣)].

قوله: (جمع «كِمّ» بكسر الكاف) أي: وهو ما يغطي الثمرةَ من النَّوْرِ والزَّهر، ويجمع أيضاً على: (أَكِمَّةٍ) و(كِمَام)، وأمَّا ما يُغطي اليد من القميص.. فبالضمِّ، وجمعه: (أكمام)، وقيل: ما يغطي الثمرة بالضمِّ والكسر، وما يُغطي اليد بالضم فقط.

قوله: (﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ﴾... إلخ) أي: يعلمُ قدرَ أيامِ الحملِ وساعاتِهِ، وكونَهُ ذكراً أو أنثى، واحداً أو مُتعدداً، وغيرَ ذلك، ويَعلم وقت وضعه ومكانه.

قوله: (﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾) استثناء مفرغ من عُموم الأحوال، والتقدير: وما يحدث شيءٌ من خروج ثمرة أو حملِ حامل أو وضعها إلا ملتبساً بعلمه، فقد حذف من الأوَّلين؛ لدلالة الثالث عليه.

إن قلتَ: قد يَعلم ذلك بعضُ الخلق من أصحاب الكشف، وبعضُ الكهَنة والمنجِّمين.

---

(١) انظر (٥/ ٢٧٤).

(٢) وهو الذي نقله الإمام اللقاني في «هداية المريد لجوهرة التوحيد» (٢/ ٩٧٥) عن جمع.

(٣) قرأ نافع وابن عامر وحفص بألف بعد الراء جمعاً، والباقون بغير ألف إفراداً. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٢٣).

أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ....

أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾: أعلَمْناك الآنَ ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي: شاهِدٍ بأنَّ لك شَريكاً.

﴿٤٨﴾ ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾: يَعبُدُونَ ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدُّنيا مِن الأصنامِ، ﴿وَظَنُّواْ﴾: أيقَنُوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مَهرَبٍ مِن العذابِ، ـ والنَّفيُ في الموضِعَين مُعلَّق عن العمل، وجُملةُ النَّفي سَدَّت مَسَدَّ المفعُولَين ـ.

حاشية الصاوي

أُجيب: بأنَّ صاحب الكشف علمُهُ بإلهامٍ من الله تعالى لِبَعض جزئيَّات فقط، وأمَّا الكهنة والمنجِّمون.. فعِلمهم مستندٌ لأمورٍ ظنِّيةٍ قد تصيب، والغالب عليها الخطأ.

قوله: (﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾) أي: بزعمكم، وفيه تقريعٌ وتهكُّم بهم.

قوله: (﴿قَالُوٓاْ﴾) أي: يَقولون، وعبَّر بالماضي؛ لتحقُّق الوقوع.

قوله: (الآن) أشار بذلك إلى أنَّ المراد الإنشاءُ، لا الإخبارُ عمَّا سبَق، فالجملة خبريَّة لفظاً، إنشائيَّة معنًى، ويصحُّ أن يرادَ الإخبار؛ لتنزيلهم علمَهُ تعالى بحالهم مَنزلة إعلامهم به، فأخبرُوا وقالوا: آذناك.

قوله: (﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾) أي: غاب نفعهم عنهم؛ فلا يشفعون لهم، ولا ينصرونهم، وهذا في المحشَر، وأمَّا في النار فيُجْمَعُون معهم.

قوله: (﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾) أي: فرارٍ ومهربٍ من النار.

قوله: (والنَّفيُ) أي: وهو (ما)، وقوله (في الموضعين) أي: وهما ﴿مَا مِنَّا﴾ و﴿مَا لَهُم﴾.

قوله: (مُعَلَّقٌ عن العمل) التَّعليقُ: إبطالُ العمل لفظاً لا محلاً، والعاملُ المعلَّق هو (آذن) و(ظنَّ).

قوله: (وجملة النفي) أي: في الموضعَين.

قوله: (سدَّت مسدَّ المفعولين) أي: الأولِ والثاني لـ(ظنوا)، والثاني والثالث لـ(آذنَّا)؛ فإنه يتعدَّى لثلاثة كـ: أعلم، وأرى، والمفعولُ الأوَّلُ الكاف.

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ....

﴿٤٩﴾ ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: لا يَزالُ يَسألُ رَبَّه المالَ والصِّحَّةَ وغيرَهما، ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الفقرُ والشِّدَّة ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ مِن رَحمة الله، وهذا وما بَعدَه في الكافِرين.

﴿٥٠﴾ ﴿وَلَئِنْ﴾ - لامُ قَسَم - ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾: آتيناهُ ﴿رَحْمَةً﴾: غِنًى وصِحةً ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾: شِدَّةٍ وبَلاءٍ ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي: بِعَمَلي، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾) المرادُ به جنسُ الكافر؛ كما يأتي في المفسِّر.

قوله: (﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾) المصدر مضافٌ لمفعوله.

قوله (وغيرهما) أي: كالولد ونحوِه من خير الدنيا.

قوله: (﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾) خبران لمبتدأ محذوف؛ أي: فهو.

قيل: اليأسُ والقنوطُ مُترادفان، وجُمِعَ بينهما لِلتأكيد، وقيل: اليأس: قطع الرجاء من رحمة الله، والقنوط: إظهار آثارِه على ظاهر البدن، ويُطلق اليأس على العلم؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد: ٣١]. و(يئس): من باب: (فهم)، و(قنط): من باب (جلس) أو (دخل) أو (طرب).

قوله: (وما بعده) أي: وهو قولُه: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ﴾ إلى قوله: ﴿لَلْحُسْنَىٰ﴾، وأما قوله: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ... إلخ﴾ تصريحٌ في الكافرين، لا يحتاج لِلتنبيه عليه.

قوله: (﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾) جوابُ القسَمِ، وجوابُ الشرط محذوفٌ لسدِّ جواب القسم مسدَّه؛ للقاعدة المذكورة في قول ابن مالك[1]: [الرجز]

واحْذِفْ لدى اجتماعِ شرطٍ وقَسَمْ جَوابَ ما أخَّرْتَ فهو مُلتَزَمْ

قوله: (أي: بِعَملي) أي: بما لي من الفضل والعمل والشَّجاعة والتَّدبير.

قوله: (﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾) أي: تقوم.

(١) «الخلاصة»، باب (عوامل الجزم).

وَلَبِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾ ....

﴿وَلَبِن﴾ - لامُ قسَم - ﴿رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي: الجنَّة، ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾: شَديد، - واللامُ في الفِعلَين لامُ قسَم -.

﴿٥١﴾ ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ الجِنسِ ﴿أَعۡرَضَ﴾ عن الشُّكرِ ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: ثنى عِطفَه مُتبَختِراً، - وفي قِراءة بِتقديمِ الهمزةِ - ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾: كَثيرٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَبِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾) أي: كما تقول الرسلُ على فرض صدقهم. وقد أُكِّدَتْ هذه الجملةُ بأمورٍ؛ زيادةً في التعنُّت منها: القسَم، و(إن)، وتقديمُ الظرفِ، والجارِّ والمجرور.

قوله: (﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) جوابٌ لقول الكافر: (ولئن رجعت... إلخ).

قوله: (الجنس) أي: من حيث هو، مُسلماً أو كافراً، ولكنه مُشكلٌ بالنسبة للكافر؛ فإنه تقدَّم أنه عند مسِّ الشَّر كان يؤوساً قنوطاً، وهنا أفاد أنه ذُو دعاء عريض؛ فيقتضي أنه راجٍ، فحصَل بين الآيتين التناقض.

وأُجيب: بأنه يُمكن حملُ ما تقدَّم على أناسٍ دُون آخرين، أو على الكلِّ لكن الأوقاتُ مختلفةٌ؛ فبعضُ الأوقات يكونُون آيسِين، وبعض الأوقات يكونون راجِين.

قوله: (﴿وَنَآءَ بِجَانِبِهِۦ﴾) بتقديم الألف على الهمزة بوزن: (قال)، وقوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً، وقوله: (بتقديم الهمزة) أي: على الألف بوزن: (رمى)، والنون مقدَّمة على كِليهما[1].

قوله: (﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾) أي: فهو ذو دُعاء.

قوله: (كثيرٍ) أشار بذلك إلى أنَّ العَرْضَ يُطلق على الكثرة كالطول؛ يُقال: أطال فلان الكلام، وأعرَض في الدعاء: إذا أكثر.

---

(١) قرأ أبو جعفر وابن ذكوان بتقديم الألف على الهمزة، والباقُون بتقديم الهمزة على الألف. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٨٥).

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ....

﴿٥٢﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كما قال النَّبيُّ، ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ﴾ أي: لا أحدَ ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ﴾: خِلافٍ ﴿بَعِيدٍ﴾ عنِ الحَقِّ، أُوقِعَ هذا مَوقِعَ (مِنكُم) بَياناً لِحالِهِم.

﴿٥٣﴾ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾: أقطارِ السَّماواتِ والأرضِ مِن النَّيِّراتِ والنَّبات والأشجار، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾) (رأى): في الأصل عِلميَّة أو بصريَّة، أُطلق العلم أو الإبصار وأريد ما ينشأ عنه وهو الخبر، ثم أطلق الاستفهام عن العلم والإبصار وأُريد منه طلبُ الإخبار، ففيه مَجازان[1].

قوله: (كما قال النبي) المناسب إسقاطُه[2].

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ.

قوله: (أَوْقَعَ هذا) أي: قوله: ﴿مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

قوله: (﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾) الضمير عائدٌ على كفَّار مكة، والمعنى: سنري كفَّارَ مكةَ دلائلَ قدرتنا حالَ كونها في الآفاق؛ جمع أُفُقٍ؛ ك: أَعْنَاقٍ وعُنُقٍ، ويُقال: أَفَقٍ بفتحتَين ك: جَبَلٍ وأَجْبَالٍ.

قوله: (مِن النيرات) أي: الشمس والقمر والنجوم، وقوله: (والأشجار والنبات) أي: والرياح والأمطار والجبال والبحار، وغير ذلك من العجائب العُلوية والسفليَّة.

قوله: (﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾) أي: كخلقهم أوّلاً نُطَفاً ثمَّ عَلَقاً ثمَّ مُضَغاً ثمَّ عظاماً، ثمَّ بعد تمام مُدَّتهم في البُطون يخرجهم إلى فضاء الدنيا ضِعافاً، ثمَّ يُعطيهم القوَّة شيئاً فشيئاً وهكذا.

---

(١) استعمالُ (رأى) التي بمعنى (عَلم) أو (أبصر) في الإخبار، واستعمالُ الهمزة التي هي لِطلب الرؤية في طلب الإخبار. «فتوحات» (٤/ ٥١) نقلاً عن الشهاب.

(٢) لأن تقديره ليس ضروريًا. «فتوحات» (٤/ ٥١) نقلاً عن شَيخه العلامة الأجهوري.

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ . . . .

مِن لَطِيفِ الصَّنعةِ وبَديعِ الحِكمة، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي: القرآنَ ﴿الْحَقُّ﴾ المُنزلُ مِن الله بِالبَعث والحِساب والعِقاب، فيُعاقَبُون على كُفرِهم بِه وبِالجائي بِه، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ ـ فاعِلُ ﴿يَكْفِ﴾ ـ ﴿أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ـ بدلٌ منه ـ أي: أوَلم يَكفِهم في صِدقِك أنَّ ربَّك لا يَغِيبُ عنهُ شَيءٌ ما؟

حاشية الصاوي

واستُشكل ظاهر الآية: بأنَّ السين تَدُلُّ على تخليص المضارع للاستقبال، مع أنَّهم مُشاهِدون هذه الآياتِ في الحال.

أُجيب: بأنَّ الكلام على حذفِ مضافٍ، والتقدير: سنريهم عواقبَ آياتنا وأسرارَها؛ ففيه وَعدٌ للمُعتبر، ووعيدٌ لغيره؛ لأنَّ حكمةَ هذه الآيات النَّظرُ والتأمُّلُ والاعتبارُ، فمَن اعتبر بهذه الآيات.. فقد سَعِدَ، ومن تركه.. فقد شَقي.

قوله: (مِن لَطيف الصنعة وبديعِ الحكمة) من ذلك: ما خلَقه وأبدعه في نفس الإنسان؛ كالأكلِ والشرب يَدخل من مكان واحد، ويتميَّز ذلك خارجاً من مَكانين مختلفَين، لا يختلط أحدهما بالآخر، والبصرِ فإنه يُنظر به من السماء إلى الأرض مسيرةَ خمس مئة عام، والسَّمعِ فإنه يُفرق به بين الأصوات المختلفة وغير ذلك.

وهذا ما قرَّر به المفسِّر الآية، وهناك احتمالاتٌ أُخر منها: أن المراد بـ(الآيات): ما أخبرهم النبيُّ ﷺ من الحوادث الآتية، والمراد بـ(الآفاق): فتحُ القرى له ولخلفائه من بعدِه الذي لم يتيسَّر مثلُه لأحدٍ من خلفاء الأرض قبلهم، والمراد بـ(أنفسهم): فتح مكة ومُلكهم، وقد تحقَّق ذلك لرسول الله وخُلفائه من بعده.

ومنها: أن المراد بـ(الآيات): وقائعُ الأمم السابقة، والمراد بـ(أنفسهم): ما حصَل لهم يوم بدر من القتل والأسر، ومنها غير ذلك.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾... إلخ) الهمزة داخلة على محذوف، والواوُ عاطفة عليه، والتقدير: أتحزنُ على إنكارهم ومُعارضتهم لك ولم يَكفِك ربك؟ والاستفهام إنكاري، والباء زائدةٌ في الفاعل، والمفعول محذوف، تقديره: يَكفِك، و(أن) وما دخلَت عليه: في تأويل مصدرٍ، بدل من الفاعل بدلَ كلٍّ من كلٍّ، والمعنى: أتحزَن على كُفرهم ولم يَكفك شهادة ربك لَك وعليهم؟

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾

﴿٥٤﴾ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ﴾ لإنكارِهِم البعثَ، ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ عِلماً وقُدرةً، فيُجازِيهِم بِكُفرِهِم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

والمفسِّر قرَّر الآية بتقريرٍ آخر، والمؤدَّى واحدٌ؛ حيث جعل الآية إخباراً عن حالهم، وعليه فالمعنى: ألم يَعتبرُوا ويكفهم شهادةُ ربِّك لك بالصدقِ وعليهم بالتكذيب؟

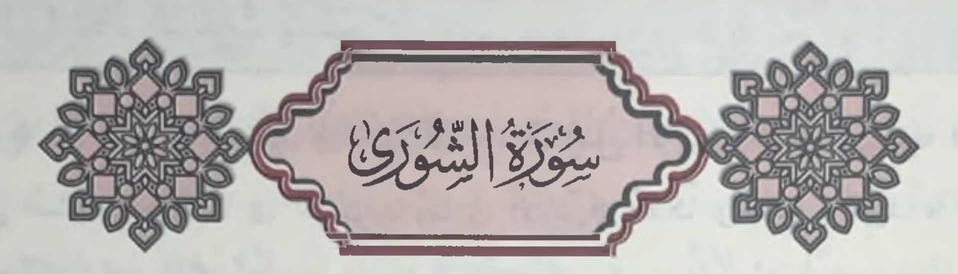
قوله: (لإنكارهم البعث) أي: بِألسنتهم، والمعنى: أنَّ الدليل لنا على كونهم في شكٍّ من لقاءِ ربهم إنكارُهُم بألسنَتِهم للبعث، ولا يقال: إنَّ عندَهم جزم[1] في قُلوبهم بعدم البعث؛ لأننا نقول: لا دليلَ لهم عليه حتى يحصلَ الجزم بالأوهام ووساوسِ شَيطانه، والحجة القطعية إنما هي على البعث، وهكذا سائرُ عقائد الكفر، فتدبَّر.

قوله: (﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾) تسليةٌ له ﷺ، والمعنى: لا تحزَن على كفرهم؛ فإنَّ الله محيطٌ بكلِّ شيءٍ؛ فلا يَعزب عنه مثقال ذرَّة في السماوات ولا في الأرض، ومِن لازمه أنه يُجازيهم؛ فلذلك قال المفسِّر: (فيجازيهم).

✿ ✿ ✿

(١) كذا في الأصول؛ بالرفع، فيكون اسم (إن) ضمير شأن محذوفاً؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ مِن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون»، كما رَواه النسائي في «المجتبى» (٨/ ٢١٦)، والأصل: إنه؛ أي: الشأنَ. انظر «مغني اللبيب» (ص٥٦).

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ ....



مكيَّة إلَّا ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمۡ...﴾ الآياتِ الأربَع، ثلاثٌ وخَمسون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ الله أعلَم بِمُرادِهِ به.

(٣ - ٤) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثلَ ذلك الإيحاء ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الشُّورَىٰ

بالتعريف، وتسمَّى أيضاً: سورة (شورى) من غير تَعريف، وسورة (حم عسق)، وسورة (عسق)، وسورة (حم سق).

قوله: (إلا ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾... إلخ) وقيل: أولُ المدني ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾، وينتهي إلى ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، وقيل: فيها من المدني أيضاً قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾.

قوله: (﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾) أجمع القُراء على أنَّ ﴿حمٓ﴾ مفصولة عن ﴿عٓسٓقٓ﴾ في الخط، وعلى أنَّ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ متصلة ببعضها، والحكمة في ذلك: أنَّ ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ فُصِلَتْ لما قيل: إنهما اسمان لِلسورة، وأيضاً: لِيُطابق سائر الحواميم.

قوله: (أي: مثل ذلك الإيحاء) أشار بذلك إلى أنَّ الكاف في محل نصب على المفعوليَّة المطلقة، والمعنى: يُوحي إليك وإلى الذين من قبلك إيحاءً مثلَ ذلك الإيحاء في المعنى؛ لِما وَرد عن ابن عباس: ليس من نبيٍّ صاحبِ كتاب إلا وقد أُوحي إليه ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾[1].

(١) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ١٨٤).

يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ ....

﴿يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَ﴾ أوحى ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ﴾ ـ فاعِلُ الإيحاء ـ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلكِه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه. ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبيداً، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ على خَلقِه، ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: الكَبيرُ.

﴿٥﴾ ﴿تَكَادُ﴾ ـ بالتاء والياءِ ـ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَنفَطِرْنَ﴾ ـ بِالنُّونِ، وفي قِراءة بِالتَّاءِ والتَّشدِيد ـ

حاشية الصاوي

ووجهُ المشابهة: أنَّ الموحى به في الكلِّ يرجع لأمور ثلاثةٍ: التوحيد، والنبوة، والبعث، فهذا القدر مُشتركٌ بين القرآن وغيره من الكتب.

قوله: (﴿يُوحِىٓ إِلَيْكَ﴾) جمهور القرَّاء على أنه بالياء مبنيًّا للفاعل، و﴿ٱللَّهُ﴾ فاعِله، وقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول، ونائب الفاعل: إما ضميرٌ عائد على ﴿كَذَٰلِكَ﴾، أو الجارُّ والمجرور، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فاعل بفعل محذوف، كأنه قيل: مَنْ يُوحيه؟ فقيل: يوحيه الله؛ نظير: (يُسبَّح له فيها بالغُدو والآصالِ رجالٌ)[1]، وقُرئ شذوذاً بالنون مبنيًّا للفاعل، ولفظ الجلالة بدلٌ من الضمير في (نُوحي) الواقع فاعلاً[2].

قوله: (﴿وَ﴾ أوحى ﴿إلى الذين مِن قبلك﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿يُوحِىٓ﴾ مستعملٌ في حقيقتِه ومَجازه، فهو مستعملٌ في المستقبل بالنظر لما لم يُنزل عليه من القرآن حينئذٍ، وفي الماضي بالنظر لما أُنزل عليه بالفعل، وبالنظر لما أُنزل على الرسل السابقِين.

قوله: (فاعل الإيحاء) أي: على قراءة الجمهور، وأمَّا على قراءة البناء للمفعول.. فهو فاعل بفعل محذوف، وعلى قراءة النون.. فهو بدلٌ من ضمير (نُوحي).

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ على خلقه) أي: المنزَّهُ عن صِفات خلقه.

قوله: (﴿ٱلْعَظِيمُ﴾) أي: المنفرِد بالكبرياء والعظمة.

قوله: (بالنون... إلخ) ظاهره: أن القراءات أربعٌ من ضرب اثنين في اثنين، وليس كذلك،

---

(١) في قراءة ابن عامر وشُعبة بفتح باء (يُسبَّح) مبنيًّا للمفعول؛ فإن التقدير: يُسبِّحه رجال. انظر «مغني اللبيب» (ص٧١٠).

(٢) وبها قرأ أبو حيوة والأعمشُ وأبان. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٣٧).

مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ . . . .

﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي: تَنشَقُّ كُلُّ واحِدةٍ فوقَ التِي تَلِيها مِن عَظَمةِ الله تَعالى، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: مُلابِسِين لِلحَمدِ، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن المُؤمِنِين،

حاشية الصاوي

بل هي ثلاثة فقط سَبعيَّات؛ لأنَّ من قرأ ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء الفوقيَّة يُجوِّزُ في (يَنفطرن) الوجهين، ومَن قرأ (يكاد) بالياء التحتية.. لا يقرأ (يَنفطِرن) إلا بالتاء مع التشديد[1].

قوله: (أي: تنشقُّ كلُّ واحدةٍ) أي: تسقط السابعةُ فوق السادسة، والسادسة فوق الخامسة، وهكذا إلى أن يسقطَ الجميع فوق الأرض، فتنشقُّ الأرض وتخرُّ الجبال هدًّا، والتقييد بالفوقيَّة أبلغ في مَزيد الهيبة والجلال.

قوله: (فوق التي تليها) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في ﴿فَوْقِهِنَّ﴾ عائدٌ على السموات، ويصحُّ عَودُه على فِرَقِ الكفار والمشركين، أو على الأرضِين؛ لتقدُّم ذكر الأرض[2].

قوله: (مِن عظمته تعالى) أي: فالسماوات تكاد تنشقُّ وتخرُّ؛ خوفاً من الجلال الناشئ عن قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، يدلُّ على ذلك ما تقدَّم في سورة (مريم)[3].

قوله: (﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾... إلخ) هذا كلامٌ مستأنفٌ، سِيق لبيان فضل بني آدم.

قوله: (مِن المؤمنين) أي: والمراد بالملائكة: حملةُ العرش ومَنْ حوله؛ بدليل ما تقدَّم في (غافر)، فحمل المطلق على المقيَّد[4].

وقيل: المراد: مطلقُ الملائكة، وبـ(من في الأرض) العمومُ، فيَشمَل جميع الحيوانات، والمراد بالاستغفار: طلبُ الأرزاق ودفع البلاء، وكلٌّ صحيحٌ؛ ولذلك قال بعض العارفِين: أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، وأَغشُّ عباد الله لِعباد الله الشياطين[5].

---

(١) قرأ نافع والكسائي بالياء التحتية، والباقون بالفوقية، وقوله تعالى: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ قرأه شعبة وأبو عمرو بعد الياء بنون ساكنة وكسر الطاء مُخففة، والباقون بعد الياء بتاء فوقية مفتوحة وفتح الطاء مُشدَّدة. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٢٧).

(٢) ذكر الأوجه الثلاثة العلامةُ السمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٥٣٩).

(٣) انظر (٤/ ٢٤٥).

(٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾، وانظر (٦/ ٦١).

(٥) من كلام الإمام مُطرِّف بن عبد الله؛ كما رَواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٥٨).

﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ۝٦ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ ....﴾

﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ لِأوليائِه، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بِهِم.

(٦) ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾: مُحصٍ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ لِيُجازِيَهُم، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ تُحصِّلُ المَطلوبَ مِنهُم، ما عليك إلَّا البَلاغُ.

(٧) ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مِثل ذلكَ الإيحاءِ ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ﴾: تُخوِّفَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ﴾... إلخ) ﴿أَلَآ﴾: أداة استفتاح يُؤتى بها لتأكيد ما بعدها، وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بالمغفرة والرحمة، وأكَّد ذلك بـ(ألا) الاستفتاحيَّةِ، و(إنَّ)، والجملةِ الاسميَّةِ؛ تفضُّلاً منه وإحساناً؛ لِلإشارة إلى أنَّ رحمتَه غلبَتْ غضبَهُ.

قوله: (أي: الأصنامَ) تفسيرٌ للمفعول الأوَّل، فهو محذوفٌ، والثاني هو قوله: ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾، والمعنى: والذين اتخذُوا الأصنام آلهةً مَعبودةً قائلِين: ما نعبدهم إلا لِيُقربونا إلى الله زلفى، يدل عليه الآية الأخرى[1].

وأمَّا الأولياء بمعنى: المتولِّين خدمةَ ربِّهم وتولَّاهم بمحبَّته ومعرفتِه.. فمحبَّتُهم والتعلُّقُ بهم من جملة طاعة الله؛ لأنهم الوَسيلة لنا إلى الله ورسوله، وليست محبَّتنا لهم وتوسُّلنا بهم شركاً إلا إذا كانت على وجهِ العبادة كالسجود مثلاً، واعتقادِ أنهم يُؤثِّرون بذواتهم في نفعٍ أو ضرٍّ، خلافاً للخوارج الضَّالين المضلِّين؛ حيث زعمُوا أنَّ كلَّ مَنْ توسَّل إلى الله بأحدٍ سِواه فهو مشركٌ.

قوله: (﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾) أي: ضابطٌ لهم ولأعمالهم؛ فلا يَغيب عنه شيءٌ منها، ولا يُفلتون منه، فهذه الآية توبيخٌ للكفار، وتسليةٌ له ﷺ.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) يصح أن يكون مفعولاً مطلقاً لـ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾، و﴿قُرۡءَانًا﴾: مفعول به، والتقدير: وأوحينا إليك قرآناً عربيًّا إيحاءً كذلك، واسم الإشارة عائدٌ على الإيحاء المتقدِّم في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ..إلخ﴾، ويصحُّ أن يكون مفعولاً به، و﴿قُرۡءَانًا﴾: حال، والتقدير: وأوحينا إليك مثل ذلك الإيحاء حال كونه قرآناً عربيًّا.

(١) في سورة (الزمر): ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾.

أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ....

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: أهلَ مكَّة وسائِر النَّاس، ﴿وَتُنذِرَ﴾ النَّاسَ ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ أي: يومَ القِيامة تُجمَع فِيه الخَلائقُ، ﴿لَا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ فَرِيقٌ﴾ مِنهُم ﴿فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾: النارِ.

﴿٨﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: على دِينٍ واحِد ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾) سمِّيت بذلك؛ لأنها أوَّل بلدٍ خلقها الله وشرَّفها؛ ولذا بعث لها أصلَ الخلق وأشرفَهُم، وهو سيِّدنا محمد ﷺ.

قوله: (﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾) أي: من كلِّ جهة، فهو مَبعوثٌ لسائر أهل الأرض، بل وأهل السماء[1].

وإنما اقتصر على الإنذار وإن كان مَبعوثاً بالبشارة أيضاً؛ لأنه في ذلك الوقت لم يكن محَلٌّ للبشرى؛ لأنَّ الخلق في ذلك الوقت كفَّارٌ.

قوله: (﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾) هو المفعول الثاني، والأوَّل محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (الناس) عكسَ الفعل الأول؛ فإنه قد ذكر المفعول الأوَّل، وحذف الثاني، تقديرُه: العذاب؛ ففي الآية احتباكٌ؛ حيث حذف من كلٍّ نظيرَ ما أثبَتَه في الآخَر.

قوله: (﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾) حال من ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾.

قوله: (﴿فَرِيقٌ﴾) إمَّا مبتدأ في كلٍّ خبره الجارُّ والمجرور بعده، والمسوِّغُ للابتداء بالنكرة وقوعها في مَعرض التفصيل وهو الأولى، أو مبتدأٌ خبره محذوف، تقديره: منهم، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف؛ أي: هم.

قوله: (﴿فِى ٱلْجَنَّةِ﴾) المراد بها: دار الثواب، فتَعُمُّ جميعَ الجِنان، وقوله: (﴿وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾) المراد به: دار العذاب بجميع طِباقها؛ فالجنة لمن لم يَتَّصف بالكفر من الثقلَين إنساً وجنًّا، والنار لمن اتصف بالكفر من المكلَّفين إنساً وجنًّا.

قوله: (﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾) مفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوفٌ، وتقديره: جعْلَهُم أمَّةً واحدةً، والمعنى:

---

(١) كما رجَّحه جمع مُحققون كالسبكي ومَن تبعه، ونقله عنهم الإمام المحقق ابن حَجر الهيتمي في «تحفته» (١/ ٢٥)، ثم نقل عن البارزي أنه قال: (أرسل حتى للجمادات بعد جعلها مُدركة، وفائدة الإرسال للمعصوم وغير المكلف: طلبُ إذعانهما لِشَرفه، ودخولهما تحت دَعوته، واتباعه تشريفاً له على سائر المرسَلين).

وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ ....

وهو الإسلامُ، ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافِرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَدفَعُ عنهُم العذابَ.

﴿٩﴾ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أَوْلِيَآءَۖ﴾ ـ (أم) مُنقَطِعةٌ بِمعنَى (بَل) التي لِلانتِقال، والهَمزةُ لِلإنكارِ ـ أي: لَيس المُتَّخَذُون أولياءَ ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ أي: النَّاصِرُ

حاشية الصاوي

أنَّ الأمر كلَّه لله؛ فلا يُسأل عما يَفعل، فحكمتُهُ سبَقت بأن خلق جنَّةً وخلق لها أهلاً، وخلق ناراً وخلَق لها أهلاً.

قوله: (وهو الإسلام) أي: أو الكفر.

قوله: (﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾) أي: بِفَضله وإحسانِهِ، وهم فريق الجنة.

قوله: (﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾) أي: وهُم فريق النار، وهو مقابل قوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يُقال: (ويدخل من يشاء في غضبه)، وعَدل عنه إلى ما ذكر؛ إشارةً إلى دفع توهُّم أنَّ لهم شفيعاً ونصيراً في الآخرة، وأمَّا دُخولهم في الغضب.. فأمرٌ معلومٌ لا يَحتاج للنص عليه.

قوله: (الكافرون) تفسيرٌ لـ(الظالمون)، فالمراد بالظلم: الكفر، وأمَّا الظالمون بمعنى: العاصِين بغير الكفر.. فلهم نصيرٌ يدفع عنهم العذاب؛ لما في الحديث: «شَفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي»[1].

قوله: (التي لِلانتقال) أي: مِن بيان المسبَّب لِبَيان السبب؛ فاتِّخاذهم الأصنامَ آلهةً سببٌ في دخولهم النَّار.

قوله: (وهمزة الإنكار) هذا أحدُ أوجهٍ في (أم) المنقطعة، وهو أنها تُقدَّر بـ(بل) والهمزة، ويصحُّ تقديرها بـ(بل) وحدها، أو الهمزةِ وحدها.

قوله: (أي: ليس المتَّخذون أولياءَ) أي: فالنفي منصبٌّ على المفعول الثاني.

قوله: (﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾) أي: المعبود بحقٍّ، المتولِّي أمورَ الخلق، والجملة المعرَّفةُ الطرفَين تُفيد الحصرَ؛ فلا معبودَ بحقٍّ إلا الله تعالى.

---

(١) رواه أبو داوود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وابن ماجه (٤٣١٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ....

لِلمُؤمِنين ـ والفاءُ لِمُجرَّدِ العَطفِ ـ ﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ﴾ مَع الكُفَّار ﴿فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾ مِن الدِّينِ وغَيرِه ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ﴾ مَردُودٌ ﴿إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ يَومَ القِيامة يَفصِلُ بينَكُم، قُل لَهُم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾: أرجعُ.

حاشية الصاوي

إن قلتَ: مقتضى الحصر هنا أنَّ لفظ (الولي) لا يَتَّصف به المخلوق، ومقتضى آية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] أنه يَتصف به المخلوقُ؛ فكيف الجمع بينهما؟

أُجيب: بأنَّ معنى (الولي) هنا: المعبود بحقٍّ، وذلك لا يتَّصف به غيره تعالى، وأمَّا الوليُّ في تلك الآية.. فمَعناه: المنهمِكُ في طاعة الله تعالى، المتولي الله أمورَه، وتقدَّم ذلك[1].

قوله: (والفاء لِمُجرد العطف) أي: عطفِ ما بعدها على ما قبلها، وردَّ بذلك على الزمخشري القائل: إنَّ الفاء واقعةٌ في جواب شرط مُقدَّر؛ أي: إن أرادُوا أولياء بحقٍّ.. فالله هو الولي، قال أبو حيان: لا حاجةَ إلى هذا التقدير؛ لِتَمام الكلام بدونه[2].

قوله: (﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾) ما: مبتدأ، شرطيَّة أو موصولة، و﴿مِن شَيۡءٖ﴾: بيان لـ(ما)، وقوله: (﴿فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾) خبر المبتدأ.

قوله: (وغيره) أي: كأُمور الدنيا.

قوله: (يفصل بينكم) أي: فيُدْخِلُ المحقَّ الجنَّةَ، والمبطِلَ النَّارَ.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمُ﴾) اسم الإشارة: مبتدأٌ، أُخْبِرَ عنه بأخبار أوَّلها: لفظ الجلالة، وآخرها: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾.

قوله: (﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾) أي: فوَّضتُ أُموري.

---

(١) انظر (٣/ ٢٢٢).

(٢) انظر «الكشاف» (٤/ ٢١٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٨).

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ

(١١) ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾: مُبدِعُهما، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ حَيثُ خلَقَ حوَّاءَ مِن ضِلَع آدمَ، ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ﴾: ذُكُوراً وإناثاً، ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ بِالمُعجمةِ: يَخلُقُكُم ﴿فِيهِۚ﴾: في الجَعلِ المَذكُور، أي: يُكثِّرُكُم بِسَبَبِه بِالتَّوالُد، والضَّمِير لِلأناسِيِّ والأنعامِ بِالتَّغلِيب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مُبدعهما) أي: على غير مثالٍ سابقٍ.

قوله: (﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾) أي: من جِنسِكم، وقوله: (﴿أَزْوَٰجًا﴾) أي: نساءً.

قوله: (حيث خلَق حواء مِن ضلع آدم) أي: اليسرى وهو نائم، فلمَّا استَيقظ ورآها سَكن ومال إليها، ومدَّ يدَه لها، فقالت الملائكة: مه يا آدم، قال: ولِمَ وقد خلَقها الله لي؟ فقالوا: حتى تُؤدِّي مهرَها، قال: وما مهرها؟ قالوا: حتى تُصلي على محمد ثلاثَ مرات، وفي رواية: لَما رام آدم القرب منها.. طلبت منه المهرَ، فقال: يا رب؛ وماذا أُعطيها؟ فقال: يا آدم صلِّ على حبيبي محمد بن عبد الله عِشرين مرة، فلمَّا فعَل ما أُمِرَ به خطب الله له خطبةَ النكاح، ثم قال: اشهَدُوا يا ملائكتي وحمَلة عرشي أني زوَّجت أمَتي حوَّاء من عبدي آدم[1].

والضلع: بوزن (عِنَبٍ) و(حِمْلٍ)؛ فالضَّاد مكسورةٌ، واللام إمَّا مفتوحة أو ساكنة، وفعلُه: ضَلِعَ من باب (تَعِبَ): اعوَجَّ، ومن باب (نَفَعَ): مالَ عن الحق.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ﴾) أي: أصنافاً.

قوله: (أي: يُكثركم بسببه) أشار بذلك إلى أنَّ (في) للسببيَّة، والضمير في ﴿فِيهِۚ﴾ عائدٌ على الجعل المأخوذِ من ﴿جَعَلَ﴾.

قوله: (والضمير للأناسي) أي وهو الكاف في ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾.

قوله: (بالتغليب) جوابٌ عمَّا يُقال: كيف جمَع بين العاقل وغيرِه في ضمير واحد؟ فكان مقتضى الظاهر أن يُقال: يَذرؤكم ويذرَؤها.

---

(١) أورَدهما الحافظ القسطلاني في «المواهب اللدنية» (١/ ٥٠)، ونحوه ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص ٣٠٧)، وخطبة النكاح في «شرح المواهب» لِلزرقاني (١/ ١٠٢).

لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ....

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ - الكافُ زائِدة لِأنَّهُ تَعالى لا مِثلَ لَه - ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِما يُقالُ، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ لِما يُفعَل.

﴿١٢﴾ ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: مَفاتِيحُ خَزائِنِهما ....

حاشية الصاوي

قوله: (الكاف زائدة) أي: للتأكيد، وهذا أحدُ أجوبةٍ عن سؤال مقدَّرٍ، وهو أنَّ ظاهر الآية يُوهم ثبوت المِثْلِ له تعالى، وهو محالٌ؛ لأنه يَصير التقدير: ليس مِثْلَ مثلِهِ شيءٌ، فنفى المُماثلة عن مِثْلِهِ، فثبَت أنَّ له مِثْلاً ولا مِثْلَ له، وأيضاً: يَلزم عليه التناقض؛ لأنه إذا كان له مِثْلٌ فلمِثْلِهِ مِثْلٌ، وهو هو، مع أنَّ إثبات المثل لله تعالى مُحالٌ[١].

فأجاب المفسِّر: بأنَّ الكاف زائدة، والتقدير: ليس مِثله شيءٌ، وهذا الجواب أسهَلُ الأجوبة في هذا المقام.

وأجيب أيضاً: بأن (مثل) زائدة، وردَّ: بأنَّ زيادة الأسماء غيرُ جائزةٍ، وأيضاً: يَلزم عليه دخولُ الكاف على الضمير، وهو لا يجوز إلا في الشعر.

وأجيب أيضاً: بأنَّ المِثْلَ بمعنى: الصفة، وحينئذٍ فالتقدير: ليس مثل صفته شيءٌ.

وأجيب أيضاً: بأنَّ الكاف أصليَّة، والكلام من قَبِيل الكناية؛ كقولهم: مثلُك لا يَبخل، وليس لأخ[٢] زيد أخٌ، فنَفْيُ المُماثلة عن المثل مبالغةٌ في نفيِها عنه هو؛ لأنَّ العرب تُقيم المثل مقامَ النفس[٣].

قوله: (﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) جمع (مِقْلادٍ)، أو (مِقْليدٍ)، أو (إِقْليدٍ).

---

(١) قال العلامة السمين: (وهذه طريقة غريبة في تقرير الزيادة، وهي طريقة حسَنة فيها حسن صناعة). انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٤٤).

(٢) كذا في الأصل على لُغة النقص، والأشهر الإعراب بالحروف كما في (ط٢): (لأخي).

(٣) فتقول: مِثلي لا يقال له هذا؛ أي: أنا لا يُقال لي هذا. وقال الراغب: المثل: أعمُّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أن النِّد: يُقال لما يشارك في الجوهر فقط، والشِّبه: يُقال فيما يشاركه في الكيفية، والمساوي: يُقال فيما يشاركه في الكميَّة فقط، والشكل: يُقال فيما يشاركه في القدر والمساحة، والمِثْلُ: عامٌّ في جميع ذلك؛ ولهذا لما أراد الله تعالى نفي الشبيه من كلِّ وجهٍ خصَّه بالذكر، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾. «فتوحات» (٤/ ٥٨)، وانظر «تفسير الراغب» (١/ ١١٣).

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٢ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ....﴾

مِن المَطَر والنَّباتِ وغيرِهما، ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يُوَسِّعُهُ ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتِحاناً، ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضيِّقُه لِمَن يَشاءُ ابتِلاءً، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ هو أوَّلُ أنبياءِ الشَّرِيعة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مِن المطر... إلخ) بيانٌ لِلخزائن، وقوله: (وغيرهما) أي: كالجواهر المستخرَجة من الأرض.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾) تعليلٌ لما قبله.

قوله: (﴿شَرَعَ لَكُم﴾) الخطاب لأمة محمد ﷺ، والمعنى: بيَّن لكم وجعل لَكم ديناً قويًّا واضحاً، تطابَقت على صِحته الأنبياء والرسل مِنْ قبلُ، وهو تفصيلٌ لما أجمل أوَّلاً في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾.

قوله: (﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾... إلخ) خصَّ هؤلاء بالذكر؛ لأنهم أكابرُ الأنبياء وأُولو العزم وأصحابُ الشرائع المعظَّمة المستَقِلَّة المتجدِّدة، فكان كلٌّ من هؤلاء الرسل له شرعٌ جديدٌ، وأمَّا مَنْ عداهم مِن الرسل.. إنما كان يُبعث بتبليغ شرع مَنْ قبله؛ فمَنْ بين نوحٍ وإبراهيمَ ـ وهما هُود وصالح ـ بُعِثَا بتبليغ شرع نوحٍ، ومَنْ بين إبراهيم وموسى بُعثُوا بتبليغ شرع إبراهيم، وكذا مَنْ بين موسى وعيسى بُعثُوا بتبليغ شَرع موسى، وإنما لم يذكر مَنْ قبلهم؛ لأنه لم يكن قبل نوحٍ أحكامٌ مشروعةٌ؛ لأنَّ آدم كان شرعُهُ التوحيدَ ومصالحَ المعاش، واستَمرَّ ذلك الأمر إلى نوحٍ، فبَعثه الله تعالى بتحريم الأُمَّهات والبنات والأخوات، ووظف عليه الواجبات، وأوضَح له الآداب والديانات، ولم يَزل ذلك الأمر يتأكد بالرسل، ويَتناصر بالأنبياء واحداً بعد واحدٍ، وشريعةً إثر شريعةٍ، حتى ختَمها الله بخير المِلَلِ ملَّتِنَا، على لسان أكرم الرسل نبيِّنا ﷺ، فتَبيَّن بهذا أنَّ شرعنا معشرَ الأُمَّة المحمديَّة قد جمَع جميع الشرائع المتقدِّمة.

قوله: (هو أولُ أنبياء الشريعة) أي: فهذا حِكمة بَدْئِهِ بنوحٍ، وأيضاً: لِتَقدُّمه في الزمان.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ ....

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ هـذا هو المَشرُوعُ المُوصَى بِه والمُوحَى إلى مُحمَّدٍ ﷺ، وهو التَّوحِيدُ، ﴿كَبُرَ﴾: عَظُم ﴿عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ مِن التَّوحِيد، ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾: إلى التَّوحِيد ﴿مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾: يُقبِلُ إلى طاعَتِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾) أتى بالاسم الموصول الذي هو أصلُ الموصولات، وعبَّر في جانبه ﷺ بالإيحاء؛ تعظيماً لِشأنه، وردًّا على المشركين المنكرين بَعثتَهُ ﷺ؛ حيث قالوا: لستَ مرسلاً.

قوله: (﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾) الأوضح أنَّ (أنْ) تفسيريَّة بمعنى (أيْ)، ويصح أن تكون مصدريَّة إمَّا في محل رفع خبر لمحذوف، تقديره: هو إقامة الدين، أو في محل نَصب بدل من مفعول ﴿شَرَعَ﴾، والمراد بإقامة الدين: تعديلُ أركانه وحفظُه، والمواظبة عليه.

قوله: (هو التوحيد) بيانٌ للمراد من الدين الذي اشترك فيه هؤلاءِ الرسل، وأما قوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فهو أعمُّ من ذلك؛ فإنَّ المرادَ به جميعُ الشريعة أصولاً وفروعاً، وإنما اقتصر على التوحيد؛ لأنه رأس الدين وأساسُهُ.

قوله: (﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾) أي: شقَّ عليهم.

قوله: (مِن التوحيد) اقتصر عليه؛ لأنه عِماد الدين، وإلَّا.. فما يَدعوهم إليه عامٌّ يَشمل جميع الأصول والفروع.

قوله: (﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾) من الاجتِباء، وهو اصطفاءُ الله العبدَ، وتوفيقُهُ لما يَرضاه، وتخصيصُهُ بالفُيوضات الربَّانيَّة.

قوله: (﴿مَن يُنِيبُ﴾) ضمَّنه معنى (يُقْبِلُ) أو (يميل) فعدَّاه بـ(إلى).

وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ....

(١٤) ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ أي: أهلُ الأديانِ في الدِّين بِأن وَحَّدَ بعضٌ وكَفر بعضٌ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ بِالتَّوحِيد ﴿بَغۡيَۢا﴾ مِن الكافِرِين ﴿بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بِتَأخِيرِ الجَزاء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: يَومِ القِيامةِ ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بِتَعذِيبِ الكافِرِين في الدُّنيا، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ وهُم اليَهُودُ والنَّصارَى ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾) الضمير عائدٌ على أهل الأديان المتقدِّمين من أوَّل الزمان لآخِره؛ كما قال المفسِّر، والمرادُ بأهل الأديان: أُمَمُ الأنبياء المتقدمين كأُمَّة نوح، وأمَّة هود، وأمَّة صالح وغيرِهم، وأخَذ المفسِّر العموم من مجموع رواياتٍ عن ابن عباس وغيره؛ ففي رواية عنه: أنَّ المرادَ بهم: قريشٌ، والمراد بـ(العلم): محمَّدٌ، دليلُه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢]، وفي رواية عنه: أن المراد بهم: أهلُ الكتاب؛ بدليل قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]، وفي رِواية غيره: أنَّ المراد: أُمَم الأنبياء المتقدمين(١).

قوله: (﴿ٱلۡعِلۡمُ﴾ بالتوحيد) أي: بأن قامت عليهم الحُجَج والبراهين من النبيِّ المرسَلِ إليهم.

قوله: (﴿بَغۡيَۢا﴾) مفعول لأجله؛ أي: تفرَّقُوا من أجل حصول البغي بينهم الذي هو الحسَد والعناد في الكفر.

قوله: (بتأخير الجزاء) أي: إلى يوم القيامة، وأمَّا الدنيا فليست دارَ جزاءٍ لشقيٍّ ولا سعيدٍ.

إن قلتَ: إنَّ كُفار الأمم الماضية قد نزَل بهم أنواعٌ من العذاب؛ كالصَّيحة والخسف والمسخِ وغير ذلك.

أُجيب: بأنه ليس بجزاءٍ، بل هو علامة الجزاء والخِزي.

قوله: (﴿أُورِثُواْ﴾) فعلٌ مبني لِلمفعول، والفاعل الله تعالى.

قوله: (وهم اليهود والنصارى) تفسير لـ﴿ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، وحينئذٍ: فالمراد بـ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾:

---

(١) انظر الروايات عن سيدنا ابن عباس وغيره في «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٢).

لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ ....

﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾: مِن مُحمَّد ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٍ في الرِّيبة.

﴿١٥﴾ ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ التَّوحيدِ ﴿فَادْعُ﴾ يا مُحمَّدُ النَّاسَ، ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ عليهِ ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في تركِه، ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ ....

حاشية الصاوي

التوراة والإنجيل، والضمير في ﴿بَعْدِهِمْ﴾ عائدٌ على أصولهم المتفرِّقين في الحق، وقيل: معنى ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: مِن قبلهم، ويكون الضمير حينئذٍ عائداً على مُشركي مكة.

وقيل: المراد بـ﴿الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾: مُشركو العرب، والمراد بـ﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن، والضمير في ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ عائدٌ على اليهود والنصارى.

قوله: (﴿لَفِى شَكٍّ﴾) المراد به هنا: مطلقُ التَّردُّدِ والتحيُّر.

قوله: (مُوقع في الريبة) أي: الشُّبهات والضلالات.

قوله: (﴿فَلِذَٰلِكَ﴾) الجارُّ والمجرور متعلِّق بـ(ادعُ)، والتقدير: فادع الناس لذلك التوحيد.

قوله: (﴿وَاسْتَقِمْ﴾) الاستقامة: لُزوم المنهج القويم.

قوله: (﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾) أي: مِن تقوى الله حقَّ تقاته، وعبادته حقَّ العبادة، ومن هنا شابَ رسول الله ﷺ وقال: «شيَّبتني هود وأخواتها»[1]، فسببُ شَيْبِهِ: خوفُهُ من عدم قِيامه بما أمر به، ولكن خفَّف الله عنه وعن أُمَّته بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقوله: ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ الكاف بمعنى: مِثْلِ، والمعنى: استَقم استقامةً مثلَ الذي أُمرت به؛ أي: موافقةً له.

قوله: (﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾) أي: حيث قالُوا: اعبد آلهتنا سنةً ونحن نَعبد إلهك سنة[2].

قوله: (﴿مِن كِتَابٍ﴾) بيانٌ لـ(ما)، والمعنى: آمنت بكلِّ كتابٍ أنزله الله تعالى، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ... إلخ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «شيَّبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كُورت».

(٢) كما رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦٢) في سبب نزول سورة (الكافرون).

بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ....

أي: بِأن أعدِلَ ﴿بَيْنَكُمُ﴾ في الحُكم، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فكُلٌّ يُجازَى بِعَمَلِه، ﴿لَا حُجَّةَ﴾: خُصُومةَ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ هَذا قبلَ أن يُؤمَرَ بِالجِهاد، ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المَعادِ لِفَصلِ القَضاء، ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: المَرجعُ.

﴿١٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ﴾: يُجادلُون ﴿فِي﴾ دِينِ ﴿اللَّهِ﴾ نَبيِّه ﴿مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ بالإيمانِ لِظُهورِ مُعجِزَتِه وهُم اليَهُود، ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾: باطِلةٌ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

حاشية الصاوي

وقوله: (أي: بأن أعدلَ) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى الباء، و(أن) المصدريَّة مقدَّرة، والفعل منصوبٌ بها.

قوله: (فكلٌّ يُجازى بعمله) أي: من خيرٍ وشرٍّ.

قوله: (هذا قبل أن يُؤمر بالجهاد) أشار بذلك إلى أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ الآية [التوبة: ٢٩]، وقيل: ليست منسوخةً، بل المراد من الآية: أن الحقَّ قد ظهَر، والحُجج قامت، فلم يبقَ إلا العناد، وبعد العناد لا حجة ولا جدَل.

قوله: (﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾) أي: فيُجازي كلَّ أحدٍ بعمله من خيرٍ وشرٍّ.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾) الكلام على حذف مضاف، والمفعول محذوفٌ كما أشار لذلك المفسِّر.

قوله: (﴿مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾) أي: من بعد دُخول الناس في دينه، وأجابُوا دعوته، فالسين والتاء زائدتان.

قوله: (وهم اليهود) تفسيرٌ للموصول.

قوله: (﴿دَاحِضَةٌ﴾) من: الإدْحاضِ، وهو الإزْلاقُ، يقال: دَحَضَتْ رجلُه؛ أي: زَلِقَتْ، والمرادُ هنا: الإبطالُ.

قوله: (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾) أي: في الآخرة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ ....﴾

﴿١٧﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ - متعلِّق بـ﴿أَنزَلَ﴾ - ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾: العَدلَ، ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾: يُعلِمُك ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: إتيانَها ﴿قَرِيبٞ﴾، - و﴿لَعَلَّ﴾ مُعلِّقٌ لِلفِعلِ عن العَمَل، أو ما بَعده سَدَّ مَسَدَّ المَفعُولَين -.

﴿١٨﴾ ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾ يَقُولُون: متى تَأتِي؟ ظَنًّا مِنهُم أنَّها غيرُ آتيةٍ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ﴾: خائِفون ﴿مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (متعلِّق بـ﴿أَنزَلَ﴾) أي: والباء للمُلابسة.

قوله: (﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ العدل) أي: وسمِّي العدل ميزاناً؛ لأنَّ الميزان يحصُل به الإنصاف والعدل، فهو من: تَسمية المسبَّب باسم السبب، وإنزالُهُ الأمرُ به، وقيل: المرادُ بالميزان: نفسُهُ الذي يوزن به، والمراد بإنزاله: إنزالُ الإلهامِ بِعمله والأمرُ بالوزن به، وقيل: الميزان محمد ﷺ يقضي بينكم بكتاب الله.

قوله: (﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾) الاستفهام إنكاريٌّ، والمعنى: لا سببَ يُوصلك للعلم بقربها إلا الوحي الذي يُنزل عليك.

قوله: (أي: إتيانها ﴿قَرِيبٞ﴾) قدَّر المضاف؛ ليصحَّ الإخبارُ بالمذكَّر عن المؤنَّث[1].

قوله: (أو ما بعده سدَّ مَسَدَّ المفعولَين) أي: الثاني والثالث، وأمَّا الأول فهو الكاف، ويتعيَّن جعل (أو) بمعنى الواو.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾) أي: فلا يُشفقون منها، وقوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا﴾) أي: فلا يستعجلون بها؛ ففي الآية احتباكٌ حيث حذف من كلٍّ نظيرَ ما أثبتَه في الآخر.

قوله: (﴿أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾) أي: كائنةٌ وحاصلةٌ لا محالةَ.

---

(١) أو لأنَّ (الساعة) في معنى الوقت، أو البعث، أو على معنى النَّسب؛ أي: ذاتُ قُرْب، وذكر الفراء أنهم التزموا التذكير في (قريب) إذا لم يُرِدْ قربُ النَّسب؛ قصداً للفرق. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٤٧)، و«مغني اللبيب» (ص٦٦٦).

فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ....

يُجادِلُون ﴿فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ بَرِّهِم وفاجِرِهم، حَيثُ لَم يُهلِكْهُم جُوعاً بِمَعاصِيهِم، ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِي ٱلسَّاعَةِ﴾) أي: في إتيانها.

قوله: (﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾) أي: عن الاهتداء.

قوله: (﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾) أي: حَفِيٌّ بهم، وقيل: بارٌّ بهم، وقيل: رفيقٌ بهم، وقيل: معناه: لطيفٌ بهم في العَرض والمحاسبة، وقيل: يَلطف بهم في الرزق من وجهَين: أحدهما: أنه جعل رزقك من الطيِّبات، والثاني: أنه لم يَدفعه إليك مرَّةً واحدةً؛ فتُبذِّره، وقيل: اللطيف: مَنْ إذا لجأ إليه أحدٌ من عباده.. قَبِلَهُ وأقبل عليه، وفي الحديث: «إن الله تعالى يطَّلع على القبور الدَّوارس، فيقول الله عزَّ وجلَّ: انمحَت آثارهم، واضمَحلَّت صورهم، وبقي عليهم العذاب، وأنا اللطيف، وأنا أرحَم الراحمين؛ خفِّفُوا عنهم»[١].

وقيل: اللَّطيفُ: الذي يَنشر من عباده المناقب، ويَستر عليهم المثالب، ومنه حديثُ: «يا مَنْ أظهر الجميل وستَر القبيح»[٢]، وقيل: هو الذي يَقبل القليل، ويَبذل الجزيل، وقيل: هو الذي يجبر الكسير، ويُيسر العسير، وقيل: هو الذي لا يُخَافُ إلا عدلُهُ، ولا يُرْجَى إلا فضلُهُ، وقيل: هو الذي يُعِين على الخدمة، ويكثر المِدْحة، وقيل: هو الذي لا يُعاجل مَنْ عصاه، ولا يُخيب من رَجاه، وقيل: هو الذي لا يردُّ سائلَهُ، ولا يُؤْيِسُ آملَهُ، وقيل: هو الذي يَعفو عمَّن يَهفو، وقيل: هو الذي يرحم مَنْ لا يَرحم نفسَهُ، وقيل: هو الذي أوقد في أسرار العارفين مِن المشاهدة سراجاً، وجعل لهم الصراط المستقيم منهاجاً، وأجزل لهم من سحائب برِّه ماءً ثَجاجاً.

وبالجملة: فهذا الاسم جامعٌ لمعاني الأسماء الجماليَّة؛ فينبغي للعاقل الإكثارُ من ذِكره، سيَّما إذا قَصد بذكره رضا ربِّه؛ فإنَّ له السَّعادةَ دنيَا وأخرى، ويُكْفَى همومَهُمَا؛ لِما ورد: «اعمَل لوجه واحد.. يَكْفِيكَ كلَّ الأوجه»[٣].

---

(١) كذا أورد القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ١٧).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٤٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ضِمن دعاء طويل.

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٤٩)، والسيوطي في «الجامع الصغير» (٢٨٩٤)، وقوله: (يكفيك كلَّ الأوجه) لم =

وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ....

مِن كُلٍّ مِنهُم ما يَشاءُ، ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾ على مُرادِه، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالِبُ على أمرِه.

﴿٢٠﴾ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بِعَمَلِه ﴿حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: كَسْبَها وهو الثَّوابُ ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ بِالتَّضعيفِ فِيه الحسَنة إلى العَشرة وأكثَرَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مِن كل منهم) بيانٌ لـ(مَنْ)، والمعنى: أنَّ الذي يشاء رزقَه هو كلٌّ منهم[1].

قوله: (﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾ . . . إلخ) الحرث في الأصل: إلقاء البذرِ في الأرض، ويُطلق على الزرع الحاصل منه، ثم استُعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها على سَبيل الاستعارة؛ حيث شُبِّهت ثمرات الأعمال بالغِلالِ الحاصلة من البذر؛ بجامع حُصول العمل والتعب في كلٍّ؛ فإنَّ مَنْ أتعَب نفسه أيام البذر، واشتَغل بالحرث والزرع. . أراحها ووجد الثمرات أيامَ الحصاد، فكذلك مَنْ أتعب نفسَه في الدنيا وعمل ابتغاء وجه ربِّه. . فإنه يجد ثمراتِ أعماله في الآخرة، ومنها هنا حديثُ: «الدنيا مزرعة الآخرة»[2]، وهذه الآية عامَّةٌ لبيان حالِ المخلِص في عمله لوجه الله، والذي يَطلب بعمله أعراض الدنيا، ذكراً أو أنثى؛ لأنَّ (مَنْ) من صيغ العموم، وقوله: (بعمله) المرادُ به: خدمتُهُ في الدنيا، صلاةً أو صوماً أو غيرهما؛ كالسعي على العِيال، وحينئذٍ: فالمدار على النِّية الحسنة؛ إذ بها تصير العاداتُ عباداتٍ.

قوله: (الحَسَنَة) منصوبٌ بالمصدر الذي هو (التضعيف).

= يَجزمه في جواب الأمر؛ لأنه لم يَقصد السببيَّة، بل المراد الاستئناف، كأنه قيل: لم أعمل لوجه واحد؟ قال: لأنه يكفيك.

(١) فلا تنافيَ بين قوله: (من يشاء) وبين التعميم الذي ذكره في (عباده)، وقوله: (ما يشاء) أي: الله؛ من أنواع الرزق، فهو وإن كان يرزق كلَّ ذي روح لكنَّه فاوت بين المرزُوقين في الرزق؛ قلةً وكثرةً، وجنساً ونوعاً؛ لِحكمة يعلمها هو. «فتوحات» (٤/ ٦١) عن شَيخه العلامة الأجهوري.

(٢) قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٣٥١): (لم أقف عليه مع إيراد الغزالي له في «الإحياء»، وفي «الفردوس» بلا سَند عن ابن عمر مرفوعاً: «الدنيا قنطرة الآخرة؛ فاعبُروها ولا تعمروها»، وفي «الضعفاء» للعقيلي، و«مكارم الأخلاق» لأبي بكر بن لال من حديث طارق بن أشيم رفعه: «نعمت الدار الدنيا لمن تَزوَّد منها لِآخرته» الحديثَ).

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾ ....

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ بِلا تَضعِيف ما قُسِمَ لَه، ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

۝٢١ ﴿أَمْ﴾: بَل ﴿لَهُمْ﴾: لِكُفَّارِ مكَّة ﴿شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾... إلخ) أي: بعمله وخِدمته، والمعنى: من صرف نيَّته للدنيا وجعل عمَله وخدمته لها.. نُعطيه ما قُسِمَ له منها، وبعد ذلك ليس له في الآخرة حظٌّ ولا نصيبٌ، فالذي ينبغي للشخص أن يَسعى فيما يرضي ربَّه، ويقصد بعمله وجهَ خالقه وسيِّده، يحصل له غنى الدنيا والآخرة، ومن معنى هذه الآية حديث: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله.. فهِجرته إلى الله ورسوله، ومَن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها.. فهجرتُه إلى ما هاجر إليه**»[1]، وحديث: «**أوحى الله إلى الدنيا: يا دنيا؛ من خدَمني.. فاخدُميه، ومَن خدمك فاستخدِميه**»[2].

قوله: (ما قسم له) مفعول ﴿نُؤْتِهِۦ﴾.

قوله: (﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾) أي: حظٌّ في النعيم.

واعلم: أنَّ المقام فيه تفصيلٌ؛ فإن تجرَّد عمله للدنيا وقدَّم السعي فيها على الإيمان.. فهو مخلَّدٌ في النار، وليس له في الآخرة نعيمٌ أصلاً، وأمَّا إن كان التفريط فيما عدَا الإيمان ـ كأن يرائيَ بعمله قصداً لطلب الدنيا ـ فهو مسلمٌ عاصٍ، له نعيمٌ في الآخرة غيرُ كاملٍ.

قوله: (﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾) قدَّرها المفسر بـ(بل) التي لِلانتقال من قِصة إلى قصة، وقدَّرها غيره بـ(بل) والهمزة التي للتوبيخ والتقريع[3]، وهو مُتَّصل بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾.

---

(١) رواه البخاري (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) رواه الشهاب القضاعي في «مسنده» (٢/ ٣٢٥) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «يا دُنيا اخدمي مَن خدمني، وأتعبي يا دنيا من خدَمك».

(٣) انظر «تفسير البيضاوي» (٥/ ٨٠).

شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ....

هُم شَياطِينُهُم ﴿شَرَعُوا۟﴾ أي: الشُّرَكاءُ ﴿لَهُم﴾: لِلكُفَّار ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ الفاسِدِ ﴿مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ كالشِّركِ وإنكارِ البعث، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: القضاءُ السَّابِقُ بِأنَّ الجزاء في يَوم القِيامةِ ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ وبَين المُؤمِنين بِالتَّعذِيبِ لَهُم في الدُّنيا، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

﴿٢٢﴾ ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يومَ القِيامةِ ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائِفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ في الدُّنيا مِن السَّيِّئاتِ أن يُجازَوا علَيها، ﴿وَهُوَ﴾ أي: الجزاءُ علَيها ﴿وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ يَومَ القِيامةِ لا مَحالةَ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾: أنزَهِها بِالنِّسبةِ إلى مَن دُونَهم،

حاشية الصاوي

قوله: (هُم شَياطينهم) أي: الذين شاركُوهم في الكفر والعصيان.

قوله: (﴿شَرَعُوا۟ لَهُم﴾) إسنادُ الشرع إلى الشياطين مجازٌ؛ من: الإسناد لِلسبب؛ لأنها سببُ إضلالهم.

قوله: (﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾) أي: حُكم بين الكفَّار والمؤمنين؛ بأن يعذِّب الكفار، ويُثيب المؤمنين، ولكن حكم الله وقضى في سابِق أزَله أنَّ الثواب والعقاب يكون يوم القيامة.

قوله: (﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) خطابٌ لكلٍّ من تتأتَّى منه الرؤية.

قوله: (﴿مُشْفِقِينَ﴾) حال؛ أي: حالَ كونهم خائفين في ذلك اليوم، وهذا الخوفُ زيادةُ عذابٍ لهم، وأمَّا المنْجِي.. فهو الخوف في الدنيا من عذاب الله.

قوله: (أن يُجازَوْا عليها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مُضاف؛ أي: من جزاء ما كسبُوا.

قوله: (لا محالةَ) أي: أشفقُوا أو لم يشفقوا.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) مبتدأ، خبره ﴿فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾.

قوله: (أنزهها بالنسبة إلى مَن دونهم) أي: فروضةُ الجنة أعلاها وأطيبُها، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الذين آمنُوا ولم يعملُوا الصالحات في الجنَّة غير أنهم ليسُوا في الأعلى ولا في الأطيَب.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ۝٢٢ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ ....

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

٢٣ ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ﴾ مِن البِشارةِ ـ مُخفَّفاً ومُثقَّلاً ـ به ﴿ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: على تبليغِ الرِّسالةِ ﴿أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ ـ استثناءٌ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾) ظرفٌ لـ﴿يَشَآءُونَۚ﴾، والعنديَّةُ مجازيَّةٌ.

قوله: (﴿ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾) أي: الذي لا يُوصف؛ لأنَّ الله تعالى بجلاله وعظمتِه وصَفَهُ بالكبر؛ فمن ذا الذي يستطيعُ أن يَصفه من الحوادث؟!

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) مبتدأٌ، و﴿ٱلَّذِي يُبَشِّرُ﴾ خبرُهُ، والعائد محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (به)، حذف الجارُّ فاتَّصل الضمير[1]، وهذا على الصحيح من أنها اسم موصول، وأمَّا على رأي يونس من أنها مَصدريَّة[2]؛ فلا يحتاج إلى عائد، والتقدير عنده: ذلك تبشيرُ الله عبادَهُ.

قوله: (مِن البشارة) أي: وهي الخبر السَّار.

قوله: (مخففاً ومُثقلاً) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[3].

قوله: (﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾) أي: قل يا محمَّد لأُمَّتك: لا أطلب منكم أجراً في نظير تَبليغي الرسالة وتبشيري إيَّاكم، ولا خصوصيَّة له ﷺ بذلك، بل جميع الأنبياء لا يَسألون الأجرة؛ لأنَّ سؤال الأُجرة على الأمور الأُخرويَّة نقصٌ في حقِّ غير الأنبياء؛ فأولى الأنبياء.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾) اختلَف المفسِّرون في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال:

(١) والأصل: (يُبَشِّرُ به)، ثم (يُبَشِّره)، ثم حذف الضمير المنصوب.

(٢) وقوع (الذي) مصدرية قال به يونس والفراء والفارسي، وارتَضاه ابن خروف وابن مالك، وردَّه أبو حيان؛ لأنه إثباتٌ للاشتراك بين الاسم والحرف بغير دليل، وقد ثبَتت اسمية (الذي) بكونها فاعلة ومفعولة ومجرورة ومبتدأة، وتثنى وتجمع وتُؤنث، ويعود عليها الضمير؛ فلا نَعدل عن هذا الحكم المقطوع به لشيء لا يقوم عليه دليل، بل ولا شبهه. انظر «مغني اللبيب» (ص٧٠٩)، و«التذييل والتكميل» (٣/ ١٣٥).

(٣) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مُشددة، والباقون بفتح الياء وسكون الباء الموحدة وضمِّ الشين مُخففة، مِن: بشَره. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٣٧).

مُنقَطِع - أي: لَكِنْ أسأَلُكم أن تَوَدُّوا قَرابَتي التي هي قَرابَتُكم أيضاً، ....

حاشية الصاوي

الأول: عن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ كان وسَط النسَب من قريش، ليس بطنٌ من بطونهم إلا وقد ولَده، وكان له فيهم قَرابة، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: ما بيني وبينكم من القرابة، والمعنى: إن لم تتَّبعوني.. فاحفَظُوا حقَّ القربى، وصِلُوا رحمي، ولا تُؤذوني، يَعودُ[1] عليكم نفعها؛ لما في الحديث: «**الرحم مُعلَّقة بالعرش تقول: اللهمَّ صِلْ مَنْ وصَلني، واقطع من قطعني**»[2]، فثمرتُه عائدةٌ عليهم لا على النبي ﷺ.

الثاني: عنه أيضاً: أنَّ النبي ﷺ لما قدم المدينة لم يكن في يَدِه سَعةٌ، فقالت الأنصار: إنَّ هذا الرجل هداكُم، وهو ابنُ أختكم، وأجاركم[3] في بلدكم؛ فاجمعُوا له طائفة من أموالكم، ففعلُوا ثمَّ أتَوه بها، فردَّها عليهم، ونزلت الآية، وحينئذٍ: فالخطاب للأنصار.

الثالث: عن الحسن: أنَّ مَعناه: إلا أن تجعلُوا محبَّتكم ومودَّتكم محصُورةً في التقرب إلى الله بِطاعته وخِدمته، لا لغرض دنيوي[4].

فـ(القربى) على الأول: القرابة بمعنى: الرحم، وعلى الثاني: بمعنى: الأقارب، وعلى الثالث: بمعنى: القُرب والتقرب.

واعلم: أنَّ طلب الأجر على التبليغ لا يجوز لِوجوه؛ الأول: تبرِّي الأنبياء جميعاً منه.

الثاني: أنَّ التبليغَ واجبٌ، وطلبَ الأجرة على أداء الواجب لا يَليق بأفراد الأُمَّة فضلاً عن الأنبياء.

الثالث: أنَّ النبوَّة أمرُهَا عظيمٌ، والدنيا وإن عظُمت حقيرةٌ، لا تَزن جناح بعوضة، ولا يَليق طلب الخسيس في دفع الشريف، وغير ذلك.

إن قلت: حيث كان الأمر كذلك فما معنى الاستِثناء في الآية؟

---

(١) كذا في الأصول، ولم يَقصد السببيَّة، بل أراد الرفع على الاستئناف.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٦٣) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ورواه مُسلم في «صحيحه» (٢٥٥٥) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها بلفظ: «تقول: مَن وصلني وَصَله الله، ومَن قطعني قَطَعه الله».

(٣) كذا في الأصول، ولعلها: (وجاركم في بلدكم) كما هو في المصادر المذكورة.

(٤) انظر الأقوال الثلاثة في «زاد المسير» (٤/ ٦٤)، و«السراج المنير» (٣/ ٥٣٧).

وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ....

فإنَّ لَهُ في كُلِّ بَطنٍ مِن قُرَيش قَرابةً، ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾: يَكتَسِب ﴿حَسَنَةً﴾: طاعةً ....

حاشية الصاوي

أجيب بجوابَين: الأول: أنَّ هذا من تأكيد المدح بما يُشبه الذمَّ، على حدِّ قول الشاعر[1]:

[الطويل]

ولا عَيْبَ فيهِمْ غَيرَ أنَّ سُيوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكَتائبِ

فالمعنى: لا أطلب إلا هذا، وهو في الحقيقة ليس بأجرٍ؛ لأنَّ المودَّة بين المسلمين واجبةٌ، خصوصاً في حقِّ أشرافهم، وحينئذٍ: فيكون الاستثناءُ متصلاً بالنظر للظاهر.

الثاني: أنَّ الاستثناء منقطعٌ كما قال المفسِّر، وحينئذٍ: فالكلام تمَّ عند قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: أذكِّرُكم قرابَتي.

والمراد بقرابته؛ قيل: فاطمةُ وعلي وابناهما، وقيل: هُم آل علي وآل عَقيل وآل جعفر وآل عباس؛ لما روي عن زيد بن أرقَم عن النبي ﷺ أنه قال: «**إني تاركٌ فيكم الثقلَين: كتاب الله، وأهل بيتي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بيتي**»، قيل لِزيد بن أرقم: فمن أهل بيتُه؟ فقال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس[2]. وقيل: هم الذين تَحرم عليهم الزكاة، وقيل غير ذلك.

فتحصَّل: أن الخطابَ على القول الأوَّل لقريش، وعلى الثاني للأنصار، والعبرةُ بِعُموم اللفظ؛ لأنَّ رَحِمَ النبيِّ رحمٌ لكلِّ مُؤمن؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فمحبَّةُ أهل البيت فيها السعادة والسيادة، دُنيا وأخرى، والمرء يُحْشَرُ مع من أحبَّ.

وقوله: ﴿فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الظرفية مجازيَّة، والمعنى: إلا المودَّة العظيمة المحصورةَ في القربى، وإنما لم يُعَدِّهَا باللام؛ لئلا يُتوهَّم زيادة اللام، فيكون الكلام خالياً من البلاغة، فالتعبير بـ(في) للمبالغة؛ إشارةً إلى أنهم جُعِلُوا مَحَلًّا للمودَّة وهم لها أهلٌ.

قوله: (فإنَّ له في كلِّ بطنٍ) أي: قبيلة.

قوله: (من قريش) أي: وهُم أولاد النضر بن كِنانة، أحد أجداده ﷺ.

قوله: (﴿حَسَنَةً﴾) فسَّرها ابن عباس بالمودَّة لآل محمد ﷺ.

---

(١) وهو النابغة الذبياني، كما في «ديوانه» (ص٤٥).

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨) بنحوه، والسائل له حصين بن سبرة.

نَزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ....

﴿نَزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ بتضعيفِها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلذُّنوبِ ﴿شَكُورٌ﴾ لِلقليل فيُضاعِفُه.

﴿٢٤﴾ ﴿أَمْ﴾: بَل ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنِسبةِ القُرآنِ إلى الله تعالى؛ ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ﴾: يَربِط ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بالصَّبرِ على أذاهُم بِهَذا القَول وغَيرِه، وقَد فعَلَ، ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ الذي قالُوهُ، ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾: يُثبِتهُ ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ المُنَزَّلةِ على نَبِيِّه، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِما في القُلُوب.

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بتضعيفها) أي: من عشرة إلى سَبعين إلى سبع مئة، إلى غير ذلك.

قوله: (﴿شَكُورٌ﴾ للقليل) أي: ويُثيب عليه.

قوله: (وقد فعَل) أي: ختم على قلبه ﷺ بأن صبَّره على ما ذكر، فدلَّ كلامه على أنَّ مَشيئة الختم هنا مقطوعٌ بوقوعها.

قوله: (﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾) كلامٌ مستأنفٌ غير داخل في حيِّز الشرط؛ لأنه تعالى يمحُو الباطل مطلقاً.

قوله: (﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾) أي: القرآن.

قوله: (بما في القُلوب) أشار بذلك إلى أنه أطلَق المحلَّ وأراد الحالَّ.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾) التوبة: الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة، ولها شروطٌ ثلاثةٌ: الإقلاعُ عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على ألَّا يعود إليها أبداً؛ فإن كانت المعصية متعلِّقةً بحقِّ آدميٍّ.. فيزاد على هذه الثلاثة رابعٌ وهو استسماح صاحِب الحق، ويكفي عند مالك براءة المجهول؛ فلا يُشترط عنده أن يعيِّن له ذلك الحقَّ، فإذا تاب بالشروط وقدَّر الله عليه الوقوعَ في الذنب مرَّةً أخرى.. فإنه يَتوب ولا يقنط من رحمة الله تعالى، ولا ترجع عليه ذُنوبه التي تاب منها.

وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ ....

مِنهُم، ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المُتابِ عنها، ﴿وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ﴾ ـ بالياءِ والتَّاء ـ، ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يُجِيبُهُم إلى ما يَسألُون، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

(٢٧ - ٢٨) ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ جَميعِهم ﴿لَبَغَوْاْ﴾ جَمِيعُهم أي: طَغَوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (منهم) أشار بذلك إلى أنَّ (عن) بمعنى (من)، والقَبول بمعنى الأخذ.

قوله: (المتاب منها) أي: ويصح أنَّ المرادَ: ولو لم يَتُبْ منها؛ فمِن صفاته تعالى أنه يقبل توبةَ التائب، ويعفو عن سيئات مَنْ لم يَتُب؛ إذ لا يسأل عمَّا يفعل.

قوله: (بالياء والتاء) فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (يُجيبهم إلى ما يَسألون) أشار بذلك إلى أنَّ السين والتاء زائدتان، والموصول مفعولٌ به، والفاعلُ ضميرٌ يَعود على الله تعالى.

قوله: (﴿لَبَغَوْاْ﴾ جميعُهُم) دفع بذلك ما يُقال: إنَّ البغي حاصلٌ بالفعل؛ فكيف يَصح انتفاؤه؟ فأجاب: بأنَّ اللازم المنتفيَ هو بغيُ جميعهم، والملزوم بَسط الرزق للجميع، وإلا.. فبغيُ البعضِ وبَسطُ الرزقِ للبعض حاصلٌ في كلِّ زمنٍ.

قوله: (أي: طغَوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أي: لأنَّ الله تعالى لو سوَّى في الرزق بين جميع عِباده.. لامتنع كون البعض محتاجاً للبعض، وذلك يُوجبُ خرابَ العالم وفسادَ نظامه، فأفعال الله تعالى لا تخلُو عن مصالح وإن لم يَجب على الله فعلها، فقد يَعلم من حال عبدٍ أنه لو بسط عليه الرزق.. قاده ذلك إلى الفساد؛ فيَزوي عنه الدنيا مصلحةً له؛ ففي حديث أنس عن رسول الله ﷺ فيما يَرويه

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بتاء الخطاب إقبالاً على الناس عامة، وهذا خطاب للمشركين، وقرأ الباقون بالغيبة نظراً إلى قوله تعالى: ﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾، وقال تعالى بعدُ: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ﴾. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٤٠).

بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ ......

- بالتَّخفيفِ وضِدِّه - مِن الأرزاقِ ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ﴾ فيبسُطُها لِبَعضِ عِبادِه دُون بَعضٍ، ويَنشَأ عن البَسطِ البَغيُ، ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾: المَطَر ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾: يَئِسُوا مِن نُزُولِه، ....

حاشية الصاوي

عن ربِّه تبارك وتعالى: «إنَّ من عبادي المؤمنين مَن يسألني البابَ من العبادة وإني عليمٌ أني لو أعطيتُه إيَّاه.. لدَخله العجبُ فأفسده، وإنَّ من عبادي المؤمنين من لا يُصلِحه إلا الغنى، ولو أفقرته.. لأفسَده الفقر، وإنَّ من عبادي المؤمنين مَن لا يُصلحه إلا الفقر، ولو أغنَيتُه.. لأفسده الغنى، وإني لأدبِّر عبادي؛ لِعلمي بقلوبهم؛ فإني عليم خبير»، ثم قال أنس: اللهمَّ؛ إني من عبادك المؤمنين الذين لا يُصلِحهم إلا الغنى؛ فلا تُفقرني برحمتك[1].

قوله: (بِالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (فيَبسطها لبعضٍ دون بعضٍ) أي: ويَبسطها للبعض أحياناً، ويُضيِّقها عليه أحياناً؛ فلا يُسْأَلُ عمَّا يفعل.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾) تعليلٌ لما قبله، والمعنى: عليمٌ بالبَواطن والظواهر.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ﴾) بالتخفيف والتشديد، قِراءتان سبعيَّتان[3].

قوله: (﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾) العامَّة على فتح النون، وقُرئ شذوذاً بكسر النون[4]، ومضارعها بفتح النون، وبه قُرئ في المتواتر؛ فتحصَّل أنه في المضارع قُرئ بالوجهين قراءةً سبعيَّةً، وفي الماضي لم يُقرأ في السبع إلا بالفتح، والكسرُ قراءةٌ شاذَّة وإن كان لغةً فيه.

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٣٠٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٩٥)، وقول سيدنا أنس عند القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٨).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٤١).

(٣) قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٤٢).

(٤) وبه قرأ يحيى بن وثاب والأعمش، وهي لغةٌ، وعليها قُرئ: ﴿يَقۡنَطُ﴾، ﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾ بفتحِ النونِ في المتواتر؛ كما نبَّه المصنف. انظر «الدُّر المصون» (٩/ ٥٣٣).

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٨ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝٢٩﴾ ....

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾: يبسُطُ مَطَره، ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾: المُحسِنُ لِلمُؤمِنين، ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المَحمودُ عِندَهم.

﴿٢٩﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ﴾ خَلقُ ﴿مَا بَثَّ﴾: فرَّقَ ونَشَرَ ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ هي ما يَدِبُّ على الأرضِ مِن النَّاس وغَيرِهم، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ لِلحَشرِ ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (يبسط مطره) أشار بذلك إلى أنَّ المطر سمِّي باسمين: الغيث؛ لأنه يُغيث من الشدائد، والرحمة؛ لأنه رحمةٌ وإحسانٌ لِلخلق، ويصح أن يُرَادَ بالرحمة: البركاتُ؛ أي: بركات الغيث ومَنافعه في كلِّ شيءٍ من السهل والجبل والنبات والحيوان، وحينئذٍ: فيكونُ عطفه على ما قبله من عطفِ المسبَّب على السبب.

قوله: (المحمود عندهم) أي: وعند جميع المخلوقات، وإنما خصَّ المؤمنين؛ تشريفاً لهم.

قوله: (﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾) أي: دلائلِ قُدرته، وعجائب وَحدانيَّته.

قوله: (﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أي: فإنهما بِذاتهما وصفاتهما يَدُلَّان على اتصاف خالِقهما بالكمالات، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا . . .﴾ الآية [ق: ٦].

قوله: (﴿وَ﴾خلق ﴿مَا بَثَّ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿وَمَا بَثَّ﴾ معطوفٌ على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مُسلَّط عليه ﴿خَلْقُ﴾، ويصح أن يكون في محل رفعٍ، عطف على ﴿خَلْقُ﴾.

قوله: (هي ما يَدِبُّ على الأرض) أشار بذلك إلى أنَّ المراد: في أحدِهما، فهو من إطلاق المثنَّى على المفرد؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرجان من أحدِهما وهو المِلْحُ، وهذا أسلَم وأحسَن مما قيل: إنَّ الآية باقيةٌ على ظاهِرها، ولا مانعَ من أنَّ الله تعالى خلَق حيوانات في السماوات يمشُون فيها كمشي الأناسيِّ على الأرض؛ لأنَّ ذلك بعيدٌ من الأفهام؛ لِكونه على خلاف العُرف العام.

قوله: (﴿إِذَا يَشَآءُ﴾) متعلِّق بـ﴿جَمْعِهِمْ﴾، و﴿قَدِيرٌ﴾ خبر الضمير، والمعنى: وهو قديرٌ على جمعِهم في أيِّ وقتٍ شاء، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فمتى أراد الله شيئاً. . أبرزه بقدرته.

وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ....

- في الضَّمِير تَغلِيبُ العاقِلِ على غَيرِه -.

﴿٣٠﴾ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ - خِطابٌ لِلمُؤمِنِين - ﴿مِّن مُّصِيبَةٍ﴾: بَلِيَّة وشِدَّةٍ ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي: كَسَبتُم مِن الذُّنُوب، وعبَّر بِالأيدِي لِأنَّ أكثَر الأفعالِ تُزاوَلُ بها، ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ مِنها فلا يُجازِي علَيهِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (في الضمير) أي: وهو قوله: ﴿عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ﴾، ولو لم يُرِدِ التَّغليبَ.. لقال: (على جمعها).

قوله: (خطابٌ للمؤمنين) أي: وأمَّا مصائبُ الكفار في الدنيا.. فتعجيلٌ لبعض العقاب لهم.

قوله: (﴿مِّن مُّصِيبَةٍ﴾) بيانٌ لـ(ما)، وقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ جوابُ الشرط إن جُعِلَتْ (ما) شرطيَّةً، أو خبر المبتدأ إن جُعِلَتْ مَوصولةً، وقُرِنَتْ بالفاء؛ لِما في المبتدأ من معنى الشرط، وهذا على ثُبوت الفاء، وأمَّا على قراءة حذفها.. فالأَولى جعلُهَا خبراً و(ما) موصولة، وجعلُهَا شرطيَّةً يَلزم عليه حذف الفاء في جوابه، وهو شاذٌّ، والقراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾) من تَتمة قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾، والمعنى: أن الذنوب قِسمان: قسمٌ تعجَّل العُقوبة عليه في الدنيا بالمصائب، وقسمٌ يَعفو عنه فلا يُعاقب عليه بها، وما يَعفو عنه أكثر.

قال علي بن أبي طالب: هذه الآية أرجَى آية في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وإذا كان يُكفِّر عنِّي بالمصائب ويَعفو عن كثيرٍ.. فأيُّ شيءٍ يبقى بعد كفَّارته وعَفوِه؟![٢] وقد رُوي هذا المعنى مرفوعاً عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال علي بن أبي طالب: ألا أخبرُكم بأفضل آية في كتاب الله حدَّثنا بها النبي ﷺ؟ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾... الآية، «يا علي؛ ما أصابَكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا.. فبِما كسبت أيديكم، والله أكرَمُ من أن يُثنِّي عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا.. فالله أحلَمُ مِن أن يعاقب به بعد عَفوِه»[٣].

---

(١) قرأ نافع وابن عامر (بما) دون فاء. والباقون (فبما) بإثباتها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٥٤).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٨٥).

وهو تَعالى أكرَمُ مِن أن يُثَنِّيَ الجَزاء في الآخِرة، وأمَّا غيرُ المُذنِبين فما يُصيبهُم في الدُّنيا لِرَفعِ دَرَجاتِهم في الآخِرة.

حاشية الصاوي

وقال الحسن: لما نزلت هذه الآية.. قال النبي ﷺ: «ما من اختلاج عرقٍ، ولا خَدش عود، ولا نكتةِ حجر إلا بذنب، وما يَعفُو الله عنه أكثَرُ»[١].

وقال الحسن: دخَلنا على عمران بن حصين، فقال رجل: لا بدَّ أن أسألك عمَّا أرى بك من الوجع، فقال عمران: يا أخي؛ لا تفعل، فوالله إني لأُحِبُّ الوجع، ومَن أحبَّه كان أحبَّ الناس إلى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾، فهذا ممَّا كسبت يَدي، وعفوُ ربي عمَّا بقي أكثَرُ.

وقال عكرمة: ما مِن نكبة أصابت عبداً فما فوقها.. إلا بذنبٍ لم يكنِ الله لِيَغفره إلا بها، أو لنيل درجة لم يكن لِيُوصله إليها إلا بها.

ورُوي: أنَّ رجلاً قال لموسى: يا موسى؛ سَل الله لي في حاجة يَقضيها لي هو أعلَم بها، ففعل موسى، فلمَّا نزَل إذا هو بالرجل قد مزَّق السَّبُعُ لحمه وقتلَه، فقال موسى: يا ربِّ؛ ما بالُ هذا؟ فقال الله تعالى: «يا موسى؛ إنه سألني درجةً عَلمت أنه لا يَبلغها بعمله، فأصبتُه بما ترى؛ لأجعلَه وسيلةً له في نَيلِ تلك الدرجة»[٢].

قوله: (وهو تعالى أكرَم... إلخ) مُتعلِّق بقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾، فكان المناسب تقديمه بِلصقه.

قوله: (من أن يثنِّيَ الجزاء في الآخرة) أي: من أن يعيدَ الجزاء بِالعقوبة في الآخرة؛ لأنَّ الكريم لا يُعاقب مرَّتين.

قوله: (وأمَّا غير المُذنبين) أي: كالأنبياء والأطفال والمجانين.

قوله: (لِرَفع درجاتهم) وقيل في الأطفال: إنَّ مصائبَهم لتكفير سيئات أبوَيهِم، وفي الحقيقة: رفعُ درجاتٍ لهم، وتكفيرٌ لآبائهم.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٢/٢٥٣) عن الحسن مُرسلاً، والطبري في «تفسيره» (٢١/٥٣٩) عن قتادة، ولم يذكرَا فيه الحجر.

(٢) انظر الأخبار الثلاثة في «تفسير القرطبي» (١٦/٣١).

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾ ....

(٣١) ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ يا مُشرِكُون ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ الله هَرَباً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فتَفُوتُونه، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرِه ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَدفَع عَذابَه عنكُم.

(٣٢ - ٣٤) ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾: السُّفُن ﴿فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾: كالجِبالِ في العِظَم،

حاشية الصاوي

قوله: (يا مشركين) كذا في النسخ التي بأيدينا، والصواب: (يا مشركون)؛ لأنَّ المنادى يُبْنَى على ما يُرْفَعُ به، وهو يُرفع بالواو.

قوله: (﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ الله) أي: فارِّين من عذابِه.

قوله: (﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾) أي: أدلَّة توحيده وعجائب قُدرته.

قوله: (﴿ٱلْجَوَارِ﴾) بحذف الياء خطًّا؛ لأنها من ياءات الزوائد، وإثباتها في اللفظ وصلاً ووقفاً، وحذفها كذلك، أربع قراءات سبعيَّات[1].

قوله: (السفنُ) استُشكل: بأنَّ ظاهر الآية يُوهم حذف الموصوف وإبقاءَ صفته، مع أنَّ الجريَ ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو السُّفن، وحينئذٍ: فلا يجوز حذفه؛ لِعدم علمه، قال ابن مالك[2]: [الرجز]

وَمَا مِنَ الْمَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عُقِلْ ... يَجُوزُ حَذْفُهُ، وَفِي النَّعْتِ يَقِلْ

أجيب: بأنَّ محَلَّ الامتناع: إذا لم تَجْرِ الصفة مَجرى الجوامد؛ بأن تغلبَ عليها الاسميَّة؛ كالأبطح والأبرَق والأجرع[3]، وإلا.. جاز حذفُ الموصوف؛ ولذلك فسَّر ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ بـ(السفن)، ولم يقُل: (أي: السفن الجارية).

---

(١) أثبت الياء وصلاً نافع وأبو عمرو وأبو جعفر، وفي الحالين ابن كثير ويعقوب، وحذفها الباقون مطلقاً. انظر «البدور الزاهرة» (٢٨٧).

(٢) «الخلاصة»، باب النعت.

(٣) أسماء أماكن، والأبطح في الأصل: المكان المنبطح، والأجرَع: المكان المستوي من الرمل، والأبرَق: ما فيه لون مختلف، وهو الحُمرة والبياض.

إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ ....

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾: يَصِرْنَ ﴿رَوَاكِدَ﴾: ثَوابِتَ لا تَجرِي ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ هو المُؤمِن يَصبِرُ في الشِّدَّة ويَشكُر في الرَّخاء، ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ ـ عَطفٌ على ﴿يُسْكِنِ﴾ ـ أي: يُغرِقهُنَّ بِعَصفِ الرِّيح بِأهلِهِنَّ، ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي: أهلُهُنَّ مِن الذُّنُوب، ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ مِنها فلا يُغرِق أهلَه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَيَظْلَلْنَ﴾) بفتح اللام في قراءة العامَّة؛ من: (ظَلِلَ) بكسرها كـ(عَلِمَ)، وقرئ شذوذاً: (فَيَظْلِلْنَ) بكسر اللام؛ من: (ظَلَّ) بفتحها كـ(ضَرَبَ)[1].

قوله: (أي: يَصِرْنَ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد من (ظلَّ) الصيرورةُ في ليلٍ أو نهارٍ، وليس المراد معناها، وهو اتِّصاف المخبر عنه بالخبر نهاراً.

قوله: (﴿رَوَاكِدَ﴾) جمع راكد، يقال: ركَد الماء ركوداً ـ من باب (قعد) ـ: سكن، ويوصف به الريحُ والسفينة وكلُّ شيء يَسكن بعد تحرُّكه.

قوله: (﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾) أي: كثيرِ الصبر على البَلايا، عظيمِ الشكر على العطايا.

قوله: (عطفٌ على ﴿يُسْكِنِ﴾) أي: فالمعنى: إن يشأ يُسْكِنِ الريح فيَركُدْنَ، أو يَعْصِفْهَا فيَغرقْنَ، ولا مفهوم له، بل قد يُغرقها الله بسببٍ آخرَ؛ كقَلْعِ لوحٍ أو غير ذلك.

قوله: (بعَصف الريح بأهلهنَّ) أي: اشتِدادها، وإنما قيَّد به وإن كانت أسبابُ الغرق كثيرةً؛ نظراً للشأن والغالب.

قوله: (أي: أهلُهُنَّ) تفسيرٌ للواو في ﴿كَسَبُوا۟﴾ العائدِ على أهل السُّفن، المعلومِ من السياق.

قوله: (﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾) قرأ العامَّة بالجزم عطفاً على جواب الشرط، واستُشكل: بأنه يَلزم عليه دخول العفو في حيِّز المشيئة مع أنه إخبارٌ عن العَفو من غير شرط المشيئة.

وأجيب: بأنَّ الجزم من حيثُ الصورةُ الظاهريَّةُ، لا من حيث المعنى، وقُرئ شذوذاً: (ويَعفو) بالرفع والنصب[2]؛ أمَّا قراءةُ الرفع.. فهي محتملةٌ لوجهين: الأول: الاستئناف، الثاني: الجزم،

---

(١) وهي قراءة قتادة؛ كما نقله العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٥٥٦).

(٢) قرأ الأعمش (ويعفو) بالواو، وقرأ بعض أهل المدينة بالنصب. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٥٧).

وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ....

﴿٣٥﴾ ﴿وَيَعْلَمَ﴾ - بِالرَّفع مُستَأنَف، وبِالنَّصب مَعطُوف على تَعلِيل مُقدَّر - أي: يُغرِقهُم لِينتَقِم مِنهُم ويَعلَم ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مَهرَب مِن العَذاب، - وجُملة النَّفي سَدَّت مَسَدَّ مَفعُولَي (يَعلَم)، والنَّفي مُعلِّق عن العَمل -.

﴿٣٦﴾ ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ - خِطاب لِلمُؤمِنِين وغَيرِهم - ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ مِن أثاثِ الدُّنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُتمتَّع بِه فِيها ثُمَّ يَزُول، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِن الثَّواب ....

حاشية الصاوي

وزيدت الواو لِلإشباع، كزيادتها في (من يتقي ويصبر)[١]، وأمَّا قراءة النصب.. فهو على إضمار (أن) بعد الواو، قال ابن مالك[٢]: [الرجز]

والفِعْلُ مِنْ بَعْدِ الجَزا إنْ يَقْتَرِنْ بالفا أوِ الواوِ بِتَثْلِيثٍ قَمِنْ

وهذا نظيرُ ما قيل في قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤][٣].

قوله: (منها) أي: الذنوب، أو السُّفن.

قوله: (بالرفع مُستأنفٌ) أي: وهو يَعلم، وقوله: (وبالنصب) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٤].

قوله: (لِينتقم منهم) أي: بالغرَق، وهو تعليلٌ للإغراق.

قوله: (﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾) (ما): شرطيَّة مفعولٌ ثانٍ لـ﴿أُوتِيتُم﴾، والأوَّل: ضمير المخاطبِين به نائب الفاعل، و﴿مِّن شَيْءٍ﴾ بيان لـ(ما)، وقوله: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ جملة مِن مبتدأ وخبر، جوابُ الشرط.

قوله: (من أثاث الدنيا) أي: مَنافعها؛ من مأكلٍ ومشربٍ ومَلبسٍ ومنكحٍ ومركبٍ وغير ذلك، واحدُهُ: أثاثة، وقيل: لا واحدَ له من لفظه.

قوله: (ثم يَزول) أخذَه من قوله: (متاع)؛ لأنَّ المتاع هو ما يُتمتَّع به تمتُّعاً ينقضي.

---

(١) بإثبات ياء (يتقي) في قراءة قنبل.

(٢) «الخلاصة»، باب (عوامل الجزم).

(٣) في آخر سورة (البقرة)، ويكون قد عطف هذا المصدر المؤول مِن (أن) المضمرة والفعل على مَصدر متوهم من الفعل قبله، تقديره: أو يقع إيباقٌ وعَفو عن كثير.

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالرفع، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٩/٥٥٨).

خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ....

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ـ ويُعطف علَيهم ـ:

(﴿٣٧﴾ - ﴿٣٩﴾) ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: مُوجِباتِ الحُدُود ـ مِن عَطف البَعض على الكُلِّ ـ ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: يتجاوَزُون، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) أي: اتَّصفُوا بالإيمان وماتُوا عليه.

قوله: (﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾) أي: يَعتقدون أن لا ملجأ لهم من الله إلا إليه، ولا ضارَّ ولا نافعَ سِواه.

والتوكُّلُ بهذا المعنى شرطٌ في صِحة الإيمان، وأمَّا إن أُريد به تفويضُ الأمورِ إليه، والاعتمادُ عليه في جميع ما يَنزل بالشخص.. فليس شرطاً في صِحَّته، بل هو وصف كامِل الإيمان، وليس مراداً هنا؛ لأنَّ ما عِند الله من الثواب يكون لِعُموم المؤمنين.

قوله: (ويعطف عليه) أي: على قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

قوله: (﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾) هي كلُّ ما ورد فيها حدٌّ أو وعيدٌ.

قوله: (مِن عطف البعض على الكل) مرادُهُ: عطفُ الخاصِّ على العامِّ؛ لأنَّ من الكبائر ما فيه الوعيدُ ولا حَدَّ فيه؛ كالغيبة والنَّميمة والعجب والرياء.

قوله: (﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا﴾... إلخ) (إذا): ظرفٌ منصوب بـ﴿يَغْفِرُونَ﴾، مجرَّدٌ عن معنى الشرط، و﴿مَا﴾: صلة، و﴿هُمْ﴾: مبتدأ، و﴿يَغْفِرُونَ﴾: خبره، والجملة معطوفةٌ على الصلة، والتقدير: والذين يَجتنبون وهم يغفرون عطفَ جملةٍ اسميَّة على فعليَّة، ويَصح أن تكون ﴿إِذَا﴾ شرطية، و﴿مَا﴾: صلة، و﴿غَضِبُوا﴾: فعل الشرط، و﴿هُمْ﴾: تأكيد للواو، و﴿يَغْفِرُونَ﴾: جواب الشرط، وأمَّا جعل ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ جملة من مبتدأ وخبر، جواب الشرط.. فشاذٌّ؛ لِخلوِّه من الفاء، ولا ينبغي حملُ التنزيل عليه.

والمعنى: أنَّ من مكارم الأخلاق التَّجاوزَ والحلمَ عند حُصول الغضب، ولكن يُشترط أن يكون الحلمُ غيرَ مُخِلٍّ بالمروءة، ولا واجباً، وإلَّا.. فالغضب مطلوبٌ؛ كما إذا انتُهِكَتْ حرماتُ الله.. فالواجبُ الغضبُ لا الحلمُ، وعليه قول الإمام الشافعي: من استُغْضِبَ ....

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ....

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: أجابُوهُ إلى ما دَعاهُم إلَيهِ مِن التَّوحِيد والعِبادَةِ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أدامُوها، ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الذِي يَبدُو لَهُم ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ يَتشاوَرُون فِيه ولا يَعجَلُون، ....

حاشية الصاوي

ولم يغضب فهو حمارٌ[١]. وقال الشاعر[٢]: [الطويل]

إذا قِيلَ: حِلْمٌ قُلْ: فلِلحِلْمِ مَوْضِعٌ ... وحِلْمُ الفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ

وبالجملة: فكلُّ مَقامٍ له مقالٌ.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾) معطوفٌ على الموصول المتقدِّم، وهذه الآية نزَلت في الأنصار، دَعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان، فاستجابُوا له، ونَقَبَ عليهم اثني عشر نقيباً قبل الهجرة.

قوله: (أجابُوه إلى ما دَعاهم... إلخ) أي: على لِسان رسوله ﷺ، وأشار المفسِّر إلى أنَّ السين والتاء زائدتان.

قوله: (﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾) أي: أدَّوْهَا بِشُروطها وآدابها.

قوله: (﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾) الشُّورى: مصدر (شاوَرته) أي: شاركته في الرأي؛ كـ(البشرى)، وكانت الأنصار قبل قُدوم النبي ﷺ إذا أرادُوا أمراً.. تشاورُوا فيه، ثمَّ عملُوا عليه، فمَدَحهم الله تعالى به وأمَرهُ ﷺ بذلك، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾؛ تأليفاً لِقُلوب أصحابه، وذلك في الأمور الاجتهاديَّة كالحروب ونحوها، ولم يكن يُشاورهم في الأحكام؛ لأنها مُنزلة من عند الله تعالى، وكانت الصحابة بعدَه ﷺ يَتشاورون في المهمَّات من أُمور الدين والدنيا، وأوَّلُ ما تشاوَر فيه الصحابةُ الخلافةُ؛ لأنَّ النبيَّ لم يَنُصَّ عليها، فوقع بينهم اختلافٌ، ثمَّ اجتمعُوا وتشاوَرُوا، فقال عمر: نَرضى لدنيانا ما رضيه النبيُّ لِدِيننا. واختلفُوا في ميراث الجد.

وبالجملة: فالشورى أمرُهَا عظيمٌ، قال الحسَن: ما تشاوَرَ قومٌ قط إلا هُدُوا إلى أرشد أمورهم، وفي الحديث: «**إذا كان أمراؤُكم خيارَكُمْ، وأغنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ، وأمرُكُم شُورى بينكم.. فظَهْرُ الأرض خيرٌ لكم من باطنها، وإن كان أمراؤكم شرارَكُمْ، وأغنياؤكم بخلاءَكُمْ، وأمورُكم إلى نسائكم.. فبطنُ الأرض خيرٌ لكم من ظهرِها**»[٣].

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٤٣)، وتمامه: (ومَن استرضي فلم يَرْضَ.. فهو شيطان).

(٢) البيت لِلمتنبي بنحوه، انظر «شرح ديوانه» للواحدي (ص٣٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٢٦٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: (من بطنها) بدل (من باطنها).

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ ....

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعةِ اللهِ. ومَن ذُكِر صِنف، ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾: الظُّلمُ ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ صِنفٌ، أي: يَنتَقِمُونَ مِمَّن ظَلمَهُم بِمِثْلِ ظُلمِه كما قال تَعالى:

﴿٤٠﴾ ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سُمِّيَت الثَّانيةُ سَيِّئة لِمُشابَهتِها لِلأُولى في الصُّورةِ، وهَذا ظاهِر فِيما يُقتَصُّ فِيه مِن الجِراحاتِ، قال بَعضُهم: وإذا قالَ لَهُ: أخزاكَ الله فيُجيبهُ: أخزاك الله، ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن ظالِمِه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ الوُدَّ بَينه وبَين المَعفُوِّ عنهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾) أي: في وُجوه البر، وكانُوا يُقدِّمون غيرهم عليهم، قال تعالى في وصفهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

قوله: (ومَن ذُكِر صِنفٌ) أي: المؤمنون المتقدِّمون، فيحتمل أنَّ الله تعالى جعَل المؤمنين صنفَين: صنفٌ يَعفون عمَّن ظلمهم، وقد ذكرهم الله في قوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، وصنفٌ يَنتقمون ممَّن ظلَمهم، وقد ذكرهم الله في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩].

قوله: (﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾) هي في الإعراب كقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، سواءً بسواءٍ، ويزيد هنا أنَّه يصح أن يكونَ ﴿هُمْ﴾ توكيداً للضمير المنصوب في ﴿أَصَابَهُمُ﴾، وحينئذٍ: ففيه الفصل بين المؤكِّد والمؤكَّد بالفاعل(١).

قوله: (وهذا) أي: قوله: ﴿مِّثْلُهَا﴾، وقوله: (من الجراحات) أي: وغيرِها من سائر الحُقوق التي يمكن استيفاؤها.

قوله: (قال بعضهم) هو مجاهدٌ والسُّدِّي(٢).

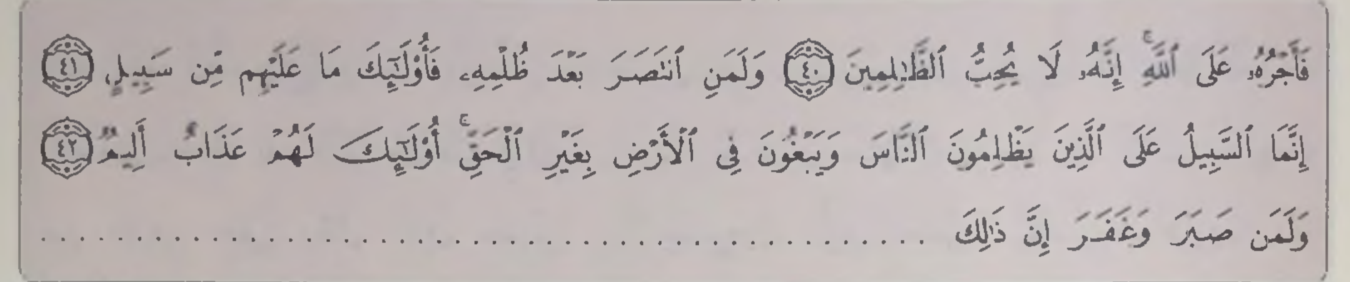
قوله: (﴿فَمَنْ عَفَا﴾) الفاء: للتفريع؛ أي: إذا كان الواجبُ في الجزاء رعايةَ المماثلةِ.. فالأَوْلَى العفوُ والإصلاحُ؛ لتعذُّر المماثَلة غالباً.

قوله: (﴿وَأَصْلَحَ﴾ الودَّ بينه وبين المعفُوِّ عنه) أشار بذلك إلى أنَّ الإصلاح مِن تمام العفو، وفيه تحريضٌ وحثٌّ على العفو؛ فإنَّ أمرَهُ عظيمٌ، وفيه تفويضُ الأمرِ إلى الله تعالى، والله لا يُخيب من فوَّض الأمر إليه.

---

(١) والظاهر أنه غير مَمنوع. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٦٢).

(٢) كما في «السراج المنير» (٣/ ٥٤٦).



﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إنَّ الله يأجرُه لا مَحالةَ، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: البادِئينَ بِالظُّلم فيترتَّب عليهِم عِقابُه.

(﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾) ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي: ظُلم الظَّالِم إيَّاهُ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾: مُؤاخذة، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾: يَعمَلُون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بِالمَعاصِي، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

﴿٤٣﴾ ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فلَم يَنتَصِر ﴿وَغَفَرَ﴾: تَجاوَز، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصَّبرَ والتَّجاوُز ......

حاشية الصاوي

قوله: (أي: البادئين بِالظُّلم) أي: الذين فعلُوا الظلم ابتداءً.

قوله: (﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾) اللام: للابتداء، و(مَن): شرطية، وجملة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾... إلخ جواب الشرط، أو مَوصولة مبتدأ، وقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ خبره، ودخلت الفاء؛ لِشبه الموصول بالشرط.

قوله: (أي: ظلمِ الظَّالمِ إيَّاه) أشار بذلك إلى أنَّ المصدر مضافٌ للمفعول، وفي هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ لِلمظلوم أن يأخذ حقَّه ممَّن ظلمه بنَفسه، وهو جائزٌ بشرط ألَّا يزيد على حقِّه، وأن يَأمن من وُلاة الأمور، وأن يكون حقُّه ثابتاً.

قوله: (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾) أي: لأنهم فعلُوا ما هو جائزٌ لهم.

قوله: (﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾) قيَّد به؛ إشارةً إلى أنَّ البغي قد يكون مصحوباً بالحقِّ؛ كما إذا أخذ حقَّه مع التَّجاوُز فيه.

قوله: (﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾... إلخ) عطف على قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾، وجملة ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾.. إلخ﴾ اعتراضٌ، وكرَّر الصبرَ اهتماماً به، وترغيباً فيه، وإشارةً إلى أنه محمود العاقبة، وهو أولى إن لم يَترتَّبْ عليه مفسدةٌ، وإلا.. كان الانتصار أولى[(١)].

(١) كما إذا احتيج إلى كفِّ زيادة البغي وقطع مادَّة الأذى، وعن النبي ﷺ ما يَدل عليه، وهو أن زينب أسمعت عائشة ﵄ بِحَضرته، فكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة: «دُونكِ فانتصري» خرَّجه مسلم في «صحيحه» بمعناه. «تفسير القرطبي» (١٦/ ٤٤).

لِمَنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ....

﴿لِمَنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: مَعزُوماتِها بِمَعنَى المَطلُوباتِ شَرعاً.

﴿٤٤﴾ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾ أي: أحَد يَلِي هِدايَتَه بَعد إضلالِ الله إيَّاهُ، ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾ إلى الدُّنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾: طَرِيق.

﴿٤٥﴾ ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النَّار ﴿خَٰشِعِينَ﴾: خائِفِين مُتَواضِعِين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾ إلَيها ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ﴾: ضَعِيف النَّظَر مُسارَقَةً، ـ و(مِن) ابتِدائيَّة أو بِمَعنى الباء ـ، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ بِتَخلِيدِهِم في النَّار وعَدَم وُصُولِهِم إلى الحُور المُعَدَّة لَهُم في الجَنَّة لَو آمَنُوا، ـ والمَوصُول خَبَرُ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِمَنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾) أي: من الأُمور التي أمر الله بها وأكَّد عليها.

قوله: (﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾) أي: يَمْنَعْ عنه الهدى.

قوله: (﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) خطابٌ لكلِّ من تتأتى منه الرؤية، وهي بصرية، والجملة بعدها حال.

قوله: (﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾) عبَّر عنه بالماضي؛ إشارةً لتحقُّق الوقوع.

قوله: (﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾) حال، وكذا قوله: ﴿خَٰشِعِينَ﴾.

قوله: (أي: النَّارِ) أي: المعلومةِ من دلالةِ العذاب عليها.

قوله: (﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾) مُتعلق بـ﴿خَٰشِعِينَ﴾ أي: من أجل الذل.

قوله: (مُسارقة) أي: يُسارقون النظر إليها؛ خوفاً منها، وذلاً في أنفُسِهم.

قوله: (﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾) ظرفٌ لـ﴿خَسِرُوٓا۟﴾ والقول واقعٌ في الدنيا، أو ظرفٌ لـ(قال) فهو واقعٌ يوم القيامة، وعبَّر بالماضي لِتحقُّق الوقوع.

قوله: (بِتَخليدهم في النار... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ....

(إنَّ) ـ، ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: دائم، هو مِن مَقُولِ الله تَعالى.

﴿٤٦﴾ ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره يدفع عذابه عنهم، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾: طَريق إلى الحَقِّ في الدُّنيا وإلى الجَنَّة في الآخِرة.

﴿٤٧﴾ ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾: أجِيبُوهُ بِالتَّوحِيدِ والعِبادة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ هو يومُ القِيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: إنَّهُ إذا أتى به لا يَرُدُّهُ، ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ تلجؤُون إلَيهِ ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾: إنكارٍ لِذُنُوبكم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا كَانَ لَهُم﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾: اسمها مؤخَّر، و﴿مِّن﴾: زائدة، و﴿يَنصُرُونَهُم﴾: صفة لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾.

قوله: (﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾) السين والتاء: زائدتان؛ كما أشار له المفسِّر بقوله: (أجيبوه)، والمعنى: أجيبُوا داعيَ ربِّكم وأطيعُوه فيما يَأمركم به من التَّوحيد والعبادة.

قوله: (﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾... إلخ) أي: أطيعُوا في الدنيا التي هي ظرفٌ للأعمال والإيمان قبل أن يأتي يوم الحَسرة والندامة؛ فإنه إذا جاء.. لا يَرُدُّه الله؛ ففيه وعيدٌ للكافرين.

قوله: (لا يردُّه) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿مَرَدَّ﴾.

قوله: (﴿مِّن مَّلْجَإٍ﴾) أي: مفرٌّ ومَهربٍ.

قوله: (إنكار لِذُنوبكم) أي: لأنها مكتوبةٌ في صحائفكم، تَشهد بها الملائكة والجوارح، والمرادُ: إنكارٌ نافعٌ، وإلَّا.. فالكفَّار أوَّلاً يُنكرون الذنوب؛ طمعاً في العفو، ثمَّ إذا لم يجدُوا مخلصاً.. يقرُّون. وما قاله المفسِّر أوضحُ ممَّا قاله غيره: أنَّ المراد بالنكير: الناصر الذي ينصرهم؛ لإغناء قوله: ﴿مِّن مَّلْجَإٍ﴾ عنه[1].

---

(١) وهو قول مجاهد؛ كما في «تفسير القرطبي» (١٦/٤٧).

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ ....

﴿٤٨﴾ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عن الإجابةِ ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ﴾: تحفظ أعمالَهم بِأن تُوافِقَ المَطلُوب مِنهُم، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ وهَذا قبلَ الأمرِ بالجِهادِ، ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: نِعمةً كالغِنَى والصِّحَّة ﴿فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ ـ الضَّمِير لِلإنسانِ باعتِبارِ الجِنس ـ ﴿سَيِّئَةٌۢ﴾: بَلاءٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قَدَّمُوهُ، وعَبَّرَ بِالأيدِي لِأنَّ أكثَرَ الأفعال تُزاوَلُ بِها ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ لِلنِّعمة.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ﴾) هذه الجملة تعليلٌ للجواب المحذوف، والتقديرُ: فلا تحزن، أو لا عتابَ عليك، أو لا تكلف بشيء؛ لأننا ما أرسَلناك... إلخ.

قوله: (بأن تُوافق) أي: أعمالهم الصادرة منهم، وقوله: (المَطلوب منهم) أي: الأعمال المطلوبة منهم كالإيمان والطاعة، والمعنى: لم نُرسلك لتخلقَ الهدى في قلوبهم، وتجعلَ أعمالَهُم موافقةً للوجه الذي طلَبناه منهم.

قوله: (وهذا قبل الأمر بِالجهاد) اسم الإشارة عائدٌ على الحصر، والمعنى: أنَّ هذا الحصر منسوخٌ؛ لأنه بعد الأمر بِالجهاد عليه البلاغُ والقتالُ.

قوله: (﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾... إلخ) الحكمةُ في تصديرِ النعمةِ بـ(إذا)، والبلاءِ بـ(إن): الإشارةُ إلى أنَّ النعمة مُحقَّقة الحصول، بخلاف البلاء؛ لأنَّ رحمة الله تغلبُ غضبَهُ.

قوله: (﴿فَرِحَ بِهَا ۖ﴾) أي: فرَحَ بطرٍ وتكبُّرٍ.

قوله: (الضمير) أي: في ﴿تُصِبْهُمْ﴾.

قوله: (بِاعتبار الجنس) أي: الاستغراق، فجمعُه باعتبار المعنى.

قوله: (﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾) في ذلك إشارةٌ إلى أنَّ المصيبة تكون بِسبب كسب المعاصي، والنعمة تكون بِمَحض فضل الله، قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٩]؛ فالواجبُ على الإنسان إذا أعطاه الله نعمةً. أن يَشكره عليها، ويَصرفها فيما يُرضيه، وإذا أصيب بمصيبة.. فليَصبر عليها، ويحمده عليها، فلعلها تكون كفَّارةً لما اقترفه.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ ....

(﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾) ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ﴾ مِن الأولادِ ﴿إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ فلا يَلِدُ ولا يُولَد له، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بما يَخلُق ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يَشاء.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أي: يتصرَّفُ فيهما كيف يشاء.

قوله: (﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾) أي: من حيوانات وغيرها.

قوله: (﴿يَهَبُ﴾) من: (وَهَبَ) كـ(وَضَعَ)، والمصدر: وَهباً بسكون الهاء وفتحها، وهِبَةً، والاسم: الموهب والموهبة بكسر الهاء فيهما، وهو العطاء من غير مُقابلٍ ولا عوضٍ.

قوله: (﴿لِمَن يَشَآءُ﴾) أي: الآباءِ والأمَّهاتِ.

قوله: (من الأولاد) متعلِّقٌ بـ﴿يَهَبُ﴾، لا بيانٌ لـ(مَن)؛ لأنها عبارةٌ عن الآباء والأُمَّهات.

قوله: (﴿إِنَٰثًا﴾) قدَّمهنَّ؛ إشارةً إلى أنه تعالى يَفعل ما يشاء، لا ما يشاؤه عباده؛ فالإناثُ ممَّا يَشاؤه هو، ونكَّرهنَّ؛ لانحطاط رُتبتهنَّ عن الذكور؛ ولذا عرَّف الذكور، وقدَّمهم آخراً.

قوله: (أي: يجعلهم ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ(يُزوِّج)، والمعنى: يجعل الأولاد ذكراناً وإناثاً حالَ كونهم مُزدوجين[1].

قوله: (﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾) ﴿مَن﴾: واقعة على الرجل والمرأة، فقوله: (فلا يلد) أي: إذا كان امرأة[2]، وقوله: (ولا يولد له) أي: إذا كان رجلاً، فالعقيم هو: الذي لا يُولد له، ذكراً أو أنثى، وفِعله من باب (فَرِحَ) و(نَصَرَ) و(كَرُمَ).

وقال ابن عباس: (﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ يُريد لوطاً وشعيباً عليهما السلام؛ لأنهما لم يكن لهما إلا البنات، ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ يُريد إبراهيم عليه السلام؛ لأنه لم يكن له إلا الذكور، ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ يريد محمداً ﷺ؛ فإنه كان له من البَنين ثلاثة على الصحيح: القاسم،

---

(١) وقيل: ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ حال، وهي حال لازمة، وسوَّغ مجيئها كذلك: أنها بعد ما يجوز أن يكون الأمر على خِلافه؛ لأن معنى (يزوجهم): يقرنهم. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٦٥).

(٢) والتذكير باعتبار لفظ (من)، وفي نسخة: (فلا تلد) بالتاء الفوقية، وهي ظاهرة. «فتوحات» (٤/ ٧٩).

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ....

(٥١) ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا﴾ أن يُوحِيَ إليهِ ﴿وَحْيًا﴾ في المَنام أو بِإلهامٍ، ﴿أَوْ﴾ إلَّا ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ بِأن يُسمِعَهُ كَلامَه ولا يَراهُ، ....

حاشية الصاوي

وعبد الله، وإبراهيم، ومن البنات أربع: زينب، ورُقية، وأم كلثوم، وفاطمة، ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ يريد يحيى وعيسى عليهما السلام) اهـ[1]. ولكن حمل الآية على العُموم أولى؛ لأنَّ المراد بيانُ نَفاذ قدرته تعالى في الكائنات كيف يشاء.

قوله: (﴿أَن يُكَلِّمَهُ﴾) ﴿أَن﴾ وما دخلت عليه: في تأويل مصدر اسم ﴿كَانَ﴾[2].

قوله: (﴿إِلَّا﴾ أن يوحي إليه ﴿وَحْيًا﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿وَحْيًا﴾ منصوب على الاستثناء المفرغ، خلافاً لمَن قال: إنه منقطعٌ؛ نظراً لظاهر اللفظ؛ فإنَّ الوحي ليس بتكليم[3].

والوحيُ: الإشارةُ والرسالة والكتابة وكلُّ ما ألقيتَه إلى غيرك ليعلمه، ثمَّ غلب استعماله فيما يُلقى إلى الأنبياء.

قوله: (في المنام) أي: فرُؤيا الأنبياء حقٌّ، وذلك كما وقع للخليلِ حين أُمِرَ بذبح ولده في المنام، ورسولِ الله حين رأى أنه يَدخل مكة، فَصَدَقَ الله رؤياهما، وقوله: (أو بالإلهام) أي: الإلقاء في القُلوب لا بواسطة ملَك، وقد يقع الإلهام لغير الأنبياء كالأولياء، غيرَ أنَّ إلهام الأولياء لا مانعَ من اختلاط الشيطان به؛ لأنهم غير مَعصُومين، بخلاف الأنبياء؛ فإلهامهم محفوظٌ منه.

قوله: (﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ معطوفٌ على ﴿وَحْيًا﴾ باعتبار مُتعلَّقه، تقديره: إلا أن يُوحي إليه أو يكلِّمه.

قوله: (ولا يراه) أشار بذلك إلى أنَّ المرادَ من الحجاب لازمُهُ، وهو عدم الرؤية، والحجابُ وصفُ العبدِ، لا وصفُ الرَّبِّ.

---

(١) كذا نقله عنه الخطيب في «السراج المنير» (٣/ ٥٥٠)، وردَّه الغماري في كتابه «بدع التفاسير» (ص١٢٣)، وقال: (هذا التأويل باطل؛ لأنه تخصيص للآية بدون دليل، ثم تخصيصها بهؤلاء الأنبياء دون غيرهم.. لا دليلَ عليه، ثم العقيم مَن تزوج ولم يُولد له، ويحيى وعيسى لم يتزوجا أصلاً).

(٢) على أنها ناقصة، وتحتمل أيضاً أن تكون تامَّة، أو زائدة. انظر «مغني اللبيب» (ص٧٢٦).

(٣) وهو ما ذهب إليه أبو البَقاء في «التبيان» (٢/ ١١٣٥).

أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ .....

كما وقَعَ لِمُوسى علَيهِ السَّلام، ﴿أَوْ﴾ إلّا أن ﴿يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: مَلَكاً كَجِبريلَ، ﴿فَيُوحِيَ﴾ الرَّسُولُ إلى المُرسَل إلَيه أي: يُكَلِّمهُ ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: اللهِ ﴿مَا يَشَآءُ﴾ اللهُ، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صِفات المُحدَثِينَ ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه.

(﴿٥٢﴾ - ﴿٥٣﴾) ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثل إيحائِنا إلى غَيرِك مِن الرُّسُل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (كما وقع لِلسيد موسى) أي: في جميع مُناجاته؛ كما تقدَّم مفصَّلاً.

قوله: (﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾) برفع اللام وكذلك (يُوحي)، ونصبهما، قراءتان سبعيَّتان[1]؛ فالرفع خبر لمحذوف؛ أي: وهو يُرسل، والنصب على أنه معطوف على ﴿وَحْيًا﴾ بإضمار (أن)، قال ابن مالك[2]: [الرجز]

وإنْ عَلَى اسْمٍ خَالِصٍ فِعْلٌ عُطِفْ ... تَنْصِبُهُ (أنْ) ثَابِتاً، أو مُنْحَذِفْ

قوله: (كجبريل) أدخلت الكاف غيرَه كإسرافيل ومَلَك الجبال؛ فإنَّ الله تعالى أرسل كُلًّا إلى رسول الله ﷺ[3].

قوله: (﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المحدَثِينَ) أي: منزَّهٌ ومقدَّسٌ عنها.

قوله: (﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه) أي: يَضع الشيء في محلِّه.

قوله: (أي: مثل إيحائنا إلى غيرك... إلخ) التَّشبيهُ في مُطلق الإيحاء والإرسال؛ لأنه ﷺ وَقع له الكلام والرؤية، بخلاف باقي الأنبياء، فهو من تَشبيه الأكمل بالكامل؛ بسابقيَّة الكامل في الوجود، فالحصر المتقدِّم بالنسبة للأنبياء غيرِ نبيِّنا ﷺ؛ فلا يقال: إن الآية تدلُّ على أنَّ الوحي مُنحصرٌ في هذه الثلاثة، ولا يشمل الكلام مشافهةً، مع أنه وقع لرسول الله ﷺ.

---

(١) قرأ نافع: «يرسل» برفع اللام، وكذلك (فيوحي) فسكنت ياؤه، والباقون بِنَصبهما. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٦٦).

(٢) «الخلاصة»، باب: (إعراب الفعل).

(٣) أما إرسال إسرافيل.. فرواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٤٤٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وأما إرسالُ ملك الجبال.. فرَواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ﴾ ....

يا مُحمَّد ﴿رُوحًا﴾ هو القُرآنُ بِه تَحيَا القُلُوب، ﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الذِي نُوحِيهِ إلَيك، ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ تَعرِفُ قبلَ الوَحي إلَيك ﴿مَا الْكِتَابُ﴾: القُرآنُ ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: شَرائِعُه ومَعالِمُه، ـ والنَّفي مُعلِّق لِلفِعلِ عن العَمَل، أو ما بَعدَه سَدَّ مَسَدَّ المَفعُولَينِ ـ ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الرُّوح أو الكِتاب ....

حاشية الصاوي

قوله: (هو القرآن) هذا أحدُ تفاسير في (الروح)، وقيل: الرحمة، وقيل: الوحي، وقيل: الكتاب، وقيل: جبريل.

قوله: (به تَحيا القلوب) أي: فشبَّه القرآن بالروح من حيث إنَّ كلًّا به الحياةُ؛ فالقرآن به حياةُ الأرواح، والروح بها حياة الأشباح.

قوله: (﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾) ﴿مِّنْ﴾: تبعيضيَّة حال، والمعنى: حالَ كون هذا القرآن بعضَ ما نُوحيه إليك؛ لأنه ورَدَ: أنه أُعطي القرآن ومثلَه معه[1].

قوله: (﴿مَا الْكِتَابُ﴾) الكلام على حذف مضاف؛ أي: جوابَ ما الكتابُ؟ والمعنى: جوابَ هذا الاستفهام.

قوله: (﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾) إن قُلت: إنَّ الأنبياء لم تُحْجَبْ أرواحُهم بدخولها في الأشباح عن التَّوحيد الأصلي الكائن في يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، بل بعض الأولياء كذلك؛ فكيف يُقال في حقِّ نبيِّنا عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ مع أنه كان يتعبَّد قبل البعثة، وحاشاهُ أن يَعبد الله مع جهله بمعبوده؟!

أجاب المفسِّر: بأنَّ الكلام على حذف مضاف؛ أي: شرائع الإيمان ومَعالِمَه؛ كالصلاة والصوم والزكاةِ والطلاق والغسل من الجنابة وتحريمِ المحارم بالقرابة والصهر، والمرادُ بالإيمان: الإسلامُ.

قوله: (والنفي مُعلِّقٌ) صوابه: الاستفهام؛ لأنه مُتأخرٌ عن النفي، وهو المعلِّق للفعل عن العمل لفظاً.

قوله: (أو ما بعده) (أو): بمعنى الواو.

---

(١) رواه أبو داوود (٤٦٠٤) عن سيدنا المقدام بن معدي كرب، وفيه (الكتاب) بدل (القرآن).

﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾: تَدعُو بِالوَحيِ إلَيك ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طَرِيق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: دِين الإسلام، ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبِيداً، ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾: تَرجع.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿نَّهْدِى بِهِۦ﴾) صفة لـ﴿نُورًا﴾، وسمِّي نوراً؛ لأنَّ بالنور الاهتداءَ في الظلمات الحِسيَّة، فكذا القرآن يُهْتَدَى به في الظلمات المعنويَّة، والمراد: الهداية المُوصلة؛ بدليل قوله: ﴿مَن نَّشَآءُ﴾.

قوله: (﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾) أي: تدلُّ، والمفعول محذوفٌ؛ أي: كلَّ مكلَّفٍ، فتحصَّل أن المعنى: أنتَ يا محمَّد عليك البلاغُ والدلالة وإقامة الحُجَج، ونحن نخلق الهداية والتوفيق في قلب مَنْ نختاره مِنْ عبادنا.

قوله: (هي[1] الإسلام) أي: وسمِّي طريقاً؛ لأنه يَحصل به الوصول إلى المقصود كالطريق الحسِّيِّ.

قوله: (﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾) بدل من ﴿صِرَٰطٍ﴾ الأول، بدلَ معرفةٍ من نكرةٍ.

قوله: (﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾) ﴿أَلَآ﴾: أداةُ استفتاح يؤتى بها للاهتمام بما بعدها، والجار والمجرور: متعلق بـ﴿تَصِيرُ﴾ قدِّم للحصر، وأتى بهذا الجملة عَقب التي قبلها إشارةً إلى أنَّ كلَّ شيءٍ من الله وإلى الله، فأفاد بالجُملة الأولى: أنَّ جميعَ ما في السماوات وما في الأرض مملوكٌ له وناشئٌ منه، وأفاد بالجملة الثانية: أنَّ جميعَ هذه الأشياء مرجعُهَا إليه في كلِّ ذرَّة ولَمحة؛ فلا غنًى لها عنه تعالى.

والمرادُ من المضارع الدَّوامُ، والمعنى: شأنه رُجوع الأمور إليه تعالى، وليس المرادُ حقيقتَهُ؛ لأنَّ الأمور متعلِّقةٌ به في كلِّ وقتٍ، فإذا علمتَ ذلك.. فكلُّ شيءٍ لا يَستغني عن الله تعالى طرْفَةَ عينٍ، قال العارف الشاذلي: (ولا تَكِلنا إلى أنفسنا طرفةَ عينٍ ولا أقلَّ من ذلك)[2]، فإذا شاهد

---

(١) كذا في (أ) تفسيرٌ للطريق، وفي (ط٢): (دين الإسلام).

(٢) قطعة من وِرده المبارك المسمَّى بالحزب الكبير أو حِزب البَرِّ.

. . . .

حاشية الصاوي

الإنسان ذلك.. أورَثه مقامَ المراقبةِ، ورؤيةَ عجز نفسه، واضطرارَها وافتقارها إلى مالكها، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

فائدة: قال سهل بن أبي الجعد: احترق مصحفٌ، فلم يبقَ منه إلا قوله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾، وغرق مُصحفٌ، فانمحى كلُّه إلا قوله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾. انتهى [١].

✿ ✿ ✿

(١) كما في «تفسير القرطبي» (١٦/ ٦٠).

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ....



مَكيَّة، وقيل: إلَّا ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا...﴾ الآيةَ، تِسعٌ وثَمانون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حمٓ﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بِه، ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾: المُظهِرِ طَرِيق الهُدَى وما يُحتاج إِلَيهِ مِن الشَّرِيعة.

(٣ - ٤) ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ﴾: أَوجَدنا الكِتابَ ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ بِلُغةِ العَرَب، ....

حاشية الصاوي

سورة الزخرف

سُمِّيت باسم كلمةٍ منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَزُخۡرُفٗاۚ﴾.

قوله: (مكيَّة) أي: كلُّها حتى هذه الآية، بناءً على أنَّ المرادَ سؤالُ نفسِ الرسل، وكان ذلك ليلةَ الإسراء لبيت المقدس، فتكون مكيَّةً؛ لِكونها قبل الهجرة.

قوله: (وقيل: إلا قولَه تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا﴾... إلخ) أي: بناءً على أنَّ المعنى: واسأل من أُمَم رُسلنا، والمرادُ بهم: اليهودُ والنصارى.

قوله: (﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾) هذا هو المقسَمُ به، والمقسَمُ عليه هو قولُه: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾، وهو من أنواع البلاغة؛ حيث جعل المقسَم والمقسَم عليه من وادٍ واحدٍ، كأنَّ الله تعالى يقولُ: ليس عندي أعظَمُ من كلامي حتى أُقسِمَ به.

قوله: (أوجدنا الكتاب) أي: صيَّرناه مقروءاً؛ أي: مجموعاً سُوَراً موصوفة بكونها عربيَّة؛ رحمةً منَّا وتنزلاً لعبادنا؛ لِعجزهم عن شهود الوصف القائم بنا، فحدوثُه من حيث قيامُهُ بالمخلوقات، وقدمُهُ من حيث وصفُ الله به، وقد تنزَّه وصفُه عن الحروف والأصوات والجمع والتفرق، فتدبَّر، ودُفع بذلك ما قيل: إنَّ ظاهر الآية يدل على حدوث القرآن من وجوهٍ ثلاثةٍ:

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ ......﴾

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿تَعْقِلُونَ﴾: تفهمُونَ معانيَه، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مُثبَتٌ ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصلِ الكُتُب أي: اللَّوح المَحفُوظ، ﴿لَدَيْنَا﴾ ـ بَدَل ـ: عِندنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾ على الكُتب قبلَه، ﴿حَكِيمٌ﴾: ذُو حِكمةٍ بالِغة.

۝٥ ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾: ....

حاشية الصاوي

الأول: أنها تدلُّ على أنَّ القرآن مجعولٌ، والمجعولُ هو المصنوع والمخلوق، والثاني: أنه وَصَفه بكونه قرآناً، والمجموعُ بعضُهُ لبعضٍ مصنوعٌ، والثالث: وصَفه بكونه عربيًّا، والعربيُّ ما كان بِلُغة العرب، وذلك يدل على أنه مجعولٌ.

وأجاب الرازي أيضاً عن ذلك: بأنَّ هذا الذي ذكرتمُوه حقٌّ؛ لأنكم استَدلَلتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثةً، وذلك مَعلوم بالضرورة، وليس لكم مُنازع فيه(١).

قوله: (وإنه مُثبت... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الجارَّ والمجرور خبر (إنَّ)، وقوله: ﴿لَعَلِىٌّ﴾ خبرٌ ثانٍ، واعتُرض بأنه يلزم عليه تقديم الخبر الغير المقرُون باللام على المقرون بها، وفي جوازه خلافٌ، فالأحسَنُ: أنَّ الجارَّ والمجرور متعلق بـ(عليٌّ)، ولا يقالُ: إنَّ لام الابتداء لها صدر الكلام(٢)؛ لأنه يُقال: محلُّ ذلك في غير باب (إن) كما قال ابن هشام في «مُغنيه»؛ لأنها فيه مُؤخَّرةٌ من تقديم؛ ولهذا تسمَّى المزحلقة(٣).

قوله: (بدلٌ) أي: من الجارِّ والمجرور، وقوله: (عندنا) تفسيرٌ لـ﴿لَدَيْنَآ﴾.

قوله: (﴿لَعَلِىٌّ﴾) أي: رفيعُ الشأن على غيره من الكتب.

قوله: (﴿أَفَنَضْرِبُ﴾) الهمزة داخلةٌ على محذوف، والفاء عاطفة عليه، تقديره: أنُهمِلكم فنضرب... إلخ، والاستفهام إنكارٌ؛ بدليل قولِ المفسِّر في آخر العبارة: (لا)، والمعنى: لا نُهملكم برفع الوحي ومنعِ إنزال القرآن، ونُعجل الهلاك من أجل كونكم قوماً مُسرِفين، بل نتمِّمُ نورَنا بتمام الإنزال لعبدنا، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠].

(١) انظر «تفسير الرازي» (٢٧/٦١٧).

(٢) فيَمتنع تعلق الجار والمجرور بما دخلت عليه.

(٣) «مغني اللبيب» (ص٣٠٤).

عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ ....

نُمسِكُ ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾: القُرآنَ ﴿صَفْحًا﴾: إمساكاً فلا تُؤمَرُونَ ولا تُنهَونَ لِأجلِ ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾: مُشرِكِين؟ لا.

(﴿٦﴾ - ﴿٨﴾) ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا﴾ كانَ ﴿يَأْتِيهِم﴾: أتاهُم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستِهزاءِ قَومِك بك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (نُمسك) أي: عن إنزاله لكم.

قوله: (﴿صَفْحًا﴾) أشار المفسِّر إلى أنه مفعولٌ مطلقٌ مُلاقٍ لعامله ـ وهو (نضرب) ـ في المعنى[1].

قوله: (فلا يُؤمرون ولا ينهون) أي: بل يَصيرون كالبهائم.

قوله: (﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾) بكسر الهمزة على أنها شرطيَّة، وفتحِها على أنها تعليليَّة، قراءتان سبعيَّتان، لكن يَرِد على القراءة الأولى أنَّ (إن) تُفيد الشك مع أنَّ إسرافهم محقَّقٌ، ويجاب: بأنه يُؤتى بها في مقام التحقيق قصداً لتجهيل المخاطَب، بجَعله كأنَّه مُتردِّدٌ في ثبوت الشرط شاكٌّ فيه[2].

قوله: (﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا﴾) (كم): خبريَّة بمعنى: عدداً كثيراً، مفعولٌ مقدَّم لـ﴿أَرْسَلْنَا﴾، و﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾: تمييز لها، و﴿فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾ متعلِّق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أي: في الأُمَم الأوَّلين.

قوله: (أتاهم) أشار بذلك إلى أنَّ المضارع بمعنى الماضي، وعبَّر عنه بالمضارع استحضاراً للصُّورة العجيبة.

قوله: (﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾) أي: رسول؛ بدليل قوله: ﴿أَرْسَلْنَا... إلخ﴾.

---

(١) ويجوز أن يكون منصوباً على الحال من الفاعل؛ أي: صافِحِين، وأن ينتصب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة، فيكون عامله محذوفاً، نحو: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾، قاله ابنُ عَطية، وأن يكون مفعولاً من أجله، وأن يكون منصوباً على الظرف. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٧٣).

(٢) قرأ نافع والأخوان بالكسر على أنها شرطية، وأجاب الزمخشري عن الإيراد: بأنه مِن الشرط الذي يصدر عن المدل بصحة الأمر والتحقيق لِثُبوته، كقول الأجير: إن كنتُ عملتُ لك عملاً فوَفِّني حقي، وهو عالم بذلك، ولكنه يُخيل في كلامه أن تَفريطك في إيصال حقي فِعلُ من له شك في استِحقاقه إياه تجهيلاً له، وقيل: المعنى على المجازاة، والمعنى: أفنضرب عنكم الذكر صفحاً متى أسرَفتم؛ أي: إنكم غير مَتروكين من الإنذار متى كنتم قوماً مُسرفين. وقرأ الباقون بالفتح على العلَّة؛ أي: لأن كنتم. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٧٤).

﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ ....

وهذا تَسلِيةٌ لَهُ ﷺ، ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾: مِن قَومِك ﴿بَطْشًا﴾: قُوَّة، ﴿وَمَضَىٰ﴾: سَبَقَ في آياتِ ﴿مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: صِفَتُهم في الإهلاكِ، فعاقِبةُ قَومِك كَذلك.

﴿٩﴾ ﴿وَلَئِن﴾ ـ لامُ قسَم ـ ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ ـ حُذِف مِنهُ نُون الرَّفع لِتَوالِي النُّونات، وواوُ الضَّمِير لِالتِقاء السَّاكِنَين ـ ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ .....

حاشية الصاوي

قوله: (وهذا تسليةٌ له) أي: قوله: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا﴾، والمعنى: تسلَّى[1] يا محمَّد ولا تحزَن؛ فإنه وقع لِلرسل قبلك ما وقع لك.

قوله: (﴿أَشَدَّ مِنْهُم﴾) صفة لموصوف محذوف مفعول لـ(أهلكنا).

قوله: (﴿بَطْشًا﴾) تمييز؛ أي: أهلكنا قوماً أشدَّ من قومك من جهة البطش، وهو شدَّة الأخذ.

قوله: (سبَق في الآيات) أي: في القرآن غير مرَّة.

قوله: (صِفتهم في الإهلاك) وإنما سمي مثلاً لِغرابته؛ فإنَّ المثل في الأصل: كلامٌ شبِّه مضربه بمورده لِغرابته.

قوله: (وعاقبة قَومك كذلك) أي: الهلاك، فاصبِرْ على أذى قومك كما صبَر مَنْ قبلك من الرسل على أذى قَومهم، وفي هذه الآيات تعليمٌ للأمَّة أن يَصبرُوا على مَنْ آذاهم؛ لينالُوا العزَّ الأكبر تأسِّياً بنبيِّهم.

قوله: (لام قسَم) أي: وقَوله: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ جوابُهُ، وجوابُ الشرط محذوفٌ لدلالة جواب القسَم عليه، وهذا على القاعدة في اجتِماع الشرط والقسَم من حذف جواب المتأخِّر.

قوله: (حُذف منه نون الرفع) أي: لِتوالي النونات، ثمَّ حُذفت الواو لالتقاءِ الساكنين ووجودِ الدليل عليها وهو الضمةُ.

قوله: (﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾) كرَّر الفعل للتوكيد، وإلَّا.. فيكفي أن يقالَ: (العزيز العليم)،

---

(١) كذا في الأصول؛ بإثبات الألف، على حدِّ قراءة قنبل: (إنه من يتقِي ويَصبرْ) بإثبات الياء وجزمِ (يصبر). وانظر «مغني اللبيب» (ص٦٢١).

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ ....

آخِرُ جَوابِهم، أي: الله ذُو العِزَّة والعِلم. زاد تَعالى:

(﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾) ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾: فِراشاً كالمَهدِ لِلصَّبيِّ، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: طُرُقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مَقاصِدِكُم في أسفارِكُم، ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي: بِقَدرِ حاجَتِكُم إلَيهِ ولَم يُنزِلهُ طُوفاناً، ﴿فَأَنشَرْنَا﴾: أحيَينا ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثل هَذا الإحياءِ ﴿تُخْرَجُونَ﴾ مِن قُبُورِكُم أحياءً.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾: الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾: السُّفُن

حاشية الصاوي

وهذا الجواب مطابقٌ للسؤال من حيث عجزُهُ، ولو رُوعي صدره.. لجيء بجملة ابتدائية بأن يُقال: (هو العزيز العليم) مثلاً.

قوله: (آخِر جوابهم) أي: أنَّ ما ذُكِرَ آخرُ جواب الكفار، وأمّا قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ إلى قوله: ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾.. فهو من كلامه تعالى؛ زيادةً في تَوبيخهم على عدم التوحيد.

قوله: (كالمَهد للصبي) أي: الفرش له؛ أي: ولو شاء لجعلها مُتحركة لا يثبت عليها شيءٌ، ولا يمكن الانتفاع بها، فمِن رحمته أن جعل الأرض قارَّة مُسطَّحةً ساكنةً.

قوله: (﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾) أي: بحيث تَسلكون فيها إلى مقاصدكم، ولو شاء لجعلها سدًّا ليس فيها طرقٌ، بحيث لا يُمكنكم السَّير فيها كما في بعض الجِبال.

قوله: (أي: بقَدر حاجتِكم) أي: فليس بقليلٍ فلا تَنتفعون به، ولا كثيرٍ فيَضرُّكم.

قوله: (﴿فَأَنشَرْنَا﴾) في الكلام التفاتٌ من الغَيبة للتكلم.

قوله: (﴿تُخْرَجُونَ﴾) أي: فالقادرُ على إحياء الأرض بعد موتها بالماء قادرٌ على إحياءِ الخَلق بعد موتهم.

قوله: (الأصناف) أي: الأشكال والأنواع؛ كالحُلو والحامض، والأبيض والأسود، والذَّكر والأنثى.

قوله: (﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾) أي: خلَق لكم موادَّ السفن كالخشب وغيره، وألهمَكم صَنعَتَها، وصيَّرها لكم في البحر لِتَنتفعُوا بها.

وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ....

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ كالإبلِ ﴿مَا تَرۡكَبُونَ﴾ ـ حُذِفَ العائِد اختِصاراً، وهو مَجرُور في الأوَّل أي: فِيه، مَنصُوب في الثَّانِي ـ، ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ﴾: لِتَستَقِرُّوا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ ـ ذَكَّر الضَّمِير وجَمَع الظَّهر نَظراً لِلَفظِ (ما) ومَعناها ـ ﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ

حاشية الصاوي

قوله: (كالإبل) إن قُلت: إنه لم يبقَ شيءٌ من الأنعام يُركب سوى الإبل، فالكاف استقصائيَّة، إلا أن يقالَ: المراد بالأنعام: ما يُركب من الحيوان، وهو الإبل والخيل والبِغال والحمير؛ لأنَّ المقام للامتِنان بالركوب.

قوله: (﴿مَا تَرۡكَبُونَ﴾) مفعولٌ لـ(جعل)، و﴿مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: بيانٌ له.

قوله: (حذف العائد اختصاراً. . . إلخ) أي: والمعنى: جعَل لكم من الفلك ما تَركبون فيه، ومن الأنعام ما تَركبونها، فهو مجرورٌ في الأول بـ(في)، منصوبٌ في الثاني بالفعل[1].

قوله: (﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾) اللام: لِلتعليل، أو للعاقبة والصَّيرورة مُتعلقة بـ(جعل).

قوله: (ذكَّر الضمير) أي: المضافَ إليه، وقوله: (وجمع الظهر) أي: الذي هو المضاف، وقوله: (نظراً للفظ «ما». . . إلخ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، والمناسبُ أن يقول: أفرد الضمير وجمَع الظهر. . . إلخ، ولو رُوعي معناها فيهما لقيل: (على ظهورها)، ولو رُوعي لفظها لقيل: (على ظهره).

قوله: (﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ﴾) أي: بِقلوبكم.

قوله: (﴿إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾) أي: على ما تَركبون؛ ففيه مُراعاة لفظ (ما)، وكذا في قوله: ﴿سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾.

قوله: (﴿وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي﴾. . . إلخ) أي: تَقولُوا بألسنتكم؛ لِتَجمعُوا بين القلب واللسان.

---

(١) لعل الأولى تقدير العائد في الأول منصوباً أيضاً؛ كما في «الدر المصون» (٩/ ٥٧٦): (أي: ما تركبونه، و«ركب» بالنسبة إلى الفلك يَتعدى بحرف الجر ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾، وفي غيره بِنَفسه، قال: ﴿لِتَرۡكَبُوهَا﴾، فغلَّب هنا المتعدي بنَفسه على المتعدي بواسطة؛ فلذلك حذف العائد)؛ لما هو مُقرَّرٌ في علم العربية أن الضمير المنفصِلَ لا يجوز حذفه؛ فلا يُقال: (الذي جلَست زيد) على معنى: (جلَست إليه). وانظر «بدع التفاسير» (ص١٢٧).

لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ . . . .

لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾: مُطِيقين، ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾: لَمُنصرِفُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَٰذَا﴾) أي: المركوب من سفينة ودابَّة، وظاهر الآية أنه يقول ذلك عند ركوب السفينة أو الدابَّة وهو الأولى، وقال بعضهم: إنَّ هذا مخصوصٌ بالدابة، وأما السفينة فيَقول فيها: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾. . . الآية، وفي الحديث: كان ﷺ إذا وَضع رجله في الركاب قال: «باسم الله»، فإذا استوى على الدابة قال: «**الحمد لله على كل حال**، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ **إلى قوله**: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾»[1].

فإذا كان الإنسان يُريد السفر. . زاد: «**اللهمَّ أنتَ الصاحب في السفر، والخليفةُ في الأهل والمال، اللهم؛ إني أعوذ بك من وَعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال**». ومعنى (الحور بعد الكور): الفُرقة بعد الاجتماع.

وورَدَ: أنَّ الإنسان إذا قرأ الآية عند رُكوبه الدابة. . تقول الدابة: «**بارك الله فيك مِن مؤمنٍ، خفَّفت عن ظهري، وأطَعْتَ ربَّك، أنجح الله حاجتك**»، فالذي ينبغي للإنسان ألَّا يدعَ ذكر الله خصوصاً في هذه المواطنِ؛ فإنه مُعرَّضٌ فيها للتَّلف، فكم من راكبِ دابَّةٍ عثرَتْ به أو طاح عن ظهرها فهَلك، وكم من راكب سفينةٍ انكسرت به فغَرق، وحينئذٍ: فمُنقلبه إلى الله غير مُنفلتٍ من قضائه، فيكون مُستعدًّا لقضاء الله بإصلاح نفسه[2].

قوله: (﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾) الجملة حاليَّة، وهو من: الإقران، أو المقارَنة.

قوله: (لَمُنصرفون) أي: من الدنيا إلى دار البقاء، فتذكَّرْ بالحمل على السفينة والدابَّة الحملَ على الجنازة، فالآية مُنبِّهةٌ بالسير الدنيويِّ على السير الأُخرويِّ؛ ففيه إشارةٌ للردِّ على مُنكِري البعث.

---

(١) رواه أبو داوود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٧٩٩) عن سيدنا علي رضي الله عنه.

(٢) لأنه لما كان الركوب مباشرةَ أمرٍ محظورٍ واتصالاً بأسبابٍ من أسباب التَّلَف. . أمر ألا ينسى عند اتصاله به مَوته، وأنه هالكٌ لا محالة، فمُنقَلبه إلى الله عزَّ وجل غير مُنفلت من قضائه، ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدًّا للقاء الله بإصلاحه من نفسه، والحذر مِن أن يكون ركوبه ذلك من أسباب مَوته في عِلم الله وهو غافل عنه. انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ٦٧).

وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ ....

﴿١٥﴾ ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ حَيثُ قالُوا: المَلائِكة بَناتُ الله لأنَّ الوَلَد جُزء مِن الوالِد، والمَلائكة مِن عِبادِ الله تَعالى، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ القائِلَ ما تَقدَّم ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنٌ ظاهِرُ الكفر.

﴿١٦﴾ ﴿أَمِ﴾ - بِمَعنى همزةِ الإنكار، والقَول مُقدَّر - أي: أتقُولُونَ: ﴿ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لِنَفسِه ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾: أخلَصَكُم ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾ اللَّازِم مِن قَولِكُم السَّابِق، فهو مِن جُملة المُنكَر.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ﴾... إلخ) هذا مرتبطٌ بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾... إلخ، والمعنى: أنهم يَنسبون الخلق لله تعالى ومع ذلك يعتقدون أنَّ له شريكاً، فالمقصودُ التأمُّل في عُقول هؤلاء الكفَرة حيث لم يَضبطُوا أحوالهم.

قوله: (لأنَّ الولدَ جُزء الوالد) أي: لأنه خارجٌ من مُخِّه وعظامه، وهذا منافٍ لقولهم: ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ لأنَّ من شأن الوالد أن يكون مركباً، والإله ليس بمركب، بل هو واحدٌ في ذاته وصفاتِه وأفعاله، وشأنُ الخالق أن يكون مخالفاً لِما خلقه، والولد لا بدَّ وأن يكون مماثلاً لوالده؛ لأنه جزءٌ منه، فتبيَّن أنَّ الولد على الله محالٌ، وتبيَّن أنَّ هؤلاء الكفرةَ حالُهم متناقضٌ غيرُ مضبوطٍ.

قوله: (بيِّنٌ) أشار بهذا إلى أنَّ ﴿مُّبِينٌ﴾ مِن: (أبان) اللازم، ويَصح أن يقدَّر من: (أبان) المتعدي بمعنى: مُظهر الكفر.

قوله:(بمعنى همزة الإنكار) أي: والتوبيخ والتقريع، وتقدَّر بـ(بل)، أو بها والهمزة؛ ففيها ثلاثة أوجه كما تقدَّم غير مَرة.

قوله: (لنَفسه) مُتعلق بـ﴿ٱتَّخَذَ﴾.

قوله: (أخلَصكم) أي: خصَّكم.

قوله:(اللَّازِمَ) بالنصب نعتٌ لِقوله: ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ المعطوف على ﴿ٱتَّخَذَ﴾ الواقع مَقولاً لقولٍ محذوفٍ، فالمعنى أنهم قالُوا: الملائكة بنات الله مع كراهة نِسبتها لأنفُسِهم ومحبَّةِ نسبة البنين لهم، فلَزم منه أنهم قالوا: والبَنُون لنا.

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ....

﴿١٧﴾ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ جعَل له شَبَهاً بِنِسبةِ البَنات إلَيهِ لأنَّ الوَلَد يُشبِهُ الوالِد، المَعنى: إذا أُخبِرَ أحَدُهم بِالبِنتِ تُولَد له ﴿ظَلَّ﴾: صار ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾: مُتغيِّراً تَغَيُّرَ مُغتَمٍّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مُمتَلِئ غَمًّا، فكيفَ يَنسُب البَنات إلَيهِ تَعالى عن ذَلكَ؟!

﴿١٨﴾ ﴿أَوَ﴾ - همزةُ الإنكار وواوُ العَطف بِجُملة - أي: يَجعَلُونَ للهِ ﴿مَن يُنَشَّؤُا فِى

حاشية الصاوي

قوله: (فهو من جُملة المنكر) أي: لعطفه على ﴿ٱتَّخَذَ﴾ الداخِلِ عليه (أم) التي هي بمعنى همزة الإنكار.

قوله: (﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾... إلخ) كلامٌ مستأنفٌ، تقريرٌ لما قبله، وزيادةُ توبيخ لهم، وترَقٍّ في الرد عليهم.

قوله: (﴿بِمَا ضَرَبَ﴾) (ما): مَوصولة واقعة على الأنثى؛ بدليل الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [النحل: ٥٨]، و﴿ضَرَبَ﴾: بمعنى (جعَل)، والمفعولُ الأول محذوفٌ هو العائد؛ أي: ضرَبه، و﴿مَثَلًا﴾ هو المفعول الثاني.

قوله: (شبهاً) أشار بذلك إلى أنَّ المثل بمعنى: الشَّبه؛ أي: المشابِه، وليس بمعنى: الصفة الغريبة.

قوله: (﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا﴾) قرأ العامَّة بفتح الياء وسكون النون من: (نَشأ)، وبضمِّ الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنيًّا للمفعول؛ أي: يُرَبَّى، قراءتان سبعيَّتان، وقُرئ شذوذاً: (يُنْشَأ) بضمِّ الياء مُخففاً، و(يُناشَأ) كـ(يُقاتَل) مبنيًّا للمفعول[1].

قوله: (همزة الإنكار... إلخ) أي: إنهما كلمتان لا كلمةٌ واحدة هي (أو) التي للعطف،

---

(١) قرأ الأخوان وحفص بالبناء للمفعول مع التشديد، وقرأ الجحدري كذلك إلا أنه خفَّف الشين، أخذه من (أنشأه)، والحسن: (يُناشَأ) كـ(يُقاتَل) مبنيًّا للمفعول، والمفاعلة تأتي بمعنى (الإفعال) كالمُعالاة بمعنى: الإعلاء. انظر «الدر المصون» (٩/٥٧٩).

ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ ....

﴿ٱلْحِلْيَةِ﴾: الزِّينة ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: مُظهِر الحُجَّة لِضَعفِه عنها بِالأُنُوثة.

﴿١٩﴾ ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟﴾: حَضَروا ﴿خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ بِأنَّهُم إناثٌ، ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عنها في الآخِرة، فيَترَتَّب علَيها العِقاب.

﴿٢٠﴾ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ﴾ أي: المَلائكةَ، فعِبادَتُنا إيَّاهُم بِمَشِيئَتِه فهو راضٍ

حاشية الصاوي

فتَحصَّل أنَّ (مَنْ) معمولةٌ لمحذوفٍ معطوفٍ بواو العطف على محذوفٍ، والتقديرُ: أيجترؤون ويُسِيؤون الأدب ويجعلون من يَنْشَأ... إلخ؟

وقوله: (الزينة) أي: إنَّ الأنثى تتزيَّن في الزينة لِنَقصها؛ إذ لو كملت في نفسها.. لَما احتاجت لِلزينة.

قوله: (﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾) الجملة حاليَّة، والمعنى: غيرُ قادرٍ على تقرير دَعواه وإقامةِ الحجة؛ لنقصان عقله وضعف رَأيه، فقلَّما تكلَّمت امرأةٌ تريد أن تتكلم بحجةٍ لها إلا تكلَّمت بالحجة عليها.

قوله: (مُظْهِرِ الحجة) أشار بذلك إلى أنه من (أبان) المتعدي، وسابقاً أفاد أنَّه من (أبان) اللازم، وهما استِعمالان.

قوله: (﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾... إلخ) المرادُ بالجعل: القول والحكم، وهو بَيان نوع آخر من كُفريَّاتهم؛ لأنَّ نسبة الملائكة الذين هم أكمَلُ العباد وأكرمُهم على الله للأنوثة التي هي وصفُ خسَّة.. كفرٌ.

وردَ: أنهم لما قالُوا ذلك سألهم النبي ﷺ فقال: «ما يُدريكم أنها إناث؟»، قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نَشهد أنهم لم يكذبُوا، فنزل: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾[1].

قوله: (﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾... إلخ) مفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوفٌ؛ أي: عدمَ عبادة الملائكة ما عبَدناهم، وهذا استدلالٌ منهم بنفي مَشيئته عدمَ العبادة على امتناع النَّهي عنها؛ لزعمهم أنَّ المشيئة

(١) انظر «زاد المسير» (٤/ ٧٥).

﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا﴾ ....

بها، قال تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقُولِ مِن الرِّضا بِعبادتِها ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذِبون فِيه، فيترتَّب علَيهِم العِقابُ بِه.

(﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القُرآنِ بِعِبادةِ غيرِ الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أي: لَم يَقَع ذلك، ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾: مِلَّة، ﴿وَإِنَّا﴾ ماشُونَ

حاشية الصاوي

مُتَّحدة مع الرضا، وهو فاسدٌ؛ لأنَّ الله تعالى قد يريد ما لا يَرضاه، فهو بيانٌ لنوع آخر من كُفريَّاتهم، فتحصَّل أنهم كفرُوا بمقالاتٍ ثلاثٍ: هذه، وقَولهم: الملائكة إناث، والملائكة بنات الله.

قوله: (﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾) قالَه هنا بلفظ ﴿يَخْرُصُونَ﴾، وفي (الجاثية) بلفظ ﴿يَظُنُّونَ﴾[1]؛ لأنَّ ما هنا متصلٌ بقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾... الآية، وهذا مَحضُ كذبٍ، فناسبه ﴿يَخْرُصُونَ﴾، وما في (الجاثية) متصلٌ بخلْطِهم الصدقَ بالكذب؛ لأنَّ قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ صدقٌ، وإنكارَهم البعث وقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ كذبٌ، فناسبَهم ﴿يَظُنُّونَ﴾.

قوله: (﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾) تنويعٌ في الإنكار عليهم، مُرتبطٌ بقوله: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾.

قوله: (أي: لم يقَع ذلك) أشار به إلى أنَّ الهمزة للإنكار.

قوله: (﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ﴾... إلخ) أي: لم يأتُوا بحجة عقليَّة ولا نقليَّة، بل اعترفُوا بأنه لا مُستندَ لهم سوى تقليدِ آبائهم.

قوله: (﴿أُمَّةٍ﴾) قرأ العامَّة بضم الهمزة بمعنى: الطريقة والمِلَّة، وقرئ شذوذاً بكسرها بمعنى: الطريقة أيضاً، وبالفتح: المرَّة من (الأَمِّ) وهو القصد[2].

قوله: (ماشُون) أشار بتقدير هذا إلى أنَّ الجارَّ والمجرور خبر (إن)، وعليه: فيكون ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ خبراً ثانياً[3].

---

(١) الآية بتمامها: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

(٢) قرأ مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز بالكسر، وابن عباس بالفتح. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٨١).

(٣) ويجوز أن يكون الظرف صِلة لـ(مهتدون). انظر «تفسير أبي السعود» (٨/ ٤٣).

عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ....

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ بِهِم، وكانُوا يَعبُدُون غيرَ الله.

﴿٢٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾: مُتَنَعِّمُوها مِثلَ قَول قَومِكَ: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾: مِلَّةٍ، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾: مُتَّبِعُون.

(﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿قُلۡ﴾ لَهم: ﴿أَ﴾تَتَّبِعُون ذلك ﴿وَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ أنتَ ومَن قبلَك ﴿كَٰفِرُونَ﴾، قال تعالى تَخويفاً لَهُم: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ أي: مِن المُكَذِّبين لِلرُّسُلِ قبلَك، ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مُّهۡتَدُونَ﴾) قاله هنا بلفظ ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾، وفيما بعده بلفظ ﴿مُّقۡتَدُونَ﴾؛ تفنُّناً.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) أي: والأمرُ كما ذُكِرَ؛ من عَجزهم عن الحُجة، وتمسُّكهم بالتقليد، وقوله: ﴿مَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ استئنافٌ مبيِّنٌ لذلك، دالٌّ على أنَّ التقليد فيما بينهم ضلالٌ قديمٌ ليس لِأسلافهم أيضاً مستندٌ غيره، وفيه تسليةٌ لرسول الله.

قوله: (﴿إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾) جمع (مُتْرَفٍ) اسم مفعول، وتفسيرُ المفسِّر له باسم الفاعل تفسيرٌ باللازم.

قوله: (مثلَ قولِ قومِكَ) مفعولٌ مطلقٌ، نعتُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: قولاً مثل قول قومك، وقوله: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ﴾ مقول القول.

قوله: (﴿قُلۡ﴾ لهم) خطابٌ للنبي ﷺ؛ أي: قل لقومك يا محمَّد... إلخ

قوله: (﴿بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ﴾... إلخ) أي: بدينٍ أهدى وأصوبَ مما وجدتم... إلخ أي: من الضلالة التي ليست من الهداية في شيءٍ، والتعبيرُ بالتفضيل؛ لأجل التَّنزُّل معهم وإرخاءِ العِنانِ.

قوله: (﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾) أي: فلا تكترث بتكذيب قومك لك؛ فإنَّ عاقبتَهم كغيرهم من المكذِّبين.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾

(﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿وَ﴾ اذكُـر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ أي: بَـرِيءٌ ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: خلَقَني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾: يُرشِدُني لِدِينِه.

حاشية الصاوي

قوله: (واذكر) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ الظرف معمولٌ لمحذوفٍ، وسيأتي أنَّ قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ متعلِّقٌ بذلك المحذوف.

قوله: (﴿لِأَبِيهِ﴾) تقدَّم الخلافُ في كَونه أباه حقيقةً أو عمَّه، وتوجيهُ كلٍّ من القولَين مفصَّلاً[1].

قوله: (﴿بَرَآءٌ﴾) العامَّة على فتح الباء والراء بعدها ألفٌ فهمزةٌ، مصدرٌ وقع موقعَ الصفة، وهي (بريء)؛ فلا يثنَّى ولا يجمع ولا يؤنث، وقُرئ شذوذاً بضم الباء وكسرها بوزن (طُوَال) و(كُرَام)[2].

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾) يحتمل أنَّ الاستثناء منقطعٌ بناءً على أنهم كانُوا يَعبدون الأصنام فقط، ويحتمل أنه مُتصل بناء على أنهم كانُوا يُشركون مع الله غيره، وذلك أنهم كانُوا يعبدون النمروذ، ويحتمل أنَّ (إلا) صفة بمعنى (غير)[3].

قوله: (يُرشدني لديني) أي: يَدلُّني على أحكامه من صلاةٍ وغيرها، ودفع بذلك ما يقال: إنَّ الهداية حاصلةٌ له؛ لكونه مجبولاً على التوحيد من ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]؛ فكيف يعبَّر بالمضارع فضلاً عن اقترانه بالسين؟! فأجاب بما ذكر، نَظير ما أجاب به عن قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢][4].

وأجيب أيضاً: بأنَّ السين زائدة، والمضارع لِلدلالة على الاستمرار، والمعنى: يُديمني على الهدى.

وأجيب أيضاً: بأن المعنى: سيُثبِّتني على الهداية.

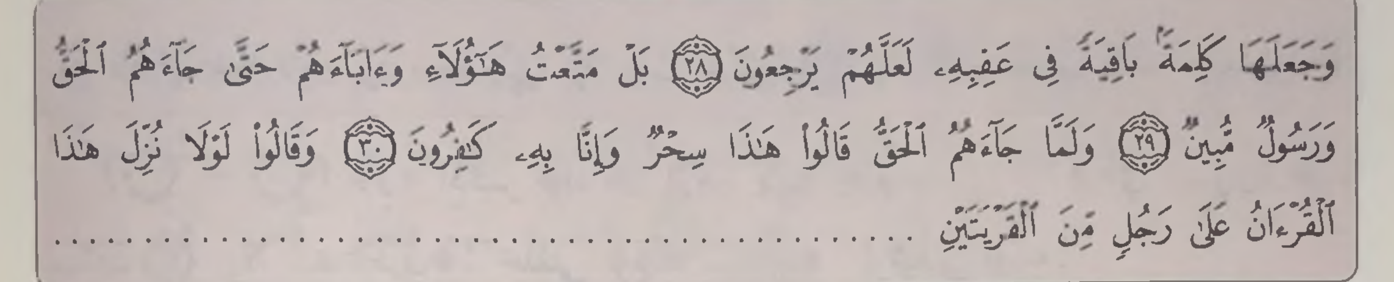
---

(١) انظر (٢/ ٣٩٥).

(٢) وبها قرأ الزعفراني وابن المنادي. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٨٢).

(٣) على أن تكون (ما) في ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ نكرة موصوفةً، تقديره: إنني بَراء من آلهة تعبدونها غير الذي فطَرني. انظر «الكشاف» (٤/ ٢٥٠).

(٤) انظر (٦/ ١٨٢).


وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ ....

﴿٢٨﴾ ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: كلمةَ التَّوحِيد المَفهُومةَ مِن قَوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾: ذُرِّيَّته فلا يَزالُ فِيهِم مَن يُوَحِّد الله، ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ أي: أهلَ مكَّة ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ عمَّا هُم عليهِ إلى دِين إبراهِيم أَبِيهِم.

﴿٢٩﴾ ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المُشرِكِين ﴿وَءَابَآءَهُمۡ﴾ ولَم أُعاجِلْهُم بِالعُقوبةِ ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾: القُرآنُ، ﴿وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾: مُظهِر لَهُم الأحكامَ الشَّرعِيَّة وهو مُحمَّد ﷺ.

(﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾) ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾: القُرآنُ ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا﴾: هلَّا ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: كلمة التوحيد... إلخ) تفسيرٌ للضمير البارز، والضمير المستتر يعود على إبراهيم، والمعنى: أنَّ إبراهيم وصَّى بهذه الكلمة عَقِبَه، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ...﴾ الآية [البقرة: ١٣٢].

قوله: (أي: أهل مكة) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾... إلخ مُتعلق بـ(اذكر) الذي قدَّره، والمعنى: اذكر يا محمد ما ذُكِرَ؛ لِيَحصل عندهم الرجوع إلى دين إبراهيم.

قوله: (﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ للتوبيخ والتقريع على ما حصَل منهم من عدم الاتباع، واسم الإشارة عائدٌ على المشركين الكائنين في زمنه ﷺ.

قوله: (ولم أُعاجلهم بالعقوبة) أي: بل أعطيتُهم نعماً عظيمة، وحرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء؛ فلم يَشكرُوا، بل ازدادُوا طغياناً، فأمهَلتهم ولم أعجل لهم الانتقام.

قوله: (﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾) غايةٌ لمحذوف، والتقدير: بل متَّعتُ هؤلاء، فاشتغلُوا بذلك التمتُّعِ حتى جاءهم... إلخ.

قوله: (﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ﴾... إلخ) هذا من جُملةِ شُبَهِهم الفاسدة التي بنَوْا عليها إنكارَ نبوَّته ﷺ، وذلك أنهم قالُوا: إنَّ الرسالة منصبٌ شريفٌ لا يَليق إلا برجلٍ شريفٍ، وهذا صدقٌ غير أنهم غلطُوا

عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ

مِن أيَّةٍ مِنهُما ﴿عَظِيمٍ﴾ أي: الوَلِيد بن المُغِيرة بِمكَّة أو عُروة بن مَسعُود الثَّقَفي بِالطَّائف.

﴿٣٢﴾ ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾: النُّبُوَّة ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾ فجَعَلنا بَعضَهم غَنيًّا وبَعضَهُم فقِيراً، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بِالغِنَى ....

حاشية الصاوي

في دعواهم أنَّ الرجل الشريف هو الذي يكون كثيرَ المال والجاهِ، ومحمدٌ ليس كذلك؛ فلا تَليق به رسالة الله، وليس كذلك، بل العبرةُ بتعظيم الله لا بالمال والجاه، فليس كلُّ عظيم المال والجاه معظَّماً عند الله تعالى.

قوله: (من أيَّةٍ منهما) أي: من إحدى القريتَين.

قوله: (أي: الوليد بن المغيرة) أي: وقد استمرَّ كافراً حتى هلك.

قوله: (وعُروة بن مسعود) أي: وقد هَداه الله للإسلام، فأسلم وحسُن إسلامه، وكان النبي ﷺ يُشبِّه عيسى بن مريم عليه السلام به رضي الله عنه[١].

قوله: (﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ﴾) الاستفهام إنكاريٌّ وتعجُّبٌ من حالهم وتحكُّمِهم.

قوله: (﴿رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾) تُرسم بالتاء المجرورة هنا وفي قوله تعالى فيما يأتي: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] اتباعاً لرسم المصحف، وهذان مَوضعان ترسم فيهما بالتاء المجرورة، ثالثها في (البقرة): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢١٨]، رابعها في (الأعراف): ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، خامسها في (هود): ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [هود: ٧٣]، سادسها في (مريم): ﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٢]، سابعها في (الروم): ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، وما عداها يُرسم بالهاء، ولِلقراء في تلك المواضع السبعة في الوقف طريقان: فمنهم: مَن يقف بالهاء كسائر الهاءات الداخلة على الأسماء ك: فاطمة وقائمة، ومنهم: مَن يقف بالتاء؛ تغليباً لجانب الرسم[٢].

قوله: (﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾) أي: فجَعلنا هذا غنيًّا وهذا فقيراً، وهذا مالكاً وهذا مملوكاً، وهذا قويًّا وهذا ضعيفاً؛ لاستِقامة نظام العالم، لا للدلالة على سَعادة وشقاوة.

---

(١) كما رَواه مسلم في «صحيحه» (١٦٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) وقَف بالهاء المكي والبصريان والكسائي، وغيرهم بالتاء. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٩٣).

﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ ....

﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم﴾ الغنيُّ ﴿بَعْضًا﴾ الفقير ﴿سُخْرِيًّا﴾: مُسخَّراً في العَمل له بالأجرةِ، ـ والياء لِلنَّسبِ، وقُرِئ بِكسرِ السِّين ـ ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: الجنَّةُ ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ في الدُّنيا.

(٣٣ ـ ٣٥) ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الكُفرِ ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾) اللام للتعليل؛ أي: إنَّ القصد من جعلِ الناس مُتفاوتين في الرزق؛ لِيَنتفع بعضهم ببعض، ولو كانُوا سواءً في جميع الأحوال.. لم يَخدم أحدٌ أحداً، فيُفضي إلى خراب العالم وفسادِ نظامه.

قوله: (والياء للنسب) أي: نِسبته للسُّخْرَة، وهي العمل بلا أُجرة. إذا علمتَ ذلك.. فقول المفسِّر: (بالأجرة) تقييدٌ بالنظر لصحة التعليل، ويصحُّ أن يكون من السخرية التي هي بمعنى الاستهزاء، والمعنى: ليَستهزئ الغني بالفقير، وعليه: فتكون اللام لِلعاقبة والصيرورة[١].

قوله: (وقرئ بكسر السين) أي: قراءةً شاذَّة هنا؛ جرياً على عادتِه في التعبير عن الشاذ بـ(قرئ)، وعن السَّبعي بـ(وفي قراءة)، وأمَّا ما في «المؤمنون» و«ص» فكسرُ السين فيها قراءةٌ سبعيَّةٌ، ففرقٌ بين ما هنا وما في السورتين المتقدمتَين[٢].

قوله: (﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾) أي: والعظيمُ مَنْ حازها وهو النبي ﷺ ومَن تبعه، لا مَنْ حاز الكثير من المال.

قوله: (﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ﴾... إلخ) الكلامُ على حذف مضاف؛ أي: ولولا خوفُ أن يكون الناس... إلخ كما أشار المفسِّر فيما يأتي، والأوضحُ أن يقول: لولا رغبة الناس في الكفرِ

(١) في (ب) زيادة: (فتحصَّل أنَّ السخرة إما أن يريد منها الاستعمال بأجرة، أو قهراً بغيرها، أو الاستهزاء، وكلٌّ واقعٌ، والحكمة اقتَضته).

(٢) وقرأ بالكسر عمرو بن مَيمون وابن مُحيصن وأبو رجاء وابن أبي ليلى والوليد بن مسلم وخلائق. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٨٤).

﴿سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ ....

ـ بَدل مِن ﴿لِمَن﴾ ـ ﴿سُقُفًا﴾ ـ بِفَتحِ السِّين وسُكونِ القاف، وبِضَمِّهما جمعاً ـ ﴿مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ كالدَّرَج مِن فِضَّة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: يَعلُونَ إلى السَّطح، ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ مِن فِضَّة، ﴿وَ﴾ جَعَلنا لَهُم ﴿سُرُرًا﴾ مِن فِضَّة، جمعُ (سَرِير) ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا﴾ ذَهباً، المَعنى: لَولا خَوفُ الكُفر على المُؤمِن مِن إعطاءِ الكافِر ما ذُكِر، لَأعطَيناهُ ذلك لِقِلَّة خَطَرِ الدُّنيا عِندنا وعَدَمِ حَظِّه في الآخِرة في النَّعِيم، ﴿وَإِن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقِيلة ـ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ فـ(ما) زائِدة، وبِالتَّشدِيد بِمَعنى (إلَّا) فـ(إنْ) نافِية ـ ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُتَمتَّعُ بِه فِيها ثُمَّ يَزُول، ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ﴾: الجنَّةُ ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

حاشية الصاوي

إذا رأَوا الكفار في سعةٍ وتنعُّمٍ لجعلنا... إلخ؛ لأنه تعالى لا يُوصف بالخوف؛ ففرَّق الله الدنيا بين المؤمن والكافر على حسَب ما قدَّره لهم في الأزل.

إن قلتَ: لِمَ لَمْ يُوسِّع الدنيا على المسلمين حتى يَصير ذلك سبباً لاجتماع الناس على الإسلام؟

فالجواب: لأنَّ الناس حينئذٍ يجتَمعون على الإسلام لطلب الدنيا، وهو إيمانُ المنافقين؛ فما قدَّره الله خيرٌ؛ لأنَّ كلَّ من دخل الإيمان فإنما يَقصدُ رضا الله فقط.

قوله: (بدل من ﴿لِمَن﴾) أي: بدلَ اشتمال.

قوله: (وبضمِّهما جمعاً) أي: على وزن (رُهُن) جمع (رَهْن)، فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَمَعَارِجَ﴾) جمع (مَعْرَج) بفتح الميم وكسرها، وهو السُّلَّم.

قوله: (﴿وَ﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُرًا﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿سُرُرًا﴾ معمولٌ لمحذوفٍ معطوفٍ على قوله: (جعَلنا لِمن يكفر بالرحمن) عطفَ جمل.

قوله: (﴿وَزُخْرُفًا﴾) ذهباً، وقيل: الزخرفُ: الزينةُ.

قوله: (مُخففة من الثقيلة) أي: مُهملة؛ لوجود اللام في حيِّزها.

قوله: (﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾) أي: إنَّ الجنة تكون لكلِّ موحِّدٍ، قال كعب: وجدتُ

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح السين وسكون القاف بالإفراد على إرادةِ الجنسِ. والباقون بِضَمتين. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٨٥).

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ٣٦﴾ ....

(٣٦ - ٣٧) ﴿وَمَن يَعْشُ﴾: يُعرِضْ ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿نُقَيِّضْ﴾ نُسَبِّب ﴿لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ لا يُفارِقُهُ، ....

حاشية الصاوي

في بعض كُتب الله المنزلة: لولا أن يحزنَ عبدي المؤمن.. لَكللت رأس عبدي الكافر بالإكليل ولا يَنصدع ولا يَنبض منه عرقٌ لوجع؛ أي: لا يَتحرك[١]. وفي الحديث: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**»[٢]، وورد: «**لو كانت الدنيا تَزِنُ عند الله جناح بعوضة.. ما سقى كافراً منها شربةَ ماء**»[٣]، قال البقاعي: (ولا يبعدُ أن يكون ما صار إليه الفسَقة والجبابرة من زَخرفة الأبنية وتذهيبِ السقوف وغيرها من مبادئ الفتنة؛ بأن يكونَ الناس أمةً واحدةً في الكفر قربَ الساعة، حتى لا تقومَ الساعة على من يقولُ: «الله»، أو في زمن الدجال؛ لأنَّ من يبقى إذ ذاك على الحقِّ في غاية القِلة؛ بحيث إنه لا عِدادَ له في جانب الكفَرة؛ لأنَّ كلام الملوك لا يخلُو عن حقيقة وإن خرج مخرج الشرط؛ فكيف بملك الملوك سبحانه؟!). انتهى[٤].

قوله: (﴿وَمَن يَعْشُ﴾) مِن: العشَى، وهو الإعراض والتغافل، ويُطلق على ضعيف البصر، وفعلُه: (عشَا يَعشُو) كـ: دعا يدعو.

قوله: (يُعرِض) أي: يتعامى ويتغافل، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

قوله: (﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾) أضاف الذكر إلى هذا الاسم؛ إشارةً إلى أنَّ الكافر بإعراضِه عن القرآن سدَّ على نفسِه باب الرحمة، ولو اتبعه.. لعَمَّتْهُ الرحمة.

قوله: (﴿نُقَيِّضْ﴾) جواب الشرط، وفعلُه قوله: ﴿يَعْشُ﴾ مجزوم بحذف الواو، والضمة دليل عليها.

قوله: (﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾) أي: في الدنيا؛ بأن يمنعَه من الحلال، ويَحملَه على فعل الحرام،

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ٨٨).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٤) انظر «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (١٧/ ٤٢٧).

وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ . . . . . .

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: الشَّياطِينَ ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي: العاشِينَ ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: طَرِيق الهُدَى، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ - في الجَمع رِعايةُ مَعنَى (مَن) -.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ العاشِي بِقَرِينِه يومَ القِيامة ﴿قَالَ﴾ له: ﴿يا﴾ -لِلتَّنبِيه- ﴿لَيْتَ

حاشية الصاوي

وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية، أو في الآخرة إذا قام من قبره؛ لما وردَ: «إذا قام من قبره شُفع بشيطان لا يزال معه حتى يُدخله النار، وأن المؤمن يُشفع بملك حتى يقضيَ الله بين خلقه»[1]، والأولى العموم.

قوله: (﴿وَإِنَّهُمْ﴾) جمع الضمير؛ مُراعاةً لمعنى الشيطان، كما أفرد أولاً في قوله: ﴿فَهُوَ﴾؛ مراعاةً للفظه.

قوله: (﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾) الجملة حاليَّة؛ أي: يَعتقدون أنهم على هدى، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

قوله: (في الجمع) أي: في المواضعِ الثلاثة الأُوَل؛ أي: ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾، ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾، ﴿أَنَّهُم﴾، وقوله: (رعاية معنى «من») أي: بعد أن رُوعي لفظها في ثلاثة أيضاً: الضمير المستتر في ﴿يَعْشُ﴾، والضميرانِ المجروران باللام في ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ﴾، ﴿فَهُوَ لَهُۥ﴾، وسيأتي مُراعاة لفظها في موضعَين: المستتر في (جاء) و(قال)، ثم مُراعاة معناها في ثلاثة مواضع: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ﴾.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾) بالإفراد والتثنية، قراءتان سبعيَّتان؛ فعلى الأولى فاعل (جاء) ضمير مستتر يَعود على العاشي، وعلى الثانية الفاعل ضمير التثنية[2].

قوله: (بقَرينه) أي: مع قَرينه.

قوله: (﴿يا﴾ للتنبيه) ويصحُّ أن تكون للنداء والمنادى محذوف، تقديره: قَرين.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ٩٠) عن المَهدوي.

(٢) قرأ أبو عمرٍو والأخَوان وحفصٌ: (جاءنا) بإسنادِ الفعلِ إلى ضميرٍ مفردٍ يعودُ على لفظ «مَنْ» وهو العاشي، وحينئذٍ يكونُ هذا ممَّا حُمِل فيه على اللفظ ثم على المعنى، ثم على اللفظ، والباقون: (جاءانا) مُسْنَداً إلى ضميرِ تثنيةٍ، وهما العاشي وقَرينُه. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٨٦).

بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ....

﴿بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: مِثلَ بُعد ما بَين المَشرِق والمَغرِب ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ أنتَ لي، قال تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ﴾ أي: العاشِينَ تَمَنِّيكُم وندَمُكُم ﴿ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي: تبَيَّنَ لَكُم ظُلمُكُم بِالإشراكِ في الدُّنيا، ﴿أَنَّكُمْ﴾ مَع قُرَنائِكُم ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ عِلَّة بِتَقدِير اللَّام لِعَدمِ النَّفع، ـ و﴿إِذ﴾ بَدل مِن ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ـ. ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾) اسم ﴿لَيْتَ﴾ مؤخَّر، وفيه تغليبُ المشرق على المغرب.

قوله: (أي: مثل ما بين المشرق والمغرب) أي: في أنهما يجتمعان ولا يَقرُبان منه؛ لأنهما ضِدَّان.

قوله: (أنت) هو المخصوصُ بالذم.

قوله: (قال تعالى) الماضي بمعنى المضارع؛ لأنَّ هذا القول يحصُل في الآخرة.

قوله: (أي: العاشين) تفسيرٌ للكاف، وقوله: (تَمنيكم وندمكم) تفسيرٌ للضمير المستتر، فهو إشارةٌ إلى أنه فاعل (يَنفع)، وهو معلُومٌ من السياق، دلَّ عليه قوله: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ﴾... إلخ، وبعضُهم قال: إنَّ الفاعل هو ﴿أَنَّكُمْ﴾ وما في حيِّزها، والتقدير: لن ينفعَكم اليوم اشتراككم في العذاب، وأتى بهذا دفعاً لما قد يُتوهم من أنَّ عموم المصيبة يُهوِّنها كمصائب الدنيا؛ فإنها إذا عمَّت هانَت، بل في الآخرة عمومُها موجبٌ لعظمها وهَوْلها.

قوله: (أي: تبيَّن لكم) أي: الآن في الآخرة، دفع بذلك ما يُقال: إنَّ الظلم وقع في الدنيا و(اليوم) عبارةٌ عن يوم القيامة و(إذ) بدلٌ من (اليوم)؛ فكيف يُبدل الماضي من الحال؟ فأجاب: بأنَّ المراد: تبيُّنُ الظلم وظُهورُهُ، وذلك يكون يوم القيامة.

قوله: (و﴿إِذ﴾ بدل من ﴿ٱلْيَوْمَ﴾) أي: بدل كلٍّ من كلٍّ[1].

---

(١) إن قلتَ: إن (إذْ) للمضي، و(اليوم) للحال؛ فكيف يُبدلُ منه؟ فلا يجوز البدل ما دامت (إذ) على موضوعها من المضي؛ فإن جعلت لمطلق الزمان جاز، لكنه لم يُعهد فيها أن تكون لِمُطلق الزمان، بل هي مَعهودة لزمان خاص بالماضي؟ ويُجاب: بأن الدنيا والآخرة مُتصلتان، وهما سواء في حكم الله تعالى وعلمه، فـ(إذ) بدل من (اليوم)، حتى كأنه مُستقبل، أو كأنَّ (اليوم) ماض. «فتوحات» (٤/ ٩٠) نقلاً عن العلامة الكرخي، و«الدر المصون» (٩/ ٥٩١).

أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ ....

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن أي: فهُم لا يُؤمِنُون.

(﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾) ﴿فَإِمَّا﴾ - فيه إدغام نُون (إنْ) الشَّرطِيَّة في (ما) الزَّائدة - ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بِأن نُمِيتَك قبلَ تَعذِيبِهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ في الآخِرة، ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حَياتِك ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ به مِن العَذابِ ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم﴾: على عَذابِهِم ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴾: قادِرُون.

(﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أي: القُرآنِ، ﴿إِنَّكَ ....

حاشية الصاوي

إن قلتَ: إن ﴿يَنفَعَكُمُ﴾ عاملٌ في ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ و﴿إِذ﴾ مع أنه مُستقبل[1]، و﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ظرف حالي و﴿إِذ﴾ ظرف ماضي؛ فكيف يَعمل المستقبل في الحال والماضي؟

أجيب: بأن عملَه في الحال من حيث إنه قريبٌ من الاستقبال، وتقدَّم أنَّ الماضي مُؤوَّل بالحال.

قوله: (﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾) الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي؛ أي: أنت لا تُسمعهم؛ كما أشار له المفسِّر، وهذه الآية نزلت لمَّا كان يجتهد في دعائهم وهم لا يَزدادُون إلا تصميماً على الكفر.

قوله: (﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾) عطف على ﴿ٱلْعُمْىَ﴾، ويكفي في العطف تغايرُ العُنوان، وإلا.. فالأوصاف الثلاثة مجتمعةٌ في كلِّ كافرٍ.

قوله: (بأن نُميتَكَ قبل تَعذيبِهم) أي: نَقبضَكَ إلينا قبل انتقامِنا منهم.

قوله: (﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾) أي: فلا يُعجزوننا، وقد وقع بهم العذاب على يَده في الدنيا، وعلى أيدي أتباعه بعد مَوته إلى يوم القيامة، ولعذابُ الآخرة أشدُّ.

قوله: (﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾) أي: دُمْ على الاستمساك.

قوله: (﴿إِنَّكَ﴾... إلخ) تعليل للأمر بالاستِمساك.

---

(١) لاقترانه بـ(لن) التي لنفي المستقبل.

عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ....

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طَريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ لَشَرَف ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لِنُزُولِه بِلُغَتِهِم، ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ عن القِيام بِحَقِّه.

﴿٤٥﴾ ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: غـيـره ﴿ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ قِيل: هو على ظاهِرِه بِأن جَمَعَ لَهُ الرُّسُل لَيلةَ الإسراءِ، وقِيل: المُرادُ أُمَم مِن أيِّ أهلِ الكِتابَين ولَم يَسأل على واحِد مِن القَولَين؛ لِأنَّ المُراد مِن الأمر بِالسُّؤالِ التَّقرير لِمُشرِكِي قُرَيش أنَّهُ لَم يَأتِ رَسُولٌ مِن الله ولا كِتابٌ بِعِبادةِ غَير الله.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِقَوْمِكَ﴾) أي: قريشٍ خصوصاً، ولغيرهم عموماً، فهو شرفٌ لكلِّ مَنْ تبعه، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠].

قوله: (﴿مِن رُّسُلِنَآ﴾) بيانٌ لـ﴿مَنْ﴾.

قوله: (﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾... إلخ) أي: حَكمنا بعبادة الأوثان وأنزلنا ذلك في كُتبنا؟

قوله: (قيل: هو على ظاهره) أي: من غير تقدير، فهو مأمورٌ بسؤال المرسَلِين أنفسِهِم، وهذا على أنَّ الآية مكيَّة.

قوله: (بأن جمع له الرسل... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنه متأخِّرٌ في البعث عن الرسل؛ فكيف يُؤمَر بسؤال مَنْ لم يَلْقَهُ؟

قوله: (وقيل: المرادُ: أُمم... إلخ) أي: فالكلامُ على حذف مضاف، والمعنى: اسأل أممَ مَنْ أرسلنا، وقوله: (أي: أهل الكتابين) تفسيرٌ لـ(أمم)، وهذا على أنَّ الآية مدنيَّة؛ لأنَّ أهل الكتابَين إنما كانُوا في المدينة.

قوله: (ولم يسأل على واحد من القولين) هذا أحد قولَين، قال ابن عباس وابن زيد: لما أُسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وهو مسجدُ بيت المقدس - بعث الله له آدمَ ومَنْ دونه من المرسَلِين، وجبريلُ مع النبي ﷺ، فأذَّن جبريل عليه الصلاة والسلام وأقام الصلاة، ثم قال: يا محمد؛ تقدَّم فصَلِّ بهم، فلمَّا فرغ رسول الله ﷺ.. قال له جبريلُ: سَلْ يا محمد مَنْ أرسَلنا من قبلك من رسلنا؛ أجعَلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟ فقال ﷺ: قد اكتفيتُ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا ....

(﴿٤٦﴾ - ﴿٤٨﴾) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أي: القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا﴾ الدَّالَّةِ على رِسالتِه ....

حاشية الصاوي

والقول الآخر لغير ابن عباس: أنهم صلَّوا خلفَه ﷺ سبعة صفوف؛ المرسلون ثلاثة صفوف، والنبيُّون أربعة صفوف، وكان يلي ظهرَ رسول الله ﷺ إبراهيمُ الخليل، وعلى يمينه إسماعيل، وعلى يساره إسحاق، ثمَّ موسى، ثم سائر المرسَلِين، فصلَّى بهم ركعتين، فلما انفتَل قام فقال: إنَّ ربي أوحى إليَّ أن أسألَكم؛ هل أرسل أحداً منكم بدعوةٍ إلى عبادة غير الله تعالى؟ فقالوا: يا محمد؛ إنا نَشهد أنا أُرسلنا أجمعين[1] بدعوة واحدة: أن لا إله إلا الله، وأنَّ ما يَعبدون من دونه باطلٌ، وأنك خاتم النبيِّين وسيِّد المرسلين، قد استبان ذلك بإمامَتِك إيَّانا، وأنه لا نبيَّ بعدك إلى يوم القيامة إلا عيسى ابن مريم؛ فإنه مأمورٌ أن يَتبعَ أثرَك[2].

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾... إلخ) الحكمةُ في ذكر تلك القصة والتي بعدها عقبَ ما تقدَّم من مَقالات الكفار: تسليتُهُ ﷺ؛ فإنَّ موسى وعيسى وقع لهما من قومِهما ما وقع لمحمد ﷺ مِن قومِه من التعيير بِقِلَّة المال والجاه.

قوله: (﴿بِآيَاتِنَا﴾) أي: مُعجزاتِنا التسع، والباءُ: للمُلابسة.

قوله: (﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾) في القصة اختصارٌ قد بُيِّن في سورة (طه) و(القصص)، والمعنى فقال: إني رسول ربِّ العالمين؛ لِتُؤمن به، وترسلَ معي بني إسرائيل.

قوله: (﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا﴾) مُرتَّب على مقدَّر؛ أي: فطلبُوا منه آيةً تدلُّ على صدقه، يدلُّ عليه ما تقدَّم في (الأعراف): ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا... إلخ﴾ [الأعراف: ١٠٦].

---

(١) كذا في الأصول بنصب (أجمعين) على الحال؛ كما أجازه ابن درستويه، وصحَّحه ابن مالك في «شرح التسهيل» (٣/ ٢٩٥)، ومنه في الحديث: «فصَلُّوا جلوساً أجمعين» فيمَن روى بالنصب، خلافاً للبَصريين؛ لأن ألفاظ التوكيد معارف.

(٢) ذكر القولَين القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ٩٥).

إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَ السَّاحِرُ ....

﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ مِن آياتِ العَذاب كالطُّوفانِ ـ وهو ماءٌ دَخلَ بُيُوتَهم ووَصَلَ إلى حُلُوق الجالِسِين سَبعةَ أيّام ـ والجَرادِ ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: قَرِينَتِها التي قبلَها ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكُفر.

(﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾) ﴿وَقَالُوا﴾ لِمُوسى لَمّا رَأَوُا العذابَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ أي: العالِم الكامِل؛ لِأنَّ السِّحر عِندَهم عِلم عَظِيم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾) ﴿إِذَا﴾: فجائيَّة، والمعنى: حينَ جاءهم بالآيات فاجؤُوا المجيءَ بها بالضحك والسخرية من غير تأمُّلٍ ولا تفكُّرٍ.

قوله: (والجراد) أي: والقمَّل والضَّفادع والدم، كلُّ واحدةٍ تمكُث سبعة أيام عليهم، فيستجيروا[1] بموسى، فيدعو الله تعالى، فيَكشفه عنهم، فيَمكثون بين كلِّ واحدةٍ والأخرى شهراً ويعودون لما كانُوا عليه من الطغيان، ثمَّ أرسل الله عليهم السنينَ المجدِبة، فاستجارُوا ثمَّ عادُوا للطغيان، ثم دعا الله، فكُشِفَتْ عنهم، ثم دعا عليهم بالطَّمس، فطُمِسَتْ أموالهم، فعزمُوا على قتل موسى وقَومِه، فانتقَم الله منهم بالغرَق.

قوله: (﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾) الجملة صفة لـ﴿ءَايَةٍ﴾، والمعنى: إلا هي بالغةُ الغايةِ في الإعجاز؛ بحيث يظنُّ الناظرُ فيها أنها أكبرُ من غيرها.

قوله: (﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾) أي: عمَّا هم عليه من الكفر.

قوله: (لأنَّ السحر عندهم علمٌ عظيمٌ) أي: فقصدُوا بذلك تعظيمَه لا نقصه.

إن قلتَ: إنَّ الله تعالى قال في سورة (الأعراف) حكايةً عنهم: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾... إلخ، فهذا يَقتضي أنهم نادَوه باسمه، وهذا صريحٌ في أنهم نادَوه بـ﴿يَٰٓأَيُّهَ السَّاحِرُ﴾؛ فكيف الجمعُ بينهما؟

أجيب: بأنَّ الخطاب تعدَّد، وإنما لم يَلُمهم على ذلك؛ رجاءَ أن يؤمنُوا، واستقصاراً لعُقولهم.

---

(١) كذا في الأصول بحذف نون الرفع تخفيفاً، وهي لُغة مشهورة.

ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ ....

﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ مِن كَشفِ العذابِ عَنَّا إن آمَنَّا، ﴿إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ﴾ أي: مُؤمِنُون، ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا﴾ بِدُعاءِ موسى ﴿عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾: يَنقُضُون عَهدَهم ويُصِرُّونَ على كُفرِهم.

(﴿٥١﴾ - ﴿٥٢﴾) ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ﴾ افتِخاراً ﴿فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ مِن النِّيل ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ﴾ أي: تَحتَ قُصُورِي؟ ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ عَظَمَتِي؟ ﴿أَمۡ﴾ تُبصِرُون ....

حاشية الصاوي

قوله: (مِن كشفِ العذابِ) بيانٌ لـ(ما)[1].

قوله: (﴿إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ﴾) أي: إن كشَفْتَ عنَّا العذاب.

قوله: (﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾) أي: في كلِّ مرَّةٍ من مرَّات العذاب.

قوله: (﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ﴾) أي: بنَفسه، أو بِمُناديه.

قوله: (﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾... إلخ) معطوف على ﴿مُلۡكُ مِصۡرَ﴾، وجملة ﴿تَجۡرِي﴾ حال من اسم الإشارة[2].

قوله: (﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾) مفعولُه محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (عظمتي).

قوله: (﴿أَمۡ﴾ تُبصرون) أشار بذلك إلى أنَّ (أم) متصلةٌ معادلةٌ لِلهمزة مطلوبٌ بها التعيين، والمعادلُ محذوفٌ، واعترض: بأنَّ المعادلَ لا يُحذف بعد (أم) إلا إن كان بعدها (لا)؛ نحو: أتقوم أم لا؟ أي: أم لا تقوم.

وأجيب: بأنَّ هذا غالبٌ لا مُطَّرد.

---

(١) على جعلها مَوصولة، وجعلها البيضاوي في «تفسيره» (٥/ ٩٣) مَصدرية، فقال: (بعهده عندك من النُّبوة، أو من أن يستجيب دعوتك، أو أن يكشف العذاب عمَّن اهتدى، أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة).

(٢) ويحتمل أن تكون (هذه) مبتدأ، والواو: للحال، و(الأنهار): صفة لاسم الإشارة، أو عطف بَيان، و(تجري): الخبر، والجملة حالٌ من ياء (لي). انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٩٦).

﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ۝٥٣ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ....﴾

وحينئذٍ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا﴾ أي: موسى ﴿ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾: ضعيفٌ حقير، ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: يُظهِر كَلامَه؛ لِلُثغَته بالجمرةِ التي تناولَها في صِغَرِه.

﴿٥٣﴾ ﴿فَلَوۡلَآ﴾: هلَّا ﴿أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ﴾ إن كان صادِقاً ﴿أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ﴾: جَمع (أسوِرة) كـ(أغرِبة) جَمع (سِوار)، كعادَتِهم فِيمَن يُسَوِّدُونَه أن يُلبِسُوهُ أسوِرةَ ذَهَب ويُطَوِّقُونه طوق ذَهَب، ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ﴾: مُتَتابِعين يَشهَدُونَ بِصِدقِه.

(﴿٥٤﴾ - ﴿٥٦﴾) ﴿فَٱسۡتَخَفَّ﴾: استَفزَّ فِرعونُ ﴿قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ﴾ فِيما يُرِيدُ مِن تكذيبِ مُوسى، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (وحينئذٍ) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ﴾ . . . إلخ مُسبَّب عن المعادِل المحذوف.

قوله: (حقيرٌ) أي: لأنه يخدم نفسَه، وليس له ملكٌ ولا نفاذُ أمرٍ.

قوله: (﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾) الجملة إمَّا عطف على جملة ﴿هُوَ مَهِينٞ﴾، أو حال، أو مُستأنَفة.

قوله: (لِلُثْغَتِهِ) بضمِّ اللام، وهي أن تصيرَ الراء غيناً أو لاماً، أو السين ثاءً.

قوله: (التي تناولها في صِغره) أي: حين لطَم فرعونَ على وجهه، فاغتمَّ لذلك وأراد قتلَه، فمَنعته زوجته وقالت له: إنه صغيرٌ لا يَعرف التمرة من الجمرة، فأتى له بتمرٍ وجمرٍ، فأراد أخذ التَّمرة، فحوَّل جبريل يدَه، فأخذ الجَمرةَ، فأثَّرت في لسانه، وقد حلَّها الله حين أرسَله، وإنما وصفه فرعونُ بها الآن؛ استصحاباً لِما كان يعرف منه[1].

قوله: (﴿فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ﴾) أي: من عند مُرسِله الذي يدَّعي أنه الملك حقيقةً.

قوله: (استفزَّ فرعون ﴿قَوۡمَهُۥ﴾) المعنى: استخفَّ فرعونُ عُقول قومه، فألقى عليهم تلك الشبهة الواهية التي أثبَت بها ألوهيَّةَ نفسِهِ وكذبَ موسى، فأطاعُوه.

قوله: (﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾) أصلُه: (أأسفونا) بهمزتين، أُبدلت الثانية ألفاً.

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١١/ ١٩٢).

آنَتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ....

أغضَبُونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾: جَمع (سالِف) كـ(خادِمٍ وخَدَم) أي: سابِقِينَ عِبرةً ﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ بَعدَهم يَتَمثَّلُون بِحالِهِم فلا يُقدِمُونَ على مِثْلِ أفعالِهِم.

﴿٥٧﴾ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾: جُعِل ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حِينَ نَزل قولُه تَعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فقال المُشرِكُون: رَضِينا أن تَكُونَ آلِهَتُنا مَعَ عِيسى لأنَّه عُبِدَ مِن دُون اللهِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أغضَبونا) أي: حيث بالغُوا في العِناد والعصيان.

قوله: (﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾) أي: عاقبناهم.

قوله: (﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾) تفسيرٌ للانتقام، وقد أُهلِكُوا بجنس ما تكبَّروا به؛ ففيه إشارةٌ إلى أنَّ من افتخر بشيءٍ وتعزَّز بِه غير الله.. أهلَكه الله به.

قوله: (﴿وَمَثَلًا﴾) معطوف على ﴿سَلَفًا﴾، والمراد بـ(الآخرين): المتأخِّرين[1] في الزمان وهي الأُمَّة المحمدية.

قوله: (﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾) سببُ نزولها: أنه لما نزَل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ الآية [الأنبياء: ٩٨].. قال عبد الله بن الزِّبَعْرَى ـ وكان قبل أن يُسلم ـ: أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأُمَم؟ فقال رسول الله: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأُمَم»، فقال: قد خصَمتُك وربِّ الكعبة، أليست النصارى يَعبدون المسيح، واليهود يعبدون عزيراً، وبنو مليح يعبدون الملائكة؛ فإن كان هؤلاء في النار.. فقد رَضِينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم؟ فسكَت انتظاراً للوحي، فظنُّوا أنه أُلزم الحجة، فضحكُوا وارتفعت أصواتُهم[2]. إذا علمتَ ذلك.. تعلم الاقتصارَ الواقع من المفسِّر في القصة.

---

(١) كذا في الأصول، وسِياق الكلام يقتضي الرفع خبراً لـ(المراد).

(٢) رَواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٥٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ....

﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي: المُشرِكُون ﴿مِنْهُ﴾: مِن المَثَل ﴿يَصِدُّونَ﴾: يَضحَكُون فرَحاً بِما سَمِعُوا.

﴿٥٨﴾ ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: عِيسى؟ فنَرضَى أن تَكُونَ آلِهَتُنا مَعهُ، ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المَثَل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾: خُصُومةً بِالباطِلِ لِعِلمِهم أنَّ (ما) لِغَيرِ العاقِلِ فلا يَتَناوَلُ عِيسى علَيهِ السَّلام، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾: شَدِيدُو الخُصُومة.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾) ﴿إِذَا﴾: فُجائيَّة، والمعنى: فاجأ ضَرب المثل صُدُودهم وفرحهم.

قوله: (﴿يَصِدُّونَ﴾) بضمِّ الصاد وكسرها، من باب: (ضرَب) و(ردَّ)، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (فرحاً بما سمعوا) أي: أنَّ محمداً صار مَغلوباً بهذا الجدال.

قوله: (﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾... إلخ) تفصيلٌ لِجدالهم، والمعنى: أنهم قالوا: آلهتنا خيرٌ عندك أم عيسى؛ فإن كان في النار.. فلتَكُن آلهتنا معه؟

وقوله: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا﴾ بتحقيق الهمزتين، أو تسهيل الثانية بغير إدخال ألفٍ بينهما، فهما قراءتان سبعيَّتان فقط، وقرئ شذوذاً بهمزةٍ واحدة بعدها ألفٌ على لفظ الخبر[2].

قوله: (فنرضى أن تكون... إلخ) هذا تفريعٌ على الشِّق الثاني.

قوله: (﴿إِلَّا جَدَلًۢا﴾) مفعول من أجلِه؛ أي: لأجل الجِدال والمراء.

قوله: (لعلمهم أنَّ «ما») أي: الواقعةَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، وعلمهم ذلك؛ لِكون القرآن نزَل بلغتهم، ولغةُ العرب أن (ما) تكون لغير العاقل، و(مَن) للعاقل.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بضمِّ الصاد، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٠٠).

(٢) قرأ أهل الكوفة بتحقيق الهمزة الثانية، والباقون بتسهيلها بين بين، ولم يُدخل أحدٌ من القراء الذين من قاعدتهم الفصل بين الهمزتين بألف.. ألفاً؛ كراهةً لتوالي أربعة مُتشابهات، وأبدَل الجميع الهمزة الثالثة ألفاً، وأكثر أهل العصر يَقرؤون هذا الحرف بهمزة واحدة بعدها ألف على لفظ الخبر، ولم يقرأ به أحدٌ من السبعة فيما قرأت به، إلا أنه روي أنَّ ورشاً قرأ كذلك في رِواية أبي الأزهر، وهي تحتمل الاستفهام كالعامَّة، وإنما حذف أداة الاستفهام؛ لدلالة (أم) عليها وهو كثيرٌ، وتحتمل أنه قرأه خبراً محضاً، وحينئذٍ: تكون (أم) منقطعة، فتقدَّر بـ(بل) والهمزة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٠١).

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ ....

(٥٩ - ٦٠) ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ﴾: عِيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بِالنُّبُوَّة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ بِوُجُودِهِ مِن غيرِ أب ﴿مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: كالمَثَلِ لِغَرابَتِه يُستَدَلُّ به على قُدرةِ الله تَعالى على ما يَشاء، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾: بَدَلَكُم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ بِأن نُهلِكَكُم.

(٦١ - ٦٢) ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: عِيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾: تُعلَم بِنُزُولِه ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: تَشُكُّنَّ فِيها ـ حُذِفَ منه نونُ الرَّفع لِلجزم وواوُ الضَّمِير لِالتِقاء السَّاكِنَين ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾) ردٌّ عليهم، والمعنى: ما عيسى إلا عبدٌ مكرَّمٌ منعَمٌ عليه بالنبوَّة، لا إلهٌ ولا ابنُ إلهٍ.

قوله: (بوجوده من غير أبٍ) أي: فهو نظيرُ آدم في خَلقه من غير أبوَين.

قوله: (﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾) خطابٌ لقريشٍ، والمعنى: إننا أغنياءُ عنكم وعن عبادتكم؛ فلو نشاء لأهلكناكم وجعَلنا بدلَكم ملائكةً يَعبدوني[1] في الأرض.

قوله: (بدَلكم) أي: فهو نظيرُ قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقول الشاعر[2]: [الرجز]

جـارِيَـةٌ لَـمْ تَـأْكُـلِ الـمُـرَقَّـقَـا ... ولَـمْ تَـذُقْ مِـنَ الـبُـقُـولِ الـفُـسْـتُـقَـا

ويصح أن تكونَ (مِن) تبعيضيَّةً، والمعنى: لو نشاء لجعلنا بعضكم ملائكةً يَخلفونكم فيها؛ بأن يُحوَّلَ بعضُكم إلى صورة الملائكة، أو يَلد بعضكم ملائكة.

قوله: (﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ﴾) أي: نزولُهُ علامةٌ على قُرب الساعة، فالكلام على حذف مضاف، واللام بمعنى (على).

---

(١) حذف النون تخفيفاً لغة مشهورة.

(٢) هو أبو نخيلة ـ بالنون والخاء المعجمة ـ واسمه يَعمر بن حزن بن زائدة، شاعر مُحسن متقدم؛ كما في «شرح شواهد المغني» (٢/ ٧٣٥)، ونَسبه بعضهم لرؤبة بن العجاج؛ كما في «ديوانه» (ص١٨٠)، وفيه: (سُرِّيَّة) بدل (جارية).

وَاتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ....

﴿وَ﴾ قُل لَهُم: ﴿اتَّبِعُونِ﴾ على التَّوحيدِ ﴿هَٰذَا﴾ الذي آمُرُكُم بِهِ ﴿صِرَٰطٌ﴾: طَرِيقٌ ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾: يَصرِفَنَّكُم عن دِينِ الله ﴿الشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ العَداوةِ.

(﴿٦٣﴾ - ﴿٦٤﴾) ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالمُعجِزاتِ والشَّرائِعِ ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾: بِالنُّبُوَّةِ وشَرائِعِ الإنجِيلِ ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ مِن أحكامِ التَّوراةِ مِن أمرِ الدِّينِ وغيرِه، فبَيَّنَ لَهُم أمرَ الدِّينِ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾: طريقٌ ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَاتَّبِعُونِ﴾) أي: امتَثِلُوا ما آمرُكم به.

قوله: (﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ﴾) معطوفٌ على (اتَّبعوني)، فهو مقول القول، وقيل: من كلام الله تعالى، والمعنى: اتَّبِعُوا يا عبادي هديِي أو رسولي ولا يَصدَّنكم الشيطان... إلخ.

قوله: (﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ﴾) أي: أُرسِل لبني إسرائيل.

قوله: (﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم﴾) معطوف على قوله: ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾؛ أي: وجِئتكم لأبيِّنَ، ولم يترك العاطف؛ إشارةً إلى أنه مُتعلق بما قبله، إشعاراً بالاهتمام بالقلَّة حتى جُعِلَ كأنه كلامٌ برأسه.

قوله: (﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾) أي: فبيَّن لهم أمرَ الدين، وهو بعض ما يختلفون فيه؛ لأنَّ اختلافَهم في أمر الدين وتكسُّبات الدنيا، والأنبياء بُعِثُوا لِبَيان الدين، لا لصنائع الدنيا؛ فإنها تُؤخذ عن أهلها، وفي الحديث: «**أنتم أعلَم بأمر دُنياكم**»[1].

قوله: (﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾) أي: فيما أُبلِّغه عنه.

---

(١) رواه مسلم (٢٣٦٣) عن سيِّدتنا عائشة رضي الله عنها في قضيَّة تأبير النخل.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ....

(٦٥) ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ في عِيسى أهو اللهُ أو ابنُ الله أو ثالِثُ ثلاثةٍ؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ - كَلِمة عذاب - ﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: كَفَروا بِما قالُوهُ في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِم.

(٦٦) ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: كُفَّارُ مكَّة، أي: ما يَنتَظِرُون ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ - بَدَل مِن ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ - ﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِوَقتِ مَجِيئها قبلَه.

((٦٧) - (٧٠)) ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ على المَعصِيةِ في الدُّنيا ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾: يومَ القيامةِ - مُتعلِّق بِقَولِه -: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾: المُتَحابِّين في الله على طاعَتِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾) أي: تفرَّقُوا من بين مَنْ بُعِثَ إليهم من اليهود والنصارى[1].

قوله: (أهو الله) هذه مَقالة فرقةٍ من النصارى تُسمَّى اليعقوبيَّة.

قوله: (أو ابن الله) هذا قول فرقةٍ منهم أيضاً تسمَّى المرقوسية.

قوله: (أو ثالث ثلاثة) هو قول فرقةٍ منهم أيضاً تسمى الملكانيَّة، وقالت فرقةٌ: إنه عبد الله ورَسوله، وإنما كفرت ببعثة محمد ﷺ، وقالت اليهود: إنه ليس بنبيٍّ؛ فإنه ابن زناً، لَعنهم الله.

قوله: (كلمة عذاب) أي: كلمةٌ معناها العذاب، وهو مبتدأ، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ خبرُهُ.

قوله: (أي: كُفار مكة) هذا توعُّدٌ لهم بالعذاب إثرَ بيانِ فرحهم بجعل المسيح مثلاً.

قوله: (﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (على المَعصية) أي: وعليه فيكونُ الاستثناء منقطعاً، ويَصح أنَّ المراد بـ(الأخلاء): الأحبابُ مطلقاً، فيكونُ الاستثناء متصلاً.

قوله: (مُتعلق بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ﴾) أي: والفصلُ بالمبتدأ لا يضرُّ.

---

(١) هذا مَبني على أنه بعث لجميع بني إسرائيل، فتحزَّبوا في أمره، وقيل: الضمير في الآية لخصوص النصارى بناء على أنه بعث لهم فقط. «فتوحات» (٤/ ٩٦).

يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ....

فإنَّهُم أصدِقاءُ، ويُقال لَهُم: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ـ نعتٌ لـ﴿عِبَادِى﴾ ـ ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ ـ مُبتدأ ـ ﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾: زَوجاتُكم ﴿تُحْبَرُونَ﴾: تُسَرُّونَ وتُكرَمُون ـ خَبرُ المُبتدأ ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (فإنهم أصدقاء) أي: ويَشفعون لبعضهم، ويَتودَّدون كما كانُوا في الدنيا.

قوله: (ويقال لهم) أي: تشريفاً وتطيِيباً لقلوبهم، ورَدَ: أنه يُنادي منادٍ في العَرَصاتِ: يا عبادي؛ لا خوف عليكم اليوم، فيَرفع أهل العَرصة رؤوسهم، فيقول المنادي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾، فيُنكِّس أهل الأديان رُؤوسهم غير المسلمين[١].

قوله: (﴿يَٰعِبَادِ﴾) الإضافةُ للتشريف والتكريم، والياء إمَّا ساكنة أو مفتوحة أو محذوفة، ثلاث قراءات سبعيَّات[٢].

وقد ناداهُم الله تعالى بأربعة أمور: الأول: نفي الخوف، والثاني: نفي الحزن، والثالث: الأمرُ بدخول الجنة، والرابع: البِشارة بالسرور في قوله: ﴿تُحْبَرُونَ﴾.

قوله: (﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾) بالرفع والتنوين في قِراءة العامَّة، وهو مبتدأ، و﴿عَلَيْكُمُ﴾: خبره، وقُرئ شذوذاً بالضم أو الفتح دون تنوين[٣].

قوله: (﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾) أي: مُخلصِين في أمر الدين.

قوله: (زوجاتكم) أي: المؤمنات.

قوله: (تُسَرُّون) أي: يَظهر أثره على وجوهكم.

---

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٧٧) عن مُقاتل ومَعمر بن سليمان.

(٢) قرأ شعبة بفتح الياء في الوصل، وسكنها نافع وأبو عمرو وابن عامر، وحذفها الباقون وقفاً ووصلاً. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٧٢).

(٣) قرأ ابن محيصن دون تنوين على حذف مضاف وانتظاره: (لا خوفُ شيءٍ)، والحسن وابن أبي إسحاق بالفتح على (لا) التبرئة، وهي عندهم أبلغ. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٠٤).

يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ....

(٧١ - ٧٣) ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾: بِقِصاعٍ ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾: جمع (كُوب) وهو إناءٌ لا عُروةَ له لِيَشرَبَ الشَّارِبُ مِن حيثُ شاءَ، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي ٱلْأَنفُسُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بِقِصاع) جمع (قَصعة)، وهي: الإناء الذي يُشبع العشرة، وأكبر منها الجَفنة، والصحفة: ما يُشبع الخمسة، والميكلة: ما يُشبع الرجلين أو الثلاثة.

وردَ: أنه يَطوف على أدنى أهل الجنة منزلةً سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفةٍ من ذهب، يُغْدَى عليه بها، في كلٍّ واحدةٍ منها لونٌ ليس في صاحبتِها، يأكل من آخرها كما يأكل من أوَّلها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أوَّلها، لا يُشبه بعضه بعضاً، ويُرَاحُ عليه بمثلها، ويَطوف على أرفعهم درجةً كلَّ يوم سبع مئة ألف غلام، مع كل غلام صحفةٌ من ذهب فيها لونٌ من الطعام ليس في صاحبتِها، يأكل من آخرها كما يأكل من أوَّلها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أوَّلها، لا يُشبه بعضه بعضاً[1].

قوله: (جمع كُوب) أي: ك: عُود وأعواد.

قوله: (لا عُروة له) أي: ليس له محَلٌّ يُمسك منه.

قوله: (فيَشرب الشارب من حيث شاء) أي: لأن العُروة تَمنع من بعض الجهات.

ورُوي: أنهم يُؤتَون بالطعام والشراب، فإذا كان في آخر ذلك.. أُتُوا بالشراب الطهور، فتَضْمُرُ لذلك بُطونهم، وتَفيض عرقاً من جُلودهم أطيَب من ريح المسك، قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١][2].

قوله: (﴿وَفِيهَا﴾) أي: الجنةِ.

قوله: (﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾) أي: مِن الأشياء المعقولة والمسمُوعة والمنظورة والملموسة والمَذُوقة والمشمومة.

روي: أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله؛ أفي الجنة خيل؛ فإني أُحِبُّ الخيل؟ فقال: «**إن يُدخلك الله**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة أهل الجنة» (٣٣٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وليس فيه ذكر الأرفع دَرجة، وانظر «تفسير القرطبي» (١٩/ ٧٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة أهل الجنة» (١٢٦) من حديث أبي قلابة رحمه الله تعالى.

وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ....

تلَذُّذاً ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ نظراً، ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا﴾ أي: بَعضُها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وكُلُّ ما يُؤكَل يُخلفُ بَدله.

حاشية الصاوي

الجنة؛ فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء، فتَطير بك في أيِّ الجنة شئتَ. . إلا فعلتَ»، فقال أعرابي: يا رسول الله؛ أفي الجنة إبل؛ فإني أحبُّ الإبل؟ فقال: **«يا أعرابي؛ إن أدخَلك الله الجنة. . أصبتَ فيها ما اشتهَت نفسك، ولَذَّت عينك»**[1].

و(تشتهي) بهاءٍ واحدةٍ، واثنتين بينهما الياء، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (تلذذاً) أي: فطعامُها وشرابها لا عن عطش.

قوله: (نظراً) أي: وأعظمُهُ النَّظرُ إلى وجه الله الكريم.

قوله: (﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ، وفيه التِفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب؛ تشريفاً لها وتعظيماً لِقَدرها، ولم يقل: (وتلكم الجنة) ليكون مناسباً لقوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾؛ إشارةً إلى أنَّ كلَّ واحدٍ من أهل الجنة مُخاطبٌ بالاستقلال.

قوله: (﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) أي: أُعطيتموها بسبب عمَلكم، وهذا زيادة في الإكرام لأهل الجنة؛ حيث لم يَقُل: (أورثتموها من فضلي) وإن كانَت في الحقيقة من فَضلِه تعالى. قال ابنُ عباس: خلق الله لكل نفسٍ جنةً وناراً، فالكافر يَرث نار المسلم، والمسلمُ يَرث جنَّة الكافر[3].

قوله: (يخلق بدَله[4]) أي: لأنها على صِفة الماء النابع؛ لا يؤخذ منها شيء إلا خُلِقَ مكانَه في الحال مثلُه.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٦) عن سيدنا بُريدة الأسلمي رضي الله عنه.

(٢) قرأ نافع وابن عامر وحفص: (تشتهيه) بإثبات العائد على الموصول؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، والباقون بحذفه كقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾، وهذه الهاء في هذه السورة رسمت في مصاحف المدينة والشام، وحذفت من غيرها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٠٥).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (١٩/ ٨٣).

(٤) كذا في الأصول، وعبارة «الفتوحات» (٤/ ٩٩): (يخلف بدله)، وهي الموافقة لنسخ «الجلال».

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ ....﴾

(﴿٧٤﴾ - ﴿٧٦﴾) ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ﴾: يُخَفَّف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: ساكِتُون سُكوتَ يأس، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(﴿٧٧﴾ - ﴿٧٨﴾) ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ هو خازِن النَّار ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾... إلخ) لما ذكر وعدَ المؤمنين الحسنَ بالجنَّة وما فيها.. شرَع في ذكر وعيدِ الكافرين السيئ بالنار وما فِيها؛ على حُكم عادته سبحانه وتعالى في كتابِه العزيز، والمراد بـ(المجرمين): الكفار؛ لِذِكرهم في مُقابَلة المؤمنين.

قوله: (﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾) الجملة حاليَّة، وكذا ما بعدها، والفُتور: السكون، يُقال: فتَر الماء: سكَن حرُّه.

قوله: (ساكتون) أي فالإبلاسُ: السكوت، ويُطلق على السكون، يُقال: أبلس: سكَت وسكن.

قوله: (سكوتَ يأس) أي: من رحمة الله تعالى.

إن قلتَ: إنَّ مقتضى ما هنا أنهم يَسكتون في النار، ومُقتضى ما يأتي في قوله: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ...﴾ الآية [الزخرف: ٧٧] أنهم يَستغيثون ويتكلمون، فحصَل التنافي بين الموضعَين.

أجيب: بأنهم يَسكتون تارة، ويستغيثون أخرى، فأحوالهم مُختلفة.

قوله: (﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) العامَّةُ على نصب ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ خبراً لـ(كان)، و﴿هُمُ﴾ ضمير فصل، وقُرئ شذوذاً: (الظالمون) بالرفع على أنَّ ﴿هُمُ﴾ ضميرٌ منفصلٌ مبتدأ، و(الظالمون) خبره، والجملة خبر (كان)[1].

قوله: (﴿وَنَادَوْا۟﴾) التعبيرُ بالماضي؛ لتحقُّق الحُصول.

قوله: (هو خازن النار) أي: كبيرُ خَزَنتها، ومجلسُه وسَط النار، وفيها جسور تَمرُّ عليها ملائكة العذاب، فهو يرَى أقصاها كما يرى أدناها.

---

(١) وبها قرأ عبد الله وأبو زيد النحويان، وهي لغة تميم، قال أبو زيد: سمعتهم يقرؤون: (تجدوه عند الله هو خيرٌ وأعظمُ أجراً) بالرفع. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٠٦).

لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ....

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: لِيُمِتْنا، ﴿قَالَ﴾ بَعد ألفِ سَنة: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾: مُقِيمُون في العذابِ دائماً، قال تَعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم﴾ أي: أهل مكَّةَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ على لِسانِ الرَّسول، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

(﴿٧٩﴾ - ﴿٨٠﴾) ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟﴾ أي: كُفَّارُ مكَّة: أحكَمُوا ﴿أَمْرًا﴾ في كَيدِ مُحمَّد النَّبيِّ ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: مُحكِمُون كَيدَنا في إهلاكِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾) اللام: للدعاء، و(يَقضِ): مجزوم بحذف الياء، والمعنى: سَلْ ربَّك أن يُمِيتنا، فهو من: (قضى عليه): إذا أماتَه.

قوله: (لِيُمِتْنَا) أي: لِنَستريح مما نحن فيه.

قوله: (بعد ألف سنة) هذا أحدُ أقوال، وقيل: بعد مئة سنة، وقيل: بعد أربعينَ سنة، والسنة ثلاثُ مئة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما تَعدُّون.

قوله: (مُقيمون في العذاب) دائماً؛ أي: لا مفرَّ لكم منه بموتٍ ولا غيرِهِ.

قوله: (﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم﴾... إلخ) يحتمل أنه مِن كلامه تعالى، خطابٌ لأهل مكة عموماً، مُبيِّنٌ لسبب مُكث الكفار في النار، وهو ما مشى عليه المفسِّر، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ أي: وأمَّا أقَلُّكم فهو مؤمنٌ، يحبُّ الحقَّ، ويحتمل أنه من كلام مالك لأهل النار، جارٍ مجرَى العِلة، كأنه قال: إنكم ماكثُون لأنا جئناكم... إلخ، ويكون معنى (أكثركم): كلَّكم.

قوله: (﴿كَٰرِهُونَ﴾) أي: لِما فيه من منعِ الشهوات، فكراهتُكم له من أجل كونِه مخالفاً لهواكم وشهواتكم.

قوله: (﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾) الإبرام في الأصل: الفتلُ المحكم، يُقال: أبرم الحبل: إذا أتقَن فَتلَه ثانياً، وأما فتلُه أولاً.. فيسمَّى سحلاً، ثم أُطلِق على مُطلق الإتقان والإحكام.

و(أم) مُنقطعة تُفسَّر بـ(بل) والهمزة، وهو انتقالٌ من توبيخ أهل النار إلى توبيخِ الكفار على بعض ما حصَل مِنهم في الدنيا.

قوله: (في كيد محمد) أي: كما ذكرَه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ....

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾: ما يُسِرُّون إلى غيرِهم وما يَجهَرُون بِه بَينَهم؟ ﴿بَلَى﴾ نَسمَع ذلك، ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحَفَظةُ ﴿لَدَيْهِمْ﴾: عِندَهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ذلك.

(﴿٨١﴾ - ﴿٨٢﴾) ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ فرضاً ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ لِلوَلَدِ، لَكِن ثَبَت أن لا ولَدَ لَه تَعالى فانتَفَت عِبادَتُه، ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾: الكُرسِيِّ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: يَقُولُون مِن الكَذِب بِنِسبةِ الوَلد إلَيه.

﴿٨٣﴾ ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾ في باطِلِهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دُنياهُم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فِيه العَذابَ وهو يَومُ القِيامة.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾) ﴿أَمْ﴾: مُنقطعة تُفسَّر بـ(بل) وهمزةِ الإنكار.

قوله: (﴿وَرُسُلُنَا﴾ . . . إلخ) الجُملة حاليَّة، وقوله: (﴿يَكْتُبُونَ﴾ ذلك) أي: سِرَّهم ونَجواهم.

قوله: (﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾) أي: إن صحَّ وثبَت ذلك ببرهانٍ صحيحٍ.. فأنا أولُ مَن يُعظم ذلك الولد ويَعبده.

قوله: (لكن ثبَت أن لا ولد له) أشار بذلك إلى أنه قياسٌ استثنائيٌّ، وقد استثنى فيه نَقيض المقدَّم بقوله: (لكن ثبت. . . إلخ)، فأنتج نَقيض التالي وهو قوله: (فانتفت عبادته)، وإيضاحُهُ: أنه علَّق العبادة بِكَينونة الولد، وهي مُحالةٌ في نفسها، فكان المعلَّق بها محالاً مثلَهَا، فحصل نفيُهُما على أبلَغِ الوُجوه وأقواها.

قوله: (الكُرسي) المناسب إبقاءُ الآية على ظاهرها؛ لأنَّ من المعلوم أنَّ العرش غير الكرسي.

قوله: (العذاب) مفعول ثان لـ﴿يُوعَدُونَ﴾، و(فيه) متعلِّق بـ(العذاب).

قوله: (وهو يوم القيامة) المناسِبُ أن يقولَ: يوم مَوتهم؛ لأنَّ خوضَهم ولعبهم إنما ينتهي بيَوم الموت.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ....﴾

(﴿٨٤﴾ - ﴿٨٥﴾) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ هو ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ - بتحقيق الهمزتين، وإسقاط الأُولَى وتسهيلها كالياء - أي: معبودٌ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ - وكُلٌّ مِن الظَّرفَينِ مُتعلِّق بِما بعدَه - ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تَدبِير خَلقِه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِمَصالِحِهم، ﴿وَتَبَارَكَ﴾: تعظَّم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ هو ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾... إلخ) قدَّر الضمير؛ إشارةً إلى أنَّ العائد محذوف، و(هو) مبتدأ، و﴿إِلَٰهٌ﴾ خبره، و﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ مُتعلق بـ﴿إِلَٰهٌ﴾، وإنما حذف المبتدأ؛ لِدلالة المعنى عليه، ولِطُول الصِّلة بالمعمول؛ نظير قولك: (ما أنا بالذي قائلٌ لك سوءاً)[1]، ولا يصحُّ أن يكون الجارُّ والمجرور خبراً مُقدماً، و﴿إِلَٰهٌ﴾ مبتدأٌ مؤخَّرٌ؛ لئلا تَعرَى الجملة عن رابط؛ نظير: (جاء الذي في الدار زيد).

قوله: (بتحقيق الهمزتين... إلخ) أي: همزة (سماء) وهمزةِ (إله)، وذكر المفسِّر هنا ثلاث قراءات، وفي الحقيقةِ هي سبعٌ سبعيَّات: التحقيق وهي قراءة واحدة، وإسقاطُ الهمزة الأولى، وتسهيلها مع القصر في (سماء) بقدر ألف، والمدِّ بقدر ألفين، وتسهيلُ الثانية، وإبدالها ياءً مع القصر لا غير[2].

قوله: (مُتعلق بما بعده) أي: وهو ﴿إِلَٰهٌ﴾؛ لأنه بمعنى: معبود، والتقدير: وهو معبودٌ في السماء، ومعبودٌ في الأرض، ولا شكَّ أنَّ العابدَ في السماء غيرُ العابد في الأرض، والمعبودُ واحدٌ[3]، ودفع بذلك ما يتوهَّم من ظاهر الآية أنَّ الإله متعددٌ؛ لأنَّ النكرة إذا أعيدت كانت غيراً[4].

---

(١) إذ الأصل: (ما أنا بالذي هو قائل لك سوءاً)، فحسُن الحذف؛ لِطُول الصلة بالمجرور والمنصوب.

(٢) سهَّل الأولى مع المد والقصر قالون والبزي، وأسقَطها مع القصر والمد البصري، وسهَّل الثانيةَ ورش وقنبل وأبو جعفر ورويس، ولورش وقنبل إبدالها ألفاً مع القصر؛ لتحرك ما بعدها، وحقَّقها الباقون. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٩١).

(٣) وإيضاحه: أن المغايرة إنما هي بين مَعبوديَّته في السماء ومعبوديَّته في الأرض؛ لأن المعبوديَّة من الأمور الإضافية، فيكفي التغاير فيها من أحد الطرفين؛ فإذا كان العابد في السماء غيرَ العابد في الأرض.. صدق أنَّ معبوديَّته في السماء غير معبوديَّته في الأرض، مع أن المعبود واحد، وفيه دلالة على اختصاصه باستحقاق الألوهية؛ فإن التقديم يدل على الاختصاص. «فتوحات» (١٠١/٤) نقلاً عن العلامة الكرخي.

(٤) وقال أهل العلم بالتوحيد: لا بد لنا أن نَلتفت إلى أنه سبحانه قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾، وكلمة «الذي» اسم موصول واحد يَدلنا على أن الحق صلته بالسماء وبالأرض واحدة، ولهذا نقول لمن وقَفوا عند هذه الآية: لا تبحثوا عن النكرة المكررة بمعزل عن الاسم الموصول؛ لأن الاسم الموصول مَعرفة. انظر «تفسير الشعراوي» (٣٥٠٣/٦).

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ ....

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ـ بالياء والتاءِ ـ.

﴿٨٦﴾ ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يَعبُدُون أي: الكُفَّار ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: اللهِ ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ لِأحَدٍ ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: قال: لا إلَهَ إلّا الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بِقُلُوبِهِم ما شَهِدُوا بِهِ بِألسِنَتِهِم، وهُم عيسى وعُزَير والمَلائكةُ؛ فإنَّهُم يَشفَعُون لِلمُؤمِنِين.

(﴿٨٧﴾ - ﴿٨٩﴾) ﴿وَلَئِن﴾ ـ لام قَسَم ـ ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ ـ حُذِفَ مِنهُ نُون الرَّفع وواوُ الضَّمِير ـ ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفُون عن عِبادةِ الله؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾) أي: علمُ وقت قِيامها.

قوله: (والتاء) أي: فهو التفاتٌ من الغَيبة للخطاب؛ للتهديد والتقريع.

قوله: (﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ﴾... إلخ) الاسمُ الموصول: فاعل ﴿يَمْلِكُ﴾، وهو إمَّا عبارةٌ عن مُطلق المعبودات غير الله، فيكون الاستثناء مُتصلاً، وهو ما تَقتضيه عِبارة المفسِّر[1]، أو عن خُصوص الأصنام، فيكون منقطعاً.

قوله: (أي: الكفار) تفسير للواو في ﴿يَدْعُونَ﴾.

قوله: (لأحد) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ مفعولَ الشفاعة محذوفٌ.

قوله: (﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) الضمير عائد على (مَن)، والجمع باعتبارِ مَعناها.

قوله: (﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾) أي: العابدِين مع ادِّعاء الشريك.

قوله: (﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾) جواب القسَم، وجوابُ الشرط محذوفٌ على القاعدة[2].

---

(١) حيث لم يقصر (الذين) على الأصنام، بل أبقاها على عُمومها.

(٢) فيما إذا اجتمع شرط وقسَم.. حذف جواب الآخر منهما، واستغني بجواب المتقدِّم، قال ابن مالك:

واحذِف لدَى اجتِماع شرطٍ وقَسَمْ جوابَ ما أخَّرتَ فهو مُلتَزَمْ

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾

﴿وَقِيلِهِۦ﴾ أي: قَولَ مُحمَّد النَّبيِّ ـ ونَصبُه على المَصدَر بِفِعلِه المُقدَّر ـ أي: وقال: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾، قال تَعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ﴾: أعرِضْ ﴿عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ مِنكُم، وهذا قبلَ أن يُؤمَرَ بِقِتالِهم ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ ـ بِالياء والتاءِ ـ تَهديدٌ لَهم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (أي: قول محمد النبي) تفسيرٌ لكلٍّ من المضاف والمضافِ إليه، وقوله: (ونصبه على المصدر) أي: فـ(القول) و(القيل) و(القال) و(المقالة)؛ كلُّها مصادرُ بمعنًى واحدٍ[1]، وفي قراءة سبعيَّة أيضاً بالجرِّ؛ إمَّا عطفاً على ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾[2]، أو أنَّ الواو للقسَم، والجواب إمَّا محذوفٌ، والتقديرُ: لأفعلنَّ بهم ما أُريد، أو مذكورٌ وهو قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[3].

قوله: (﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾) خبرٌ لمحذوف؛ أي: شأني سلام؛ أي: ذُو سلامة مِنكم ومني، فهو تباعدٌ وتبرٍّ منهم، فليس في الآية مَشروعيَّةُ السلام على الكفار.

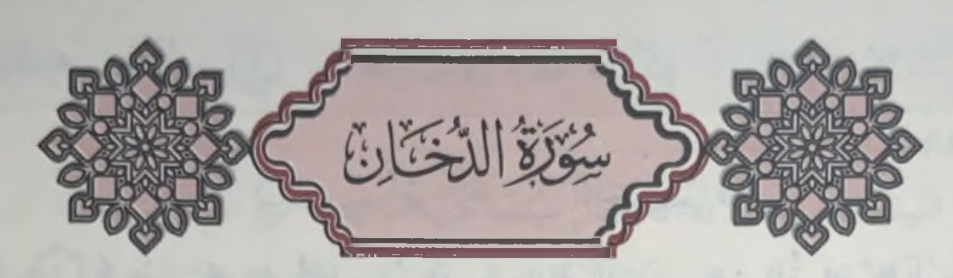
قوله: (وهذا قبل أن يُؤمر بقتالهم) أي: فالآية منسوخةٌ، ويحتمل أنَّ المراد الكفُّ عن مُقابَلتهم بالكلام؛ فلا نسخَ فيها.

✿ ✿ ✿

(١) وهو وجه من وجوهٍ ثمانية ذكرها العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٦١١).

(٢) أي: وعنده علمُ قيلِهِ.

(٣) قرأ حمزة وعاصم بالجر، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦١١).



مَكيَّة، وقيل: إلَّا ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ...﴾ الآيةَ. وهي سِتٌّ أو سبعٌ أو تِسعٌ وخَمسون آية.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الدُّخَانِ

(مكيَّة) أي: كلُّها، وهو المعتمَد.

قوله: (الآية) أي: إلى قَوله: ﴿عَآئِدُونَ﴾.

ووَرَد في فضل هذه السورة أحاديثُ، منها: قولُه ﷺ: «**مَن قرأ (الدخان) ليلةَ الجمعة.. أصبح مغفوراً له، وزُوِّج من الحور العين**»[١].

ومنها: قولُه ﷺ: «**مَن قرأ (الدخان) ليلةَ الجمعة.. أصبح يَستغفر له سبعون ألف ملَك**»[٢].

ومنها: قوله ﷺ: «**مَن قرأ (حم الدخان) ليلةَ الجمعة أو يوم الجمعة.. بنى الله له بيتاً في الجنة**»[٣].

قال بعضُ العلماء: (ما ذكره البيضاوي من الأحاديثِ الواردة في فضل السور مُتكلَّمٌ فيها إلا أحاديثَ سورة «الدخان» وحديثَ «يس» الذي تقدَّم لنا، وهو: «**إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن (يس)؛ مَن قرأها يريد بها وجه الله تعالى.. غُفر له**»[٤] إلى آخِره، وحديث سورة «الواقعة»، وهو: «**مَن قَرأ سورة (الواقعة) في كلِّ ليلة.. لم تُصِبه فاقةٌ أبداً**»)[٥].

---

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٣٧٤٣) عن سيدنا أبي رافع رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٢٨٨٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠٢٦) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي (٢٨٨٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٦٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وانظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ١٥١).

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ....

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بِمُرادِهِ به، ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾: المُظهِرِ الحَلالَ مِن الحَرام.

٣ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ هي لَيلةُ القَدرِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾) الواو: للقسَم، و(الكتابِ): مُقسَمٌ به، وجواب القسَم هو قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾... إلخ، وأمَّا قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.. فهو تعليلٌ للجواب، وهو أحسَنُ من جعلِ الجوابِ قولَهُ: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾، وقولِهِ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ جملةً معترضةً بين القسَم وجوابه.

قوله: (القرآن) هذا أحدُ أقوال في تفسير (الكتاب)، وهو أقواها، وعليه: فقد أقسَم بالقرآن أنَّه أنزل القرآن في ليلةٍ مباركةٍ، وهذا من أبلغ الكلام الدَّالِّ على غاية تَعظيم القرآن؛ كما تقولُ لِلعظيم: أتشفَع بك لك، وفي الحديث: «أعوذ برضاك من سخَطك، وبِعَفوك من عُقوبتك، وبِك منك»[1].

وقيل: المراد بـ(الكتاب): الكُتُب المنزَّلة على الأنبياء، والضمير في ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ عائدٌ على القرآن المفهومِ من السياق.

وقيل: المرادُ به: اللوحُ المحفوظُ، وقولُه: ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي: أنزلنا بعض ما فيه وهو القرآن.

قوله: (هي ليلة القدر) هذا قولُ قتادة وابن زيد وأكثر المفسِّرين، ووُجِّه بأمور؛ منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]؛ فيجب أن تكونَ الليلة المباركة هي المسمَّاة بليلة القدر؛ لأنَّ (خير ما فسَّرته بالوارد).

ومنها: قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ فقولُه تعالى هنا: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ يجب أن تكونَ هذه الليلة المباركة في رمضان، فثبَت أنها ليلة القدر.

ومنها: قولُه تعالى في صفة ليلة القدر: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ [القدر: ٤]، وقال هنا: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾، وقال هنا: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾، وقال في ليلةِ القدر: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ٥]، وإذا تقاربَت الأوصاف.. وجَب القول بأنَّ أحد[2] الليلتَين هي الأخرى، وهذه أدلَّةٌ ظاهرةٌ واضحةٌ على أنها ليلة القدر، وهو المعتمَدُ.

---

(١) رواه مسلم (٤٨٦) عن سيِّدتنا عائشة رضي الله عنها، وفيه: (وبمعافاتك) بدل (وبعفوك).

(٢) كذا في الأصول، ولعل الأولى: (إحدى الليلتين).

أو لَيلةُ النِّصف مِن شَعبانَ، ....

حاشية الصاوي

وسمِّيت (ليلةَ القدرِ)؛ لأنَّ الله تعالى يُقدِّر فيها ما يشاء من أمرِه إلى مِثلها من السنة القابلة؛ من أمر الموت والأجَلِ والرزق، ويُسلِّم ذلك إلى مُدبرات الأمورِ وهم إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام.

وقيل: يبدأ في استِنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلةِ النصف من شعبانَ، ويَقع الفراغ في ليلة القدر، فتُدفع نسخةُ الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخةُ الحروب إلى جبريل، وكذلك الزلازلُ والصواعق والخسف، ونُسخةُ الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا، وهو ملكٌ عظيمٌ، ونسخةُ المصائب إلى ملَك الموت.

قوله: (**أو ليلة النصف من شعبان**) هو قولُ عكرمة وطائفة، ووُجِّه بأمور؛ منها: أنَّ ليلةَ النصف من شعبان لها أربعةُ أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الرحمة، وليلة الصَّك.

ومنها: فضلُ العبادة فيها؛ لِما ورَد: «مَن صلى فيها مئةَ ركعة.. أرسل الله تعالى إليه مئة ملَك؛ ثلاثون يُبَشرونه بالجنة، وثلاثون يُؤَمِّنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشرة يَدفعون عنه مكائد الشيطان»[١].

ومنها: نزولُ الرحمة فيها؛ لِما روي في الحديث: «**إنَّ الله يَرحم أُمتي هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب**»[٢].

ومنها: حصولُ المغفرة فيها؛ لما في الحديث: «**إنَّ الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا الكاهن، والساحر، ومدمن الخمر، وعاقَّ والديه، والمصرَّ على الزنا**»[٣].

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٦١): (رواه الإمام أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي الفقيه الشافعي في كتاب «الترغيب» بتغير يسير: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن جعفر، ثنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، ثنا عبد الرازق عن توبة عن عثمان بن عبد الله عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن صلى ليلة النصف من شعبان مئة ركعة؛ يقرأ في كل ركعة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات.. لم يَمت حتى يريه الله في منامه مئة ملك: ثلاثون يُبَشرونه بالجنة، وثلاثون يُؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يحفظونه من خطاياه، وعشرة يَكلؤونه من عَدوه» انتهى، وكذلك رواه الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر في كتابه «فضائل شعبان»).

(٢) رواه الترمذي (٧٣٩)، وابن ماجه (١٣٨٩) عن سيِّدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه بنحوه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٥٣١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا ....

نَزل فِيها مِن أُمِّ الكِتاب مِن السَّماء السَّابِعة إلى سَماءِ الدُّنيا، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾: مُخوِّفِين بِه.

(﴿٤﴾ - ﴿٥﴾) ﴿فِيهَا﴾ أي: في لَيلةِ القَدر أو لَيلةِ النِّصفِ مِن شَعبانَ ﴿يُفْرَقُ﴾: يُفصَل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: مُحْكَم مِن الأرزاقِ والآجالِ وغَيرِهِما التِي تَكُونُ في السَّنة إلى مِثلِ تِلك اللَّيلة، ﴿أَمْرًا﴾: فَرقاً ....

حاشية الصاوي

ومنها: أنَّ الله تعالى أعطى رَسوله في هذه الليلة تمامَ الشفاعة في أُمَّته، وذلك: «أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أُمَّته، فأُعطِيَ الثُّلثَ منها، ثمَّ سأل ليلة الرابع عشر، فأُعطي الثلثَين، ثمَّ سأل ليلة الخامس عشر فأُعطي الجميع إلا من شرَد عن الله شُرُود البعير»[1].

قوله: (نزل فيها) أي: جملةً، ومعنى إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا: أنَّ جبريل أملاه منه على ملائكة السماء الدنيا، فكتَبُوه في صُحف، وكانت عِندهم في محلٍّ من تلك السماء يُسمَّى بيتَ العزَّة، ثمَّ نجَّمَته الملائكة المذكورون على جبريلَ في عشرين سنة، ينزل بها على النبي ﷺ بحسَب الوقائع والحوادث.

قوله: (﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾) المرادُ من (كان): الاستِمرارُ والدوامُ؛ أي: شأنُنا وعادتنا الإنذار والتخويف، وهذه الجملة عِلةٌ للإنزال وكونِهِ في ليلةٍ مباركةٍ، والمعنى: أنَّا إنما أنزلناه في ليلة مباركة؛ لأنَّ شأننا الإنذار، وهذا القرآن عظيمٌ أنزل في ليلة مباركة، شأنُهُ أن يُخافَ منه.

قوله: (﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾) هذه الجملة إمَّا مستأنفةٌ، أو صفةٌ لـ﴿لَيْلَةٍ﴾ وما بينَهما اعتراضٌ.

قوله: (يفصل) أي: يُبين ويظهر للملائكة الموكَّلين بالتصرف.

قوله: (مُحكم) أي: مُبرمٍ لا تغييرَ فيه ولا تبديل.

قوله: (فرقاً) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿أَمْرًا﴾ منصوبٌ على المصدريَّة بفِعل مُلاقٍ له في المعنى كـ: قمتُ وقوفاً، وجلست قعوداً، ويصحُّ أن يكون حالاً من فاعل ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، والتقدير: أنزلناه حالَ كوننا آمرين، أو من مفعوله، والتقدير: أنزلناه حال كونه مأموراً به، ويصحُّ أن يكون مفعولاً لأجله

(١) أورده الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٧٣)، وقال الزَّيلعي في تخريجه: (٣/ ٢٦٦): (غريب).

مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ ....

﴿مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرُّسل مُحمَّداً ومَن قبلَه.

(﴿٦﴾ - ﴿٨﴾) ﴿رَحْمَةً﴾: رَأفةً بِالمُرسَلِ إِلَيهِم ﴿مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأقوالِهِم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِأفعالِهِم، ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ - بِرفعِ ﴿رَبُّ﴾ خَبر ثالِث، وبِجَرِّه بَدل مِن ﴿رَبِّكَ﴾ - ﴿إِن كُنتُم﴾ يا أهلَ مكَّة ﴿مُّوقِنِينَ﴾ بِأنَّهُ تَعالى ربُّ السَّماواتِ والأرضِ فأيقِنُوا بأنَّ مُحمداً رَسُوله، ....

حاشية الصاوي

وعامِله ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، والتقدير: أنزلناه لأمر الخلق - أي: شأنهم - بمعنى: أنَّ فيه مصالحَ دينِهِم ودُنياهم، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قوله: (﴿مِّنْ عِندِنَآ﴾) صفة لـ﴿أَمْرًا﴾.

قوله: (﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ، قُصد بها بيانُ حكمةِ الإنزال في ليلةٍ مباركةٍ، وكونِهِ أمراً.

قوله: (﴿رَحْمَةً﴾) مفعولٌ لأجله، والعامل فيه إمَّا ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، وإمَّا ﴿أَمْرًا﴾، وإمَّا ﴿مُنذِرِينَ﴾، وإمَّا ﴿يُفْرَقُ﴾، وإمَّا ﴿مُرْسِلِينَ﴾، وهو الأقرب، ويَصح أن يكون منصوباً بفعل محذوف؛ أي: رَحمناهم رحمة، ويصح أن يكون حالاً من ضمير (المرسلين) أي: ذَوي رحمة، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿أَمْرًا﴾.

قوله: (﴿مِّن رَّبِّكَ﴾) مُتعلق بـ﴿رَحْمَةً﴾، وفيه التِفاتٌ من التكلم للغَيبة لمزيد الإرهاب والترغيب؛ فالإرهابُ للكفار، والترغيب للمُؤمنين.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾) تعليلٌ لما قبله، و(إنَّ): حرف توكيد ونصب، والهاء: اسمها، و﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: خبرٌ أول، و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: خبرٌ ثان، وقوله: ﴿رَبُّ﴾[1] خبرٌ ثالث كما قال المفسِّر؛ ففيه إشارةٌ لهذا الإعراب[2].

قوله: (فأيقِنُوا) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ جواب الشرط محذوفٌ، والجملة الشرطيَّة مُعترضةٌ بين الأخبار؛ فإنَّ قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبرٌ رابعٌ.

---

(١) في قراءة الرفع، وهي لغير الكوفيين. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٩١).

(٢) وقيل: الرفع على إضمار مبتدأ، أو على أنه مبتدأ، خبره: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦١٨).

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرۡتَقِبۡ ....

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

(﴿٩﴾ - ﴿١٢﴾) ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ﴾ مِن البَعثِ ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ استِهزاءً بِك يا مُحمَّد، فقال: «اللَّهمَّ أعِنِّي علَيهم بِسَبعٍ كسَبعِ يُوسف»، قال تَعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ لَهم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ﴾) بالرفع في قراءة العامَّة على أنه بدلٌ أو بيانٌ أو نعتٌ لـ(ربُّ السماواتِ والأرض) فيمَن رفعه، وقُرئ شذوذاً بالجرِّ، والنصبِ؛ فالأول: على أنه نعت لـ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في قراءة مَن جرَّه، والثاني: على المدح[1].

قوله: (﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ﴾) إضرابٌ عن محذوف، والمعنى: فليسُوا مُوقنِين، بل هم في شك، وقوله: (﴿يَلۡعَبُونَ﴾) حالٌ؛ أي: حالَ كونهم يَلعبون بظواهرهم من الأقوال والأفعال، والمراد بِلَعبِهم: انهماكُهم في الفاني، وإعراضُهم عن الباقي، قال تعالى: ﴿أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ﴾ [محمد: ٣٦].

قوله: (فقال: «اللهم أعنِّي عليهم بسبع سنين»[2]) هذا مُفرَّع على محذوف، أشار له المفسِّر بقوله: (استهزاء) أي: فلما استهزؤُوا به وكثر عنادُهم.. دعا عليهم بقوله: «اللهم أعنِّي عليهم» أي: على هُداهم، وفي الحقيقة: هو دعاءٌ لهم؛ لأنَّ من شأن النُّفوس أنها إذا شَبعت وكثُرَ عليها الخير.. تكبَّرت وطغَتْ وبغَتْ، فإذا جاعت واشتَدَّ بها الألم.. ذلَّت وصغُرَتْ ورجعَتْ لِلحق؛ لما ورَدَ: (أنَّ الله تعالى لما خلق النفس.. قال لها: «مَن أنا؟» قالت له: أنتَ أنت، وأنا أنا، فألقاها في بحر الجُوع، فذلَّت وقالت: أنت الله لا إله غيرُك)[3]، ومِن هنا كان تربية العارفين نُفوسَهُم بالجوع.

قوله: (قال تعالى) أي: إجابةً لدعوته، واختُلف هل حصَل ذلك والنبي ﷺ في مكةَ أو بعد هِجرته إلى المدينة[4]؟

---

(١) قرأ ابن محيصن وابن أبي إسحاق وأبو حيوة والحسن بالجرِّ، والأنطاكي بِالنصب. انظر «الدر المصون» (٩/٦١٨).

(٢) رواه البخاري (٤٨٢٢)، ومسلم (٢٧٩٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «بسبع كسبع يوسف»، ولعلَّ في نسخة المصنف رحمه الله زيادة (سنين).

(٣) لم أجِده فيما بين يديَّ من المصادر.

(٤) في (ب) زيادة: (وهو الراجح).

﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ....﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾؛ فأجدَبَت الأرضُ واشتَدَّ بِهِم الجُوعُ إلى أن رَأَوا مِن شِدَّته كهَيئةِ الدُّخان بينَ السَّماء والأرضِ، ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فقالُوا: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ﴾) مفعولٌ به، وعامِله ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾.

قوله: (﴿بِدُخَانٍ﴾) الدخان: بوزن (غُرَابٍ) و(خِيَارٍ)، و(رُمَّانٍ): الغُبار، والجمعُ: أَدخِنة، ودَواخن، ودَواخِين، والتلاوةُ وزن (غُراب).

قوله: (فأجدبت الأرض) أشار بذلك إلى حُصُول مَطلوبه فيهم بالفعل.

قوله: (كهيئة الدخان) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقةَ الدخان، بل رأَوا شيئاً يُشبِهه من ضعف أبصارهم، وهو قولُ ابن عباس ومقاتل ومجاهد وابنِ مَسعود، فلمَّا اشتد الأمر عليهم.. جاءه أبو سفيان فقال: يا محمد؛ جئتَ تَأمر بصلة الرحم، وإنَّ قومك قد هلكُوا؛ فادعُ الله أن يكشفَ عنهم، فدعا لهم بالمطر، فنزَل واستمرَّ عليهم سبعةَ أيام حتى تضرَّرُوا من كثرته، فجاء أبو سفيان وطلب منه أن يدعُوَ بِرفعه، فدعا، فارتفَع[1].

وقال ابن عمر وأبو هريرة وزيدُ بن علي والحسن: إنه دخان حقيقةً، يَظهر في العالم في آخِر الزمان، يكون علامةً على قرب الساعة، يَملَأ ما بين المشرق والمغرب، وما بين السماء والأرضِ، يَمكث أربعين يوماً وليلةً، أمَّا المؤمن فيُصِيبه كالزكام، وأما الكافر فيَصير كالسكران، فيَملأ جوفه، فيخرج مِن مِنخَريه وأُذنيه ودُبُره، وتكون الأرض كلُّها كبيتٍ أوقدت فيه النار[2].

قوله: (﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾) صفة ثانية لـ(الدخان)، والمرادُ بهم: قريش وأمثالُهم على ما قاله المفسِّر، وعلى القول الآخر يكون المرادُ بـ(الناس): جميعَ الموجودين في ذلك الوقت من المؤمنين والكفار[3].

---

(١) رواه البخاري (١٠٢٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) والقول الثالث: أنه الغبار الذي ظهَر يوم فتح مكة من ازدحام جُنود الإسلام حتى حجب الأبصار عن رُؤية السماء، قاله عبد الرحمن الأعرج. انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٣١).

(٣) وعلى القول الثالث يكون المراد بهم كلَّ من كان بمكة يومَ الفتح من المؤمنين والكافرين؛ فإن الغبارَ ارتفع على رؤوس الجميع. «فتوحات» (٤/ ١٠٦).

هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾

﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: مُصدِّقُون نبيَّك.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾) قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: لا يَنفَعهُم الإيمانُ عِند نُزُولِ العذابِ ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الرِّسالة، ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ﴾ أي: يُعَلِّمهُ القرآنَ بَشرٌ ﴿مَّجْنُونٌ﴾.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: الجُوعِ عَنكُم زَمَناً ﴿قَلِيلًا﴾، فكُشِفَ عَنهُم، ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلى كُفرِكُم، فعادُوا إليه. ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾) هذا وعدٌ منهم بالإيمان، وقد أخلفوه، وليس المراد أنهم آمنُوا حقيقةً ثم ارتدُّوا.

قوله: (أي: لا يَنفعهم الإيمان. . . إلخ) الأوضحُ أن يقول: (أي: لا يوفون بما وعدُوا من الإيمان عند كشفِ العذاب عنهم)[1]، فهو استبعادٌ لإيمانهم.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ﴾) أي: قالُوا في حقِّ النبي عليه السلام تارةً: إنه يُعلِّمه غلامٌ أعجميٌّ، وقالُوا تارةً: إنه مجنونٌ، وتقدم في سورة (النحل) في قوله: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾: أنَّ رجلاً اسمه جبر ـ وهو غلام عامر بن الحضرمي ـ ورجلاً اسمه يَسار كانا يَصنعان السيوف بمكةَ، ويَقرآن التوراة والإنجيل، فكان النبيُّ ﷺ يدخل عليهما ويَسمع ما يَقرآنه، فقال الكفار: إنما يُعلِّمه بشرٌ، فردَّ الله تعالى عليهم بِقوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ. . .﴾ الآية [النحل: ١٠٣][2].

قوله: (﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾) جوابٌ عن قوله: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾.

قوله: (﴿قَلِيلًا﴾) قيل: إلى يوم بَدر، وقيل: إلى ما بقي من أعمارِهم.

قوله: (فعادُوا إليه) أي: استمرُّوا عليه؛ لأنه لم يُوجد منهم إيمانٌ بالفعل.

---

(١) لأن انتفاء نفع الإيمان عند نُزول العذاب إنما هو في العذاب الذي يهلك؛ كما وقع لِبَعض الأمم السابقين كقوم لوط، والعذاب هنا هو الجوع والقحط، وهم لم يَموتوا منه؛ فلو آمنوا في هذه الحالة. . لصحَّ إيمانهم قطعاً. تأمَّل. «فتوحات» (٤/ ١٠٧).

(٢) انظر (٣/ ٥٩٦-٥٩٧).

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ ....

اذكُر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ هو يومُ بَدرٍ، ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ مِنهُم. والبَطشُ الأخذُ بِقُوَّة.

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: بَلَونا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ مَعهُ ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو مُوسى علَيهِ السَّلام ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله تَعالى، ﴿أَنْ﴾ أي: بِأن ﴿أَدُّوا إِلَيَّ﴾ ما أدعُوكُم إلَيهِ مِن الإيمانِ، أي: أظهِروا إيمانكُم بِالطاعةِ لِي يا ﴿عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على ما أُرسِلتُ بِه.

حاشية الصاوي

قوله: (اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بمحذوف، ويَصِحُّ أن يكون بدلاً من ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾.

قوله: (بلَونا) أي: امتحَنَّا، والمعنى: فعَلنا بهم فعلَ المُمتحن، بإقبال النِّعم عليهم منَّا ومُقابلَتهم لها بالكفر والطغيان.

قوله: (﴿قَبْلَهُمْ﴾) أي: قبل قريش.

قوله: (معه) أشار بذلك دفعاً لما يُتوهَّم من ظاهر الآية أنَّ الابتلاءَ لخصوص قومِ فرعون، فأجاب بأنَّ المراد: هو وقومه.

قوله: (﴿وَجَاءَهُمْ﴾) هو من جملة الممتحَن به.

قوله: (﴿كَرِيمٌ﴾ على الله) أي: عزيز عليه؛ حيث اختصَّه بالرسالة والكلام، وهذا ردٌّ لقول فرعون: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف: ٥٢]، كأنه قال: حاشا مُوسى من المهانة، بل هو كريمٌ عزيزٌ على ربِّه.

قوله: (أي: بأن) أشار بذلك إلى أنَّ (أَنْ) مَصدرية، ويصحُّ أن تكون مُفسِّرة، وأن تكون مُخففة من الثقيلة.

قوله: (﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾) مشى المفسِّر على أنَّ مفعول ﴿أَدُّوا﴾ محذوف، و﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾: منادى، وعليه: فالمراد بـ(عباد الله): فرعونُ وقومُهُ، وقيل: إنَّ ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ مفعول لـ﴿أَدُّوا﴾، والمراد بهم: بنو إسرائيل، ومعنى تأدِيتِهم إيَّاهم: إطلاقُهم من الأسر، يُشير إلى هذا قوله تعالى في سورة (الشعراء): ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧]، وعلى القولَين فالخطاب في ﴿أَدُّوا﴾ لفرعون وقومه.

قوله: (﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾) تعليلٌ للأمر، وقوله: (على ما أُرسلت به) مُتعلق بـ﴿أَمِينٌ﴾،

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ ....

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟﴾: تَتَجَبَّرُوا ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بِتَرْكِ طاعَتِه، ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾: بُرهانٍ ﴿مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٍ على رِسالَتي، فتَوَعَّدُوه بالرَّجم، فقال: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ بالحِجارةِ، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى﴾: تُصدِّقُوني ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾: فاترُكُوا أذايَ، فلَم يَترُكُوه: ....

حاشية الصاوي

والمعنى: مَأمون على ما أرسلني الله به؛ فلا أزيد ولا أنقص، وذكرُ الأمانة بعد الرسالة وإن كانت تَستلزمُها إشارةٌ إلى أنها وصفٌ شريفٌ يَنبغي الاعتناء به.

قوله: (﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾) عطفٌ على قوله: ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟﴾.

قوله: (تتجبَّروا على الله) فسَّر العلوَّ بالتجبُّر، وفسَّره غيرُه بالتكبُّر والبَغي والافتراء والتَّعاظم والاستكبار، وكلُّها مَعانٍ متقاربةٌ.

قوله: (﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم﴾) تعليلٌ للنهي.

قوله: (فتوعَّدوه بالرجم) ظاهرُه: أنه حين قال: إني آتِيكم بسلطان مُبين تَوعَّدوه بالرجم ولم يَتمَهَّلُوا مع أنه تقدَّم أنَّ فرعونَ قال له: ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦]، ومَكث بينهم مُدَّة عظيمة وهو يَأتيهم بالمعجزات الباهرة، ثمَّ لما تَوعَّدوه دعا عليهم، وحينئذٍ: فيكون بين ما هنا وما تقدَّم تَنافٍ.

فالجواب: أنَّ القصة ذُكِرَتْ هنا مُجملةً، وما تقدَّم ذُكرت مَبسوطة، وذكرُ الشيء مفصلاً ثمَّ مجملاً أَثْبَتُ في النفس.

قوله: (﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾) الياء فيه وفي قَوله: (﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾) مِن ياءات الزوائد؛ لا تَثبت في الرسم، وأمَّا في اللفظ فيَجوز إثباتها وحذفُها حالةَ الوصل فقط، وأمَّا في الوقف فيَتعيَّن حذفها.

قوله: (﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى﴾) اللام: بمعنى الباء، ويَصح أن تكون لامَ العِلة، والمعنى: إن لم تُصدِّقوني ولم تؤمنُوا بالله لأجل بُرهاني... إلخ.

قوله: (فاتركُوا أذاي) أي: لا تتعرَّضُوا لي بِسوء.

فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ....

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ﴾ أي: بأنَّ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ﴾: مُشرِكُون.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾) فقال تعالى: ﴿فَأَسۡرِ﴾ - بِقَطعِ الهَمزة ووَصلِها - ﴿بِعِبَادِي﴾: بَنِي إسرائيلَ ﴿لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يَتَّبِعكُم فِرعونُ وقَومُه، ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ﴾ إذا قَطَعتَه أنت وأصحابُك ﴿رَهۡوًاۖ﴾: ساكِناً مُنفرِجاً حتَّى يَدخُلَهُ القِبط، ﴿إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ﴾، فاطمَأنَّ بِذلك فأُغرِقُوا.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾) عطفٌ على مقدَّر، قدَّره بقَوله: فلم يَتركوه، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾... إلخ تعريضٌ بالدعاء، كأنه قال: فافعَل ما يَلِيق بهم.

و(أنَّ) بفتح الهمزة في قِراءة العامَّة، وقُرِئ شذوذاً بكسرِها على إضمار القول[1].

قوله: (بقطع الهمزة ووصلها) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان، ولُغتان جيِّدتان: الأُولى من: (أسرَى) والثانيةُ مِن: (سرَى)[2]، قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤]. والإسراء: السير ليلاً، وحينئذٍ: فذِكر الليل تأكيدٌ بغير اللفظ.

قوله: (إذا قطعتَه أنت وأصحابُك) هذا تعليمٌ لموسى بما يَفعله في سيره قبل أن يَسير، والمعنى: إذا سِرتَ بهم، وتَبِعك العدوُّ، ووصلتَ إلى البحر، وأمرناك بضربه، ودخلتُم فيه ونجوتُم منه.. فاترُكه بحاله، ولا تَضربه بعصاك لِيَلتئم، بل أبْقِهِ على حاله؛ لِيَدخله فرعون وقومُه، فيَنطبق عليهم.

قوله: (﴿رَهۡوًاۖ﴾) حال من ﴿ٱلۡبَحۡرَ﴾[3]، وهو في الأصل: مصدر (رهَا، يَرهُو، رَهْواً)؛ إمَّا بمعنى: سكَن، وإمَّا بمعنى: انفرج، والمفسِّر جمع بينهما.

قوله: (فاطمأنَّ بذلك) أي: بِقَوله: ﴿إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ﴾، والضميرُ في (اطمأن) عائدٌ على موسى.

---

(١) قرأ ابن أبي إسحاق وعيسى والحسن بالكسر على إضمارِ القول عند البصريين، وعلى إجراء (دعا) مَجرى القول عند الكوفيين. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٢٢).

(٢) قرأ نافع وابن كثير بِوَصل الهمزة بعد الفاء، والباقون بقَطعها. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٨٤).

(٣) ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً على أن (ترك) بمعنى (صير). انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٢٢).

كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ....

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٩﴾) ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ﴾: بَسَاتِينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾ تَجرِي، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: مَجلِسٍ حَسَنٍ، ﴿وَنَعْمَةٍ﴾: مُتْعةٍ ﴿كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾: ناعِمِينَ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ـ خبر مُبتدأ ـ أي: الأمرُ ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾ أي: أموالَهُم ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ أي: بَنِي إسرائيلَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ﴾) ﴿كَمْ﴾: مَفعول لـ﴿تَرَكُوا۟﴾، والمعنى: تركُوا أموراً كثيرةً، بيَّنها بقوله: ﴿مِن جَنَّٰتٍ﴾... إلخ.

قوله: (مجلسٍ حسنٍ) أي: مَحافلَ مُزيَّنةٍ، ومنازلَ حسنةٍ؛ كما هو مُشاهدٌ في منازلِ المُلوك الآن.

قوله: (مُتْعَةٍ) أي: أمورٍ يَتمتَّعون ويَنتفعون بها كالملابس والمراكب.

قوله: (﴿فَٰكِهِينَ﴾) العامَّة بالألف، وقُرئ شذوذاً بغير ألف، ومعنى الأولى: ناعِمِين ـ كما قال المفسِّر ـ أي: مُتنعِّمين، ومعنى الثانية: مُستخفِّين مُستهزئين بنعمة الله[1].

قوله: (خبرُ مبتدأ) أي: والوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾، والجملة معترضةٌ لتوكيد ما قبلها[2].

قوله: (أي: الأمر) أي: وهو إهلاكُ فرعونَ وقومِهِ.

قوله: (﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾) معطوف على ﴿كَمْ تَرَكُوا۟﴾، والمعنى: تركُوا أموراً كثيرة وأورَثنا تلك الأمورَ بني إسرائيل.

قوله: (أي: بني إسرائيل) فقد رجعُوا إلى مِصر بعد هلاك فرعون.

إن قلتَ: كيف قال الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ مع أنه تقدَّم أنَّ أموالهم طُمِست ومُسِخت حجارة؟

قلتُ: لعلَّ الجواب أنها بعد غرَقهم أُعيدت كما كانت إكراماً لبني إسرائيل، فحين رَجعُوا وَجدوها كما كانت قبل الطَّمس.

---

(١) قرأ الحسن وأبو رَجاء: (فكهين) بدُون ألِف. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٢٣).

(٢) قال الزمخشري: (الكاف منصوبة على معنى: مثلَ ذلك الإخراج أخرجناهم منها وأورَثناها قوماً آخرين ليسوا منهم)، فعلى هذا: يكون (وأورثناها) معطوفاً على تلك الجملة الناصبة للكاف؛ فلا يجوز الوقف على «كذلك» حينئذ. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٢٣)، و«الكشاف» (٤/ ٢٧٩).

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ....

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ بِخلافِ المُؤمِنين يَبكِي عليهِم بِمَوتِهِم مُصَلَّاهُم مِن الأرضِ ومَصعَدُ عَمَلِهم مِن السَّماء، ﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾: مُؤَخَّرِين لِلتَّوبة.

(﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾) ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: قَتلِ الأبناءِ واستِخدامِ النِّساء، ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ - قِيل: بَدَل مِن العَذاب بِتَقدِير مُضاف أي: عَذاب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾) اختُلف في البكاء؛ فقيل: حقيقة، وعليه: فقيل: هو واقعٌ من ذاتِ السماوات والأرض، ويُؤيِّده: ما ورَدَ: «**ما مِن مؤمنٍ إلا ولَه في السماء بابان: بابٌ يَنزل منه رزقه، وباب يَدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات.. فقَداه، فبَكيان عليه، وتلا: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾**»[1]، ويُؤيِّده أيضاً قول مجاهد: إنَّ السماء والأرض لَيَبكيان على المؤمن أربعين صباحاً، قال أبو يحيى: فعجبتُ من قوله، فقال: أتعجَب؟! وما لِلأرض لا تبكي على عبدٍ يَعمرُها بالركوع والسجود؟! وما للسماء لا تَبكي على عبدٍ كان لتكبيره وتَسبحيه فيها دَوِيٌّ كدَويِّ النحل؟![2]

وقيل: الكلام على حذفِ مضاف؛ أي: أهلُ السماوات والأرض.

وقيل: إنَّ بكاءهما حُمرةُ أطرافهما، ويُؤيِّده قول السُّدي: لَما قتل الحسين بن علي رضي الله عنه. بكت عليه السماء، وبكاؤها حمرتُها، وقول محمد بن سيرين: أخبرُونا أنَّ الحمرة التي تكون مع الشَّفق لم تكن حتى قُتل الحسين بن علي رضي الله عنه، وقال سليمان القاضي: مُطِرنا دماً يوم قتل الحُسين[3].

وقيل: إنَّ البكاء كنايةٌ عن عدم الاكتراث، وعدمِ المُبالاة بهم.

قوله: (﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾... إلخ) هذا من جُملة تَعداد النِّعَم على بني إسرائيل، والمقصودُ من ذلك: تسليتُه ﷺ، وتبشيرُه بأنه سيُنجيه وقومه المؤمنين من أيدي المشركين؛ فإنهم لم يَبلغُوا في التجبُّر مثلَ فرعون وقومه.

(١) رواه الترمذي (٣٢٥٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/ ٩٢).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٤١).

إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ ....

وقيل: حال من ﴿ٱلْعَذَابِ﴾ - ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

(﴿٣٢﴾ - ﴿٣٣﴾) ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي: بَنِي إسرائيلَ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ مِنَّا بِحالِهِم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: عالَمِي زَمانِهِم أي: العُقلاء، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾: نِعمةٌ ظاهِرةٌ مِن فَلْقِ البَحر والمَنِّ والسَّلْوَى وغيرِها.

(﴿٣٤﴾ - ﴿٣٦﴾) ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: كُفارَ مكَّةَ ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ﴾: ما المَوتةُ

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: حال من ﴿ٱلْعَذَابِ﴾) أي: مُتعلق بمحذوف، والمعنى: واقعاً من جهة فرعون.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾) خبرٌ ثانٍ لـ﴿كَانَ﴾، والمعنى: من المتجاوزين الحدَّ.

قوله: (﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾) «على»: بمعنى (مع)، وقوله: (﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) «على»: على بابها للاستعلاء، فاختلف معناهما، وحينئذٍ: فجاز تعلُّقهما بعامل واحد وهو (اخترنا).

قوله: (بحالهم) أي: بكونهم أهلاً لِلاصطفاء؛ لِكون أكثر الأنبياء منهم.

قوله: (أي: عالَمي زمانهم) دَفع بذلك ما يقال: إنَّ ظاهر الآية يدلُّ على كون بني إسرائيل أفضلَ من كلِّ العالمين مع أنَّ أمَّة محمد أفضلُ منهم، فدفع ذلك بأن المراد بـ(العالمين): عالِمُو زمانهم؛ فلا يُنافي أنَّ أمَّةَ محمد أفضلُ منهم.

قوله: (العُقلاء) المناسبُ أن يقول: (الثقلين)؛ فإنَّ من جُملة العقلاء الملائكةَ، وبنو إسرائيل ليسُوا أفضلَ منهم.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾) بيانٌ مُقدَّمٌ على المبيَّن.

قوله: (نِعمة ظاهرة) هذا تفسيرٌ للبلاء؛ فإنَّ البلاء مَعناه: الاختبار، وهو يكون بالمِحَن وبالنِّعم؛ هل يَصبر أو لا، وهل يشكر أو لا؟

قوله: (أي: كُفار مكة) إنما أشار إليهم بإشارة القريب؛ تحقيراً لهم، وازدراءً بهم.

قوله: (﴿لَيَقُولُونَ﴾) أي: جواباً لما قيل لهم: إنكم تَموتون موتة تعقبُها حياةٌ، دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾،

إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ....

التي بَعدها الحَياةُ ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: وهُم نُطَف، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾: بِمَبعُوثِين أحياءً بعدَ الثَّانِية، ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياءً ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أنَّا نُبعَثُ بعدَ مَوتِنا، أي: نُحيَا.

﴿٣٧﴾ قال تَعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

كأنهم قالُوا: مسلَّمٌ أنَّ لنا مَوتةً تعقبها حياةٌ، لكن المراد بها الأُولى، وهي حال النُّطفة، لا الثانية التي ينقضي بها العمر؛ فإنها لا تَعقبُها حياةٌ.

قوله: (﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾) هذه الآية نظيرُ قوله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

قوله: (﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾) أي: أحيُوهم لنا؛ لِيُخبرونا بِصدقكم.

قوله: (﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾) أي: في أمور الدنيا.

قوله: (﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾) هو تُبَّع الحميريُّ، أبو كرب[١]، واسمه أسعَد، وإليه تَنسب الأنصارُ بني الحيرة ـ بكسر الحاء، بعدها مثناة تحتية، فراء مهملة: مَدينة بقرب الكوفة ـ وبني سمرقند، وأراد غزْوَ البيت وتخريبَ المدينة، فأُخبر بأنها مُهاجر نبيٍّ اسمه أحمد، فكفَّ عنهما، وكسا البيت بالحبرة، وكتب كتاباً وأودَعه عند أهل المدينة، وكانُوا يَتوارثونه كابراً عن كابر إلى أن هاجر النبي ﷺ، فدفعُوه إليه، يقال: إنَّ الكتاب عند أبي أيُّوب خالد بن زيد، وفيه: [المتقارب]

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدٍ أَنَّهُ ... رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بارِيْ النَّسَمْ

فَلَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلَى عُمْرِهِ ... لَكُنْتُ وَزِيراً لَهُ وابْنَ عَمْ

أمَّا بعد: فإني آمَنتُ بك وبكتابك الذي يُنزل عليك، وأنا على دينك وسُنَّتك، وآمنتُ بربِّك وربِّ كلِّ شيءٍ، وآمنتُ بكلِّ ما جاء من ربِّك من شرائع الإسلام؛ فإن أدركتُك.. فبها ونِعمت، وإن لم أُدركك.. فاشفَع لي، ولا تنسني يوم القيامة؛ فإني من أُمَّتك الأوَّلين، وبايَعتك قبل مجيئك،

(١) في (أ): (أبو كريب)، والمثبت من (ب)، وهو كذلك في كتب السيرة.

﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا ....﴾

هو نَبِيٌّ أو رَجُل صالِح، ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِن الأُمَم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بِكُفرِهِم، والمَعنى: لَيسُوا أقوَى مِنهُم وأُهلِكُوا، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾) ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ بِخَلقِ ذلكَ - حالٌ -، ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ وما بَينَهما ....

حاشية الصاوي

وأنا على مِلَّتك وملَّة أبيك إبراهيم عليه السلام، ثمَّ ختم الكتاب ونقَش عليه: (لله الأمر من قبل ومن بعد)، وكتَب على عُنوانه: إلى محمد بن عبد الله، نبيِّ الله ورسولِه، خاتم النبيين، ورسولِ رب العالمين ﷺ، من تُبَّع الأول. وكان مِن اليوم الذي مات فيه تبَّع إلى اليوم الذي بُعث فيه النبي ﷺ ألف سنةٍ لا يَزيد ولا ينقص[1].

قوله: (هو نبيٌّ أو رجلٌ صالح) (أو): لحكاية الخلاف، فالقولُ الأول لابن عباس، والثاني لعائشة رضي الله عنها، وكان ملكاً من الملوك، وكان قومُه كُهَّاناً، وكان معهم قومٌ من أهل الكتاب، فأمر الفريقَين أن يُقرِّبَ كلُّ فريق منهم قرباناً، ففعلُوا، فتُقُبِّل قربانُ أهل الكتاب، فأسلَم.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾) عطفٌ على ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾، وقوله: (﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾) حالٌ من المعطوف والمعطوفِ عليه.

قوله: (﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾... إلخ) هذا دليلٌ على صِحَّة الحشر ووُقُوعه، وذلك أنَّ الله تعالى خلَق النوع الإنساني، وخلَق له ما في الأرض جميعاً، وكلَّفه بالإيمان والطاعة، فآمَن البعض، وكفر البعض، وختَم الله في سابق أزَلِه أن النَّعيم لِلمؤمن، والعقاب للكافر، وذلك لا يَكون في الدنيا؛ لعدم الاعتداد بها؛ فحينئذٍ: لا بُدَّ من البعث؛ لِتُجزى كلُّ نفسٍ بما كسَبت.

قوله: (﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾) أي: بين الجنسَين.

قوله: (حال) أي: وهي لا يُستغنى عنها[2].

---

(١) أورده العلَّامة الشامي في «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٢٧٤) عن ابن إسحاق وابن هشام.

(٢) وقولهم في تعريف الحال: (هو وصف فضلة يقع في جواب «كيف»).. المراد بالفضلة: ما يَقع بعد تمام الجملة، لا ما يَصح الاستغناء عنه. انظر «شرح قطر الندى» (ص٢٣٥).

إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ....

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مُحِقِّينَ في ذلك؛ لِيُستدلَّ به على قُدرَتِنا ووَحدانيَّتِنا وغيرِ ذلك، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: كُفَّار مكَّة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾) ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: يومَ القِيامةِ يَفصِلُ اللهُ فِيه بينَ العِباد ﴿مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لِلعَذابِ الدَّائِم، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾ بِقَرابةٍ أو صَداقةٍ أي: لا يَدفَعُ عنهُ ﴿شَيْـًٔا﴾ مِن العذابِ ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعُون مِنهُ - و﴿يَوْمَ﴾ بدَل مِن ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ -.

﴿٤٢﴾ ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ وهُم المُؤمِنُون؛ فإنَّهُ يَشفَع بَعضُهُم لِبَعضٍ بِإذنِ الله، ......

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مُحقين في ذلك) أي: لَنَا فيه حكمةٌ، وقد بيَّنها المفسِّر بقوله: (ليستدل به... إلخ).

قوله: (﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾) أي: ليس عِندهم علمٌ بالكليَّة.

قوله: (﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾) الإضافةُ على معنى اللام.

قوله: (﴿مِيقَٰتُهُمْ﴾) أي: مَوعدهم، والمرادُ: جميعُ الخلق.

قوله: (للعذاب الدائم) أي: لِلكفار، والنعيم الدائم لِلمؤمنين.

قوله: (﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى﴾) المولى: يُطلَق على المُعتق - بالكسر والفتح - وابن العم، والناصِر، والجار، والحَليف.

قوله: (بقرابة) أي: بسببها.

قوله: (﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾) الضمير لـ(المولى)، وجُمع باعتبار المعنى، وهذه الجملة توكيدٌ لما قبلها، والمعنى: لا يَنصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما عُلْقَةٌ من قَرابة أو صداقة أو غيرِهما.

قوله: (﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾) يصحُّ أن يكون الاستثناء مُتصلاً والمعنى: لا يُغني قريبٌ عن قريب إلا المؤمنين فإنه يُؤذَن لهم في الشفاعة، فيَشفعون لبعضهم، وهو ما مشى عليه المفسِّر، ويصحُّ أن يكون منقطعاً؛ أي: ولكن مَنْ رحم الله لا يَنالهم ما يحتاجون فيه إلى مَنْ يَنفعهم من المخلُوقين.

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ ....

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالِبُ في انتِقامِه مِن الكُفَّار، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بِالمُؤمِنين.

(﴿٤٣﴾ - ﴿٤٦﴾) ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ هي مِن أخبَثِ الشَّجَر المُرِّ بِتِهامةَ، يُنبِتُها الله تَعالى في الجَحِيم، ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ أَبِي جَهلٍ وأصحابِه ذَوِي الإثمِ الكَبِير، ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ أي: دُردِيِّ الزَّيت الأسوَدِ ـ خَبَر ثانٍ ـ ﴿تَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ ـ بِالفَوقانيَّة خَبَر ثالِث، وبالتَّحتانيَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾... إلخ) تعليلٌ لما قبله.

قوله: (﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾) تُرسم ﴿شَجَرَتَ﴾ بالتاء المجرورةِ في هذا الموضع دون غيره من القُرآن، ويوقف عليه بالهاء والتاء[1]، وأمَّا غيرُ هذا الموضع.. فتُرسم بالهاء، ويُوقف عليها بالهاء لا غير.

والزَّقوم: يُطلق على نبات البادية، له زهرٌ ياسمينيُّ الشكل، طعامُ أهل النار، ويُطلق على شجر له ثمر كالتمر، وله دهنٌ عظيم المنافع، عجيبُ الفعل في تحليل الرياح الباردة، وأمراض البلغم، وأوجاع المفاصل، وعِرق النسا، والريح الساقطة في الورك، يُشرب زِنة سبعة دراهم ثلاثة أيام، وربما أقام الزمنى والمقعَدِين، ويقال: أصله: الإهْلِيلَجُ الكابلي[2].

قوله: (أي: كدرديِّ الزيت الأسود) هذا أحد مَعاني (المُهل)، ويُطلَق على القَيح والصديد والنُّحاس المُذاب.

قوله: (وبالتحتانية) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[3].

---

(١) وقف عليها بالهاء أبو عمرو وابن كثير والكسائي، ووقف الباقُون بالتاء على الرسم. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٨٩).

(٢) الإهليلج: ثمرٌ على هيئة حَبِّ الصنوبر الكبار، منه أصفَر، ومنه أسود وهو البالغ النُّضج.

(٣) قرأ ابن كثير وحفص بالياء من تحت، والفاعل ضمير يعود على (طعام)، وجوَّز أبو البقاء أن يعودَ على (الزقوم)، وقيل: يعود على المهل نفسه، والباقون (تغلي) بالتاء من فوق، على أن الفاعل ضمير الشجرة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٢٨).

كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ....

حالٌ من (المُهل) ـ، ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾: الماءِ الشَّدِيدِ الحَرارةِ.

(﴿٤٧﴾ - ﴿٤٩﴾) ﴿خُذُوهُ﴾ يُقالُ لِلزَّبانِية: خُذُوا الأثِيمَ ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ ـ بِكَسرِ التَّاء وضَمِّها ـ: جُرُّوهُ بِغِلظةٍ وشِدَّة ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وسَطِ النَّار، ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: مِن الحَمِيمِ الذِي لا يُفارِقُه العَذابُ، فهو أبلَغُ مِمَّا في آيةِ ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩]، وَيُقالُ لَه: ﴿ذُقْ﴾ أي: العَذابَ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ بِزَعمِك ....

حاشية الصاوي

قوله: (حال من «المُهل») الأظهَر: أنه حال من ﴿طَعَامُ﴾؛ لأنَّ المراد وصفُ الطعام المشبَّه بالمهل بالغلَيان، لا وصف المهل؛ لأنه لا يَتَّصف بذلك.

قوله: (﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾) صفة لمصدر محذوف؛ أي: تغلي غَلْياً مثلَ غلْيِ الحميم.

قوله: (بكسر التاء وضمها) أي: فهما قِراءتان سبعيَّتان، من باب: (ضرَب) و(نصَر)[1].

قوله: (جُرُّوه بغِلظةٍ) أي: أو اضرِبُوه بالعَتَلَةِ، وهي ـ بفتحتَين ـ العصا الضَّخمة من الحديد، لها رأسٌ.

قوله: (﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ﴾) أي: ليكونَ مُحيطاً بجميع جسَده.

قوله: (﴿مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾) هو من إضافة الصفة للموصوف.

قوله: (أي: مِن الحميم الذي. . . إلخ) فإذا صُبَّ عليه الحميمُ. . فقد صُبَّ عليه عذابُهُ وشدَّتُهُ.

قوله: (ويقال له: ﴿ذُقْ﴾) الأمرُ للإهانة والتحقير.

قوله: (﴿إِنَّكَ﴾) بفتح الهمزة على معنى التعليل، وكسرها على الاستئناف المفيدِ لِلعِلَّة، قراءتان سبعيَّتان[2]، ووصفُه بهذَين الوصفين للتهكُّم والاستهزاء.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضمِّ عين (اعتلُوه)، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٢٨).

(٢) قرأ الكسائي بفتح الهمزة على معنى العلة أي: لأنك، وقيل: تقديره: ذُق عذاب أنك أنت العزيز، والباقون بالكسر. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٢٩).

إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ....

وقَولِك: ما بينَ جَبَلَيها أعَزُّ وأكرَمُ مِنِّي.

﴿٥٠﴾ ويُقالُ لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي تَرَونَ مِن العَذاب ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ فيه: تَشُكُّون.

(﴿٥١﴾ - ﴿٥٣﴾) ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ﴾: مَجلِس ﴿أَمِينٍ﴾: يُؤمَن فِيه الخَوف، ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقَولك) تفسير لقوله: (بزعمك)، وقوله: (ما بين جبليها) أي: مكة.

قوله: (﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾) الجمعُ باعتبار المعنى؛ لأنَّ المراد جنس الأثيم.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾) مُقابل قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾؛ لأنه جرَت عادة الله تعالى في كتابه أنه إذا ذكَر أحوال أهل النار.. أتبعَه بِذكر أحوال أهل الجنَّة.

وقوله: ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الشِّركَ؛ بأن ماتُوا على التوحيد، وهذا أعَمُّ من أن يكونُوا في أعلى مَراتب التقوى، وهي تقوَى الأغيار؛ بألَّا يَخطُرَ الغير ببالهم، أو أوسَطها، وهي تقوى المعاصي؛ بفعل الطاعات، أو أدناها، وهي تقوَى مجرَّد الشركِ بالإيمان.

قوله: (﴿فِى مَقَامٍ﴾) بفتح الميم وضمِّها، قراءتان سبعيَّتان؛ فالفتحُ هو موضع القيام ومكانُه، والضمُّ موضعُ الإقامة والمكث[1].

قوله: (يُؤمَن فيه الخوف) أي: من الخَلق والخالق، والمعنى: تَطمئِنُّ فيه النفس ولا تنزَعجُ من شيءٍ أصلاً؛ فأهلُ الجنة آمِنُون مِن غضب الله، ومِن جميع ما يُؤذي في البدن والأهل والمال، وآمِنُون مِن خُطور الأكدار بِبالهم.

قوله: (﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾... إلخ) بدلٌ مِن ﴿مَقَامٍ﴾، وتقديمُه عليه من باب: تقديم التَّخلية على التحلية؛ لأنَّ الأمنَ مِن المخاوف تخليةٌ، وكونَهم في جنات وعُيون... إلخ تحليةٌ.

قوله: (﴿وَعُيُونٍ﴾) أي: أنهارٍ تجري تحت القُصُور.

قوله: (﴿يَلْبَسُونَ﴾) خبرٌ آخرُ لـ﴿إِنَّ﴾، أو مُستأنف.

---

(١) ضمَّ ميمَ (مقام) المدنيان والشامي، وفتحها غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٩٢).

﴿مُتَقَـٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤ ....﴾

أي: ما رَقَّ مِن الدِّيباجِ وما غَلُظَ مِنهُ، ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ - حالٌ - أي: لا يَنظُرُ بَعضُهم إلى قَفَا بعضٍ لِدَوَرانِ الأسِرَّة بِهِم.

(٥٤ - ٥٥) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يُقدَّر قبلَه الأمرُ، ﴿وَزَوَّجۡنَـٰهُم﴾ مِن التَّزوِيج أو قَرَنَّاهُم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ : ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: ما رقَّ من الدِّيباج... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ، والديباج هو: الحرير.

إن قُلتَ: كيف يكون لُبس الغليظ من الحرير نعيماً في الجنَّة مع أنه في الدنيا رُبما كان غيرَ نعيمٍ؟

أُجيب: بأنَّ غليظ حرير الجنة ليس كغَليظ حرير الدنيا، بل هو أعلى، على أنَّ من غَليظ حرير الدنيا ما يُؤْلَفُ ويُنعم به؛ كالقَطيفة مثلاً.

قوله: (﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾) أي: يُواجِه بعضُهم بعضاً؛ لِيَحصُلَ الأُنس لبعضهم بعضاً، وهذا في غير وقت النظر إلى وجهِ الله الكريم، وأمَّا عنده فينَسَون النَّعيمَ بل ومُقابلةَ إخوانهم؛ لكونه أعلى نعيم الجنة رُتبةً، ومن هنا قيل: إنَّ حكمة المقابَلة في حِلَق العلم والذكر في الدنيا التشبُّهُ بمجالس الجنَّة والأنسُ بِمُقابلة الإخوان، وحِكمة الاصطفاف في الصلاة وعدم المقابلة فيها التشبُّه بالنظرِ إلى وجه الله الكريم في الجنَّة؛ لأنَّ في الصلاة إقبالاً بِالكلية على الله تعالى، وقَطعاً لِلشواغل.

قوله: (أي: لا يَنظر بعضهم إلى قفَا بعض) أي: لأن النظر لِلقفا ممَّا يُحْزِنُ، ولا حزنَ في الجنة.

قوله: (يقدَّر قبله «الأمر») أي: فهو مبتدأ، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبر، والجملةُ مُعترضةٌ لِتَقرير ما قبلها.

قوله: (﴿وَزَوَّجۡنَـٰهُم﴾) عطف على قوله: ﴿يَلۡبَسُونَ﴾.

قوله: (من التزويج) أي: وهو جعلُ الشيء زوجاً، والمعنى: جعَلناهم اثنَين اثنين؛ لقوله: (أو قرناهم) مُرادف له، وليس المرادُ بالتزويج الإنكاحَ بالعقد؛ فإنه لا قائلَ به.

قوله: (﴿عِينٍ﴾) جمع (عَيناء)، وأصله: (عُيْنٍ) بضمِّ العين وسكون الياء، فكُسرت العينُ لِتَصِحَّ الياء.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧)﴾ ....

بِنساءٍ بِيض واسِعاتِ الأعيُنِ حِسانِها، ﴿يَدْعُونَ﴾: يَطلُبُون الخَدَم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجَنَّةِ أن يَأتُوا ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ مِنها ﴿آمِنِينَ﴾ مِن انقطاعِها ومَضَرَّتها ومِن كُلِّ مَخُوفٍ ـ حالٌ ـ.

(﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾) ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ أي: التي في الدُّنيا بعدَ حَياتِهم فِيها، قال بَعضُهم: (إلَّا) بِمعنى (بعد)، ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا﴾ ـ مَصدَر بِمَعنى تَفَضُّلاً، مَنصُوب بِـ(تفضَّل) مُقدَّراً ـ ﴿مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بنساء بيض) تفسيرٌ لـ(الحور)، وقولُه: (واسعات الأعين) تفسيرٌ لـ(عين)، وهذا على أنَّ المراد بالحَوَرِ البياضُ مُطلقاً، وقيل: الحَوَرُ: شدَّة بياض العين، وشدَّة سَوادها، واختُلف هل الأفضلُ في الجنَّة نساء الدنيا أو الحُورُ العين، والحقُّ: أنَّ نساء الدنيا أفضلُ؛ لِما روي: «أنَّ الآدميَّات أفضَلُ مِن الحور العين بسبعينَ ألفَ ضِعف»[1].

قوله: (﴿يَدْعُونَ﴾) حال من الهاء في (زوَّجناهم).

قوله: (﴿لَا يَذُوقُونَ﴾) حالٌ من الضمير في ﴿آمِنِينَ﴾.

قوله: (قال بعضهم) هو الطبري، وبهذا اندفَع ما قيل: كيف قال في صِفة أهل الجنة ذلك مع أنهم لم يَذُوقوه فيها أصلاً[2]؟ وهذا القولُ وإن كان يَدفع الإشكال إلا أنَّ مجيء (إلا) بمعنى (بعد) لم يَرِد، وبعضهم يجعلُ الاستثناء منقطعاً، والمعنى: لكن الموتةَ الأولى قد ذاقوها.

قوله: (منصوب بـ«تفضَّل») أي: على أنه مفعول مُطلق[3].

قوله: (﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾) أي: لأنه خُلوصٌ من المكاره، وظفرٌ بالمطلوب.

---

(١) روى الطبراني في «المعجَم الأوسط» (٣/ ٢٧٩) عن سيِّدتنا أم سلمة رضي الله عنها: قُلت: يا رسول الله؛ أنساء الدنيا أفضل أم الحُور العين؟ قال: «بل نساء الدنيا أفضَل من الحور العين كفَضل الظهارة على البطانة»، وانظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٥٤).

(٢) انظر «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٤).

(٣) وقيل: هو مفعول من أجلِه، وهو مُراد مكي حيث قال: (مصدر عمل فيه «يدعون»)، وقيل: العامل فيه (ووقاهم)، وقيل: (آمنين)، فهذا إنما يَظهر على كونه مفعولاً من أجلِه. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٣٢).

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

(﴿٥٨﴾ - ﴿٥٩﴾) ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾: سَهَّلنا القُرآنَ ﴿بِلِسَانِكَ﴾: بِلُغَتِك لِتَفهَمَهُ العَرَب مِنك؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُون فيُؤمِنُون، لَكنَّهُم لا يُؤمِنُون، ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾: انتَظِرْ هَلاكَهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: هَلاكَك، وهذا قبلَ نُزُول الأمرِ بِجِهادِهم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾) هذا إجمالٌ لما فصِّل في السورة، كأنه قال: ذكرُ قومِكَ بهذا الكتاب المُبين، فإننا سهَّلنا عليك تلاوتَهُ وتبليغَهُ إليهم.

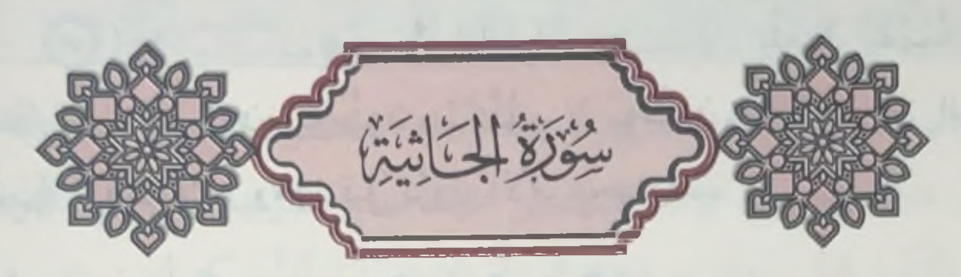
قوله: (لكنهم لا يُؤمنون) دخول على قوله: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾.

قوله: (﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾) أشار المفسِّر إلى أنَّ مفعول كلٍّ محذوفٌ، قدَّر الأوَّلَ بقوله: (هلاكهم)، والثانيَ بقوله: (هلاكك).

قوله: (وهذا قبل الأمرِ بالجهاد) أي: فهو منسوخٌ؛ لأنَّ معنى (ارتقب): أَمهِلهُم من غير قتال حتى يَحكم الله بينك وبينهم.

✿ ✿ ✿

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ ....



مَكيَّة، إلَّا ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ الآيةَ. وهي سِتٌّ أو سبعٌ وثلاثُون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حمٓ﴾ الله أعلَم بِمُرادِه به، ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ـ مُبتدأ ـ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ ـ خبرُه ـ ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ في مُلكِه ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ في صُنعِه.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

سمِّيت باسم كلمةٍ منها، وهي قوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗ﴾، وتسمَّى سورة الشريعة؛ لقوله فيها: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ﴾.

قوله: (مكيَّة إلا قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... إلخ) أي: إلى قوله: ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾، وهو قول ابن عباس وقتادةَ، قالا: إنها نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ عابَهُ عبد الله بن أبيٍّ، فأراد عمر قتلَه، فنزلت.

وقيل: مكيَّة كلُّها حتى هذه الآية؛ فإنها نزَلت في عمر أيضاً؛ شتَمه رجلٌ في مكة من الكفار، فأراد قتلَه، فنزَلت، ثمَّ نُسخت بآية الجهاد[1].

قوله: (﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبرُهُ) أي: متعلِّق بمحذوف، تقديره: كائنٌ.

قوله: (﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ في مُلكه) أي: الغالبِ على أمرِه.

قوله: (﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ في صنعه) أي: الذي يَضع الشيء في مَحلِّه، فاقتَضت حِكمتُهُ تعالى إنزالَ أشرفِ الكتب وهو القرآنُ، على أشرفِ العَبيد وهو محمد ﷺ.

---

(١) انظر القولَين في «زاد المسير» (٤/ ٩٨).

إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

(﴿٣﴾ - ﴿٤﴾) ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في خَلقِهما ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دالَّة على قُدرةِ الله تَعالى ووَحدانِيَّتِه ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾ أي: في خَلقِ كُلٍّ مِنكُم مِن نُطفة ثُمَّ عَلَقة ثُمَّ مُضغةٍ إلى أن صار إنساناً، ﴿وَ﴾ خَلقِ ﴿مَا يَبُثُّ﴾: يُفرِّق في الأرضِ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ هي ما يَدِبُّ على الأرض مِن النَّاس وغيرِهم ﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ بِالبَعثِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ . . . إلخ) ذكر الله سبحانه وتَعالى هنا مِن الدلائل ستةً في ثلاثِ فواصل، وختَم الأولى بـ(المؤمنين)، والثانية بـ(يُوقنون)، والثالثة بـ(يعقلون)، ووجهُ التغاير: أنَّ الإنسان إذا تأمَّل في السماوات والأرض، وأنَّه لا بدَّ لهما من صانعٍ. . آمَن، وإذا نظر في خلق نفسِه ونحوها. . ازداد يقيناً، وإذا نظَر في سائر الحوادث. . كمل عقلُه، واستحكم عِلمه.

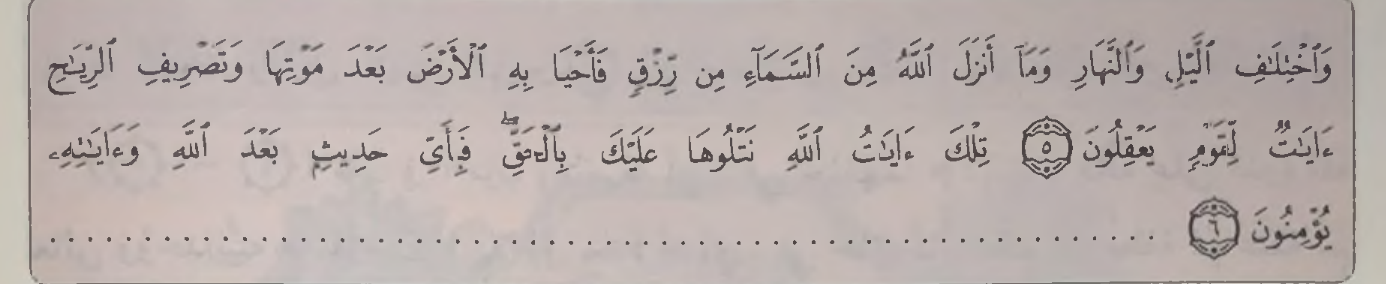
قوله: (أي: في خلقهما) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف، يَدلُّ عليه التصريح به في سورة (البقرة) في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وما في سورة (آل عمران): ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

قوله: (﴿لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) بالنصب بالكسرة باتِّفاق القُراء؛ لأنه اسم (إن)، وأمَّا ما يأتي في قوله: ﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤]، و﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥]. . ففيه قراءتان سبعيَّتان: الرفع، والنصبُ بالكسرة؛ فالرفعُ على أنَّ قوله: (في خلقكم) خبرٌ مقدَّم، و(آياتٌ) مبتدأٌ مؤخَّر، والجملةُ معطوفة على جملة ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والنصب على أن (آيات) معطوف على (آيات) الأول الذي هو اسمُ (إن)، وقوله: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الواقع خبراً لـ(إن)؛ ففِيه العطف على معمُولي عامل واحد، وهو جائزٌ باتفاق[1].

قوله: (﴿وَ﴾ خلق ﴿مَا يَبُثُّ﴾) أشار بذلك إلى أنه معطوفٌ على ﴿خَلۡقِكُمۡ﴾ المجرورِ بـ(في) على حذفِ مضاف.

قوله: (هي ما يَدِبُّ) أي: يتحرَّك.

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر التاء، والباقون بالرفع. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٩٣).



﴿٥﴾ ﴿وَ﴾ في ﴿ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: ذهابِهما ومَجيئِهما ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾: مَطرٍ لأنَّه سببُ الرِّزق، ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: تَقليبِها مَرَّةً جَنُوباً ومرَّةً شِمالاً وبارِدةً وحارَّةً ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدَّليلَ فيُؤمِنُون.

﴿٦﴾ ﴿تِلْكَ﴾ الآياتُ المَذكُورةُ ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: حُجَجُه الدَّالَّةُ على وَحدانِيَّتِه ﴿نَتْلُوهَا﴾: نَقُصُّها ﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ - مُتعلِّق بـ(نَتلو) - ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: حَديثِه وهو القُرآن ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾: حُجَجِه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كُفَّارُ مكَّةَ؟ أي: لا يُؤمِنُون، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿و﴾ في ﴿ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾) أشار المفسِّرُ إلى أنَّ حرف الجرِّ مُقدَّر[1]، يُؤيِّده القراءة الشاذَّة بإثباتِه.

قوله: (﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾) أي: يَبَسِها.

قوله: (وباردةً وحارة) لفٌّ ونشرٌ مشوَّشٌ، وترك الصبا والدَّبور، فالرياحُ أربعٌ.

قوله: (﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ، وجملة ﴿نَتْلُوهَا﴾ حال[2].

قوله: (الآيات المذكورة) أي: وهي السماوات والأرض وما بعدهما.

قوله: (مُتعلق بـ«نتلو») أي: على أنه عامِل فيه مع كونه حالاً، والباء للملابسة.

قوله: (أي: لا يُؤمنون) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ.

---

(١) وليس (اختلاف) مجروراً بواو العطف على (إن في السماوات) حتى لا يَلزم العطف على معمُولي عاملين مختلفَين في قراءة من نصب (آيات)، وحرف الجرِّ إذا دلَّ عليه دليلٌ. . جاز حذفُه وإبقاء عمله، وأنشد سيبويه:

الآنَ قرَّبتَ تهجُونا وتَشتمُنا ... فاذهَب فما بِك والأيامِ مِن عجَب

تقديره: (وبالأيام)؛ لِتَقدم الباء في (بك)، ولا يجوز عطفه على الكاف؛ لأنه ليس من مذهبه العطفُ على الضمير المجرور دون إعادة الجارِّ، ويدل عليه قراءةُ سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (وفي اختلاف) مصرحاً بـ(في) كما بيَّن المصنف رحمه الله. وانظر «الدر المصون» (٩/ ٦٣٦).

(٢) ويجوز أن تكون خبراً لـ(تلك)، و(آيات الله) بدل، أو عطف بيان؛ كما بيَّن العلامة السَّمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٦٤٠).

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ ....

ـ وفي قِراءة بِالتَّاء ـ.

(٧ - ٨) ﴿وَيْلٌ﴾ ـ كلِمةُ عَذاب ـ ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كَذَّاب ﴿أَثِيمٍ﴾: كَثيرِ الإثم، ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنَ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كُفرِه ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: مُتكبِّراً عن الإيمانِ ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِم.

(٩ - ١٠) ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: القُرآنِ ﴿شَيْـًٔا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[1].

قوله: (كلمة عذاب) أي: فيُطلق على العذاب، ويُطلَق على وادٍ في جهنم.

قوله: (كذَّاب) أي: كثير الكذب على الله، وعلى خَلقِه.

قوله: (كثير الإثم) أي: المعاصي.

قوله: (﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾) إمَّا مستأنف، أو حال من الضمير في ﴿أَثِيمٍ﴾.

قوله: (﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾) حال من ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

قوله: (﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كُفره) (ثم): لِلترتيب الرتبي، والمعنى: إصرارُه على الكفر حاصلٌ بعد تقريرِ الأدلة المذكوْرة وسماعِهِ.

قوله: (﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾) ﴿كَأَن﴾: مُخففة، حُذف منها ضمير الشأن، والجملة إمَّا مُستأنفة، أو حال.

قوله: (﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾) سمَّاه بشارةً؛ تَهكُّماً بهم؛ لأنَّ البشارة هي: الخبر السَّارُّ.

قوله: (﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾) أي: إذا بلَغه شيءٌ وعَلم أنه من آياتنا.. اتخذها هزواً.. إلخ، وذلك نحو قوله في الزَّقوم: إنه الزُّبدُ والتمر، وقوله في خزَنة جهنَّم: إن كانُوا تسعة عشر، فأنا ألقاهم وَحدي[2].

---

(١) قرأ ابن عامر وشعبة والكسائي بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة، رَدُّوه على قوله تعالى: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾، وهو أقوى تبكيتاً. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٩٣).

(٢) القائل أبو جهل؛ كما في «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٥٨).

ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ ....

﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾ أي: مَهزُوءاً بِها، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الأفَّاكُون ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾: ذُو إهانةٍ، ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ﴾ أي: أمامَهُم لِأنَّهُم في الدُّنيا ﴿جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ﴾ مِن المالِ والفِعالِ ﴿شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنامُ ﴿أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿١١﴾ ﴿هَٰذَا﴾ أي: القُرآنُ ﴿هُدٗىۖ﴾ مِن الضَّلالةِ، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ﴾: حَظٌّ ﴿مِّن رِّجۡزٍ﴾ أي: عذابٍ ﴿أَلِيمٌ﴾: مُوجع.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ﴾: السُّفُن ﴿فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ﴾: بِإذنِهِ ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾: تَطلُبُوا بِالتِّجارةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ﴾) أنَّث الضمير مع أنه عائدٌ على ﴿شَيۡـٔٗا﴾ وهو مذكَّر؛ مراعاةً لِمَعناه وهو الآية، ويَصح عَودُه على ﴿ءَايَٰتِنَا﴾.

قوله: (أي: الأفَّاكون) جمع باعتبار معنى (الأفاك)، وراعى أوَّلاً لفظه فأفرد.

قوله: (أي: أمامَهم) أشار بذلك إلى أنَّ الوراء كما يُطْلَقُ على الخلف. يُطلق على الأمام؛ كالجَوْنِ يُستعمل في الأبيض والأسوَدِ على سبيل الاشتراك.

قوله: (﴿مَّا كَسَبُواْ﴾) ﴿مَّا﴾: مصدرية؛ أي: كَسبهم، أو موصولة؛ أي: الذي كسبُوه، وهذان الوجهان يجريان في قوله: ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ﴾، ومقتضى عبارة المفسِّر أنها فيهما موصولة؛ حيث قال في الأول: (من المال والفعال)، وقال في الثاني: (أي: الأصنام).

قوله: (﴿هَٰذَا هُدٗىۖ﴾) أي: لِمن أذعن له واتَّبعه وهم المؤمنون، ووَبالٌ وخسرانٌ على الكفار، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ٨٢].

قوله: (﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾) أي: حلواً أو مِلْحاً؛ والمعنى: ذلَّله وسهَّل لكم السير فيه؛ بأن جعَله أملسَ الظاهر، مستوياً شفافاً، يحمل السفن، ولا يمنع الغوصَ فيه.

قوله: (بإذنه) أي: إرادته ومشيئته، ولو شاء.. لم تَجْرِ.

قوله: (بالتجارة) أي: والحجِّ والغزو وغير ذلك من المصالح الدينيَّة والدنيويَّة.

مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ ....

﴿مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِن شَمسٍ وقَمَر ونُجُومٍ وماء وغَيرِه، ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن دابَّة وشَجَر ونَباتٍ وأنهار وغَيرِهِ، أي: خَلَقَ ذلك لِمَنافِعِكُم ﴿جَمِيعًا﴾ ـ تأكِيد ـ ﴿مِّنْهُ﴾ ـ حال ـ أي: سَخَّرَها كائِنةً مِنهُ تَعالى، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فِيها فيُؤمِنُون.

(﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾) ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾) أي: تَصرفون النِّعم في مَصارفها.

قوله: (وغيره) أي: كالملائكة؛ فإنهم مُسخَّرُون لأهل الأرض، يُدبِّرون معاشهم، وهذا سرُّ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ...﴾ الآية [الإسراء: ٧٠].

قوله: (تأكيد[1]) أي: حال مُؤكدة.

قوله: (حال) أي: مِن (ما)، ويَصح أن يكون صفة لـ﴿جَمِيعًا﴾، والمعنى على الأول: سخَّر لكم هذه الأشياء كائنة منه؛ أي: مخلوقة له، وعلى الثاني: جميعاً كائناً منه تعالى.

قوله: (﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾) أي: يَتأمَّلون في تلك الآيات.

قوله: (﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾... إلخ) المراد بالغَفْر لهم: تحمُّلُ أذاهم وعدمُ مُقابلَتهم بمثل ما فعلُوا.

واختُلف في هذه الآية؛ فقيل: مدنيَّةٌ، وعليه: فسبب نزولها ـ كما قال ابن عباس ـ: أنهم كانُوا في غزوة بَني المصطلق، نزلُوا على بئر يقال له: المريسيع، فأرسل عبد الله بن أبيٍّ غلامَه لِيَستقي الماء، فأبطأ عليه، فلمَّا أتاه.. قال له: ما حبَسَك؟ قال: غلام عمر، قعد على طرف البئر، فما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قِرَبَ النبي ﷺ وقِرَبَ أبي بكر، فقال عبد الله: ما مَثَلُنا وَمَثَلُ هؤلاء إلا كما قيل: سمِّنْ كلبَكَ يأكُلْكَ، فبلغ ذلك عمر، فاشتمَل بِسيفه يريد التوجه له، فنزَلت هذه الآية.

وقيل: مكيَّةٌ، وعليه: فسبب نزولها ـ كما قال مُقاتل ـ: أنَّ رجلاً من بني غفار شتَم عمر بمكة، فهمَّ عمر أن يَبطشَ به، فنزلت.

---

(١) أي: على رأيِ ابن مالك حيث عدَّها من المؤكِّدات. «فتوحات» (١١٨/٤).

لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ ....

لَا يَرْجُونَ﴾: يَخافُون ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: وَقائِعَه، أي: اغفِرُوا لِلكُفَّارِ ما وقَعَ مِنهُم مِن الأذَى لَكُم، وهَذا قبلَ الأمر بِجِهادِهِم، ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي: اللهُ، ـ وفي قِراءة بِالنُّون ـ ....

حاشية الصاوي

أو كما قال السُّدي: أنَّ ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ مِن أهل مكة كانُوا في أذى كثير من المشركين قبل أن يُؤمَرُوا بالجهاد، فشكَوا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزَلت، وما ذكره المفسِّر فيه إشارةٌ إلى هذا الأخير[1].

قوله: (﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾) أي: لا يَتوقَّعون وقائعه، من قولهم: (أيام العرب) أي: وقائعهم، وهذا ما مشى عليه المفسِّر، وقيل: إنَّ الرجاء باقٍ على مَعناه الأصلي، والمراد بالأيام: مُطلَق الأوقات، والمعنى: لا يُؤمِّلون الأوقات التي جعل الله فيها نصرَ المؤمنين وثوابهم.

قوله: (أي: اغفرُوا للكفار) أشار بذلك إلى أنَّ مَقول القول محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿يَغْفِرُواْ﴾، فهو مجزوم؛ لِكونه جوابَ أمرٍ محذوف، والتقدير: قُل لهم: اغفروا. . يَغفروا[2].

قوله: (وهذا قبل الأمر بِجهادهم) أي: فهو منسوخٌ بآية القتال، وهذا على أنها مكيَّة، وأما على أنها مدنيَّة. . فالكفُّ عن المنافقِين خوفَ أن يقولَ المشركون: إنَّ محمداً يقتل أصحابَه، حتى جاء الإذن بِتَمييزهم.

وقيل: إنها ليست منسوخةً، هي مَحمولة على ترك المنازَعة والتجاوز فيما يَصدُر عنهم من الكلام المُؤذي.

قوله: (﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا﴾) عِلةٌ لما قبله، والقومُ هم المؤمنون، وهو ما مشى عليه المفسِّر، وقيل: الكافرون، وقيل: كلٌّ منهما، فالتنكير إمَّا للتعظيم، أو التحقير، أو التنويع.

قوله: (وفي قراءة بالنون) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[3].

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في «زاد المسير» (٤/ ٩٨).

(٢) وقيل: جزم على جواب (قل) تشبيهاً بالشرط والجزاء، كقَولك: قُم تصب خيراً، وقيل: هو على حذف اللام. انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٦٠).

(٣) قرأ ابن عامر وحمزةُ والكسائي بالنون: (لنجزي) نحن بما لنا من العظمة، والباقون بالياء التحتية. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٩٦).

قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ ....

﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ مِن الغَفرِ لِلكُفَّارِ أذاهُم. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ عَمِلَ، ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾ أساءَ، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: تَصِيرُون، فيُجازِي المُصلِحَ والمُسِيء.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ به بَين النَّاس ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ لِمُوسى وهارُونَ مِنهُم، ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الحَلالاتِ كالمَنِّ والسَّلوَى، ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالَمِي زَمانِهِم العُقَلاء.

﴿١٧﴾ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ﴾: أمرِ الدِّين مِن الحَلال والحَرام وبَعثةِ مُحمَّد عَلَيه

حاشية الصاوي

قوله: (أذاهم) مفعولٌ للغَفْر الواقع مصدراً.

قوله: (﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾) جملة مُستأنفة لبيان كيفيَّة الجزاء.

قوله: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾... إلخ) المقصودُ من ذلك: تَسليتُهُ ﷺ، كأنه قال: لا تَحزن على كُفر قومك؛ فإننا آتينا بني إسرائيل الكتابَ والنِّعمَ العظيمةَ، فلم يشكرُوا بل أصرُّوا على الكفر.

قوله: (التوراة) إنما اقتصر عليها؛ لكونها تُغني عن غيرها من كتبهم، ولا يُغني غيرها عنها؛ فإنَّ فيها أحكامَ شرعِهِم، وإلا.. ففي الحقيقة كتبُ بني إسرائيل ثلاثة: التوراة، والإنجيل، والزَّبور.

قوله: (﴿وَٱلْحُكْمَ﴾) أي: الفصل بين الخُصوم، وهذه نِعَمٌ دينيَّة، وقوله: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ نِعَمٌ دنيويَّة، فلم يشكرُوا عليها.

قوله: (كالمنِّ والسلوى) أي: في أيام التِّيه.

قوله: (العقلاء) تقدَّم ما فيه، وأنَّ الأولى التعبير بـ(الثقلين)[1].

قوله: (﴿وَءَاتَيْنَٰهُم﴾) أي: بني إسرائيل في التوراة، والمعنى: بيَّنَّا لهم فيه أمرَ الشريعة، وأمر محمد ﷺ، وأنهم يؤمنون به إن ظهر بينَهم؛ كما أشار له المفسِّر.

(١) انظر (٦/٢٣٨).

فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ

أفضل الصَّلاة والسَّلام، ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾ في بَعثَتِه ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ﴾ أي: لِبَغْيٍ حدَثَ بينَهم حسَداً له، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

(١٨ - ١٩) ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: طَريقةٍ ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أمرِ الدِّين ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عِبادةِ غَيرِ الله، ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ﴾: يَدفَعُوا ﴿عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: مِن عذابِه ﴿شَيْـًٔاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾ في بَعثته... إلخ) أي: وقد كانُوا قبل ذلك مُتفقِين، فلمَّا جاءهم العلم والشرع في كتابهم.. اختَلفُوا، وكان مقتضاه أن يدوم لهم الاتفاق.

قوله: (﴿يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾) أي: بالمؤاخذة والمجازاة.

قوله: (﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾) الكاف: مفعول أول لـ(جعَلنا)، و﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ هو المفعول الثاني، والشريعة: تُطلق على مَورد الناس من الماء، وعلى المذهب، والمِلَّة، والمراد هنا: ما شرَعه الله لعباده من الدين، سمِّي شريعةً؛ لأنه يُقصد ويُلجأ إليه كما يلجأ إلى الماء من العطش.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾) يطلق على مُقابل النهي، وعلى الشأن، ويصح إرادة كلٍّ منهما هنا، والمعنى: ثمَّ جعلناك على طريقةٍ من الدين وهي مِلَّة الإسلام التي كان عليها إبراهيم، ولا شكَّ أن الله تعالى لم يُغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنما التغايُرُ في الفروع.

قوله: (﴿أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾) أي: وهُم رؤساء قريش؛ حيث قالُوا: ارجع إلى دين آبائك؛ فإنهم كانُوا أفضلَ منك وأسَنَّ.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ﴾) تعليل لما قبله، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عطف على ما قبله من تَتمَّة التعليل.

قوله: (﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ﴾) أي: في الدنيا، ولا وليَّ لهم في الآخرة يُزيل عنهم العقاب.

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ....

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾: المؤمنين.

﴿٢٠﴾ ﴿هَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾: مَعالِم يَتبَصَّرُون بِها في الأحكامِ والحُدُود، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بِالبَعث.

﴿٢١﴾ ﴿أَمْ﴾ ـ بِمَعنَى هَمزة الإنكارِ ـ ﴿حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾: اكتَسَبُوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾) أي: في الدنيا والآخرة؛ لأنهم اتقوا الشرك.

قوله: (﴿هَٰذَا بَصَائِرُ﴾) مبتدأٌ وخبر، وجمعَ الخبرَ باعتبار أنَّ المبتدأ مُشارٌ به إلى ما تقدَّم من الآيات، ولا شكَّ أنه جمعٌ.

قوله: (مَعالم) جمع (مَعْلَم)، وهو في الأصل: الأثر الذي يُستدَل به على الطريق، والمراد هنا: أنَّ تلك الآيات تُبصر الناس في الأحكام وتَدُلُّهم عليها.

قوله: (﴿وَهُدًى﴾) أي: من الضلالة.

قوله: (﴿وَرَحْمَةٌ﴾) أي: إحسانٌ.

قوله: (﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾) أي: يَطلبون اليقين، وأما لِلكفار.. فهي وَبالٌ وخسرانٌ عليهم.

قوله: (﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار) أي: فهي منقطعة، تقدَّر تارةً بالهمزة وحدها، أو بـ(بل) وحدها، أو بهما معاً، والمراد: إنكار الحسبان؛ أي: الظن؛ والمعنى: لا يَنبغي أن يكون، وإلا.. فالظنُّ قد وقَع بالفعل.

قوله: (﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾) فاعل ﴿حَسِبَ﴾، وجملة ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ.. إلخ﴾ سادَّةٌ مسَدَّ المفعولين، والمرادُ بالاجتراح: الاكتساب؛ كما قال المفسِّر، ومنه: الجوارح.

قال الكلبي: الذين اجترحُوا السيئات: عُتبةُ وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عُتبة، والذين آمنُوا وعملُوا الصالحات: علي وحمزة وعُبيدة بن الحارث رضي الله عنهم حين برزُوا إليهم يوم بدر فقتلوهم.

وقيل: نزَلت في قوم من المشركين قالُوا: إنهم يُعطَون في الآخرة خيراً ممَّا يُعطاه المؤمن؛ كما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠][1].

---

(١) انظر «زاد المسير» (٤/ ٩٩).

أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ....

الكُفرَ والمَعاصِيَ ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً﴾ ـ خَبَر ـ ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ ـ مُبتَدأ ومَعطُوف، والجُملة بَدَل مِن الكاف، والضَّمِيرانِ لِلكُفَّارِ ـ، المَعنى: أَحَسِبُوا أن نَجعَلَهُم في الآخِرة في خَير كالمُؤمِنِين أي: في رَغَد مِن العَيش مُساوٍ لِعَيشِهِم في الدُّنيا حيثُ قالُوا لِلمُؤمِنِين: لَئِن بُعِثنا لَنُعطَيَنَّ مِن الخَير مِثل ما تُعطُونَ، قال تَعالى على وَفق إنكارِه بِالهَمزة: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: لَيسَ الأمرُ كَذلك، فهُم في الآخِرة في العَذابِ على خِلافِ عَيشِهم في الدُّنيا، والمُؤمِنُونَ في الآخِرة في الثَّواب بِعَمَلِهِم الصَّالِحات في الدُّنيا مِن الصَّلاة والزَّكاة والصِّيامِ وغَيرِ ذلك، ـ و(ما) مَصدرِيَّة ـ أي: بِئسَ حُكماً حُكمُهُم هذا.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سَوَآءً﴾ خبرٌ) أي: على قراءة الرفع، وقرأ بعض السبعة بالنصب على الحال[1].

قوله: (والجُملة) أي: من المبتدأ والخبر.

قوله: (بدلٌ من الكاف) أي: الداخِلة على الموصول.

قوله: (أي: ليس الأمر كذلك) أشار بذلك إلى أنَّ همزة الإنكار لِلنفي، وكان المناسب لِلمفسِّر تقديم هذا على قوله: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ فإنه مرتبطٌ بما قبله، والمعنى: أم حسبُوا أن نجعلَهم كائنين مثلَهم مُستوٍ مَحياهم ومماتهم؟ كلا لا يَستوون في شيءٍ منها؛ فإنَّ هؤلاء في عزِّ الإيمان والطاعة وشرَفِهما في المحيا، وفي رحمة الله ورضوانه في الممات، وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهَوانهما في المَحيا، وفي لعنة الله والعذاب المُخلَّد في الممات، ولا يعتبر تَوسعة العيش في الدنيا؛ فإنها بحسَب القسمة الأزليَّة للمؤمن والكافر ولكلِّ دابَّة.

قوله: (أي: بئس حُكماً. . . إلخ) مُقتضى هذا الحل أنَّ (ما) مميز، وحينئذٍ: فالفاعل مستتر، وهو يُنافي كونها مصدريَّة؛ لأنها في تلك الحالة تكون فاعلاً، فالمناسب لجعلها مصدريَّة أن يقولَ: (ساء الحكم حكمهم).

(١) قرأ حمزةُ والكسائي وحفص: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب على الحالِ من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهما ﴿كَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وقرَأه الباقون بالرفع. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٩٨).

وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ . . . .

﴿٢٢﴾ ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ﴾ خلق ﴿ٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ مُتعلِّق بـ(خَلَقَ) لِيَدُلَّ على قُدرَته ووَحدانِيَّتِه، ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ مِن المَعاصِي والطاعاتِ فلا يُساوِي الكافِرُ المُؤمنَ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: أخبِرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: ما يَهواهُ مِن حَجَر بعدَ حَجَر يَراهُ أحسَنَ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ . . . إلخ) من تتمَّة قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ . . . إلخ، وهو كالدليلِ له، كأنه قال: لا يَستوي المؤمن والكافر؛ بدليل أنَّ الله خلق السماوات والأرض؛ أي: لِلعبر والاستدلال، ولم يترك العباد سُدًى، وجازى كلَّ نفسٍ بما كسبَت؛ فلا يستوي جزاءُ المؤمن بجزاء الكافر.

قوله: (متعلق بـ«خلق») أي: على أنه حالٌ من الفاعل أو المفعول.

قوله: (ليدلَّ على قدرته . . . إلخ) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ قوله: ﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ عطف على عِلة محذوفة.

قوله: (﴿وَهُمْ﴾) أي: النفوسُ المدلول عليها بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾.

قوله: (﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾) أي: لا يُنقص من ثواب المؤمن، ولا يزاد في العذاب على ما يَستحقه للكافر.

قوله: (أخبِرني) تقدَّم أنَّ فيه مجازاً؛ حيث أَطلق الرؤية وأراد الإخبار، ثمَّ أطلق الاستفهام عن الإخبار وأرادَ الأمر به، وقوله: ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ﴾ . . . إلخ: مفعولٌ أول لـ(رأيت)، والمعنى: تركَ متابعةَ الهدى إلى مُطاوعة الهوى، فكأنه يَعبده.

قوله: (من حجر) أي: أو غيره كالشمس والقمر من كلِّ مَعبودٍ غير الله، عاقلاً أو غير عاقل، فالمكفِّر العبادةُ؛ بأن يتقرَّب إلى غيره كما يتقرَّب إليه، وأمَّا زيارة الصالحين والأنبياء . . فليس من قَبيل العبادة لهم، بل هي من باب التسبُّب في نفع الغير؛ لأنَّ الترضي عن الأولياء، والصلاةَ والسلامَ على الأنبياء دعاءٌ للغير بذلك، ولا شكَّ أنَّ ذلك الغير يَنتفع به، والمتسبِّب له مِثله؛ لما وردَ: أنَّ الملك يَقول له: «ولك مثل ذلك»[1]، فآل الأمر إلى أنَّ زيارةَ الصالحين والتوسُّلَ بهم

---

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٢٨)، وابنُ أبي شيبة في «المسند» (٤٣) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه.

وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ....

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ مِنهُ تعالى، أي: عالِماً بِأَنَّهُ مِن أهل الضَّلالة قبلَ خَلقِه، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلَم يَسمَعِ الهُدَى ولَم يَعقِلهُ، ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾: ظُلمةً فلَم يُبصِر الهُدَى، ـ ويُقدَّر هُنا المَفعُول الثَّاني لِـ(رَأيت) أيَهتَدِي ـ ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: بَعد إضلالِه إيَّاهُ؟ أي: لا يَهتَدِي، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تَتَّعِظُون؟! ـ فِيه إدغامُ إحدَى التَّاءَينِ في الذال ـ.

حاشية الصاوي

من جُملة طاعة الله، وصاحبها محبوبٌ لله؛ لأنَّ أحبَّ عباد الله إلى الله أنفعُهُم لِعباده، وصدَق عليهم أنهم يَصلون ما أمر الله به أن يوصل؛ فليست معصيةً، فضلاً عن كونها شركاً؛ كما اعتقده ذَوُو الجهل المركب والعقيدة الزائغة.

قوله: (أي: عالماً بأنه من أهل الضلالة) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال من الفاعل، ويَصح أن يكون حالاً من المفعول؛ والمعنى: أضلَّه في حال كونه عالماً بالحق غيرَ جاهل به، فهو أشَدُّ قبحاً.

قوله: (﴿غِشَٰوَةً﴾) بكسر الغين أو بفتحها مع سكونِ الشين وحذف الألف، قراءتان سبعيَّتان، وقرئ شذوذاً بفتح العين أو ضمِّها وإثباتِ الألف، أو بكسر الغين وحذف الألف، أو بالعين المهملة[1].

قوله: (ويقدَّر هنا المفعول الثاني) أي: وإنما حُذِفَ؛ لدلالة ﴿فَمَن يَهْدِيهِ﴾ عليه، ولا حاجة لتقديرٍ؛ إذ يَصح أن تكون هي المفعول الثاني.

وقد وصفهم الله تعالى بأربعةِ أوصاف: الأول: قوله: ﴿ٱتَّخَذَ﴾... إلخ، الثاني: قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ﴾... إلخ، الثالث: قوله: ﴿وَخَتَمَ﴾... إلخ، الرابع: قوله: ﴿وَجَعَلَ﴾... إلخ، فكل وصفٍ منها مُقتضٍ للضلالة؛ فلا يُمكن إيصال الهدى إليه بوجهٍ من الوجوه.

قوله: (إحدى التاءين) أي: الثانية.

---

(١) قرأ الأخوان (غَشْوة) بفتح الغين وسكون الشين، والأعمش وابن مصرف كذلك إلا أنهما كسرَا الغين، وباقي السبعة (غشاوة) بكسر الغين، وابن مسعود والأعمش أيضاً بفتحها، وهي لغةُ ربيعة، والحسن وعِكرمة وعبد الله أيضاً بضمِّها، وهي لغة عكل، وقُرئ بالعين المهملة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٥٢).

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ....﴾

(٢٤) ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي: مُنكِرُو البَعث: ﴿مَا هِىَ﴾ أي: الحَياةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ التِي في ﴿ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يَمُوتُ بَعض ويَحيا بَعض بِأن يُولَدُوا، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي: مُرُورُ الزَّمان، قال تَعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المَقُول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

(٢٥ - ٢٦) ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ مِن القُرآنِ الدَّالَّة على قُدرَتِنا على البَعث ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: واضِحاتٍ ـ حالٌ ـ ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الحياة) بيانٌ لمرجع الضمير، ويقال لهذا الضمير: ضمير القِصة.

قوله: (أي: يموت بعض... إلخ) دفع بذلك ما يقال: إنَّ قولهم: (نموت ونحيا) فيه اعترافٌ بالحياة بعد الموت مع أنهم يُنكرونها، ويجاب أيضاً: بأنَّ الآية فيها تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: نحيا ونموت.

قوله: (أي: مُرور الزمان) أي: فكان الجاهلية يَقولون: الدهر هو الذي يُهلكنا، وهو الذي يُحيينا ويميتنا؛ ولذلك ردَّ عليهم بقوله ﷺ: **«كان أهل الجاهلية يقولون: ما يُهلكنا إلا الليل والنهار، وهو الذي يُحيينا ويميتنا، فيَسبُّون الدهر، فقال تعالى: يُؤذيني ابن آدم؛ يسبُّ الدهر، وأنا الدهر بيَدي الأمر، أقلِّب الليل والنهار»**[1]، والحاصل: أنَّ فِرقة من الكفار يُسمَّون الدهريَّة؛ يَنسبون الفعل ضرًّا ونفعاً للزمان، فردَّ عليهم بما تقدَّم.

قوله: (المقول) أي: وهو قولهم: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾... إلخ.

قوله: (واضحاتٍ) أي: ظاهِرات.

قوله: (حال) أي: من ﴿ءَايَٰتُنَا﴾.

قوله: (﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾) بالنصب خبر ﴿كَانَ﴾، وقولُه: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ اسمها؛ أي: إلا قولُهم، وتسميتها حجَّةً على سبيل التهكم، أو على حسَب زَعمهم.

(١) سِياق المصنف عند الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وروى البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦) من قوله: (يُؤذيني) إلى آخره.

ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ ....

﴿ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياءً ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّا نُبعث. ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ﴾ حِين كُنتُم نُطَفاً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ﴾ أحياءً ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهُم القائِلُون ما ذُكر ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

(٢٧ - ٢٩) ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ ـ يُبدَل مِنهُ ـ ﴿يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: الكافِرُون أي: يَظهَرُ خُسرانُهم بِأن يَصِيرُوا إلى النَّار، ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ﴾ أي: أهلُ دِين ﴿جَاثِيَةٗۚ﴾ على الرُّكَب ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾) أي: الذين ماتُوا قبلنا.

قوله: (﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ﴾) ردٌّ لقولهم: (ما يُهلكنا إلا الدهر).

قوله: (وهم) أي: الأكثر، وجُمع باعتبار المعنى.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾) تعميمٌ بعد تخصيصٍ.

قوله: (﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾) ظرف لقوله: ﴿يَخۡسَرُ﴾، وقوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ بدل من ﴿يَوۡمَ﴾ قبله لِلتوكيد، والتنوين في ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ عِوَض عن جملة مقدَّرة، والتقدير: يومئذ تقوم الساعة، فهو بدلٌ توكيديٌّ.

قوله: (أي: يظهر خُسرانهم) جوابٌ عمَّا يُقال: إنَّ خُسرانهم مُتحتِّمٌ في الأزل.

قوله: (﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ﴾) (رأى): بصرية، و﴿كُلَّ﴾: مفعولها، و﴿جَاثِيَةٗۚ﴾: حال.

واختُلف هل الجُثِيُّ خاصٌّ بالكفار؟ وبه قال يحيى بن سلام، وقيل: عامٌّ لِلمؤمن والكافر انتظاراً للحساب، ويُؤيِّده: ما ورَدَ: «إنَّ في يوم القيامة لساعةً هي عشر سنين، يخر الناس فيها جُثاةً على رُكَبهم حتى إن إبراهيم عليه السلام يُنادي لا أسألك اليومَ إلا نفسي»(١)؛ وذلك لأنَّ الحَضرة في ذلك اليوم حَضرةُ جلالٍ، فالجميع يُعطُونه حقَّه من الخوف والهيبة إلى أن يَحصُلَ التمييز.

---

(١) أورده البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٦) مِن حديث سيدنا سلمان الفارسي ﷺ.

كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ....

أو مُجتَمِعةً، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: كِتابِ أعمالِها ويُقالُ لَهُم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جَزاءَهُ، ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾: دِيوانُ الحَفَظةِ ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾: نُثبتُ ونَحفَظ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

والجُثُوُّ: وضعُ الركبتين بالأرض مع رَفع الألية ونصبِ القدمَين، ويُطلق على الجلوس على أطراف القدمَين مع وضع الرُّكَب بالأرض، وكلٌّ من المعنَيَين يدل على كونه مُستوفزاً غيرَ مُطمئنٍّ، وقوله: (**أو مجتمعة**) لحكاية الخلاف، وقيل: معناه: مُتميزة، وقيل: خاضعة.

قوله: (﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾) بالرفع في قراءة العامَّة، مبتدأٌ، و﴿تُدْعَىٰ﴾: خبرها.

قوله: (﴿تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾) أُضيف لهم الكتاب باعتبار أنه مُشتمِلٌ على أعمالهم.

قوله: (**ويُقال لهم**) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ الجملة مقولةٌ لقول محذوف، و﴿ٱلْيَوْمَ﴾: معمول لـ﴿تُجْزَوْنَ﴾، و﴿مَا كُنتُمْ﴾: مَفعوله الثاني، ونائب الفاعل: مفعول أول.

قوله: (﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾) قيل: من قول الله لهم، وقيل: مِن قول الملائكة لهم.

قوله: (﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾) أي: يَدل عليه؛ لأنهم يَقرؤونه، فيذكرهم بما فعلُوا؛ لقولِه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

قوله: (﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) قيل: مَعناه: أنَّ لله ملائكةً مطهَّرين يَنسخون من أمِّ الكتاب في رمضان كلَّ يوم ما يكونُ من أعمال بني آدم في العام كلِّه، ويعرضون على الحفظة كلَّ خميس، فيَجدُون ما كتبَه الحفَظة على بني آدم موافقاً لما في أيديهم.

وقيل: إنَّ الملائكة الحفظة إذا رَفعت أعمال العباد إلى الله عزَّ وجلَّ.. أمر بأن يثبت عنده منها ما فيه ثوابٌ أو عقاب، ويُسقط ما لا ثوابَ فيه ولا عقاب.

قوله: (**نثبت ونحفظ**) أي: فالمراد بالنسخ: الإثباتُ والنقل؛ إمَّا من اللوح المحفوظ، أو من صُحُف الكتَبة كما علمت.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ ....﴾

(٣٠ - ٣١) ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾: جنَّتِه، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾: البيِّنُ الظاهِر، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فيُقالُ لَهُم: ﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي﴾: القُرآنُ ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾: تكبَّرتُم ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾: كافِرين.

(٣٢) ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لَكُم أيُّها الكُفَّار: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعثِ ﴿حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... إلخ) تفصيلٌ لما أُجمل في قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

قوله: (﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾) أي: مع السابقين؛ فلا يُنافي أنَّ المؤمن وإن لم يَعمل الصالحات يدخل الجنة لكن لا مع السابقين؛ إما بعد الحساب، أو بعد الشفاعة، فلا يقال: إنَّ التقييد بالعمل الصالح يخرج مَنْ مات على الإيمان ولم يعمل صالحاً.

قوله: (جنَّته) إنما فسَّر العامَّ بالخاصِّ؛ لأنَّ الجنة أثرُ الرحمة التي تستقرُّ الخلائق فيها، وتُوصف بالدخول فيها دون غيرها من آثار الرحمة.

قوله: (﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾) أي: بلوغُ الآمال، والظفرُ بالمقصود.

قوله: (﴿ٱلۡمُبِينُ﴾) أي: الخالصُ من الشوائب.

قوله: (فيُقال لهم) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ جواب (أمَّا) محذوفٌ.

قوله: (﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي﴾... إلخ) الهمزة داخلةٌ على محذوف، والفاء عاطفة عليه؛ أي: أتركتُم الإيمان بالرسل فلم تكن... إلخ.

قوله: (﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾) هذا من جُملة ما يقال لهم، وحينئذٍ: فيصير المعنى: وكنتُم إذا قيل لكم: إنَّ وعد الله حقٌّ... إلخ.

قوله: (﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾) بكسر (إنَّ) في قراءة العامَّة؛ لحكايتِها بالقول، وقرئ شذوذاً بفتحها؛ إجراءً للقول مجرى الظنِّ في لغة سُلَيْم[1].

(١) وبها قرأ الأعرَج وعمرو بن فائد. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٥٥).

لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ ....

ـ بالرَّفعِ والنَّصب ـ ﴿لَا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن﴾: ما ﴿نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قال المُبرِّد: أصلُه: إن نَحنُ إلَّا نَظنُّ ظَنًّا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أنَّها آتِيةٌ.

(﴿٣٣﴾ ـ ﴿٣٤﴾) ﴿وَبَدَا﴾: ظَهرَ ﴿لَهُمْ﴾ في الآخِرةِ ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ في الدُّنيا، أي: جَزاؤُها ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذابُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالرفع والنصب) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان؛ فالرفع على الابتداء، وجملة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: خبره، والنصب عطفاً على اسم (إن)[1].

قوله: (﴿مَا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ﴾) هذا على سبيلِ الاستغراب والاستبعاد.

قوله: (﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾) إن قلتَ: ما الجمعُ بين ما هنا وما تقدَّم في قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾؛ فإنَّ ما تقدم أثبت أنهم جازمُون بعدم البعث، وهنا أفاد أنهم شاكُّون فيه؟

ويُمكن الجواب: بأنَّ الكفار لعلَّهم افترقُوا فرقتَين: فرقة جازمُون بنفي البعث، وفرقة مُتحَيِّرة فيه.

قوله: (قال المُبرد... إلخ) جوابٌ عمَّا يقالُ: إنَّ ظاهرَ الآية وقوعُ المفعول المطلق استثناء مفرغاً، مع أنَّ المقرَّرَ في النحو أنه يجوزُ تفريغ العاملِ لِما بعده من جميع المعمولات إلا المفعولَ المطلَق؛ فلا يقال: (ما ضربت إلا ضرباً)؛ لاتحاد مَورد النفي والإثبات؛ لأنه يَصِير في قوة: (ما ضربت إلا ضربتُ)، ولا فائدةَ في ذلك.

فأجاب المفسِّر: بأنَّ الآية مُؤوَّلة بأنَّ مورد النفي محذوفٌ، تقديره: (نحن)، ومَورد الإثبات كونه يظنُّ ظنًّا، فكلمة (إلا) مُؤخَّرة من تقديم، والمعنى: حصر أنفسهم في الظنِّ، ونفي ما عداهُ.

قوله: (﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾) مُبالغة في نفي ما عدَا الظنَّ عنهم.

قوله: (أي: جزاؤها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

---

(١) قرأ حمزة بنصبها، والباقون برفعها، ويجوز في الرفع وجهان آخران: الأول: العطف على محلِّ اسم (إنَّ)؛ لأنَّه قبل دخولها مرفوع بالابتداء، والثاني: أنه عطف على محلِّ (إنَّ) واسمها معاً؛ لأنَّ بعضهم كالفارسي والزمخشري يرَون أنَّ لـ«إنَّ» واسمها موضعاً، وهو الرَّفع بالابتداء. انظر «الدر المصون» (٩/٦٥٦).

وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ......

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾: نَترُكُكُم في النَّار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: تَركتُم العَمَل لِلِقائِه، ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانِعِين مِنه.

﴿٣٥﴾ ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنَ ﴿هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حَتَّى قُلتُم: لا بَعثَ ولا حِسابَ، ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾ - بِالبِناءِ لِلفاعِلِ ولِلمَفعُولِ - ﴿مِنْهَا﴾: مِن النَّار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يُطلَب مِنهُم أن يُرضُوا رَبَّهم بِالتَّوبة والطَّاعة؛ لأنَّها لا تَنفَع يَومَئِذٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (نَتركُكم في النار) أشار بذلك إلى أنَّ المراد من النسيان: التركُ مجازاً؛ لأنَّ الترك مُسبَّب عن النسيان؛ فإنَّ مَنْ نسي شيئاً.. تركه، فسمَّى السبب باسم المسبَّب؛ لاستحالة حقيقة النسيانِ عليه تعالى.

قوله: (أي: تَركتم العمل للقائه) أشار بذلك إلى أنه مِن إضافة المصدر إلى ظرفه على حدِّ ﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ﴾ [سبأ: ٣٣]، وفي الكلام حذفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (العمل)، والمعنى: تركتُم العمل للقاء الله في يَومكم هذا، ولا يصح أن يكون من إضافة المصدر لِمفعوله؛ لأنَّ التوبيخ على نسيان ما في اليوم من الجزاء، لا على نفسِ اليوم.

قوله: (﴿ذَٰلِكُم﴾) أي: العذابُ الدائم.

قوله: (﴿بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ﴾... إلخ) أي: بسببِ اتخاذكم.

قوله: (﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾... إلخ) فيه التفاتٌ من الخِطاب للغيبة، ونُكتتُهُ: الإشارةُ إلى أنهم ساقِطون من رُتبة الخطاب؛ لِهوانهم.

قوله: (بالبناءِ للفاعل وللمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (لأنها لا تَنفع يومئذ) أي: وأمَّا في الدنيا.. فالتوبةُ والطاعة نافعان، فالذي ينبغي للعاقل المبادرةُ لذلك قبل الفوات.

(١) قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء التحتية وضمِّ الراء، والباقون بضمِّ الياء وفتح الراء. انظر «السراج المنير» (٣/ ٦٠٣).

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

(٣٦ - ٣٧) ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾: الوَصف بِالجَمِيلِ على وَفاءِ وَعدِه في المُكَذِّبين ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خالِقِ ما ذُكِرَ، والعالَم ما سِوَى الله وجُمِعَ لِاختِلافِ أنواعِه ـ و﴿رَبِّ﴾ بَدَل ـ. ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾: العَظَمةُ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ـ حال ـ أي: كائِنةً فِيهما ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تَقدَّم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (على وفاء عهده لِلمكذبين) أي: وللمؤمنين، وإنما اقتصر على المكذبين؛ دفعاً لما يُتوهم أنه تعالى إنما يُحْمَدُ على الفضل، فأفاد أنه كما يُحْمَدُ على الفضل.. يُحمَدُ على العدل؛ لأنَّ أوصافه تعالى جَميلة.

قوله: (و﴿رَبِّ﴾ بدل) أي: في المواضع الثلاثة، ويَصح أن يكون نعتاً للفظ الجلالة.

قوله: (﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾) أي: آثارُها؛ لأنَّ وصف الكبرياء قائمٌ بذاتِه تعالى، وإنما تَظهر آثارها في السماوات والأرض؛ من التصرف والقهر، فتصرُّفه سبحانه وتعالى في السماوات والأرض وما فِيهما من آثار كبريائه سُبحانه وتعالى، لا يَعلم قَدره غيره، ولا يَبلغ الواصفون صِفته.

قوله: (حال) ويصح أن يتعلَّقَ بنفس الكبرياء؛ لأنه مصدر.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾) أي: الغالب الذي يَضع الشيء في محلِّه.

✿ ✿ ✿

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

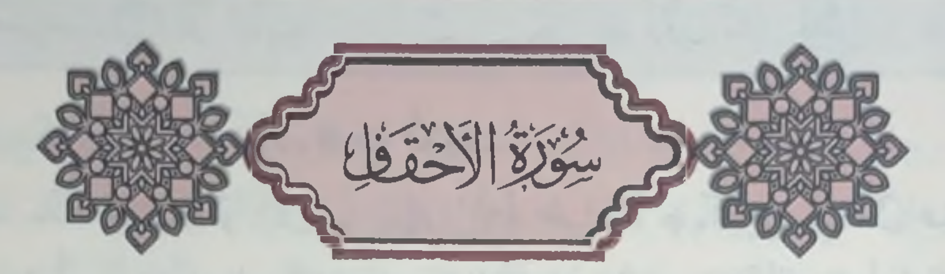
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿حمٓ ① تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ....



مَكيَّة، إلَّا ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ...﴾ الآيةَ. وإلَّا ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ...﴾ الآية، وإلَّا ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ...﴾ الثلاثَ آيات. وهي أربع أو خمسٌ وثلاثُون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حمٓ﴾ اللهُ أعلَم بِمُرادِهِ بِه، ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ـ مُبتَدأ ـ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ الأَحْقَافِ

سيأتي أنَّ (الأحقاف) وادٍ باليمن كانت فيه مَنازل عادٍ، وقيل: إنه جمع (حِقْفٍ)، وهو التل من الرمل، ولا مُنافاةَ بين القولين؛ إذ لا مانعَ من كون التلال في مَنازل عاد.

قوله: (إلا قولَه تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ﴾... إلخ) أي: بناءً على أنَّ الشاهد عبد الله بن سلام؛ إذ لم يَظهر فيه التصديق بالقرآن إلا بالمدينة، وأمَّا على أنَّ المراد به موسى عليه السلام.. فلا تكون مدنيَّة.

قوله: (الثلاث آيات) أي: وآخرُها قوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، وحينئذٍ: فجملة الآيات المستثنَيات خمسٌ.

قوله: (وهي أربع أو خمس... إلخ) هذا الخلاف مبنيٌّ على أنَّ ﴿حم﴾ تُعَدُّ آيةً مستقلَّةً أو لا.

قوله: (الله أعلم بمراده به) تقدَّم غيرَ مرَّة أنَّ هذا القول هو الأسلَمُ، وهو طريقة السلَف في تفويض عِلم المتشابه لله تعالى.

قوله: (﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾) أي: لم يَخترعه من نفسه، ولم يَنقله من بشرٍ، ولا من جنِّي كما قال الكُفار.

﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ ....

ـ خبرُه ـ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلكِه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صُنعِه.

﴿٣﴾ ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا﴾ خلقاً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ لِيَدُلَّ على قُدرَتِنا ووَحدانيَّتِنا، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فَنائِهِما يومَ القِيامة، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾: خُوِّفُوا بِه مِن العذابِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿٤﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾: أخبِرُوني ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنامَ ـ مَفعُول أوَّل ـ ﴿أَرُونِى﴾: أخبِرُوني ـ تأكِيد ـ ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ ـ مَفعُول ثانٍ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صُنعه) أي: الذي أتقَن كلَّ شيء.

قوله: (﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾) هذا هو مَصَبُّ النفي، وهو صفةٌ لمصدر محذوفٍ؛ كما قدَّره المفسِّر بقوله: (لتدلَّ على قدرتنا ووحدانيَّتنا) أي: وباقي الصفات الكماليَّة، وتُنزُّهَهُ عن النقائص؛ لأنَّ بالخلق يُعْرَفُ الحقُّ؛ لأنَّ كلَّ صَنعةٍ تدلُّ على وجودِ صانعها، واتِّصافه بصفاتِ الكمال.

قوله: (﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾) عطف على (الحق)، والكلام على حذفِ مضاف؛ أي: وإلا بتقدير أجلٍ مُسمًّى؛ لأنَّ الأجل نفسَهُ متأخِّرٌ عن الخَلق، وفيه رَدٌّ على الفلاسفة القائلِين بقدم العالم.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) مبتدأ، و﴿مُعْرِضُونَ﴾: خبره، وقوله: ﴿عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ مُتعلق بـ﴿مُعْرِضُونَ﴾، و(ما): اسم موصول، والعائد محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (به)، والأولى أن يُقدِّره منصوباً؛ لاختلاف الجارِّ للموصول وللعائد؛ بأن يقول: (خُوِّفوه).

قوله: (تأكيد) أي: لقوله: ﴿أَرَءَيْتُم﴾[1].

قوله: (مفعول ثان) أي: إنَّ الجملة الاستفهاميَّة سدَّت مسدَّ المفعول الثاني.

---

(١) ويجوز ألا تكونَ مُؤكدة لها، وعلى هذا: تكون المسألة من باب التنازع؛ لأنَّ (أرأيتم) يَطلب ثانياً، و(أروني) كذلك، وقوله: (ماذا خلقوا) هو المتنازَع فيه، وتكون المسألة من إعمال الثاني والحذفِ من الأول. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٥٩).

﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾

﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ـ بَيان (ما) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾: مُشارَكةٌ ﴿فِى﴾ خلقِ ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ مع الله؟ ـ و(أم) بِمَعنى همزةِ الإنكارِ ـ، ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ﴾ مُنزَّلٍ ﴿مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ﴾ القُرآنِ ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ﴾: بَقِيَّة ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ يُؤثَرُ عن الأوَّلينَ بِصِحَّةِ دَعواكُم في عِبادةِ الأصنام أنَّها تُقرِّبُكم إلى الله، ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في دَعواكُم.

﴿٥﴾ ﴿وَمَنْ﴾ ـ استِفهام بِمَعنى النَّفي ـ أي: لا أحدَ ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟﴾: يَعبُد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بيان «ما») أشار بذلك إلى أنَّ (ما): اسم استفهام، و(ذا): اسم موصول خبرها، و﴿خَلَقُوا۟﴾: صلة الموصول، ويَصحُّ أنَّ ﴿مَاذَا﴾ اسم استفهام، مفعول لـ﴿خَلَقُوا۟﴾.

قوله: (بمعنَى همزة الإنكار) أي: و(بل) الإضرابيَّة، فهي مُنقطعة.

قوله: (﴿ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ﴾) الأمر لِلتبكيت، وفيه إشارةٌ إلى نفي الدليل النقليِّ بعد الإشارةِ إلى نفي الدليل العقليِّ.

قوله: (﴿مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ﴾) صفة لـ(كتاب)، والجارُّ والمجرور مُتعلق بمحذوفٍ، قدَّره المفسِّر خاصًّا بقَوله: (منزلٍ)، والمناسب أن يُقدِّرَه عامًّا من مادَّة الكون.

قوله: (﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ﴾) مصدر على وزن (كَفَالَةٍ)، وقوله: (﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾) صفة لـ﴿أَثَـٰرَةٍ﴾، وهي مُشتقَّةٌ من: الأثر الذي هو الرِّواية، أو العلامة، أو مِن: أثَرت الشيء أُثِيره إثارة: استَخرجت بقيَّته، والمعنى: ائتُوني برواية أو علامة أو بقيَّة من علمٍ يُؤثَرُ عن الأنبياء أو الصُّلَحاء.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾) شرطٌ حُذِفَ جوابه؛ لِدلالة ما قبله عليه؛ أي: فائتُوني.

قوله: (﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾... إلخ) مبتدأٌ وخبرٌ.

قوله: (﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ﴾) ﴿مَن﴾: نكرةٌ موصوفةٌ بالجملة بعدها، أو اسمُ موصول، وما بعدها صِلتها، وهي معمولة لـ﴿يَدْعُوا۟﴾، والمعنى: لا أحد أضَلُّ من شخص يَعبد شيئاً لا يُجيبه، أو الشيء الذي لا يُجيبه ولا يَنفعه في الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾) الغاية داخلةٌ في المغيَّا، فهو كنايةٌ عن عدم الاستجابة في الدُّنيا والآخرة.

وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ ....

وهُم الأصنامُ لا يُجيبُون عابِدِيهِم إلى شَيء يَسألُونه أبداً، ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ﴾: عِبادَتِهم ﴿غَٰفِلُونَ﴾ لِأَنَّهم جَمادٌ لا يَعقِلُون.

﴿٦﴾ ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟﴾ أي: الأصنامُ ﴿لَهُمْ﴾: لِعابِدِيهِم ﴿أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ﴾: بِعِبادةِ عابِدِيهِم ﴿كَٰفِرِينَ﴾: جاحِدِين.

﴿٧﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهلِ مكَّةَ ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: ظاهِراتٍ ـ حال ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنهُم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: القُرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّن ظاهِر.

﴿٨﴾ ﴿أَمْ﴾ ـ بِمَعنى (بل) وهَمزةِ الإنكارِ ـ ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ فَرضاً ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهُم الأصنام) عبَّر عنهم بضمير العقلاء؛ مجاراةً لِما يزعمه الكفار.

قوله: (لأنهم جَماد) أشار بذلك إلى أنَّ المرادَ بالغفلة عدمُ الفهمِ.

قوله: (﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾) أي: جُمِعُوا بعد إخراجهم من القبور.

قوله: (جاحدين) أي: مُنكرين، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨].

قوله: (حال) أي: من ﴿ءَايَٰتُنَا﴾.

قوله: (﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أظهَر في مَقام الإضمار؛ لِبَيان وصفهم بالكفر، ووَصف الآيات بـ(الحق)، وإلا.. فمُقتضى الظاهر (قالُوا لها).

قوله: (﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾) أي: حين جاءهم.

قوله: (ظاهرٌ) أي: باهرٌ لا يعارَضُ إلا بِمثله.

قوله: (﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾... إلخ) تَرَقٍّ في الإنكار، وانتقالٌ إلى ما هو أشنَعُ.

قوله: (فرضاً) أي: على سَبيل الفرض والتقدير.

فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ....

﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي: مِن عَذابِه ﴿شَيْـًٔا﴾ أي: لا تَقدِرُون على دَفعِه عنِّي إذا عَذَّبنِي الله، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تَقُولُون في القُرآنِ، ﴿كَفَىٰ بِهِۦ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لِمَن تابَ ﴿الرَّحِيمُ﴾ به فلَم يُعاجِلكُم بِالعُقُوبةِ.

﴿٩﴾ ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا﴾: بَدِيعاً ﴿مِّنَ الرُّسُلِ﴾ أي: أَوَّلَ مُرسَلٍ، قد سَبَق قَبلِي كَثِيرٌ مِنهُم فكيفَ تُكذِّبُوني؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا﴾) أي: فهو المُتولِّي أُموري، ولا أحدَ يقدر على دفع ما أصابَني منه غيره.

قوله: (﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾) أي: تَخُوضون وتَقدحون في القرآن بقولكم: هو شعرٌ، هو سحرٌ... وغير ذلك.

قوله: (﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾) أي: فيَشهد لي بالصدق والبَلاغ، وعليكم بالتكذيب والإنكار.

قوله: (﴿الرَّحِيمُ﴾ به) المناسب أن يقولَ: (الرحيم بعباده)؛ ليحسُنَ ترتيب قوله: (فلم يعاجلكم... إلخ) عليه.

قوله: (فلم يُعاجِلكم بالعقوبة) أي: بل أمهَلكم؛ لِتَتوبُوا وترجعُوا عمَّا أنتم عليه؛ ففيه وَعدٌ حسنٌ بالمغفرة للتائبين، والرحمة بجميع العباد؛ إشارةً إلى أنَّ حِلم الله ورحمته شاملةٌ لهم مع عظيم جُرمِهم.

قوله: (بديعاً) أشار بذلك إلى أن ﴿بِدْعًا﴾ صفة كـ(حقٍّ) و(حقيقٍ)[1]، وهو من الابتداع والاختِراع، ويصحُّ أن يكون مصدراً على حذف مضاف؛ أي: ذا بِدع، وقرئ شذوذاً بكسر الباء وفتحِ الدال، جمع (بِدعة) أي: ما كنت صاحبَ بِدَعٍ، وبفتح الباء وكسر الدال، وصف كـ(حَذِر)[2].

---

(١) في «الفتوحات» (٤/ ١٢٩): (كالخِفِّ والخَفيف).

(٢) قرأ عكرمة وأبو حيوة وابن أبي عبلة: (بِدَعاً) بفتح الدال جمع (بِدعة)، وقرأ أبو حيوة أيضاً ومجاهد (بَدِعاً) بفتح الباء وكسرِ الدال. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٦٢).

﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ ....

﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْۖ﴾ في الدُّنيا أأخرجُ مِن بَلَدِي أم أُقتَل كما فُعِلَ بالأنبياء قَبلِي أو ترمُوني بالحِجارةِ أم يُخسَف بِكُم كالمُكذِّبين قَبلكُم، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي: القُرآنَ ولا أَبتَدِع مِن عِندِي شَيئاً ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإنذارِ.

١٠ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبِرُوني: ماذا حالُكُم ﴿إِن كَانَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ ـ جُملةٌ حالِيَّة ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْۖ﴾) ﴿مَا﴾: استفهاميَّة مبتدأ، والجملة بعدها: خبرها، وهي مُعلِّقةٌ لـ(أدري) عن العمل، فهي سادَّة مسَدَّ مفعوليها.

ولما نزلت هذه الآية.. فرح المشركون والمنافقون وقالُوا: كيف نتَّبع نبيًّا لا يَدري ما يفعل به ولا بنا، وإنه لا فضلَ له علينا، ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تِلقاء نفسه.. لأخبره الذي بعثه بما يَفعله به، فنسخت هذه الآية، وأرغم الله أنفَ الكفار بنُزول قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾ الآيات [الفتح: ٢]، فقالت الصحابة: هنيئاً لكَ يا رسول الله، لقد بيَّن الله لك ما يَفعَل بك؛ فليت شِعرنا ما هو فاعلٌ بنا؟ فنزَلت: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾... الآية، ونزلت: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾...[1].

فهذه الآية نزَلت في أوائل الإسلام قبل بَيانِ مَآل النبي والمؤمنين والكافرين، وإلا.. فما خرج ﷺ مِن الدنيا حتى أعلمه الله في القرآن ما يَحصُلُ له وللمؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة إجمالاً وتفصيلاً.

قوله: (﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾) الحصرُ إضافيٌّ؛ أي: مُنذرٌ عن الله، لا مخترعٌ من تلقاء نفسي؛ فلا ينافي أنه بشيرٌ أيضاً.

قوله: (ماذا حالُكم؟) أشار بذلك إلى أنَّ مفعولي ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ محذوفان، دلَّت عليهما الجملة.

قوله: (جملة حالية) أي: وكذا ما بعدها من الجُمَل الثلاث، ويصحُّ جعل الجمل الأربعة معطوفاتٍ على فعل الشرط، فقولُ المفسِّر فيما يأتي: (عطف عليه) ـ يعني: من الجُمَل الأربعة ـ فيه تلفيقٌ، ويمكنُ أن يجاب: بأنَّ المراد العطفُ اللغويُّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٩٩) عن عِكرمة والحسن البصري رحمهما الله تعالى.

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ ....

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ هو عَبد الله بن سَلام ﴿عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ أي: عَلَيهِ أنَّهُ مِن عِند اللهِ، ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشَّاهِد ﴿وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ﴾: تكبَّرتُم عن الإيمانِ، ـ وجَوابُ الشَّرط بِما عُطِفَ علَيهِ: ألَستُم ظالِمين؟ دلَّ علَيهِ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿١١﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: في حَقِّهِم: ﴿لَوۡ كَانَ﴾ الإيمانُ ﴿خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (هو عبد الله بن سلام) وقيل: الشاهد موسى، وشهادتُه ما في التوراة من نَعته ﷺ.

قوله: (أي: عليه) أشار بذلك إلى أنَّ (مثل) صلةٌ.

قوله: (ألستُم ظالمين؟) المناسب لِلمفسِّر تقديرُ الفاء؛ لأنَّ الجملة الاستفهاميَّة إذا وقعت جواباً للشرط.. لَزِمت الفاء[1].

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾... إلخ) هذا من جُملة قبائح الكفار زعماً منهم أنَّ عِزَّ الآخرة تابعٌ لعزِّ الدنيا، ولم يعلمُوا أنَّ رحمة الله يَخُصُّ بها من يشاء، ولا سيَّما من لم تكن الدنيا أكبَرَ همِّه ومَبلَغَ علمِهِ.

وردَ: أنَّ القائل ذلك جملةٌ من العرب، وهم بنُو عامر وغطَفان وأسَد وأشجع لمَّا أسلم جُهينة ومُزَينة وأسلَم وغِفار[2].

قوله: (أي: في حَقِّهم) أشار بذلك إلى أنَّ اللام بمعنى (في)، ويصحُّ أن تبقى على بابِها.

قوله: (﴿لَوۡ كَانَ﴾ الإيمان... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في (كان) عائدٌ على الإيمان، ويصحُّ عَودُه على القرآن، أو على الرسول، وكُلُّها مَعانٍ متلازمةٌ.

قوله: (﴿مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾) التفاتٌ من الخطاب إلى الغَيبة، وكان مقتضى الظاهر: ما سبقتمُونا إليه، والضمير في ﴿إِلَيۡهِ﴾ عائدٌ على ما عاد عليه ضمير ﴿كَانَ﴾.

---

(١) وقيل: جواب الشرط هو قوله: ﴿فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ﴾، وقيل: هو محذوف تقديره: فمَن المحقُّ مِنا والمبطِل؟ وقيل: فمَن أضلُّ؟ انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٦٤).

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/ ١٠٦).

وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ....

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟﴾ أي: القائِلُون ﴿بِهِۦ﴾ أي: القُرآنِ ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ﴾ أي: القُرآن ﴿إِفْكٌ﴾: كَذِبٌ ﴿قَدِيمٌ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القُرآنِ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي: التَّوراةُ ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ لِلمُؤمِنين بِه - حالانِ - ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القُرآنُ ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لِلكُتُبِ قَبلَه ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ - حال مِن الضَّمِير في ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ - ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: مُشرِكِي مكَّةَ ﴿وَ﴾ هو ﴿بُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾: المُؤمنين.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾) ظرف لمحذوفٍ، تقديرُه: زادُوا طغياناً، وليس قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ عاملاً فيه؛ لأمرَين: وجود الفاء، وكون الفعل مستقبلاً؛ لأنَّ ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها، وبين الماضي والاستقبال تَضادٌّ؛ فإنَّ الفعل مستقبَلٌ و(إذ) للماضي.

قوله: (﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾) أي: من قولِ الأقدَمِين، أتى به هو ونسَبه إلى الله تعالى، فهو كقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

قوله: (﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿كِتَٰبُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملة حاليَّة، أو مُستأنفةٌ، وهو ردٌّ لقولهم: ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾، والمعنى: لا يَصح كونه إفكاً قديماً مع كونِكم سلَّمتم كتاب موسى ورجعتم إلى حُكمه؛ فإنَّ القرآن مُصدِّق لكتاب موسى وغيره، وفيه قِصَص المتقدمين من الرُّسل وغيرهم والمتأخرين.

قوله: (حالان) أي: من ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾.

قوله: (﴿مُّصَدِّقٌ﴾ لِلكتب قبله) أي: كتاب موسى وغيرِه من باقي الكتب السماويَّة.

قوله: (حال من الضمير في ﴿مُّصَدِّقٌ﴾) ويَصح أن يكون حالاً من ﴿كِتَٰبٌ﴾، و﴿عَرَبِيًّا﴾: صفة لـ﴿لِّسَانًا﴾.

قوله: (﴿لِّيُنذِرَ﴾) مُتعلق بـ﴿مُّصَدِّقٌ﴾.

قوله: (﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾) أشار المفسِّر بتقدير الضمير إلى أنه خبرٌ لمبتدأ محذوف، والجملةُ حاليَّة، ويَصحُّ أن يكون معطوفاً على ﴿مُّصَدِّقٌ﴾، فهو مرفوعٌ بضمَّة مُقدَّرة، منَع من ظهورها التعذر، ومنصوب عطف على محلِّ قوله: ﴿لِّيُنذِرَ﴾، كأنه قال: للإنذار والبِشارة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ ....

(١٣ - ١٤) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على الطاعةِ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ ـ حال ـ ﴿جَزَآءَۢ﴾ ـ مَنصوب على المَصدَر بِفعلِه المُقدَّر ـ أي: يُجزَونَ ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

(١٥) ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ ـ وفي قِراءةٍ: ﴿إِحْسَٰنًا﴾ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾) أي: وحَّدُوا ربَّهم، وقوله: (﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾) الاستقامة هي: العِلم والعمل، وأتى بـ(ثم) إشارةً إلى أنَّ اعتبار العلم والعمل إنما يكون بعد التوحيد، ولِلدلالة على الاستمرار على الاستقامة، فليس المراد حصولَ الاستِقامة مُدَّةً ثم يرجع للمُخالفات.

قوله: (﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾) أي: من وقت حُضور الموت إلى ما لا نهاية له، فيَأمنون من الفتَّانات[1]، وسؤال الملَكين، وعذاب القبر، وهَول الموقف والنار.

قوله: (﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾) أي: على ما فاتهم في الدنيا.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾) أي: هي لهم بالأصالة.

قوله: (حال) أي: مِن ضمير ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾.

قوله: (﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾) لما كان حقُّ الوالدين مطلوباً بعد حقِّ الله تعالى.. ذكر الوصيَّة بهما إثر ما يتعلَّق بِحُقوقه تعالى، ومُناسبةُ ذكر الوصيَّة بالوالدين عَقب ذكر صفات أهل الجنَّة وأهل النَّار.. لأنَّ الإنسان يَختلف حاله مع أبوَيه؛ فقد يَبرُّهما فيكون مُلحَقاً بأهل الجنَّة، وقد يَعقُّهما فيكون مُلحقاً بأهل النار.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعيَّة أيضاً[2].

---

(١) كذا جمَعه في الأصول، ولعل الأولى (فُتَّان) كـ(رُمَّان)، وفي الحديث عند أبي داوود في «سننه» (٣٠٧٠): «المسلم أخو المسلم يَتعاوَنان على الفتَّان» يروى بضم الفاء وفتحها، فالضم: جمع فاتِن؛ أي: يُعاون أحدهما الآخرَ على الذين يضلُّون الناس عن الحق ويَفتنونهم، وبالفتح هو الشيطان، لأنه يَفتن الناس عن الدين. انظر «تاج العروس»، مادة (ف ت ن)، و«النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤١٠).

(٢) قرأ الكوفيون: ﴿إِحْسَٰنًا﴾، وباقي السبعة: (حُسناً) بضم الحاء وسكون السين، فالقراءة الأولى يكون ﴿إِحْسَٰنًا﴾ فيها =

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ....

أي: أَمَرناهُ أن يُحسِنَ إلَيهِما، ـ فنَصبُ ﴿إِحْسَانًا﴾ على المَصدَر بِفِعلِه المُقدَّر، ومِثلُه ﴿حُسْنًا﴾ ـ، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: على مَشَقَّة، ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾ مِن الرَّضاعِ ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ سِتَّةُ أشهُر أقلُّ مُدَّة الحَمل، والباقِي أكثَرُ مُدَّة الرَّضاع، وقِيل: إن حَمَلَت بِهِ سِتَّةً أو تِسعة أرضَعَتهُ الباقِي، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أمرناه... إلخ) تفسيرٌ لكلٍّ من القراءتَين.

قوله: (فنصب ﴿إِحْسَانًا﴾... إلخ) بيانٌ لإعراب القراءتَين على اللفِّ والنشر المشوَّش. والحُسن والإحسان بمعنًى واحد، وهو جمالُ القول والفعل؛ بأن يُعظِّمهما ويوقِّرهما قولاً وفعلاً.

قوله: (﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾... إلخ) عِلَّة لقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾، واقتصر على ذكر الأمِّ؛ لأنَّ حقَّها أعظم؛ ولذلك قيل: إنَّ لها ثلثَي الأجر.

قوله: (﴿كُرْهًا﴾) بفتح الكاف وضمِّها قراءتان سبعيَّتان، ومعناهما واحد[1].

قوله: (أي: على مشقَّة) أي: في أثناء الحمل؛ إذ لا مَشقَّة في أوَّله.

قوله: (﴿وَحَمْلُهُ﴾) أي: مُدَّة حمله، وقوله: (﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾) خبر قوله: (حمله) على حذف مضاف[2].

قوله: (إن حمَلت به ستة) أي: مِن الشهور، وقوله: (أرضعته الباقي) أي: من الثلاثين، وهو أربعة وعِشرون، أو أحد وعشرون.

قيل: إنَّ الآية عامَّة في كلِّ إنسان، وقيل: إنها خاصَّة بمن نزَلت في حقِّه وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ لِما روي: أنَّ أمَّه حمَلت به تسعة أشهر، وأرضعته أحداً وعشرين شهراً.

= منصوباً بفعل مقدر؛ أي: وصَّيناه أن يُحسِنَ إليهما إحساناً ـ كما ذهب إليه المفسِّر ـ وقيل: بل هو مفعول به على تضمين (وصَّينا) معنى (ألزمنا)، فيكون مفعولاً ثانياً، وقيل: بل هو منصوب على المفعول له؛ أي: وصَّيناه بهما إحساناً منَّا إليهما. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٦٧).

(١) الكوفيون وابن ذكوان بضم الكاف فيهما، والباقون بالفتح، وهما لغتان بمعنى واحد؛ مثل: الضَّعف والضُّعف، وقيل: المضموم: اسم، والمفتوح: مَصدر. انظر «السراج المنير» (٤/ ٨).

(٢) أي: ومُدَّة حمله ومُدَّة فِصاله ثلاثون شهراً، ولولا هذا الإضمار.. لنصب (ثلاثون) على الظرف وتغيَّر المعنى. انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٩٣).

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ ....

﴿حَتَّىٰٓ﴾ ـ غاية لِجُملةٍ مُقدَّرة ـ أي: وعاشَ حتَّى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ هو كَمالُ قُوَّته وعَقلِه ورَأيِه، أقلُّه ثَلاث وثَلاثُونَ سَنة أو ثَلاثُونَ، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تَمامَها وهو أكثَرُ الأشُدِّ، ﴿قَالَ رَبِّ. . .﴾ إلَخ نَزَل في أبِي بَكر الصِّدِّيق لَمَّا بَلَغ أربَعِين سَنة بعدَ سَنَتَينِ مِن مَبعَث النَّبيِّ ﷺ آمَنَ بِه، ثُمَّ آمَن أبَواهُ ثُمَّ ابنُه عبدُ الرحمنِ وابنُ عبدِ الرَّحمَن أبُو عَتِيق، ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾: أَلهِمنِي ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ﴾ بِها ....

حاشية الصاوي

قوله: (غاية لجملة مقدَّرة) أي: معطوفة على قوله: ﴿وَوَضَعَتْهُ﴾، أو مستأنفة.

قوله: (أقلُّه ثلاث وثلاثون سنة) أي: لأنَّ هذا الوقت هو الوقت الذي يكمل فيه بدَن الإنسان.

قوله: (إلى آخره) أي: وآخرُها قوله: ﴿وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

قوله: (نزل) أي: المذكور من قَوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾. . . إلخ، وحاصلُ ذلك: أنَّ أبا بكر صَحِبَ النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة والنبي ﷺ ابن عشرين سنةً في تجارة إلى الشام، فنزلُوا منزلاً فيه سِدرة، فقعد النبي ﷺ في ظلِّها، ومضى أبو بكر إلى راهِب هناك، فسأله عن الدين، فقال له الراهب: مَن الرجل الذي في ظلِّ السدرة؟ فقال: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فقال الراهب: هذا والله نبيٌّ، وما استَظلَّ تحتها بعد عيسى أحدٌ إلا هذا، وهو نبيُّ آخِرِ الزمان، فوقع في قلب أبي بكر اليَقين والتصديق، وكان لا يُفارق النبي ﷺ في سفرٍ ولا حضرٍ، فلمَّا بلغَ رسول الله أربعين سنةً وأكرَمه الله تعالى بِنُبوَّته، واختصَّه برسالته. . آمَن به أبو بكر الصديق وصدَّقه وهو ابنُ ثمان وثلاثين سنةً، فلمَّا بلغ أربَعين سنة. . دعا ربَّه عزَّ وجلَّ فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾. . . الآية[1].

قوله: (ثم آمَن أبواه) عثمانُ بن عامر بن عمرو، وكُنيته أبو قُحافة، وأمُّه أمُّ الخير بنت صخر بن عمرو.

قوله: (وابن عبد الرحمن) واسمه محمد، وكلُّهم أدركُوا النبي ﷺ، ولم يَجتمع هذا لأحدٍ من الصحابة غير أبي بكر، وامرأةُ أبي بكر اسمها قُتَيْلَةُ بنت عبد العُزَّى، وامرأة أبِيه اسمها قَيْلَةُ.

قوله: (ألهِمني) أي: رغِّبني ووفِّقني.

---

(١) انظر «أسباب النزول» لِلواحدي (ص٣٩٦)، و«زاد المسير» (٤/١٠٧).

عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ....

﴿عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ وهي التَّوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ فأعتقَ تِسعةً مِن المُؤمِنين يُعذَّبون في الله، ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ فكُلُّهم مُؤمِنون، ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿١٦﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: قائِلُو هذا القَول أبُو بَكر وغَيرُه ﴿ٱلَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ﴾: بِمَعنى حَسَن ....

حاشية الصاوي

قوله: (فأعتق تسعة) أي: افتَداهم من أيدِي الكفار، وخلَّصهم من أذاهم، فهو عتقٌ صُوريٌّ، ولم يُرِد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه.

قوله: (﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾) أي: اجعَل الصلاح سارياً فيهم، وعبَّر بـ(في) إشارةً إلى أنهم كالظرف لِلصلاح؛ لِتَمكُّنه منهم[1].

قوله: (فكلُّهم مؤمنون) أي: فالصلاح مَقولٌ بالتشكيك[2]؛ يَتحقَّق بأصل الإيمان، ويتزايدون فيه على حسَب مَراتبهم.

قوله: (أي: قائل[3] هذا القول) أشار بذلك إلى أنَّ العِبرَةَ بعموم اللفظ، لا بِخُصوص السبب.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُتَقَبَّلُ﴾) هو و(يُتَجاوَزُ) بالياء مبنيًّا للمفعول، أو بالنون مَبنيًّا للفاعل، قراءتان سبعيَّتان، وقرئ شذوذاً بالياء مبنيًّا للفاعل[4].

قوله: (بمعنى: حسَن) أشار بذلك إلى أنَّ اسمَ التفضيل ليس على بابه.

---

(١) وقيل: إنه عدِّي بـ(في)؛ لِتَضمُّنه معنى اللطف؛ أي: الطُف بي في ذريتي. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ٣١).

(٢) المعنى المشترك إذا كانت النسبة فيه مُتفاضلة.. سماه المصطلحون من باب التشكيك، وإذا كانت النسبة واحدة سَمَّوه متواطئاً، والصلاح هنا نِسبتُه مُتفاضلة.

(٣) في «الفتوحات» (٤/ ١٣٤): (قائلو)، وهي الموافِقة لنسخ الجلال.

(٤) قرأ الأخوان وحفص: ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ بفتح النون مبنيًّا للفاعل ونصبِ ﴿أَحْسَنَ﴾ على المفعول به، وكذلك ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾، والباقون بِبنائهما للمفعول ورفع (أحسَنُ)؛ لِقيامه مَقام الفاعل ومكانِ النون ياء مضمومة في الفعلَين، والحسن والأعمش وعيسى بالياء من تحت، والفاعل الله تعالى. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٦٩).

مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ ....

﴿مَا عَمِلُواْ وَيُتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ـ حال ـ أي: كائنِينَ في جُملَتِهم، ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ في قَوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ [التوبة: ٧٢].

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ ـ وفي قِراءة بِالإدغامِ ـ أُرِيدَ بِه الجِنس ﴿أُفٍّ﴾ ـ بِكَسرِ الفاءِ وفَتحها بِمَعنى مَصدَر ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: من ضمير ﴿عَنْهُمْ﴾.

قوله: (﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾) مصدرٌ مَنصوبٌ بفعله المقدَّر؛ أي: وعدَهم الله وعدَ الصدق.

قوله: (﴿ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾[1]) أي: في الدنيا على لِسان رسول الله ﷺ.

قوله: (﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾... إلخ) اسم الموصول مَعمول لمحذوف، تقديره: اذكر يا محمد لقومِك الشخص الذي قال لِوالديه... إلخ، ويحتمل أنه مبتدأٌ، خبره قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾... إلخ؛ والمرادُ منه: الجنس، لا شخص مُعيَّن؛ ولذا أخبر عنه بالجمع؛ مراعاةً لمعناه، فهي واردةٌ في كلِّ شَخصٍ كافرٍ عاقٍّ لوالديه المسلمَين، وهذا هو الصحيح، خلافاً لِمَن شذَّ وقال: إنَّ هذه الآية نَزلت في حقِّ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه؛ فإنَّه كان من أفاضِل الصحابة وخِيارهم، وقد كذَّبَتِ الصدِّيقةُ مَنْ قال ذلك[2]، ويَرُدُّه أيضاً قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾... إلخ.

قوله: (وفي قراءة بالإدغام) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[3].

قوله: (بكسر الفاء) أي: مع التنوين وتركِه، وقوله: (وفتحها) أي: من غير تنوين، فالقراءات

---

(١) في (أ): (الذي كانوا يوعدونه) بتقدير العائد على الموصول.

(٢) كما في «صحيح البخاري» (٤٨٢٧) قائلة لمروان بن الحكم لما أراد إخراج أخيها مِن بيتها: (ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أنَّ الله أنزل عُذري)، قال الإمام القسطلاني في «إرشاد الساري» (٧/ ٣٤٠): (ونفي عائشة أصحُّ إسناداً مِمن روى غيره، وأولى بالقبول).

(٣) قرأ أبو عمرو بإدغام لام (قال) بلام الجرِّ في (لوالديه). انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٩٦).

لَكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ....

أي: نَتْناً وقُبحاً، ﴿لَّكُمَآ﴾: أتَضجَّر مِنكُما، ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ - وفي قِراءة بِالإدغامِ - ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ مِن القَبر ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ﴾: الأُمَمُ ﴿مِن قَبْلِي﴾ ولَم تُخرَج مِن القُبُور؟ ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾: يَسألانِه الغَوثَ بِرُجُوعه ويَقُولان: إن لَم تَرجِع ﴿وَيْلَكَ﴾ أي: هَلاكك بِمَعنى هَلَكت

حاشية الصاوي

ثلاث سبعيَّات[1]، وهو مصدر (أفَّ يؤُفُّ أفًّا) بمعنى: نَتْناً وقبحاً، أو هو اسمُ صوتٍ يدلُّ على تضجُّر، أو اسمُ فعل (أتضجر)، والمفسِّر أشار لاثنين منها بقوله: (بمعنى: مصدر)، وبقوله: (أتضجَّر منكما).

قوله: (أي: نَتْناً) النَّتْن: القذارة، والرائحة الكريهة، وهو كِناية عن عدم الرضا بفعلهما والتضجُّر منهما.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾) هذا هو الموعودُ به، والباء محذوفة؛ أي: بأن أُخرج، وحذفُ الجارِّ مع (أنْ) مُطَّردٌ.

قوله: (﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (ولم تخرج من القُبور) أي: زعماً منه أنَّ الخروجَ من القبور لو كان صدقاً.. لَحَصل قبل انقضاء الدنيا.

قوله: (﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾) اعلَم: أنَّ مادة الاستغاثة تتعدَّى بنفسها تارةً، وبالباء أخرى، لكن لم تَرِد في القرآن إلا متعدِّية بنفسها، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

قوله: (يَسألانه الغوث) أي: إغاثةَ ذلك الولدِ بتَوفيقه للإسلام.

قوله: (﴿وَيْلَكَ﴾) معمولٌ لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (ويقولان... إلخ)، وذلك المحذوف حال من فاعل ﴿يَسْتَغِيثَانِ﴾، والمعنى: يَستغيثان الله حال كونهما قائلَيْنِ: ويلَك، فهو فعل أمرٍ[3].

---

(١) قرَأ المدنيان وحفص بكسر الفاء منوَّنةً، وقرأ يعقوب وابن عامر وابن كثير بفتحها من غير تنوين، والباقون بكسرها من غير تنوين. «البُدور الزاهرة» (ص٢٩٥).

(٢) قرأ هشام بإدغام النون الأُولى في الثانية فيَنطق بنون مشدَّدة مكسورة، ويمد طويلاً للساكنين، والباقون بنُونين خفيفتين، وفتَح ياءَ الإضافة المدنيان والمكي، وأسكنَها غيرهم. انظُر «البدور الزاهرة» (ص٢٩٥).

(٣) كذا في الأصول؛ بتقديم (فهو فعل أمر)، ولعله سهوٌ من الناسخ، وحقُّها أن تكون بعد قوله: (واعترف)؛ لأن الضمير يرجع على (آمن)؛ كما هي عبارةُ «الفتوحات» (٤/ ١٣٥).

ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ....

﴿ءَامِنْ﴾ بِالبَعثِ؛ ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ أي: القَولُ بِالبَعثِ ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أكاذِيبُهُم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ﴾: وجَبَ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بِالعَذابِ ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِن جِنسَيِ المُؤمِنِ والكافِرِ ﴿دَرَجَٰتٌ﴾؛ فدَرَجاتُ المُؤمِنِينَ في الجَنَّة عالِيةٌ، ودَرَجات الكافِرِينَ في النَّار سافِلة، ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي: المُؤمِنُون مِن الطَّاعات والكافِرُون مِن المَعاصِي ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ أي: اللهُ، وفي قِراءة بِالنُّون ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جَزاءَها،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ءَامِنْ﴾) أي: صدِّق واعترِف.

قوله: (﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ، أو تعليلٌ لما قبلها.

قوله: (أكاذيبُهُم) أي: التي اختَرَعوها من غير أن يكون لها أصلٌ.

قوله: (﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾) حال من ضمير ﴿عَلَيْهِمُ﴾، والمعنى: ثبت عليهم القول في عِداد أُمَمٍ... إلخ.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾) أي: كافرين ابتداءً وانتهاءً.

قوله: (﴿وَلِكُلٍّ﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿دَرَجَٰتٌ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والمعنى: لكلِّ شخصٍ من المؤمنين والكفار.

قوله: (﴿دَرَجَٰتٌ﴾) في الكلام تغليبٌ؛ لأنَّ مَراتب أهل النار يُقال لها: (دركات) بالكاف لا بالجيم، أو تسمُّحٌ؛ حيث أطلق (الدرجات) وأراد المنازل، عُلويَّةً أو سفليَّةً.

قوله: (﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾) أي: من أجل ما عملُوا من خيرٍ وشرٍّ.

قوله: (﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾) عطفُ علَّة على مَعلول، والمعنى: جازاهم بذلك لِيُوفيهم.

قوله: (أي: جزاءَها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ ....

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً يُنقص لِلمُؤمِنين ويُزاد لِلكُفَّار.

﴿٢٠﴾ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بِأن تُكشَف لَهُم يُقالُ لَهُم: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ - بِهَمزةٍ وبِهَمزتَينِ، وبِهَمزةٍ ومَدَّة، وبِهِما وتَسهِيل الثَّانِية - ﴿طَيِّبَاتِكُمْ﴾ بِاشتِغالِكُم بِلَذَّاتِكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (ينقص لِلمؤمنين) أي: مِن درجاتهم، بل قد يزاد لهم فيها.

قوله: (ويُزاد للكفار) أي: في دَركاتهم، بل قد يخفَّف عن بعضِهم، كأبي طالب وأبي لهب.

قوله: (﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾) (يوم): معمولٌ لمحذوف، قدَّره المفسِّر بِقَوله: (يقال لهم)، والمعنى: يُقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ... إلخ﴾ وقتَ عرضهم على النار.

قوله: (بأن تكشفَ له) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام فيه قلبٌ، والأصل: ويوم تعرض النار على الذين كفرُوا؛ أي: يُكشف لهم عنها، وأتى به كذلك؛ لأنَّ عرْضَ الشخص على النار أشدُّ في إهانتِه من عرض النار عليه؛ لأنَّ عرضَه عليها يُفيد أنه كالحطب المجعول للإحراق، وإنما كان فيه قلبٌ؛ لأنَّ المعروضَ عليه شأنُه العلم والاطِّلاع، والنار ليست كذلك.

وقيل: المراد بالعَرض: العذابُ، وحينئذٍ: فليس فيه قلبٌ، وقد أفاد هذا المعنى المفسِّر آخِراً بقوله: (ويعذبون بها).

قوله: (يُقال لهم) هذا المقدَّر عاملٌ في جملة ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾، وناصبٌ لـ(يوم) على الظرفيَّة.

قوله: (﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾) أي: ما قُدِّر لكم من المستَلَذَّات، فقد استَوفيتمُوه في الدنيا، فلم يبقَ لكم حظٌّ تأخذُونه في الآخرة.

قوله: (بهمزة... إلخ) أشار المفسِّر لخمس قراءات: بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بألِف بينهما على الوجهين وتركِه، وهمزة واحدة، وأجمَلَ في ذلك؛ فقوله: (بهمزة) هي إحدى القراءات الخمس، وقوله: (وبهمزتين) أي: محقَّقتَين بغير مدٍّ بينهما، ثانيتُها، وقوله: (وبهمزة ومدة) المناسب: (وبهمزتين محقَّقتَين، ومدَّة)، وهي ثالثتُها، وقوله: (وبهما وتسهيل الثانية) أي: بمدَّة ودونها، فقد تمَّت الخمس[1].

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر بهمزتين مفتوحتَين؛ الأُولى: مُحقَّقة بلا خلاف، والثانية: مسهَّلة بخلاف عن هشام، وأدخل هشام بينهما ألفاً، ولم يُدخل ابن كثير وابن ذكوان، والباقون بهمزة واحدة محقَّقة. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٢).

فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ ....

﴿فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾: تمتَّعتُم ﴿بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: الهَوانِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: تتكبَّرُون ﴿فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ به وتُعذَّبُون بها.

﴿٢١﴾ ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هُود علَيهِ السَّلام، ﴿إِذْ﴾ ... إلَخ ـ بَدَل اشتِمال ـ ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُۥ﴾: خوَّفَهُم ﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾: وادٍ بِاليَمَنِ بِه مَنازِلُهم ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾: مَضت الرُّسُل

حاشية الصاوي

قوله: (إلى الهوان) أشار بذلك إلى أنه من إضافة الموصوف لِصِفته.

قوله: (﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾) وصفٌ كاشفٌ؛ لأنَّ الاستكبار لا يكون إلا بغيرِ الحق؛ فإنَّ الكبرياء وصفُ الله وحده.

قوله: (به) متعلق بـ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ و﴿تَفْسُقُونَ﴾، وقَدَّره إشارةً إلى أنَّ العائد محذوف، ويصح أن تكون مصدريَّة؛ أي: بكونهم مُستكبرين فاسِقين، والمراد بالاستكبار: الفواحش الباطنيَّة، وبالفِسق: الفواحش الظاهريَّة.

قوله: (ويُعذبون بها) عطفٌ على ﴿يُعْرَضُ﴾ عطفَ تفسيرٍ، فهو تفسيرٌ آخر للعَرض، فالمناسب تقديمُه، و(على) بمعنى الباء.

قوله: (﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾) أي: في النسب، لا في الدين؛ لأنَّ هوداً هو وقومَه يَنتسبون لعاد.

قوله: (هو هود بن عبد الله بن رباح) وتقدَّم ذكره تفصيلاً في سورة (هود)[1].

قوله: (بدل اشتمال) أي: فالمقصود ذكر قصَّته مع قومِه؛ للاعتبار بها.

قوله: (﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾) حالٌ من ﴿قَوْمَهُۥ﴾ أي: أنذَرهم والحالُ أنهم يُقيمون بالأحقاف.

قوله: (وادٍ باليمن) أي: فهو عَلَمٌ على الوادي، لا جمعٌ، وقوله: (ومنازلهم) تفسيرٌ آخر، وعليه: فهو جمع (حِقْفٍ)، وهو الرَّمل المستطيل، وتقدَّم القولان في أوَّل السورة، وقيل: إنَّ الأحقاف جبلٌ بالشام.

قوله: (﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾) الواو: اعتراضيَّة، والخلوُّ بالنسبة لِزمن رسول الله ﷺ، وأتى بهذه

(١) انظر (٣/ ٢٩٠).

مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ....

﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ أي: مِن قَبلِ هُود ومِن بَعدِه إلى أقوامِهِم، ﴿أَنۡ﴾ أي: بِأن قال: ﴿لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ـ وجُملةُ ﴿وَقَدۡ خَلَتِ﴾ مُعترِضةٌ ـ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن عَبدتُم غيرَ الله ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾) ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾: لِتَصرِفَنا عن عِبادَتِها، ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ مِن العَذاب على عِبادَتها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أنَّهُ يَأتِينا، ....

حاشية الصاوي

الجُملة لبيان أنَّ إنذار هود لعاد وقَع مِثله للرسل المتقدمِين عليه والمتأخرين عنه، فلم يكن مُختصًّا بهود.

ويحتمل أن معنى قوله: ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾... إلخ؛ أي: مضى لك ذِكرهم في القرآن مِراراً؛ فلا حاجةَ للإعادة، فهو ذكر لباقي القصص إجمالاً، نظير قوله فيما تقدَّم: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٨]، فتدبَّر.

قوله: (أي: من قبل هود... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، والذين قبله أربعةٌ: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، والذين بعدَه كصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وسائر أنبياء بني إسرائيل.

قوله: (إلى أقوامهم) متعلِّق بـ(مضت)؛ لتضمُّنه معنى (مُرسَلِينَ).

قوله: (أي: بأن) أشار بذلك إلى أنَّ (أنْ) إمَّا مصدرية، أو مخفَّفة من الثقيلة، والباء المقدَّرة للتصوير.

قوله: (مُعترضة) أي: بين الإنذار ومعمُوله.

قوله: (﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾) عِلَّة لقوله: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾.

قوله: (﴿عَظِيمٖ﴾) بالجرِّ، صفة لـ﴿يَوۡمٍ﴾، ووصف اليوم بالعظم؛ لِشدَّة هَوله.

قوله: (﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا﴾) أي: جواباً لإنذاره.

قوله: (﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾) شرطٌ حُذف جوابه لدلالة ما قبله عليه.

قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ....

﴿قَالَ﴾ هُود: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو الذي يَعلَم متى يَأتِيكُم العَذابُ، ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ إلَيكُم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ بِاستِعجالِكُم العذابَ.

﴿٢٤﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: ما هو العَذابُ ﴿عَارِضًا﴾: سَحاباً عَرَضَ في أُفُق السَّماءِ ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي: مُمطِرٌ إيَّانا، قال تَعالى: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾) أي: علمُ وقتِ إتيانِ العذاب عند الله؛ فلا عِلمَ لي بوقته، ولا مدخلَ لي في استعجاله.

قوله: (﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ﴾) أي: إنَّ وظيفتي تَبليغكم، لا الإتيانُ بالعذاب؛ إذ ليس في طاقتي.

و(أبلغكم): بسكون الباء وتخفيف اللام، وبفتحها وتشديدِ اللام مكسورة، قِراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَلَٰكِنِّيٓ﴾) بسكون الياء وفتحها، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (أي: ما هو العذاب) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في ﴿رَأَوْهُ﴾ عائدٌ على (ما) في قوله: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾.

قوله: (سحاباً عرض) أي: فالعارض هو: السحاب الذي يُعرف في الأفق.

قوله: (﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾) أي: مُتوجهاً إليها، والإضافة لفظيَّة للتخفيف، وكذا هي في قوله: ﴿مُّمْطِرُنَا﴾؛ ولِذا وقع المضاف في الموضعَين صفة للنكرة وهي ﴿عَارِضًا﴾ و﴿عَارِضٌ﴾.

قوله: (أي: مُمطرٌ إيانا) أي: يأتينا بالمطر.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿بَلْ هُوَ﴾... إلخ من كلامِه تعالى، ويصحُّ أن يكون من كلام هودٍ ردًّا لقولهم: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ وهو الأولى.

---

(١) قرأ أبو عمرو بسكون الباء الموحدة وتخفيف اللام، والباقون بفتح الموحدة وتشديد اللام. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٣).

(٢) وقرأ نافع والبزي وأبو عمرو بفتح الياء، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٤).

بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ....

﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ مِن العَذاب، ﴿رِيحٌ﴾ - بَدَل مِن ﴿مَا﴾ - ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

﴿٢٥﴾ ﴿تُدَمِّرُ﴾: تُهلِكُ ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ مَرَّت عليهِ ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: بِإرادَتِه، أي: كُلَّ شيءٍ أرادَ إهلاكَه بِها، فأهلَكَت رِجالَهم ونِساءَهُم وصِغارَهُم وأموالَهم، بِأن طارَتْ بِذلك بين السَّماء والأرضِ ومَزَّقَتهُ وبَقِيَ هُود ومَن آمَن مَعهُ، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا تَرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ﴾ كما جَزَيناهُم ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ غيرَهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من ﴿مَا﴾) أي: أو خبرٌ لمحذوف؛ أي: هي ريح.

قوله: (﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) الجملةُ صفة لـ﴿رِيحٌ﴾، وكذا قوله: ﴿تُدَمِّرُ﴾.

قوله: (أي: كل شيء أراد إهلاكه بها) تفسيرٌ لقوله: ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾.

قوله: (فأهلكت رِجالهم) قدَّر هذا؛ لِيعطف عليه قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾. . . إلخ.

رُوي: أنَّ هوداً لما أحَسَّ بالريح. . أخذ المؤمنين ووَضعهم في حظيرة، وقيل: خطَّ حولهم خطًّا، فكانت الريح لا تعدُو الخطَّ، وجاءت الريح فأمالَت الأحقاف على الكفَرة، فكانُوا تحتها سبعَ ليال وثمانية أيام يُسْمَعُ لهم أنينٌ، ثمَّ كشَفت عنهم الرمل، واحتَملتهم فقذَفتهم في البحر[1].

قوله: (وبقي هُود ومن آمن معه) أي: وهُم أربعة آلاف، وكانت الريح تَأتيهم ليِّنةً باردةً طيبةً، والريح التي تُصِيب قومه شَديدة عاصفة مُهلكة، وهي مُعجزة عظيمة لهود عليه السلام.

قوله: (﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾) أي: صارُوا.

قوله: (﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ﴾) بتاء الخطاب، ونَصب (المساكن)، أو بياء الغيبة مبنيًّا لِلمفعول ورفع (مساكن) على أنه نائب الفاعل، قراءتان سبعيَّتان[2]، والمعنى: فصارُوا لا يرى إلا أثرُ مساكنِهم؛ لأنَّ الريح لم تبقَ منها إلا الآثارُ، والمساكن مُعطَّلة.

قوله: (كما جزَيناهم) أي: عاداً.

---

(١) انظر «تفسير البيضاوي» (٥/ ١١٥).

(٢) قرأ حمزة وعاصم (لا يرى) بضم الياء من تحت مبنيًّا لِلمفعول، والباقون من السبعة بفتح تاء الخطاب. انظر «الدر المصُون» (٩/ ٦٧٥).

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ....

﴿٢٦﴾ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ﴾: في الذي ﴿إِن﴾ ـ نافية أو زائدة ـ ﴿مَّكَّنَّٰكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّة ﴿فِيهِ﴾ مِن القُوَّة والمالِ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾: بِمعنى أسماعاً ﴿وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾: قُلُوباً، ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: شَيئاً مِن الإغناءِ، ـ و(مِن) زائِدة ـ ﴿إِذْ﴾ ـ مَعمُولةٌ لـ﴿أَغْنَىٰ﴾، وأُشرِبَت مَعنَى التَّعلِيل ـ ﴿كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بِحُجَجِه البيِّنة، ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذابُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ﴾) أي: عاداً.

قوله: (في الذي) أشار به إلى أنَّ (ما) موصولة.

قوله: (نافية) أي: بمعنى (ما)، ولم يُؤتَ بلفظها؛ دفعاً لِثِقل التكرار، ويكون المعنى: ولقد مَكنَّا عاداً في الذي لم نُمكنكم يا أهلَ مكة فيه.

قوله: (أو زائدة) أي: والمعنى: ولقد مَكنَّا عاداً في مثل الذي مَكنَّاكم فيه، ويَصح أن تكون شرطيَّة، وجوابها محذوف، والتقدير: ولقد مَكنَّاهم في الذي إن مَكنَّاكم فيه.. طغَيتم وبَغَيتم. وأوضَحُها أوَّلها.

قوله: (﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾... إلخ) أفرَد السمع؛ لأنَّ ما يُدرك به مُتَّحد، وهو الصوت، بخلاف ما بعدَه من الأبصار والأفئدة؛ فإنه يُدرك بهما أشياء كثيرة.

قوله: (أي: شيئاً) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ مفعول مطلَق، منصوب بفتحة مُقدَّرة، مَنع من ظهورها حركة حرف الجرِّ الزائد.

قوله: (معمولة لـ﴿أَغْنَىٰ﴾) أي: لِنَفيه؛ فإنَّ التعليل للنفي، والمعنى: انتفى نفع هذه الحَواسِّ عنهم؛ لأنهم كانُوا يَجحدون... إلخ.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ . . .

﴿٢٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي: مِن أهلِها كثمُودَ وعادٍ وقوم لُوطٍ، ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾: كرَّرنا الحُججَ البيِّناتِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿فَلَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿نَصَرَهُمُ﴾ بِدَفعِ العَذابِ عَنهُم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه ﴿قُرْبَانًا﴾: مُتقرَّباً بِهِم إلى الله ﴿ءَالِهَةًۢ﴾ مَعهُ وهُم الأصنامُ ـ ومَفعُول (اتَّخذَ) الأوَّل ضَمِير مَحذُوف يَعُودُ على المَوصُول، أي: هُم، و﴿قُرْبَانًا﴾ الثَّانِي، و﴿ءَالِهَةًۢ﴾ بَدل مِنهُ ـ، ﴿بَلْ ضَلُّوا۟﴾: غابُوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عِند نُزُولِ العَذاب، ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي: اتِّخاذُهُم الأصنامَ آلِهة قُرباناً ﴿إِفْكُهُمْ﴾: كَذِبُهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: يَكذِبُون، ـ و(ما) مَصدرِيَّة أو مَوصُولَةٌ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾) الخطابُ لأهل مكة.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾) أي: أهلِهَا.

قوله: (هلَّا) أشار بذلك إلى أنَّ (لولا) تحضيضيَّة.

قوله: (ومفعول ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾ . . . إلخ) أي: والمعنى: فهلَّا دفع عنهم العذابَ الأصنامُ الذين اتخذُوهم قُرباناً آلهةً. والمقصودُ توبيخُهُم.

قوله: (و﴿ءَالِهَةًۢ﴾ بدل منه) هذا أحدُ أعاريب، ويَصح أن يكون ﴿ءَالِهَةًۢ﴾ الثاني، و﴿قُرْبَانًا﴾ حالٌ، أو مفعولٌ من أجله.

قوله: (﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ من نفيِ الدفع عنهم إلى غيبتِها عنهم بالكُليَّة، والمعنى: لم يحضرُوا عندهم فضلاً عن كونهم يَدفعون عنهم العذاب.

قوله: (﴿إِفْكُهُمْ﴾) قرأ العامَّة بكسر الهمزة، وسكون الفاء، مصدر (أَفَكَ، يَأْفِكُ، إِفْكاً)، وقُرئ شذوذاً بفتح الهمزة، وهو مصدرٌ له أيضاً، وبِفتحات فعلاً ماضياً[1].

قوله: (و«ما» مصدرية) أي: وافتراؤهم، وهو الأحسَنُ؛ لِتناسب المعطوفَين.

---

(١) قرأ ابن عباس بالفتح، وابن عباس أيضاً وعِكرمة والصباح بن العلاء (أفكهم) بثلاث فتحات فعلاً ماضياً؛ أي: صرَّفهم. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٧٦).

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ....﴾

والعائِد مَحذُوف أي: فِيه ـ.

﴿٢٩﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ صَرَفْنَآ﴾: أمَلْنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جِنَّ نَصِيبِينَ بِاليَمَن أو جِنّ نِينَوَى، وكانُوا سَبعةً أو تِسعة، وكان ﷺ بِبَطنِ نَخل يُصلِّي بِأصحابِه الفَجر، رَواهُ الشَّيخان، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: فيه) أي: فحذف الجارُّ، فاتصل الضمير ثم حذف، ولو قال: (أي: يفترونه). . لَكان أوضَح.

قوله: (﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾) أي: اذكر يا محمد لِقومك قِصَّة صرْفِنَا إليك نفراً من الجن لِيَعتبروا؛ فإنَّ رسالتك عامَّةٌ للإنس والجنِّ والملائكة وجميعِ الخَلق، لكن إرساله للجنِّ والإنس إرسالُ تكليفٍ إجماعاً، وإرساله للملائكة؛ قيل: إرسالُ تكليفٍ بما يَليق بهم، وقيل: إرسالُ تشريفٍ، وإرساله لِما عداهم من الحيوانات الغير العاقلة والجمادات إرسالُ تشريفٍ ورحمةٍ.

قوله: (﴿نَفَرًا﴾) النَّفَر بفتحتين، والنَّفَرُ والنَّفير: من ثلاثة رجال إلى عشرة.

قوله: (نَصِيبِين) أي: وهي قريةٌ باليمن.

قوله: (أو جنّ نِينَوَى) بنونٍ مكسورة، فياءٍ ساكنةٍ، فنونٍ مضمومة أو مفتوحة، فواوٍ، فألفٍ مقصورة، هي قريةُ يونس عليه السلام، قرب الموصل.

قوله: (وكان ﷺ ببَطن نخل) الصواب أن يقول: (وكان ببطن نخلة)؛ لأنه هو الذي في طريق الطائف، وأمَّا بطنُ نخلٍ. . فهو المكان الذي صلَّى فيه صلاة الخوف، وهو على مرحلتَين من المدينة.

قوله: (يُصلي بأصحابه الفجر) فيه شيءٌ؛ إذ لم يَثبت أنه كان معه من الصحابة إلا زيدُ بن حارثة، وهذه الواقعة كانت قبل فرضِ الصلوات، فالصواب أن يقول: (كان يصلي في جوف الليل).

وعبارة «المواهب»: (ثمَّ خرج عليه السلام إلى الطائف بعد موت خديجةَ بثلاثة أشهر في ليالٍ بَقِين من شوال سنة عشر من النبوة؛ لِما ناله من قريش بعد موت أبي طالب، وكان معه زيد بن حارثة، فأقام به شهراً يدعُو أشراف ثَقيف إلى الله تعالى، فلم يُجِيبوه، وأغرَوا به سفهاءهم وعَبِيدهم يَسُبُّونه، ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف راجعاً إلى مكة. . نزل نَخلة ـ وهو مَوضع

. . . .

حاشية الصاوي

على ليلة من مكة، صرف الله إليه سبعةً من جنِّ نَصِيبِين، وكان عليه السلام قد قام في جوف الليل يُصلي. . . إلخ)[١].

واعلم: أنَّ العلماء ذكرُوا في سبب هذه الواقعة قولَين؛ أحدهما: أنَّ الجنَّ كانت تَسترق السمع، فلمَّا رُجِمُوا ومُنِعُوا من السماء حين بُعِثَ النبي ﷺ. . قالُوا: ما هذا إلا لشيءٍ حدَث في الأرض، فذهبُوا فيها يَطلبُون السبب، وكان قد اتَّفق أنَّ النبي ﷺ في الحادية عشرة من النبوة لما أيِس من أهل مكة. . خرج إلى الطائف يَدعوهم إلى الإسلام، فلم يُجيبوه، فانصرف راجعاً إلى مكة، فقام بِبَطن نخلة يقرأ القرآن، فمرَّ به نفرٌ من جنِّ نَصِيبين كان إبليسُ قد بعثهم يَطلبون السبب الذي أوجب حِراسةَ السماء بالرجم بالشُّهب، فسمعُوا القرآن، فعرفُوا أنَّ ذلك هو السببُ، وعليه: فلم يَكن اجتماعه بالجنِّ مقصوداً للإرسال.

ثانيهما: أنَّ الله أمر رَسوله ﷺ أن يُنْذِرَ الجنَّ، ويَدعُوَهم إلى الله، ويَقرأ عليهم القرآن، فصرف إليه نفراً منهم يَستمعون القرآن ويُنذِرُون قومهم؛ وذلك لأنَّ الجنَّ مُكلَّفون، لهم الثواب والعقاب، ويَدخلون الجنة، ويأكلون فيها ويَشربون كالإنس، فانتهض النبي ﷺ ذات ليلة وقال: «**إني أُمرت أن أقرأ على الجنِّ الليلة القرآن، فأيُّكم يَتبعني؟**»، فأطرقُوا، فتَبِعه عبد الله بن مسعود ـ قال عبد الله بن مسعود: ولم يَحضر معه أحد غيري ـ قال: فانطَلقنا حتى إذا كنَّا بأعلى مكة. . دخل النبي شِعْباً يقالُ له: شعبُ الحجون، وخَطَّ لي خطًّا، وأمرَني أن أجلسَ فيه، وقال لي: «**لا تخرج حتى أعودَ إليك**»، فانطَلق حتى وصل إليهم، فافتتح القرآن، فجعلتُ أرى أمثال النسور تَهوي، وسمعتُ لغطاً شديداً حتى خِفتُ على نبيِّ الله، وغَشِيه أسوِدةٌ كثيرةٌ حالت بيني وبينه، حتى لم أسمَع صوته، ثمَّ طفقُوا يَتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبِين، ففرغ النبي منهم مع الفجر، فانطلق إليَّ فقال لي: «**قد نِمتَ؟**»، فقلتُ: لا والله، ولكنني هَممت أن آتي إليك؛ لخوفي عليك، فقال ﷺ له: «**لو خرجتَ. . لم آمن عليك أن يَتخطَّفك بعضهم، فأولئك جنُّ نَصيبين**»، فقلتُ: يا رسول الله؛ سمعتُ لغطاً شديداً، فقال: «**إنَّ الجنَّ اختَصمُوا في قَتيل قتل بينهم، فتحاكمُوا إليَّ، فقضيتُ بينهم بالحق**»[٢]، وكانت عِدَّة هؤلاء الجنِّ اثني عشر ألفاً.

---

(١) «المواهب اللدنية» (١/ ١٥٩).

(٢) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٣/ ٣٩٣)، ونحوه عند الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٤٥٨)، وانظر «عيون الأثر» لابن سيد الناس (١/ ١٥٨).

﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ....

﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُواْ﴾: أصغوا

حاشية الصاوي

ورُوي عن أنس قال: كنتُ عند النبي ﷺ وهو بِظاهر المدينة إذ أقبل شيخٌ يَتوكأ على عُكَّازة، فقال النبي ﷺ: «إنها لَمِشية جنِّي»، ثمَّ أتى فسلَّم على النبي، فقال النبي ﷺ: «إنها لَنغمة جنِّي»، فقال الشيخ: أجَل يا رسول الله، فقال له النبي ﷺ: «من أيِّ الجنِّ أنت؟» قال: إني هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس، فقال لَه النبي: «كم أتَى عليك من العُمر؟» فقال: أكلت عمر الدنيا إلا القليل، كنت حين قُتِلَ هابيل غلاماً ابن أعوام، فكنتُ أُشرف على الآكام، وأصطاد الهام، وأجعَلُه بين الأنام، فقال النبي: «بئس العمل»، فقال: يا رسول الله؛ دَعني من العتب؛ فإني ممَّن آمن بنوح عليه السلام وعاتبتُه في دعوته، فبكى وأبكاني، وقال: والله؛ إني لَمِن النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلِين، وأتيتُ هوداً فعاتبتُه في دعوته، فبكى وأبكاني، وقال: والله؛ إني لَمن النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولقيتُ إبراهيم وآمنتُ به، وكنتُ بينه وبين الأرض إذ رُمي به في المنجنيق، وكنتُ معه في النار إذ أُلقي فيها، وكنتُ مع يوسف إذ أُلقي في الجُبِّ، فسَبقته إلى قَعره، ولقيتُ موسى بن عمران، وكنتُ مع عيسى بن مريم عليهما السلام، فقال لي: إن لقيتَ مُحمداً.. فاقرأ عليه السلام.

قال أنس: فقال النبي: «وعليه السلام وعليكَ السلام يا هام، ما حاجتُك؟» فقال: إنَّ موسى علَّمني التوراة، وإنَّ عيسى علَّمني الإنجيل؛ فعلِّمني القرآن، قال أنسٌ: فعلَّمه النبي ﷺ سورة (الواقعة)، و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وسورة (الإخلاص) و(المعوِّذتين)[1].

ولا مُنافاةَ بين هذه القصص، فلعلَّ الواقعة تعدَّدت، فإحداها كان فيها زيد بن حارثة، والأخرى كان فيها عبد الله بن مسعود، والأُخرى كان فيها أنس بن مالك؛ كما أنَّ قراءة القرآن عليهم تَعدَّدت.

قوله: (﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾) جمَعه؛ مراعاةً لمعنى النَّفَر، ولو راعى لفظَه.. لقال: (يستمع).

قوله: (﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾) أي: القرآنَ، أو الرسولَ.

قوله: (أصغُوا) بكسر الهمزة وفتح الغين من باب: (رمَى)، أو بفتح الهمزة وضمِّ الغين من الرُّباعي.

---

(١) انظر «السراج المنير» (٤/ ١٧)، وفيه: (وأورش بين الأنام) بدل (وأجعَله بين الأنام).

فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ .....

لِاستِماعِهِ، ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾: فُرِغ مِن قِراءَتِه ﴿وَلَّوْاْ﴾: رَجَعُوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾: مُخوِّفِين قَومَهم العَذاب إن لَم يُؤمِنُوا، وكانُوا يَهُوداً وقد أسلَمُوا.

(﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾) ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾ هو القُرآنُ ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تَقَدَّمَه كالتَّوراةِ، ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: الإسلام ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: طَرِيقه، ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ مُحمَّداً ﷺ إلى الإيمانِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾) بالبناء للمفعول في قراءة العامَّة، وقُرئ شذوذاً بالبناء للفاعل؛ فالأُولى: تُؤيِّد عَودَ الضمير على القرآن، والثانية: تُؤيِّد عودَه على الرسول[1].

قوله: (﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾) أي: بِأمر الرسول عليه السلام؛ لأنه جعَلهم رُسلاً إلى قومهم.

قوله: (وكانُوا يهوداً) أي: وقد أسلَمُوا في هذه الواقعة، وأسلَم من قومهم حين رجعُوا إليهم وأنذرُوهم سبعون، وقال العلماء: إنَّ الجن فيهم اليهود والنصارى والمجُوس وعبَدة الأصنام، وفي مُسلميهم مبتدعةٌ، ومَن يقول بالقدرِ، وخلقِ القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبِدَع.

وروي: أنهم أصناف ثلاثة: صِنف لهم أجنحة يَطيرون بها، وصِنف على صورة الحيَّات والكلاب، وصِنف يَحلُّون ويَظعنون.

واختُلف في مُؤمني الجن؛ فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاةَ من النار، وعليه أبو حنيفة والليث، وبعد نجاتهم من النار يُقال لهم: كونُوا تراباً، وقال الأئمة الثلاثة: هم يَدخلون الجنة، ويأكلون ويَشربون ويتنعَّمون، وقيل: إنهم يكونون حول الجنَّة في رَبض ورِحاب، وليسُوا فيها[2].

قوله: (كالتوراة) أي: والإنجيل والزبور وغيرِهما.

قوله: (أي: طريقه) أي: الإسلام وهو الانقياد، وطريقُه الأعمال كالصلاة والصوم.

---

(١) قرأ أبو مجلز وحبيب بن عبد الله بالبناء للفاعل. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٧٩).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ٢٧٠).

﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ﴾ ....

﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ﴾ اللهُ ﴿لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: بَعضها لِأنَّ مِنها المَظالِم ولا تُغفَر إلَّا بِرضا أصحابِها، ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِم.

﴿٣٢﴾ ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا يُعجِزُ الله بِالهَرَبِ مِنه فيَفُوته، ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ﴾: لِمَن لا يُجيبُ ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: اللهِ ﴿أَوْلِيَآءُ﴾: أنصارٌ يَدفَعُون عَنهُ العَذاب، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الَّذينَ لَم يُجِيبُوا ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن ظاهِر.

﴿٣٣﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾: يَعلَمُوا أي: مُنكِرُو البَعثِ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾: لَم يَعجز عنهُ ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ - خَبَر (أنَّ)، وزِيدَت الباء فِيه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَغْفِرْ لَكُم﴾) جواب الأمر.

قوله: (﴿وَيُجِرْكُم﴾) أي: يُخلِّصكم ويُنجيكم.

قوله: (﴿وَمَن لَّا يُجِبْ﴾... إلخ) (مَن): شرطيَّة، وجوابها قوله: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾... إلخ.

قوله: (﴿أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾) هنا همزتان مضمومتان من كلمتين، وليس في القرآن مَحلٌّ لاجتِماعهما غير هذا.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾... إلخ) هذا آخر كلام الجنِّ الذين سمعُوا القرآن.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾... إلخ) رجوعٌ لِتوجيه الكلام إلى أهل مكة وغيرِهم بعد تقرير قصَّة الجنِّ، والهمزةُ داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، تقديره: أتركُوا التفكر ولم يَرَوا؟

قوله: (لم يعجز عنه) أي: لم يضعف، ولم يَتعب.

قوله: (وزِيدت الباء فيه... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الباء لا تزادُ إلا في خبر (ليس)، و(ما)؛ كما قال ابن مالك[1]: [الرجز]

وبَعدَ (ما) و(ليس) جَرَّ البَا الخَبَرْ

---

(١) انظر «الخلاصة»، فصل في (ما ولا ولات وإن المشبهات بـ«ليس»).

عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ....

لِأنَّ الكلامَ في قُوَّة: أليسَ الله بِقادِرٍ ـ ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ﴾ هو قادِر على إحياءِ المَوتى، ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾) ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بِأن يُعذَّبُوا بِها، يُقال لَهُم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ التَّعذِيبُ ﴿بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على أذى قومِك ﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾: ذَوُو الثَّبات والصَّبر على الشَّدائِد ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قبلَك،

حاشية الصاوي

و(أنَّ) للإثبات.

قوله: (لأن الكلام... إلخ) حاصلُ الجواب: أنها واقعة في خبر (ليس) تأويلاً.

قوله: (﴿بَلَىٰٓ﴾) هي جوابُ النفي، ويَصير بها إثباتاً، بخلاف (نعم)؛ فإنها تُقرِّر ما قبلها نفياً أو إثباتاً.

قوله: (﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾... إلخ) هذا إشارةٌ لِبَعض ما يَحصل في يوم البعث من الأهوال إثرَ بيانِ إثباته وتَقرُّره.

قوله: (يُقال لهم) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ (يوم) ظرف لمحذوف، وإلى أنَّ قوله: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ مَقولٌ لقول محذوف.

قوله: (﴿وَرَبِّنَا﴾) الواو: للقسَم، وإنما أكَّدُوا كلامَهم بالقسَم؛ طمعاً في الخَلاص حيث اعترفُوا بالحقِّ.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾) أي: بسبَبِ كُفركم.

قوله: (﴿فَٱصْبِرْ﴾... إلخ) هذا تسلِيَةٌ له ﷺ. والصبر: تَلقي المكاره والشدائد بالرضا والتسليم.

قوله: (﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾) الكاف: بمعنى (مثل)، صفة لمصدر محذوف، و(ما): مَصدرية، والتقدير: مثل صَبر أُولي العزم.

فتكُون ذَا عَزم، ـ و(مِن) لِلبَيانِ، فكُلُّهم ذَوُو عَزم، وقِيل: لِلتَّبعِيض، فلَيس مِنهُم آدم لِقَولِه تَعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ولا يُونسُ لِقَولِه تَعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] ـ،

حاشية الصاوي

قوله: (فكلُّهم ذُو عزم) أي: حَزم وكمال وثَبات وصبر على الشدائد، وقوله: (وقيل: هي للتبعيض) في كلامه إشارةٌ لقولَين في تفسير (أولي العزم) من جُملة أقوال شتَّى.

وقيل: هم نُجَباء الرسل المذكورُون في سورة (الأنعام) ثمانيةَ عشر: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداوود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسَع، ويونس، ولوطاً.

وقيل: هم اثنا عشر نبيًّا، أُرسلُوا إلى بني إسرائيل بالشام، فعصَوهم، فأوحى الله إلى الأنبياء: أني مُرسلٌ عذابي إلى عُصاة بني إسرائيل، فشقَّ ذلك على المرسلِين، فأوحى الله إليهم: اختارُوا لأنفسكم؛ إن شِئتم أُنزل بكم العذاب، وأَنجيت بني إسرائيل، وإن شِئتُم نجيتم، وأنزلت العذاب ببني إسرائيل، فتَشاورُوا بينهم، فاجتمع رأيُهم على أن يُنزل بهم العذاب، وينجي الله بني إسرائيل، فأنجى الله بني إسرائيل، وأنزل العذاب بأولئك الرسل، وذلك أنه سَلَّط عليهم مُلُوك الأرض؛ فمنهم مَنْ نُشِرَ بالمناشير، ومنهم مَنْ سُلخ جلدة رأسه ووجهه، ومنهم مَنْ صُلب على الخشب حتى مات، ومِنهم مَنْ حرق بالنار.

وقيل: أولو العزم أربعة: إبراهيم صبر على فقد نفسِه وذبح ولده، ومُوسى صبر على أذى قومه ووَثق بربِّه حين قال له قومُه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]، وداوود صبر على البكاء من أجل خَطيئته حتى نبت من دُموعه الشجر، فقعد تحت ظِلِّه، وعيسى لم يَضع لَبنة على لبنة، وقال: «إنها مَعْبَرةٌ فاعبروها ولا تعمرُوها»، فكأنَّ الله تعالى يقول لِنَبيِّه: كن صادقاً واثقاً بربِّك، مُهتمًّا بما سلَف منك، زاهداً في الدنيا.

وقيل: أُولو العزم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، وهو المعتمَد؛ لأنهم أصحاب الشرائع.

قوله: (﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾) أي: تامًّا؛ لأنَّ إرادتَنا أكلَه من الشجرة غلَبت إرادته عدم الأكل منها، وإلَّا.. فكلُّ نبيٍّ صاحب عزمٍ غير أنهم يَتفاوتون فيه على حسَب مَراتبهم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: لِقَومِك نُزُولَ العذابِ بِهِم، قِيل: كأنَّهُ ضَجِرَ مِنهُم فأحَبَّ نُزُولَ العَذابِ بِهِم، فأُمِرَ بِالصَّبرِ وتَركِ الاستِعجالِ لِلعَذابِ؛ فإنَّه نازِلٌ لا مَحالةَ، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ مِن العَذابِ في الآخِرةِ لِطُولِه ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في الدُّنيا في ظَنِّهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾. هذا القُرآنُ ﴿بَلَٰغٌ﴾: تَبلِيغٌ مِن الله إلَيكُم ﴿فَهَلْ﴾ أي: لا ﴿يُهْلَكُ﴾ عِندَ رُؤية العَذاب ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الكافِرُون.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾) أي: لأجلهم، والمفعول محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (نزولَ العذاب).

قوله: (قيل: كأنه ضجر... إلخ) المناسبُ حذف (كأنَّ) كما في عبارة غيره.

قوله: (فإنه نازلٌ بهم) أي: ولو في الآخِرة.

قوله: (﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾) ظرفٌ لقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾... إلخ.

قوله: (لطوله) تعليلٌ لقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ مقدَّم عليه.

قوله: (﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾) أي: لأنَّ ما مضى عليهم من الزمان كأنهم لم يَرَوه؛ لانقِضائه.

قوله: (هذا القرآن ﴿بَلَٰغٌ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿بَلَٰغٌ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (تبليغٌ مِن الله إليكم) أي: بلَّغكم الله إيَّاه، فآمنُوا به، أو المعنى: موصلٌ مَنْ عمل به وآمَن إلى الدرجات العُلى؛ لِما ورد: «يُقال له: اقرأ وارْقَ»[1]، ويُؤنسه في قبره، وموصلٌ مَن لم يَعمل به إلى الدركات السفلى.

قوله: (﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾) أي: لا يكون الهلاك والدَّمار إلا للكافرين، وأمَّا مَن مات على الإيمان ولو عاصياً.. فهو فائز، ولا يُقال له: هالك، وهذه الآية أرجى آية في القرآن؛ إذ فيها تطميعٌ في سَعةِ فضل الله ورحمته.

---

(١) رواه أبو داوود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٥٦) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وتمامه: «ورتِّل كما كنت تُرتل في الدنيا؛ فإن مَنزلتَك عند آخِر آية تقرؤُها».

. . . .

حاشية الصاوي

فائدة:

نقَل القرطبي عن ابن عباس: (أن المرأة إذا تعسَّر وضعها.. تُكْتَبُ هاتان الآيتان والكلمتان في صحيفة، ثم تُغسل، وتسقى منها؛ فإنها تَلِد سريعاً، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم، سُبحان الله ربِّ السماوات وربِّ الأرض ربِّ العرش العظيم، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾). انتهى[1].

✿ ✿ ✿

(١) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٢٢).

[illegible]

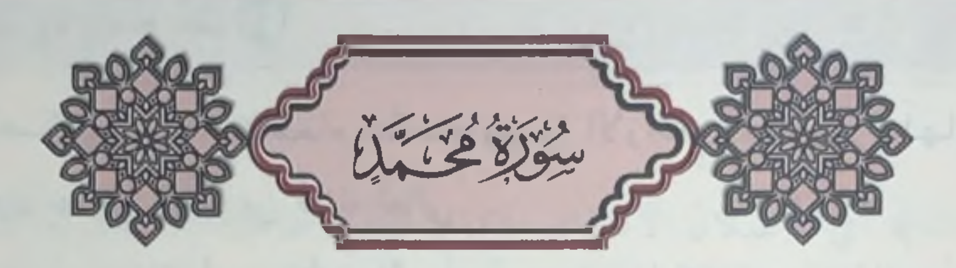
[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ....



مَدنيَّة، إلَّا ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ...﴾ الآيَة، أو مَكيَّة. وهي ثمانٍ أو تِسعٌ وثلاثُون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِن أهلِ مكَّة ﴿وَصَدُّواْ﴾ غيرَهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الإيمانِ

حاشية الصاوي

(سورة القتال)

وتسمَّى سورة (محمد ﷺ)؛ لِذكر هذا الاسم فيها، وسورة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لبدئها بهذا اللفظ.

قوله: (مدنيَّة... إلخ) هذا قولٌ منقولٌ عن ابن عباس، وقوله: (إلا ﴿وَكَأَيِّن...﴾ إلخ) أي: فإنها نزَلت بعد حجَّة الوداع؛ حين خرج مِن مكة وجعل يَنظر إلى البيت وهو يبكي حزناً على فِراقه، وهذا مبنيٌّ على أنَّ المكيَّ ما نزَل بمكة ولو بعد الهجرة، وهو ضعيف، والصحيحُ: أنَّ المكيَّ: ما نزَل قبل الهجرة، والمدنيَّ: ما نزَل بعدها ولو بأرض مكة.

ورُدَّ أيضاً: بأنه في حجَّة الوداع خرج منها مختاراً ولم يكن عِنده حُزنٌ؛ لكونها صارت دارَ إسلامٍ، وحينئذٍ: فلا يظهر الوعيدُ الذي في الآية، وقيل: إنها نزلت لَمَّا خرج من مكة إلى الغار مُهاجراً، وعليه: فكَونُها مكيَّةً ظاهرٌ، وهو الصحيحُ، وسيأتي أيضاً في تفسيرها.

قوله: (أو مكيَّة) هذا القولُ بالنظر لِغالبها، وهو ضعيف.

قوله: (وهي ثمانٍ أو تسع... إلخ) وقيل: أربَعون آيةً، والخلاف في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، وقوله: ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ هل كلٌّ آيةٌ مستقلَّةٌ أو مِن تَتمَّة ما قبلها؟

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) مبتدأ، وقوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ خبرُه، ومناسبة هذه الآية لآخر (الأحقاف) ظاهرةٌ، وذلك كأنَّ قائلاً قال: كيف يُهْلَكَ القوم الفاسقونَ ولهم أعمالٌ صالحةٌ كإطعام طعام ونحوه والله لا يضيع أجر المحسنين؟ فأجاب: بأنَّ الفاسقِين هم الذين كفرُوا وصَدُّوا عن سبيل الله؛ أضَلَّ أعمالهم وأبطَلَها.

أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ....

﴿أَضَلَّ﴾: أحبطَ ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ كإطعامِ الطَّعامِ وصِلةِ الأرحامِ، فلا يَرَونَ لَها في الآخِرة ثواباً، ويُجزَونَ بِها في الدُّنيا مِن فَضلِه تَعالى.

﴿٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: الأنصارُ وغيرُهم ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ أي: القُرآنِ ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾: غفرَ لَهُم ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: حالَهم،

حاشية الصاوي

قوله: (فلا يرون لها في الآخرة ثواباً) أي: لِقَوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قوله: (ويجزون بها في الدنيا) أي: بأن يُوَسَّع لهم في المال، ويُزادَ لهم في الولد والعافية وغير ذلك؛ حيث لم يَقصِدُوا بها فخراً ولا رياءً.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) أي: صدَّقُوا بقلوبهم، ونَطقُوا بألسنتِهم، وقوله: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ العطف يَقتضي المغايرة، فاستُفيد منه أنَّ العمل الصالح ليس داخلاً في حقيقة الإيمان، بل هو شرطُ كمالٍ؛ كما هو مُختار الأشاعرة[1].

قوله: (﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ﴾... إلخ) عطف خاصٍّ على عامٍّ، والنكتةُ: تعظيمُهُ والاعتناءُ بشأنه؛ إشارةً إلى أنَّ الإيمان لا يَتِمُّ بدونه؛ ولذا أكَّده بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الثابت الذي يَنْسَخُ غيرَهُ، وهو لا يُنْسَخُ.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾) جملة مُعترضة سِيقت لبيان المنزل.

قوله: (غفر لهم ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾) أي: مَحاها من صُحف الملائكة.

قوله: (﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾) البال: يُطلق على الحال، والشأن، والأمر، وكلُّها بمعنًى واحد، والمعنى: أصلح أحوالهم الدنيويَّة بتوفيقهم إلى الأعمال الصالحة، والأُخروية بِنَجاتهم من النار، وإدخالهم الجنَّة.

---

(١) انظر «شرح المصنف على جوهرة التوحيد» (ص١٣٥).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ ....

فلا يَعصُونه.

﴿٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إضلالُ الأعمال وتكفِيرُ السَّيِّئات ﴿بِأَنَّ﴾: بِسَببِ أنَّ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ﴾: الشَّيطانَ ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾: القُرآنَ ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثل ذَلك البيانِ ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾: يُبيِّنُ أحوالَهم؛ فالكافِرُ يُحبِط عَمَلَه والمُؤمِن يَغفِر زلَلَه.

﴿٤﴾ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فلا يَعصُونه) أي: لا يُصِرُّون على معصيته، أعم مِن أن لا تقع منهم أصلاً، أو تقع ولكن لا يُصِرُّون عليها.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) مبتدأ، وقوله: ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ﴾... إلخ: خبرٌ.

قوله: (الشيطانَ) وقيل: الباطل: الكفر.

قوله: (﴿ٱلْحَقَّ﴾: القرآن) وقيل: الحقُّ: الإيمانُ.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾) المثَل في الأصل: القول السائر المشبه مَضربه بِمورده؛ كقولهم: (الصَّيفَ ضيَّعْتِ اللبنَ)[1]، و(الكِلابَ على البَقَرِ)[2]، وليس مراداً هنا، بل المرادُ: الأمورُ العجيبةُ؛ تشبيهاً لها بالمثَل في الغرابة المؤدِّية إلى التعجب. واسم الإشارة عائدٌ على ما بيِّن في أحوال المؤمنين والكافرين.

قوله: (﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ﴾... إلخ) الفاء للفصيحة؛ لكونها أفصَحت عن جواب شرط مُقدَّر، تقديره: إذا علمتُم أحوال المؤمنين وأنهم أحباب الله، وأحوالَ الكافرين وأنهم أعداء الله.. فالواجب على أحباب الله أن يُقاتلُوا أعداء الله.

---

(١) والتاء فيه مكسورة على حِكاية المثل وإن تنوَّع المخاطب، ونصب (الصيف) على حذف الجار سماعيٌّ، والمضرِب في تعريف المثَل السائر: الحالة التي تُشبَّه، والمورد: الحالةُ المشبَّهُ بها، وهو من قَبيل الاستعارة التمثيلية. انظر «مجمع الأمثال» (٢/ ٦٨).

(٢) يُضرب عند تحريش بعض القوم على بعض مِن غير مُبالاة، يعني لا ضَرَر عليك فَخَلِّهم، ونصب (الكلاب) على معنى: أرسِل الكلاب. انظر «مجمع الأمثال» (٢/ ١٤٢).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ ....

ـ مَصدَر بَدَل مِن اللَّفظ بِفِعلِه ـ أي: فاضرِبُوا رِقابَهم، أي: اقتُلُوهُم، وعَبَّرَ بِضربِ الرِّقاب لِأنَّ الغالِب في القَتل أن يكُون بِضَربِ الرَّقَبة، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾: أكثَرتُم فِيهِم القَتلَ ﴿فَشُدُّواْ﴾ أي: فأمسِكُوا عَنهُم وأسِرُوهُم وشُدُّوا ﴿ٱلۡوَثَاقَ﴾: ما يُوثَق بِه الأسرَى؛ ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ﴾ ـ مَصدر بَدَل مِن اللَّفظ بِفِعلِه ـ أي: تَمُنُّون علَيهِم بِإطلاقِهم مِن غيرِ شَيء، ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾: تُفادُونَهُم بِمالٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من اللَّفظ بفعله) أي: فهو نائبٌ عن الفعل في المعنى والعمَل على الصحيح، وقيل: في المعنى دُون العمل، والأصل: فاضربُوا الرقاب ضرباً، حُذف الفعل وأُتي بالمصدر محَلَّه، وأُضيف إلى مفعول الفعل وهو (الرقاب)، وهو عاملٌ في الظرف أيضاً.

قوله: (أي: اقتُلوهم) أي: فأراد بضَرْب الرقاب مُطلقَ القتلِ على أيِّ حالةٍ كانت، لا خصوصَ ضرب الرقاب.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾) ﴿حَتَّىٰٓ﴾: ابتدائية، والمعنى: فإذا أعجزتُمُوهم بأيِّ وجهٍ من الوجوه؛ إمَّا بكثرة القتل فيهم وهو الغالب، أو بِقَطع الماء عنهم، أو بأخذ أسلحتهم أو غير ذلك.. فَأْسِرُوهُمْ.

قوله: (أي: فأمسِكوا) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام تقديرَ جملتَين: الإمساك عن القتل، والأسر.

قوله: (بدل من اللفظ بِفعله) أي: جِيء به لِتَفصيله جملة، فوَجب إضمار عامله، والتقدير: فإمَّا أن تمنُّوا منًّا، وإمَّا أن تفدُوا فداءً.

قوله: (﴿بَعۡدُ﴾) أي: بعد أسرِهم وشَدِّ وثاقهم، والمعنى: أنَّ المسلِمين بعد القدرة على الكفار يُخيَّرون فيهم بين أمور أربعة: القتلُ، والمنُّ، والفداءُ، والاسترقاقُ، وهذا في الرجال المقاتِلين، وأمَّا النساء والصبيان.. فليس فيهم إلا المنُّ والفداءُ والاسترقاقُ، وهذا التفصيل للإمام الشافعي، وعند مالك: يُزاد في حقِّ الرجال الجزيةُ، وعند أبي حنيفة ليس إلا القتل أو الاسترقاق، وأمَّا المنُّ والفداء.. فمَنسوخان بعد بدر[1].

---

(1) انظر «تحفة المحتاج» (٩/ ٢٤٧)، و«بُلغة السالك لأقرب المسالك» (٢/ ٢٩٦)، و«البحر الرائق» (٥/ ٩٠).

حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟

أو أسرى مُسلِمِين، ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ﴾ أي: أهلُها ﴿أَوْزَارَهَا﴾: أثقالَها مِن السِّلاح وغَيرِه؛ بِأن يُسلِمَ الكُفَّار أو يَدخُلُوا في العَهد، وهَذِه غايةٌ لِلقَتلِ والأسرِ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ ـ خَبر مُبتدأ مُقدَّر ـ أي: الأمرُ فِيهِم ما ذُكِر، ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بِغَيرِ قِتالٍ، ﴿وَلَٰكِن﴾ أمَرَكُم بِه ﴿لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ مِنهُم في القِتال، فيَصِير مَن قُتِل مِنكُم إلى الجَنَّة ومِنهُم إلى النَّار، ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ ـ وفي قِراءةٍ: (قاتَلُوا)... الآية ـ، نَزلت يَوم أُحُد وقد فشَا في المُسلِمِين

حاشية الصاوي

قوله: (أو أسارى) بالضمِّ والفتح، أو بفتحٍ فسكونٍ فراءٍ مفتوحةٍ.

قوله: (أي: أهلها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (بأن يُسلم الكفار) أي: فالمرادُ بوضع آلة القتال: تركُ القتال؛ لانفضاض شوكة الكفر؛ ففي الكلام استعارةٌ تبعيَّةٌ، حيث شبَّه ترك القتال بوضع آلَتِه، واشتقَّ من الوضع (تضع) بمعنى: (تترك).

قوله: (وهذه غاية للقتل) أي: المذكورِ في قوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾، وقوله: (والأسر) أي: المذكور في قوله: ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾.

قوله: (ما ذكر) أي: من القتل والأسرِ وما بعدهما.

قوله: (بغير قتال) أي: كالخَسف.

قوله: (﴿لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾) أي: فيظهر لِعباده حال الصادق في الإيمان من غيره، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾) مبتدأ، وقوله: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: خبره.

قوله: (وفي قراءة: «قاتلوا») أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1]، مُفسِّرة للقراءة الأولى، وحينئذٍ: فليس المراد: قتلُوا بالفعل، بل المراد: قاتلوا؛ قُتِلُوا أو لا.

قوله: (وقد فشا... إلخ) الجملة حاليَّة، ....

(١) قرأ أبو عمرو وحَفص: بضم القاف وكسر التاء مبنيًّا للمفعول، والباقُون بفتح القاف والتاء وألف بينهما. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٤).

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا ....

القتلُ والجِراحات ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾: يُحبِط ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

(﴿٥﴾ - ﴿٦﴾) ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ في الدُّنيا والآخرةِ إلى ما يَنفَعهُم ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: حالَهم فيهما. وما في الدُّنيا لِمَن لَم يُقتَل، وأُدرِجُوا في ﴿قُتِلُوا﴾ تَغلِيباً، ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا﴾: بيَّنَها ....

حاشية الصاوي

وقوله: (القتل) وردَ: أنهم سبعون[1]، وقوله: (والجراحات) أي: لكثير، والعبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا الوعد الحسن لكلِّ من قاتل في سبيل الله لِنَصر دينه في يوم القيامة؛ قُتِلَ أو جُرِحَ أو سَلِمَ.

قوله: (﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾) أي: سَواء نشأت منهم، أو تسبَّبُوا فيها.

قوله: (إلى ما يَنفعهم) أي: فالذي ينفعهم في الدنيا العمل الصالح والإخلاص فيه، والذي يَنفعهم في الآخرة الجنَّة وما فيها، وحينئذٍ: فلا يقع منهم ما يُخالف أمر الله؛ لحفظ الله إيَّاهم من المخالفات، ومنه حديث: «اطَّلع الله على أهل بدر فقال: اعملُوا ما شئتم؛ فقد غفرتُ لكم»[2]، وليس فيه تَوهُّم إباحة المعاصي لأهل بدر، والمعنى: كما أفنيتُم نفوسكم في محبَّتي، وخرجتم عن شَهواتكم في رِضاي.. جازيتُكم بالحفظ ممَّا يُوجب سخطي، فاشتريتُ نفوسكم، فصارت لي راضيةً مرضيَّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم...﴾ الآيات [التوبة: ١١١]؛ ولهذا أشار العارف ابن وفا بقوله[3]: [الطويل]

وبَعْدَ الفَنَا في اللهِ كُنْ كَيْفَمَا تَشَا ... فعِلْمُك لا جَهْلٌ وفِعْلُك لا وِزْرُ

قوله: (وما في الدنيا) أي: من الهداية وإصلاحِ الحال، وقوله: (إن لم يقتل) جوابٌ عمَّا يُقال: كيف قال: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ يعني: في الدنيا مع أنَّ الفرض أنهم قُتلُوا بالفعل؟

وأجيب: بأنَّ ذلك يَحصل في الدنيا لِمَن لم يُقتل، وعبَّر بالذين قتلوا؛ تغليباً لهم، ولأنهم قتلُوا حُكماً بالنية.

---

(١) كما في «صحيح البخاري» (٤٠٨٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: «أنه قُتل منهم يوم أحد سبعُون».

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه.

(٣) انظر ديوان سيدي محمد وفا المسمَّى «بحر الصفا» (ص١٢٠).

لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ....

﴿لَهُمْ﴾ فيهتَدُون إلى مَساكِنِهم مِنها وأزواجِهم وخَدَمِهم مِن غيرِ استِدلال.

(﴿٧﴾ - ﴿٩﴾) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: دِينَه ورَسُولَه ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عَدُوِّكُم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: يُثَبِّتكُم في المُعتَرَك، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مِن أهل مكَّة ـ مُبتدأ خَبرُه: (تَعِسُوا)، يَدُلُّ علَيهِ ـ ....

حاشية الصاوي

وأجيب أيضاً: بأنَّ المراد بالذين قتلُوا: الذين وقع منهم القتال، أعمُّ من أن يقتلُوا بالفعل أو لا؛ بدليل القراءة الأخرى.

قوله: (فيَهتدون إلى مساكنهم) أي: إذا دخَلوها يتفرَّقون إلى منازلهم، فهم أعرَفُ بها من أهل الجمعة إذا انصرفُوا إلى منازلهم، ويُؤيِّد هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «يَخْلُصُ المؤمنون من النار، فَيُحْبَسُونَ على قنطرةٍ بين الجنة والنار، حتى إذا هُذِّبُوا وَنُقُّوا. أُذِنَ لهم في دخول الجنَّة، فوالذي نفس محمَّد بيده؛ لَأَحَدُهُمْ أهدى بمنزله في الجنة من مَنزِله الذي كان في الدنيا»[1]، وما وردَ: «أنَّ العبد المؤمن لا يَخرج من الدنيا حتى يُشاهدَ مسكنَه في الجنة وما أُعِدَّ له من النَّعيم، ويُفتح له طاقة في قبره يُشاهد ذلك ما دام في البَرزخ»[2]، و«أنَّ أرواحَ الشهداء في حَواصل طُيور خُضر في الجنة، وأرواح الأنبياء في قناديل من ذهَب مُعلَّقة في العرش، تَسرح وتأوي إليها»[3].

وقيل: معنى ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: طيَّبها لهم؛ من: العَرْفِ، وهو طِيب الرائحة.

قوله: (يثبِّتكم) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالأقدام: الذوات بتَمامها، وعبَّر عنها بالأقدام؛ لأنَّ الثبات والتزلزُلَ يَظهران فيها.

قوله: (خبره: تَعسوا... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الفاء في قوله: ﴿فَتَعْسًا﴾ داخلة على محذوفٍ هو الخبر، و(تعساً): مفعول مُطلق لذلك المحذوف، وحينئذٍ: فالمناسب لِلمفسِّر أن يقدِّر الخبر بعد الفاء.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٣٥) عن سيِّدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/٥٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (١٨٨٧) عن سيدنا عبد الله بن مَسعود رضي الله عنه، وفيه: (في جوف طير) بدل (حَواصل)، وهي عند الدارمي في «سُننه» (٢٤٥٤)، وليس فيهما ذِكر أرواح الأنبياء عليهم السلام.

فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ....

﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ أي: هَلاكاً وخَيبةً مِن الله، ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ـ عَطفٌ على (تَعِسُوا) ـ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التَّعس والإضلالُ ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مِن القُرآن المُشتَمِل على التَّكالِيف ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

(﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: إهلاكاً وخيبة لهم) هذان قولان من عشرةِ أقوال في معنى التَّعس، وقيل: خزياً لهم، وقيل: شقاءً لهم، وقيل: شتماً لهم من الله، وقيل: قبحاً لهم، وقيل: رغماً لهم، وقيل: شرًّا لهم، وقيل: شقوةً لهم، وقيل: التَّعس: الانحطاط والعِثار، وكلُّها مَعانٍ متقاربة، وهو في الأصل: أن يخرَّ لوجهه، والنَّكس: أن لا يستقلَّ بعد سَقطته حتى يسقط ثانية، وهي أشدُّ من الأُولى، وضِدُّه الانتعاش، وهو قيامٌ من سَقط.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) مبتدأٌ، خبره الجارُّ والمجرور بعده، ويَصح أن يكون اسم الإشارة خبرَ مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك.

قوله: (المُشتمل على التَّكاليف) أي: فهذا وجهُ كراهتِهم له، وذلك لأنَّ في التكاليف تركَ الملاذِّ والشهوات، والنفوسُ الخبيثةُ تَكره ذلك، وتحبُّ إرخاء العِنان لها في الشهوات، فمَن تبع نفسه من كلِّ وجهٍ.. كفر، فعلى الإنسان أن يُجاهد نفسه حتى تصير مُنقادةً لما يرضاه الله تعالى؛ ففي الحديث: «لا يَكمل إيمان أحدكم حتى يكونَ هَواه تابعاً لِما جئتُ به»[1]، فالأصلُ في النفوس الخِسَّةُ؛ لا تجرُّ لصاحبها خيراً، ولا تسعى إلا فيما يُغضب الله، فإذا شمَّر الإنسان عن ساعِد الجدِّ والاجتهاد، وخالَف هوى نفسه.. سكَن وهجُها، واضمَحلَّت شهواتها، فإذا دام ذلك.. حسُن حالها، وصارت جميلةَ الأخلاق، مُطمئنَّةً بخالقها، نَسأل الله أن يملِّكنا نفوسنا، ولا يُسلِّطها علينا.

قوله: (﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾) الهمزةُ داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أجبُنوا وتركُوا السير فلم يَسِيروا؟

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، وفيه: (لا يؤمن أحدكم) بدلَ (لا يكمل إيمان أحدكم)، وصحَّحه النووي في آخِر «الأربعين»، فقال: (حديث حسن صحيح، روَيناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح).

دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ....

﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أهلَكَ أنفُسَهم وأولادَهُم وأموالَهم، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ أي: أمثالُ عاقِبة مَن قَبلهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نَصرُ المُؤمِنِين وقَهر الكافِرين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى﴾: وَليُّ وناصِرُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدُّنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أي: ليسَ لَهُم هِمَّةٌ إلَّا بُطُونهم وفُرُوجُهم، ولا يلتفِتُون إلى الآخِرة، ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾: مَنزِل ومُقامٌ ومَصِير.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾) المفعول محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (أنفسَهم... إلخ).

قوله: (﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: السائِرين على قَدم مَنْ قبلهم من الكُفار، وقوله: (﴿أَمْثَٰلُهَا﴾) مُقابلة الجمع بالجمع تقتضي القِسمة على الآحاد؛ أي: إنَّ لكلِّ واحدٍ من هؤلاء الكُفار عاقبةً كعاقبة مَنْ تَقدَّمه من الكفار، ويحتمل أن يكون عَذاب المتأخرين أشَدَّ من عذاب المتقدِّمين؛ وذلك لأنَّ النبي ﷺ أفضلُ من جميع الأنبياء، وشَرعُهُ جامعٌ لجميع الشرائع، فالكفرُ به وبِشَرعه كفرٌ بجميع الشرائع، فبِسَبب ذلك عظُم عذاب الكافر به.

قوله: (﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾) أي: لا ناصرَ لهم ولا مُعِينَ ولا مُغيثَ، وأمَّا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].. فالمرادُ بالمولى: المالكُ، فلم يَحصُلْ تنافٍ.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ) بيانٌ لِثَمرة وِلايته تعالى للمؤمنين في الآخرة.

قوله: (﴿كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾) الكاف في محل نصب؛ إمَّا نعت لمصدر محذوف؛ أي: أكلاً مثل أكل الأنعام، أو حال؛ أي: أكلاً حالَ كونه مثلَ أكلِ الأنعام[1].

قوله: (﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ.

---

(١) والأول مذهَب أكثر المعربين، والثاني مذهب سيبويه. انظر «الفتوحات» (٤/ ١٥٠).

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ....

﴿١٣﴾ ﴿وَكَأَيِّن﴾: وكَم ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أُرِيدَ بِها أهلُها ﴿هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ مكَّة أي: أهلِها ﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ - رُوعِيَ لَفظ قَرية - ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ - رُوعِي معنَى قَرية الأُولى -، ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ مِن إهلاكِنا.

﴿١٤﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حُجَّة وبُرهانٍ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهُم المُؤمِنُون ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾... إلخ) (كأيٍّ): مُركبة من الكاف و(أيٍّ) بمعنى (كم) الخبريَّة، وهي في محل رفع مبتدأ، و﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: تمييزٌ لها، وقوله: ﴿هِىَ أَشَدُّ﴾: صفة لـ﴿قَرْيَةٍ﴾، وقوله: ﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ صفة لـ﴿قَرْيَتِكَ﴾، وقوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ خبر المبتدأ.

وسببُ نزول هذه الآية: أنه لَما خرج ﷺ من مَكة إلى الغار.. التَفت إلى مكة وقال: «أنتِ أحبُّ بلاد الله إلى الله، وأحبُّ بلاد الله إليَّ، ولو أنَّ المشركين لم يُخرجوني.. لم أخرُج منك»[1]، فنزَلت هذه الآية؛ تسليةً له ﷺ.

والمعنى: لا تَحزن على خرُوجك من بلَدك؛ فإنَّ الله يُعزُّك ويذلُّهم، فليس خروجك من مكة إلا كخروج آدمَ من الجنة؛ من حيث إنه حصَل له العِزُّ العظيمُ، وحصَل لإبليس الذي تسبَّب في إخراجه الخزيُ العظيمُ.

قوله: (أُريد أهلها) أي: فهو مجازٌ في الظرف؛ حيث أُطلِقَ المحلُّ وأُريد الحالُّ فيه، لا مجازٌ بالحذف.

قوله: (﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾) هذا الوصف لِلاحتراز عن قَريتِه التي تكون وطنَهُ فيما يُستقبل، وهي المدينة.

قوله: (﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾) أي: فكذلك نَفعَل بأهل قريتك، فاصبِر كما صبَر رُسُلُ أهل تلك القرى.

قوله: (﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾) تفريعٌ على قوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾.

قوله: (﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾... إلخ) شُروعٌ في بيانِ أحوال المؤمنين والكافرِين، والهمزة داخلة

---

(١) رَواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٥)، ورَواه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)، والنسائي في «الكبرى» (٤٢٥٢) من حديث سيدنا عبد الله بن عدي بن حمراء، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ واقفاً على الحَزْوَرَة فقال: «والله إنك لَخير أرض الله، وأحَبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرِجت منك.. ما خرَجتُ».

كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ .....

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فرآه حَسَناً وهُم كُفَّار مَكَّة، ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ في عِبادةِ الأوثانِ أي: لا مُماثَلة بينَهما.

﴿١٥﴾ ﴿مَّثَلُ﴾ أي: صِفةُ ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ المُشتَرَكة بين داخِليها، ـ مُبتدأ خَبَره ـ: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أليس الأمر كما ذُكِرَ فمن كان على بينة... إلخ؟. والتعبيرُ بـ(على) إشارةٌ إلى تمكُّنهم من الحُجَج والبراهين تمكُّنَ المستعلِي من المستعلَى عليه.

قوله: (﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾) فيه مُراعاةُ معنى (مَنْ) كما رُوعي لفظُها فيما سبَق.

قوله: (﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾) تفصيلٌ لبيان محاسِن الجنَّة وكيفية أنهارها المتقدمة في قوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

قوله: (أي: صِفة الجنة) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بـ(المثل): الصفة، فكأنه قال: وصف الجنة كذا وكذا، فليس في الكلام مُشبَّه ومشبَّه به[1].

قوله: (﴿ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾) المراد: مَنْ لم يَحكم الشرع بِكُفره؛ فيَشمل عُصاة المؤمنين وأهلَ الفَترة وأولاد الكفار الذين ماتُوا قبل البلوغ.

قوله: (المُشتركة بين داخِلِيها) أي: فهو بيانٌ لِمُطلق نَعيم الجنَّة المشترك بين أعلى أهل الجنة وأدناهُم، وأما تفصيلُ ما لكلِّ فريقٍ.. فسيأتي في سورة (الواقعة).

قوله: (خبرُه: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾... إلخ) فيه أنَّ الخبر جملةٌ خالية من رابط يعود على المبتدأ، وأُجيب: بأنَّ الخبر عين المبتدأ في المعنى، وحينئذٍ: فلا تحتاج لرابط، وهذا أسهَلُ الأعاريب، وقيل: إنَّ ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾، وفي الكلام حذفُ مضاف وهمزة الإنكار، والتقدير: أمثَل أهل الجنة كمن هو خالد في النار؟ وقوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ إمَّا حال من ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف؛ أي: هي فيها أنهار، وقيل غير ذلك.

(١) وقيل: الممثَّل به محذوف غير مذكور، والمعنى: مثل الجنة التي وعد المتقون مثلٌ عجيبٌ، وشيءٌ عظيمٌ، وقيل: الممثَّل به مذكور، وهو قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾. انظر «تفسير الخازن» (٤/ ١٤٣).

﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾

﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ - بِالمَدِّ والقَصر كـ(ضارِب وحَذِر) - أي: غَير مُتغَيِّر بِخِلافِ ماء الدُّنيا فيَتغيَّر بِعارِضٍ، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ بِخِلافِ لَبَن الدُّنيا لِخُرُوجِه مِن الضُّرُوع، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾: لَذِيذةٍ ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ بِخِلافِ خَمر الدُّنيا فإنَّها كَرِيهةٌ عِند الشُّرب، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ بِخِلافِ عَسلِ الدُّنيا فإنَّهُ بِخُرُوجِه مِن بُطُون النَّحل يُخالِطُ الشَّمعَ وغَيره،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾) بالمدِّ والقصر؛ أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (كـ: ضارب) أي: ففِعله: (أَسَنَ، يَأْسِنُ) كـ: (ضَرَب يَضرِب)، وقوله: (وحَذِر) أي: ففعله: (أَسِنَ، يَأْسَنُ) كـ: (حَذِر يَحذَر).

قوله: (﴿لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾) أي: فلا يَعُود حامضاً ولا مكروهَ الطَّعم.

قوله: (﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾) أي: ليس فيها حُمُوضة ولا مَرارة، ولم تُدنسها الأرجل بالدَّوس، ولا الأيدي بالعصر، وليس في شُربها ذهاب العقل، بل هي لِمُجرد الالتذاذ.

إن قُلتَ: لِمَ لم يَقُل في جانب اللبن: (لم يتغير طعمُه للطاعمين)، وفي العسل: (مصفى للناظرين)؟

أُجيب: بأنَّ اللذة تختَلف باختلاف الأشخاص؛ فرُبَّ طعامٍ يَلتذُّ به شخص، ويَعافه الآخر؛ فلِذا قال: ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ بأسرِهم، ولأنَّ الخمر كريهةُ الطعم في الدنيا، فقال: ﴿لَّذَّةٍ﴾ أي: ليس في خمر الآخرة كراهةُ طعم، وأما الطعم واللون.. فلا يختلفان باختلاف الناس، فلم يكن للتصريح بالتَّعميم مَزيدُ فائدةٍ.

قوله: (لَذيذة) أشار بذلك لِدَفع ما قيل: ﴿لَّذَّةٍ﴾ مصدر بمعنى: الالتذاذ؛ فلا يَصح وصف الخمرة به؛ لكونها اسمَ عينٍ، فأجاب المفسِّر بأنها تؤوَّل بالمشتَقِّ على حدِّ: (زيدٌ عدلٌ).

قوله: (﴿مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾) يجوز في (العسل) التذكيرُ والتأنيث، والقرآن جاء على التذكير.

قوله: (يُخالطه الشمع وغيرُه) أي: كفضَلات النحل.

---

(١) قرأ ابن كثير: (أَسِن)، والباقون: (آسن). انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٩٢).

وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ....

﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ أصنافٌ ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فهو راضٍ عَنهُم مَع إحسانِه إلَيهِم بِما ذُكِرَ، بِخلافِ سَيِّد العَبِيد في الدُّنيا؛ فإنَّهُ قد يَكُون مَع إحسانِه إلَيهِم ساخِطاً علَيهِم، ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ ـ خَبر مُبتدأ مُقدَّر ـ أي: أمَّن هو في هذا النَّعِيم، ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ أي: شَدِيدَ الحَرارة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ أي: مَصارِينَهم فخَرَجَت مِن أدبارِهم، ـ وهو جَمع (مِعًى) بِالقَصرِ، وألِفُه عن ياء لِقَولِهِم: مِعَيانِ ـ.

﴿١٦﴾ ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: الكُفَّار ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ في خُطبةِ الجُمعة وهُم المُنافِقُون، .....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَهُمْ﴾) خبرٌ مقدَّم، وقوله: ﴿فِيهَا﴾ متعلق بما تعلَّق به الخبر، والمبتدأ محذوفٌ، قدَّره بِقَوله: (أصناف)، وقوله: ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ نعتٌ لِلمبتدأ المحذوف، والمعنى: لهم في الجنَّة أنواعٌ مُتعدِّدة من كل الثَّمرات؛ فالتفاح أنواع، والرمان أنواع... وهكذا.

قوله: (فهو راض عنهم... إلخ) دَفع بذلك ما يُقال: إنَّ المغفرة تكون قبل دُخول الجنة، والآية تقتضي أنها فيها، فأجاب المفسِّر: بأنَّ المراد بالمغفرة: الرضا، وهو يكون في الجنة، وإيضاحُه: أنه يرفع عنهم التكاليف فيما يَأكلونه ويَشربونه، بخلاف الدنيا؛ فإنَّ مأكولها ومَشروبها يترتَّب عليه الحساب والعقاب، ونعيم الجنة لا حِساب عليه، ولا عقاب فيه.

قوله: (خبر مُبتدأ مقدَّر) أي: إنَّ قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ خبرٌ لمحذوف، والاستفهامُ للإنكار؛ أي: لا يستوي مَنْ هو في هذا النعيم المقيم بمَن هو خالد في النار.

قوله: (﴿وَسُقُوا۟﴾) معطوف على ﴿خَٰلِدٌ﴾ عطف صِلة فعليَّة على صلة اسميَّة[1].

قوله: (في خُطبة الجمعة) أي: فهذه الآيات مدنيَّات، وحينئذٍ: فتكون مستثنياتٍ من القول بأنَّ السورة مكيَّة.

قوله: (وهُم المنافقون) تفسيرٌ لـ(مَنْ).

---

(١) عبارة «الفتوحات» (٤/ ١٥٢): (عطف على ﴿هُوَ خَٰلِدٌ﴾ عطف صلة فعلية على صِلة اسمية، وفي المعطوف مُراعاة معنى «من»، وفي المعطوف عليه مُراعاة لفظها)، ولعلها أولى؛ لأنَّ الصلة جملة المبتدأ والخبر.

حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ ....

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: لِعُلَماء الصَّحابةِ مِنهم ابنُ مَسعود وابن عبَّاس استِهزاءً وسُخريَّة: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ ـ بِالمَدِّ والقَصر ـ أي: السَّاعةَ؟ أي: لا نَرجِع إلَيهِ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بِالكُفرِ ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في النِّفاق.

﴿١٧﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ وهُم المُؤمِنُون ﴿زَادَهُمْ﴾ اللهُ ﴿هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾: ألهَمَهُم ما يَتَّقُون بِهِ النَّار.

﴿١٨﴾ ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما يَنتَظِرُون أي: كُفَّارُ مكَّةَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (استهزاء) عِلَّة لـ﴿قَالُوا۟﴾، فالاستفهام إنكاريٌّ، والمعنى: لم يَقل شيئاً يُعتَدُّ به؛ فلا عبرةَ بقوله.

قوله: (﴿ءَانِفًا﴾) حالٌ، والمعنى: ماذا قال مُؤتنفاً؛ أي: مبتدئاً ومُخترعاً.

قوله: (بِالمد والقصر) أي: فهما سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: الساعة) أي: فـ﴿ءَانِفًا﴾ ظرفٌ حالي بمعنى (الآن)، وهو أحد استعمالَين فيه، والثاني أنه اسمُ فاعل بمعنى: مُؤتنفاً كما تقدَّم.

قوله: (لا نرجع إليه) أي: إلى قوله الذي قال آنفاً؛ أي: لا نَعمل به.

قوله: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾) مبتدأ، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾... إلخ: خبرُه.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾... إلخ) لَما بيَّن الله حالَ المنافقين وأنَّهم لا يَنتفعون بما يسمَعون.. بيَّن حال المؤمنين وأنَّهم يَنتفعون بما يَسمعون.

قوله: (ألهمَهم ما يتَّقون به النار) أي: خلَق فيهم التقوى الخاصَّة، وهي تركُ مُتابعة الهوى، والتَّنزهُ عمَّا سوى الله تعالى، وصرفُ القلب إلى ما يرضي الله.

قوله: (﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾) أي: يَنتظرون جزاءَ أعمالهم، فالمراد: انتظار الجزاء، لا انتظار الموتِ؛ فإنه يَأتيهم قبل مجيئها.

---

(١) قرأ البزي بخلاف عنه: (أنفاً) بالقصر، والباقون بالمد، وهما لُغتان بمعنى واحد. انظر «الدر المصون» (٩/ ٦٩٥).

﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ....

﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ - بَدَل اشتِمال مِن ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ - أي: لَيس الأمر إلَّا أن تأتِيَهُم ﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾: عَلاماتُها؛ مِنها بَعثةُ النَّبيِّ ﷺ وانشِقاقُ القَمَر والدُّخانُ، ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ السَّاعةُ ﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾: تَذَكُّرُهُم؟ أي: لا يَنفعهُم.

﴿١٩﴾ ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾) أي: فقد قَرُبَ قيامُها.

قوله: (﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾) كالعِلَّة لقوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾... إلخ؛ لأنَّ ظهور أشراط الشيء مُوجِبٌ لانتظاره، ورَدَ عن حذيفة والبراء بن عازب: كُنا نتذاكر الساعة؛ إذ أشرَف علينا رسول الله ﷺ فقال: «**ما تتذاكرون؟**» قُلنا: نتذاكر الساعة، قال: «**لا تقوم حتى ترَوا قبلها عشرَ آيات: الدخان، ودابة الأرض، وخسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً بجزيرة العرب، والدَّجال، وطلوعَ الشمس من مغربها، ويأجوجَ ومأجوج، ونزول عيسى، وناراً تخرج من عَدن**»[1]. اهـ

قوله: (منها: بَعْثُ النبي... إلخ) أي: أنَّ مِن علاماتها الصغرى بَعْثَ النبي ﷺ، وقد حصَل بالفعل، وأما العلاماتُ الكبرى فستأتي. وإنما عبَّر عن الجميع بالماضي؛ لِتَحقق الوقوع؛ على حدِّ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١].

قوله: (﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾) خبر مُقدَّم، و﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾ مبتدأ مؤخَّر، و﴿إِذَا﴾ وما بعدها: مُعترض، وجوابها محذوفٌ، دلَّ عليه ما قبله، والمعنى: كيف لهم التذكرُ إذا جاءتهم الساعة؛ فكيف يَتذكرون؟

قوله: (﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾) مُرتَّبٌ على ما قبله، كأنه قال: إذا علمتَ أنه لا ينفع التذكر إذا حضَرت الساعة.. فَدُمْ على ما أنتَ عليه من العِلم بالوحدانية؛ فإنه النافعُ يوم القيامة، وعبَّر بالعلم؛ إشارةً إلى أنَّ غيره لا يكفي في التوحيد؛ كالظَّن والشَّك والوهم.

واعلَم: أن العلم مَراتب: الأُولى: العلم بالدليل ولو جمليًا، ويسمَّى علمَ يقين، وهذا هو المطلوب

(١) رواه مسلم (٢٩٠١) عن سيدنا حذيفةَ بن أسيد الغفاري ﷺ بنحوه.

وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ....

أي: دُم يا مُحمَّدُ على عِلمك بِذلك النَّافِع في القِيامةِ، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾: لِأجلِه، قِيل لَهُ ذلك معَ عِصمَتِهِ لِتَستَنَّ بِه أُمَّتُه، وقَد فعَلَه، قال ﷺ: «**إنِّي لَأستغفِرُ الله في كلِّ يومٍ مِئَةَ**

حاشية الصاوي

في التوحيد الذي يخرج به المكلَّف من وَرطة التقليد، وهو: الجزم من غير دليل، وفيه خلاف.

الثانية: العِلم مع مراقبة الله، ويسمَّى عين يقين.

الثالثة: العِلم مع المشاهدة، ويسمَّى حقَّ يَقين، وفي هذه المراتب فليَتنافس المتنافسون.

قوله: (أي: دُمْ يا مُحمد. . إلخ) فالخطاب له ﷺ، بل ولكلِّ مُؤمن، وقوله: (على عِلمه بذلك) أي: بأنه لا إله إلا الله؛ أي: لا مَعبود بحقٍّ إلا الله.

قوله: (النافع في القيامة) أي: لِما وردَ: «**مَن مات وهو يَعلم أن لا إله إلا الله. . دخَل الجنة**»[1].

قوله: (لِتستنَّ به أُمَّته) أي: تقتديَ به، وهذا أحدُ أوجه في تأويل الآية، وهو أحسَنُها.

وقيل: مَعناه: اسأل الله العِصمةَ من الذنوب، ومن المعلوم: أنَّ دعاءَه مُستجاب؛ ففي استغفاره تحدُّثٌ بنعمة الله عليه، وهي عِصمته من الذنوب، وتعليمٌ للأُمَّة أن يقتدُوا به.

وقيل: المراد بذَنبه: خلافُ الأولى؛ مثل: ما وقع منه في أُسارى بدر، وفي إذنه للمنافقين بالتخلف عن الجهاد، فهو ذنبٌ بحسَب مَقامه ورُتبته[2].

وقيل: المراد بذنبه: ذنبُ أهل بيته؛ ففي هذه الآية بُشرى للأمَّة؛ حيث أُمِرَ ﷺ أن يَستغفر لذنوبهم، وهو الشفيع المجابُ فيهم.

قوله: (وقد فعَله) أي: الاستغفارَ لذنبِه وللمؤمنين والمؤمنات، وردَ في الحديث: «**إنه لَيُغان**

---

(١) رواه مسلم (٢٦) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) وللإمام الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى بحثٌ نفيسٌ في حفظ الله تعالى رَسوله ﷺ من الخطأ والباطل، وتسديدِه بالحق والصواب في جميع أحواله، أجاب فيه مِن وُجوه كثيرة على استدلال القائلين بجواز الخطأ عليه ﷺ دون أن يُقَرَّ عليه. انظره في كتابه «سيدنا محمد رسول الله» (ص٥١٨) وما بعدها.

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٢) عن سيدنا الأغر المزني رضي الله عنه.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ ....

مَرَّةً»، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فِيه إكرامٌ لَهُم بِأمرِ نَبِيِّهم بِالاستِغفارِ لَهُم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: مُتَصرَّفكُم لِأشغالِكُم بِالنَّهار، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: مَأواكُم إلى مَضاجِعِكُم بِاللَّيلِ، أي: هو عالِم بِجَمِيعِ أحوالِكُم لا يَخفَى علَيهِ شيءٌ مِنها فاحذَرُوهُ. والخِطابُ لِلمُؤمِنين وغَيرِهم.

حاشية الصاوي

على قلبي حتى أستغفرَ الله في اليوم مئةَ مرة»[1]، وفي رواية: «**توبُوا إلى ربكم، فوالله؛ إني لأتوبُ إلى ربي عزَّ وجلَّ في اليوم مئةَ مرة**»[2]، وفي رواية: «**إني لأستغفرُ الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مَرة**»[3]، وفي رواية: «**أكثرَ من ذلك**»[4].

وقوله في الحديث: «**إنه لَيُغان على قلبي**» الغينُ: التغطيةُ والسَّترُ، ويسمَّى به الغيمُ الرقيقُ الذي يَغشى السماء، والمراد به: أنوارٌ تغشى قلبَهُ ﷺ دائماً، وسببُ استغفاره منها: أنه ﷺ دائماً يترقَّى في الكمالات، فكلَّما ارتقى إلى مقامٍ رأى أنَّ الذي كان فيه بالنسبة للذي ارتقى إليه ذنباً، فيَستغفرُ الله منه.

قوله: (﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾) أشار المفسِّر إلى أنَّ معنى ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: مُتصرَّفكم لأشغالكم بالنهار، ومعنى (مَثواكم): مَأواكم إلى مَضاجعكم بالليل، وهو أحد تفاسير في هذه الآية، وقيل: (مُتقلبكم) مِن أصلاب الآباء إلى أرحام الأُمَّهات وبُطونهنَّ، و(مَثواكم) في الدنيا، وفي القبور، وقيل: (مُتقلبكم) في الدنيا، و(مَثواكم): مَصيركم في الآخرة إلى الجنَّة أو النَّار.

قوله: (**والخطاب لِلمؤمنين وغيرهم**) أي: ولكن خطاب المؤمنين إرشادٌ لهم إلى مَقام المراقبة لله تعالى، وهي أن يُشاهدَ الإنسان أنَّ الله مُطَّلعٌ عليه في كل لَمحة وطرفة وحركة وسكون، وهذا سرُّ (والله معكم أينما كنتم)[5]، وهو مَطلب العارفين، وكنزُ الراسخين، قال العارف ابن الفارض[6]:

---

(١) رواها النسائي في «الكبرى» (١٠٢٧٩) عن سيدنا الأغرِّ المزني ﷺ.

(٢) رواها الترمذي (٣٢٩٥)، وابن ماجه (٣٨١٦) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواها البخاري (٦٣٠٧) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ.

(٤) سِياق الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

(٥) كما في «ديوانه» (ص٢١٣).

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ......

﴿٢٠﴾ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ طَلَباً لِلجِهادِ: ﴿لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذِكر الجِهاد، ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ أي: لَم يُنسَخ مِنها شَيء ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي: طَلَبُه ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شَكٌّ وهُم المُنافِقُون ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ خَوفاً مِنهُ وكَراهيَةً لَه، أي: فهُم يَخافُون مِن القِتال ويَكرَهُونَه، ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ ـ مُبتدأ خَبرُه ـ:

حاشية الصاوي

[الطويل]

أَنِلْنَا مَعَ الأحبابِ رؤيتَكَ التي ... إِلَيها قُلُوبُ الأولِياءِ تُسارِعُ

وقال العارف الدسوقي: [البسيط]

قَد كانَ في القَلبِ أهواءٌ مُفَرَّقَةٌ ... فاستَجمَعَتْ مُذْ رَأَتْكَ العينُ أهوائِي

تَركْتُ لِلنَّاس دُنياهُمْ وَدِينَهُمُ ... شُغلاً بِحُبِّكَ يا دِيني ودُنيائِي

وفيه فليتَنافس المتنافسُون، وخطابُ غيرِهم تخويفٌ وتحذيرٌ.

قوله: (﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... **إلخ**) أي: حين اشتَدَّ كربُ المسلمين من أذى المشركين تمنَّوا الأمر بالجهاد، ووافقهم في الظاهر على هذا التَّمني المنافقون، فهذه الآيات من هُنا إلى آخر السورة مدنيَّاتٌ قطعاً ولو على القول بأنَّ السورة مكيَّة؛ لأنَّ القتال لم يُشرَع إلا بها، وكذا النِّفاق لم يَظهر إلا بها.

قوله: (**أي: طلبُهُ**) أي: ذُكِرَ فيها الأمرُ به والحثُّ عليه.

قوله: (**أي: شكٌّ**) وقيل: ضعفٌ في الدين.

قوله: (﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ﴾) أي: نظراً مثلَ نظرِ المغشيِّ عليه، والمعنى: تَشْخَصُ أبصارُهم كالشخص الذي حضرَه الموت.

قوله: (**خوفاً منه**) أي: الموت.

قوله: (﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾) أي: الحق والواجب لهم؛ أي: عليهم طاعةٌ... إلخ، هذا ما مشى عليه المفسِّر، وهو أوضحُ ما قيل في هذا المقام.

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ....

﴿٢١﴾ ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: حَسَن لَك، ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: فُرِض القِتالُ ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الإيمانِ والطاعةِ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، ـ وجُملة (لَو) جَواب (إذا) ـ.

﴿٢٢﴾ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ ـ بِكَسرِ السِّين وفَتحها، وفِيه التِفات عن الغِيبة إلى الخِطاب ـ أي: لَعَلَّكُم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرَضتُم عن الإيمانِ ﴿أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تَعُودُوا إلى أمرِ الجاهِلِيَّة مِن البَغي والقِتال.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: المُفسِدُون ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: حسنٌ) تفسيرٌ لـ﴿مَّعْرُوفٌ﴾، وقوله: (لك) مُتعلِّق بكلٍّ من ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، والمعنى: الواجب عليهم أن يُطيعوك ويُخاطبوك بالقول الحسَن.

قوله: (وجملةُ «لو») أي: مع جوابها.

قوله: (بكسر السين وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (وفيه التفاتٌ) أي: لِتأكيد التوبيخ.

قوله: (أي: لعلكم... إلخ) تفسيرٌ لـ(عسى)، ولم يَذكر تفسير الاستفهام، وهو لِلتقرير، والمعنى: قرُّوا بأنه يتوقع منكم إن توليتم... إلخ، والتوقُّع في الآية جارٍ على لسان مَنْ يُشاهد حرصَهُم على الدنيا وتفريطَهُم في الدين، لا لله؛ لأنه هو الخالقُ لهم، العالمُ بأحوالهم.

قوله: (أعرضتم عن الإيمان) تفسيرٌ للثواب، وقيل: معناه: تأمَّرتم وتولَّيتُم أمرَ الأُمَّة.

قوله: (﴿أَن تُفْسِدُواْ﴾) خبر (عسى)، والشرط مُعترضٌ بينهما، وجوابه محذوفٌ؛ لدلالة ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ عليه[2].

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) مبتدأٌ، خبره قوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) قرأ نافع بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣١).

(٢) أو هو نفس ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ عند مَنْ يرى تقديمه. انظر «الدر المصون» (٩/ ٧٠١).

﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ ....

﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استِماعِ الحقِّ، ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ عن طَرِيقِ الهُدى. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيعرِفُون الحقَّ؟ ﴿أَمْ﴾: بَل ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ لَهُم ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ فلا يفهَمُونَه.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟﴾ بِالنِّفاقِ ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ﴾ أي: زَيَّنَ ﴿لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ - بِضمِّ أوَّله، وبِفَتحِه واللَّامَ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾) أي: فلا يَهتدُون إلى سُبُل الرشاد.

قوله: (﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾) أي: يَتفكرون في مَعانيه فيهتدُوا، وهذه الآية لتقرير ما قبلها، كأنه قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أبعَدهم عنه، فجعلهم لا يَسمعون النصيحة، ولا يُبصرون طريقة الإسلام، فتسبَّب عن ذلك كونهم لا يَتدبَّرون القرآن.

قوله: (﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾... إلخ) ﴿أَمْ﴾: مُنقطعة بمعنى (بل)، وهو انتقالٌ من توبيخهم على عدم التَّدبر إلى توبيخهم بكون قلوبهم مُقفلةً لا تَقبل التدبُّر والتَّفكر.

قوله: (لهم) صفة لـ﴿قُلُوبٍ﴾.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾) أي: رجعُوا إلى ما كانُوا عليه من الكفر، وهم المنافقون الموصوفون بما تقدَّم، دلَّ عليه قوله: (بالنفاق)، وقيل: هم اليهود، وقيل: أهل الكتابَين، دامُوا على الكفر به عليه السلام بعد ما وجدُوا نعتَهُ في كتابهم.

قوله: (﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾) أي: الطريق القويم بالأدلَّة والحُجَج الظاهرة.

قوله: (بضمِّ أوله) أي: وكسر ثالثه، وفتح الياء، والجارُّ والمجرور نائب الفاعل، وقوله: (وبفتحه واللام) أي: مبنيًّا للفاعل، والفاعل ضمير يَعود على الشيطان، وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

---

(١) العامَّة على (أملى) مبنيًّا للفاعل، وهو ضمير الشيطان، وقيل: هو لِلباري تعالى، قال أبو البَقاء: «على الأول يكون معطوفاً على الخبر، وعلى الثاني يكون مستأنفاً»، ولا يَلزم ما قاله، بل هو معطوف على الخبر في كِلا التقديرين، أخبر عنهم بهذا وبهذا، وقرأ أبو عَمرو في آخرين (أُملي) مبنيًّا لِلمفعول. انظر «الدر المصون» (٩/ ٧٠٣).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ ......﴾

والمُملِي الشَّيطان بِإرادَتِه تَعالى، فهو المُضِلُّ لَهم.

﴿٢٦﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إضلالُهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي: لِلمُشرِكِين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: المُعاوَنة على عَداوة النَّبيِّ ﷺ وتَثبِيطِ النَّاس عن الجِهاد مَعَهُ، قالُوا ذلك سِرًّا فأظهَرَهُ الله تَعالى، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ ـ بِفَتحِ الهَمزة: جَمع سِر، وبِكَسرها: مَصدَر ـ.

(﴿٢٧﴾ ـ ﴿٢٩﴾) ﴿فَكَيْفَ﴾ حالُهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ ـ حالٌ مِن ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ ـ ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾: ظُهورَهم بِمَقامِعَ مِن حَدِيد؟ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التَّوَفِّي على الحالةِ المَذكُورةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (والمُملي الشيطان... إلخ) جوابٌ عن سؤال مقدَّر، تقديره: الإملاء معناه: الإمهال، وهو لا يكون إلا مِن الله؛ لأنه الفاعل المختار؛ فكيف يُنسَب للشيطان؟ فأجاب: بأنَّ الممليَ حقيقةً هو الله، وأُسنِدَ للشيطان باعتبار أنه جارٍ على يدَيه؛ لأنه يُوسوس لهم بسَعة الأجل.

قوله: (أي: لِلمشركين) أي: والقائل هم اليهود، أو المنافقون؛ كما حكى الله عنهم ذلك في سورة (الحشر) بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا...﴾ الآيات [الحشر: ١١].

قوله: (﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾) أي: في بعض ما تأمرُوننا به؛ كالقُعود عن الجهاد، وتثبيط المسلمين عنه ونحو ذلك، لا في كلِّه؛ لأنهم لا يُوافقونهم في إظهار الكُفر.

قوله: (وبِكسرها) أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿فَكَيْفَ﴾) خبر لمحذوف، قدَّره بقوله: (حالهم).

قوله: (﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾) فملائكةُ العذاب تأتيهم عند قبض أرواحهم بمقامعَ من حديدٍ يَضربون بها وجوهَهُم وأدبارَهُم.

قوله: (على الحالة المَذكورة) أي: وهي التَّوفي مع ضرب الوجوه والأدبار.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر الهمزة مصدراً، والباقون بفتحها جمع (سر). انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٢).

بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ....

﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي: العَمَلَ بما يُرضِيهِ ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾: يُظهِرَ أحقادَهُم على النَّبيِّ ﷺ والمُؤمِنِين؟

﴿٣٠﴾ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾: عرَّفناكَهُم، وكُرِّرَت اللَّام في ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾: عَلامَتِهم، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ ـ الواوُ لِقَسَمٍ مَحذُوف، وما بَعدها جَوابُه ـ ﴿فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: مَعناهُ إذا تكَلَّمُوا عِندك بِأن يُعرِّضُوا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ﴾... إلخ) راجعٌ لضرب الوُجوه، وقوله: ﴿وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ راجعٌ لضرب الأدبار.

قوله: (﴿مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾) أي: من الكُفر وغيره.

قوله: (بما يُرضِيه) أي: من الإيمان وغيرِه من الطاعات.

قوله: (﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ﴾... إلخ) أي: وهُم المنافقون المتقدِّم ذكرهم.

قوله: (أحقادَهم) جمع حِقْدٍ، وهو: الانطواءُ على العداوة والبغضاء.

قوله: (عرَّفناكهم) أي: فالإراءةُ علميَّةٌ، لا بصريَّة.

قوله: (وكُررت اللام) أي في قوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾: للتأكيد، والمعنى: لو أردنا لدللناك على المنافقين، فتَعرفهم بسيماهم، وردَ عن ابن مسعود قال: خطَبنا رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: «إنَّ منكم منافقِين؛ فمَنْ سمَّيته. فليَقُم»، ثم قال: «قُم يا فلان، قم يا فُلان» حتى سمَّى ستةً وثلاثين[(١)].

قوله: (﴿فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾) اللَّحنُ يُقال على معنيَين: أحدهما: صرف الكلام عن الإعراب إلى الخطأ، والثاني: الكِناية بالكلام؛ بحيث يكون للكلام ظاهر وباطن، فيكون ظاهرُه تعظيماً،

(١) رواه الإمام أحمد في «مُسنده» (٥/ ٢٧٣) عن سيدنا أبي مسعود عُقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٠ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ ....

بِما فِيه تَهجِينُ أمر المُسلِمين، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: نَختَبِرَنَّكُم بِالجِهادِ وغَيرِه ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ عِلمَ ظُهُورٍ ﴿ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الجِهاد وغَيرِه، ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾: نُظهِرَ ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ مِن طاعَتِكُم وعِصيانِكُم في الجِهاد وغَيره ـ بِالياء والنُّون في الأفعالِ الثَّلاثة ـ.

﴿٣٢﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طَرِيقِ الحَقِّ ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: خالَفُوهُ

حاشية الصاوي

وباطنه تحقيراً، وهو المراد هنا، ومعنى الآية: وإنَّك يا محمَّد لتعرفنَّ المنافقين فيما يُعرِّضونه بك من القول الذي ظاهره إيمانٌ وإسلامٌ، وباطنُه كفرٌ وسبٌّ.

قوله: (بما فيه تَهجينُ أمر المُسلمين) التهجين: التقبيح والتعييب، فكانوا يَصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يُخاطبون بها الرسول، ظاهرها حسَن ويَعنون بها القبيح؛ كقولهم: ﴿رَٰعِنَا﴾، وتقدَّم الكلام على ذلك في سورة (البقرة)(١).

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾) أي: فيُجازيكم بحسَب قصدكم، ففيه وعدٌ ووعيدٌ.

قوله: (بالجهاد وغيره) أي: من سائر المشاقِّ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ...﴾ الآية [البقرة: ١٥٥].

قوله: (علمَ ظهورٍ) أي: علماً يُشاهِده خلقنا مطابقاً لما هو في عِلمنا الأزَلي؛ أي: فتظهر سرائرهم بين عبادنا.

قوله: (في ثلاثتها) وفي نسخة: (في الأفعال الثلاثة)، وهي (لَنبلونَّكم) و(نَعلم) و(نَبلُو)، وهما قراءتان سبعيَّتان(٢).

قوله: (طريقِ الحق) أي: وهو دين الإسلام.

قوله: (خالَفوه) أي: خرجُوا عن طاعته.

---

(١) انظر (١/ ٢١١).

(٢) قرأ شعبة بالياء التحتية في الأفعال الثلاثة، والباقُون بالنون فيهنَّ. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٩٨).

مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ....

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ هـو مَـعـنـى ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: يُبطِلُها مِن صَدَقة ونَحوِها، فلا يَرَونَ لَها في الآخِرة ثَواباً. نَزَلَت في المُطعِمين مِن أصحاب بَدرٍ أو في قُرَيظَة والنَّضِير.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾) هذه الجملة خبر (إن)، والكلام إمَّا على ظاهرِه، والمعنى: أنَّ كُفرهم لا يَضُرُّ إلا أنفسهم، وتعالى الله عن أن يَصِلَ له من خَلقه ضرٌّ أو نفعٌ، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي؛ إنكم لن تقدرُوا على ضرِّي فتَضرُّوني...» إلى آخره[1]، أو على حذف مضاف؛ أي: لن يَضرُّوا رسول الله؛ لِعِصمته منهم.

قوله: (في المُطعمين من أصحابِ بدر) أي: في المطعِمين الطعام للكُفار يوم بدر، وذلك أنَّ أغنياء الكفار كانوا يُعِينون فقراءهم على حرب رسول الله وأصحابه؛ كأبي جهل وأضرابه، وهذه الآية بمعنى قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا...﴾ الآية [الأنفال: ٣٦]، وسببُ ذلك: أنَّ قريشاً خرَجت لغزوة بدرٍ بأجمعها، وكان العامُ عامَ قَحطٍ وجدبٍ، وكان أغنياؤهم يُطعمون الجيش، فأوَّل مَنْ نحر لهم حين خُروجهم من مكة أبو جهل؛ نحَر لهم عشر جُزرٍ، ثم صفوانُ تسعاً بِعُسْفَانَ، ثم سهل عشراً بِقُدَيْدٍ، ومالُوا منه إلى نحو البحر فضلُّوا فأقاموا يوماً، فنحَر لهم شيبة تسعاً، ثم أصبحُوا بالأبواء، فنحَر مِقْيَسٌ الجمحي تسعاً، ونحر العباس عشراً، ونحر الحارث تسعاً، ونحر أبو البختري على ماء بدر عشراً، ونحَر مقيس عليه تسعاً، ثم شغلهم الحرب، فأكلُوا من أزوادهم[2].

قوله: (أو في قريظة والنضير) أي: فكانُوا ينفقون على قريش؛ لِيَستعينوا بهم على عداوةِ رسول الله ﷺ، فآل أمرُهُم إلى أن أخرج بني النضير من دِيارهم، وغزا قريظة؛ فقتل كبارهم، وأسر نِساءهم وذراريَّهم، ولم تنفعهم قريش بشيء.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) عن سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه، وفيه: (لن تبلغوا) بدل (لن تقدرُوا).

(٢) أورده ابن سيد الناس في «عيون الأثر» (١/٢٩١)، وفيه أنَّ الذي نحَر ثالثاً سُهيل بن عمرو.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ....

(٣٣ - ٣٤) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ بِالمَعاصِي مَثَلاً. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طَرِيقِه وهو الهُدَى ﴿ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ......

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾... إلخ) لَما ذكر أحوالَ الكفار ومُخالفتَهم لرسول الله.. أمَر المؤمنين بطاعته وطاعةِ رسوله، وبالجملة: فهذه السورة اشتَملت على ذكر أوصاف المؤمنين والكافرين على أحسَنِ ترتيب.

قوله: (بِالمعاصي مثلاً) أي: كالردَّة؛ فإنها تُبطلُ جميع الأعمال الصالحة مِن أصلها، والعجبِ والرياءِ؛ فإنهما يُبطِلان ثواب الأعمال، والمنِّ والأذى؛ فإنهما يُبطِلان ثواب الصدقات، والمنُّ مذمومٌ إلا مِن الله على عباده، والرسول على أُمَّته، والشيخ على تلميذه، والوالدِ على ولده؛ فليس بمذموم، وأما باقي المعاصي.. فلا تُبْطِلُ ثوابَ الأعمال الصالحة، خلافاً للمُعتزلة القائلين بأنَّ الكبائر تُحبط الأعمال كالردَّة، ورُدَّ كلامهم بقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وأخَذ بعض الأئمة من هذه الآية: أنه يحرُم على الشخص قطعُ الأعمال الصالحة ولو فعلاً؛ كالصلاة والصوم، والحاصلُ: أن الأصل في النوافل أنها لا تَلزم بالشُّروع عند جميع الأئمة، واستثنى مالك وأبو حنيفة سبعاً منها تَلزَمُ بالشروع، نظمَها ابن عرفة من المالكيَّة بقوله[1]: [الطويل]

صَلَاةٌ وصَـوْمٌ ثُـمَّ حَـجٌّ وعُـمْـرَةٌ ... طَـوَافُ عُـكُـوفٌ وائْـتِـمَـامٌ تَـحَـتَّـمَـا

وفِي غَيْرِهَا كَالطُّهْرِ والوَقْفِ خَيِّرَنْ ... فَمَنْ شَاءَ فَلْيَقْطَعْ ومَنْ شَاءَ تَمَّمَا

ولابن كمال باشا من الحنفية[2]: [البسيط]

مِن النَّـوَافِـلِ سَبْـعٌ تَـلْـزَمُ الـشَّـارِعْ ... أَخْـذًا لِـذَلِـكَ مِـمَّـا قَـالَـهُ الـشَّـارِعْ

صَـوْمٌ صَـلَاةٌ عُـكُـوفٌ حَـجُّـهُ الـرَّابِـعْ ... طَـوَافُـهُ عُـمْـرَةٌ إحْـرَامُـهُ الـسَّـابِـعْ

قوله: (﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾) الجُملة حاليَّة.

---

(١) انظر «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (١/ ٩٢).

(٢) في «حاشية ابن عابدين» (٢/ ٣١): (هذا النظم عزاه السيد أبو السعود إلى صَدر الدين بن أبي العز).

فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ....

﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾، نزَلَت في أصحابِ القَلِيب.

﴿٣٥﴾ ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾: تَضعُفُوا ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ ـ بِفَتحِ السِّين وكَسرِها ـ أي: الصُّلحِ مَع الكُفَّار إذا لَقِيتُمُوهُم، ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ ـ حُذِف مِنهُ واوُ لام الفِعل ـ: الأغلَبُون القاهِرُون، ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بِالعَونِ والنَّصر، ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾: يُنقِصَكُم ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أي: ثَوابَها.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾) خبر (إنَّ).

قوله: (في أصحاب القليب) هو بئر في بدرٍ، أُلقِيَت فيه القتلى من الكفار، لكن حُكمها عامٌّ في كلِّ كافرٍ مات على كُفره.

قوله: (﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾) الفاء فصيحة، وقَعت في جواب شرط مقدَّر؛ أي: إذا تبيَّن لكم بالأدلة الفعليَّة عزُّ الإسلام وذُلُّ الكفر في الدنيا والآخرة.. فلا تهنُوا.

قوله: (بفتح السين وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، وهذه الآية؛ قيل: ناسخة لآية ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]؛ لأنَّ الله منَع مِن الميل إلى الصلح إذا لم يكن بالمسلمِين حاجةٌ إليه، وقيل: إنهما نزَلتا في وقتين مختلفَين، فيَجوز الصلح عند الضرورة والاحتياج إليه، ولا يَجوز عند القدرة والاستعداد، فهذه الآية مُخصِّصةٌ للآية المتقدِّمة.

قوله: (﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾) الجملة حاليَّة، وكذا قوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾.

قوله: (لام الفعل) أي: وأصلُه: (الأعلَوُون) بواوين: الأُولى: لام الفعل، والثانية: واو الجمع، تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، فحُذفت الألف.

قوله: (بِالعون والنصر) أي: فالمرادُ: مَعيَّة معنوية.

قوله: (يَنقصكم) أي: أو يُفردكم عنها؛ لأن التِّرة تُطلق بالمعنَيين؛ يقال: وَتَرَهُ حقَّه يَتِرُهُ وَتْراً: نقَصه[2]، وأَوْتَرَ أرضه بمعنى: أفرَده.

---

(١) قرأ حمزة وشعبة بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٥).

(٢) من باب (وعَد) كما في «المصباح المنير»، مادة: (و ت ر)، ويُقال: (وِتراً) بكسر الواو كما في «المختار».

إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ....

(٣٦ - ٣٧) ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: الاشتِغالُ فِيها ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ اللهَ وذلك مِن أُمورِ الآخِرة، ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ جَمِيعَها، بل الزَّكاةَ المَفرُوضة فِيها. ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾: يُبالِغْ في طَلَبها ﴿تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ﴾ البُخلُ ﴿أَضْغَٰنَكُمْ﴾ لِدِينِ الإسلام.

﴿٣٨﴾ ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ما فُرِضَ علَيكُم، ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ﴾) اللعب: ما يَشغل الإنسان وليس فيه منفعةٌ في الحال ولا في المآلِ، واللهو: ما يَشغل الإنسان عن مُهِمَّات نفسه.

قوله: (﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾) أي: لا يَأمركم بإخراج جميع أموالِكم في الزكاة، بل يأمركم بإخراج بعضها.

قوله: (﴿فَيُحْفِكُمْ﴾) عطفٌ على الشرط، و﴿تَبْخَلُوا۟﴾: جوابه.

قوله: (يُبالغ في طلبها) أي: حتى يَستأصِلَها.

قوله: (﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ لِدين الإسلام) أي: أحقادَكم وبغضكم لدين الإسلام، وذلك لأنَّ الإنسان جُبِلَ على محبَّة الأموال، ومن نُوزِعَ في حَبِيبه.. ظهرَتْ سريرتُهُ، فمِنْ رَحمته على عباده عدمُ التشديد عليهم في التكاليف.

قوله: (﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾) الهاء: للتنبيه، و﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: منادى، وحرف النداء محذوفٌ، قدَّره المفسِّر، و﴿تُدْعَوْنَ﴾: خبره، وجملة النداء مُعترضة بين المبتدأ والخبر.

قوله: (﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ﴾) أي: ومِنكم مَنْ يَجود، وحذف هذا المقابل؛ لأنَّ المرادَ الاستدلالُ على البخل.

﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ٣٨﴾

يُقال: بَخِلَ علَيهِ وعنهُ، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن نَفقَتِكُم، ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إلَيهِ، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ عن طاعَتِه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يَجعَلْهُم بَدَلَكُم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ في التَّوَلِّي عن طاعَتِه، بَل مُطِيعِين لَه عزَّ وجلَّ.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (يُقال: بَخِل عليه وعنه) أي: فيتعدَّى بـ(على) إذا ضُمِّن معنى (تعدَّى)[١]، وبـ(عن) إذا ضمِّن معنى (أمسَك).

قوله: (﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إليه) أي: في جميعِ الأحوال.

قوله: (﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾) إمَّا خطابٌ لِلصَّحابة والمقصودُ منه التخويفُ؛ لأنه لم يَصِلْ أحدٌ من بعدهم لِرُتبتهم، والشرطيَّة لا تقتضي الوقوع، أو خطابٌ للمنافِقِين، والتبديل حاصلٌ بالفعل. واختُلف في القوم المسْتَبْدَلين، فروي عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله هذه الآية: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾، قالُوا: ومَن يستبدل بنا؟ وكان سَلمان جنب رسول الله ﷺ قال: فضرب رسولُ الله فخذَ سلمان فقال: «هذا وأصحابه، والذي نفس محمَّد بيده؛ **لو كان الإيمان مَنوطاً بالثريا.. لتناولَه رجال من فارس**»[٢]، وقيل: هم العجَم، وقيل: فارس والروم، وقيل: الأنصار، وقيل: الملائكة، وقيل: التابعون، وقِيل: مَن شاء من سائر الناس، وردَ: أنه لما نزَلت هذه الآية.. فرح بها رسول الله ﷺ وقال: «**هي أحبُّ من الدنيا**»[٣].

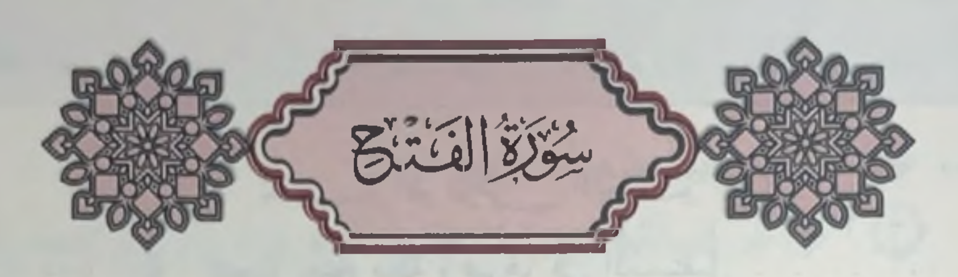
✿ ✿ ✿

---

(١) في (ب): (شحَّ)، وفي «تاج العروس»: (وقد شَحِحْتَ ـ بِالكسر ـ به وعَليه).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٦١).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٨٥) فيما حُكي عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.



مَدنيَّة، تِسعٌ وعشرُون آية.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الفَتْح

سببُ نُزولها: أنَّ رسول الله ﷺ خرَج في السنة السادسة بألفٍ وأربع مئةٍ من أصحابه قاصدِين مكةَ لِلاعتمار، فأَحرمُوا بالعمرة من ذي الحُليفة، وساق ﷺ سبعين بدَنة هدياً للحرَم، وساق القومُ سبع مئة، فلمَّا وصلوا الحديبية ـ وهي قرية بينها وبين مكة مرحلةٌ ـ أرسل عثمانَ مكة؛ لِيخبر أهلها بأنَّ رسول الله يُريد زيارةَ بيت الله الحرام ولم يكن قاصداً حرباً، فلمَّا ذهب عثمان.. حبَسُوه عندهم، فأشاع إبليسُ في الصحابة أنَّ عثمان قُتِلَ، فبايع رسولُ الله ﷺ أصحابه على أنهم يَدخلون مكة حرباً، فلمَّا بلغ المشركين ذلك.. أخذَهم الرعب، وأطلقُوا عثمان، وطلبُوا الصُّلح من رسول الله ﷺ؛ على أن يأتيَ في العام القابل، ويَدخلها ويُقيم فيها ثلاثة أيام، فتحلَّل هو وأصحابه هناك بالحَلق، وذبح ما ساقُوه من الهدي، ثمَّ رجعوا يَعلوهم الحزنُ والكآبة، فأراد الله تسليتَهُم وإذهابَ الحزن عنهم، فأنزل عليه وهو سائر ليلاً في رُجُوعه وهو بكُراعِ الغَمِيمِ ـ وهو وادٍ أمام عسفانَ بين مكة والمدينة ـ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ إلى آخِر السورة، فقال ﷺ: **«لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورةٌ هي أحبُّ إليَّ مما طلَعَت عليه الشمس»**، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، فقال المسلمُون: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، لقد بيَّن الله لك ما يَفعَل بك؛ فماذا يَفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حتى بلَغ: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1].

قوله: (مدنيَّة) أي: لكونها نزلت بعد الهِجرة.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٦٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: «لقد نزلَت عليَّ آية أحبُّ إلي مِما على الأرض» بدل «لقد أنزلت عليَّ الليلة سورةٌ هي أَحبُّ إليَّ مِما طلَعت عليه الشمس»، وهي عند «البخاري» (٤١٧٧) من حديث سيدنا عمر رضي الله عنه، وانظر «تفسير الخازن» (٤/ ١٥٣)، و«عُيون الأثر» (٢/ ١٥٥).

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾: قَضينا بِفَتحِ مَكَّة وغَيرِها في المُستَقبَل ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ . . . إلخ) الفتح هو: الظَّفَر بالبلاد عُنوةً أو صلحاً، فشبَّه الظفر بالبلاد بفتح الباب المغلَق؛ بجامع التمكُّن في كلٍّ، واستُعير اسم المشبَّه به للمشبَّه، واشتُق من الفتح ﴿فَتَحْنَا﴾ بمعنى: (ظفرنا) أي: مَكنَّاك من البلاد، وحذف المعمول؛ لِيُؤذن بالعموم، وأُسند إلى نون العظمة؛ اعتناءً بشأن الفتح، وإشارةً إلى أنَّ هذا الأمر لا يَتيسَّر إلا بإرادة الله وتَوفيقه.

قوله: (قضينا بفتح مكة وغيرها) أي: كخَيبر وحُنَين والطائف ونحوها، وهو جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الآية نزَلت في رُجوعه من الحُديبية عام ست، ومكة لم تُفتح إلا في السنة الثامنة؛ فكيف عبَّر بالماضي؟ فأجاب: بأنَّ التعبير بالماضي بالنسبة لِلقضاء الأزَلي، والمعنى: حَكمنا لك في الأزل بالفتح المبين، وحينئذٍ: فالتعبير بالماضي حقيقة.

وأُجيب أيضاً: بأنَّ التعبير بالماضي مَجاز لتحقق الوقوع؛ نظير: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩].

وأجيب أيضاً: بأنَّ الفتح على حقيقتِه، وأنَّ المرادَ به صلحُ الحُديبية؛ لأنه أصاب فيه ما لم يُصِبْ في غيره، قال الزهري: لقد كان الحُديبيةُ أعظمَ الفتوح، وذلك أنَّ النبي ﷺ جاء إليها في ألف وأربع مئة، فلمَّا وَقع الصلح. . مشى الناسُ بعضُهُم على بعضٍ، وعلمُوا وسَمعوا من الله، فما أراد أحدٌ الإسلام إلا تمكَّنَ منه، فما مضَت تلك السنتان إلا والمسلمُون قد جاؤوا إلى مكة في عشرةِ آلاف(١).

وقال الشعبي في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾: هو فتحُ الحديبية، لقد أصاب فيها ما لم يُصِب في غزوة غيرها؛ غفَر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وبُويع بيعة الرضوان، وأطعمُوا نخل خيبر، وبلغ الهدي مَحلَّه، وظهرت الروم على فارس، وفَرحت المؤمنون بظهور أهل الكتابِ على المجوس(٢).

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٦١)، وقوله: (مشى الناس بعضهم على بعض) أي: تفرَّقوا في البلاد، فدخل بعضهم أرض بعض من أجل الأمن بينهم، وفيه: (وعَلموا وسمعوا عن الله) بدل (وعَلموا وسمعوا من الله).

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/ ١٢٥).

فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ....

عُنوةً بِجهادِك، ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾: بَيِّناً ظاهراً.

(﴿٢﴾ - ﴿٣﴾) ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ بِجهادِك ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مِنهُ لِتُرغِّب أُمَّتك في الجِهاد، وهو مُؤوَّل لِعِصمةِ الأنبياء علَيهِم الصَّلاةُ والسَّلام بِالدَّليلِ العَقلِيِّ القاطِع مِن الذُّنُوب، واللَّام لِلعِلة الغائية فمَدخُولها مُسَبَّب ....

حاشية الصاوي

قوله: (عُنوة) هذا مذهب مالك وأبي حنيفة؛ نظراً لِكون النبي وأصحابه دخلُوها قهراً، ووُقوعِ القتل من بعض الصحابة كخالد بن الوليد وأصحابِه في جِهة أسفلها، ومذهب الشافعي: أنها فُتحت صلحاً؛ نظراً للظاهر، وهو عدم حُصُول القتال من النبي، وتأمينِه أبا سفيان، وهذا الخلاف يكادُ أن يكون لفظيًّا[1].

قوله: (بجهادك) مُتعلق بقوله: (بفتح مكة)، وهو جوابٌ عمَّا يُقال: إنَّ الفتح ناشئٌ من الله، والمغفرةَ تكون للشخص؛ فكيف تترتَّب عليه، وإنما الشأن أن تترتَّب على ما يكون من الشخص؟

فأجاب: بأنَّ الفتح وإن كان من الله لَكنَّه ترتَّب على فِعل النبي وهو الجهاد، فصحَّ أنه يَترتَّبَ على الفتح المغفرةُ بهذا الاعتبار.

قوله: (لِترغب أمتك) عِلَّةٌ لترتُّب الغُفران على الفتح.

قوله: (هو مؤول) أي: إنَّ إسناد الذنب له ﷺ مؤولٌ؛ إمَّا بأنَّ المراد: ذنوبُ أُمَّتك، أو هو من باب: حسَناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين، أو بأنَّ المراد بالغفران: الإحالةُ بينه وبين الذنوب فلا تَصدر منه؛ لأنَّ الغَفر هو الستر، والستر إما بين العبد والذنب، أو بين الذنب وعذابِه؛ فاللائقُ بالأنبياء الأول، وبالأُمَم الثاني.

إن قُلتَ: إنَّ عصمةَ النبي عليه السلام من الذنوب حاصِلةٌ بالفعل قبل النُّبوة وبعدها؛ فكيف تكون مُرتَّبةً على جهاده؟

أُجيب: بأنَّ المرتَّب إظهارُها لِلخلق، لا هي نفسُها.

قوله: (من الذنوب) أي: صغيرِها وكبيرها، عَمدِها وسهوها، قبل النُّبوة وبعدها.

قوله: (للعلة الغائية) أي: وهي المترتبةُ على آخِر الفعل، وليست عِلةً باعثةً؛ لاستحالة الأغراض على الله تعالى في الأفعال والأحكام.

---

(١) انظر «حاشية العدوي على كفاية الطالب» (٢/ ١٠)، و«حاشية ابن عابدين» (٤/ ١٣٨)، و«الأم» (٧/ ٣٨٢).

وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ....

لا سَبَب، ﴿وَيُتِمَّ﴾ بِالفَتحِ المَذكُور ﴿نِعْمَتَهُۥ﴾: إنعامَه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾ به ﴿صِرَٰطًا﴾: طَرِيقاً ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ يُثَبِّتك علَيهِ وهو دِينُ الإسلام، ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾: ذَا عِزٍّ لا ذُلَّ معَه.

﴿٤﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾: الطُّمَأنِينة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (لا سبب) أي: لأنَّ السبب ما يُضافُ إليه الحُكم؛ كالزوال لِوجوب الظهر، والمغفرةُ ليست كذلك.

قوله: (بالفتح المذكور) أي: وهو فتح مكة وغيرِها بجهادك.

قوله: (يثبِّتك عليه) أي: يَهديك ويُقويك عليه، أو المراد: يَزيدك في الهداية باتباع الشريعة وأحكام الدين.

قوله: (ذا عزٍّ) جوابٌ عمَّا يُقال: إنَّ العزيز وصفٌ لِلمنصور لا للنصر، وتوضيح جوابه أنَّ (فَعيل) صيغة نِسبة؛ أي: نصر مَنسوب للعزِّ[1].

قوله: (لا ذلَّ معه) أي: لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأمَّا مُطلقُ نصرٍ.. فيكون حتى لبعض الكفار في الدنيا.

قوله: (﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) أي: وهُم أهل الحُديبية، حتى بايعُوا رسول الله على مُناجزة الحرب مع أهل مكة بعد أن حصَل لهم ما شأنه أن يُزعِجَ النفوس، ويُزيغ القلوب؛ من صَدِّ الكفار، ورُجوع الصحابة دون بُلوغ مقصود، فلم يَرجع أحدٌ منهم عن الإيمان بعد أن هاج الناس وزُلزلوا حتى عمر بن الخطاب؛ لِما رُوي أنه قال: أتيت النبي ﷺ فقُلت: ألستَ نبيَّ الله حقًّا؟ قال: «بلى»، قُلتُ: ألَسنا على الحق وعدوُّنا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلتُ: فلِمَ نُعطي الدنيَّة في ديننا إذاً؟! قال: «إني رسول الله، ولستُ أَعصيه، وهو ناصِري»، قلتُ: أوليسَ كنتَ تحدثنا أنا سنأتي البيت فنَطوف به؟ قال: «بلى، أنا أخبرتُك أنا نأتيه العام؟» قلتُ: لا، قال: «فإنك آتيه وتَطوف به»، قال: فأتيتُ

---

(١) حق التفسير أن يقول: أي: نصراً منسوباً للعز، ولعلَّه حلُّ معنى لا حلُّ إعراب، أو على تقدير (هو).

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ ....

بِشَرائِع الدِّين كُلَّما نَزَل واحِدة مِنها آمَنُوا بِها ومِنها الجِهادُ، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلَو أرادَ نَصرَ دِينه بِغَيرِكُم لَفَعل، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلقِه ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعِه أي: لَم يَزَل مُتَّصِفاً بِذلك.

حاشية الصاوي

أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر؛ أليس هذا نبيَّ الله حقًّا؟ قال: بلى، فقلتُ: ألَسنا على الحق وعَدُوُّنا على الباطل؟ قال: بلى، فقلتُ: فلم نُعطي الدنيَّة في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل؛ إنه رسول الله، وليس يَعصي ربَّه، وهو ناصره، فاستمسِك بأمره ولا تُخالفه، فوالله؛ إنه على الحق، قلتُ: أوليس كان يُحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنا نأتيه العام؟ قلتُ: لا، قال: فإنك آتيه فتَطوف به[1].

قال العُلماء: لم يكن سؤال عمر شكًّا، بل طلباً لِكشف ما خفي عليه، وحثًّا على إذلال الكُفار وظهور الإسلام؛ كما هو معروفٌ مِن شِدَّته وصَلابته في الدين، وأمَّا جواب أبي بكر المطابق لجواب النبي ﷺ.. فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضلِه، وبارع عِلمه، وزيادة عِرفانه، ورُسوخِه رضي الله عنهما وعنَّا بهما[2].

قوله: (بشرائع الدين) مُتعلق بـ﴿إِيمَٰنًا﴾، وقوله: ﴿مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ متعلقٌ بمحذوف؛ أي: بالله ورَسوله.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) اختُلف في المراد بِجنود السماوات والأرض؛ فقيل: هم مَلائكة السماوات والأرض، وقيل: إنَّ جنود السماوات الملائكة، وجنودَ الأرض الحيوانات، وقيل: إنَّ جنود السماوات مثل الصَّواعق والصيحة والحجارة، وجنودَ الأرض مثل الزلازل والخَسف والغرَق، ونحو ذلك، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (لفعل) أي: لكنَّه لم يَفعل، بل أنزل السكينة على المؤمنين؛ ليكون إهلاك الأعداء بأيديهم؛ لِيَحصُلَ لهم الشَّرف والعزُّ دنيا وأخرَى.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١) واللفظ له عن سيدنا المسور بن مخرمة رضي الله عنه، ومسلم (١٧٨٥) عن سيدنا سهل بن حنيف رضي الله عنه، وفي الأصول: (فلم نعط) بحذف الياء في الموضعَين، والمثبَت من «صحيح البخاري».

(٢) انظر «إرشاد الساري» (٤/ ٤٥٠)، و«شرح النَّووي على مُسلم» (١٢/ ١٤١).

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ ....

﴿٥﴾ ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ - مُتعلِّق بِمَحذوف - أي: أمَر بِالجهاد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿٦﴾ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ - بِفَتحِ السِّين وضَمِّها في المَواضِع الثَّلاثة - ظَنُّوا أنَّهُ لا يَنصُرُ مُحمَّداً ﷺ والمُؤمِنين، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مُتعلق بمحذوف) أي: لا بـ﴿فَتَحْنَا﴾؛ لئلَّا يَلزمَ عليه عمل الفعل في حرفَي جرٍّ متَّحدَي اللفظ والمعنى من غير عطفٍ ولا بدلٍ ولا توكيدٍ.

قوله: (﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾) أي: يَمحوها، وهو معطوف على قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ إلخ عطفَ سببٍ على مُسبَّبٍ؛ فدخول الجنة مُسبَّب عن تكفير السيئات، وقدَّم الإدخال في الذكر على التكفير؛ مُسارعةً إلى بيان ما هو المطلَبُ الأعلى.

قوله: (﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكور من الإدخال والتكفير.

قوله: (﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾) حالٌ من ﴿فَوْزًا﴾؛ لأنه صفةٌ له في الأصل، فلمَّا قُدِّم عليه صار حالاً؛ أي: كائناً عند الله؛ أي: في عِلمه وقضائه.

قوله: (﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾) قدَّمهم على المشركين؛ لأنهم أشَدُّ ضرراً من الكفار المتجاهرين؛ وذلك لأنَّ المؤمن كان يَتوقى المجاهر، ويُخالِط المنافق؛ لِظَنِّه إيمانَهُ.

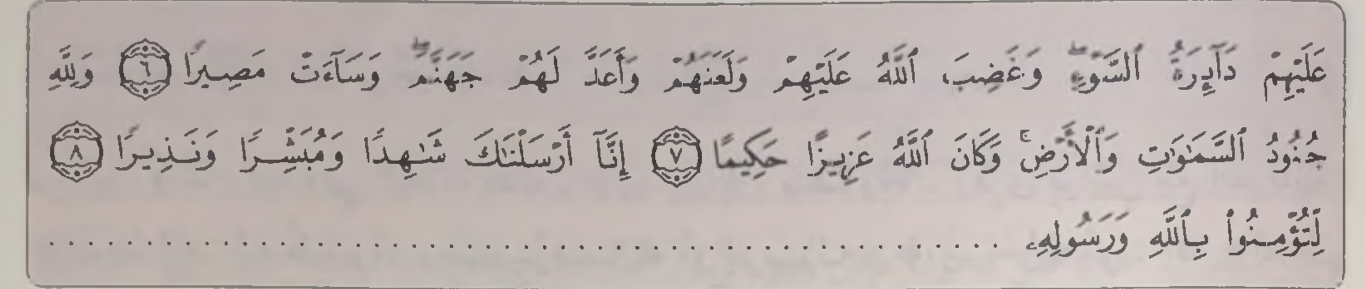
قوله: (﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾) صفة لموصوف محذوف؛ أي: ظن الأمر السَّوء، فحُذِفَ المضاف إليه، وأقيمت صفته مُقامَه.

قوله: (بفتح السين وضمِّها) أي: فالفتح: الذمُّ، والضم: العذابُ والهزيمةُ والشَّرُّ.

قوله: (في المَواضع الثلاثة) أي: هذَين، والثالث قولُه فيما يأتي: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾، وهو سبقُ قَلم، والصواب أن يقول: (في الموضع الثاني)[1]، وأمَّا الأوَّل والثالث.. فليس فيهما إلا الفتحُ باتفاق السَّبعة.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عَمرو بضمِّ السين، والباقون بالفتح، وهما لغتان كالكُره والكَره، والضَّعف والضُّعف. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٠).


عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ....

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بِالذُّلِّ والعَذابِ، ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾: أبعَدَهُم، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: مَرجِعاً.

﴿٧﴾ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في مُلكِه، ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعِه، أي: لَم يَزَل مُتَّصِفاً بِذلك.

(﴿٨﴾ - ﴿٩﴾) ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على أُمَّتِك في القِيامةِ، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لَهُم في الدُّنيا بِالجنَّة، ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُنذِراً مُخوِّفاً فِيها مَن عَمِل سُوءاً بِالنَّار، ﴿لِيُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾) إمَّا إخبارٌ عن وُقوعه بهم، أو دعاءٌ عليهم، كأنَّ الله يقول: سَلُوني بقولكم: عليهم دائرة السوء، والدائرةُ عبارة عن الخطِّ المحيط بالمركز، ثمَّ استُعمِلت في الحادثة المحيطة بِمَن وقَعت عليه، والجامعُ الإحاطة في كلٍّ.

قوله: (﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾) عطفٌ على قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾... إلخ) ذكر هذه الآية أوَّلاً في مَعرض الخلق والتدبير فذيَّلها بقوله: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، وذكَرها ثانياً في مَعرض الانتقام فذيَّلها بقوله: ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾؛ فلا تكرار.

قوله: (أي: لم يزل... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ (كان) في أوصافِ الله معناها الاستِمرار.

قوله: (﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾... إلخ) امتِنانٌ منه تعالى عليه ﷺ؛ حيث شرَّفه بالرسالة، وبعثَه إلى كافَّة الخَلق شاهداً على أعمال أُمَّته.

قوله: (﴿شَٰهِدًا﴾ على أُمتك) أي: بالطاعة والعِصيان.

قوله: (﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾) مُتعلق بـ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾.

وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ....

- بالياءِ والتَّاء فِيه وفي الثَّلاثة بَعدَه - ﴿وَيُعَزِّرُوهُ﴾: يَنصُرُوهُ، - وقُرِئ بِزايَينِ مَع الفَوقانيَّة - ﴿وَيُوَقِّرُوهُ﴾: يُعَظِّمُوهُ، وضَمِيرُهما لله أو لِرَسُوله، ﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾ أي: الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: بِالغَداةِ والعَشِيِّ.

۝١٠ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بَيعةَ الرِّضوان بِالحُدَيبِيةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً[2].

قوله: (وضَميرهما لله... إلخ) أي: فهُما احتمالان؛ أي: فإذا أردتَ الجَري على وتيرةٍ واحدةٍ.. جعَلتها كأنها عائدةٌ على الله تعالى، وأمَّا قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾.. فهو عائدٌ على الله قولاً واحداً.

ويُؤخذ مِن هذه الآية: أنَّ مَن اقتَصر على تعظيم الله وحده، أو على تعظيم الرسول وحدَه.. فليس بمؤمنٍ، بل المؤمن مَنْ جمَع بين تعظيم الله تعالى وتعظيم رَسوله، ولكن التعظيم في كلٍّ بحسَبِه؛ فتعظيمُ الله تنزيهُهُ عن صفات الحوادث، ووصفُهُ بالكمالات، وتعظيمُ رسوله اعتقادُ أنَّه رسول الله حقًّا وصدقاً لِكافَّة الخلق بشيراً ونذيراً، إلى غير ذلك من أوصافِه السَّنيَّة، وشمائلِه المَرضيَّة.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾... إلخ) لَما ذكر سبحانه وتعالى أنه أرسَله بشيراً ونذيراً.. بيَّن أنَّ مُتابعتَهُ متابعةٌ له، وطاعتَهُ طاعةٌ له، وذلك يُشعر بعظيم مَنزلته وقَدره عند ربِّه.

والبيعة في الأصل: العقد الذي يَعقده الإنسان على نفسِه مِن بذل الطاعة للإمام، والوفاء بالعهد الذي التزَمه له، والمراد بها هنا: بَيعة الرضوان بالحديبية، وهي قريةٌ ليست كبيرةً، بينها وبين مكة أقَلُّ من مَرحلة أو مرحلة، سمِّيت ببئرٍ هناك، واختُلف فيها؛ فقيل: من الحرم، وقيل: بعضها من الحِلِّ، ويَجوز فيها التخفيف والتشديد.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة في الأفعال الأربعة، وغيرُهما بتاء الخطاب. انظر «البُدور الزاهرة» (ص٢٩٩).

(٢) قال أبو حاتم: قرأ: (تُعزِّزوه) بزايين اليمامي؛ أي: تجعلوه عزيزاً. انظر «المحتسب في تَبيين وُجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» (٢/ ٢٧٥).

إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ....

﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ هو نحو: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] التي بايَعُوا بِها النَّبيَّ، أي: هو تَعالى مُطَّلِع على مُبايَعَتِهم فيُجازِيهِم علَيها؛ ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نَقَضَ البَيعةَ ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾: يَرجِع وَبالُ نَقضِه ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ﴾ ـ بِالياء والنون ـ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾) اعلَم: أنَّ في هذا المقام استعارةً تصريحيَّةً تبعيَّةً، ومكنيَّةً، وتخييليَّةً، ومشاكلةً؛ فالتبعيَّة: في الفعل وهو (يبايعون)؛ وذلك لأنَّ المُبايعة معناها مُبادلة المال بالمال، فشبَّه المعاهدة على دفع الأنفُسِ في سبيل الله طلباً لِمَرضاة الله بدفع السلع في نظير الأموال، واستُعير اسم المشبَّه به للمشبَّه، واشتُق من البيع (يبايعون) بمعنى: يُعاهدون على دفع أنفسهم في سبيل الله، والمكنيَّة: في لفظ الجلالة؛ وذلك لأنَّ المتعاهدَيْنِ إذا كان هناك ثالثٌ يضع يدَه فوق يَديهما؛ ليحفظهما، فشبَّه اطلاع الله ومُجازاته على فعلهم بملكٍ وضع يده على يدِ أميره ورعيَّته، وطوى ذكر المشبَّه به ورَمز له بشيءٍ من لوازمه وهو اليد، فإثباتها تخييل، والمشاكلة: لِذكر الأيدي بعده.

قوله: (هو نحو: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾... إلخ) أي: من حيث إنه في المعنى يَرجع له، وفيه إشارةٌ إلى أنه تعالى مُنزَّهٌ عن الجوارح.

قوله: (يرجع وَبال نقضه) أشار إلى أنَّ في الكلام حذفَ مضافَين.

قوله: (بالياء والنون) أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾) أي: وهو الجنة، وهذه الآية وإن كان سبب نزُولها بيعةَ الرضوان إلا أنَّ العبرة بعُموم اللفظ، فيَشمل مبايعةَ الإمام على الطاعةِ والوفاءِ بالعهد، ومُبايعةَ الشيخ العارف على محبة الله ورسولِه والتزامِ شروطه وآدابه، ومن هنا استعمل مشايخ الصوفية هذه الآيةَ عِند أخذ العهد على المُريد.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: (فسنؤتيه) بنون العظمة، والباقون بالياء من تحت. انظر «الدر المصون» (٩/ ٧١٢).

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ ....

(١١) ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ حَول المَدِينة أي: الذِينَ خَلَّفَهُم الله عَن صُحبَتِك لَمَّا طَلَبتَهم لِيَخرُجُوا مَعَك إلى مَكَّة خَوفاً مِن تَعَرُّض قُرَيش لَك عامَ الحُدَيبِية إذا رَجَعتَ مِنها: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخُرُوج مَعك، ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ﴾ الله مِن تَرك الخُرُوجِ مَعَك، قال تَعالى مُكذِّباً لَهُم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ أي: مِن طَلَب الاستِغفار وما قَبلَه ﴿مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ﴾ فهُم كاذِبُون في اعتِذارِهم، ﴿قُلْ فَمَن﴾ ـ استِفهام بِمَعنى النَّفي ـ أي: لا أحَدَ ﴿يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ ـ بِفَتحِ الضَّاد وضَمِّها ـ ..

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾... إلخ) أي: وهم غِفار ومُزينة وجُهَينة وأشجع، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ حين أراد المَسير إلى مكة عام الحديبية مُعتمراً.. طلب من الأعراب وأهلِ البوادي حول المدينة أن يخرجُوا معه؛ حذراً من قريش أن يَتعرَّضوا له بحربٍ، ويَصُدُّوه عن البيت، فأَحرم بالعمرة، وساق الهديَ؛ لِيعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثيرٌ من الأعراب، وتخلَّفوا عنه وقالوا: يَذهب إلى قومٍ قد غزوه في مَقَرِّ داره بالمدينة، وقتلُوا أصحابه[1].

قوله: (حول المدينة) حالٌ من ﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾، أو صفةٌ لهم.

قوله: (إذا رجَعت منها) ظرف لـ(يقول).

قوله: (﴿وَأَهْلُونَا﴾) أي: النساء والصبيان؛ فإنا لو تركناهم لضاعُوا؛ لأنه لم يكن لنا من يَقوم بهم، وأنتَ قد نهيتَ عن ضياع المال، والتفريطِ في العيال.

قوله: (فهم كاذبُون في اعتذاره) أي: وطلب الاستغفار.

قوله: (﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم﴾... إلخ) أي: فمَن يَمنعكم من مَشيئته وقضائه؟

قوله: (﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾) أي: كقتلٍ وهزيمةٍ ونحوِهما.

قوله: (بفتح الضاد وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

---

(١) انظر «زاد المسير» (٤/ ١٣٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بضم الضاد، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٣).

أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ....

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: لم يَزَل مُتَّصِفاً بذلك.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿بَلْ﴾ - في المَوضِعَينِ لِلانتِقالِ مِن غَرَض إلى آخر - ﴿ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: إنَّهُم يُستَأصَلُون بِالقَتلِ فلا يَرجِعُون، ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ هذا وغَيرَه، ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾: جَمع (بائِر) أي: هالِكِين عِند الله بِهَذا الظَّن. ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾) ترَقٍّ في الردِّ عليهم.

قوله: (للانتقال مِن غرض إلى آخر) أي: فأضرب عن تكذيبهم في اعتذارهم إلى إيعادهم بِجزاء أعمالهم من التخلُّف والاعتذار الباطل، ثمَّ أضرب عن بَيان اعتذارهم إلى بيان ما حمَلَهم على التخلف، وهذا على سَبيل الترقي في الرَّد عليهم.

قوله: (﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾) أي: لا يَرجع إلى المدينة، وسببُ ظنِّهم ذلك اعتقادُهُم عظمةَ المشركين، وحَقارةَ المؤمنين حتى قالُوا: ما هم في قريش إلا أَكَلَةُ رجلٍ[1].

قوله: (جمع بائر) أي: كـ(حَائِلٍ وحُوْلٍ)، وقيل: البُورُ مصدرٌ بمعنى: الهلاك.

قوله: (﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾) لما بيَّن حال المخلَّفِين عن رسول الله، وبيَّن حال ظنِّهم الفاسد، وأنه يُفضي بصاحبه إلى الكفر.. حرَّضهم على الإيمان والتوبة على سبيل العُموم.

و(مَن): إمَّا شرطيَّة، أو موصولة، والاسم الظاهر قائمٌ مقامَ العائد[2]، وقوله: ﴿فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ دليل الجواب، أو الخبر.

---

(١) كناية عن قلَّتهم، وهو جمع (آكِل)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٠) قولَ المنافقين لإخوانهم: (ما محمَّد وأصحابه إلا أَكَلَة رأس، ولو كانوا لحماً.. لالتَهَمهم أبو سفيان وأصحابه، دعُوا هذا الرجل فإنه هالك).

(٢) المقام للإضمار، وإنما وضع (الكافرين) موضع الضمير إيذاناً بأنَّ مَن لم يجمع بين الإيمان بالله ورَسوله.. فهو كافر، وأنه مُستوجب للسعير بكُفره. انظر «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٢٨).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾

ناراً شَديدة. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: لَم يَزَل مُتَّصِفاً بِما ذُكِر.

﴿١٥﴾ ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ المَذكُورُون ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ هي مَغانِم خَيبَر ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾: اترُكُونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لِنَأخُذَ مِنها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ناراً شديدة) أي: فالمراد جميعُ طبقات النار، لا الطبقة المسمَّاةُ بذلك.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أي: يتصرَّف فيهما كيف يشاء.

قوله: (﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾) هذا قطعٌ لِطَمعهم في استغفاره ﷺ لهم، كأنَّ الله يَقول لهم: لا يَستحقُّ أحدٌ عندي شيئاً، وإنما أغفِر لمن أريد، وأُعذب مَن أُريد، وقد سبَقت حكمتي: أنَّ المغفرة للمؤمنين، والتعذيب للكافرين؛ فلا تطمَعُوا في المغفرة ما دُمتُم كفاراً.

قوله: (﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾... إلخ) هذا من جُملة الإخبار عمَّا يَحصل منهم.

قوله: (﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ﴾) ظرفٌ لما قبله، والمعنى: يَقولون عند انطلاقكم... إلخ.

قوله: (وهي مغانم خيبر) أي: وذلك أنَّ المؤمنين لَما انصرَفوا من الحُديبية على صلحٍ من غير قتالٍ، ولم يُصِيبوا من المغانم شيئاً.. وعَدهم الله عزَّ وجلَّ فتح خيبر، وجعل مغانمَها لِمَن شهد الحديبية خاصَّة عوضاً عن غنائم أهل مكة؛ حيث انصرفوا عنهم ولم يُصِيبوا منهم شيئاً، وكان المتولي لِلقسمة بخيبر جبار بن صخر الأنصاري من بني سَلِمَة، وزيد بن ثابت من بني النجار، كانا حاسبَين قاسمَين، وأمر ﷺ بالقَسم لمن حضَر من أهل الحديبية ومن غاب، ولم يَغِب منهم عنها غير جابر بن عبد الله، فقسَم له ﷺ كسهم من حضَر[1].

قوله: (﴿ذَرُونَا﴾) أي: دَعُونا، وهذا الفعل هُجِرَ مصدره وماضِيه واسم فاعله؛ استغناءً بمادة (ترك)، وأصل مادَّته: (وَذَرَ يَذَرُ وَذْراً فهو واذِرٌ)، والأمر منه: ذَرْ. وهذه الجملةُ مَقول القول.

(١) انظر «عيون الأثر» (٢/ ١٨٢).

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى﴾

﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ - وفي قِراءةٍ: (كَلِم الله) بكسر اللَّام - أي: مَواعِيدَه بِغَنائِم خَيبَر أهلَ الحُدَيبية خاصَّة، ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبل عَودِنا، ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نُصِيبَ مَعكُم مِن الغَنائِم فقُلتُم ذلك، ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ مِن الدِّين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مِنهُم.

﴿١٦﴾ ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المَذكُورِين اختِباراً: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يُرِيدُونَ﴾) إمَّا مستأنفٌ، أو حالٌ من ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾.

قوله: (﴿أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾) أي: يُغيِّروا وعدَ الله الذي وعد أهل الحُديبية مِنْ جعلِ غنائمِ خيبر لهم عوضاً عن فتح مَكة في ذلك العام.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾) نفيٌ في معنى النَّهي؛ للمبالغة.

قوله: (﴿كَذَٰلِكُمْ﴾) أي: مثل هذا القول وهو ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾.

قوله: (﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾) أي: حكم بأنَّ غنيمة خيبر لِمَن شَهد الحديبية، ليس لغيرهم فيها نصيبٌ.

قوله: (﴿فَسَيَقُولُونَ﴾) أي: عِند سَماعهم النهي.

قوله: (﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾) أي: فليس هذا النهي حُكماً من الله تعالى، بل هو حسَدٌ مِنكم لنا على مُشاركتكم في الغنائم.

قوله: (مِن الدين) أشار بذلك إلى أنَّ الإضراب الأول مَعناه: ردٌّ منهم أن يكون حكم الله ألَّا يَتبعوهم، وإثبات الحسد، والثاني: إضرابٌ عن وَصفهم بإضافة الحسَد إلى المؤمنين إلى وَصفهم بما هو أهَمُّ، وهو الجهل وقِلَّة الفهم.

قوله: (﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾) كرَّر وصفَهم بهذا الاسم؛ إشعاراً بِشَناعته، ومبالغةً في ذَمِّهم.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام بعد الكاف ولا ألفَ بعد اللام، والباقون بفتح اللام وألف بعدها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٥).

بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦﴾ ....

أصحابِ ﴿بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ قِيل: هُم بَنُو حَنِيفةَ أصحابُ اليَمامة، وقِيل: فارِس والرُّومُ، ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ﴾ ـ حالٌ مُقدَّرة هي المَدعُوُّ إلَيها في المَعنى ـ ﴿أَوۡ﴾ هُم ﴿يُسۡلِمُونَۖ﴾ فلا تُقاتِلُون، ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ إلى قِتالِهم ﴿يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾: مُؤلِماً.

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: هُم بنو حنيفة) أي: وهُم جَماعة مُسيلمة الكذاب، والداعي لِلمخلَّفين على قتالهم حينئذٍ أبو بكر بعد وفاةِ النبي ﷺ.

قوله: (أصحاب اليمامة) اسمٌ لبلاد في اليمن، ولامرأةٍ كانت بها، ويُقال لها: زرقاء، كانت تُبصرُ الراكب من مَسيرة ثلاثة أيام.

قوله: (وقيل: فارس والروم) أي: والداعي لهم عمرُ بن الخطاب، وقيل: إنَّ ذلك في هَوازن وغطَفان يوم حُنين، والداعي لهم رسول الله.

إن قلتَ: إنَّ الله تعالى أمر رسوله ألَّا يدعُوَ المخلَّفين إلى الجهاد في قوله: ﴿فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ﴾ [التوبة: ٨٣]، وحينئذٍ: فيَبعُد أنَّ ذلك في غزوة حُنين والداعي لهم رسول الله؟

وأجيب: بأنه لا بُعْدَ؛ إذ قوله: ﴿لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا...﴾ إلخ إنما نزلت بعد الفتح في غزوةِ تَبوك، فتحصَّل أنَّ الأقوال ثلاثةٌ، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (﴿أَوۡ﴾ هم ﴿يُسۡلِمُونَۖ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الجملة مستأنفةٌ، وليست (أو) بمعنى (إلى) أو (إلا)، وإلَّا.. لَنُصب الفعل بحذف النون.

ومعنى ﴿يُسۡلِمُونَۖ﴾: يَنقادون ولو بعقد الجزية؛ فإنَّ الروم نصارى، وفارس مَجوس، وكلٌّ منهما يُقرُّ بالجزية، وأمَّا بالنسبة لبني حنيفة.. فمَعناه: يُسلمون بالفعل؛ لأنهم كانوا مُرتدِّين، والمرتدُّ لا يقرُّ بالجزية، بل إمَّا السيف، أو الإسلام.

قوله: (﴿كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ﴾) أي: في الحُديبية.

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ....

﴿١٧﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في ترك الجهادِ، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ - بالياءِ والنُّون - ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾ - بالياء والنُّون - ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

(﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾) ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾) نزلت لَما قال أهل الزَّمَانَةِ والعاهة والآفة: كيف بِنا يا رسول الله؟ حين سَمعوا قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا...﴾ إلخ[1].

قوله: (في ترك الجهاد) أي: في التخلُّفِ عن الجهاد، وهذه أعذارٌ ظاهرة؛ وذلك لأنَّ الأعمى لا يُمكنه الكرُّ ولا الفرُّ، وكذلك الأعرج والمريض، ومثلُ هذه الأعذار الفقرُ الذي لا يُمكن صاحبه أن يَقضيَ مصالحه وأشغالَه الذي تُعوِّق عن الجهاد، وكلُّ هذا ما لم يَفجأ العدوُّ، وإلا.. وجب على كلٍّ بما يُمكِنه.

قوله: (بالياء والنون) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) أي: فعَل بهم فعل الراضي؛ من الثواب والفتح المُبين، وفي ذلك تلميحٌ إلى أنَّ الكافرين غيرُ راضٍ عنهم، فلهم الخذلان في الدنيا والآخرة، وكان سببُ هذه البيعة على ما ذكره محمد بن إسحاق عن أهل العلم: أنَّ رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزَل الحديبية، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على جمله ﷺ؛ لِيُبلغ أشرافهم أنه ﷺ جاء مُعتمراً ولم يجئ محارباً، فعقرُوا جملَ رسول الله ﷺ، وأرادوا قتلَه، فمنَعتهم الأحابيش، فخلَّوا سبيلَه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب؛ لِيَبعثه إلى مكة، فقال: يا رسول الله؛ إني أخاف على نفسي قريشاً، وليس في مكة من بني عديٍّ بن كعب أحدٌ، وقد عرفَتْ قريشٌ عَداوتي لها، وغِلظتي عليها، ولكن أدُلُّك على رجلٍ هو أقربُها منِّي؛ لوجود عشيرته فيها، وهو عثمان بن عفان.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٧/٣٠٣).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: (ندخله) و(نعذبه) بالنون فيهما، والباقون بالياء التحتية. انظر «السراج المنير» (٤/٤٦).

إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ....

﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بِالحُدَيبِيةِ ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ هي سَمُرةٌ وهُم ألفٌ وثَلاثمائةٍ ....

حاشية الصاوي

فدعا رسول الله عثمان، فبعَثه إلى أبي سفيان وأشراف قريشٍ يُخبِرهم أنه لم يأت لحربٍ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، مُعظِّماً لحرمته، وكتَب له كتاباً بعَثه معه، وأمره أن يُبشِّرَ المستضعفين بمكة بالفتح قريباً، وأنَّ الله سيُظْهِرُ دينَهُ، فخرج عثمان وتوجَّه إلى مكة، فوجد قريشاً قد اتفقُوا على مَنعِه ﷺ من دخول مكة، ولَقِيَه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يَدخلها، فنزل من فرسه وحمله بين يدَيه، ثم ردفه وأجاره حتى بلَّغ رسالة رسول الله ﷺ، وقرأ عليهم الكتاب واحداً واحداً، فصمَّمُوا على أنه لا يَدخلها هذا العام وقالُوا لعثمان: إن شئتَ أن تطوف بالبيت.. فطُف به، قال: ما كنتُ لأفعل حتى يطوفَ به رسول الله ﷺ، وقد كان المسلمون قالوا: هنيئاً لعثمان خَلص إلى البيت وطاف به دُوننا، فقال ﷺ: «إنَّ ظني به ألا يَطوف حتى يطوفَ معنا».

وبشَّر عثمان المستضعفين، واحتبَسَتْهُ قريشٌ عندها، فبلغ رسولَ الله والمسلمين أنَّ عثمان قد قُتِلَ، فقال رسول الله: «لا نبرحُ حتى نُناجِزَ القوم»، ودعا الناسَ إلى البيعة، فكانت بيعةُ الرضوان تحت الشجرة، ووضع النبي ﷺ شماله في يَمينه وقال: «هذه عن عثمان»، وهذا يُشعر بأنَّ النبي قد عَلم بنور النبوة أنَّ عثمان لم يُقتل حتى بايَع عنه، وفي الحديث: أن النبي قال لَما بايع الناس: «اللهم؛ إنَّ عثمان في حاجتِك وحاجةِ رسولك»، فضرَب بإحدى يدَيه على الأخرى، فكانت يَدُه لعثمان خيراً من أيدِيهم لأنفسهم[1].

ولما سمع المشركون بهذه البَيعة.. خافوا وبعثُوا بعثمان وجماعةٍ من المسلمين، وكانوا عشرةً دخلُوا مكة بإذنه ﷺ[2].

قوله: (﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾) ظرف لـ﴿رَضِيَ﴾، وعبَّر بصيغة المضارع؛ استحضاراً لِصورة المبايَعة.

قوله: (﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾) معمول لـ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾.

قوله: (هي سمرة) بضمِّ الميم: من شجَر الطَّلح، وهو الموز كما عليه جمهور المفسِّرين في قوله

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (١٣/ ٤٨١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص٤٥٤) وما بعدها.

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ....

أو أكثرُ، ثُمَّ بايَعَهُم على أن يُناجِزُوا قُرَيشاً وأنْ لا يَفِرُّوا مِن المَوت، ﴿فَعَلِمَ﴾ اللهُ ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ مِن الصِّدقِ والوَفاءِ، ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتحُ خَيبَر بعدَ انصِرافِهم مِن الحُدَيبِية. ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ مِن خَيبَر، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: لَم يَزَل مُتَّصِفاً بِذلك.

﴿٢٠﴾ ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ مِن الفُتُوحاتِ، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ غَنِيمة خَيبَر، ....

حاشية الصاوي

تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾، وهذه الشجرة قد أُخفيت؛ لئلا يَحصُلَ الافتتان بها، ورُوي: أنَّ عمر بلغه أنَّ قوماً يأتون الشجرة ويُصَلُّون عندها، فتوعَّدهم، ثمَّ أمر بِقَطعها، فقُطِعَتْ[١].

قوله: (أو أكثر) قيل: وأربع مئة وهو الصحيحُ[٢]، وقيل: وخمس مئة.

قوله: (على أن يُناجزوا قريشاً) أي: يُقاتِلوهم.

قوله: (﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾) معطوف على ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾.

قوله: (بعد انصرافهم من الحُديبية) أي: في ذي الحجة، فأقام ﷺ بالمدينة بَقِيَّته وبعض المحرَّم، ثم خرج إلى خَيبر في بَقيَّة المحرم سنة سبع.

قوله: (﴿وَمَغَانِمَ﴾) معطوف على ﴿فَتْحًا﴾، و﴿يَأْخُذُونَهَا﴾: صفة لـ(مغانم)، أو حالٌ منها.

قوله: (﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ﴾) الانتقال إلى الخطاب؛ لِتَشريفهم في مَقام الامتِنان، وهو لأهل الحُديبية من الفتوحات؛ أي: غير خَيبر ممَّا استقبلتم بعدُ؛ كفتح مكة وهَوازن وبلاد كِسرى والروم.

قوله: (غنيمة خيبر) مقتضى ما تقدَّم من أنَّ السورة نزلت كلُّها في رُجوعه من الحُديبية أن يكونَ قوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ من التَّعبير بالماضي عن المستقبل؛ لِتَحقُّق وُقوعه، ومن الإخبار بالغيب.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٠٠)، وانظر «شرح المواهب» (٣/ ٢٢٤).

(٢) لما روى البخاري (٣٥٧٧) عن سيدنا البراء رضي الله عنه، قال: كُنا يوم الحديبية أربعَ عشرة مئة والحديبية بئر، فنزحناها حتى لم نترك فيها قَطرة، فجلس النبي ﷺ على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض ومج في البئر، فمَكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى رَوِينا، وروت ـ أو صَدرت ـ ركائبنا.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢٠﴾ ....

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ في عِيالِكُم لَمَّا خَرَجتُم وهَمَّت بِهِم اليَهُود، فقَذَف الله في قُلُوبِهِم الرُّعبَ، ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي: المُعجَّلة ـ عطفٌ على مُقدَّر ـ أي: لِتَشكُرُوه ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نَصرِهم، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: طَرِيق التَّوكُّل علَيهِ وتَفوِيضِ الأمرِ إليه تَعالى.

حاشية الصاوي

قوله: (**في عِيالكم**) أي: عن عِيالكم، والجارُّ والمجرور بدلٌ من قوله: ﴿عَنكُمْ﴾، والمراد بـ﴿ٱلنَّاسِ﴾: أهلُ خيبر وحُلَفاؤهم من بني أسَد وغطفان.

قوله: (**لما خرجتم**) أي: لِلحديبية، وقوله: (**وهمت بهم اليهود**) أي: يَهود خيبر، همُّوا بأخذ عِيال النبي والصحابة من المدينة في غَيبة النبي للحديبية، وكان هو السبب في أخذ خيبر[1].

قوله: (**عطف على مقدَّر**) هذا أحد قولَين، والآخر أنها زائدة، وعليه: فيكون تعليلاً لقوله: (كفَّ).

قوله: (﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾) أي: أمارةً يَعرفون بها صِدق الرسول ﷺ في وَعده إيَّاهم عند الرجوع من الحُديبية بتلك الغنائم.

قوله: (**أي: طريق التوكل عليه**) فسَّر الصراط المستقيم بما ذُكر؛ لأنَّ الحاصل من الكفِّ ليس إلا ذلك، ولأنَّ أصل الهدى حاصِلٌ قبله.

تنبيه:

مُلخَّص غَزوة خيبر: أنَّ رسول الله ﷺ لَما رجع من الحديبية.. أقام بالمدينة بقيَّةَ ذي الحجة وبعض المحرم، ثم خرَج إلى خيبر في بَقيَّة المحرم سنة سبع، وكان إذا غزَا قوماً ينتظر الصباح؛ فإن سَمع أذاناً كفَّ عنهم، وإن لم يَسمع أذاناً أغار عليهم، فلمَّا أصبح ولم يَسمع أذاناً ركب عليهم، فخرجُوا بِمَكاتلهم ومَساحِيهم، فلمَّا رأَوا النبي ﷺ قالوا: محمد والخَميس ـ أي: الجيش ـ فلمَّا رآهُم النبي ﷺ قال: «**الله أكبر، خَرِبت خيبر، إنا إذا نزَلنا بساحة قوم فساء صباحُ المنذَرين**»[2].

وعن سلَمة بن الأكوع قال: (خرجنا إلى خَيبر مع رسول الله ﷺ، فجَعل عمِّي عامرٌ يَرتجز بالقوم: [الرجز]

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣١) عن قتادة.

(٢) رواه البخاري (٤١٩٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

. . . .

حاشية الصاوي

تَاللهِ لَوْلَا اللهُ ما اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا ولا صَلَّيْنَا
ونَحْنُ عَن فَضْلِكَ ما اسْتَغْنَيْنَا ... فَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا
وأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن هذا؟»، قال: أنا عامر، قال: «غفَر لك ربُّك»، قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يَخصُّه إلا استُشهِد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمَل له: يا نبي الله؛ لولا مَتَّعتَنا بعامر، قال: فلمَّا قَدِمنا خيبر.. قَدِم مَلكُهم مَرحبٌ يخطِرُ بِسَفيه يقول: [الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إذَا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلْتَهِبُ

قال: وبرَز له عمِّي عامر فقال: [الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنِّي عَامِرُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ

قال: فاختَلفا بضربتَيهما، فوَقع سيف مَرحبٍ في ترس عامر، وذهب عامر يَسْفُلُ له، فرجع سيفُه على نفسه، فقطَع أكحله، فكانَت فيها نفسُه رضي الله عنه.

قال سلَمةُ: فخرجت فإذا نَفرٌ من أصحاب النبي ﷺ يَقُولون: بطَل عملُ عامر؛ قَتل نفسه، فأَتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقُلتُ: يا رسول الله؛ بطَل عملُ عَمي عامر، قال رسول الله ﷺ: «مَن قال ذلك؟»، قُلت: ناسٌ من أصحابك، قال: «كذَب مَن قال ذلك، بل لَه أجرُه مرَّتين»، ثم أَرسلني إلى عليٍّ وهو أرمَد، فقال: «لأُعطِينَّ الراية رجلاً يُحبُّ الله ورسوله، ويُحبُّه الله ورسولُه»، قال: فأتيت عليًّا، فجئتُ به أَقُوده وهو أرمَدُ حتى أتيتُ به رسول الله ﷺ، فبصَق في عينَيه، فبرئ، وأعطاه الراية وخرج مَرحبٌ فقال:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إذَا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلْتَهِبُ

فقال علي رضي الله عنه:

أنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غابَاتٍ كَرِيهِ المَنْظَرَهْ
أُوفِيكُمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

. . . .

حاشية الصاوي

قال: فضرَب مرحباً، فقتَله، ثمَّ كان الفتح على يَدِه). أخرجه مسلم بهذا اللفظ[١].

وفي رواية أُخرى: (أنه خرج بعد مَرحب أخوه ياسر وهو يَرتجز، فخرج إليه الزُّبير بن العوام، فقالت أُمُّه صَفية بنت عبد المطلب: أيقتل ابني يا رسول الله؟ قال: «**بل ابنُك يَقتله إن شاء الله**»، ثم التَقَيا، فقتله الزبير)[٢].

ثمَّ لم يزل رسول الله يَفتح الحصون، ويَقتل المقاتلة، ويَسبي الذرية، ويَحُوز الأموال، فجمع السبيَ، فجاء دِحية فقال: يا رسول الله؛ أعطِني جارية من السبي، قال: «**اذهَب، فخُذ جارية**»، فأخذ صَفية بنت حُيَي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أعطَيْتَ دِحية صفيَّةَ بنتَ حُيي سيِّدةَ قريظة والنضير، لا تَصلح إلا لك، قال: «**ادعُوه**»، فجاء بها، فلمَّا نظر إليها النبي ﷺ.. قال: «**خُذ جارية من السبي غيرها**»، فأعتقها النبي ﷺ وتزوَّجها[٣].

فلمَّا دخل بها رأى في عينَيها أثر خضرة، فسألها عن سَببها، فقالت: إني رأيتُ في المنام وأنا عروس بِكنانة بن الربيع أنَّ قمراً وقع في حجري، فقَصصتُ رُؤياي على زوجي، فقال: ما هذا إلا أنك تَمنَّيت ملك الحجاز محمداً، ثم لطَم وجهي لَطمةً اخضرَّت منها عَيني[٤].

فلمَّا ظهر رسول الله ﷺ على خَيبر.. أراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهودُ رسول الله ﷺ أن يُقِرَّهم بها على أن يَكفوهم العمل ولهم نصفُ الثمر، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**نُقِرُّكم بها على ذلك ما شِئنا**»، فقروا بها حتى أَجلاهم عمرُ في إمارته إلى تَيماء وأريحا[٥].

قال محمد بن إسحاق: لَما سمع أهل فدَك بما فعَل رسول الله ﷺ بِخيبر.. بعثُوا إلى رسول الله ﷺ يَسألونه أن يَحقن دماءهم، وأن يُسَيِّرَهُمْ، ويُخَلُّوا له الأموال، ففعَل بهم، ثم سألوا رسول الله ﷺ أن يُعاملهم على النصف كأهل خيبر، ففعَل، على أن لَنا إذا شئنا أن نخرجَكم

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨٠٧)، ومعنى: (يَسْفُلُ له) أي: يَضربه من أسفله.

(٢) رواها البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٢١) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٣٧١)، ومُسلم (١٣٦٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) روى هذه الحادثةَ ابن حبان في «صحيحه» (٥١٩٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥) رواه البخاري (٣١٥٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ ....

﴿٢١﴾ ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ - صِفة (مَغانِم) مُقدَّراً مُبتَدأ - ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ هي مِن فارِس والرُّوم، ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: عَلِم أنَّها ستَكُونُ لَكُم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لَم يَزَل مُتَّصِفاً بِذلك.

حاشية الصاوي

أخرجناكم، فصالحه أهل فَدك على مثل ذلك، فكانت خيبر للمسلمين، وكانت فَدك خالصةً لرسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يَجلبوا عليها بِخَيل ولا ركاب[١].

فلمَّا اطمأنَّ رسول الله.. أهدَت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاةً مَصْلِيَّة - يعني: مَشوية - وسألت: أيُّ عُضو من الشاة أحبُّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثَرَت فيها السم، وسمَّت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضَعَتها بين يدَي رسول الله.. تناوَل الذراع فأخذها فلاكَ منها قطعة، فلم يَسُغْهَا، ومعه بشر بن البراء بن معرُور، فأخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأمَّا بشرٌ.. فساغها - يعني: ابتَلعها - وأما رسول الله.. فلَفظها، ثم قال: «**إنَّ هذا العظمَ يُخبرني أنه مسمومٌ**»، ثمَّ دعا بها، فاعترَفت، فقال: «**ما حمَلك على ذلك؟**» فقالت: بلَغْتَ من قومي ما لم يَخْفَ عليك، فقلتُ: إن كان ملكاً.. استَرحنا منه، وإن كان نبيًّا.. فسيُخْبَرُ، فتجاوَز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشرٌ على مرَضه الذي تُوفي فيه، فقال: «**يا أمَّ بشرٍ؛ ما زالت أُكْلَةُ خيبر التي أكَلت مع ابنك تُعاوِدني، فهذا أوان قَطع أبهَري**»، فكان المسلمون يَرون أنَّ رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرَمه الله بِه من النبوَّة[٢].

قوله: (مبتدأ) أي: وخبره قوله: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾، وقوله: ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ صفة لـ(مغانم) المقدَّر، وسوَّغ الابتداءَ بالنكرة الوصفُ، وهذا أسهَلُ الأعاريب؛ ولذا اختاره المفسِّر[٣].

قوله: (هي فارس والروم) أي: وباقي الأقطار.

قوله: (﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾) أي: أعدَّها لكم في قضائه وقدَرِه، فهي محصورةٌ لا تَفُوتكم.

قوله: (أي: لم يزل متصفاً) أشار بذلك إلى أنَّ المرادَ من (كان) الاستمرارُ.

---

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص٤٨٩)، ومعنى (يسيِّرهم): يجليهم.

(٢) المرجع السابق (ص٤٧٩).

(٣) من وجوه خمسة، ذكرها العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٧١٣).

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ ....

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾) ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالحُدَيبيةِ ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يَحرُسُهم ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ - مَصدرٌ مُؤكِّد لِمَضمونِ الجُملة قَبله مِن هَزيمةِ الكافِرينَ ونَصر المُؤمِنين - أي: سَنَّ الله ذلك سُنَّة ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ مِنه.

﴿٢٤﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحُديبيةِ ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ فإنَّ ثَمانِينَ مِنهُم طافُوا بِعَسكَرِكُم لِيُصِيبُوا مِنكُم، فأُخِذُوا وأُتِيَ بِهِم إلى رَسُول الله ﷺ، فعَفا عَنهُم وخَلَّى سَبِيلَهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أي: وهُم أهل مكة ومَن وافقهم، وقد كانوا اجتَمعوا وجمَّعوا الجيوش، وقدَّموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم - ولم يكن أسلَم حينئذ - فما شعَر بهم خالدٌ حتى إذا هم بِقَتَرةِ الجيش - أي: بِغُبار أثرهم - فانطلق يركض نذيراً لقريش[1].

قوله: (﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾) أي: مَضوا مُنهزمِين.

قوله: (من هزيمة الكافرين) (مِن): بيانيَّة.

قوله: (﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ﴾) أي: مضت، وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: فِيمن مضى من الأُمَم.

قوله: (﴿تَبْدِيلًا﴾ منه) أي: مِن الله تعالى، والمعنى: أنَّ الله لا يبدِّل ولا يُغيِّر سنَّته وطريقته؛ من نَصر المؤمنين، وخذلانِ الكافرين.

قوله: (بالحديبية) بَيان لـ(بطن مكة)، والمراد بمكة: الحرمُ، والحُديبية تقدَّم فيها الخلاف؛ هل هي منه أو بعضُها، فعلى الأول: التعبير بالبطن ظاهر، وعلى الثاني: فالمراد بالبَطن: الملاصِق والمجاور.

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُم﴾) أي: أظهرَكم، فتعديتُه بـ(على) ظاهرةٌ.

---

(١) كما رواه البخاري (٢٧٣١) عن سيدنا المِسور بن مخرمة ﷺ.

وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ ....

فكان ذلك سَبَبَ الصُّلح، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ـ بِالياء والتَّاء ـ أي: لَم يَزَل مُتَّصِفاً بِذلك.

﴿٢٥﴾ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: عن الوُصُول إلَيهِ ﴿وَٱلۡهَدۡيَ﴾ ـ مَعطُوف على (كُم) ـ ﴿مَعۡكُوفًا﴾: مَحبُوساً ـ حال ـ ﴿أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أي: مَكانَه الذي يُنحَر فِيه عادةً وهو الحَرَم، ـ بَدَل اشتِمال ـ ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾ مَوجُودُون بِمَكَّة

حاشية الصاوي

قوله: (وكان ذلك) أي: العفو عنهم، وتخليةُ سبيلهم.

قوله: (سبب الصُّلح) أي: لِعلمهم أنَّ هذا الأمر لا يقع إلا مِن قادر على قتالهم، غيرِ مُكترث بهم.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (معطوف على «كم») أي: الضمير المنصوب في ﴿صَدُّوكُمۡ﴾، وهو أحسَنُ الأعاريب[2].

قوله: (محبوساً) أي: فالعكوف: الاحتباس، ومنه: الاعتكاف المشهور، وهو حبسُ النفس على ما تكره مع مُلازمة المسجد.

قوله: (أي: مكانه) أي: المعهود، وهو مِنى للمحرم بالحج، والمروةُ لِلمُحرِم بالعمرة، وهو الأفضل، وإلَّا.. فالحرَم كلُّه محَلُّ النَّحر.

قوله: (بدل اشتمال) أي: مِن (الهدي)، والمعنى: صدُّوا بلوغَ الهدي مَحِلَّهُ، ويصحُّ أن يكونَ على إسقاط الخافض؛ أي: عن أن يَبلُغَ الهدي محلَّه، والجارُّ والمجرور إمَّا متعلق بـ﴿صَدُّوكُمۡ﴾، أو بـ﴿مَعۡكُوفًا﴾.

---

(١) قرأ أبو عمرو: (يعملون) بالياء من تحت، رجوعاً إلى الغيبة في ﴿أَيۡدِيَهُمۡ﴾ و﴿عَنۡهُم﴾، والباقون بالخطاب، رجوعاً إلى الخطاب في قوله: ﴿أَيۡدِيَكُمۡ﴾ و﴿عَنكُمۡ﴾. انظر «الدر المصون» (٩/ ٧١٥).

(٢) وقيل: نصب على المعيَّة، وفيه ضعفٌ؛ لإمكان العطف. انظر المرجع السابق.

لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ ....

مَع الكُفَّار ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بِصِفة الإيمانِ ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أي: تَقتُلُوهُم مَع الكُفَّار لَو أُذِن لَكُم في الفَتح ـ بَدَل اشتِمال مِن (هُم) ـ ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ﴾ أي: إثمٌ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۖ﴾ مِنكم بِه، وضَمائِر الغَيبةِ لِلصِّنفَينِ بِتغلِيب الذُّكُور، وجَواب (لَولا) مَحذُوف أي: لأُذِن لَكُم في الفَتح، لَكِن لَم يُؤذَنْ فِيه حِينئذٍ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ كالمُؤمِنِين المَذكُورِين، ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾: تَميَّزُوا عن الكُفَّار ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ مِن أهل مَكَّة حِينَئذٍ بِأن نَأذَن لَكُم في فتحِها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِماً.

﴿٢٦﴾ ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ ـ مُتعلِّق بِـ(عَذَّبنا) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ـ فاعِل ـ ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (موجودون) هو خبر المبتدأ.

قوله: (بدل اشتمال من «هُم») أي: والمعنى: لم تَعلمُوا وطأهم، ويَصح أن يكون بدلاً من (رجال) و(نساء)، والمعنى: ولولا وطءُ رجال ونساء.

قوله: (إثم) أي: مَكروه؛ كالتأسُّف عليهم، أو المراد بالإثم حقيقتُهُ بسبب تركِ التحفُّظ.

قوله: (بغير علم منكم به) أي: بالقتل.

قوله: (وجواب «لولا» محذوفٌ) أي: والمعنى: لولا كراهة أن تهلكوا أناساً مؤمنِين بين أظهُرِ الكفار حال كونِكم جاهلِين بهم، فيُصيبَكُم بإهلاكهم مكروهٌ.. لَما كفَّ أيديَكُم عنهم.

قوله: (حينئذ) أي: عامَ الحديبية.

قوله: (﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ﴾... إلخ) عِلَّة لِما قدَّره المفسِّر بقوله: (لكن لم يُؤذن).

قوله: (كالمؤمنين المذكورين) أي: وكالمشركين؛ لأنه آلَ أمرُ أهل مكة إلى الإسلام إلا ما قلَّ.

قوله: (تميَّزوا) أي: تفرَّقوا وانفرَدُوا، ولكن لم يَتميَّزُوا، بل اختَلط المستضعفُون بالمشركين، والأصولُ المشركون بالفرُوع المسلمين؛ كالذراري الذين عَلم الله إسلامهم، فلم يَحصل العذاب.

﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ....

الأنَفةَ مِن الشَّيء ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ - بَدل مِن ﴿الْحَمِيَّةَ﴾ - وهي صَدُّهُم النَّبيَّ وأصحابَهُ عن المَسجِد الحَرامِ، ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالَحُوهُم على أن يَعُودُوا مِن قابِل ولَم يَلحَقْهُم مِن الحَمِيَّة ما لَحِق الكُفَّار حتَّى يُقاتِلُوهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (الأَنَفَة) بفتحتين؛ أي: التكبُّر.

قوله: (﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾) بدل من ﴿الْحَمِيَّةَ﴾ قبلها، وهي (فَعيلة) مصدر، يقال: حَمِيْتُ من كذا حَمِيَّةً، وحميَّةُ الجاهليَّة: عدمُ الإذعانِ لِلحق، ونُصرةُ الباطل.

قوله: (﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾) معطوفٌ على شيءٍ مُقدَّرٍ؛ أي: فضاقت صُدُور المسلِمين واشتدَّ الكرب عليهم فأنزل. . . إلخ.

رُوي: أنَّ رسول الله ﷺ لَما نزَل الحُديبية. . بعثت قريشٌ سُهيلَ بن عمروٍ القرشي، وحُويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص بن الأحنف؛ على أن يَعرضُوا على النبي ﷺ أن يَرجع من عامه ذلك، على أن تُخليَ له قريشٌ مكة من العام القابل ثلاثةَ أيامٍ، ففعل ذلك، وكتبُوا بينهم كتاباً، فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: «اكتُب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهلَ مكة»، فقالُوا: لو كنَّا نَعلم أنك رسول الله. . ما صدَدناك عن البيت، وما قاتلناك، اكتُب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهلَ مكة، فقال ﷺ: «اكتب ما يُريدون»، فهمَّ المؤمنون أن يأبوا ذلك ويَبطشُوا بهم، فأنزل الله السكينة عليهم، فتوقرُوا وحلمُوا[1].

قوله: (على أن يَعودوا من قابل) أي: وعلى وضع الحرب عشر سِنين، قال البراء: (صالحوهم على ثلاثة أشياء: على أنَّ مَن أتاهم من المشركين مسلماً. . رَدُّوه إليهم، ومن أتاهم من المسلمين. . لم يَرُدُّوه، وعلى أن يدخلها من قابِل ويُقِيم فيها ثلاثة أيام، ولا يدخلها بسلاح، فكتَب بذلك كتاباً)[2].

فلمَّا فرغ من قضيَّة الكتاب. . قال لأصحابه: «قُوموا فانحرُوا، ثم احلقُوا»، فوالله ما قام مِنهم أحدٌ، حتى قال ذلك ثلاث مرَّات، فلمَّا لم يَقُم منهم أحدٌ؛ لِما حصل لهم من الغمِّ. . قام فدخل

(١) رواه البخاري (٢٧٣١) بنحوه عن سيدنا المِسوَر بن مخرمة رضي الله عنه، وانظر «عيون الأثر» (٢/ ١٦١).

(٢) رواه مسلم (١٧٨٣/ ٩٣).

. . . .

حاشية الصاوي

على أُمِّ سلَمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له: يا نبيَّ الله؛ اخرُج ولا تكلِّم أحداً منهم حتى تنحرَ بُدْنَكَ، وتدعُوَ حالِقك فيَحلقك، فخرج ففعل، فلمَّا رأوا ذلك منه.. قامُوا فنحرُوا، وجعل يَحلقُ بعضهم بعضاً[١].

وروى ثابت عن أنس أنَّ قريشاً صالحوا النبي ﷺ، واشترطُوا أنَّ من جاء منكم لم نَرُدَّه عليكم، ومَن جاء مِنا ردُّوه علينا، فقالوا: يا رسول الله؛ أنكتُب هذا؟ قال: «**نعم، إنَّ مَنْ ذهب منَّا إليهم فأبعَده الله، ومَن جاءنا منهم فسيَجعل الله له فرجاً ومخرجاً**»[٢].

روي: أنه بعد عَقد الصُّلح جاء أبو جَندل بن سُهيل بن عمرو بِقُيُوده؛ قد انفَلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بِنَفسه بين أظهُرِ المسلِمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أوَّل مَن أُقاضيك عليه أن تَرُدَّه إليَّ، فقال النبي ﷺ: «**إنَّا لم نقضِ الكتاب بعدُ**»، قال: فوالله إذاً لا أُصالحك على شيء أبداً، قال النبي ﷺ: «**فأَجِره لي**»، قال: ما أنا بِمُجيره لك، قال: «**بلى فافعَل**»، قال: ما أنا بفاعل، ثم جعَل سهيل يجرُّه لِيَرُدَّه إلى قريش، فقال أبو جندل: أيْ معشرَ المسلمين؛ أردُّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلماً، ألا ترَون ما لقيتُ؟ وكان قد عذِّب في الله عذاباً شديداً[٣]، وفي الحديث: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا جَندل، احتَسِب؛ فإنَّ الله جاعلٌ لك ولِمَن معك من المستضعفِين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقَدنا بيننا وبين القوم صلحاً وعقداً، وإنا لا نَغدر**»، فقام عمر وتكلَّم بكلام طويل، منه ما تقدَّم لَنا عند قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤][٤].

ثمَّ بعد رجوعِ رسول الله وأصحابه إلى المدينة جاءه أبو بَصير عُتبة بن أسد من قريش مسلماً، فأرسلُوا في طلبه رجلَين، فسلَّمه لهما النبي ﷺ، فقتَلَ أحدَهُما، وفرَّ منه الآخَر، فأتى أبو بَصيرٍ سِيْفَ البحر[٥]، وجلَس هناك، فبلغ ذلك أبا جندل وأصحابه من المستضعفِين، فلحقُوا به

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١) عن سيدنا المسور رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٧٨٤).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣١) عن سيدنا المسور رضي الله عنه.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مُسنده» (٤/ ٣٢٥) عن سيدنا المسور بن مخرمة رضي الله عنهما.

(٥) أي: ساحله في موضع يُسمَّى (العِيص) بكسر العين المهملة وسكون التحتية آخره صاد مُهملة، على طريق أهل مكة إذا قصدوا الشام، وحديث أبي بصير في «صحيح البخاري» (٢٧٣١).

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ﴾ ....

﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ أي: المُؤمِنِين ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾: لا إلَه إلّا الله مُحمَّد رَسُول الله، وأُضِيفَت إلى التَّقوَى لِأنَّها سَبَبُها، ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾: بِالكلمةِ مِن الكُفَّار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ ـ عَطف تَفسِيريٌّ ـ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: لَم يَزَل مُتَّصِفاً بِذلك، ومِن مَعلُومِه تَعالى أنَّهُم أهلُها.

﴿٢٧﴾ ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ﴾ رَأى رَسُولُ الله ﷺ في النَّوم عامَ الحُدَيبِية قبلَ خُرُوجه أنَّهُ يَدخُل مَكَّة هو وأصحابُه آمِنِين ويَحلِقُون ويُقصِّرُون، فأخبَرَ بِذلك أصحابَه فَفرِحُوا، فلَمَّا خَرجُوا مَعهُ وصَدَّهُم الكُفَّار بِالحُدَيبِية ورَجَعُوا وشَقَّ عَلَيهِم ذلك ....

حاشية الصاوي

حتى تكاملُوا نحواً من سبعين رجلاً، فما يَسمعون بِعِيرٍ خرجَت لقريش إلى الشام إلا تعرضُوا لها، فقتلوهم، وأخذُوا أموالهم، فأرسل قريش إلى النبي ﷺ فناشَدَه الله والرحم بأنه لا يُرسِلُ إليهم مَن أتاه منهم مسلماً، وأبطلُوا هذا الشرط، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بَصير وأبي جَندل ومَن معهما، فأحضرَهم المدينة.

قوله: (﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾) أي: اختار لهم، فهو إلزامُ إكرامٍ وتشريفٍ، والمراد: تقوى الشرك.

قوله: (لا إله إلا الله) هذه روايةُ أبي بن كعب[1]، وقيل: إنها: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لَه الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وقيل: إنها: بِسم الله الرحمن الرحيم.

قوله: (﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾) أي: في عِلم الله؛ لأنه اختارَهم لِدِينه.

قوله: (تفسيري) أي: لـ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾، أو الضمير في ﴿بِهَا﴾ لكلمة التوحيد، وفي (أهلها) لِلتقوى.

قوله: (﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا﴾) أي: جعَل رُؤياه صادقةً محقَّقةً، لم يدخلها الشيطان؛ لأنه معصومٌ منه هو وجميع الأنبياء، وتأخيرها لا يُنافي كونها حقًّا وصِدقاً؛ نظير رُؤيا يوسف الصديق أنَّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدُون له، فتأخَّرت الزمنَ الطويل، وبعد ذلك تحقَّقت.

---

(١) كما رواها الترمذي (٣٢٦٥).

لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ

ورابَ بعضَ المُنافِقِينَ نَزَلت. ـ وقَولُه: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مُتعلِّق بِـ﴿صَدَقَ﴾، أو حالٌ مِن ﴿ٱلرُّءْيَا﴾، وما بعدَها تَفسيرُها ـ ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لِلتَّبرُّكِ ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي: جَمِيعِ شُعُورِها، ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بَعضَ شُعُورِها، ـ وهُما حالانِ مُقدَّرَتان ـ ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أبداً، ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصُّلحِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وراب بعض المنافقين) أي: ارتاب؛ حيث قال عبد الله بن أبيٍّ وعبد الله بن نفيل ورِفاعة بن الحارث: والله؛ ما حلَقنا، ولا قصَّرنا، ولا رأينا المسجد الحرام.

قوله: (أو حال من ﴿ٱلرُّءْيَا﴾) أي: فهو متعلِّقٌ بمحذوف، والتقدير: مُلتبِسةً بالحقِّ، ويَصح أن يكون صفةً لمصدرٍ محذوفٍ، والتقدير: صِدقاً ملتبساً بالحقِّ، ويَصح أن يكون ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قسَماً، وجوابه قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ. . .﴾ إلخ، وعليه: فالوقفُ على قوله: ﴿ٱلرُّءْيَا﴾، وعلى ما قبله: فالوقفُ على قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، وقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ اللام مُوطِّئة لقسم محذوف[1].

قوله: (للتبرك) أي: مع تعليمِ العبادِ الأدبَ، وتَفويض الأمر إليه، وهو جوابٌ عمَّا يُقال: إنَّ الله تعالى خالِق الأشياء كلِّها، وهو عالمٌ بها قبل وُقوعها؛ فكيف وقع منه التعليقُ بالمشيئة مع أنَّ التعليق إنما يكون من المخبر المتردِّد، أو الشاك في وُقوع المعلَّق، والله مُنزَّه عن ذلك؟ فأجاب: بأنَّ المقصود التبركُ لا التعليق، ويُجاب أيضاً: بأنَّ المشيئة باعتبار جميع الجيش؛ فإنَّ الذين حضرُوا عُمرة القضاء كانوا سبع مئة[2]، وأمَّا باعتبار المجموع.. فالقضاء مُبرَمٌ لا تعليق فيه، ويجاب أيضاً: بأنه حكايةٌ عن كلام الملك المبلِّغ للرسول كلامَ الله، أو حكايةٌ عن كلام الرسول عليه السلام.

قوله: (﴿ءَامِنِينَ﴾) حال مقارِنةٌ للدخول، والجملة الشرطيَّة معترضةٌ.

قوله: (مقدَّرتان) دفع بذلك ما قد يُقال: إنَّ حال الدخول هو حالُ الإحرام، وهو لا يتأتى معه حَلقٌ ولا تقصيرٌ.

قوله: (﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أبداً) أشار بذلك إلى أنه غير مكرَّر مع قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾، والمعنى:

---

(١) اللام واقعة في جواب قسَم محذوف، وانظر ما تقدم عن اللام الموطئة (١/ ٢٢٨).

(٢) ففيه إشعارٌ بأنَّ بعضهم لا يَدخل؛ لموت، أو غَيْبَةٍ، أو غير ذلك، وقد تقدم أنَّ النبي ﷺ جاء إليها وقت الصلحِ في ألف وأربع مئة، وانظر «الفتوحات» (٤/ ١٧٦).

مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ

﴿مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ مِن الصَّلاحِ، ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: الدُّخول ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خَيبَر، وتَحقَّقَت الرُّؤيا في العامِ القابِل.

﴿٢٨﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي: دِينَ الحَقِّ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: على جَمِيع باقِي الأديانِ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنَّك مُرسَلٌ بما ذُكِر كما قال الله تعالى.

﴿٢٩﴾ ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ ـ مُبتدأ ـ ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ـ خَبَره ـ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: أصحابُه مِن

حاشية الصاوي

آمنون في حالِ الدخول، وحال المكث، وحال الخروج، وقد كان عند أهل مكة أنه يَحرُم قتال مَنْ أحرم، ومن دخل الحرَم، فأفاد أنه يبقى أمنُهم بعد خُروجهم من الإحرام.

قوله: (من الصلاح) أي: وهو حفظُ دماء المسلمين المستضعَفِين.

قوله: (﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾) أي: قبله.

قوله: (هو فتح خيبر) وقيل: هو صُلح الحديبية، وقيل: هو فتح مكة.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾) تأكيدٌ لِتَصديق الله رؤياه، والمعنى: حيث جعله رسولاً فلا يُرِيه خلافَ الحقِّ.

قوله: (﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾) أي: القرآنِ، أو المعجزاتِ.

قوله: (﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾) أي: لِيُعلِيَهُ على جميع الأديان، فيَنسخ ما كان حقًّا، ويُظهِرَ فسادَ ما كان باطلاً.

قوله: (بما ذكر) أي: بالهدى ودينِ الحق.

قوله: (كما قال) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ مُؤكِّد لقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾.

أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ....

المُؤمِنين - مُبتَدأ خبرُه -: ﴿أَشِدَّآءُ﴾: غِلاظٌ ﴿عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ لا يَرحَمُونَهُم، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ - خَبَر ثانٍ - أي: مُتعاطِفُون مُتَوادُّونَ كالوالِدِ مَع الوَلَد، ﴿تَرَىٰهُمْ﴾: تُبصِرُهُم ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ - حالانِ - ﴿يَبْتَغُونَ﴾ مُستَأنَف: يَطلُبُونَ ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ﴾: عَلامَتُهم - مُبتَدأ - ﴿فِى وُجُوهِهِم﴾ - خَبَره - وهو نُور وبَياضٌ يُعرَفُون بِه في الآخِرة أنَّهُم سَجَدُوا في الدُّنيا، ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ - مُتعلِّق بِما تَعلَّق بِه الخَبَر أي: كائِنة، وأُعرِبَ حالاً ....

حاشية الصاوي

قوله: (لا يَرحمونهم) أي: لا يَرأفُون بهم؛ وذلك لأنَّ الله أمَرهم بالغِلظة عليهم، وقد بلغ من تَشديدهم على الكُفار أنهم كانوا يتحرَّزُون مِن ثيابهم أن تَمَسَّ أبدانَهم[1].

قوله: (﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾) أي: فكان الواحدُ منهم إذا رأى أخاهُ في الدين.. صافَحه وعانَقه.

قوله: (﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا﴾) إمَّا خبر آخر، أو مُستأنف، والمعنى: أنَّهم في النهار على الأعداء أُسُود، وفي الليل رُكَّع سُجود.

قوله: (حالان) أي: من مفعول ﴿تَرَىٰهُمْ﴾.

قوله: (مُستأنف) أي: واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر، كأنه قيل: ماذا يُرِيدون بركوعهم وسُجودهم؟ فقيل: ﴿يَبْتَغُونَ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾) اختُلف في تلك السِّيما؛ فقيل: إنَّ مواضع سُجودهم يوم القيامة تُرى كالقمر ليلةَ البدر، وقيل: هو صُفرة الوجه من سهَر الليل، وقيل: الخُشوع الذي يَظهر على الأعضاء حتى يتراءَى أنهم مرضى وليسوا بمرضى، وليس المراد به ما يَصنعُه بعضُ الجهَلة المُرائين من العلامة في الجَبهة؛ فإنه من فِعل الخوارج، وفي الحديث: «إني لأُبغض الرجل وأكرَهه إذا رأيتُ بين عينَيه أثرَ السجود»[2].

---

(١) نقله الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٥٧) عن الحسن، وفيه: (بلغ من تَشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرَّزون من ثيابهم أن تَلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمسَّ أبدانَهم).

(٢) أورده الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٥٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، وعند الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٢١) عن شريك بن شهاب قال: كنت أتمنَّى أن ألقى رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يُحدثني عن الخوارج، فلقيتُ أبا بَرزة =

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ ....

مِن ضَمِيره المُنتَقِل إلى الخَبر - ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الوَصفُ المَذكُورُ ﴿مَثَلُهُمْ﴾: صِفَتُهم ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ - مُبتَدأ خَبَرُه: - ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ - مُبتَدأ خَبرُه -: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ - بِسُكون الطَّاء وفَتحها - ....

حاشية الصاوي

قوله: (من ضميره) أي: مِن ضمير ما تعلَّق به الخبر، وهو (كائنة).

قوله: (المنتقل إلى الخبر) أي: وهو الجارُّ والمجرور.

قوله: (أي: الوصف المذكور) أي: وهو كونُهم أشداء، رُحماء، تراهم ركعاً... إلخ، سِيماهم في وجوههم... إلخ.

قوله: (﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾) أي: وَصفُهم العجيب، الجاري في الغرابة مجرَى الأمثال.

قوله: (مبتدأ وخبره) أي: إنَّ قوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ مبتدأٌ، خبرُهُ قوله: ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾[1]، والجملةُ خبر عن ﴿ذَٰلِكَ﴾.

قوله: (﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾... إلخ) يَصحُّ أن يكون مبتدأ، خبرُه قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾، وحينئذٍ: فيُوقف على قوله: ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، ويكونان مثلَين، وعليه مشى المفسِّر، ويصحُّ أنه معطوفٌ على ﴿مَثَلُهُمْ﴾ الأول، وحينئذٍ: فيُوقف على قوله: ﴿ٱلْإِنجِيلِ﴾، ويكونان مثلاً واحداً في الكتابَين، وقوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ خبرٌ لمحذوف؛ أي: مثَلهم كزرع... إلخ، وهو كلامٌ مُستأنفٌ.

قوله: (بسكون الطاء وفتحها) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان[2]، والشَّطْءُ: أفراخ النخل والزَّرع، أو ورَقه.

= في يوم عرفة في نفرٍ من أصحابه، فقلتُ: يا أبا برزة؛ حدِّثنا بشيءٍ سمعته من رسول الله ﷺ يقوله في الخوارج، فقال: أحدثك بما سَمعت أذناي، ورأت عَيناي؛ أُتِيَ رسول الله ﷺ بدنانير، فكان يَقسمها وعنده رجلٌ أسودُ مطموم الشعر، عليه ثوبان أبيضان، بين عينَيه أثر السجود، فتعرَّض لرسول الله ﷺ، فأتاه من قِبَلِ وجهه، فلم يُعطِه شيئاً، ثم أتاه من خَلفه، فلم يُعطه شيئاً، فقال: والله يا محمد ما عدلتَ منذ اليوم في القسمة، فغَضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، ثم قال: «والله؛ لا تَجدون بعدي أحداً أعدلَ عليكم مني»، قالها ثلاثاً.

(١) ويصح أن يكون ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ حالاً من ﴿مَثَلُهُمْ﴾، والعامل معنى الإشارة. انظر «الدر المصون» (٩/ ٧٢٢).

(٢) قرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء، والباقون بإسكانها، وهما لُغتان. انظر المرجع السابق.

﴿فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

فِراخه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ ـ بِالمدِّ والقَصرِ ـ: قَوَّاهُ وأعانَهُ، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: غَلُظَ ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: قَوِيَ واستَقامَ ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: أُصُوله جَمع (ساق)، ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي: زُرَّاعَه لِحُسنِه، مَثَّلَ الصَّحابةَ ﷺ بِذلك لأنَّهم بدؤُوا في قِلَّة وضَعف فكَثُرُوا وقَوُوا على أحسَن الوُجُوه، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ـ مُتعلِّق بِمَحذُوفٍ دلَّ علَيهِ ما قَبله ـ أي: شُبِّهُوا بِذلك، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ أي: الصَّحابةَ، و(مِن) لِبَيانِ الجِنس لا لِلتَّبعيضِ لِأنَّهم كُلَّهم بِالصِّفةِ المَذكُورة، ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ الجَنَّةَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فراخه) بكسر الخاء: جمع (فَرْخٍ) كـ(فَرْعٍ) لفظاً ومعنًى.

قوله: (بالمد) أي: وأصلُه: (أأزره) بوزن (أكرمه)، قُلبت الهمزة الثانية ألفاً؛ للقاعدة المعلُومة، وقوله: (والقصر) أي: فهو من باب (ضرَب)، وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (غَلظ) أي: فهو مِن باب: استَحجر الطين[2].

قوله: (﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾) مُتعلق بـ(استوى).

قوله: (﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾) الجملة حاليَّة، والمعنى: حالَ كونه مُعجباً.

قوله: (فكثروا) هو مأخوذ من قوله: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾، وقوله: (وقووا) مأخوذٌ من قوله: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ﴾، وقوله: (على أحسن الوجوه) مأخوذٌ من قوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾.

قوله: (﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾) تعليلٌ لِما دلَّ عليه التشبيه، كأنه قال: إنما قوَّاهم وكثَّرهم؛ لِيَغيظ.

قوله: (لِبَيان) أي: لا لِلتبعيض؛ كما زعَمه بعضهم[3].

---

(١) قرأ ابن ذكوان بقصر الهمزة بعد الفاء، والباقون بالمد. انظر «السراج المنير» (٤/ ٥٨).

(٢) أي: صار حجراً؛ كما تقول: استَنْوَق الجمل، لا يتكلمون بهما إلا مزيدَيْن، وهو يُنبِئ عن التدريج، ويحتمل أنه للمبالغة كـ: استَعظم. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ٦٩).

(٣) وبجعل (مِن) بيانية سَقطت حجة من طَعن به على الصحابة وجعلها تبعيضية. انظر المرجع السابق.

وهُما لِمَن بَعدهم أيضاً في آياتٍ.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (لمن بعدهم) أي: كالتابعِين وأتباعهم إلى يوم القيامة.

قوله: (في آيات) مُتعلق بما تعلَّق به قوله: (لمن بعدهم)، والمعنى: وهما ثابِتان لمن بعد الصحابة في آياتٍ؛ كقَوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ . . .﴾ إلى قوله: ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ [الحديد: ٢١].

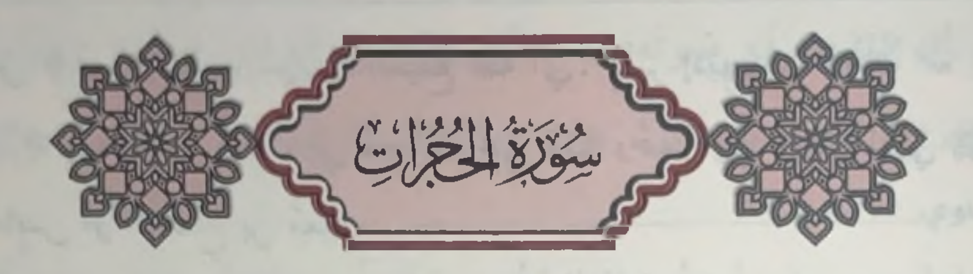
خاتمة:

قد جمَعَت هذه الآيةُ ـ وهي قوله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ إلى آخِر السورةِ ـ جميعَ حروف المعجم، وفي ذلك بِشارةٌ تلويحيَّة مع ما فيها من البَشائر التصريحية باجتماع أمرِهِم وعُلُوِّ نَصرِهم ﷺ، وحشَرنا معهم نحنُ ووالِدينا ومُحبِّينا وجميعَ المسلمين بِمَنِّه وكرمِه.

وهذا آخِرُ القسم الأول من القُرآن وهو المطوَّل، وقد خُتِمَ كما ترى بِسُورتين هما في الحقيقة للنبي ﷺ، وحاصِلُهما الفتح بالسيف، والنصرُ على مَن قاتله ظاهراً؛ كما خُتِمَ القسم الثاني المفصَّل بسورتَين هما نُصرةٌ له ﷺ بالحال على مَن قصده بالضرِّ باطناً، ومِن أجل ذلك اتَّخذ العارفون هذه الآية وِرداً وحِصناً منيعاً.

✿ ✿ ✿

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ ....



سُورَةُ الحُجُرَاتِ

مدنية، ثماني عشرة آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ مِن (قَدَّمَ) بِمَعنى تَقدَّم، أي: لا تَقَدَّمُوا ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

(مدنيَّة) أي: بالإجماع، وهذا أوائلُ السُّوَر المسمَّاة بالمفصَّل، واختُلف في تَسميتِه بذلك؛ فقيل: لِكَثرة الفصل فيه بين السُّوَر، وقيل: لِكونه جميعِهِ مُحكَماً لا نسخ فيه.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) ذكر هذا اللفظ في هذه السورة خمسَ مرات؛ اعتِناءً بشأن المؤمِنين في الأوامر والنواهي، نظير خِطابات لُقمان لابنه في قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾، ولئلَّا يُتوهَّم أنَّ المخاطب ثانياً غير المخاطب أوَّلاً، وذكر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مرةً خطاباً لِما يَعُمُّ المؤمن والكافر؛ لِمُناسبة ما يَترتب عليه مِن قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾.

وهذه السورة جمَعَت آداباً ظاهريَّةً وباطنيَّةً، وأوامرَ ونواهيَ ظاهريَّةً وباطنيَّةً، عامَّةً وخاصَّةً، فهي مُتضمِّنةٌ لطريقة الصوفيَّة التي مَنْ تمسَّك بها.. وَصل.

قوله: (من «قدَّم» بمعنى «تقدَّم») العامَّةُ على ضم التاء وفتح القاف وتشديدِ الدال مَكسورةً، وفيها وجهان: أحدهما: أنه مُتعَدٍّ حُذف مفعوله اقتصاراً؛ كقَولهم: هو يُعطي ويَمنع، ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والأصل: لا تُقدِّموا ما لا يَصلح، والثاني: أنه لازم نحو: وجَّه وتوجَّه، ويَعضدُه قراءة ابن عباس والضحاك: (لا تَقَدَّموا) بالفتح في الثلاثة، والأصل: لا تَتقدَّموا، فحُذفت إحدى التاءين.

بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ ....

بِقَولٍ ولا فِعلٍ ﴿بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ المُبَلِّغ عنهُ أي: بِغَيرِ إذنِهِما، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَولِكُم ﴿عَلِيمٌ﴾ بِفِعلِكُم. نَزَلَت في مُجادَلَة أَبِي بَكر وعُمرَ رضي الله عنهما عِند النَّبيِّ ﷺ في تَأمِير الأقرَع بن حابِس أو القَعقاعِ بن مَعبَد.

حاشية الصاوي

وفي الآية استعارةٌ تمثيليَّةٌ؛ حيث شبَّه تجرِّي[1] الصحابة على الحُكم في أمرٍ من أُمور الدين بغير إذنٍ من الله ورسوله، بِحالةِ مَن تقدَّم بين يدَي مَتبوعه إذا سار في طريقِه مِن غير إذن؛ فإنه في العادة مُستهجَنٌ، ثم استُعمل في جانب المشبَّه ما كان مستعملاً في جانب المشبَّه به من الألفاظ، والغرضُ التنفير من التَّجرِّي بغير إذن الله ورَسوله، ومثلُه قَوله تعالى في حقِّ الملائكة: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأنبياء: ٢٧] أصلُه: لا يَسبق قولُهم قولَه، فمدَحهم بنفي السَّبق؛ تنبيهاً على استِهجان السَّبق.

أو المراد: بين يَدَي رسول الله، وذكر لفظ ﴿ٱللَّهِ﴾ تَعظيماً لِلرسول، وإشعاراً بأنه من الله بِمَكان يُوجب إجلاله، وعلى هذا: فلا استعارةَ.

قوله: (بقول أو فعل) مثالُ القول: ما ذكَره المفسِّر في سبب النزول، ومثالُ الفعل: ما قِيل في سبب النزول أيضاً من أنهم ذبحُوا يومَ النحر قبل رسول الله، فأمرَهم أن يُعِيدوا الذبح، وقال: «مَن ذَبح قبل الصلاة.. فإنما هو لحم عجَّله لأهله، ليس من النُّسُك في شيء»[2]، وما وردَ عن عائشة: أنه في النهيِ عن صوم يوم الشك؛ أي: لا تصومُوا قبل أن يَصُوم نبيُّكم، وقال الضحاك: هو عامٌّ في القِتال وشرائع الدين؛ أي: لا تقطعُوا أمراً دون الله ورسولِه، وهو الأَولى.

قوله: (﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾) أي: في التقدُّم الذي نهاكُم عنه.

قوله: (على النبي) الأولى أن يقولَ: (عند النبي)؛ ففي الحديث: (أنه قدم ركبٌ من بني تَميم على النبي ﷺ، وطلبُوا أن يُؤمِّرَ عليهم واحداً منهم، فقال أبو بكر: أَمِّرِ القعقاع بن مَعبد، وقال عمر: بل أَمِّرِ الأقرعَ بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردْتَ إلا خِلافي، وقال عمر: ما أردْتُ خلافَكَ، فتماريَا ـ أي: تخاصَما ـ حتى ارتفَعَت أصواتهما، فنزَلت تلك الآياتُ الخمسُ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾)[3].

---

(١) كذا في الأصول في الموضعَين، ولعل المراد: (تجرؤ)، وفي «الفتوحات» (٤/ ١٨٠): (شبَّه تعجل الصحابة في إقدامهم على قطع الحكم في أمرٍ... إلخ).

(٢) رواه البخاري (٩٦٨) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما، وانظر أسباب النزول في «زاد المسير» (٤/ ١٤٢).

(٣) رواه البخاري (٤٣٦٧) عن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ....

﴿٢﴾ ونزل فِيمَن رَفَع صَوتَه عِند النَّبيِّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ إذا نَطقتُم ﴿فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ إذا نَطقَ، ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ ....

حاشية الصاوي

ومعنى قول عمر: (ما أردتُ خِلافك) أي: ما أردتُ مُخالفتك تعنُّتاً، وإنما أردتُ أنَّ تولية الأقرع أصلَحُ لهم، ولم يَظهَر لك ذلك.

قوله: (ونزل فِيمن رفع صوتَه... إلخ) أي: كأبي بكر وعمرَ في القصة المذكورة؛ كما أنَّ قوله: (ونزل فيمن كان يَخفض صوته عند النبي) أي: كأبي بكر وعمرَ حين بلَغهما النهي عن رَفع الصوت، فصارَا يَخفضانِ بأصواتهما عند النبي[1]، كما أن قولَه: (ونزل في قوم... إلخ) هم بنو تَميم الذين تكلَّم في شأنِهم أبو بكر وعمر، فتَلخَّصَ: أنه لَما اختلف أبو بكر وعمر في تأميرِ الأمير على الوفد المذكور ولم يَصبِرَا حتى يكونَ رسولُ الله هو الذي يُشير بذلك.. نزَل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ...﴾ الآية، ولمَّا رفعَا أصواتهما في تِلك القصة.. نزَل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ...﴾ الآية، ولَمَّا خفضَا أصواتهما بعد ذلك.. نزَل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ...﴾ الآية، ولما نادَى الركبُ المذكور النبيَّ ﷺ مِن وراء الحجرات.. نزَل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ...﴾ الآيتَين.

قوله: (إذا نَطقتم) أي: تكلمتُم، وقوله: (إذا نطق) أي: تكلَّم.

قوله: (﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾) لَمَّا كانت هذه الجُملة كالمكرَّرة مع ما قبلها مع أنَّ العطف يَأباه، أشار المفسِّرُ إلى أنَّ المراد بالأول: إذا نَطق ونطقتُم.. فعليكم ألَّا تبلغُوا بأصواتكم حدًّا يَبلغُه صوته، بل يكونُ كلامكم دُون كلامه، والمراد بالثاني: أنكم إذا كلَّمتمُوه وهو صامتٌ.. فلا تَرفعُوا أصواتكم كما ترفعُوها[2] فيما بينكم.

---

(١) روى البخاري (٤٨٤٥) قال ابن الزبير: (فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يَستفهمه)، ولم يذكر ذلك عن أبيه؛ يعني: أبا بكر، ولكن أخرج الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٦٣) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ: أن أبا بكر قال بعد نزول هذه الآية: (والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله؛ لا أُكلمك إلا كأخي السِّرار حتى ألقى الله) أي: كصاحب المشاوَرة في خفض الصوت. وانظر «التحرير والتنوير» (٢٦/ ٢٢٠).

(٢) كذا في الأصول، وحذف النون تخفيفاً لغةٌ معروفةٌ.

كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ ....

إذا ناجَيتُموه ﴿كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ بل دُون ذلك إجلالاً له، ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ أي: خَشيةَ ذلك بِالرَّفعِ والجَهر المَذكُورَينِ.

حاشية الصاوي

قوله: (إذا ناجَيتُموه) أي: كلَّمتمُوه وهو صامتٌ.

قوله: (بل دُون ذلك) راجعٌ لكلٍّ من النَّهيَين؛ أي: بل اجعَلُوا أصواتكم دُون صوته، ودُون جهر بَعضكم لبعض، وقوله: (إجلالاً له) تعليلٌ لِما تَضمنه قوله: (بل دون ذلك).

قوله: (﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾) أي: يَبطُل ثوابها، وقوله: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ أي: بِحُبُوطها.

قوله: (أي: خشية ذلك) أشار به إلى أنَّ ﴿أَن تَحۡبَطَ﴾ على حذفِ مضاف؛ أي: خشيةَ الحُبوط، والخشيةُ منهم، وقد تنازعَه ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ﴾ و(لا تجهروا)؛ فيكون مفعولاً لأجلِه، والعاملُ فيه الثاني أو الأول.

قوله: (بالرفع والجهر) الباء: سببيَّة متعلِّقة باسمِ الإشارة؛ لأنه واقعٌ على الحُبُوط، فكأنه قال: أي: خشيةَ الحُبوط بسبب الرفع والجهر؛ لأنَّ في الرفع والجهر استِخفافاً بِجَنابهِ، فيُؤدِّي إلى الكفر المحبِط، وذلك إذا انضمَّ له قَصدُ الإهانة، وعدمُ المبالاة.

رُوي: أنه لَما نزَلت هذه الآية.. قعَد ثابتٌ في الطريق يَبكي، فمرَّ به عاصمُ بن عدي فقال: ما يُبكيك يا ثابت؟ قال: هذه الآية، أتخوَّف أن تكون نزَلت فيَّ وأنا رفيعُ الصوت على النبي ﷺ، أخاف أن يَحبطَ عملي، وأن أكون من أهل النار، فمضى عاصمٌ إلى رسول الله ﷺ، وغلَب ثابتاً البكاءُ، فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سَلول فقال لها: إذا دخلت بيت فرشي.. فسُدِّي عليَّ الضَّبَّة بِمسمار، فضربَته بمسمار، فأتى عاصمٌ رسول الله ﷺ فأخبَره خبرَه، قال: «**اذهَب فادعُه لي**»، فجاء عاصمٌ إلى المكان الذي رَآه فيه، فلم يَجِده، فجاء إلى أهله، فوَجده في بيت الفرش، فقال له: إنَّ رسول الله ﷺ يَدعوك، فقال: اكسِر الضبَّة، فأتيَا رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يُبكِيك يا ثابت؟**» فقال: أنا صيِّتٌ وأتخوَّف أن تكونَ هذه الآية نزلت فيَّ، فقال رسول الله ﷺ: «**أما تَرضى أن تعيش حميداً، وتُقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟**»، فقال: رضيتُ بُشرى الله ورسوله، لا أرفعُ صوتي على رسول الله ﷺ أبداً، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ...﴾ الآية[1].

---

(١) رواه بتمامه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٩)، وأصلُه عند البخاري في «صحيحه» (٣٦١٣)، والضبة: حديدة عريضة يُضبَّب بها الباب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾ ....

﴿٣﴾ ونَزل فِيمَن كان يَخفِض صَوتَه عِند النَّبيِّ ﷺ كأبِي بَكر وعُمَر وغَيرِهما رضي الله عنهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ﴾: اختَبَرَ ﴿ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ أي: لِتَظهَر مِنهُم، ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾: الجنةُ.

حاشية الصاوي

قال أنس: فكنَّا نَنظر إلى رجلٍ من أهل الجنة يمشي بين أيدِينا، فلمَّا كان يوم اليَمامة في حرب مُسيلِمَة.. رأى ثابتٌ من المسلمين بعضَ انكسار، وانهزَمت طائفةٌ منهم، قال: أُفٍّ لهؤلاء، ثم قال ثابتٌ لسالم مولى حذيفة: ما كُنَّا نُقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثلَ هذا، ثم ثبتَا وقاتلَا حتى قُتِلا، واستُشهد ثابتٌ وعليه درعٌ، فرآه رجلٌ من الصحابة بعد موته في المنام، وأنه قال له: اعلَم أنَّ فُلاناً رجل من المسلِمين نزع درعي، فذهب به، وهي في ناحيةٍ من العسكر عند فرَس يستَنُّ في طِيَلِهِ، وقد وضع على دِرعي بُرْمَةً، فائتِ خالد بن الوليد فأخبِره حتى يَستردَّ درعي، وائتِ أبا بكر خليفةَ رسول الله ﷺ وقُل له: إنَّ عليَّ ديناً حتى يقضيَ عنِّي، وفلانٌ من رقيقي عتيقٌ، فأخبر الرجل خالداً، فوجد الدِّرع والفرس على ما وصَفَه، فاستردَّ الدِّرع، وأخبرَ خالدٌ أبا بكر بِتلك الرؤيا، فأجاز أبو بكر وَصيَّته، قال مالك بن أنس: لا أعلَم وَصيَّة أُجِيزت بعد موت صاحبِها إلا هذه[1].

قوله: (فيمن كان يَخفض صوته) أي: مخافةً مِن مُخالفة النهي السابِق، وإجلالاً وتعظيماً.

قوله: (كأبي بكر وعمر... إلخ) أي: فكان الجميع يَخفضُون أصواتهم عند رسول الله؛ إجلالاً له وتعظيماً.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾... إلخ) اسم الإشارة: مُبتدأ، والموصول بعده: خبرٌ، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ مُستأنفةٌ لِبيان ما أعدَّ لهم.

قوله: (﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾) الامتحان: افتِعالٌ من: مَحَنْتُ الأديم مَحناً: أوسعتُه، ومعنى ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾: وسَّعَها.

قوله: (أي: لتظهر منهم) أي: فإنَّها لا تَظهر إلا بالاصطِبار على أنواع المِحَن والتكاليف

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٣٥)، والطِّيَلُ: الحبل الذي يُربط به ويطوَّل لها لترعى، ويقال: (طِوَل) بالواو المفتوحة بدل الياء.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ....

(﴿٤﴾ - ﴿٥﴾) ونزَل في قومٍ جاؤُوا وقتَ الظَّهِيرة والنَّبيُّ ﷺ في مَنزِله فنادَوهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾: حُجُراتِ نِسائِه ﷺ، جَمع (حُجْرة)، ....

حاشية الصاوي

الشَّاقَّة، فالاختبارُ سببٌ لِظُهور التقوى، لا سببٌ للتقوى نفسِها، فهو من إطلاق السبب على المسبَّب؛ أي: فالاختبارُ يُظهر ما كان كامناً في النفس من التقوى؛ كما أنَّ سماعَ الألحان يُظهِر ما كان كامناً في النفس من الحبِّ، فتدبَّر[1].

قوله: (ونزل في قوم) أي: وهُم وفدُ بني تميم.

قوله: (﴿مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾) أي: مِن خارجها؛ خَلفها، أو قُدَّامها؛ لأنَّ (وراء) من الأضداد، يكونُ بمعنى (خَلف)، وبمعنى (قدَّام).

قال مجاهد وغيره: نزَلت في أعراب بني تَميم، قَدِمَ وفدٌ منهم على النبي ﷺ، فدخلُوا المسجد ونادَوا النبي ﷺ من وراء الحُجُرات أن اخرُج إلينا؛ فإنَّ مدحَنا زَيْنٌ، وذمَّنا شَين، وكانوا سبعين رجلاً قدمُوا لِفداء ذَرارِي لهم، وكان النبي ﷺ نائماً للقائلة، وسُئل ﷺ فقال: «**هُم جُفاة بني تميم، لولا أنهم من أشدِّ الناس قتالاً لِلأعور الدجال. لَدَعوت الله عليهم أن يُهلِكَهم**»[2]، وقيل: كانوا جاؤُوا شُفعاء في أسارى بني عنبر، فأعتَق رسول الله ﷺ نصفَهم، وفادى نِصفَهم، ولو صبرُوا.. لأعتَق جميعهم بغير فداء[3].

---

(١) ويجوز أن يكون تمثيلاً: شبَّه خُلوصَ قلوبهم عن شوائب الكُدورات النفسانيَّة، ونُصوع دواعيهم عن اللذات الشهوانيَّة بعد طول المجاهدات، ومُقاساة المكابدات بخلوص الذهب الإبريز الذي عُرِضَ على النار، ونُقِّيَ من الخبث والزبد الذي يذهب جَفاء، قال الواحدي: (تقدير الكلام: امتَحن الله قلوبهم فأخلصها للتقوى، فحذف الإخلاص؛ لدلالة الامتحان عليه؛ ولهذا قال قتادة: أخلص الله قلوبهم)، وهذا الوجه أنسب؛ لأنَّ الكلام واردٌ في مَدح أولئك السادة الكرام، أو في التعريض بمن ليسُوا على وصفهم، ومِن ثَمَّ قال في فاصِلة الآية السابقة: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وفي فاصلة اللاحِقة: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. «فتوحات» (٤/ ١٨٣) نقلاً عن العلَّامة الكرخي.

(٢) روى الإمام مسلم (١٩٨) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ قال: لا أزال أحبُّ بني تميم من ثلاث سَمعتهنَّ من رسول الله ﷺ، سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «هم أشَدُّ أُمتي على الدجال»، قال: وجاءت صدقاتهم فقال النبي ﷺ: «هذه صَدقات قَومنا»، قال: وكانت سبيَّة منهم عند عائشة، فقال رسول الله ﷺ: «أعتِقيها؛ فإنها من ولد إسماعيل».

(٣) انظر أسباب النزول في «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٧)، و«زاد المسير» (٤/ ١٤٤).

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ ....

وهي ما يُحجَر علَيهِ مِن الأرض بِحائِطٍ ونَحوِه، كأنَّ كُلَّ واحِد مِنهُم نادَى خَلف حُجرةٍ لِأنَّهُم لَم يَعلَمُوهُ في أيِّ حُجرة مُناداةَ الأعراب بِغِلظةٍ وجَفاء، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فِيما فعَلُوهُ مَحلَّك الرَّفِيع وما يُناسِبهُ مِن التَّعظِيم. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ - ﴿أَنَّهُمْ﴾ في مَحلِّ رَفع بِالابتِداء، وقِيل: فاعِل لِفِعلٍ مُقدَّر أي: ثَبَتَ - ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِمَن تابَ مِنهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (وهي: ما يحجر عليه) أي: يُحوَّط عليه؛ لِلمَنع من الدخول.

قوله: (كأنَّ كلَّ واحدٍ منهم... إلخ) أتى بصيغةٍ لا جزم فيها؛ لأنَّ المقام مَقامُ احتمال؛ وذلك لأنَّ مُناداتَهم تحتمل أن تكونَ كما قال المفسِّر، أو الكل وقفُوا على كل حُجرة ونادَوْه منها.

قوله: (مناداة الأعراب) مَعمولٌ لـ﴿يُنَادُونَكَ﴾.

قوله: (﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾) المرادُ بالأكثر: الكلُّ؛ لأنَّ العرب قد تُعبِّرُ بالأكثر وتُريد الكلَّ.

قوله: (محلَّك الرفيعَ) معمول لـ﴿يَعْقِلُونَ﴾، وفي نُسخة: (بمحلك)، فيكون معمولاً لـ(فعلُوه)؛ فـ(المحل) على الأول: المكانة والرُّتبة، وعلى الثاني: الدارُ المحسوسة، ومعنى (الرفيع) على الأول: العلي القَدر، وعلى الثاني: المحفوظُ مِن إساءة الأدب؛ لِحُلُولك فيه؛ فإنَّ الظرف يَعظُم بالمظروف قال الشاعر[1]: [الوافر]

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ... وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

قولُه: (﴿أَنَّهُمْ﴾ في محل رفع بالابتداء) هو قولُ سيبويه، ولا يَحتاج إلى خبرٍ؛ لاشتمال صِلَتِها على المسنَد والمسند إليه، وقيل: الخبر محذوف وجوباً؛ لِوُقوعه بعد (لولا).

قوله: (أي: ثبت) بيانٌ للفعل المقدَّر، والمعنى: ثبَت صبرُهم وانتظارهم، وهذا قول المبرِّد والزجاج والكوفيِّين، ورُجِّح بأنَّ فيه إبقاءَ (لو) على الاختصاص بالفعل.

قوله: (﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾) أي: لَكان الصبر خيراً لهم من الاستعجال؛ لِما فيه من حِفظ الأدب

---

(١) البيت لمجنون بني عامر؛ كما في «خزانة الأدب» لِلبغدادي (٤/٢٢٨)، وقبله:

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى ... أُقَبِّلُ ذا الجِدارَ وذَا الجِدارَا

وهما بَيتان لا ثالث لهما.

﴿٦﴾ ونَزَلَ في الوَلِيد بن عُقبةَ وقد بَعَثَه النَّبيُّ ﷺ إلى بَنِي المُصطَلِق مُصدِّقاً، فخافَهُم

حاشية الصاوي

وتعظيم الرسول، الموجبَين للثناء والثواب، قال العارفون: الأدبُ عند الأكابر يَبلُغ بصاحبه إلى الدَّرجات العُلى، وسعادة الدنيا والآخرة.

قوله: (ونزل في الوليد بن عقبة) أي: ابن أبي معيط، أخو عُثمان بن عفان لأُمِّه، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ بعثَه إلى بني المصطلق بعد الوقعة معهم والياً يَجبي الزكاة، وكان بينه وبينَهم عداوةٌ في الجاهليَّة، فلمَّا سمع به القوم. . تلَقَّوْهُ؛ تعظيماً لأمر رسول الله، فحدَّثه الشيطانُ أنهم يُريدون قتله، فهابَهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إنهم منعُوا صدَقاتهم، وأرادوا قتلي، فغَضب رسول الله وهمَّ أن يَغزُوَهم، فبلغ القومَ رجوعُهُ، فأتوا إلى النبي فقالُوا: يا رسول الله؛ سمعنا برسولٍ فخرجنا نتَلقَّاه ونُكرمه ونُؤدِّي إليه ما قِبَلَنا من حقِّ الله، فبدَا له في الرجوع، فخَشينا أنه إنما ردَّه من الطريق كتابٌ جاءه منك؛ لِغَضبٍ غضبْتَهُ علينا، وإنا نَعوذ بالله من غَضَبه وغضب رسوله، فاتَّهمَهم رسول الله، وبعث خالد بن الوليد في عَسكره خفيةً، وأمرَه أن يُخفيَ عليهم قدومَه وقال: «انظر؛ فإن رأيتَ منهم ما يدلُّ على إيمانهم. . فخُذ مِنهم زكاة أموالهم، وإن لم ترَ ذلك. . فافعَل فِيهم ما تفعَل في الكفار»، ففعَل ذلك خالد ووافاهم عند الغروب، فسَمع منهم أذانَ صلاة المغرب والعشاء، ووجَدهم مُجتهدين في امتثال أمر الله، فأخَذ منهم صدَقاتِهم، ولم يرَ منهم إلا الطاعة والخير، وانصَرَف إلى رسول الله، وأخبرَه الخبر، فنزَلت الآية[1].

واستُشكل: بأنَّ الوليد صحابيٌّ جليلٌ، ولا يَلِيق إطلاقُ لفظ (الفاسق) عليه؛ فإنَّ المراد به الكافر، قال تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠] إلى غير ذلك.

وأُجيب: بأنَّ الذي وَقع من الوليد توهُّمٌ وظنٌّ، فترتَّب عليه الخطأ، وإنما سمَّاه الله فِسقاً؛ تنفيراً عن هذا الفعل، وزجراً عليه[2]. ويُؤخَذ من الآية: حُرمةُ النميمة، وتعليم كيفيَّة ردِّها على صاحبها.

قوله: (مُصدِّقاً) بتخفيف الصاد؛ أي: يَأخذ الصدقات.

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٢٢/٢٨٨).

(٢) وقيل: هو عام، نزلت لبيان التثبُّت وتركِ الاعتماد على قول الفاسق، وهو أَولى من حكم الآية على رجل بعَينه. انظر «تفسير الخازن» (٤/١٧٨).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ ....

لِتِرةٍ كانَت بينه وبَينهم في الجاهِليَّة، فرَجع وقال: إنَّهُم مَنَعُوا الصَّدَقة وهمُّوا بِقَتلِه، فهمَّ النَّبيُّ ﷺ بِغزوِهِم، فجاؤُوا مُنكِرين ما قالَهُ عنهُم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾: خَبَر ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ صِدقَه مِن كَذِبه، ـ وفي قِراءة: (فتَثَبَّتُوا) مِن الثَّبات ـ ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا﴾ ـ مَفعُول لَه ـ أي: خَشيةَ ذلك ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ ـ حال مِن الفاعِل ـ أي: جاهِلِين، ﴿فَتُصۡبِحُواْ﴾: تَصِيرُوا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ﴾ مِن الخَطأ بِالقَوم ﴿نَٰدِمِينَ﴾. وأرسَل ﷺ إلَيهِم بَعد عَودِهم إلى بِلادِهم خالِداً فلَم يَرَ فِيهِم إلَّا الطَّاعةَ والخَير، فأخبَرَ النَّبيَّ بِذلك.

(﴿٧﴾ - ﴿٨﴾) ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ فلا تَقُولُوا الباطِلَ؛ فإنَّ الله يُخبِرُه بِالحالِ، ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ الذِي تُخبِرُون بِه على خِلاف الواقِع فيُرَتِّب على ذلك مُقتَضاهُ ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾: لَأثِمتُم دُونَه إثمَ التَّسبُّب ....

حاشية الصاوي

قوله: (لِتِرَةٍ) بكسر التاء وفتح الراء؛ أي: عَداوةٍ.

قوله: (﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ﴾) المقصودُ من الآية: أيُّ نمَّام؛ فإنَّ النَّمَّام فاسقٌ، وليس المقصودُ عينَ الوليد؛ فإنه ليس بِفاسقٍ، بل هو صحابيٌّ جليلٌ وإن كان سبب النزول واقعتَه.

قوله: (﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا﴾) أي: بالقتل والسَّبي.

قوله: (﴿نَٰدِمِينَ﴾) أي: مُغتمِّين لما وقع منكم.

قوله: (﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾) أي: فلا تكذبوا عليه؛ فإنَّ الله يُعْلِمُهُ بِبواطنكم، فتفتضحُوا(١).

قوله: (﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ﴾... إلخ) حالٌ من الضمير المجرور في ﴿فِيكُمۡ﴾، والمعنى: أنه فيكم كائناً على حالة منكم يجبُ تَغييرها، وهي أنكم تَودُّون أن يتَّبعَكم في كثير من الحوادث، ولو فعل ذلك.. لَوقعتُم في الجهل والهلاك، لكن عصَمه الله؛ رحمةً بكم.

قوله: (لأثمتم دونه) أي: فلا يَأثم؛ لِعذره، وقوله: (إثم التسبب) أي: لا إثم الفِعل؛ لأنكم لم

---

(١) كذا في الأصول، وحذف نون الرفع تخفيفاً لغة معروفة.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

إلى المُرَتَّب، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ﴾: حَسَّنَهُ ﴿فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ استِدراك مِن حيثُ المَعنَى دُون اللَّفظ؛ لِأنَّ مَن حُبِّبَ إلَيهِ الإيمان.. إلخ غايَرَت صِفَتُه صِفةَ مَن تقدَّم ذِكرُه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ﴾ فِيه التِفاتٌ عن الخِطاب ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: الثَّابِتُون على دِينِهم. ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ـ مَصدر مَنصُوب بِفِعلِه المُقدَّر ـ أي: أفضَل ﴿وَنِعْمَةً﴾ مِنهُ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِهِم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إنعامِه علَيهِم.

(٩ - ١٠) ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ الآية نَزَلَت في قَضِيَّة هي أنَّ النَّبيَّ ﷺ ركب حماراً ....

حاشية الصاوي

تفعلُوا، وقوله: (إلى المرتب) أي: الذي يُرَتِّبه النبي ﷺ على أخباركم ويَفعَله؛ كقتال بني المصطَلق.

قوله: (﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾) أي: الكامل، وهو التَّصديق بالجَنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، وإذا حُبِّب إليهم الإيمان الجامع للخِصال الثلاث.. لَزم كراهتهم لأضدادها؛ فلِذلك قال: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ الذي هو مُقابَلةُ التَّصديق بالجَنان، ﴿وَٱلْفُسُوقَ﴾ الذي هو مُقابَلة الإقرارِ بِاللسان، ﴿وَٱلْعِصْيَانَ﴾ الذي هو مُقابَلةُ العمل بالأركان.

قوله: (استدراك من حيث المعنى... إلخ) أشار بِذلك لِدَفع ما قيل: إنَّ (لكن) يُشترط أن يكونَ ما بعدها مخالفاً لما قبلها نفياً وإثباتاً، وتَوضيحُ الجواب: أنَّ الذين حبَّب إليهم الإيمان قد غايَرت صفتُهُم صفةَ المتقدِّم ذكرُهُم؛ فإنَّ ما قبل (لكن) يُوهِم أنهم على غير استقامة مع الله ومع رَسوله، فهو استدراكٌ بحسب المعنى.

قوله: (مصدر مَنصوب... إلخ) فيه مُسامحةٌ؛ إذ هو اسم مصدر، والمصدر (إفضال)، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله، عامِلُه ﴿حَبَّبَ﴾، وما بينَهما اعتِراض.

وفي هذه الآية تنبيهٌ على أنَّ السعادة العظمى محبَّةُ الله ورسوله، وكراهةُ أهل الكفر والفُسُوق.

قوله: (هي أن النبي ﷺ ركب حماراً... إلخ) ذكر القصَّةَ مختصرةً، ورواها الشيخان بِطُولها، وحاصلها: (أنه رُوي عن أسامة بن زيد أنه ﷺ ركب على حمار عليه إكافٌ، تحتَه قطيفةٌ فدكيَّةٌ،

ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ....

ومَرَّ على ابن أُبي، فبال الحِمارُ فسَدَّ ابنُ أُبي أنفَه، فقال ابنُ رَواحة: والله لَبَولُ حِماره أطيَبُ رِيحاً مِن مِسكِك، فكان بَين قَومَيهِما ضَربٌ بِالأيدِي والنِّعال والسَّعَف، ﴿ٱقْتَتَلُواْ﴾ جُمِعَ نَظَراً إلى المَعنى؛ لِأنَّ كُلَّ طائِفة جَماعةٌ، وقُرِئ: (اقتَتَلَتا)، ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ - ثُنِّيَ

حاشية الصاوي

وأردَفَ أسامةَ بن زيد وراءَه، يَعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وَقعة بدر، قال: فسار النبي ﷺ حتى مرَّ على مجلسٍ فيه عبدُ الله بن أبيٍّ ابنُ سَلول - وذلك قبل أن يُسلِم عبد الله بن أبيٍّ - وإذا في المجلس أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبَدةِ الأوثان واليهود، وفي المسلمِين عبد الله بن رواحة، فلمَّا غَشِيَت المجلسَ عجاجةُ الدابة.. خمَّر عبد الله بن أبيٍّ أنفه بردائه ثم قال: لا تُغَبِّرُوا علينا، فسلَّم رسول الله ﷺ، ثمَّ وقف فنَزل فدعاهم إلى الله تعالى، وقرأ علَيهم القرآن، فقال عبد الله بنُ أبيٍّ ابنُ سلول: أيُّها المرء؛ إنه لا أحسَن مما تقول - أي: لا شيءَ أحسن منه - إن كان حقًّا فلا تُؤذِنا به في مَجالسنا، وارجع إلى رَحلك، فمن جاءك فاقصُص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشَنا به في مجالسِنا؛ فإنا نحبُّ ذلك، فما لَبِثَ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يَتحاربُون، فلم يزل النبي ﷺ يُخفِّضُهم حتى سكتوا). انتهى[١].

قوله: (ومرَّ على ابن أبيٍّ) أي: وكان من الخزرج، وقوله: (فقال ابن رواحة) أي: وكان من الأوس.

قوله: (وسدَّ ابن أبيٍّ أنفه) أي: وقال: (إليك عني، والله لقد آذاني نَتنُ حمارك)[٢].

قوله: (فكان بين قومَيهما) أي: وهُما الأوس والخزرج.

قوله: (والسَّعَفِ) أي: وهو جَريد النخل إذا كان عليه الخُوص، فإن جُرِّدَ منه قيل له: عَسِيب.

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً[٣].

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٦٦٣)، و«صحيح مسلم» (١٧٩٨) واللفظ له، وفي «إرشاد الساري» (٤١٨/٤): (وفي تفسير ابن عباس: وأعان ابنَ أبيٍّ رجالٌ من قومِه وهم مؤمنون، فاقتَتلوا)، وهذا فيه ما يزيل الإشكال: بأن المخاصمة وقعت بين من كان معه ﷺ من الصحابة وبين أصحابِ عبد الله بن أُبي وكانوا حينئذٍ كفاراً.

(٢) كما في «صحيح البخاري» (٢٦٩١)، و«صحيح مسلم» (١٧٩٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) قرأ ابن أبي عبلة: (اقتَتلَتا) مُراعياً اللفظ. انظر «الدر المصون» (٩/١٠).

﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠﴾ ....

نظراً إلى اللفظ ـ ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ﴾: تعدَّت ﴿إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾: ترجع ﴿إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ الحقِّ؛ ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾: بالإنصافِ ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾: اعدِلُوا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ في الدِّين، ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ إذا تنازَعا، ـ وقُرِئَ: (إخوتِكم) بِالفوقانيَّة ـ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾) أي: أبَتِ النصيحةَ والإجابةَ إلى حكم الله.

قوله: (﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾) «حتى» هنا: للغاية، والنصبُ بـ(أنْ) مُضمرة بعدها؛ أي: إلى أن ترجعَ. . إلخ.

قوله: (﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾) أي: بالنُّصح والدعاء إلى حكم الله.

قوله: (بالإنصاف) أي: فلا تجُورُوا على إحدى الطائفتَين، بل احكموا بينهما بالإنصاف.

قوله: (اعدلوا) أشار به إلى أنَّ (أقسَط) معناه: (عدَل)، فهمزته للسَّلب، بخلاف (قسط) فمعناه: (جارَ)، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ [الجن: ١٥].

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾) كالتعليل لِما قبله.

قوله: (﴿إِخۡوَةٞ﴾ في الدين) أي: من حيث إنهم يَنتسبُون إلى أصلٍ واحدٍ، وهو الإيمان.

قوله: (﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾) خصَّ الاثنين بالذكر؛ لأنهما أقَلُّ مَن يقع بينهما النزاع، فإذا لَزمت المصالحة بين الأقل. . كانَت بين الأكثر أَولى.

قوله: (وقرئ) أي: شُذوذاً، وهذه القراءة تَدُلُّ على أنَّ قراءة التثنية معناها: الجماعة[1].

قوله: (﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾) أي: على تَقواكم، وفي هذا الترجي إِطْمَاعٌ من الكريم الرحيم[2].

---

(١) روي عن أبي عمرو وجماعة: «إخوتكم» بالتاء من فوق، وقرأ أيضاً زيدُ بن ثابت وعبد الله والحسن وحماد بن سلمة وابن سيرين: (إخوانكم). انظر «الدر المصون» (٩/١٠).

(٢) إذ الإطماع: فعل ما يُطمع فيه لا محالة. «فتوحات» (١٨٧/٤).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ ....

(١١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ...﴾ الآية نزلَت في وَفدِ تَمِيم حِين سَخِرُوا مِن فُقَراء المُسلِمِين كعمَّارٍ وصُهَيبٍ، والسُّخرِيَّة: الازدِراءُ والاحتِقار، ﴿قَوۡمٞ﴾ أي: رِجالٌ مِنكُم ﴿مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ عِندَ الله، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ﴾... إلخ) يُقال: سَخِر منه سَخَراً، من باب: (تَعِبَ)، والاسم: (السُّخرية) بضم السين وكسرها، و(السُّخرة) بوزن (غُرفة): ما سَخَّرته من خادم أو دابَّة بلا أجرٍ ولا ثمنٍ.

قوله: (حين سخرُوا من فقراء المسلِمِين) أي: لِمَا رأَوا من رَثاثةِ حالهم وتقشُّفِهم، وهذا كان في أول إسلامهم قبل تمكُّنهم منه، وإلا.. فقد صارُوا بعد ذلك إخواناً مُتحابِّين في الله.

قوله: (كعمَّار... إلخ) أي: وهُم أهل الصُّفة الذين قال الله فيهم: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٧٣] الآية.

قوله: (أي: رجال منكم) أشار بِذلك إلى أن (القوم) اسمُ جمع بمعنى: الرِّجال خاصة، واحد في المعنى: رجل، وقيل: جمعٌ لا واحد له من لَفظه، يدلُّ على تَخصِيصه بالرجال مُقابَلتُهُ بقوله: ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾، وهذا هو الموافق لأصلِ اللغة، قال الشاعر (١): [الوافر]

وَمَـا أَدْرِي ـ وَلَسْـتُ إِخَالُ أَدْرِي ـ أَقَـوْمٌ آلُ حِـصْـنٍ أَمْ نِـسَـاءُ؟

وأما قولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ [ص: ١٢] ونحوه.. فالمراد: ما يَشملُ النساء، لكن بطريق التَّبع؛ لأنَّ قوم كلِّ نبيٍّ رجال ونساء. وسُمِّي الرجال قوماً؛ لأنهم قَوَّامون على النساء.

قوله: (منكم) قيَّد به ﴿قَوۡمٞ﴾ المرفوع، وتركه في المجرور، ويَصحُّ تَقييده بكلٍّ، ويقال نظيره في قوله: ﴿وَلَا نِسَآءٞ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾) الجملة مُستأنَفة لِبَيان العلة الموجبة للنهي، ولا خبر لـ(عسى)؛ لأنه يُغني عنها فاعلها، والمعنى: لا يحتقر أحدٌ أحداً؛ فلعلَّ مَنْ يُحْتَقَرُ يكون عند الله أعلى وأجلَّ ممَّن احتقرَه، وبالجملة: فيَنبغي للإنسان ألَّا يَسخرَ بأخيه في الدين، بل ولا بأحدٍ

(١) البيت لزهير بن أبي سُلمى؛ كما في «ديوانه» (ص١٤).

وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ....

﴿وَلَا نِسَآءٌ﴾ مِنكُم ﴿مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: لا تَعِيبُوا فتَعابُوا، أي: لا يَعِب بَعضُكُم بَعضاً ....

حاشية الصاوي

من خَلقِ الله؛ فلعلَّه يكون أخلصَ ضميراً، وأنقى قلباً ممَّن سَخر به، ولقد بلَغ بالسلف الصالح هذا الأمر حتى قال بعضُهم: (لو رأيت رجلاً يَرضع عنزاً فضحكتُ منه.. خَشيت أن أصنَعَ مثل ما صنع)[١]، وقال عبد الله بن مسعود: (البَلاء مُوكَّلٌ بالقول؛ لو سَخرتُ من كلب.. خشيتُ أن أُحوَّلَ كلباً)[٢].

قوله: (﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾) قال أنَس: نزَلت في صَفِيَّة بنت حُيَي، بلغها أنَّ حفصةَ قالت: بنت يَهودي، فبكَت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: «ما يُبكيك؟»، قالت: قالت لي حفصةُ: إني بِنت يهودي، فقال النبي ﷺ: «**إنك لَابنة نبي، وعمُّك نَبي، وإنك لَتحتَ نبي؛ ففِيم تَفتخرُ عليك؟!**»، ثم قال: «**اتَّقي الله يا حَفصة**»[٣]. وذكر النساء؛ لِمَزيد الإيضاح والتبيين، ولِدفع توهُّم أنَّ هذا النَّهيَ خاصٌّ بالرجال.

قوله: (﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾) اللَّمزُ في الأصل: الإشارةُ بالعين ونحوِها.

قوله: (لا تعيبُوا فتُعابوا) أشار بذلك إلى تَوجيهِ قوله: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾؛ وذلك لأنَّ الإنسان إذا عاب غيره.. عابه ذلك الغيرُ؛ فقد عاب الشخص نفسَه بتسبُّبه.

قوله: (أي: لا يَعب بعضكم بعضاً) هذا توجيهٌ آخرُ، فكان الأولى للمُفسِّر أن يأتي بـ(أو)، والمعنى: أنَّ المؤمنين كشَخص واحد؛ فمَن عاب غيرَه كأنه عاب نفسه، ومن هذا المعنى قول العارف[٤]: [الطويل]

إذا شئْتَ أن تَحيَا سَليماً مِنَ الرَّدى ... وَدِينُكَ مَوفورٌ وَعِرضُكَ صَيِّنُ

لِسَانك لَا تذكرُ بهِ عَورَة امرِئٍ ... فَكُلُّكَ عَوْراتٌ ولِلنَّاسِ ألسُنُ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مُصنفه» (٢٥٥٤٤) من كلام سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٥٤٦)، وابن المبارك في «الزهد» (٧٤١).

(٣) رواه الترمذي (٣٨٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩١٩).

(٤) الأبيات للإمام الشافعي؛ كما في «دِيوانه» (ص١٢١).

وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ....

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾: لا يَدعُو بَعضُكُم بَعضاً بِلَقَبٍ يَكرَهُهُ، ومِنهُ: يا فاسِق، يا كافِر، ﴿بِئْسَ الِاسْمُ﴾ أي: المَذكُور مِن السُّخرِيَّة واللَّمز والتَّنابُز ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ - بَدل مِن ﴿الِاسْمُ﴾ - لإفادةِ أنَّهُ فِسق ....

حاشية الصاوي

وعَينُكَ إنْ أَبدَت إِلَيكَ مَعائِباً　　فَدَعْها وقُل: يا عَينُ لِلناسِ أعيُنُ

فَعاشِرْ بِمَعروفٍ وَسامِح مَنِ اعتَدى　　وَفارِقْ ولَكِن بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ

قوله: (﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾) النَّبَزُ - بفتح الباء -: اللقب مُطلقاً، حسَناً أو قبيحاً، ثم صار مَخصوصاً بما يَكرهه الشخص.

وسببُ نُزول هذه الآية كما قال جبيرة بن الضَّحاك الأنصاري: قَدِم علينا رسول الله ﷺ وليس منَّا رجلٌ إلا ولَه اسمان أو ثلاثة، فجَعل رسول الله ﷺ يَقول: يا فلانُ، فيَقولون معه: يا رسول الله؛ إنه يَغضب من هذا الاسم، فأنزل الله هذه الآية[1].

ومِن ذلك: الشَّتمُ؛ كقولك لأخيك: يا كلبُ، يا حمار، ونحو ذلك، والمراد بهذه الألقاب. ما يَكرَهه المخاطب، وأما الألقابُ التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمَش والأعرج وما أشبه ذلك.. فلا بأسَ بها إذا لم يَكرهه المدعُوُّ بها، وأما الألقاب التي تُشعِر بالمدح.. فلا تُكرَه؛ كما قيل لأبي بكر: عَتيق، ولعمر: فاروق، ولعثمان: ذو النُّورين، ولعلي: أبو تُراب، ولخالد: سيف الله، ونحو ذلك.

قوله: (﴿بِئْسَ الِاسْمُ﴾) ﴿بِئْسَ﴾: فعل ماض، والاسمُ: فاعل، وقوله: ﴿الْفُسُوقُ﴾: بدلٌ من ﴿الِاسْمُ﴾ كما قال المفسِّر، وعليه: فالمخصوصُ بالذم محذوفٌ، تقديره: (هو)، والأوضَحُ إعرابه مخصوصاً بالذم. والمراد بـ(الاسم): الذكر المرتَفع.

قوله: (﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾) أي: الاتِّصافُ بالفِسق بعد الاتِّصاف بالإيمان، والمراد بـ(الفسوق): الخروجُ عن الطاعة.

قوله: (لإفادة أنه) أي: ما ذكرَه من السُّخرية... إلخ.

---

(١) رواه أبو داوود (٤٩٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥١٦)، وابن ماجه (٣٧٤١)، وفيها: (عن أبي جبيرة بن الضحاك) بدل (جبيرة بن الضحاك).

وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ

لِتكرُّرِه عادةً، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ مِن ذلك ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي: مُؤثِمٌ وهو كَثِير

حاشية الصاوي

قوله: (لِتكرره عادة) أي: وإن كان المذكورُ صَغيرة لا يفسق بها، لكنَّه في العادة يَتكرَّر فيَصير كبيرةً يفسَّق بها.

قوله: (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾) أي: الضَّارُّون لأنفسِهم بِمَعاصيهم ومخالفاتهم، ففي هذه الآيات وصفُ المؤمنِين بالفِسق والظلم، وإن كان في غالِب الآيات إطلاقُ الفِسق والظلمِ على أهل الكُفر.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾) قيل: نزلت في رجلَين اغتابا رَفيقهما، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا غزَا أو سافر.. ضمَّ الرجلَ المحتاجَ إلى رجلَين مُوسِرين يخدمهما ويتقدَّمُهما إلى المنزل، فيُهيِّئ لهما ما يُصلحهما من الطعام والشراب، فضمَّ سَلمان إلى رجلَين في بعض أسفاره، فتقدَّم سلمانُ إلى المنزل، فغلَبَته عيناه، فنام ولم يَعمل لهما شيئاً، فلمَّا قَدما.. قالَا له: ما صنعتَ شيئاً؟ قال: لا، غلبَتني عيناي، قالا له: انطَلِق إلى رسول الله؛ فاطلُب لنا منه طعاماً، فجاء سلمانُ إلى رسول الله وسأله طعاماً، فقال رسول الله: «**انطَلِق إلى أسامة بن زيد وقُل له: إن كان عِنده فضل طعام وإدام.. فليُعطك**» ـ وكان أسامةُ خازنَ طعام رسول الله ﷺ، وعلى رَحله ـ فأتاه، فقال: ما عندي شيءٌ، فرجع سلمانُ إليهما فأخبرهما، فقالا: كان عند أسامة ولكن بَخل، فبَعثا سلمانَ إلى طائفة من الصحابة، فلم يَجد عندهم شيئاً، فلمَّا رَجع قالُوا: لو بَعثناك إلى بئر سمحة.. لغار ماؤها، ثمَّ انطَلقا يتجسَّسان هل عندَ أُسامة ما أَمر لهما به رسول الله، فلما جاءا إلى رسول الله.. قال لهما: «**ما لي أرَى خُضرة اللحم في أفواهكما؟**»، قالا: والله يا رسول الله؛ ما تَناولنا يَومنا هذا لحماً، قال: «**ظَلمتما بأكل لحم سَلمان وأسامةَ**»، فنَزلت الآية[١].

والمعنى: أنَّ الله تعالى نهى المؤمنَ أن يَظُنَّ بأخيه المؤمن شرًّا؛ كأن يَسمع من أخيه المسلم كلاماً لا يُريد به سوءاً، أو يَدخل مَدخلاً لا يُريد به سوءاً، فيَراه أخوه المسلم فيَظنَّ به سوءاً؛

---

(١) أورده الثعلبي في «الكشف والبيان» (٩/ ٨٢)، وفيه: (بئر سُمَيْحَة) ـ وهي بئر في المدينة غزيرة الماء ـ بدل (بئر سمحة)، والمراد بخضرة اللحم: اللحمُ الأخضر، وكنِّي بكونه أخضرَ عن أنه لحم ميتة؛ لأنَّ لحم الجِيَف يُرى كأنه أخضر، فهو زيادة تهجين لهما، وهذا من مُعجزاته ﷺ الباهرة حيث شاهده محسوساً. وانظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ٨٠).

وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ ....

كظَنِّ السُّوء بِأهلِ الخَير مِن المُؤمِنِين وهُم كَثِير، بِخِلافِه بِالفُسَّاقِ مِنهُم، فلا إثم فِيه في نَحو ما يَظهَرُ مِنهُم، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ ـ حُذف مِنه إحدَى التاءَين ـ: لا تَتَّبِعُوا عَوراتِ المُسلِمِينَ ومَعايِبَهم بِالبَحثِ عَنها، ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾: لا يَذكُرهُ بِشَيءٍ يَكرَهُهُ وإن كان فِيه،

حاشية الصاوي

لأنَّ بعض الفعل قد يكونُ في الصورة قبيحاً، وفي نفس الأمر لا يكون كذلك؛ لجواز أن يكونَ فاعله ساهياً، ويكونَ الرائي مخطئاً، فأمَّا أهلُ السوء والفسق المتجاهِرين[1] بذلك.. فلَنا أن نظنَّ فيهم مثلَ الذي يَظهر منهم.

قوله: (﴿كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾) أبهَم الكثير؛ إشارةً إلى أنه يَنبغي الاحتياط والتأمل في كلِّ ظنٍّ؛ خوفَ أن يقعَ في مَنهيٍّ عنه.

قال سفيان الثوري: الظنُّ ظنَّان: أحدُهما: إثمٌ، وهو أن يَظُنَّ ويتكلم به، والآخرُ: ليس بإثمٍ، وهو أن يظنَّ ولا يَتكلم به.

قوله: (وهو) أي: بعض الظنِّ كثيرٌ، وقوله: (وهم) أي: أهلُ الخير.

قوله: (بخلاف الفُساق منهم) أي: المؤمنين، وقوله: (في نحو ما يظهر منهم) أي: في نحو المَعاصي التي تَظهر منهم؛ بأن يتجاهرُوا بها.

قوله: (﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾) العامَّة على قراءته بالجيم، وقرئ شذوذاً بالحاء[2]، واختُلف فقيل: مَعناهما واحد، وقيل: التجسُّس ـ بالجيم ـ: البحث عما يُكْتَمُ عنك، والتَّحسس ـ بالحاء ـ: طلَبُ الأخبار والبحث عنها.

والمعنى: خذُوا ما ظهَر، ولا تتَّبعُوا عَورات المسلمين؛ فإنَّ مَنْ تتبَّع عَوراتِهم.. تتبَّع الله عورتَه حتى يَفضحَه ولو في جوفِ بيته.

قوله: (﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾) اعلَم: أنَّ الغيبة ثلاثةُ أوجه في كتاب الله تعالى: الغيبة، والإفك، والبُهتان؛ فأمَّا الغيبة فهي: أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفكُ فهو: أن تقول فيه

---

(١) كذا في الأصول، ولعل المراد القطع بتقدير (أعني)، وأما إذا أريد الإتباع على الوصفية.. فالصواب الرفع؛ كما في عبارة «الفتوحات» (٤/ ١٨٩).

(٢) قرأ بالحاء الحسن وأبو رجاء وابن سيرين. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٠).

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ ....

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد - أي: لا يُحِسُّ بِه، لا ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فاغتِيابُه في حَياتِه كأكلِ لَحمه بَعد مَماتِه، وقد عُرِضَ علَيكُم الثَّاني فكَرِهتُموه فاكرَهُوا الأوَّل، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: عِقابَه في الاغتِياب بِأن تَتُوبُوا مِنهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾: قابِل تَوبةَ التَّائِبين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

حاشية الصاوي

ما بلَغك عنه، وأما البُهتان فهو: أن تقول فيه ما ليس فيه، وقيل: إن كُلًّا يُطلق على كلٍّ، وهو المشهور.

واعلَم: أنَّ هذه الأمورَ المتقدِّمَ ذكرُها كبائرُ تحتاج لتوبةٍ، وهل تَفتقر لاستحلال المغتاب ونحوه أو لا؟ فقال جماعةٌ: ليس عليه استحلالٌ، بل يَكفيه التوبةُ بينه وبين الله؛ لأنَّ المظلمةَ ما تكون في النفس والمال، ولم يَأخذ من ماله، ولا أصاب مِن بدَنه ما يَنقصه، وقال جماعة: يَجب عليه أن يَستغفر لِصاحبها؛ لِما ورد عن الحسَن: كفارةُ الغيبة أن تستغفرَ لِمَن اغتبته، وقال جماعة: عليه الاستحلالُ منها ولو إجمالاً. ويُستثنى من الغيبة المحرَّمة سبعةُ أمور، نظمها بعضُهم بقوله: [الوافر]

تَظَلَّمْ واسْتَغِثْ واسْتَفْتِ حَذِّرْ ... وعَرِّفْ بِدْعَةً فِسْقَ المُجَاهِرْ

قوله: (﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾... إلخ) تمثيلٌ لِما يَناله المغتاب من عِرضِ مَنِ اغتابه على أقبح وجهٍ، وإنما مثَّل بهذا؛ لأنَّ أكل لحم الميت حرامٌ في الدين، وقبيحٌ في النفوس.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما سبعيَّتان[1].

قوله: (لا يحسُّ به) تفسيرٌ لـ﴿مَيْتًا﴾، وقوله: (لا) أشار به إلى أنَّ الاستفهام إنكاري.

قوله: (﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾) الضمير عائدٌ على الأكل المفهومِ من ﴿يَأْكُلَ﴾.

قوله: (أي: فاغتيابُه في حياته... إلخ) في هذا التمثيل إشارةٌ إلى أنَّ عِرْضَ الإنسان كلَحمه ودمه؛ لأنَّ الإنسان يتألَّم قلبُهُ من قَرْض عِرْضه كما يتألَّم جسمُه من قطع لحمه، فإذا لم يَحسُن من العاقل أكلُ لحوم الإنسان.. لم يَحسُن منه قَرْضُ عِرضه بالأولى.

قوله: (قابل توبة التائبين) يُشير به إلى أنَّ المبالغة في ﴿تَوَّابٌ﴾؛ للدلالة على كثرةِ مَن يَتوب عليه من عِباده؛ لأنه ما من ذنبٍ إلا ويَعفو الله عنه بالتوبة إذا استَوفت شروطها.

---

(١) قرأ نافع بتشديد الياء، والباقون بالسكون. انظر «السراج المنير» (٤/ ٧٠).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ ....

(١٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾: ....

حاشية الصاوي

واعلَم: أنه تعالى ختَم الآيتَين بذكر التوبة فقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وقال هنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾، لكن لما كان الابتداء في الآية الأولى بالنهي في قوله: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾.. ذكَر النفي الذي هو قريبٌ من النهي، وفي الثانية كان الابتداء بالأمر في قَوله: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾؛ ذكر الإثبات الذي هو قريبٌ من الأمر، تأمَّل.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾) اختُلف في سبب نُزول هذه الآية؛ فقال ابن عباس: لما كان يومُ فتح مكة.. أمَر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة فأذَّن، فقال عتَّاب بن أَسِيدِ بن أبي القيض: الحمدُ لله الذي قبَض أبي حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: ما وجد محمَّد غير هذا الغراب الأسود مُؤذناً، وقال سهل بن عَمرو: إن يُرِد الله شيئاً يغيره، وقال أبو سفيان: أنا لا أقول شيئاً أخاف أن يُخبره به ربُّ السماوات، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بما قالُوا، فدعاهم وسَألهم عمَّا قالُوا، فأقَرُّوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ زجراً لهم عن التغامُزِ بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدِراء بالفقراء، وأنَّ المدار على التقوى؛ لأنَّ الجميع من آدم وحواءَ، وإنما الفضل بالتقوى[١].

وقيل: نزلت في أبي هند حين أمَر رسول الله ﷺ بني بَياضة أن يُزوِّجُوه امرأة منهم، فقالُوا لرسول الله: نُزوِّج بناتنا مَوالينا؟![٢]

وقيل: نزلت في قَيس بن ثابت حين قال له رجلٌ: افسَح لي، فقال: إنَّ ابن فلانة يَقول: افسَح لي ـ كنايةً عن استِخفافه به ـ فقال رسول الله ﷺ: «مَنِ الذَّاكرُ فلانة؟»، قال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «انظُر في وجوه القوم»، فنظَر، فقال له النبي ﷺ: «ما رأيتَ؟»، قال ثابت: رأيتُ أبيض وأسود وأحمرَ، فقال: «إنَّك لا تَفضلهم إلا بالتقوى»، ونزَل فيه أيضاً قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ...﴾ [المجادلة: ١١] الآية[٣].

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ٣٤٧)، وفيه (أبي العيص) بدل (أبي القيض).

(٢) رواه أبو داوود في «المراسيل» (٢٣٠) عن الزهري.

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٤١).

وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣ ....

آدم وحَوَّاءَ ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا﴾: جَمع (شَعب) بِفتح الشِّين هو أعلَى طَبقات النَّسَب، ﴿وَقَبَآئِلَ﴾ هي دُون الشُّعُوب، وبَعدها العَمائِر ثُمَّ البُطُون ثُمَّ الأفخاذ ثُمَّ الفَصائِل آخِرُها، مِثالُه: خُزَيمة شَعب، كِنانة قَبِيلة، قُرَيش عِمارة بِكَسرِ العَين، قُصَيٌّ بَطن، هاشِم فَخذ، العَبَّاس فَصِيلة؛ ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ ـ حُذفَ مِنهُ إحدَى التَّاءَين ـ: لِيَعرِف بَعضُكُم بَعضاً لا لِتُفاخِرُوا بِعُلُوِّ النَّسَب وإنَّما الفَخرُ بِالتَّقوَى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِكُم ﴿خَبِيرٌ﴾ بِبَواطِنِكم.

حاشية الصاوي

قوله: (آدم وحواء) لفٌّ ونشرٌ مرتبٌ.

قوله: (هو أعلى طبقات النسب) أي: فالشُّعوب رؤوس القبائل، وسمي شعباً؛ لتشعُّب القبائل منه.

قوله: (ثم الفصائل آخرها) أي: فالمراتِب ستٌّ، وزاد بعضهم سابعةً وهي العَشيرة، وكل واحدة تَدخل فيما قبلها؛ فالقبائل تحت الشعوب، والعمائرُ تحت القبائل، والبُطون تحت العمائر، والأفخاذ تحت البُطون، والفصائل تحت الأفخاذ، والعَشائر تحت الفصائل.

قوله: (بكسر العين) أي: وفتحِها؛ ففيها لُغتان، لكن الأفصَح الفتح[1].

قوله: (ليعرف بعضكم بعضاً) أي: فتَصِلُوا أرحامَكم، وتَنتسبُوا لآبائكم.

قوله: (وإنما الفخر بالتقوى) أي: الافتخار المحمود إنما يكونُ على أهل الكفر بترك الشرك، والتمسُّكِ بالإسلام وشَعائره.

قوله: (﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾) أي: أعزُّكم عند الله أكثركم تقوى، فهي سببُ رِفعة القدر في الدنيا والآخرة، وانظر إلى قوله: ﴿أَتْقَىٰكُمْ﴾، ولم يَقُل: أكثركم مالاً ولا جاهاً، ولا أحسَنكم صُورة ولا غير ذلك من الأُمُور التي تَفنى.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾) أي: يَعلم ظَواهركم، ﴿خَبِيرٌ﴾ يَعلم بَواطنكم؛ فلا يخفى عليه شيءٌ.

---

(١) فمَن فتح.. فلالتفاف بعضهم على بعض كالعمامة، ومَن كسر.. فلأنَّ بهم عِمارة الأرض. انظر «تاج العروس»، مادة (ع م ر).

قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم ....

﴿١٤﴾ ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾: نَفَر مِن بَنِي أَسَد ﴿ءَامَنَّا﴾: صَدَّقنا بِقُلُوبِنا ﴿قُل﴾ لَهُم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ أي: انقَدنا ظاهِراً، ﴿وَلَمَّا﴾ أي: لَم ﴿يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ إلى الآنَ، لَكِنَّهُ يُتوقَّع مِنكُم، ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بِالإيمانِ وغيرِه ﴿لَا يَأْلِتْكُم﴾ ـ بِالهَمزِ

حاشية الصاوي

قوله: (نفر من بني أسد) أشار بذلك إلى سبب نُزول هذه الآية، وذلك أنهم قدمُوا على رسول الله ﷺ في سنةٍ مُجدبةٍ، فأظهَرُوا الإسلام ولم يكونُوا مُؤمنِين في السِّر، وأفسدُوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلَوا أسعارها، وكانُوا يَغدُون ويَرُوحون إلى رسول الله ﷺ ويَقولون: أتَتك العرب بأنفسها على ظُهور رَواحلها، ونحن جِئناك بالأطفال والعِيال والذَّراري، ولم نُقاتلك كما قاتَلك بنو فلان وبنو فلان، يَمنُّون على رسول الله ﷺ، ويُريدون الصدقة، ويَقولون: أعطِنا، فنزلت هذه الآية[1].

قوله: (صدَّقنا بقلوبنا) جوابُ عمَّا يُقال: إنَّ الإيمان والإسلام مُتلازمان، فأجاب: بأن المنفيَّ هنا الإيمان بالقلب، والمثبَت الانقياد ظاهراً، فهما مُتغايران بهذا الاعتبار، وأمَّا الإيمان والإسلام الشرعيَّان المعتبران. . فهُما مُتَّحدان ماصَدقاً وإن كان مُفهومهما مختلفاً؛ إذ الإيمان هو: التَّصديق القلبي بشرط النُّطق بالشهادتين، والإسلام: الانقِياد الظاهري الناشئ عن التَّصديق القلبي.

قوله: (﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾) أي: فلا تَقولوا: آمَنا، وقوله: ﴿وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ أي: فحصل منكم الإسلام ظاهراً، ففي الآية احتباكٌ؛ حذف من كلٍّ نظير ما أثبَت في الآخر.

قوله: (إلى الآن) أخَذه من (لما) لأنَّ نفيَها مختصٌّ بالحال، وقوله: (ولكنه يتوقع منكم) أشار إلى أنَّ منفيَّ (لَما) متوقَّع الحُصول؛ ففيه إشارةٌ لهم بأنهم سيُؤمنون، وقد حصَل، وبهذا اندفع ما قد يُتوهَّم من أنَّ هذه الجملة مُكرَّرة مع قوله: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾، وإيضاحُ الجواب: أنَّ هذه الجملةَ أفادت معنى زائداً، وهي نفيُ الإيمان مع تَوقُّعِ حُصوله، بخلاف الأُولى فإنها أفادت نَفْيَه فقط.

قوله: (بالهمزة) أي: مِن (أَلَتَ) من باب (ضرَب) و(نَصَر).

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ٣٤٩).

﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ ....

وتَركه، وبِإبدالِه أَلِفاً ـ: لا يُنقِصْكُم ﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ أي: مِن ثَوابِها ﴿شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلمُؤمِنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الصَّادِقُون في إيمانِهم كما صَرَّحَ به بَعدُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾: لَم يَشُكُّوا في الإيمانِ، ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فجِهادُهم يُظهِرُ صِدقَ إيمانِهم، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانِهم لا مَن

حاشية الصاوي

قوله: (وتركه) أي: من (لاتَ يَليتُ) كـ(باع يَبِيع)، فحُذفت منه عين الكلمة، وهي الياء، وقيل: هو من (وَلَت يَلِت) كـ(وعَد يعِد)، فحُذفت منه فاء الكلمة وهي الواو.

قوله: (وإبداله ألفاً) أي: فالقِراءات ثلاث سبعيَّات.[1]

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾) مبتدأ، خبرُه قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

قوله: (﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾) أتى بـ(ثمَّ)؛ إشارةً إلى أن نفيَ الرَّيب لم يكن وقت حُصول الإيمان، بل هو حاصلٌ فيما يُستقبل، فكأنه قال: ثمَّ داموا على ذلك.

قوله: (﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾) أي: طاعتِه.

قوله: (فجِهادهم يُظْهِرُ صدْقَ إيمانهم) أي: إنَّ الجهاد في سبيل الله دَلَّ على أنهم صادقُون في الإيمان، وليسُوا مُنافقِين، وهو جوابٌ عن سؤال وهو أنَّ العمل ليس من الإيمان؛ فكيف ذكر أنه منهُ في هذه الآية؟ وإيضاحُ الجواب عنه: أنَّ المراد من الآية: الإيمانُ الكاملُ.

قوله: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾) فيه تعريضٌ بكذب الأعراب في ادِّعائهم الإيمانَ، فلمَّا نزلت هاتان الآيتان.. أتَت الأعرابُ رسول الله ﷺ يَحلفون أنهم مؤمنون صادقون، وعَلم الله منهم غير ذلك، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ﴾... إلخ[2].

---

(١) قرأ أبو عمرو: (لا يألتكم) بالهمز، والسوسي يبدل الهمزة ألفاً على أصله، والباقون: (يَلِتكم). انظر «الدر المصون» (١٠/١٣).

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/١٥٥).

قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ....

قالُوا: آمَنَّا ولَم يُوجَد مِنهُم غيرُ الإسلام. ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ ـ مُضعَّف عَلِمَ بِمَعنَى شَعَرَ ـ أي: أتُشعِرُونَهُ بِما أنتُم علَيهِ في قَولِكُم: آمَنَّا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ مِن غَير قِتال بِخِلافِ غَيرِهِم مِمَّن أسلَمَ بَعد قِتالِه مِنهُم، ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ ـ مَنصُوب بِنَزع الخافِض الباءِ، ويُقدَّر قَبل (أن) في المَوضِعَينِ ـ ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قَولِكُم: آمَنَّا.

حاشية الصاوي

قوله: (مضعَّف «عَلم» بمعنى «شعَر») أي: وهو بهذا المعنى مُتَّعد لواحد فقط، وبِواسطة التضعيف يتعدَّى لاثنين: أوَّلهما بنفسه، والثاني بحرف الجرِّ.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾... إلخ) الجملة حاليَّة.

قوله: (﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾) أي: يَعُدُّون إسلامهم مِنَّةً عليك.

قوله: (مِن غير قتال) أي: لك ولأصحابك.

قوله: (ويقدَّر) أي: الخافضُ الذي هو الباء، والحاصلُ: أنه مُقدَّر في ثلاثة مواضع: الأول منها قوله: ﴿أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾، الثاني: قوله: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾، الثالث: قوله: ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾؛ فمَوضعان فيهما (أن)، وموضعٌ خالٍ عنها.

قوله: (﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾) أي: على حسَب زَعمكم، كأنه قال: إنَّ إيمانكم على فرض حُصُوله مِنَّةٌ من الله عليكم.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾) شرطٌ حذف جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

١٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: ما غابَ فِيهِما، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ - بِالياء والتَّاء - لا يَخفى علَيهِ شَيء مِنهُ.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

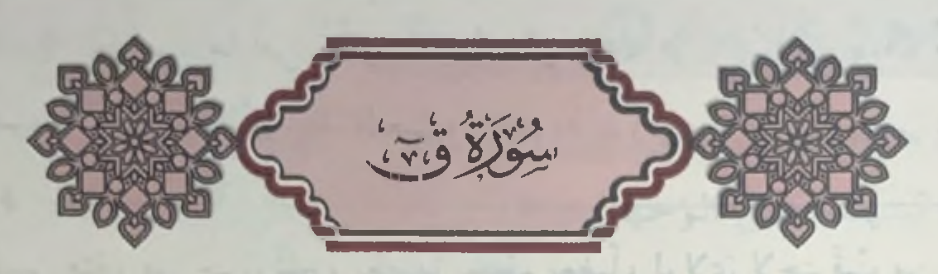
قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾) أي: فلا يخفى عليه شيءٌ فيهما.

قوله: (بالياء) أي: نظراً لقوله: ﴿يَمُنُّونَ﴾ وما بعده، وقوله: (والتاء) أي: نظراً لقولِه: ﴿لَّا تَمُنُّواْ﴾، وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

✿ ✿ ✿

(١) قرأ ابن كثير بالياء التحتية على الغيبة، والباقون بالفوقية. انظر «السراج المنير» (٤/ ٧٦).

﴿قٓ﴾ ....



مكيَّة إلَّا ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ . .﴾ الآية فمَدنيَّة، خمسٌ وأربَعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿قٓ﴾ اللهُ أعلَم بِمُرادِه بِه، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ قٓ

(مكيَّة) أي: كلُّها على أحد القولَين، وقوله: (إلا ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا﴾) على القول الآخَر، فكان المناسب للمُفسِّر أن يقولَ: (أو إلا ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا﴾)؛ ليكونَ مُشيراً للقولَين.

قوله: (﴿قٓ﴾) العامَّة على قراءته بالسكون، وقُرئ شذوذاً بالبناء على الكسر والفتح والضمّ[1].

قوله: (الله أعلم بمراده) تقدَّم غير مَرَّة أنَّ هذا القول أصَحُّ وأسلَم، وقيل: هو جبلٌ مُحيط بالأرض، من زُمردة خضراء اخضرَّت السماء منه، وعليه طرفَا السماء، والسماء عليه مَقبيَّة، وما أصاب الناس من زُمرد. . كان مما تساقَط من ذلك الجبل[2].

وقال وهب: أشرَف ذُو القرنين على جبل (ق)، فرأى تحته جبالاً صغاراً، فقال له: ما أنتَ؟ قال: أنا (ق)، قال: فما هذه الجبال حولَك؟ قال: هي عرُوقي، وما من مدينة إلا وفيها عرقٌ من عُرُوقي، فإذا أراد الله أن يُزلزل مدينة. . أمرَني فحرَّكت عرقي ذلك، فتزلزلَت تلك الأرض، فقال له: يا (ق) أخبِرني بشيءٍ من عظَمة الله، قال: إنَّ شأن ربنا لعظيمٌ، وإنَّ ورائي أرضاً مَسيرةَ خمس

---

(١) فتح القاف عيسى، وكسرها الحسن وابن أبي إسحاق، وضمَّها هارون وابن السميفع. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٧).

(٢) وقد ذكر العلامة الغماري أنَّ هذا القول من بِدَع التفاسير، وأنه أبطلُ مَن أن يشتغل بردِّه. انظر «بدع التفاسير» (ص١٣٠).

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ....﴾

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ الكَرِيمِ، ما آمَنَ كُفَّار مكَّة بِمُحمَّدٍ ﷺ، ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: رَسُولٌ مِنَ أنفُسِهِم يُخوِّفهُم بِالنَّارِ بعدَ البَعث، ....

حاشية الصاوي

مئة عام في خمسِ مئة، من جبال ثَلج، بعضها يحطم بعضاً، لولايَ لاحترقَتْ من حرِّ جهنَّم، ثم قال: زِدني، قال: إنَّ جبريل عليه السلام واقفٌ بين يدَي الله ترعدُ فرائصُه، يخلق الله مِن كلِّ رعدة مئةَ ألف ملك، فهؤلاء الملائكة واقِفُون بين يدَي الله مُنكِّسُون رُؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام.. قالُوا: لا إله إلا الله، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

وقيل: معنَى (ق): قُضِيَ الأمر؛ كما قِيل: في ﴿حمٓ﴾: حُمَّ الأمر، وقيل: هو اسمٌ من أسمائِه تعالى أقسَم به، وقيل: (ق) اسمٌ من أسماءِ القرآن، وقيل: هو افتِتاح كلِّ اسم من أسمائه تعالى في أوَّله (ق) كـ: قادر، وقهَّار، وقويٍّ[١].

ولعظيمِ فضل تلك السورة كان رسولُ الله ﷺ يَقرأ في الأضحى والفطر بها وبـ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[٢]، وكان يَقرَؤها يوم الجمعة على المنبَرِ إذا خطَب الناس[٣].

قوله: (الكريم) أي: فكلُّ من طلب منه مَقصوده.. وجَده فيه.

قوله: (ما آمن كفار مكة... إلخ) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ جواب القسَم مَحذوف، وهو أسهَلُ الأعاريب[٤].

قوله: (﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾) إضرابٌ عن جواب القسَم المحذوف؛ لِبَيان أحوالهم الشنيعة. والعجبُ: استِعظامُ أمرٍ خفي سببُه، وهذا بالنسبة لِعُقولهم الظاهرة؛ حيث قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

---

(١) انظر الأقوال في «تفسير القرطبي» (١٧/ ٣).

(٢) كما رواه مسلم (٨١٩) عن سيدنا أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم أيضاً (٨٧٢) عن أُخت لعمرة بنت عبد الرحمن رضي الله عنهما.

(٤) وقيل: في جواب القسَم أوجُه: أحدها: أنه قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ﴾، الثاني: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ﴾، الثالث: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾، الرابع: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾، الخامس: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ وهو قول كوفي، قالُوا: لأنه بمعنى: (قد عجبوا). انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٧).

فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ....

﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾ الإنذارُ ﴿شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا﴾ ـ بِتحقيقِ الهَمزتَينِ وتَسهِيل الثَّانِية وإدخالِ أَلِف بَينَهما على الوَجهَينِ ـ ﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نَرجِعُ؟ ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ في غايةِ البُعدِ.

(﴿٤﴾ - ﴿٥﴾) ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ﴾: تَأكُلُ ﴿مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ هو اللَّوحُ المَحفُوظ فِيه جَمِيعُ الأشياء المُقدَّرة. ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾) حكاية لبعض تَعجُّبهم وأقاويلهم الباطلة.

قوله: (﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾) أي: يُتعجَّب منه؛ لأنه خارجٌ عن طَورِ عُقولنا.

قوله: (﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾) معمولٌ لمحذوفٍ، قدَّره المفسِّرُ بقوله: (نرجع).

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وتركِه، فالقراءات أربع سبعيَّات، لا اثنَتان كما تُوهِمه عبارتُه[1].

قوله: (﴿بَعِيدٌ﴾) أي: عن العادة.

قوله: (﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾) ردٌّ لاستِبعادهم وتَعجُّبهم.

قوله: (﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾) الجملة حاليَّة، والكلام على تشبيه عِلمه بتفاصيل الأشياء بِعلمِ مَنْ عنده كتابٌ حاوٍ مَحفوظٌ يطَّلع عليه.

قوله: (هو اللوح المحفوظ) أي: وهو مِن دُرَّةٍ بيضاءَ مُستقرَّةٍ على الهواء، فوق السماء السابعة، طُولُه ما بين السماء والأرض، وعرضُه ما بين المشرق والمغرب.

قوله: (فيه جميع الأشياء) يحتمل أنَّ الجارَّ والمجرور مُتعلق بـ(المحفوظ)، و(جميع): نائب فاعل به، ويحتمل أنه خبرٌ مقدَّم، و(جميع): مبتدأ مؤخَّر.

---

(١) سهَّل الهمزة الثانية مع الإدخال قالون والبصري وأبو جعفر، وسهَّلها من غير إدخال ورشٌ والمكي ورُوَيس، وحقَّقها الباقون من غير إدخال إلا هِشاماً؛ فلَه الإدخال وعدمه. انظر «البدور الزاهرة» (ص٣٠٢).

بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً ....

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: بِالقُرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ﴾ في شَأن النَّبيِّ ﷺ والقُرآنِ ﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾: مُضطَرِب؛ قالُوا مَرَّةً: ساحِر وسِحر، ومَرَّةً: شاعِر وشِعر، ومَرَّةً: كاهِن وكَهانة.

(﴿٦﴾ - ﴿٨﴾) ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ بِعُيُونِهِم مُعتَبِرِين بِعُقُولِهِم حِين أنكَرُوا البَعثَ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ كائِنةً ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ بِلا عَمَد، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بِالكَواكِب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾: شُقُوقٍ تَعِيبُها؟ ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ - مَعطُوف على مَوضِع ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ - كيفَ ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾: دَحَوْناها على وَجهِ الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جِبالاً تُثَبِّتُها ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾: صِنفٍ ﴿بَهِيجٍ﴾: يُبهَجُ بِهِ لِحُسنِه؛ ﴿تَبْصِرَةً﴾ - مَفعُول لَهُ - أي: فعَلنا ذلك ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾) انتقالٌ من شَناعتهم إلى ما هو أشنَعُ، وهو تكذيبهم لِلنبوَّة الثابتة بالمعجزات الظاهرة.

قوله: (﴿مَّرِيجٍ﴾ مُضطرب) أي: مُختلِطٍ، يُقال: مرَج الأمر، ومرَج الدين: اختلَط.

قوله: (﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾) الهمزةُ داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أغفلُوا وعمُوا فلم يَنظرُوا إلى السماء..؟ إلخ.

قوله: (كائنة ﴿فَوْقَهُمْ﴾) أشار به إلى أنَّ ﴿فَوْقَهُمْ﴾ حالٌ من ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾.

قوله: (﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾) ﴿كَيْفَ﴾: مفعول مُقدَّم، وجملة ﴿بَنَيْنَٰهَا﴾ بدل من ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾.

قوله: (﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (معطوف على موضع ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾) أي: المنصوب بـ﴿يَنظُرُوٓا۟﴾[1].

قوله: (يبهج به) أي: يسرُّ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ (فعيل) بمعنى (فاعل) أي: يَحصل السُّرور به.

قوله: (مفعول له) أي: لأجلِه، ويصح أن يكونَا مَنصوبين على المصدرية، والتقدير: بصَّرناهم تبصرةً، وذكَّرناهم تذكرةً.

---

(١) ويجوز أن ينتصب على تقدير: (ومددنا الأرض). «فتوحات» (٤/ ١٩٦) نقلاً عن العَلامة الكرخي.

وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ ....

تَبصِيراً مِنَّا ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾: تذكيراً ﴿لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾: راجعٍ إلى طاعَتِنا.

(﴿٩﴾ - ﴿١١﴾) ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾: كَثِيرَ البَرَكَةِ، ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾ بَساتِينَ ﴿وَحَبَّ﴾ الزَّرعِ ﴿ٱلۡحَصِيدِ﴾ المَحصُود، ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾: طِوالاً ـ حال مُقدَّرة ـ ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾: مُتَراكِب بَعضُه فوقَ بَعض، ....

حاشية الصاوي

قوله: (تبصيراً منا) أي: تعليماً وتفهيماً.

والتبصرةُ والتذكرةُ إمَّا عائدان على كلٍّ من السماء والأرض، والمعنى: خلَقنا السماوات تبصرةً وذكرى، والأرضَ تبصرةً وذكرى، ويحتمل أنه لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ؛ فالسماء تَبصرة، والأرض تذكرة، والفرقُ بينهما: أنَّ التبصرةَ تكون فِيما آياته مُستمرَّة، والتذكرة فيما آياتُه مُتجدِّدة.

قوله: (رجَّاعٍ إلى طاعتِنا) أي: ذا رجوعٍ وإقبالٍ عليه؛ فالصيغة لِلنسبة، لا للمبالغة.

قوله: (﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾) قدَّر المفسِّر (الزرع)؛ إشارةً إلى أنه حُذِفَ الموصوف، وأُقيمت صفتُه مُقامه.

قوله: (المَحصود) أي: الذي شأنُه أن يَحصدَ كالبُرِّ والشعير، وفيه مجازُ الأَوْلِ؛ أي: الزرعُ الذي يَؤول إلى كونه مَحصوداً[1].

قوله: (﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾) يقالُ: بسَقت النخلة بُسُوقاً ـ من باب (قعَد) ـ: طالَت، فهي باسقة، والجمع: باسِقات، وبَوَاسق، وبسَق الرجل: بَهَرَ في عِلمه.

قوله: (حال مقدَّرة) أي: لأنها وقتَ الإنبات لم تكن طِوالاً، وأفردها بالذكر؛ لِكثرة مَنافعها، وزيادةِ ارتفاعها.

قوله: (﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾) الجملةُ حال من (النخل)، مُترادفة، أو من الضمير في ﴿بَاسِقَٰتٖ﴾[2].

---

(١) ويسمَّى مجاز الصيرورة، ومجاز المشارَفة إن كان المآل على الفَور؛ نحو: «مَن قتَل قتيلاً». انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٢٠٤).

(٢) فهي متداخلة، ويجوز أن يكونَ الحال (لها)، و(طلعٌ) مرتفع به على الفاعلية. «فتوحات» (٤/ ١٩٦).

﴿رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾

﴿رِزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ ـ مَفعولٌ لَه ـ ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ ـ يَستوِي فِيه المُذكَّر والمُؤنَّث ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثل هذا الإحياءِ ﴿ٱلْخُرُوجُ﴾ مِن القُبُور، فكيفَ تُنكِرُونَه؟ والاستِفهام لِلتَّقرِير، والمَعنى: أنَّهُم نَظرُوا وعَلِمُوا ما ذُكر.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ـ تَأنِيث الفِعل بِمَعنى قَوم ـ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ هي بِئرٌ كانُوا مُقِيمِينَ علَيها بِمَواشِيهِم يَعبُدُونَ الأصنامَ، ونَبِيُّهم قِيل: حَنظَلةُ بن صَفوان،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿رِزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾) منصوبٌ على الحال، ولم يُقيِّد العباد هنا بالإنابة، وقيَّد به في قوله: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾؛ لأنَّ التذكرةَ لا تكون إلا لِمُنيبٍ، والرزق يَعُمُّ كلَّ أحدٍ.

قوله: (﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾) أي: بذلك الماء، وقوله: ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي: أرضاً جَدبة يابسة، فاهتزَّت وربَت بذلك الماء، وأنبَتَت من كلِّ زوجٍ بهيجٍ.

قوله: (يستوي فيه المذكر والمؤنث) جوابٌ عن سؤال مقدَّر، تقديرُه: (الأرض)[1] مؤنثة، فكيف وصَفها بالمذكر؟

وفي هذا الجواب نظرٌ؛ لأنَّ استواءَ المذكر والمؤنث في (فَعِيل)، وليس هنا، والصواب أن التذكير باعتبارِ كونه مكاناً[2].

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾) جملةٌ قدِّم فيها الخبر لِقَصد الحَصر، والمعنى: خرُوجُهم من قُبُورهم مثلُ ما تقدَّم من عَجائب خَلقِ السماء وما بعدها.

قوله: (والاستفهام للتقرير. . . إلخ) الأَولى أن يقولَ: (للإنكار والتوبيخ)، وقوله: (والمعنى. . . إلخ) غيرُ صحيحٍ؛ إذ لو نظرُوا وعَلِموا. . لآمنوا.

قوله: (﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾) كلامٌ مُستأنفٌ قُصد به تقرير حقِّيَّة البعث، والوعيد لِقريش، والتسليةُ لرسول الله ﷺ.

قوله: (بمعنى «قوم») أي: لأنه بمعنى (أُمَّة).

قوله: (هي بئر) أي: فخُسفت تلك البئر مع ما حولها، فذهَبَت بهم وبأموالهم[3].

---

(١) كذا في الأصول، والسياق يَقتضي: (البلدة). (٢) الأولى: باعتبار كونها ـ أي: البلدة ـ مكاناً.

(٣) وما قاله المفسِّر أحدُ أقوالٍ في (الرَّس)، وقيل: هو قَرية باليمن كان فيها بقايا ثمود، فبُعِثَ إليهم نبيٌّ، فقتَلوه=

وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ ....

وقِيل: غَيرُه، ﴿وَثَمُودُ﴾: قَوم صالِح، ﴿وَعَادٌ﴾: قومُ هُود، ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ أي: الغَيضةِ قَوم شُعَيب، ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو مَلِك كان بِاليَمَنِ أسلَمَ ودَعا قَومَه إلى الإسلامِ فكذَّبُوهُ، ﴿كُلٌّ﴾ مِن المَذكُورِين ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل غيره) هو شُعيب، أو نبيٌّ آخر أُرْسِلَ بعد صالح لبقيَّة من ثَمود.

قوله: (﴿وَثَمُودُ﴾) ذكَرهم بعد أصحاب الرَّس؛ لأنَّ الرَّجفة التي أخذتهم مبدأ الخسف لأصحاب الرَّس، وأتبع ثمود بعادٍ؛ لأنَّ الريح التي أهلَكتهم إثرَ صَيحة ثمود.

قوله: (﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾) تقدَّم أنه ابن أخي إبراهيم، وأنه هاجَر معه من العراق إلى الشام، فنزَل إبراهيم بفلسطين، ونزَل لوط بسَذوم، وأرسله الله إلى أهلها وهو أجنبي منهم، فكيف يُقال: إخوانه؟

أجيب: بأنه تزوَّج فصار صهراً لهم، فالأُخُوَّة من حيث ذلك.

قوله: (﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾) تقدَّم الكلام عليهم في (الشعراء)[1].

قوله: (أي: الغيضة) أي: وهي الشجر المُلتَفُّ، وهي هنا بـ(أل) المعرَّفة، وفي «ص» و(الشعراء) بـ(أل) ودُونها، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (هو ملك كان باليمن) وقيل: نبيٌّ، وهو تُبَّع الحِميريُّ، واسمُه أسعد، وكنيته أبو قرن[3].

قوله: (﴿كُلٌّ﴾) التنوين عوضٌ عن المضاف؛ أي: كلُّ أمَّة، والمرادُ بـ(الكل) المجموعُ[4].

= فهلكوا، وقيل: الأخدود، وقيل: هم أصحاب حَنظلة بن صفوان النبي، ابتلاهم الله بطيرٍ عظيم فيه من كل لون، فسمَّوه العنقاء؛ لطول عنقها، وكانت تسكن الجبال وتختطف صِبيانهم، فدعا عليها حنظلة، فأصابتها الصاعقة، ثم إنهم قتَلوه فأهلكوا. وانظر (٤/ ٥٦٣).

(١) انظر (٥/ ٤٤-٤٥).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: (ليكة) بلام واحدة، والباقون: (الأيكة). انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٤٤).

(٣) كذا في الأصول، وقد مرَّ لِلمفسِّر في سورة (الدخان) أنَّ كُنيته أبو كرب، وهو الذي في كتُب السيرة.

(٤) فإنه لم يكذب كلُّ واحد من قوم نوح وثمود وعاد كما صرّح به في غير آية؛ كقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾؛ فإنها صريحة في أنَّ كل أُمَّة نبيٌّ فيها مصدِّق ومكذب؛ فالمراد بالكُلية هنا التكثير؛ كما في قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، فهي باعتبار الأغلَب الأكثر. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ٨٥).

كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ ....

﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ كقُرَيشٍ، ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: وجَبَ نُزُولُ العَذاب على الجَمِيعِ، فلا يَضِيقُ صَدرُك مِن كُفرِ قُرَيش بِك.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ﴾ أي: لَم نَعيَ بِه فلا نَعيَا بِالإعادةِ، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البَعثُ. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ﴾ ـ حال بِتَقدِير (نَحنُ) ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾) أي: ولو بِالواسطة كتُبَّع.

قوله: (﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾) مضافٌ لياء المتكلم، حُذفت الياء وبقيت الكسرة دليلاً عليها.

قوله: (فلا يضيقُ صدرك) أي: لما تقدَّم أنه تسليةٌ لرسول الله ﷺ، وتهديدٌ لهم.

قوله: (﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ﴾) الهمزةُ داخلة على محذوف، والفاءُ عاطفة عليه، والأصل: أقصَدنا الخلقَ الأول فعَجزنا عنه حتى يَحكمُوا بعجزِنا عن الإعادة؟ وفيه إلزامٌ لِمُنكِر البعث. والعيُّ: العجزُ.

قوله: (﴿بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ﴾) الباء سببيَّة، أو بمعنى (على)، والاستِفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: (﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾) عطفٌ على مُقدَّر يَقتضيه السياق، كأنه قيل: هم غير مُنكرِين لِقُدرتنا على الخلق الأول، بل هم في خَلطٍ وشبهةٍ من خلقٍ جديدٍ؛ لِما فيه من مخالفة العادة. وتنكير (خلْقٍ)؛ لِتَفخيم شأنه، والإشعار بخروجه عن حُدُود العادات.

قوله: (﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾) المرادُ به: الجنسُ الصادقُ بآدم وأولاده.

قوله: (حال بتقدير «نحن») أي: لأن الجُملة المضارعيَّة المثبتةَ إذا وقعت حالاً لا تَقترن بالواو، بل تحوي الضمير فقط؛ فإن اقترَنت بالواو.. أُعربت خبراً لمحذوف، وتكون الجملة الاسمية حالاً، قال ابن مالك[1]: [الرجز]

وذَاتُ بَدءٍ بِمُضَارعٍ ثَبَتْ ... حَوَتْ ضَمِيراً، ومِنَ الواوِ خَلَتْ

(١) «الخلاصة»، باب (الحال).

مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ....

﴿مَا﴾ ـ مَصدرِيَّة ـ ﴿تُوَسْوِسُ﴾: تُحَدِّثُ ﴿بِهِۦ﴾ ـ الباءُ زائِدة أو لِلتَّعديةِ والضَّميرُ لِلإنسانِ ـ ﴿نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بِالعِلمِ ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ـ الإضافةُ لِلبَيانِ ـ والوَرِيدانِ: عِرقانِ بِصَفحَتَي العُنُق.

حاشية الصاوي

وذَاتُ وَاوٍ بَـعْـدَهَـا انْـوِ مُـبْـتَـدَا لَـهُ الـمُـضَـارِعَ اجْـعَـلَـنَّ مُـسْـنَـدَا

قوله: («ما» مصدريَّة) أي: والتقدير: ونَعلَم وَسوسة نفسِه إياه، ويَصح أن تكون موصولة، والضمير عائدٌ عليها، والتقدير: ونَعلَم الأمر الذي تُحدِّث نفسُهُ به.

قوله: (الباء زائدة) أي: فهو نَظير: صوَّت بكذا، وقوله: (أو للتعدية) أي: فالنفسُ تَجعل الإنسان قائماً به الوسوسة.

قوله: (والضمير للإنسان) أي: فجعل الإنسان مع نفسه شخصَين تجري بينهما مكالمةٌ ومحادثةٌ، تارةً يحدِّثها، وتارةً تحدِّثه، وهذه الوسوسة لا يُؤاخَذ بها الإنسان خيراً أو شرًّا، ومثلُها الخاطرُ والهاجسُ، وأما الهمُّ.. فيُكتب في الخير لا في الشرِّ، وأمَّا العزمُ.. فيكتب خيراً أو شرًّا، وتقدَّم ذلك.

قوله: (﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾) أي: لأنَّ الله لا يَحجبُه شيءٌ، بل هو القائم على كلِّ نفسٍ، لا تخفى عليه خافيةٌ، فقُربُه تعالى من عبده اتصالُ تصاريفه فيه؛ بحيث لا يَغيب عنه طرفةَ عينٍ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

قوله: (﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾) هذا مثَل في شِدَّة القُرب، والحبلُ: العِرْقُ.

قوله: (والوريدان: عرقان بصفحتي العنق) أي: مُكتنفان صفحتَي العُنق في مقدَّمهما، يَتَّصلان بالوَتين وهو عِرق متصل بالقلب، وبالأبهَرِ وهو عِرق في الظهر، وبالأكحل وهو عِرق في الذراع، وبالنسا وهو عِرق في الفخذ، وبالأسلَم وهو عِرق في الخنصر؛ متى قُطع من أيِّ جهةٍ.. مات صاحبه.

قال القشيري: (في هذه الآية هَيبةٌ وفزعٌ وخوفٌ لقومٍ، وروحٌ وسكونٌ وأنسُ قلبٍ لقومٍ)[1] أي: بحسَب تَجلِّي الله تعالى وشُهُوده، فإذا شهد الإنسانُ جلالَ الله وهيبتَه وشدَّة بَطشه وسرعة انتقامه

(١) انظر «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٥٠).

إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿إِذْ﴾ ـ ناصبُه (اذكُر) مُقدَّراً ـ ﴿يَتَلَقَّى﴾: يَأخُذ ويُثبِتُ ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾: المَلَكانِ المُوَكَّلانِ بِالإنسانِ ما يَعمَلُهُ ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ مِنهُ ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: قاعِدانِ، ـ وهو مُبتَدأ خَبَرُه ما قَبله ـ، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾: حافِظٌ ﴿عَتِيدٌ﴾: حاضِر، وكُلٌّ مِنهُما بِمَعنى المُثَنَّى.

حاشية الصاوي

مع شِدَّة تَمكنه منه واتصالِ تصاريفه به.. ذابَ من خشية الله، وإذا شهد جمالَ الله ورحمتَه وإحسانه.. أَنِسَ وفَرِحَ.

قوله: (يأخذ ويثبت) أي: يَكتبان في صحيفتَي الحسَنات والسيئات، وقلَمُهما لسانُهُ، ومِدادُهما رِيقه، ومحلُّهما من الإنسان نَواجذه.

قوله: (ما يعمله) مفعول ﴿يَتَلَقَّى﴾.

قوله: (أي: قاعدان) أشار به إلى أنَّ ﴿قَعِيدٌ﴾ مفردٌ أُقيم مُقام المثنى؛ لأنَّ (فعيلاً) يَستوي فيه الواحد والاثنان والجمع.

قوله: (وهو مبتدأ خبره ما قبله) أي: والجملةُ في محلِّ نصب على الحال من ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾.

قوله: (﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾... إلخ) ﴿مَّا﴾: نافية، و﴿مِن﴾: زائدةٌ في المفعول، وقوله: ﴿لَدَيْهِ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿رَقِيبٌ﴾ مُبتدأ مؤخَّر، والجملة حاليَّة.

قوله: (وكلٌّ منهما بمعنى المُثنى) أي: فالمعنى: إلا لَدَيه ملَكان موصوفان بأنهما رَقيبان وعَتِيدان؛ فكلٌّ منهما موصوف بأنه رَقيب وعتيد[1]، وقوله: (حاضر) أي: فلا يُفارقه إلا في مواضع ثلاثة: في الخَلاء، وعند الجماع، وفي حالة الجنابة؛ فإذا فعَل العبد في تلك الحالات حسَنةً أو سيئةً.. عرَفاها برائحتها وكتَباها.

---

(١) ولا حاجة إلى هذا كلِّه، بل الأَولى جعل الوصفين لشيء واحد؛ أي: إلا لديه مَلك موصوف بأنه رقيب وعتيد؛ أي: حافظ حاضر، والمراد بذلك المَلَك اثنان: كاتب الحسنات، وكاتب السيئات؛ فكلٌّ منهما يُقال له: رقيب عتيد. «فتوحات» (٤/ ٢٠٠).

وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ ....

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: غَمرَتُه وشِدَّته ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مِن أمرِ الآخِرة حتَّى يَراهُ المُنكِرُ لَها عِياناً وهو نَفسُ الشِّدَّة، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المَوتُ ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: تَهرُبُ وتَفزَع، ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ لِلبَعثِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يَومُ النَّفخ ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ لِلكُفَّار بِالعَذاب.

(﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿وَجَآءَتْ﴾ فيهِ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المَحشَرِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾) أي: حضَرت إمَّا بالموت فُرادى وهو ظاهرٌ واقعٌ، أو دُفعةً عند النفخة الأولى، وإنما عبَّر عنها بالماضي؛ لِتَحقق وُقوعها، وإشارةً إلى أنها في غاية القُرب.

قوله: (﴿بِٱلْحَقِّ﴾) الباء: للتعدية[1]؛ أي: أتَتْ بالأمر والحقِّ؛ أي: أظهَرته، والمراد به: ما بعد الموت من أهوالِ الآخرة، ومعنى كونه حقًّا: أنه واقعٌ لا محالةَ.

قوله: (وهو نفس الشدة) المناسِبُ حذفُ هذه العبارة؛ لِلاستغناء بما قبلها عنها، إلا أن يقالَ: إنَّ الضمير في (هو) عائدٌ على أمرِ الآخرة، والمراد بالشِّدَّة: الأمر الشديد، وهو أهوال الآخرة.

قوله: (تهرُب) بضمِّ الراء، من باب: (طلَب).

قوله: (﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾) عطفٌ على قوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، والصُّور هو: القَرن الذي يَنفخ فيه إسرافيل، لا يَعلم قدره إلا الله تعالى، وقد التقَمه إسرافيل من حين بعث رسول الله ﷺ مُنتظراً للإذن بالنفخ[2].

قوله: (أي: يوم النَّفخ) أي: فالإشارة إلى الزمان المفهوم من قوله: (نفخ)؛ لأنَّ الفعل كما يدلُّ على الحدَث يدلُّ على الزمان.

---

(١) ويجوز أن تكون لِلملابسة كالتي في قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾؛ أي: مُلتبسة بالحق؛ أي: بحقيقة الأمر، أو بالحكمة والغاية الجميلة. انظر «تفسير أبي السعود» (٨/ ١٢٩).

(٢) روى الترمذي (٢٤٣١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٠٨٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعَم وصاحب القَرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يُؤمر بالنفخ فيَنفخ؟!»، فكأنَّ ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: «قولُوا: حسبُنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا».

﴿مَعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ٢١ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾ ....

﴿مَعَهَا سَآئِقٌ﴾: مَلَكٌ يَسُوقُها إلَيهِ، ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يَشهَد علَيها بِعَمَلِها وهو الأيدِي والأرجُلُ وغَيرُها، ويُقال لِلكافِر: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ في الدُّنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ النَّازِلِ بِك اليَوم، ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾: أزَلْنا غَفلَتك بِما تُشاهِدُه اليَومَ، ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: حادٌّ تُدرِكُ بِه ما أنكَرتَه في الدُّنيا.

(٢٣ - ٢٦) ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾: المَلَكُ المُوكَّل بِه: ﴿هَٰذَا مَا﴾ أي: الذِي ﴿لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾: حاضِرٌ، فيُقال لِمالِك: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾) اختُلف في معنى (السائق والشهيد) على أقوال: أشهَرُها ما قاله المفسِّر، وقيل: السائق: كاتب السيئات، والشهيدُ: كاتب الحسَنات، وقيل: السائق: نفسُه أو قرينه، والشهيد: جوارحُه أو أعماله، وقيل غير ذلك.

قوله: (ويُقال للكافر) هذا أحد قولَين، وقيل: إنَّ القول يقَع للمسلم أيضاً، لكن على سبيل التهنئة، ومعنى ﴿كُنتَ فِى غَفْلَةٍ﴾: كنتَ في حجاب لم تُشاهِده بالبصر؛ إذ ليس راءٍ كمن سَمعا، فكشفنا عنك غِطاءك، فتَهَنَّأ بما رأيتَ، وتملَّى(١) بما أُعْطِيتَ من النَّعيم المقيم.

قوله: (﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾) أي: حِجابك، وهو الغفلةُ والانهماك في الشهوات.

قوله: (حادٌّ) أي: نافذٌ؛ لِزوال المانع للإبصار.

قوله: (المَلك المُوكل به) أي: في الدنيا لِكتابة أعماله، وهو الرقيب العَتيد المتقدِّم ذكره، والمعنى: أنَّ الملَك يقول: هذا عملُه المكتوب عندي حاضرٌ لديَّ، وقيل: المراد بـ(قرينه): الشيطان المقيَّض له، واسم الإشارة عائدٌ على ذات الشخصِ الكافر، والمعنى: يقول الشيطان: هذا الشخصُ الذي عندي حاضرٌ مُعَدٌّ ومُهَيَّأٌ للنَّار.

قوله: (﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾) يَصح أن تكونَ ﴿مَا﴾ نكرةً موصوفةً، و﴿عَتِيدٌ﴾: صفتها، و﴿لَدَىَّ﴾: مُتعلق بـ﴿عَتِيدٌ﴾؛ أي: هذا شيءٌ حاضرٌ عندي، ويَصح أن تكونَ ﴿مَا﴾ موصولةً بمعنى (الذي)، و﴿لَدَىَّ﴾ صِلتها، و﴿عَتِيدٌ﴾: خبر الموصول، والموصول وصِلته: خبر اسم الإشارة.

---

(١) بإثبات الألف في الأصول، وحقُّها الحذف للبناء، إلا أن يقال: إنَّ الألف للإشباع، أو الجزم بحذف الحركة؛ على حدِّ قراءة قنبل: (من يَتقي ويصبرْ) بإثبات الياء وجزم (يصبر). وانظر «مغني اللبيب» (ص٦٢١).

أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ ....

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ أي: ألقِ ألقِ، أو ألقِيَنْ وبه قرأ الحَسَن، فأُبدِلَت النُّون ألِفاً، ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: مُعانِدٍ لِلحقِّ، ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كالزَّكاةِ ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالِم ﴿مُّرِيبٍ﴾: شاكٌّ في دِينِه، ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ـ مُبتدأ ضُمِّن مَعنى الشَّرط، خَبرُه ـ: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ تَفسِيرُه مِثل ما تَقدَّم.

(﴿٢٧﴾ ـ ﴿٢٩﴾) ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الشَّيطانُ: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾: أضلَلْتُه ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ فدَعَوتُه فاستَجابَ لِي، وقال: هو أطغانِي بِدُعائِه لِي، ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أَلْقِ أَلْقِ... إلخ) لَما جعل المفسِّر الخطاب للواحد.. احتاج لِلجواب عن التثنية في قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾، فأجاب بجوابَين: الأول: أنه تَثنيةٌ بحسَب الصورة، والأصل أنَّ الفعل مُكرَّر للتوكيد، فحُذف الثاني وعُبِّرَ عنهما بضمير التَّثنية، فعلى هذا: يُعرب بحذف النون، والألف فاعل.

الثاني: أنَّ الألف ليست لِلتثنية، بل هي مُنقلبةٌ عن نون توكيد الخفيفة، وأُجرِيَ الوصل هنا مُجرَى الوقف[1].

قوله: (وبه قرأ الحسن) أي: وهي قراءة شاذَّة.

قوله: (مُعاندٍ) أي: مُعرِضٍ عن الحق مخالفٍ له.

قوله: (مبتدأ ضمِّن معنى الشرط) المناسبُ أن يقول: مُبتدأ يُشبه الشرط.

قوله: (تفسيره) أي: تخريجه مثل ما تقدَّم من حيث الاعتذارُ عن التثنية.

قوله: (﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾) أي: جواباً عمَّا ادَّعاه الكافر عليه لقوله: (هو أطغاني)؛ فالكافر أولاً يقول: الشيطانُ أطغاني، فيُجيب الشيطانُ بقوله: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾، وكان الأَولى للمفسِّر أن يُقدِّمَ قوله: (هو أطغاني) بأن يقولَ: (وقال قرينه جواباً لقوله: هو أطغاني ربنا... إلخ).

قوله: (﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟﴾) خطابٌ لِلكافرين وقُرنائهم.

---

(١) والظاهر أنَّ الخطاب لِلملكين السائق والشهيد على ما عليه الأكثر. «فتوحات» (٤/ ٢٠٢) عن العلامة الكرخي.

لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ ....

﴿لَدَىَّ﴾ أي: ما يَنفَعُ الخِصامُ هُنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدُّنيا ﴿بِالْوَعِيدِ﴾: بِالعَذابِ في الآخِرة لَو لَم تُؤمِنُوا ولا بُدَّ مِنهُ، ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾: يُغَيَّرُ ﴿الْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ في ذلكَ، ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأُعَذِّبهُم بِغَيرِ جُرمٍ. و(ظَلَّام) بِمَعنى: ذِي ظُلم؛ لِقَولِه: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

﴿٣٠﴾ ﴿يَوْمَ﴾ - ناصِبُه (ظَلَّام) - ﴿نَقُولُ﴾ - بِالنُّون والياءِ - ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ - استِفهامُ تَحقِيق لِوَعدِه بِمَلْئِها - ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: ما ينفع الخِصام هنا) أي: في مَوقف الحساب.

قوله: (﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾) ظاهرُه: أنَّ الجملة حال من قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا﴾، وهو مُشكلٌ بأنَّ التقديم بالوعيد في الدنيا، والاختِصام في الآخِرة. وأجيب: بأنَّ الكلام على حذف، والأصل: وقد ثبَت الآن أني قد قدَّمتُ إليكم... إلخ.

قوله: (ولا بدَّ) أي: لا تَطمعُوا أني أُبدِّل وَعيدي؛ فإنَّ وعيدي للكافرين مُحتَّمٌ؛ كوعدي لِلمؤمنين.

قوله: (﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ﴾) المرادُ بالقول: الوعيدُ بِتَخليد الكافر في النَّار.

قوله: (في ذلك) أي: في ذلك اليوم، فاسمُ الإشارة عائدٌ على يوم الحساب.

قوله: (﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾) أي: وإذا انتفى الظلمُ عنه في هذا اليوم.. فنفيُ الظلم عنه في غيره أحرَى، سُبحان مَن تنزَّه عن الظلم عقلاً ونقلاً.

قوله: (ناصبه «ظلام») أي: والمعنى: ما أنا بظلَّام يوم قولي لِجهنم... إلخ.

قوله: (استفهام تحقيق؛ لوعده بِمَلْئِهَا) خاطَب الله سبحانه وتعالى جهنَّم خطابَ العُقلاء، وأجابَتْه جوابَ العقلاء، ولا مانعَ من ذلك عقلاً ولا شرعاً؛ لِما ورَد: «تحاجَّت الجنةُ والنار»[1]، و«اشتَكَت النار إلى ربها»[2]؛ فلا حاجةَ إلى تكلُّف المجاز مع التمكُّن من الحقيقة في هذا ونظائرِه

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) عن سيدنا أبي هُريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَنَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ ....

﴿وَتَقُولُ﴾ بِصُورةِ الاستِفهام كالسُّؤالِ: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي: فِيَّ؟ لا أسَعُ غيرَ ما امتَلأتُ بِه، أي: قد امتلأتُ.

حاشية الصاوي

ممَّا ورَد في السنَّة؛ من نُطق الجمادات. والمراد باستفهام التحقيق: التقريرُ؛ فالله تعالى يُقرِّرُها بأنها قد امتلأت.

قوله: (وتقول بِصُورة الاستفهام كالسؤال) أي: أجابَته جواباً صُورته استفهام ومعناه الخبر؛ كما أشار لَه المفسِّر بقوله: (أي: امتلأت)، وإنما أجابَته بصورة الاستفهام؛ ليكون طِبقَ السؤال، لكن استفهام السؤال تقريري، واستفهام جوابها إنكاري، هذا ما مشَى عليه المفسِّر.

وقيل: إنَّ الاستفهامَ لِطلب الزيادة، فهو بمعنى: (زِدني)، ويَدُلُّ عليه ما جاء في الحديث من قوله ﷺ: «لا تَزال جهنَّمُ يُلقى فيها وتقول: هل من مَزيد، حتى يضعَ رَبُّ العِزَّة فيها قدمَه، فتقول: وعِزَّتك، فيَنزوي بعضُها على بعضٍ، وتقول: قَط قط، وعزَّتك وكرمك، ولا يزالُ في الجنة فضلٌ حتى يُنشئَ الله لها خلقاً». انتهى[1].

ولفظ (القَدَم) و(الرِّجل)[2] في الحديث من المُتشابه، يَأتي فيه مذهب السلف والخلَف؛ فالسلَف يُنزِّهونه عن الجارحة ويُفوِّضون علمه لله تعالى، والخَلَفُ لهم فيه تأويل منها: أنَّ المراد بالقدَم والرِّجل: قومٌ من أهل النار في عِلم الله؛ لأنَّ القدَم والرجلَ يُطلَقان في اللغة على العدد الكثير من الناس، فكأنه قال: حتى يضَع رَبُّ العزَّة فيها العددَ الكثير من الناس الموعُودِين بها. ويُؤيِّده ما ورَد عن ابن مسعود: أنَّ ما في النار بيتٌ ولا سِلسلةٌ ولا مِقْمَعٌ ولا تابوتٌ إلا وعليه اسمُ صاحبه، فكلُّ واحدٍ مِن الخزَنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفتَه، فإذا استوفى ما أمر به وما ينتظره ولم يبقَ أحدٌ منهم. قالت الخزَنةُ: قَط قط، حَسبُنا حسبُنا، اكتَفينا اكتفينا، وحينئذٍ: فتَنزوي جهنمُ على من فيها، وتَنطبقُ إذ لم يَبقَ أحدٌ ينتظر. اهـ[3]

ومنها: أنَّ وضع القدَم والرجل كنايةٌ عن تجلِّي الجلال عليها، فتَتصاغر وتَضِيق وتَنزوِي، فتقول: «قَط قط»، وهذا هو الأقرَب.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) كما في رواية البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) كذا في «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٩).

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ ....

(٣١ - ٣٣) ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾: قُرِّبت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكاناً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم، فيرَوْنَها، ويُقالُ لَهُم: ﴿هَٰذَا﴾ المَرئيُّ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ ـ بالتَّاءِ والياء ـ في الدُّنيا، ويُبدَل مِن ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ قَولُه: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: رَجَّاعٍ إلى طاعةِ الله، ﴿حَفِيظٍ﴾: حافِظٍ لِحُدُودِه، ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: خافَهُ ولَم يَرَهُ، ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾: مُقبِلٍ على طاعَتِه، ويُقالُ لِلمُتَّقِين أيضاً:

(٣٤ - ٣٥) ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالِمِين مِن كُلِّ مَخُوف ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾) المرادُ بهم: مَنْ ماتُوا على التوحيد.

قوله: (مكاناً) قدَّره المفسِّر؛ إشارة إلى أنَّ قوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ صفةٌ لموصوف محذوف، فهو منصوب على الظرفية؛ لِقِيامه مَقام الظرف، ولم يَقُل: (غير بعيدة) إمَّا لأنه صفة لمذكر محذوف، أو لأنَّ (فعيلاً) يَستوي فيه المذكر والمؤنث، وأتى بهذه الجملة عَقِبَ قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾؛ للتأكيد، كقَولهم: هو قريب غيرُ بَعيد، وعزيزٌ غيرُ ذَليل.

إن قُلتَ: إنَّ الجنة مكانٌ، والشأنُ انتقال الشخص لِلمكان لا انتقالُ المكان لِلشخص؟ أُجيب: بأنه أضاف القرب لها؛ إكراماً للمؤمنين، كأنَّ الإكرام ينتقل لهم، وهو كِنايةٌ عن سُهُولة وُصولهم إليها.

قوله: (ويُبدل من «المتقين») أي: بإعادة الجارِّ، وجملة ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ معترضةٌ بين البدَل والمبدل منه.

قوله: (حافظ لحدوده) أي: فـ﴿حَفِيظٍ﴾ بمعنى (حافِظ)، لا بمعنى (محفوظ).

قوله: (﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾) إمَّا بدلٌ من (كل)، أو مُستأنفٌ خبرٌ لمحذوفٍ.

قوله: (خافه ولم يره) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حالٌ من المفعول، والمعنى: خَشِيَه والحالُ أنَّ الله غائب عنه؛ أي: مُحتجِبٌ بِصفة جلاله وكبريائه، ويَصِحُّ أن يكون حالاً من الفاعل، والمعنى: خشيَ الرحمن والحال أنَّ الشخص غائبٌ عن الله؛ أي: محجوبٌ عنه.

قوله: (أي: سالمين من كُل مخوف) أشارَ بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ حالٌ من فاعل ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾، وهي حالٌ مُقارنة.

ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ....

أو مَع سَلام، أي: سَلِّمُوا وادخُلُوا، ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم الذِي حَصَل فِيه الدُّخُولُ ﴿يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾: الدَّوامِ في الجنَّة، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾: زِيادةٌ على ما عَمِلُوا وطَلَبُوا.

(﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾ أي: أهلَكنا قَبلَ كُفَّار قُرَيش قُرُوناً كَثيرة مِن الكُفَّار، ﴿هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا﴾: قُوَّةً، ﴿فَنَقَّبُواْ﴾: فتَّشُوا ﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أو: مع سلام) أي: أنَّ دُخولهم مصحوبٌ بالسلام من بعضِهم على بعض، أو من الله وملائكته عليهم، وحينئذٍ فالمعنَى: ادخُلوها مُسَلَّماً عليكم.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخولُ... إلخ) فائدةُ هذا القول: بُشرى لِلمُؤمنين، وطُمَأْنينة قُلوبهم.

قوله: (﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾) أي: ما يَشتهُونه ويُريدونه يَجعَلُ لهم عاجلاً، وقوله: ﴿فِيهَا﴾ إمَّا متعلق بـ﴿يَشَآءُونَ﴾، أو حالٌ من ﴿مَّا﴾.

قوله: (زيادة على ما عملُوا وطلبوا) أي: وهو النظرُ إلى وجه الله الكريم؛ لِما قِيل: (يتجلى الله لهم الربُّ تبارك وتعالى كلَّ ليلة جمعة في دار كرامتِه)[1]، فهذا هو المزيدُ، وقيل: إنَّ السحابةَ تَمرُّ بأهل الجنة، فتُمطِرُهم الحور العين، فيَقُلن: نحن المزيد الذي قال الله فيه: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾[2].

قوله: (﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾... إلخ) (كم): خبريَّة مَعمولة لـ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾، و﴿مِّن قَرۡنٍ﴾: تمييزٌ لـ(كم)، وقوله: ﴿هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم﴾ مبتدأ وخبر، والجملة صفة إمَّا لـ(كم)، أو لـ﴿قَرۡنٍ﴾، و﴿بَطۡشٗا﴾: تمييز، والمعنى: أنَّنا أهلكنا قرُوناً كثيرة أشدَّ بأساً وبطشاً من قريش، ففتَّشُوا في البلادَ عند نزول العذاب بهم، فلم يَجِدُوا مخلصاً.

قوله: (﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾) أي: سارُوا فيها طالِبين الهربَ.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٧٥٢٨) من حديث سيدِنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير أبي السعود» (٨/ ١٣٣).

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ....

لَهُم أو لِغيرِهِم مِن المَوت فلَم يَجِدُوا. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ ﴿لَذِكْرَىٰ﴾: لَعِظَةً ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾: عَقلٌ ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾: استَمَعَ الوَعظَ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضِرُ القَلب.

﴿٣٨﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أوَّلُها الأحَد وآخِرُها الجُمُعة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (لهم أو لِغيرهم) هذا يَقتضي أنَّ جملة ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ استئنافيةٌ، من كلامه تعالى، وحينئذٍ: فالوقفُ على قوله: ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾، ويكونُ في الكلام حذفٌ، والتقدير: ففتشُوا في البلاد هاربِين فلم يجدُوا مخلصاً، فهل مِن فرارٍ لهم؟ وقيل: إنها مِن كلامهم، والتقدير: قائلِين: هل من مَحِيص لنا؟

قوله: (﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور) أي: من أولِ السورة إلى هنا.

قوله: (﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾) أو: مانعةُ خلوٍّ تُجوِّز الجمع، وهو المطلوب؛ فإنَّ الموعظة لا تُفيد ولا ينتفع بها صاحبُها إلا إذا كان ذا عقل، وأصغى بِسمعه، وأحضر قلبَه، فإن لم يكن كذلك.. فلا يَنتفع بها.

قوله: (استمع الوعظ) أي: بكليَّته حتى كأنَّه يلقى شيئاً من عُلو إلى سُفل.

قوله: (﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾) الجملة حاليَّة؛ أي: ألقى السمع والحالُ أنه حاضرُ القلب غيرُ مشتغلٍ بشيءٍ غيرِ ما هو فيه.

وحضور القلب على مراتب: مَرتبة العامة: أن يشهد الأوامر والنواهي من القارئ.

ومرتبة الخاصة: أن يُشاهد الشخص منهم أنه في حضرة الله تعالى؛ يأمره وينهاه.

ومرتبة خاصَّة الخاصة: أن يَفنوا عن حسِّهم، ويشاهدون أنَّ القارئ هو الله، وإنما لسانه ترجمانٌ عن الله تعالى.

قوله: (﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾) أي: تعليماً لعباده التَّمهل والتَّأني في الأمور، وإلا.. فلو شاء لخلق الكلَّ في أقلَّ من لَمْح البصر.

وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ....

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾: تعَبٍ، نَزَل رَدًّا على اليَهُود في قَولِهم: إنَّ الله استَراح يَوم السَّبت، وانتِفاءُ التَّعَب عَنهُ لِتَنزُّهِه تَعالى عن صِفات المَخلُوقِين ولِعَدمِ المُماسَّة بَينَه وبينَ غَيرِه، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

﴿٣٩﴾ ﴿فَاصْبِرْ﴾ - خِطابٌ لِلنَّبيِّ ﷺ - ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليَهُودُ وغَيرهم مِن التَّشبِيه

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن لُّغُوبٍ﴾) ﴿مِن﴾: زائدة في الفاعل، واللغوب: مصدرُ (لَغَب) - من باب: (دخل) و(تعب) -: الإعياء والتعب. والعامَّة على ضمِّ اللام، وقرئ شذوذاً بفتحها[1]، والجملة إمَّا حاليَّة، أو مُستأنفة.

قوله: (نزل ردًّا على اليهود.. إلخ) أي: فقالُوا: خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام: أوَّلها الأحد، وآخرها الجمعة، ثم استراح يوم السبت، واستلقى على العرش؛ فلِذلك تركُوا العمل فيه، فنزلت ردًّا عليهم وتكذيباً لهم في قولهم: استراح يوم السبت بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[2].

قوله: (ولعدم المُماسَّة بينه وبين غيره) أي: من الموجودات التي يُوجِدها، والتعب والإعياء إنما يَحصل من العلاج، ومُماسَّة الفاعل لمفعوله؛ كالنجار والحدَّاد وغير ذلك، وهذا إنما يكون في أفعال المخلوقين.

قوله: (﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾) أي: شأنُه.

قوله: (﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾) أي: إيجادَ شيءٍ، أو إعدامَهُ.

قوله: (﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾) أي: من غيرِ فعلٍ ولا مُعالجة عملٍ، وهذا على حسَب التقريب للعقول، وإلا.. ففي الحقيقة: لا قولٌ ولا كافٌ ولا نونٌ.

قوله: (من التشبيه) أي: تشبيهِ الله بغيره؛ إذ نَسبُوا له الإعياء والاستراحة وغير ذلك من كُفريَّاتهم.

---

(١) وهي قراءة أبي عبد الرحمن السلمي وطَلحة؛ كما في «المحتسب في تَبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» لابن جني (٢/ ٢٨٥).

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/ ١٦٥).

﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ۝٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ ....

والتَّكذيبِ، ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾: صَلِّ حامِداً ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي: صَلاةِ الصُّبحِ، ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ أي: صَلاةِ الظُّهر والعَصر.

﴿٤٠﴾ ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ أي: صَلِّ العِشاءَينِ ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ ـ بِفَتحِ الهَمزة جَمع (دُبُر) ـ وكَسرِها: مَصدَر (أدبَرَ) ـ أي: صَلِّ النَّوافِلَ المَسنُونة عَقِبَ الفَرائِض، وقِيل: المُرادُ حَقِيقة التَّسبِيحِ في هَذه الأوقاتِ مُلابِساً لِلحَمد.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾... إلخ) حيث لم يَهتدُوا ولم يتَّبعوك، فاشتغل بعبادة ربِّك، ولا تتركها حزناً على عدم إيمانهم، وذلك أنَّ الله تعالى أمرَه بشيئين: هدايةِ الخلق، وعبادة ربِّه، فحيث فاتَه هدايتهم.. فلا يترك العبادة؛ لأنه ليس مأموراً بجهادهم حينئذٍ.

قوله: (صلِّ حامداً) أشار بذلك إلى أنَّ (سبِّح) معناه: صلِّ؛ إمَّا مجازٌ من: إطلاق الجزء على الكل، أو حقيقة؛ لأنَّ من جملة مَعاني الصلاة التسبيحَ؛ لِما وردَ عن عائشة: (كنت أصلي سبحة الضحى.. إلخ)[1].

قوله: (بفتح الهمزة جمع «دُبُر») أي: أعقابَ الصلاة، من: أدبرَت الصلاة: إذا انقضَت.

قوله: (وبكسرها مصدر «أدبر»[2]) أي: والمعنى: وقتَ إدبار الصلاة؛ أي: انقضائها وتمامِها، والقراءتان سبعيَّتان[3].

قوله: (وقيل: المرادُ حقيقةُ التسبيح) أي: لِما وردَ: «مَن سبَّح دبر كلِّ صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبَّر ثلاثاً وثلاثين، فذلك تسعةٌ وتسعون، وتمام المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.. غُفِرت خطاياه وإن كانت مثلَ زَبَد البحر»[4].

---

(١) روى البخاري (١١٧٧)، ومسلم (٧١٨) عنها رضي الله عنها قالَت: «ما رأيتُ رسول الله ﷺ سبَّح سبحة الضحى، وإني لأُسبِّحها».

(٢) في الأصول: (دَبَرَ)، وهو من باب (دخل) كما في «المصباح»، والمثبَتُ من «الفتوحات» (٢٠٦/٤).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وحمزة: (إدبار) بكسر الهمزة، على أنه مَصدر قام مَقام ظرف الزمان؛ كقولهم: (آتيك خُفوقَ النجم وخِلافة الحجاج)، والباقون بالفتح جمع (دُبُر). انظر «الدر المصون» (٣٥/١٠).

(٤) رواه مسلم (٥٣٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ . .

﴿٤١﴾ ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يا مُخاطَبُ مَقُولِي ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ هو إسرافِيلُ ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ مِن السَّماءِ وهو صَخرةُ بَيت المَقدِس أقرَب مَوضِعٍ مِن الأرض إلى السَّماء، يَقُول: أيَّتُها العِظامُ البالِيةُ والأوصالُ المُتقطِّعة واللُّحوم المُتمزِّقةُ والشُّعُور المُتفرِّقة، إنَّ الله يَأمُرُكُنَّ أن تَجتَمِعنَ لِفَصلِ القَضاء.

(﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾) ﴿يَوْمَ﴾ ـ بَدَل مِن ﴿يَوْمَ﴾ قَبلَه ـ ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخَلقُ كُلُّهم ﴿ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾: بِالبَعثِ وهي النَّفخة الثَّانية مِن إسرافيلَ، ويُحتَمَل أن تَكُونَ قبلَ نِدائِه وبَعدَه، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يَومُ النِّداءِ والسَّماع ﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ مِن القُبُور. ـ وناصِبُ ﴿يَوْمَ﴾ (يُنادِي)

حاشية الصاوي

قوله: (مَقولي) أشار بذلك إلى أنَّ مفعولَ (استمع) محذوفٌ؛ أي: استَمِع ما أقول لك في شأن أهوال يومِ القيامة، وقوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ كلامٌ مستأنفٌ مبيِّن لِلمَقول المحذوف.

قوله: (﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾) الوقفُ عليها إمَّا بالياء أو بدونها، قراءتان سبعيَّتان، و﴿ٱلْمُنَادِ﴾ إمَّا بالياء وصلاً ووقفاً، أو بإثباتها وصلاً لا وقفاً، أو بحذفها وصلاً ووقفاً، ثلاثُ قراءات[1].

قوله: (هو إسرافيل) هذا أحدُ قولين، وقيل: المنادي جبريل، والنافخ إسرافيل.

قوله: (أقرب مَوضع من الأرض إلى السماء) أي: باثني عشر ميلاً.

قوله: (والأوصال) أي: العُرُوق.

قوله: (﴿بِٱلْحَقِّ﴾) حال من الواو؛ أي: يَسمعون مُلتبِسِين بالحق، أو من ﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾ أي: مُلتبسة بالحق، وعبارة المفسِّر تقتضي أنَّ الباء لِلتعدية[2].

قوله: (ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده) هذا يقتضي أنها غيرُ النداء المذكور، مع أن النداء

---

(١) وقف ابن كثير على (ينادي) بالياء، والباقون دونها، ووجه إثباتها: أنه لا مُقتضيَ لحذفها، ووجهُ حذفها وقفاً: اتباع الرسم، وكأنَّ الوقف محل تخفيف. وأما «المنادي» فأثبت ابن كثير أيضاً ياءه وصلاً ووقفاً، ونافع وأبو عمرو بإثباتها وصلاً وحذفها وقفاً، وباقي السبعة بحذفها وصلاً ووقفاً؛ فمَن أثبت فلأنه الأصل، ومن حذف فلاتباع الرسم، ومن خصَّ الوقف بالحذف فلأنه محل راحةٍ ومحلُّ تغيير. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٦).

(٢) حيث فسَّر (الحق) بـ(البعث) أي: يسمعون الصيحة والصرخة بالبعث؛ كما تقولُ: صاح بكذا. «فتوحات» (٤/ ٢٠٧) نقلاً عن العلامة الأجهوري.

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ ....

مُقدَّراً ـ أي: يَعلمُون عاقبةَ تكذِيبِهم. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿يَوْمَ﴾ ـ بَدَل مِن ﴿يَوْمَ﴾ قبلَه، وما بينَهما اعتِراضٌ ـ ﴿تَشَقَّقُ﴾ ـ بِتخفِيف الشِّين وتَشدِيدِها، بِإدغامِ التَّاء الثَّانية في الأصلِ فِيها ـ ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ﴾: جمع (سَرِيع) ـ حالٌ مِن مُقدَّر ـ أي: فَيَخرُجُون مُسرِعِين، ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ ـ فِيه فصلٌ بينَ المَوصُوف والصِّفة بِمُتعلِّقِها لِلاختِصاصِ، وهو لا يَضُرُّ ـ وذلك إشارةٌ إلى مَعنَى الحَشر المُخبَر بِه عنهُ وهو الإحياءُ بعدَ الفَناء، والجَمع لِلعَرض والحِساب.

﴿٤٥﴾ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ أي: كُفَّارُ قُرَيشٍ ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ﴾: تُجبِرُهُم على الإيمانِ، وهذا قبلَ الأمر بِالجِهادِ، ....

حاشية الصاوي

المذكور هو ما يُسمع من النفخة، فهذا الصنيع غير مُستقيم إلا على القول بأن المنادي جبريلُ، والنافخ إسرافيل.

قوله: (أي: يعلمون عاقبةَ تكذيبهم) بيان للناصب المقدَّر، ولو قدَّره بِلصقه لكان أَولى.

قوله: (﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ﴾) أي: في الدنيا، وقوله: ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: في الآخرة.

قوله: (بينهما) أي: وهو قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾.

قوله: (بتخفيف الشين... إلخ) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (حال من مقدَّر) أي: ويصح أن يكون حالاً من ضمير ﴿عَنْهُمْ﴾.

قوله: (للاختصاص) أي: والحصر، والمعنى: لا يتيسَّر ذلك إلا على الله وحدَه.

قوله: (﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾) فيه تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (﴿بِجَبَّارٍۖ﴾) صيغة مبالغة من (جبَر) الثلاثي، ويقال أيضاً: (أجبر) رُباعيًّا، فهما لُغتان فيه.

قوله: (وهذا قبل الأمرِ بالجهاد) أي: فهو منسوخٌ.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٤/ ٩٣).

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وهُم المُؤمِنُون.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾) يُرسم بدون ياء، وفي اللفظ يُقرأ بإثباتها وصلاً لا وقفاً، وبحذفها وصلاً ووقفاً، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (وهم المؤمنون) خصَّهم؛ لأنهم المنتفعُون به، ويُؤخذ من الآية: أنه ينبغي للشخص ألَّا يَعِظَ إلا مَن يسمع وعظَهُ ويَقبلُهُ.

✿ ✿ ✿

---

(١) قرأ ورش بإثبات الياء بعد الدال وصلاً لا وقفاً، وحذفها الباقون وصلاً ووقفاً. انظر المرجع السابق.

[illegible]

على الإيمان [illegible]

[illegible]

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾ ....



مكيَّة، سِتُّون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾: الرِّياحِ تَذرُو التُّرابَ وغَيرَه، ﴿ذَرْوًا﴾ ـ مَصدَر، ويُقال: تَذرِيهِ ذَرياً: تَهُبُّ بِه ـ ﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾: السُّحُب تَحمِلُ الماء ﴿وِقْرًا﴾: ثِقْلاً ـ مَفعُول

حاشية الصاوي

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

وفي بعض النسخ: (والذاريات) بالواو.

قوله: (﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾) الواو: للقسَم، و(الذاريات): مُقسم به، و(الحاملات): عطف عليه، و(الجاريات) عطف على (الحاملات)، و(المقسمات): عطفٌ على (الجاريات)، والمقسَمُ عليه هو قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾. وإنما أقسَم بهذه الأشياء؛ تعظيماً لها، ولِكونها دلائل على قُدرة الله، ويصحُّ أن يكون الكلام على حذف مضاف؛ أي: وربِّ هذه الأشياء، فالقسَمُ بالله، لا بتلك الأشياء.

قوله: (تذرُو التراب) أي: ففِعله واويٌّ؛ من باب (عدَا)، وأشار به إلى أنَّ مفعول (الذاريات) محذوفٌ.

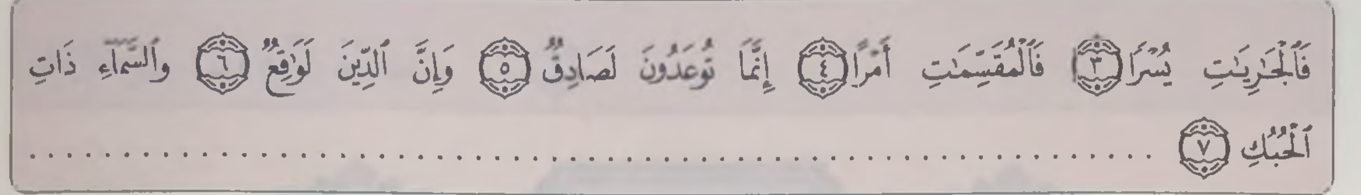
قوله: (مصدر) أي: مؤكِّدٌ، وناصبه اسم الفاعل.

قوله: (ويقال: تَذْرِيهِ) أي: ففعله يائيٌّ؛ من باب (رمَى).

قوله: (تهبُّ به) راجع لكلٍّ من الواويِّ واليائيِّ.

قوله: (﴿وِقْرًا﴾) الوقرُ والثقلُ والحملُ كلُّها ألفاظٌ متَّحدة الوزن والمعنى.

قوله: (مفعول «الحاملات») أي: مفعولٌ به لـ(الحاملات).



(الحامِلات) ـ، ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ﴾: السُّفُن تَجرِي على وَجهِ الماء ﴿يُسْرًا﴾ بِسُهُولةٍ ـ مَصدَر في مَوضِع الحالِ ـ أي: مُيَسَّرة، ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾: المَلائِكة تُقَسِّمُ الأرزاقَ والأمطارَ وغَيرَها بينَ البِلاد والعِباد.

(﴿٥﴾ - ﴿٦﴾) ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ ـ (ما) مصدَرِيَّة ـ أي: إنَّ وَعدَهُم بِالبَعثِ وغَيرِه ﴿لَصَادِقٌ﴾: لَوَعدٌ صادِق، ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾: الجَزاءَ بَعد الحِساب ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ لا مَحالةَ.

(﴿٧﴾ - ﴿٩﴾) ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: جَمع (حَبِيكة) كـ(طَرِيقةٍ وطُرُق)، أي: صاحِبة الطُّرُقِ في الخِلقة كالطُّرُقِ في الرَّمل، ....

حاشية الصاوي

قوله: (الملائكة تُقسم الأرزاق... إلخ) أي: ورُؤساء ذلك أربعة: جبريل وهو صاحب الوحي إلى الأنبياء، وميكائيل صاحبُ الرزق، وإسرافيل صاحب الصُّور، وعزرائيل صاحب قبض الأرواح.

وما مشى عليه المفسِّر في تفسير هذه الأشياء هو المشهور، وقيل: هذه الأوصاف الأربعة لِلرياح؛ لأنها تثير السحاب، ثم تحمله وتَنقله، ثم تجري به جرياً سهلاً، ثم تُقسم الأمطار بتصريف السحاب.

قوله: (﴿أَمْرًا﴾) إمَّا مفعولٌ به، أو حالٌ؛ أي: مأمورة، وعليه: فيحتاج إلى حذف مفعول (المقسمات).

قوله: (أي: إنَّ وعدهم) صوابُهُ بكاف الخطاب.

قوله: (﴿لَوَٰقِعٌ﴾) أي: حاصل.

قوله: (﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾) بضمَّتين في قراءة العامَّة، وقُرئ بوزن (إِبِلٍ)، و(سِلْكٍ)، و(جَبَلٍ)، و(نِعَمٍ)، و(بُرَقٍ)[1].

قوله: (في الخلقة) أشار به إلى أنَّ المراد بها: الطرقُ المحسوسةُ التي هي مَسِير الكواكب، ويصح أنَّ المراد بها: الطرقُ المعنويةُ للناظرين الذين يَستدلُّون بها على توحيد الله تعالى.

---

(١) وبقيت قراءة سادسة بوزن (قُفْل) بضمٍّ فسكون، وتُروى عن ابن عباس وأبي عَمرو. وانظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٢)، و«حواشي شيخ زاده على البيضاوي» (٤/ ٢٩٥).

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾﴾ ....

﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ في شَأن النَّبيِّ ﷺ والقُرآنِ ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قِيلَ: شاعِر ساحِر كاهِن، شِعر سِحر كَهانة، ﴿يُؤْفَكُ﴾: يُصرَف ﴿عَنْهُ﴾: عن النَّبيِّ ﷺ والقُرآنِ أي: عن الإيمان بِه ﴿مَنْ أُفِكَ﴾: صُرِفَ عن الهِداية في عِلم الله تَعالى.

(﴿١٠﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾: لُعِنَ الكذَّابُون أصحابُ القَول المُختَلِف، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: جَهلٍ يَغمُرُهُم ﴿سَاهُونَ﴾: غافِلُون عن أمرِ الآخِرة، ﴿يَسْأَلُونَ﴾ النَّبيَّ استِفهامَ استِهزاءٍ: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: متَى مَجِيئُهُ؟ وجَوابُهم: يَجِيءُ. ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾) جوابُ القَسَم.

قوله: (قيل: شاعر... إلخ) المناسب أن يقولَ: (قُلتم).

قوله: (عن النبي والقرآن) أي: فالضمير عائدٌ على أحدهما، وفيه تسليةٌ للنبي ﷺ؛ أي: فما من عبدٍ كفر بك إلا لسابق كفره أزلاً، ويصحُّ أن يكون الضمير عائداً على القول المذكور، والمعنى: يُصْرَف عن هذا القول المختلف مَنْ صُرِفَ عنه، وهو مَنْ أراد الله هِدايته كالمؤمنين.

قوله: (﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾) هذا التركيب في الأصل مُستعملٌ في القتل حقيقةً، ثم استعمل في اللعن على سبيل الاستعارة؛ حيث شبَّه من فاتَته السعادة بالمقتول الذي فاتَتْه الحياة، وطوى ذكر المشبَّه، ورمز له بشيءٍ من لوازمه وهو القتل، فإثباته تخييلٌ[١].

قوله: (﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾) ﴿أَيَّانَ﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾: مبتدأ مؤخَّر.

قوله: (أي: متى مَجيئه) جوابٌ عن سؤال مُقدَّر، تقديره: إنَّ الزمان لا يُخْبَرُ به عن الزمان، وإنما يخبر به عن الحدث، فأجاب بأنَّ الكلام على حذفِ مضاف.

قوله: (وجوابهم) أي: جواب سؤالهم، وإنما أجيبُوا بما لا يَقين فيه؛ لأنهم مُستهزئون لا متعلِّمون.

---

(١) وفي «القاموس» ما يقتضي أنَّ (قتل) يأتي بمعنى (لعن)، ونصُّه: (و﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾: لُعِنَ، و﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: لَعَنَهُم). «فتوحات» (٤/٢٠٩).

يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ....

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي: يُعَذَّبُونَ فِيها، ويُقالُ لَهُم حِينَ التَّعذِيب: ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾: تَعذِيبَكُم ﴿هَٰذَا﴾ التَّعذِيب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدُّنيا استِهزاءً.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٩﴾) ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾ تَجرِي فيها، ﴿ءَاخِذِينَ﴾ ـ حالٌ مِنَ الضَّمِيرِ في خَبرِ ﴿إِنَّ﴾ ـ ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ﴾: أعطاهُم ﴿رَبُّهُمْ﴾ مِنَ الثَّوابِ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قَبلَ دُخُولِهِم الجَنَّةَ ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدُّنيا، ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾: يَنامُون، و(ما) زائِدة ـ و﴿يَهْجَعُونَ﴾ خَبَر (كانَ)، و﴿قَلِيلًا﴾ ظَرف ـ أي: يَنامُونَ في زَمَن يَسِيرٍ مِنَ اللَّيل ويُصَلُّون أكثَرَه، ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يَقُولُون: اللَّهُمَّ اغفِر لَنا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾) عدَّاه بـ(على)؛ لِتَضمُّنه معنى (يُعْرَضون).

قوله: (﴿هَٰذَا﴾) مبتدأٌ، وقوله: ﴿ٱلَّذِى كُنتُم... إلخ﴾: خبرُه.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾... **إلخ**) لما بيَّن حال الكُفار وما أعدَّ لهم في الآخرة.. أخذ يُبيِّن أحوالَ المتقين وما أعدَّ لهم.

قوله: (**تجري فيها**) جوابٌ عمَّا يُقال: إنَّ المتقين لم يكونُوا في العيون؛ فكيف قال: ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾؟ فأجابَ بأنَّ المراد: أنَّ العُيونَ تجري في الجنة، وتكون في جِهاتهم وأمكِنَتِهم.

قوله: (**حالٌ من الضمير في خبر** ﴿إِنَّ﴾) أي: كائنون في جنَّات وعُيون حال كونهم آخذِين ما آتاهم ربهم؛ أي: راضِين به.

قوله: (**من الثواب**) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا﴾... **إلخ**) تفسيرٌ للإحسان.

قوله: (﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ﴾) متعلِّق بـ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ المعطوفِ على ﴿يَهْجَعُونَ﴾، والباء بمعنى (في)، والأسحار: جمع (سَحَرٍ)، وهو سُدس الليل الأخير.

قوله: (**يقولون: اللهم اغفِر لنا**) أي: تقصيرَنا في حقِّك؛ فإنه لا يَقْدُرك أحدٌ حقَّ قَدرك.

وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ....

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يَسألُ لِتعفُّفِه.

(﴿٢٠﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن الجبالِ والبِحار والأشجارِ والثِّمار والنَّبات وغيرِها ﴿ءَايَٰتٌ﴾: دَلالاتٌ على قُدرةِ الله سُبحانه وتَعالى ووَحدانِيَّتِه ﴿لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ آياتٌ أيضاً مِن مَبدَأ خَلقِكُم إلى مُنتَهاهُ وما في تَركِيب خَلقِكُم مِن العَجائِب، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك فتَستَدِلُّون بِه على صانِعِه وقُدرَتِه؟ ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: المَطَرُ المُسَبَّب عنهُ النَّبات الذِي هو رِزقٌ، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ مِن المَآب والثَّواب والعِقابِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾) أي: بمقتضى كرَمهم جعلُوه كالواجب عليهم؛ لِصلة الأرحام ومواساة الفقراء والمساكين، والمعنى: أنهم بذلُوا نفوسهم وأموالهم في طاعة ربِّهم.

قوله: (لتعففه) أي: فيظنُّ غنيًّا فيُحرم الصدقة، وهذا على حدِّ تفسير ﴿ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦].

قوله: (﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾... إلخ) الجارُّ والمجرور خبرٌ مقدَّم، و﴿ءَايَٰتٌ﴾: مبتدأ مؤخَّر، وقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ خبرٌ حذف مُبتدؤه؛ لدلالة ما قبله عليه، وهو كلامٌ مستأنفٌ قُصِدَ به الاستدلال على قُدرته تعالى ووحدانيَّته، وقد اشتمل على دليلَين: الأرض، والأنفس.

قوله: (من الجبال... إلخ) بَيان للأرض؛ فالمراد بها: ما قابل السماء.

قوله: (دلالات على قُدرة الله تعالى... إلخ) أي: وجميع صفاته الكماليَّة.

قوله: (من مبدأ خلقكم إلى مُنتهاه) أي: كالأطوار المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ...﴾ [المؤمنون: ١٢] إلخ.

قوله: (وما في تركيب خلقكم... إلخ) أي: كحُسن القامة، وحسن الشكل، ونحو ذلك.

قوله: (﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ، قُصِدَ بها الحثُّ على النظر والتأمُّل.

قوله: (﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾) كلامٌ آخرُ، قُصِدَ به الامتنانُ والوعدُ والوعيدُ.

قوله: (أي: المطر المسبَّب عنه النبات) أي: فالكلام على حذف مضاف، والتقدير: وفي السماء سببُ رزقِكُم.

قوله: (﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾) عطفُ عام.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ....

أي: مَكتُوبٌ ذلك في السَّماء.

﴿٢٣﴾ ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ﴾ أي: ما تُوعَدُون ﴿لَحَقٌّ مِّثْلُ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ - بِرَفعِ ﴿مِّثْلُ﴾ صِفةً و﴿مَآ﴾ مَزِيدة، وبِفَتحِ اللَّام مُرَكَّبة مَع ﴿مَآ﴾ -، المَعنَى: مِثلَ نُطقِكُم في حَقِيقَته أي: مَعلُومِيَّته عِندكُم ضَرُورةَ صُدُورِه عَنكُم.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مكتوب ذلك) أي: ما تُوعدون، فهو تفسيرٌ لظرفية ما تُوعَدون في السماء، وأما ظرفيَّة الرزق فيها.. فظاهرةٌ؛ إذ المطرُ فيها حقيقة، والمعنى: أنَّ جميع ما تُوعَدون به من خيرٍ وشرٍّ مكتوبٌ في السماء، تَنزل به الملائكة الموكلون بتدبير العالم على طِبق ما أُمِرُوا به.

قوله: (﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾... إلخ) هذا قسَمٌ من الله تعالى على ما ذكَره من الرزق وغيره، وأنه مِثل النطق في كونه حقًّا لا يُفارق الشخص في حالٍ من الأحوال.

قوله: (أي: ما تُوعدون) أي: ورِزقكم أيضاً.

قوله: (برفع «مثل» صفةً) أي: لـ(حقٍّ)[1].

قوله: (وبفتح اللام) أي: والقراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (مركبة مع «ما») أي: حالَ كونها مركبةً مع (ما) تركيبَ مزجٍ كـ(كُلَّما) و(طالَما)، فيقال في إعرابها: ﴿مِّثْلَ مَآ﴾: صفةٌ لـ(حقٌّ) مبني على السكون في محلِّ رفع، و﴿مِّثْلَ مَآ﴾: مضاف، وجملة ﴿أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ مُضاف إليه في محل جرٍّ.

قوله: (المعنى) أي: معنى القراءتين.

قوله: (مثل نُطقكم في حَقيقته) أي: فكما أنه لا شكَّ لَكم في أنكم تنطقون ينبغي لكم أَلَّا تشكُّوا في حقيقته.

حكي: أنَّ رجلاً جاع بمكان وليس فيه شيءٌ، فقال: اللَّهم؛ رزقَكَ الذي وعدتَني فَأْتِني به، فَشَبع ورَوِيَ من غير طعامٍ ولا شرابٍ.

---

(١) أو خبر ثان مُستقل كالأول، أو إنه مع ما قبله خبرٌ واحد نحو: هذا حلوٌ حامضٌ، نقَلهما أبو البقاء، و(ما) مزيدة على الأوجه الثلاثة. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشُعبة برفع اللام، والباقون بالنصب. انظر «السراج المنير» (٤/ ٩٨).

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾

(﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ ـ خِطابٌ لِلنَّبيِّ ﷺ ـ ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ وهُم مَلائِكةٌ اثنا عَشَر أو عَشرةٌ أو ثَلاثة مِنهُم جبريلُ، ﴿إِذْ﴾ ـ ظَرف لِـ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ﴾ ـ ﴿دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي: هذا اللَّفظ، ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ أي: هذا اللَّفظ، ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لا نَعرِفهُم، قال ذلكَ في نَفسِه، ـ وهو خَبَر مُبتَدأ مُقدَّر أي: هَؤلاء ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ . . . إلخ) استفهامُ تَشويقٍ وتفخيمٍ لِشأن تلك القصة، وقيل: إنَّ (هل) بمعنى (قد)؛ كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١].

قوله: (﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾) الضيفُ في الأصل: مصدر (ضاف)؛ ولِذلك يُطلق على الواحد والجماعة.

قوله: (﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾) أي: المعظَّمين.

قوله: (منهم جبريل) أي: على جميع الأقوال.

قوله: (ظرفٌ لـ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ﴾) هذا أحدُ أوجهٍ في عاملِ الظرف، الثاني: أنه منصوب بما في ﴿ضَيْفِ﴾ من معنى الفعل؛ لِكَونه في الأصل مصدراً، الثالث: أنه منصوبٌ بـ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ (١)، الرابع: أنه منصوب بفعل محذوف، تقديره: اذكُر، ولا يَصح نصبه بـ﴿أَتَىٰكَ﴾؛ لاختلاف الزمانَين.

قوله: (﴿فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾) أي: نُسلِّم عليك سلاماً، وقوله: ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ أي: عليكم سَلام، وعدل إلى الرفع؛ قصداً للثبات، فتحيَّته أحسَنُ من تحيَّتهم.

قوله: (﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾) أي: لا نَعرف من أيِّ بَلدة قدمُوا، وفي (هود): ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [هود: ٧٠]، فمُقتضاه: أنَّ إنكارهم إنما حصَل بعد مجيئه لهم بالعجل وامتناعِهم من الأكل، ومُقتضى ما هنا: أنه قبل ذلك، وحاصل الجمع بين الموضعين: أنَّ الإنكار هنا غيرُهُ فيما تقدَّم؛ فما هنا محمولٌ على عدم العِلم بأنهم من أيِّ جهةٍ، وما تقدَّم محمولٌ على عدم العِلم بأنهم دخَلُوا عليه لِقصد الخير أو الشَّر.

---

(١) أي: إن أريد بإكرامهم أنَّ إبراهيم عليه السلام أكرمَهم بخدمته لهم.

فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ ....

(﴿٢٦﴾ - ﴿٢٨﴾) ﴿فَرَاغَ﴾: مال ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ سِرًّا، ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وفي سُورةِ (هُود): ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩] أي: مَشويٌّ، ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ عَرَض عليهِم الأكلَ فلَم يُجيبُوا، ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أضمَرَ في نَفسِه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ إنَّا رُسُل رَبِّك، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: ذِي عِلم كَثير، وهو إسحاقُ كما ذُكِرَ في (هُود).

(﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾) ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ سارَّةُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾) أي: خدَمِهِ، وكان عامَّةُ مالِه البقر.

قوله: (سرًّا) أي: في خُفية من ضيفه؛ فإنَّ من دأب ربِّ المنزل الكريم أن يُبادِر بالقِرَى في خُفية؛ حذراً من أن يَمنَعه الضيف.

قوله: (﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾) عطف على محذوف، والتقدير: فشَواه.

قوله: (عرَض عليهم الأكل) أشار بذلك إلى أنَّ (ألَا) لِلعَرْضِ، وهو الطلب بلينٍ ورفقٍ؛ كما قال الشاعر: [البسيط]

يا ابنَ الكِرامِ ألاَ تَدْنُو فتُبْصِرَ مَا ... قَدْ حَدَّثُوكَ؛ فَمَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا

قوله: (﴿فَأَوْجَسَ﴾) عطفٌ على ما قدَّره المفسِّر.

قوله: (﴿خِيفَةً﴾) أي: من عدم أكلِهم؛ فإنَّ الضيف إذا لم يَأكل من طعام ربِّ المنزل يَخافُ منه.

قوله: (﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾) أي: لمَّا ظهَر لهم أماراتُ خوفِهِ.

قوله: (إنَّا رسل ربِّك) أي: إلى قومِ لُوط، وقيل: مسح جبريل العِجل بِجناحه، فقام يمشي حتى لحق بأُمِّه، فعرَفهم وأَمِنَ منهم.

قوله: (﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾) أي: لَمَّا سَمعت البشارة المذكورةَ، وكانت في زاوية من زوايا البيت، فجاءت وقالَت ما ذُكِر.

قوله: (سارة) بالتخفيف والتشديد، لُغتان.

فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ....

﴿فِي صَرَّةٍ﴾: صَيحةٍ ـ حال ـ أي: جاءَت صائِحةً، ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: لَطَمَته، ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: لَم تَلِد قَطُّ وعُمرُها تِسع وتِسعُونَ سَنة وعُمرُ إبراهِيمَ مِائة سَنة، أو عُمرُه مِائة وعِشرُونَ سَنة وعُمرُها تِسعُونَ سَنة. ﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ﴾ أي: مِثل قَولنا في البِشارةِ ﴿قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِخَلقِه.

(﴿٣١﴾ ـ ﴿٣٤﴾) ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: شَأنُكُم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: كافِرِين هُم قَوم لُوط؛ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ مَطبُوخٍ بِالنَّار، ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعلَّمةً علَيها اسمُ مَن يُرمَى بِها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ـ ظَرف لَها ـ ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ بِإتيانِهِم الذُّكُورَ مع كُفرِهم.

حاشية الصاوي

قوله: (صيحة) تفسيرٌ لـ﴿صَرَّةٍ﴾، وتقدَّم في (هود) أنها ضَحِكت؛ أي: حاضَت، فلم يكن بين البشارة والولادةِ إلا سنة.

قوله: (﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾) أي: ضربَته بيدها مبسوطةً، أو بأطراف أصابِعها مثل المتعجب، وهي عادةُ النساء إذا أنكرن شيئاً.

قوله: (﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ﴾) أي: أنا عجوزٌ.

قوله: (﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ﴾) منصوب على المصدر بـ﴿قَالَ﴾ الثانية؛ أي: مثل ذلك القول الذي أخبرناك به قال ربك؛ أي: قضى وحكَم في الأزَل؛ فلا تَعجبي منه.

قوله: (﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾) أي: لِما رأى مِن حالهم، وأنَّ اجتماعهم لم يكن لهذه البِشارة فقط.

قوله: (﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾) استدلَّ به على أنَّ اللائط يُرجَم بالأحجار، وكان في تلك المدائن سِت مئة ألف، فأدخل جبريل جناحَه تحت الأرض، فاقتلعها ورفَعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم، ثمَّ قلبها، ثمَّ أرسل الحجارة على مَنْ كان منهم خارجاً عنها.

قوله: (﴿مُّسَوَّمَةً﴾) إمَّا حال من ﴿حِجَارَةً﴾، أو صفةٌ ثانية لها.

فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ....

(﴿٣٥﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ أي: قُرى قوم لُوط ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاكِ الكافِرين، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وهُم لُوطٌ وابنَتاهُ، وُصِفُوا بالإيمانِ والإسلامِ أي: هُم مُصَدِّقون بِقُلُوبِهِم عامِلُونَ بِجَوارِحِهِم الطَّاعات، ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ بعدَ إهلاكِ الكافِرين ﴿ءَايَةً﴾: عَلامةً على إهلاكِهِم ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ فلا يَفعَلُونَ مِثلَ فِعلِهِم.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ ـ مَعطُوف على ﴿فِيهَا﴾ ـ المَعنَى: وجَعَلنا في قِصَّة مُوسى آيةً، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾... إلخ) حكاية من جِهته تعالى لِما جرى على قوم لُوط بطريق الإجمال بعد حكايةِ ما جرَى بين الملائكة مع إبراهيم.

قوله: (أي: قرى قوم لوط) أي: وهي وإن لم تُذكَر دلَّ عليها السياق.

قوله: (﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾) أي: غيرَ أهلِ بيت.

قوله: (وهم لوط وابنتاه) أي: وقيل: كانُوا ثلاثة عشر، مِنهم ابنَتاه.

قوله: (وصفُوا بالإيمان والإسلام) أي: لأنَّ المسلم قد يكون مؤمناً، وقد لا يكونُ.

قوله: (﴿وَتَرَكْنَا﴾) أي: أبقَينا في القُرى.

قوله: (علامة) أي: وهي تلك الأحجار، والصَّخر المتراكم، والماء الأسود المُنتن، يُشاهدها من يَمُرُّ بأرضهم.

قوله: (معطوف على ﴿فِيهَا﴾) أي: على الضمير المجرُور بـ(في).

قوله: (المعنى: وجعلنا... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذفِ مضاف، والمفعول محذوف.

قوله: (﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ﴾) الظرف مُتعلق بـ(آيةً) المحذوف، والمعنى: تركنا في قِصة موسى علامةً في وقت إرسالِنا إيَّاه.

بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ....

مُلتَبِساً ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بِحُجَّةٍ واضِحةٍ، ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ عن الإيمانِ ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ مَع جُنُودِه لِأنَّهم لَهُ كالرُّكنِ، ﴿وَقَالَ﴾ لِموسى: هو ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: طَرَحناهُم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: البَحرِ فغَرِقُوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فِرعَونُ ﴿مُلِيمٌ﴾: آتٍ بِما يُلامُ علَيهِ مِن تكذِيبِ الرُّسُل ودَعوَى الرُّبُوبِيَّة.

حاشية الصاوي

قوله: (مُلتبساً ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الجارَّ والمجرور مُتعلق بمحذوف حال، والباء للملابسة.

قوله: (بحجة واضحة) أي: وهي الآياتُ التسع.

قوله: (كالركن) أي: كرُكن البيت الذي يُعتمد عليه، فسمَّى الجنود ركناً؛ لأنه يحصل بهم التَّقوِّي والاعتمادُ كما يُعْتَمَدُ على الركن.

قوله: (﴿وَقَالَ﴾ لموسى) أي: في شأن موسى.

قوله: (﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾) يحتمل أنَّ (أو) على بابها من الإبهامِ على السامع، أو لِلشك، نزَّل نفسَه مَنزلة الشاك؛ تمويهاً على قومه، ويحتمل أنها بمعنى الواو، وهو الأحسَنُ؛ لأنه قالهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وقال في مَوضع آخر: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

قوله: (﴿وَجُنُودَهُۥ﴾) معطوفٌ على مفعولِ (أخذناه).

قوله: (﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾) الجملة حاليَّةٌ من مفعول (أخذناه)[١].

قوله: (آتٍ بما يُلام عليه) أشار بذلك إلى أنَّ إسناد الإيلام[٢] له مجازٌ عقليٌّ، على حدِّ: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١].

قوله: (من تكذيب الرسل... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الذي يَحصلُ اللَّوم عليه مختلف باعتبار مَنْ وُصِفَ به، فاندفَع بذلك ما يُقال: كيف وُصِفَ فرعون بما وُصِفَ به ذُو النون؟

---

(١) أو من مفعول ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾، وحينئذٍ: فالواو لازمة؛ إذ ليس فيها ذكر ضمير يَعود على صاحب الحال. وانظر «الدر المصون» (١٠/ ٥٥).

(٢) كذا في الأصول، ولعل الصواب: (اللوم).

وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ....

(﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾) ﴿وَفِي﴾ إهلاكِ ﴿عَادٍ﴾ آيةٌ، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خيرَ فِيها؛ لِأنَّها لا تَحمِلُ المَطر ولا تُلَقِّحُ الشَّجَر، وهي الدَّبُور، ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ﴾: نَفسٍ أو مالٍ ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: كالبالي المُتَفَتِّت.

(﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿وَفِي﴾ إهلاكِ ﴿ثَمُودَ﴾ آيةٌ، ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعدَ عَقرِ النَّاقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى انقضاءِ آجالِكُم كما في آيةِ: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، ﴿فَعَتَوْا﴾: تكبَّرُوا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتِثالِه، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعدَ مُضِيِّ الثَّلاثة أيَّام أي: الصَّيحةُ المُهلِكة ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾... إلخ) أي: فما تقدَّم من تقدير المضاف والمفعول يأتي هنا.

قوله: (هي التي لا خير فيها) أي: فالعُقمُ في الأصل: وصفٌ لِلمرأة التي لا تَلِد، وُصفت به الريح من حيث إنها لا تأتي بخير.

قوله: (وهي الدَّبور) وقيل: هي الجَنوب، وقيل: هي النَّكباء، وهي كل ريح هبَّت بين ريحين، والأظهرُ ما قاله المفسِّر؛ لِما في الحديث: «نُصرتُ بِالصَّبا، وأُهلكت عادٌ بالدَّبور»[1].

قوله: (﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾) هذه الجملة في محلِّ المفعول الثاني لـ﴿تَذَرُ﴾، كأنه قال: ما تترك شيئاً إلا مجعولاً كالرَّميم.

قوله: (البالي المُفتَّت) وقيل: الرميم: الرَّماد، وقيل: التراب المدقوق، والمعاني متقاربة.

قوله: (﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾) هذا الترتيب في الذكر فقط، وإلا.. فقولُ الله لهم: (تمتعوا) متأخِّر عن العُتُوِّ.

قوله: (﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾) أي: المذكور في سورة (هود) بقوله: ﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً...﴾ إلخ [هود: ٦٤].

قوله: (أي: الصيحة المُهلكة) أي: فصاح عليهم جبريل، فهلكُوا جميعاً. والصاعقة: تُطلَق على نار تنزل من السماء، وعلى الصَّيحة، وهو المراد هنا.

---

(١) رواه البخاري (١٠٥٣)، ومسلم (٩٠٠) عن سيدنا عبد الله بنِ عباس رضي الله عنهما.

وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ....

﴿وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ أي: بِالنَّهار.

﴿٤٥﴾ ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ﴾ أي: ما قَدَرُوا على النُّهُوض حِينَ نُزُول العَذابِ، ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ على مَن أهلَكَهُم.

﴿٤٦﴾ ﴿وَقَوۡمِ نُوحٖ﴾ ـ بِالجرِّ عَطفٌ على ﴿ثَمُودَ﴾ ـ أي: وفي إهلاكِهِم بِما في السَّماء والأرض آيةٌ، ـ وبِالنَّصبِ ـ أي: وأهلَكنا قَومَ نُوح ﴿مِّن قَبۡلُ﴾ أي: قبلَ إهلاكِ هَؤلاء المَذكُورِين، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾.

(﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾) ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾: بِقُوَّةٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: بالنهار) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ مِن النظر، وقيل: هو من الانتظار، والمعنى: يَنتظرون ما وُعِدُوه من العذاب.

قوله: (على مَن أهلكهم) المناسِبُ أن يقولَ: (وما كانُوا دافِعِين عن أنفسهم العذاب)؛ إذ لا يُتوهَّم انتصارهم على الله، وإنما يُتوَهَّم الفرار منه.

قوله: (بالجرِّ عطف على «ثمود») هذا أحدُ أوجُه، وهو أقربها.

قوله: (وبالنصب) أي: على أنه معمولٌ لمحذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (وأهلكنا)، وفيه أوجُهٌ أُخر، وهذا أحسنُها، وقيل: منصوب بـ(اذكر) مقدراً، والقراءتان سبعيَّتان، وقُرئ شذوذاً بالرفع على أنه مُبتدأ، والخبر محذوف؛ أي: أهلَكناهم[1].

قوله: (﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا﴾) قرأ العامَّة بنصب (السماء) على الاشتغال، وكذا قولُه: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾، وقُرئ شذوذاً برفعهما على الابتداء، والخبر ما بعدهما، والأفصح في النحو قراءةُ العامَّة؛ لِعطف الفعليَّة على الفعليَّة.

قوله: (﴿بِأَيۡيْدٖ﴾) حال من فاعل ﴿بَنَيۡنَٰهَا﴾، والمعنى: بنَيناها حالَ كونِنا مُلتبسين بقوة وبطشٍ، لا بواسطة شيء، بل بقولِ: كن.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو بجر الميم، والباقون بنَصبها، وأبو السمال وابن مقسم وأبو عمرو في رِواية الأصمعي بالرفع. انظر الأقوال في توجيه القراءات في «الدر المصون» (١٠/ ٥٦)

وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ....

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: قادِرُون، يُقالُ: آدَ الرَّجُل يَئِيدُ: قَوِيَ، وأوسَعَ الرَّجُل: صار ذَا سَعةٍ وقُوَّة، ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾: مَهَدْناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ نحنُ.

﴿٤٩﴾ ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ - مُتعلِّق بِقَولِه -: ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: صِنفَينِ كالذَّكرِ والأُنثَى، والسَّماءِ والأرض، والشَّمس والقَمَر، والسَّهلِ والجَبَل، والصَّيف والشِّتاء، والحُلوِ والحامِض، والنُّورِ والظُّلمة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ - بِحَذفِ إحدَى التَّاءَينِ مِن الأصلِ -: فتَعلَمُون أنَّ خالِقَ الأزواج فَردٌ فتَعبُدُونه.

حاشية الصاوي

قوله: (قادِرُون) فسَّر الإيساع بالقادرية؛ إشارةً إلى أن قولَه: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ حال مُؤكدة، وهو من (أوسَع) اللازمِ كـ(أورق الشجر): إذا صار ذا وَرَق، ويستعمل متعدياً والمفعول محذوف؛ أي: لَمُوسعون السماء؛ أي: جاعِلوها واسعة، وعليه: فتكون حالاً مؤسِّسةً. إذا علمتَ ذلك تَعلم أنَّ النسخ التي فيها لفظة (لها) بعد (مُوسعون) غير صحيحة؛ لأنها لا تُناسِبُ إلا استعماله متعدياً، والمفسِّر استعمله لازماً؛ حيث قال: (وأوسع الرجل... إلخ).

قوله: (يقال: آدَ الرجلُ) أي: اشتَدَّ وقوي؛ كما في «المختار»، وبابه (باعَ).

قوله: (مَهدناها) أي: فالفَرش كناية عن البَسط والتَّسوية.

قوله: (نحن) أي: فالمخصوص بالمدح محذوفٌ.

قوله: (مُتعلقٌ بقوله: ﴿خَلَقْنَا﴾) ويَصحُّ أن يكون متعلقاً بمحذوف حال من ﴿زَوْجَيْنِ﴾؛ لأنه نعت نكرة قُدِّم عليها.

قوله: (صِنفين) أي: أمرَين مُتقابلين.

قوله: (كالذكر والأنثى) أشار بتَعداد الأمثلة إلى ما نُشاهده؛ فلا يردُ العرش والكرسي، واللوح والقلم؛ فإنه لم يُخْلَق من كلٍّ إلا واحدٌ.

قوله: (بحذف إحدى التاءين) أي: وهذه إحدى القراءتين السبعيَّتين، والأخرى إدغام التاء الثانية في الذال[1].

(١) قرأ حفص والكسائي بتخفيف الذال، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٠٦).

فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ . . . .

(﴿٥٠﴾ - ﴿٥٣﴾) ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى ثوابِه مِن عِقابه بأن تُطيعُوهُ ولا تعصُوهُ، ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾: بَيِّـنُ الإنـذارِ. ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ - يُقدَّر قَبل ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ (قُل لَهم) -. ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾: هو ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ أي: مِثل تَكذيبِهم لَك بِقولِهِم: إنَّك ساحِر أو مَجنُونٌ تَكذِيبُ الأُمَم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾) مُفرَّعٌ على ما عُلِمَ من توحيد الله، والمعنى: حيث عَلِمتم أنَّ الله واحدٌ لا شريك له، وأنه الضَّارُّ النَّافع، المعطي المانع.. فالجؤُوا إليه، واهرعُوا إلى طاعتِه.

والفرار مَراتب؛ ففرار العامة: من الكفر والمعاصي إلى الإيمان والطاعة، وفرار الخاصَّة: من كلِّ شاغل عن الله - كالمال والولد - إلى شهود الله والانهماكِ في طاعته، لا يَصرف جزءاً من أجزائه لغير الله، فكما أنَّ الله في خلق العبد واحد.. فليَكن العبد في إقباله على ربِّه واحداً؛ بحيث لا يَجعَل في قلبه غيرَ حُبِّ ربِّه، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

قوله: (أي: إلى ثوابه مِن عقابه... إلخ) حَمَله على الفرار العام؛ لأنَّ أوامرَ القرآن ونواهِيَهُ لعامَّة الخلق؛ التي مَن امتثلها.. فقد زُحزح عن النار، وأُدخل الجنة.

قوله: (﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾) تعليل لما قبله، والضميرُ في ﴿مِّنۡهُ﴾ عائدٌ على الله، والمعنى: فرُّوا إليه؛ لأني مُخوِّفٌ لكم منه.

قوله: (﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الطاعة لا تَنفع مع الإشراك؛ ولذا كرَّر قوله: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾، فالفائزُ مَنْ جمع بين الطاعة والتوحيد، والمعنى: لا تَنسبُوا وصفَ الألوهيَّة لغير الله؛ فإنه لا يَستحِقُّه غيره.

قوله: (يقدَّر قبل ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ «قُل لهم») أي: فهو مَقولٌ لقولٍ محذوفٍ، وليس بمتعيِّنٍ؛ إذ يصحُّ أن تكون الفاء فصيحةً، والتقدير: إذا عَلِمتم ما تقدَّم من صفات الله الكماليَّة.. ففروا إلى الله؛ كما تقدَّم.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) خبرٌ مقدَّمٌ، وقوله: ﴿مَآ أَتَى...﴾ إلخ: مبتدأ مؤخَّر، والمعنى: تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم كائنٌ كذلك؛ أي: كتَكذيب أُمَّتك؛ كما أفاده المفسِّر.

قوله: (﴿إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾) تقدَّم أنَّ (أو) بمعنى الواو، وحكمة جمعهم بين الوصفَين:

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ ....

قَبلَهم رُسُلَهم بِقَولِهِم ذلك، ﴿أَتَوَاصَوْا﴾ كُلُّهُم ﴿بِهِۦۚ﴾ - استِفهام بِمَعنى النَّفي - ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ جَمَعَهُم على هَذا القَولِ طُغيانُهم.

(﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾) ﴿فَتَوَلَّ﴾: أعرِضْ ﴿عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ لِأَنَّك بَلَّغتَهُم الرِّسالَةَ، ﴿وَذَكِّرْ﴾: عِظْ بِالقُرآنِ ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مَن عَلِمَ الله تَعالَى أَنَّهُ يُؤمِن.

حاشية الصاوي

أنَّ خروجَه عن عوائدهم وعمَّا عليه آباؤهم، وعدمَ مُبالاتِه بالجمِّ الغفير.. اقتضى تسميتَهُ مجنوناً، وإتيانَه بالمعجزات التي بهَرت عُقولهم.. اقتَضت تسمِيَتَهُ ساحراً.

قوله: (﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ﴾) أي: أوصى بعضُهم بعضاً بهذه المقالة واجتمعُوا عليها؟

قوله: (استفهام بمعنى النفي) أي: فهو إنكاريٌّ تعجبيٌّ، والمعنى: ما وقع منهم تَواصٍ بذلك؛ لأنهم لم يَتلاقوا في زمانٍ واحدٍ.

قوله: (﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾) إضرابٌ عن الاستفهام المتقدِّم، وبيانٌ لحقيقة الباعث لهم على تِلك المقالة.

قوله: (﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾) أي: أعرِضْ عن خطابهم وجِدالِهم.

قوله: (﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾) أي: لا لومَ عليك في الإعراض عنهم؛ فإنَّك قد بلغتَ الغايةَ في النُّصح وإبذال الجهد[1].

ولما نزلت هذه الآية.. حزن رسول الله ﷺ، واشتدَّ الأمرُ على أصحابِه، وظنُّوا أنَّ الوحي قد انقَطع، وأنَّ العذاب قد حَضر؛ إذ أُمِرَ النبي ﷺ أن يتولَّى عنهم - وجرَت عادة الله في الأُمَم السابقة متى أُمِرَ رسولهم بالإعراض عنهم.. حلَّ بهم العذاب - فأنزل الله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فسُرُّوا بذلك[2]؛ ولذلك قيل: إنها ناسخةٌ لِما قبلها، ولكنَّ الحقَّ أنَّ ما قبلها منسوخٌ بآية السيف.

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) تعليلٌ لِقوله: (ذكِّر)، والمعنى: لا تترك التذكير؛ فربما انتفع به مَنْ علم الله إيمانَهُ.

---

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب: (بذل الجهد).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٦١٥) من حديث سيدنا علي رضي الله عنه، وانظر «تفسير الطبري» (٢٢/ ٤٤٣).

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ....

(﴿٥٦﴾ - ﴿٥٨﴾) ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ولا يُنافِي ذلك عَدَم عِبادةِ الكافِرين؛ لِأنَّ الغاية لا يَلزَم وُجودُها كما في قَولك: بَريتُ هذا القَلَم لِأكتُبَ بِه؛ فإنَّك قَد لا تَكتُبُ بِه، ....

حاشية الصاوي

ويُؤخذ من الآية: أنَّ البلاء لا يَنزل بقوم وفيهم المتذكِّرُون؛ لِما ورَدَ: أنَّ الله يطَّلع على عُمَّار المساجد، فيَرفع العذاب عن مستحقِّيه[1].

قوله: (﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾) أي: لا لطلبِ الدنيا والانهماكِ فيها.

قوله: (ولا يُنافي ذلك) أي: الحصرَ المذكورَ، وهو جوابٌ عن سؤال مقدَّر، حاصله: أنَّ الله تعالى حصَر الجنَّ والإنس في العبادة، فمُقتضاه أنه لا يخرج أحدٌ عنها، مع أنه شُوهد كثيرٌ من الخلق كفَرَ وتركَ العبادةَ، فأجاب المفسِّر: بأنَّ اللام للغاية والعاقبة، لا لِلعِلَّة الباعثة؛ لأنَّ الله لا يَبعَثه شيءٌ على شيءٍ.

وقوله: (فإنك قد لا تكتب به) اعترِضَ: بأنَّ هذا مسلَّمٌ في أفعال المخلُوقين؛ لجهلهم بعواقب الأُمور، وأمَّا في حقِّ الله تعالى.. فلا يصحُّ التخلُّف في فعله، بل مُقتضاه أنه عالمٌ بأنهم سيَعبدونه ولا بدَّ، ولا يُمكن تخلُّفه في البعض.

فالجواب الصحيح أن يقالَ: إنَّ الله تعالى خلق الخلقَ، وجعَلهم مُهيَّئين صالحين للعبادة؛ بأن ركَّب فيهم عقلاً وحواسَّ، وجعلَهم قابِلين للعبادة والطاعة، وبعد ذلك اختار لِعبادته وطاعته مَنْ أحبَّ منهم؛ فلا يَلزم من الصلاحيَة للعبادة وقوعُهَا منهم بالفعل.

وقيل: معنى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: لآمرهم وأكلِّفهم بِعبادتي، لا لِيَهتمُّوا بالرزق، ويَنهمكُوا في خدمة الدنيا، وهذا على حدِّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقيل: معناه: إلا ليوحِّدون؛ فالمؤمنُ يُوحِّده طوعاً، والكافر يُوحِّدُه كرهاً.

وقيل: إنه عامٌّ أريد به الخُصوص، والمعنى: وما خلقتُ الجنَّ والإنس المؤمنين إلا ليعبدوه؛ بدليل القراءة الشاذة: (وما خلقت الجن والإنس مِن المؤمنين)[2].

---

(١) روى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ١٨٠) عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال: يَقول الله تعالى: «إني لأهمُّ بعذاب أهل الأرض، فإذا نظرتُ إلى جُلَساء القرآن وعُمَّار المساجد ووِلدان الإسلام.. يَسكن غضبي».

(٢) وهي قراءة سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما؛ كما في «تفسير البغوي» (٧/ ٣٨٠).

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ....

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ لِي ولأنفُسِهم وغيرِهم، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ ولا أنفُسَهم ولا غيرَهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾: الشَّديدُ.

(﴿٥٩﴾ - ﴿٦٠﴾) ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أنفُسَهم بِالكُفرِ مِن أهل مكَّةَ وغَيرِهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ لي ولا لأنفُسِهم) دفَع المفسِّر بقوله: (لي) ما يُتوهَّم من عادةِ سادات العبيد في احتياجهم لِمَكاسب عبيدهم، فالمعنى: أنَّ عادة الله سبحانه وتعالى ليست كعادةِ السادات مع عَبِيدهم؛ فإنهم يَملكونهم؛ لِيَستَعينُوا بهم في تحصيل مَعايشهم.

قوله: (﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾) إن قُلتَ: إنَّ هذا يُغني عنه ما قبله.

أجيب: بأنَّه أتى به؛ لِدَفع توهُّم ما عليه ساداتُ العبيد الأغنياء من احتياجهم للاستعانة بهم في صُنعِ الطعام مثلاً وتهيئتِه ونحو ذلك، فكأنه قال: شأنُ ربنا ليس كشأن السادات مع عَبِيدهم، فليس محتاجاً لِعَبيده في تحصيل رزقٍ ولا في صُنعه، لا له ولا لغيره، وهذا من تنزُّلات الحقِّ سبحانه وتعالى لِضُعفاء العقول، وإلا.. فيَستحيل على الله عقلاً تلك الأوصاف، ولا يُنْفَى في نفس الأمر إلا ما جَوَّزه العقل.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾) أتى بالاسم الظاهر؛ لِلتَّفخيم والتعظيم، وأكَّد الجملة بـ(إنَّ) والضميرِ المنفصلِ؛ لِقَطع أوهام الخَلق في أمور الرزق، ولِيَقوى اعتمادهم عليه.

قوله: (﴿ٱلْمَتِينُ﴾) العامَّة على رفعه، وهو إما نعتٌ لـ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾، أو لـ﴿ذُو﴾، أو خبر بعد خبر، وقُرِئ شذوذاً بالجرِّ[1].

قوله: (الشديد) أي: الذي لا يَطرأ عليه ضعفٌ ولا عجزٌ.

قوله: (﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾... إلخ) أي: فلا تَحزَن على كُفر قومك، وتَسَلَّ عنهم، فلا بدَّ لهم من العذاب.

---

(١) وبها قرأ يحيى بن وَثاب والأعمش؛ فقيل: صفة لـ(القوة)، وإنما ذكَّر وصفها؛ لِكون تأنيثها غيرَ حقيقي، وقيل: لأنها في معنى الأيد، وقال ابن جني: هو خفض على الجوار؛ كقولهم: (هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ) يعني أنه صفة للمرفوع، وإنما جرَّ لما جاور مجروراً، وهذا مرجوح؛ لإمكان غيره، والجوارُ لا يُصار إليه إلا عند الحاجة. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٦٠).

﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾

﴿ذَنُوبًا﴾: نَصِيباً مِن العَذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ﴾: نَصِيبِ ﴿أَصْحَـٰبِهِمْ﴾ الهالِكِينَ قَبلَهم، ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ بِالعَذابِ إن أَخَّرتُهم إلى يَوم القِيامةِ، ﴿فَوَيْلٌ﴾: شِدَّةُ عَذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن﴾: في ﴿يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي: يَومِ القِيامة.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَنُوبًا﴾) هو في الأصل: الدَّلو العظيم، شُبِّه به النصيبُ من العذاب؛ إشارةً إلى أنه يُصَبُّ عليهم كما يُصَبُّ الذَّنوب، قال تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

قوله: (﴿أَصْحَـٰبِهِمْ﴾) أي: نُظَرائهم من الأُمَم السابقة.

قوله: (﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) وضع الموصولَ موضعَ ضَميره؛ تسجيلاً عليهم بالكفر[١]، وإشعاراً بِعِلة الحكم.

قوله: (شِدَّةُ عذابٍ) وقيل: وادٍ في جهنَّم.

قوله: (﴿ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾) هو مُرتَبط بِقَوله تعالى فيما تقدَّم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ...﴾ إلخ.

فائدة:

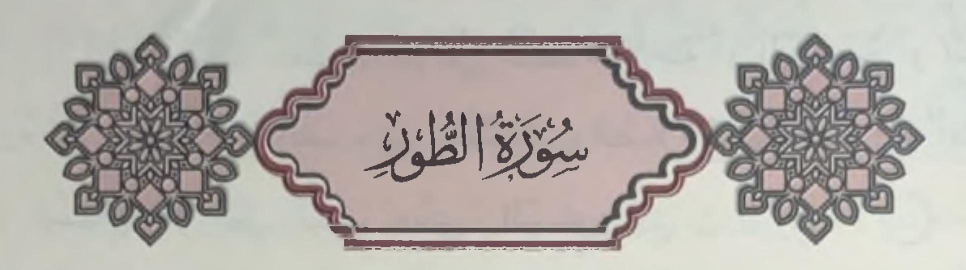
قد تلقَّينا عن الصالحين فوائدَ في استعمال هذه السورة العظيمة، كلُّها مُجرَّبةٌ، منها: استعمالها إحدى وأربعين مرَّة على وضوءٍ في مَجلس واحد؛ لِتَفريج السجن، وقضاءِ الدين، وتيسير الرزق، والانتصار على الخَصم، والأمنِ مِن كُل هولٍ دنيا وأخرى، واستِعمالُها ستين مرَّةً عددَ آياتها أبلَغُ في تلك المطالب.

✿ ✿ ✿

---

(١) أي: تثبيتاً وتحقيقاً حتى لا يتأتى منهم الإنكار.

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ ....



مكيَّة، تسعٌ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ - ٣) ﴿وَالطُّورِ﴾ أي: الجَبَل الذِي كَلَّمَ الله علَيهِ مُوسى، ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ أي: التَّوراةِ أو القُرآن.

حاشية الصاوي

سورة الطور

وفي نسخة: (سورة «والطور»).

قوله: (﴿وَالطُّورِ﴾ . . . إلخ) أقسَم الله سبحانه وتعالى بخمسة أقسام؛ تعظيماً للمُقسَم عليه، وهو قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾، وتعظيماً لِلمُقسَم به أيضاً؛ فإنَّ تلك الأشياءَ الخمسةَ عظيمةٌ. والواو في كلٍّ إمَّا للقسَم، أو لِلعطف فيما عدَا الأول.

قوله: (أي: الجبلِ الذي كلَّم الله عليه موسى) أي: والمرادُ به طورُ سيناء، وهو أحدُ جبال الجنة، وأقسَم الله به تشريفاً له وتكريماً.

قوله: (﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾) أي: مُتَّفقِ الكتابة بِسُطورٍ مصفوفةٍ في حروفٍ مُترتبةٍ جامعةٍ لكلماتٍ مُتَّفقةٍ.

قوله: (﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾) الرَّقُّ: الجلد الرقيق الذي يُكتَب فيه، وهو كلُّ ما يكتب فيه، جلداً كان أو غيرَه، وهو بفتح الراء في قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بكسرها[1]، ومعنى (المنشور): المبسوط؛ أي: أنه غيرُ مطويٍّ، وغيرُ مَحجورٍ عليه.

قوله: (أي: التوراة، أو القرآن) هذان قَولان من جُملة أقوال كثيرة في تفسير (الكتاب

(١) وبها قرأ أبو السمال، وهي لغة فيه. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٦٤).

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ ....

(٤ - ٦) ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ هو في السَّماء الثَّالِثة أو السَّادِسةِ أو السَّابعة بِحِيالِ الكَعبةِ، يَزُورهُ كُلَّ يومٍ سَبعُون ألفَ مَلَك بِالطَّوافِ والصَّلاة لا يَعُودُون إليهِ أبداً، ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ أي: السَّماءِ، ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ أي: المَملُوء.

حاشية الصاوي

المسطور)، وقيل: هو صحائفُ الأعمال، قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]، وقيل: سائرُ الكُتب المنزَّلة على الأنبياء، وقيل غير ذلك.

قوله: (هو في السماء الثالثة) وقيل: هو في الأُولى، وقيل: هو في الرابعة، وقيل: هو تحت العرش فوق السابعة، وقيل: هو الكعبة نفسُها، وعِمارتها بالحُجاج والزائرين لها؛ لما وردَ: أنَّ الله يَعمرها كلَّ سنة بست مئة ألف؛ فإن عجَز الناس عن ذلك.. أتمَّه الله بالملائكة[1].

قوله: (بحيال الكعبة) أي: مقابلاً لها بإزائها على كلِّ قولٍ.

قوله: (يزوره... إلخ) بيانٌ لِتسميته معموراً.

قوله: (أي: السماء) أي: لأنها كالسقف للأرض، وقيل: هو العرش، وهو سَقف الجنة.

قوله: (﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾) أي: وهو البَحر المحيط، ومعنى ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾: الممتلئ ماءً، وقيل: (البحر المسجور) هو الممتلئ ناراً؛ لما وردَ: أنَّ الله تعالى يَجعل البِحار كلَّها يوم القيامة ناراً، فيزاد حَجمها في نار جهنم[2]، وقيل: هو بحرٌ تحت العرش كما بين سبع سموات إلى سبع أرضِين، فيه ماءٌ غليظٌ يُقال له: بحر الحيوان، يُمْطَرُ العبادُ بعد النَّفخة الأولى منه أربعين صباحاً، فيَنبتون من قُبورهم[3].

---

(١) كذا في «تفسير القرطبي» (١٧/ ٦٠) عن الحسن رحمه الله تعالى.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ٣٨٦)، و«زاد المسير» (٤/ ١٧٦).

(٣) أورده البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٦) عن سيدنا علي رضي الله عنه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٠) بلفظ: «البحر المسجور: بحر في السماء تحت العرش»، وروى أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٥٢): عن الربيع رحمه الله تعالى، في قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: (فلما خلق الله السماوات والأرض.. قسم ذلك الماء قسمَين: الذي كان عليه عرشه، فجعل نِصفه تحت العرش وهو البحر المسجور؛ فلا تَذهب منه قطرة حتى يُنفخ في الصور، فإذا نفخ في الصور.. أنزل ماء مِثل الطَّل على الأرض، فتنبت منه أجسام من هو مَبعوث من الجن والإنس).

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ ....

(﴿٧﴾ - ﴿١٢﴾) ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: لَنازِل بِمُستَحِقِّه، ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ عنهُ. ﴿يَوْمَ﴾ - مَعمُول لِـ(واقِع) - ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾: تَتحرَّك وتَدُور، ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾: تَصِير هَباءً مَنثُوراً، وذلك في يَوم القِيامة، ﴿فَوَيْلٌ﴾: شِدَّةُ عَذاب ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: لِلرُّسُل، ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ﴾: باطِل ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي: يَتَشاغلُون بِكُفرِهِم.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (معمول لـ«واقع») أي: والجملة المنفيَّة مُعترضةٌ بين العامل ومعموله.

قوله: (تتحرك وتَدور) أي: كدَوَران الرحى، وتجيء وتذهب، ويَدخل بعضها في بعض، وتختلف أجزاؤها، وتتكفَّأ بأهلها تكفُّؤَ السفينة.

قوله: (تصير هباءً منثوراً) ليس تفسيراً لـ(تَسير) كما تُوهِمه عبارته، بل معناه: أنها تَنتقل عن مكانها، وتطير في الهواء، ثم تقع في الأرض مُفتَّتة كالرمل، ثمَّ تَصير كالعهن - أي: الصُّوف - المنْدُوف، ثمَّ تُطيرها الرياح فتصير هباءً منثوراً.

والحكمةُ في مَوْرِ السماء وسَير الجبال: الإعلام بأنه لا رجوعَ ولا عَوْدَ إلى الدنيا؛ وذلك لأنَّ الأرض والسماء وما بينهما إنما خُلِقَت لِعمارة الدنيا وانتفاع بني آدم بذلك، فلمَّا لم يَبْقَ لهم عودٌ إليها.. أزالها الله؛ لِخراب الدنيا وعمارة الآخرة، فيَحصل للمؤمنين مزيدُ سُرورٍ وطمأنينةٍ، وللكافرين غايةُ الحُزن والكرب.

قوله: (﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ﴾) أي: يوم تمور السماء مَوراً وتسير الجبال سيراً، وهو يومُ القيامة.

قوله: (﴿فِى خَوْضٍ﴾) هو في الأصل: الدخول في كلِّ شيءٍ، ثمَّ غلَب على الدخول في الباطل؛ فلِذا فسَّره به.

قوله: (﴿يُدَعُّونَ﴾) العامَّة على فتح الدال وتشديد العين؛ من: (دَعَّهُ): دفَعه في صدره بعُنفٍ وشدَّة، وقرئ شذوذاً بسكون الدال وتخفيف العين المفتوحة؛ مِن: الدعاء؛ أي: يُقال لهم: هَلُمُّوا فادخلُوا النار[1].

(١) وبها قرأ علي والسلمي وأبو رجاء وزيد بن علي. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٦٧).

هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ....

يُدفَعُون بِعُنفٍ - بَدَل مِن ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾ - ويُقالُ لَهُم تبكِيتاً: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ العَذابُ الذِي تَرونَ كما كُنتُم تَقُولُون في الوحيِ: هذا سِحرٌ، ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ﴾ علَيها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾، صَبرُكُم وجَزَعُكُم ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لِأنَّ صَبرَكُم لا يَنفَعكُم، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جَزاءَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (يدفعون بعنف) أي: وذلك بأن تُغَلَّ أيدِيهم إلى أعناقهم، وتُجْمَعَ نَواصيهم إلى أقدامهم، فيُدفعون إلى النار.

قوله: (كما كُنتم تقولون في الوحي) أي: القرآنِ الجائي بالعذاب.

قوله: (﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾) يَصحُّ أن تكون (أم) متصلةً معادلةً للهمزة، والمعنى: هل في أمرِنا سحر أم هل في بصَرِكُم خلل؟ والاستفهام إنكاريٌّ وتهكُّم؛ أي: ليس واحدٌ منهما ثابتاً، ويصحُّ أن تكون (أم) منقطعةً تُفسَّر بـ(بل) والهمزة، والمعنى: أبل أنتُم عُميٌ عن العذاب المخبر به كما كُنتم عُمياً عن الخبر؟

قوله: (﴿ٱصْلَوْهَا﴾) أي: ذُوقُوا حرارتها.

قوله: (صبركم وجزَعكم ﴿سَوَآءٌ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿سَوَآءٌ﴾ خبرٌ لمحذوفٍ، ويصحُّ أن يكونَ مبتدأً، خبرُهُ محذوفٌ، والتقدير: سواءٌ الصبرُ والجزعُ، والأول أولى؛ لأنَّ جعْلَ النكرة خبراً أَولى من جعلها مبتدأ.

قوله: (لأنَّ صبركم لا يَنفعكم) أي: لانتزاعكم من دِيوان الرحمة، بخلاف الدنيا؛ فإنَّ الصبرَ فيها على المكاره من أعظَمِ مُوجبات الرحمة.

قوله: (﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) تعليلٌ لاستواء الصبر وعدمِهِ.

قوله: (أي: جزاءه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذفِ مضاف.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم ....

(﴿١٧﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ﴾: مُتلَذِّذِين ﴿بِمَا﴾ - مَصدريَّة - ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾: أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ - عَطفٌ على ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾ - أي: بإيتائِهم ووِقايَتِهم، ويُقالُ لَهُم: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ - حالٌ - أي: مُهَنَّئِين ﴿بِمَا﴾ - الباءُ سَببيَّة - ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ﴾ - حالٌ مِن الضَّمِير المُستَكِنِّ في قَولِه: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ - ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بَعضُها إلى جَنبِ بَعض، ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ - عطف على ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ﴾... إلخ) مُقابل قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، وإنما أتى بأوصاف المتقين عقبَ أوصاف المكذِّبين؛ لِيَحصل الترغيب والترهيب، كما هو عادتُه سبحانه وتعالى.

قوله: (﴿وَنَعِيمٍ﴾) أي: تنعُّمٍ بتلك الجنات؛ إذ لا يَلزم من كونه في جنَّات أنه يَتنعَّم بها، فأفاد أنهم مع كونهم في جناتٍ يَتنعَّمون ويتفكَّهون بها.

قوله: (﴿فَٰكِهِينَ﴾) العامَّة على قراءته بالألف؛ أي: ذَوِي فاكهة كثيرة؛ كما يقال: لابنٌ وتامِرٌ؛ أي: ذو لبنٍ وتمرٍ، وقرئ شذوذاً: (فَكِهِين) بغير ألف؛ أي: مُتنعِّمين مُتلذِّذين[1]. إذا علمتَ ذلك.. فالمناسب لِلمفسِّر تفسيرُه بـ(ذوي فاكهة)، لا بـ(مُتلذذين).

قوله: (أي: بإتيانهم ووقايتهم) إنما جعَلها مصدريَّةً في المعطوف والمعطوف عليه؛ لما يَلزم عليه من خُلُوِّ الصلة في المعطوف عن العائد لو جُعِلَتْ موصولةً. والأحسَنُ أن تُجعَلَ موصولةً، ويُجعل قوله: ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ معطوفاً على قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾[2].

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) «ما»: مصدرية، والباء: سببيَّة، والمعنى: أنَّ الملائكةَ تقول لأهلِ الجنة: كلُوا واشربُوا مُتَهَنِّئِينَ بسبب عَمَلِكم، وهذا من مَزيد السرور والتكرمة، على حسَب عادة الكرام في منازلهم، وإلا.. فذلك من فضلِ الله وإحسانه.

قوله: (﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾) جمع (سَرير)، قال ابن عباس: هي سُرُرٌ من ذهب، مُكلَّلةٌ بالدُّرِّ والزبرجد والياقوت، والسرير كما بين مَكَّة وأيلةَ، وورد: أنَّ ارتفاع السرير خمسُ مئة عام، فإذا أراد العبد

(١) وبها قرأ الحسن وغيره؛ كما في «تفسير القرطبي» (١٧/ ٦٥).

(٢) أو تجعل جملة ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ مستأنفة، أو حالية بتقدير (قد). «فتوحات» (٤/ ٢٢٢).

﴿بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ....

أي: قرنَّاهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾: عِظامِ الأعيُن حِسانِها.

(٢١) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ - مُبتَدأ - ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا۟﴾ - ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ الصِّغارُ والكِبار ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ مِن الكِبار ومِن الآباء في الصِّغار، والخبرُ: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المَذكُورِين في الجنَّة، فيَكُونُون في دَرَجتِهم وإن لَم يَعملُوا بِعمَلِهم تكرِمةً لِلآباءِ بِاجتِماعِ الأولاد إلَيهِم، ....

حاشية الصاوي

أن يجلس عليها. . قرُبت منه، فإذا جلس عليها عادت إلى مَآلها[١]. وفي الكلام حذفٌ، تقديره: على نمارقَ على سُررٍ.

قوله: (أي: قرنَّاهم) أي: جعَلناهم مُقارِنين لهنَّ، وفي ذلك إشارةٌ إلى جوابِ سؤالٍ مقدَّرٍ، تقديره: أنَّ الحُورَ العين في الجنَّات مملوكاتٌ بملك اليَمين لا بعقد النكاح، فأجاب: بأنَّ التزويج ليس بمعنى عَقدِ النكاح، بل بمعنى المقارنة[٢].

قوله: (عِظام الأعين) تفسيرٌ لـ﴿عِينٍ﴾ جمع (عَيناء)، وأمَّا (الحُورُ). . فهو من الحَوَرِ، وهو شِدَّة البياض.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) مبتدأٌ، خبره قوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، والذريَّة: تُطلَق على الأصول والفُروع، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١].

والمعنى: أنَّ المؤمنَ إذا كان عملُه أكثرَ أُلْحِقَ به مَنْ دُونه في العمل؛ ابناً كان أو أباً، ويُلْحَقُ بالذريَّة من النسَب الذريَّةُ بالسبَب وهو المحبَّة، فإن حصَل مع المحبة تعليمُ عِلم أو عمل. . كان أحقَّ باللُّحوق؛ كالتلامذة فإنهم يَلحَقون بأشياخهم، وأشياخُ الأشياخِ يَلحَقون بالأشياخ إن كانُوا دُونَهم في العمل، والأصلُ في ذلك عُمومُ قوله ﷺ: **«إذا دخَل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ. . سأل أحدُهم عن أبوَيه وزَوجته وولده، فيُقال: إنهم لم يُدركُوا ما أدركْتَ، فيقول: يا ربِّ؛ إني عَمِلتُ لي ولهم، فيُؤمَرُ بإلحاقهم به»**[٣].

---

(١) انظر الخبرين في «تفسير القرطبي» (١٧/ ٦٦).

(٢) ويُؤيِّده: أنَّ التزويج بمعنى العقد يتعدَّى بنفسه، لا بالباء. «فتوحات» (٤/ ٢٢٣) عن العلامة الكرخي.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٦٤٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا ....

﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾ - بفتحِ اللّامِ وكَسرِها -: نَقَصناهُم ﴿مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن﴾ - زائِدة - ﴿شَيۡءٖ﴾ يُزادُ في عَمَلِ الأولادِ، ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ﴾ مِن عَمَلِ خيرٍ أو شَرٍّ ﴿رَهِينٞ﴾: مَرهُونٌ يُؤاخَذ بِالشَّرِّ ويُجازَى بِالخير.

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم﴾: زِدناهُم في وَقتٍ بَعد وَقت ﴿بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ وإن لَم يُصَرِّحُوا بِطَلَبِه، ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾: يَتَعاطَون بَينَهم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنَّةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح اللام وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان؛ فالأُولى من باب (عَلِم)، والثانية من باب (ضَرَب)[1].

قوله: («مِن» زائدة) أي: في المفعول الثاني.

قوله: (يزاد في عمل الأولاد) أي: لم نأخذ مِن عمل الآباء شيئاً نَجعلُه للأولاد، فيَستحقون به هذا الإكرام، بل عملُ الآباء باقٍ لهم بِتَمامه، وإلحاقُ الذريَّة بهم بِمَحض الفضل والكرم.

قوله: (﴿رَهِينٞ﴾) أي: مَرهونٌ عند الله تعالى، كأنَّ نفس العبد مَرهونةٌ عند الله بعمله الذي هو مُطالَبٌ به، فإن عمل صالحاً فكَّها من الرهن، وإلّا.. أهلَكها؛ كما يَرهن الرجل رقبةَ عبدِه بِدَينٍ عليه، فإن وفَّى ما عليه خلَّص رقبتَه من الرهن، وإلا.. استمرَّ مَرهوناً.

قوله: (في وقت بعد وقت) أخَذه من لفظ (الإمداد).

قوله: (ولم يصرحُوا بطلبه) أي: بل بمجرَّد ما يَخطُر ببالهم يقدَّم إليهم؛ لما ورد: «أنَّ الرجل يشتهي الطيرَ في الجنة، فيَخِرُّ مثلَ البُخْتِيِّ حتى يقعَ على خِوَانِهِ، لم يُصِبه دخانٌ، ولم تمسَّه نارٌ، فيأكل منه حتى يَشبع، ثم يَطير»[2].

قوله: (يَتعاطون بينهم) أي: يَتجاذَب بعضهم الكأس من بعضٍ، ويُناوِل بعضُهم بعضاً؛ تلذُّذاً وتآنساً، وهو المؤمن وزوجاتُه وخدَمُهُ في الجنة.

---

(١) قرأ ابن كثير بكسر اللام، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١١٩) عن سيدتنا مَيمونة رضي الله عنها.

كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ....

﴿كَأْسًا﴾: خمراً ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: بِسَبَبِ شُربها يقع بينهم، ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ به يَلحَقُهُم بِخِلافِ خمرِ الدُّنيا، ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ لِلخِدمةِ ﴿غِلْمَانٌ﴾: أرِقَّاء ﴿لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حُسناً ولَطافة ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾: مَصُونٌ في الصَّدَف لِأنَّهُ فِيها أحسَنُ مِنهُ في غَيرِها.

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: يَسألُ بَعضُهم بَعضاً عمَّا كانُوا عليهِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَأْسًا﴾) الكأس هو: إناء الخمر، وكلُّ كأسٍ مملوءٌ من شرابٍ أو غيره، فإذا فرغ لم يُسَمَّ كأساً.

قوله: (﴿غِلْمَانٌ﴾ أرقَّاءُ ﴿لَّهُمْ﴾) أي: كالأرقَّاء في الحيازة والاستيلاء، وهؤلاء الغِلمان يخلقهم الله في الجنة كالحُور، وقيل: هُم الأولاد من أطفالهم الذين سبقُوهم، فأقرَّ الله تعالى أعيُنَهم بهم، وقيل: هُم أولاد المشركين.

وليس في الجنَّة نَصَبٌ ولا حاجةٌ إلى خِدمة، بل هو من مَزيد التنعيم، قال عبدُ الله بن عمر: (ما من أحدٍ من أهل الجنة إلا يَسعى عليه ألفُ غلامٍ، وكلُّ غلامٍ على عمَلٍ غير ما عليه صاحِبُه)[1].

وروي: أنَّ رسول الله ﷺ لَما تلا هذه الآية.. قالُوا: يا رسول الله؛ الخادمُ كاللؤلؤ المكنُون، فكيف المخدوم؟ قال: «فضلُ المخدُوم على الخادم كفضل القمر ليلةَ البَدر على سائر الكواكب»[2]، ورُوي: «أنَّ أدنى أهل الجنة منزلةً مَن يُنادي الخادم من خَدَمه، فيُجيبه ألف بِبابه: لبَّيك، لبيك»[3].

وطوافُ الغِلمان عليهم بالفواكه والتُّحَف والشراب، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات: ٤٥].

قوله: (مَصونٌ في الصدف) جمع (صَدَفةٍ) وهي: غِشاء الدُّرِّ.

قوله: (عما كانُوا عليه) أي: في الدنيا.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٨٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/٤٧٦).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/١٢٩) بسَنده عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ....

وما وصَلُوا إلَيهِ تَلَذُّذاً واعتِرافاً بالنِّعمةِ، ﴿قَالُوٓاْ﴾ إيماءً إلى عِلَّة الوُصُول: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا﴾ في الدُّنيا ﴿مُشۡفِقِينَ﴾: خائِفِينَ مِن عَذابِ الله، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ بالمَغفِرةِ ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: النَّارِ لِدُخُولِها في المَسامِّ، وقالُوا إيماءً أيضاً:

﴿٢٨﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ﴾ أي: في الدُّنيا ﴿نَدۡعُوهُ﴾ أي: نَعبُدُهُ مُوَحِّدِين ﴿إِنَّهُۥ﴾ - بالكَسرِ استِئنافاً، وإن كانَ تَعلِيلاً مَعنًى، وبِالفَتحِ تَعلِيلاً لَفظاً - ﴿هُوَ ٱلۡبَرُّ﴾: المُحسِنُ الصَّادِق في وَعدِه، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: العَظِيمُ الرَّحمةِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وما وصلُوا إليه) أي: مِن نعيم الجنة.

قوله: (﴿قَالُوٓاْ﴾) أي: قال المسؤول للسائل.

قوله: (إيماءً) أي: إشارةً.

قوله: (إلى عِلة الوصول) أي: ومَحطُّها قوله: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾.

قوله: (﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا﴾... إلخ) أي: وشأنُ مَن كان في أهله وعزوته أن يكون آمناً، فخوفُهم من الله في تلك الحالة دليلٌ على خوفهم في غيرها بالأَوْلى، فهم دائماً خائفُون، ويحتمل أنَّ قوله: ﴿مُشۡفِقِينَ﴾ من الشفقة، وهي الرِّفق؛ أي: نَرفقُ بأهلنا وغيرهم.

قوله: (لدخولها في المسامِّ) هذا بيانٌ لوجه تَسميتها سموماً؛ فالسَّموم من أسماء جهنَّم، وهي في الأصل: الرِّيح الحارَّة التي تتخلَّل المسامَّ.

قوله: (وقالُوا إيماء أيضاً) أي: إلى عِلَّة وُصولهم إلى النَّعيم، ومحطُّ العلَّة قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قوله: (أي: نعبده) أي: أو نَسأله الوقايةَ من النَّار، ودخولَ دار القرار.

قوله: (وبالفتح تعليلاً لفظاً) أي: والقراءتان سبعيَّتان[1].

---

(١) قرأ نافع والكسائي بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٤/١١٦).

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ....

﴿٢٩﴾ ﴿فَذَكِّرْ﴾: دُمْ على تَذكِيرِ المُشرِكِينَ ولا تَرجِعْ عَنهُ لِقَولِهِم لَكَ: كاهِنٌ مَجنُونٌ، ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾: بِإنعامِهِ علَيكَ ﴿بِكَاهِنٍ﴾ ـ خَبَر (ما) ـ ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ ـ مَعطُوف علَيهِ ـ.

(﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾) ﴿أَمْ﴾ بَل ﴿يَقُولُونَ﴾: هُو ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: حَوادِثَ الدَّهرِ فيَهلَكَ كغَيرِه مِن الشُّعَراء، ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾ هَلاكِي ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ هَلاكَكُم، فعُذِّبُوا بِالسَّيفِ يَومَ بَدر. والتَّرَبُّص الانتِظارُ.

(﴿٣٢﴾ - ﴿٣٤﴾) ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾: عُقُولُهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ أي: قَولِهم لَهُ: ساحِرٌ كاهِنٌ شاعِرٌ مَجنُون؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾) الباء: سببيَّة مُرتبطة بالنفي المستفاد من (ما)، والمعنى: انتفى كونك كاهناً أو مجنوناً بِسبب إنعام الله عليك بِكَمال العقل وعُلُوِّ الهمَّة والعصمة.

قوله: (﴿بِكَاهِنٍ﴾) أي: مُخبرٍ بالأمور المغيَّبة من غير وحيٍ.

قوله: (خبر «ما») أي: فهي حِجازيَّة، والباء: زائدةٌ في خبرها.

قوله: (﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾) اعلَم: أنَّ (أم) ذكرت في هذه الآيات خمسَ عشرةَ مرة، وكلُّها تقدَّر بـ(بل) والهمزة، فهي للاستفهامِ الإنكاري التَّوبيخي. إذا علمتَ ذلك.. فالمناسبُ لِلمفسِّر أن يُقدِّرها في الجميع بـ(بل) والهمزة.

قوله: (حوادث الدهر) في الكلام استعارةٌ تصريحيَّةٌ؛ حيث شُبِّهت حوادثُ الدهر بالرَّيب الذي هو الشكُّ؛ بِجامع التحيُّر وعدمِ البقاء على حالةٍ واحدةٍ في كلٍّ، وقيل: (المنون): المنيَّة؛ لأنها تَنقص العدد، وتَقطع المدَد.

قوله: (﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾) أمرُ تهديدٍ، على حدِّ: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

قوله: (﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾) جمع (حِلم)، يُطلق على الأَناة، وعلى العقل، وهو المراد هنا.

قوله: (أي: قَولهم له: شاعر كاهن مجنون) أي: وهذا تناقضٌ؛ فإنَّ شأنَ الكاهن أن يكون ذا فِطنةٍ ورأيٍ، وشأنُ الشاعر والساحر كذلك، ونِسبتُهم الجنون له بعد ذلك مناقضةٌ.

أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ....

أي: لا تَأمُرهُم بِذلك، ﴿أَمْ﴾: بَل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بِعِنادِهِم، ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾: اختَلَقَ القُرآنَ؟ لَم يَختَلِقهُ ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ استِكباراً. فإن قالُوا: اختَلَقَهُ ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ﴾ مُختَلَقٍ ﴿مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ في قَولِهِم.

﴿٣٥﴾ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ أي: خالِقٍ، ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ أنفُسَهم؟ ولا يُعقَلُ مَخلُوق بِغَيرِ خالِق، ولا مَعدُومٌ يَخلُق، فلا بُدَّ لَهُم مِن خالِق هو الله الواحِدُ، فلِمَ لا يُوَحِّدُونَهُ ويُؤمِنُون بِرَسُولِه وكِتابِه؟!

(﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ولا يَقدِرُ على خَلقِهما إلّا اللهُ الخالِق فلِمَ لا يَعبُدُونَه؟ ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ بِه، وإلّا لآمَنُوا بِنَبِيِّه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا تأمرهم) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام المستفادَ مِن (أم) إنكاريٌّ، وفيه توبيخٌ أيضاً.

قوله: (﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾) المناسب للمفسِّر أن يُقدِّر (أم) بـ(بل) والهمزة؛ لِيُوافق قوله فيما يأتي: (والاستفهام في مواضعها. . . إلخ)، والمعنى: لا يَنبغي مِنهم هذا الطُّغيان.

قوله: (لم يَختلقه) أشار به إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾) جوابُ شرطٍ مُقدَّرٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (فإن قالوا: اختَلقه)، والأمر للتَّعجيز.

قوله: (ولا يعقل مخلوقٌ بِدون خالق) راجعٌ لقوله: ﴿خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾، وقوله: (ولا معدوم يَخْلُقُ) راجعٌ لِقوله: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾، والمعنى: أنهم لو كانُوا هم الخالقِين لأنفسِهم وأنفسُهم كانت معدومةً أولاً. . لَزم أن يكونُوا في حالة العدم أوجدُوا أنفسَهم وأخرجُوها من العدم، فيكون المعدوم خالقاً، وهذا لا يُعقل.

قوله: (وإلَّا. . لآمنُوا بنبيِّه) أي: فحيث لم يَترتب على إيقانهم بالله إقبالٌ على توحيدِه وتصديقِ نبيِّه. . جُعِلَ إيقانُهم كالعدم، وفيه تَسليةٌ له ﷺ.

أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ ....

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ مِن النُّبُوَّة والرِّزقِ وغَيرِهما فيَخُصُّوا مَن شاؤُوا بِما شاؤُوا، ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: المُتسلِّطونَ الجبَّارُون؟ ـ وفِعلُه: سَيطَرَ، ومِثلُه: بَيطَر وبَيقَرَ ـ.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾) ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: مَرقًى إلى السَّماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: علَيهِ كَلامَ المَلائكةِ حتَّى يُمكِنَهُم مُنازعةُ النَّبيِّ بزَعمِهِم؟ إنِ ادَّعَوا ذلك، ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ مُدَّعِي الاستِماعِ علَيهِ ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بِحُجَّةٍ بَيِّنة واضِحةٍ، ولِشِبهِ هَذا الزَّعم بِزَعمِهِم أنَّ الملائكةَ بَناتُ الله قال تَعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ﴾ أي: بِزَعمِكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾) لم يُبيِّن أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ مع أنه كذلك، والمعنى: ليس عِندهم خزائنُ ربك، والمراد بخزائنه: مَقدوراته، شبِّهت بها؛ لأنَّ خزانةَ الملوك بيت مهيَّأ لجمع أنواع مختلِفة من الذخائر التي يحتاج إليها.

قوله: (﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾) اعلَم: أنه لم يَأت على وزن (مُفَيعل) إلا خمسة ألفاظ؛ أربعة صفة اسم فاعل (مُهيمن) و(مبيقر) و(مبيطر) و(مسيطر)، وواحد اسم جبل، وهو (مُحيمر).

قوله: (المتسلِّطون) أي: الغالبون على الأشياء، يُدِيرونها كيف شاؤوا.

قوله: (ومثله: بيطَر) أي: عالج الدوابَّ، ومنه: البيطار، وقوله: (وبيقر) أي: أفسَد وأهلك، فالحاصل أنَّ معنى المهيمِن: الرقيب، والمبيقِر: المفسِد، والمبيطِر: المعالج للدَّواب.

قوله: (أي: عليه كلامَ الملائكة) أشار بذلك إلى أنَّ مفعول ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ محذوفٌ، و(في) بمعنى (على).

قوله: (بزعمهم) مُتعلق بقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾.

قوله: (إن ادَّعوا ذلك) أي: الاستماعَ من الملائكة، والمعنى: إن فُرِضَ أنهم ادَّعوه.. فليأتِ مُستمعهم... إلخ.

قوله: (ولِشبه هذا الزعم... إلخ) أشار بذلك إلى وجهِ المناسبة بين الآيتَين، ووجه الشَّبه بين الزعمين: أنَّ كلًّا مِنهما فاسد وإن كان الزعمُ الأول فرضيًّا، والثاني تحقيقيًّا؛ لِوُقوعه منهم.

قوله: (أي: بزعمكم) أي: بِدَعواكم واعتقادكم.

وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ...

﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾؟ تعالى الله عمَّا زَعَمُوهُ.

(﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾) ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على ما جِئتَهُم بِهِ مِن الدِّين، ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: غُرمِ ذلك ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يُسلِمُون، ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: عِلمُه ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ذلك حتَّى يُمكِنَهُم مُنازَعةُ النَّبيِّ ﷺ في البَعث وأُمُورِ الآخِرة بِزَعمِهِم.

(﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾) ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بِكَ لِيُهلِكُوكَ في دار النَّدوةِ، ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾: المَغلُوبُون المُهلَكُون، فحَفِظَهُ الله مِنهُم ثُمَّ أهلَكَهُم بِبَدرٍ. ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ مِن الآلِهة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾) أي: لِتَكونُوا أقوى منه، فإذا كذَّبتم رُسله.. تكونون آمنِين؛ لقوَّتكم بالبَنين، وزعمِكم ضعفَهُ بالبنات؟!

قوله: (تعالى الله عمَّا زعمُوه) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ.

قوله: (﴿مُّثْقَلُونَ﴾) أي: مُتعبون ومُغتمُّون؛ لأنَّ العادة أنَّ مَن غرم شخصاً مالاً يكون المأخوذُ منه كارهاً لِلآخذ ومغتمًّا منه.

قوله: (﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾) جوابٌ لقولهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾، والمعنى: أعِندهم عِلم الغيب بأنَّ الرسول يموتُ قبلهم فهم يكتبون ذلك؟

قوله: (﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾) أي: مكراً وتحيُّلاً في هَلاكك.

قوله: (في دار النَّدوة) إن قُلت: السورة مكيَّة، والاجتماع بدارِ الندوة كان ليلة الهجرة، فالتقييدُ بها مشكلٌ؛ فالأوضحُ: حذف قوله: (في دار الندوة)؛ لأنَّ إرادة الكيد حاصِلةٌ منهم من يوم بَعثته ﷺ.

قوله: (﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أوقع الظاهر موقعَ المضمر؛ تشنيعاً وتقبيحاً عليهم بصفة الكفر.

قوله: (ثم أهلكهم ببَدر) أي: أهلك رُؤساءهم، وهم سبعون.

قوله: (﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾) أي: تنزَّه الله عمَّا يَنسبونه له من الشركة في الألوهيَّة.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ . . . .

ـ والاستِفهامُ بـ﴿أَمْ﴾ في مَواضِعِها لِلتَّقبيحِ والتَّوبِيخ ـ.

(﴿٤٤﴾ - ﴿٤٧﴾) ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا﴾: بَعضاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ علَيهِم كما قالُوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧] أي: تَعذِيباً لَهُم، ﴿يَقُولُواْ﴾: هَذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾: مُتراكِبٌ نَروِي بِه ولا يُؤمِنُوا. ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾: يَمُوتُون، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى﴾ ـ بَدل مِن ﴿يَوْمَهُمُ﴾ ـ ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعُون مِن العَذاب في الآخِرة. . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (والاستفهام بـ«أم») أي: المقدَّرة بـ(بل) والهمزة، أو بالهمزة وحدها، وقوله: (في مواضعها) أي: وهي خمسةَ عشر.

قوله: (للتقبيح والتوبيخ) أي: والإنكار.

قوله: (﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا﴾) أي: على فرض حُصوله؛ فإنه لم يَحصل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، والمعنى: لو عذَّبناهم بِسُقوط قطعٍ من السماء عليهم.. لم ينتهُوا ولم يرجعُوا، ويَقولون في هذا النازل عناداً واستهزاءً وإغاظةً لمحمد: إنه سحابٌ مركومٌ.

قوله: (﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾) هذه الآية إنما ورَدت في قوم شُعيب؛ كما ذكر في سورة (الشعراء)، فكان الأولى لِلمفسِّر أن يستدلَّ بما نَزل في قريش في سورة (الإسراء)، وهو قوله: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢].

قوله: (﴿فَذَرْهُمْ﴾) جواب شرط مُقدَّر، والمعنى: إذا بلغُوا في العناد إلى هذا الحدِّ وتبيَّن أنهم لا يرجعون عن الكفر.. فدَعهُم ولا تَلتفت لهم.

قوله: (﴿يُصْعَقُونَ﴾) هكذا ببنائه للفاعل والمفعول، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (يَموتون) أي: بِانقضاء آجالهم في بدرٍ أو غيرها، هذا هو الأحسَنُ.

قوله: (من العذاب في الآخرة) المرادُ به: العذابُ الذي يأتي بعد الموت.

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم بضم الياء مبنيًّا لِلمفعول، وباقي السبعة بفتحها مبنيًّا لِلفاعل. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٩).

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بِكُفرِهِم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ في الدُّنيا قَبل مَوتِهم، فعُذِّبوا بِالجُوعِ والقَحطِ سَبعَ سِنِينَ وبِالقَتلِ يومَ بَدر، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ العَذابَ يَنزِلُ بِهِم.

(﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾) ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بِإمهالِهِم ولا يَضِقْ صَدرُك، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بِمَرأًى مِنَّا نَراكَ ونَحفَظُك، ﴿وَسَبِّحْ﴾ مُلتَبِساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قُل: سُبحانَ الله وبِحَمدِه ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ مِن مَنامِك أو مِن مَجلِسِك، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حَقِيقةً أيضاً، ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ ـ مَصدَر ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾) أي: قبل العذاب الذي يأتيهم بعد الموت، وذلك صادقٌ ـ كما قال المفسِّر ـ بالجُوع والقَحط والقتل يوم بدر.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾) أي: لِتَزيين الشيطان لهم ما هم عليه، والمرادُ بالأكثر: مَن سبَق في علم الله شقاؤه.

قوله: (بمَرأى منَّا) أي: فأطلقت الأعينُ وأريد لازمُهَا، وهو إبصار الشيء والإحاطةُ به علماً وقرباً، فيَلزم منه مزيدُ الحفظ للمرئيِّ الذي هو المراد.

وعبَّر هنا بالجمع؛ لِمُناسبة نون العظمة، بخلاف ما ذكر في سورة (طه) في قولِه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

قوله: (مِن مَنامك) أي: فقد وردَ عن عائشةَ قالت: (كان إذا قام ـ أي: استيقظ من منامه ـ كبَّر عشراً، وحَمد الله عشراً، وسبَّح عشراً، وهلَّل عشراً، واستغفر عشراً، وقال: «اللهم؛ اغفر لي وارحمني واهدِني وارزقني وعافني»، وكان يَتعوَّذ من ضيق المقام يوم القيامة)(١)، وفي رِواية: «كان ﷺ إذا استَيقظ من مَنامه.. قرَأ العشرَ آيات من آخِر (آل عمران)»(٢).

قوله: (أو من مَجلسك) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن جلس مجلساً، فكثُر

(١) رواه أبو داوود (٧٦٦).

(٢) رواه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

أي: عَقِبَ غُرُوبها سَبِّحهُ أيضاً، أو صَلِّ في الأوَّل العِشاءَينِ وفي الثَّانِي الفَجرَ، وقيل: الصُّبح.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

فيه لغطُه، فقال قبل أن يقوم: سُبحانك اللهمَّ وبِحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستَغفرك وأتوب إليك.. كان كفارةً لِما بينهما»[1]، وفي رواية: «كان كفارة له»[2].

قوله: (أي: عقب غروبها) المراد بِغُروبها: ذهاب ضوئها بغَلبة ضوء الصبح عليه وإن كانت باقيةً في السماء، وذلك بِطُلوع الفجر.

قوله: (أو صلِّ في الأول) أي: الليل، فهذا راجعٌ لقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾، وأمَّا ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾.. فالمرادُ: حقيقة التسبيح على كلِّ حالٍ.

قوله: (وفي الثاني الفجرَ) أي: الركعتين اللتين هما سُنة الصبح، وقوله: (وقيل: الصبح) أي: فريضةُ صلاة الصبح.

✿ ✿ ✿

---

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١٣٤٠)، وفي «سُنن الترمذي» (٣٤٣٣): «إلا غفر له ما كان في مَجلسه ذلك».

(٢) رواها الحاكم في «المستَدرك» (١/ ٥٣٦) عن سيدنا جبير بن مطعم رضي الله عنه.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾ ....



مكيَّة، ثِنْتان وسِتون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(① - ③) ﴿وَالنَّجْمِ﴾: الثُّريَّا ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: غاب، ....

حاشية الصاوي

سورة النجم

(مكية) أي: كلُّها، وقيل: إلا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ...﴾ الآية، وقيل: كلُّها مَدَنيٌّ، ورُدَّ بما ورَدَ: أنها أول سُورةٍ أعلن بها رسول الله ﷺ بمكة، وسجد فيها، وسجَد معه المسلمون والمشركون؛ زعماً منهم أنه يَمدَح آلهتهم[1].

واعلم: أنَّ بين أوَّل هذه السورةِ وآخرِ ما قبلها مناسبةً؛ فإنه تعالى قال في آخر تلك: ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾، وقال في أول هذه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.

قوله: (﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾) اختُلف في تفسير النجم؛ فمشى المفسِّر على أنه الثريا، وهي عِدَّة نجومٍ، بعضُها ظاهرٌ، وبعضها خفيٌّ، وكان ﷺ يراها أحدَ عشر نجماً، ومعنى هُوِيِّه: غَيبوبته عند طلوع الفجر، وقيل: المراد به: أيُّ نجمٍ، وقيل: المراد به: جميعُ النجوم، وقيل: هو الزُّهرة، وقيل: الشِّعرى، وقيل: القرآن، ومعنى (هوى): نزل؛ لأنه نزل مُنجماً على ثلاث وعشرين سنة، وقيل: هو محمَّد، ومعنى (هوى): نزل من المعراج، وقيل: جبريل، ومعنى (هوى): نزل بالوحي.

واختُلف في عامل الظرف؛ فقيل: معمولٌ لمحذوف، تقديره: أقسم بالنجم وقتَ هُويِّه، واستُشكل بأنَّ فعل القسم إنشاء، والإنشاء حالٌ و(إذا) لِما يُستقبل من الزمان، فكيف يعمل الإنشاء في المستقبل؟

---

(١) رواه البخاري (١٠٦٧)، ومسلم (٥٧٦).

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ....

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ مُحمَّد علَيهِ الصَّلاةُ والسَّلام عن طَريق الهِدايةِ، ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾: ما لابَسَ الغَيَّ وهو جَهلٌ مِن اعتِقادٍ فاسِد، ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ بِما يَأتِيكُم بِه ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾: هوَى نَفسِه.

(﴿٤﴾ - ﴿٧﴾) ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ إلَيهِ، ....

حاشية الصاوي

وأجيب: بأنه يُتوسَّع في الظروف ما لا يُتوَسَّع في غيرها، أو قُصِدَ منها مجرَّد الظرفيَّة الصادق بالماضي والحال والاستقبال؛ لأنها قد تأتي للحال والماضي.

وقيل: عامله حال من (النجم) محذوفة، والتقدير: أقسم بالنجم حال كونه مستقرًّا في زمان هُوِيِّه، ويأتي فيه الإشكالُ والجواب المتقدِّمان، ويجاب أيضاً: بأن تجعلَ الحال مقدَّرة.

قوله: (﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾) هذا هو جواب القسَم، وعبَّر بلفظ الصُّحبة؛ تبكيتاً لهم، وإشعاراً بأنهم يَعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فلا يَليق منهم نسبتُهُ للنقص.

قوله: (عن طريق الهدى) أشار بذلك إلى أنَّ الضلال مخالفٌ للغيِّ؛ فالضلالُ: فِعل المعاصي، والغيُّ: هو الجهلُ المركب، وقيل: الضلال: في العِلم، والغيُّ: في الأفعال، وقيل: هما مُترادفان.

قوله: (من اعتقاد فاسد) أي: ناشئٌ وحاصلٌ.

قوله: (﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾) مُتعلق بـ﴿يَنطِقُ﴾، والمعنى: ما يصدر نطقُه عن هوى نفسه، ومثلُهُ: الفعلُ، بل وجميع أحواله، وهو مُفرَّع على ما قبله؛ لأنه إذا عُلِمَ تنزُّهُه عن الضلال والغواية. . تفرَّع أنه لا يَنطق عن هواهُ قرآناً أو غيره.

قوله: (﴿إِنْ هُوَ﴾) الضمير عائدٌ على النُّطق المأخوذ من ﴿يَنطِقُ﴾، والمعنى: ما يتكلم من القرآن وغيره، ومثلُ النطقِ: الفعلُ وجميعُ أحواله، فهو ﷺ لا ينطق ولا يَفعل إلا بوحي من الله تعالى، لا عن هوى نفسِه.

قوله: (﴿يُوحَىٰ﴾) الجملة صفة لـ﴿وَحْيٌ﴾، أتى بها لرفع تَوهم المجاز، كأنه قال: هو وحي حقيقةً، لا مجرَّد تَسميَته.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ ....

﴿عَلَّمَهُۥ﴾ إيَّاه مَلَكٌ ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ﴾: قُوَّةٍ وشِدَّة أو مَنظَرٍ حَسَن، أي: جِبريلُ عليهِ السَّلام، ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: استقرَّ، ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أُفُقِ الشَّمس أي: عِند مَطلَعِها على صُورَته التِي خُلِقَ علَيها، فرَآهُ النَّبيُّ ﷺ وكانَ بِحِراءٍ قد سَدَّ الأُفُق إلى المَغرِب، فخَرَّ مَغشِيًّا علَيهِ، وكان قَد سَأَلَهُ أن يُرِيَه نَفسَه على صُورَته التِي خُلِقَ علَيها، فواعَدَهُ بِحِراء، فنَزَلَ جِبرِيل لَهُ في صُورةِ الآدَمِيِّين.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَّمَهُۥ﴾ إياه) الضمير المذكور هو المفعول الأول، عائدٌ على النبي، والثاني الذي قدَّره المفسِّر عائدٌ على الوحي.

قوله: (﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾) صِفة لموصوف محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (ملك)، وهو جبريل عليه السلام، ومِن شدَّة قُوَّته اقتلاعُه مدائن قوم لوط، ورفعُهَا إلى السماء وقَلْبُها، وصِياحه على ثمود، ونَتقُه الجبل على بني إسرائيل، وهذه الشدة حاصِلة فيه ولو تشكَّل بصورة الآدميِّين؛ لأنها لا تحكم عليهم الصورة، وهذا قول الجمهور.

وقيل: المراد به الربُّ سبحانه وتعالى، والمرادُ بـ(القُوَى) في حقِّه تعالى: صفاتُ الاقتدار؛ كالكبرياءِ والعظمة.

قوله: (﴿ذُو مِرَّةٍ﴾) أي: قُوَّةٍ باطنيَّةٍ وعزمٍ وسرعةِ حركةٍ، فغايَر ما قبله، فجبريل أعطاه الله قُوَّة ظاهريَّة وقوة باطنيَّة، وقيل: المِرَّة: وُفُور العلم، وقيل: الجمال.

قوله: (﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾) عطف على قوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾.

قوله: (﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (وكان) أي: النبيُّ ﷺ.

قوله: (وكان قد سأله... إلخ) تعليلٌ لقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾، وذلك أنَّ جبريل كان يَأتي النبيَّ ﷺ في صورة الآدميِّين كما يأتي إلى الأنبياء، فسأله النبي ﷺ أن يُريه نفسه التي جعله الله عليها، فأراه نفسَه مرَّتين: مرة بالأرض، ومرةً بالسماء، ولم يرَه أحدٌ من الأنبياء على صورته التي خُلق عليها إلا نبيُّنا ﷺ.

قوله: (فنزل جبريل) عطف على قوله: (فخرَّ مغشيًّا عليه).

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ ....

(﴿٨﴾ - ﴿١٠﴾) ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: قَرُبَ مِنهُ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ زادَ في القُربِ، ﴿فَكَانَ﴾ مِنهُ ﴿قَابَ﴾: قَدْرَ ﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ مِن ذلك حتَّى أفاقَ وسَكَن رَوعُه، ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ تَعالى ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ جبريلَ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ جِبريلُ إلى النَّبيِّ ﷺ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (**زاد في القرب**) أي: فالكلام باقٍ على ظاهِره، وقيل: في الكلام قلبٌ، والأصل: فتدلَّى ثمَّ دنا، ومعنى (تدلى): رجع لِصُورته الأصليَّة.

قوله: (﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾) في الكلام حذفٌ، والأصل: فكان مقدارُ مسافةِ قُربِهِ منه مثلَ مقدار مَسافة قاب قوسَين. والقاب: القَدر، وقيل: هو ما بين المقبض والطرَف، ولكل قوس قابانِ، فأصل الكلام: فكان قابَي قوس، فحصل في الكلام قلبٌ.

قوله: (﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾) «أو» بمعنى (بل)، نظير قولِه تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، أو على بابها للشك بالنسبة للرائي، والمعنى: إذا نظرتَ إليه وهو في تلك الحالة. . تتردَّد بين المقدارين.

قوله: (**حتى أفاق**) غايةٌ لمحذوف؛ أي: ضمَّه إليه حتى أفاقَ. رُويَ أنه لما أفاقَ قال: «**يا جبريل؛ ما ظنَنتُ أنَّ الله خلق أحداً على مثلِ هذه الصورة**»، فقال: «**يا محمد؛ إنما نشَرتُ جناحَين من أجنِحَتي، وإنَّ لي ستَّ مئة جناحٍ، سَعةُ كل جناح ما بين المشرق والمغرب**»، فقال ﷺ: «**إن هذا لعظيم**»، فقال جبريل: «وما أنا في جانِب خَلق الله إلا يسير، ولقد خلق الله إسرافيل له ستُّ مئة جناح، كل جناح منها قدرُ جميع أجنحتي، وإنه لَيَتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوَصَعِ»(١) أي: العُصفور الصغير.

وهذا على كلام الجمهور، وأمَّا على أن المراد به سبحانه وتعالى. . فمعنى الاستواء: الاستِعلاء والقَهر، ومعنى الدنوّ والتَّدلي: تَجلِّيه بصفة الجمال والمحبّة لعبده، على حدِّ ما قيل في: «**يَنزل ربنا كلَّ ليلة**»(٢).

قوله: (﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾) هذا مُفرَّعٌ على قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾، ومشى المفسِّر

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢١) عن ابن شهاب مرسلاً، وانظر «تفسير القرطبي» (١٧/ ٨٧).

(٢) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ ....

ولَم يَذكُر المُوحَى تَفخِيماً لِشَأنِه.

(١١) - (١٥) ﴿مَا كَذَبَ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد -: أنكَرَ ﴿ٱلْفُؤَادُ﴾: فُؤادُ النَّبيِّ ....

حاشية الصاوي

على أنَّ الضمير في (أوحى) الأول عائدٌ على الله تعالى، والمرادُ بالعبد: جبريل، والضمير في (أوحى) الثاني عائدٌ على جبريل، وهو احتمالٌ من ثمانية، أفادها العلَّامة الأجهوري، وحاصلها أن يقالَ: الضمير في (أوحى) الأول عائدٌ على الله، أو جبريل، والثاني كذلك، فهذه أربع، وفي كلٍّ منها إمَّا أن يُرادَ بالعبد جبريل، أو محمد، فهذه ثمانٍ، اثنان منها فاسِدان، وهما إن جُعل الضمير في (أوحى) الأول عائداً على جبريل ويُراد بالعبد جبريل؛ سواءٌ جُعل الضمير في (أوحى) الثاني عائداً على الله أو جبريل، وباقِيها صحيح، والأنسَبُ بِمقام المدح أن يعود الضمير في (أوحى) الأول والثاني على الله، والمراد بالعبد: محمد عليه السلام، والمعنى: أوحى الله إلى عبده محمَّد ما أوحاه الله إليه من العُلوم والأسرار والمعارف التي لا يُحصِيها إلا مُعطِيها بواسطة جبريل، وبِغير جبريل حين فارقه عند الرَّفرف[١].

قوله: (ولم يذكر الموحى به؛ تفخيماً لشأنه) أي: وإشارةً إلى عُمومه، واختُلف في هذا الموحى به؛ فقيل: مُبهمٌ لا نطلع عليه، وإنما يجب علينا الإيمان به إجمالاً، وقيل: هو معلومٌ، وفي تفسيره خلافٌ؛ فقيل: أوحى الله إليه: ألم أجِدك يتيماً فآويتُك؟ ألم أجدك ضالًّا فهديتُك؟ ألم أجدك عائلاً فأغنيتُك؟ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤]، وقيل: أوحى الله إليه أنَّ الجنةَ حرامٌ على الأنبياء حتى تدخُلَها يا محمد، وعلى الأُمَم حتى تدخلَها أُمَّتك[٢].

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٣]، فالمعنى على التشديد: أنَّ ما رآه محمد بِعينه صدَّقه قلبه ولم يُنكره، والتخفيف؛ قيل كذلك، وقيل: هو على إسقاط الخافض، والمعنى: ما كذب الفؤاد فيما رآه.

---

(١) قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: (تدلى الرفرف لمحمد ﷺ ليلةَ المعراج، فجلس عليه، ثم رفع فدنا من ربِّه)؛ فعلى هذا: الرفرف: ما يُقعد ويجلس عليه كالبساط وغيره. انظر «تفسير القرطبي» (١٧/ ٩٨).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ٤٠٢).

(٣) قرأ هشام بتَشديد الذال، والباقون بتخفيفها. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٨٨).

مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ......

﴿مَا رَأَىٰ﴾ بِبَصَرِهِ مِن صُورةِ جِبريل، ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾: تُجادِلُونَه وتَغلِبُونَهُ ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾؟ - خِطابٌ لِلمُشرِكِينَ المُنكِرِين رُؤيةَ النَّبيِّ ﷺ لِجبريل -. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ على صُورَتِه ﴿نَزْلَةً﴾: مرَّةً ﴿أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من صورة جبريل) بيانٌ لـ﴿مَا رَأَىٰ﴾، وهذا أحدُ قولين، وقيل: هو الله عزَّ وجلَّ، وعليه: فقد رأى ربَّه مرَّتَين: مَرةً في مبادئ البعثة، ومرة ليلة الإسراء، واختُلف في تلك الرؤية؛ فقيل: رآه بعينه حقيقةً، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين، منهم: ابن عباس وأنس بن مالك والحسنُ وغيرهم، وعليه قول العارف البرعي[1]: [الوافر]

وإنْ قابَلْتَ لَفْظَةَ ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ... بِـ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ فَهِمْتَ مَعْنَى

فَمُوسَى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيهِ ... وأَحْمَدُ لَمْ يَكُنْ لِيَزِيغَ ذِهْنَا

وقيل: لم يَرَه بعينه، وهو قول عائشة رضي الله عنها، والصحيح الأول؛ لأنَّ المثبِت مُقدَّم على النافي، أو لأنَّ عائشة لم يَبلُغها حديث الرؤية؛ لكونها كانت حديثةَ السنِّ.

قوله: (﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾) بضمِّ التاء وبالألف بعد الميم مِن: ماراه: جادَله وغالبه، أو بفتح التاء وسكون الميم مِن غير ألف من: مَرَيْتُهُ حقَّه: إذا علمتَهُ وجحَدتَهُ إياه، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾) أي: على ما رآه، وهو جبريل على كلام المفسِّر، وذات الله تعالى على كلامِ غيره، وعبَّر بالمضارع؛ استحضاراً للحالة البعيدة في ذِهن المخاطبين.

قوله: (﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾) اللام للقسَم، وقوله: (مرة) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿نَزْلَةً﴾ منصوبٌ على الظرفية.

قوله: (﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾) سمِّيت بذلك إمَّا لأنه يَنتهي إليها ما يَهبط من فوقها، وما يصعد من تَحتها، أو لأنه ينتهي عِلم الأنبياء إليها، ويَعزب علمهم عمَّا وراءها، أو لأنَّ الأعمال تنتهي إليها وتُقبض منها، أو لانتهاء الملائكة إليها ووُقوفهم عندها، أو لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء، أو لأنه ينتهي إليها أرواح المؤمنين، أو لأنه يَنتهي إليها من كان على سنة رسول الله، أقوال.

---

(١) انظر «ديوانه» (ص٢٤٤).

(٢) قرأ الأخوان وخَلف ويعقوب بفتح التاء وسكون الميم، وغيرُهم بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها. انظر «البدور الزاهرة» (ص٣٠٦).

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ١٥﴾ ....

لَمَّا أُسرِيَ بِه في السَّماوات، وهي شَجَرةُ نَبِق عن يَمِين العَرش لا يَتَجاوَزُها أَحَدٌ مِن المَلائِكة وغَيرِهم، ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ تَأوِي إلَيها المَلائِكةُ وأرواحُ الشُّهَداء والمُتَّقِين.

حاشية الصاوي

وإضافة ﴿سِدْرَةِ﴾ لـ﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ إمَّا من إضافة الشيء إلى مكانه، والتقدير: عند سِدرةٍ عندها منتهى العلوم، أو من إضافة الملك إلى المالك على حذف الجارِّ والمجرور؛ أي: سِدرة المنتهى إليه، وهو الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

قوله: (لما أسري به) أي: وكان قبل الهجرة بسنةٍ، أو أربعةِ أشهر، وقيل: كان قبلها بثلاثِ سنين، والرؤيةُ الأُولى أتَت في بدء البعثة، فبين الرؤيتَين نحو عشر سنين.

قوله: (وهي شجرة نبق) أي: وفيها الحُليُّ والحُلَل والثمار من جميع الألوان، لو وضعت ورقة في الأرض.. لأضاءت لأهلها؛ قيل: هي شجرةُ طُوبى، والصحيح: أنها غيرها. والنَّبِقُ: بكسر الباء وسكونها. واختيرت السِّدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؛ لما قيل: إنَّ السِّدرة تختَصُّ بثلاثة أوصاف: ظلٍّ مديد، وطعامٍ لذيذ، ورائحةٍ زكيَّة، فشابَهت الإيمان الذي جمع قولاً وعملاً ونيَّةً، فظلُّها من الإيمان بِمَنزلة العمل؛ لِتَجاوزه، وطَعمها بمنزلة النية؛ لكُمُونِهِ، ورائحتها بِمَنزلة القول؛ لِظُهوره.

قيل: إنَّ سِدرة المنتهى قالت للنبي ﷺ: استَوصِ بإخواني في الأرض خيراً، فقال ﷺ: «مَن قَطع سِدرة.. صوَّب الله رأسَه في النار»[1]، واستُشكل هذا الحديث: بأنه يقتضي أنَّ قطع السِّدر حرامٌ لحاجةٍ ولغير حاجة مع أنه خلافُ المنصوص؟ وأُجيب: بأنه سُئل أبو داوود عن هذا الحديث فقال: هو مختصرٌ، وحاصِله: (مَن قطع سدرة في فلاةٍ يَستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حقٍّ يكون له فيها.. صوَّب الله رأسَه في النار)[2]، وبعد ذلك فهذا لا يَخُصُّ السِّدر.

قوله: (﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾) حال من ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾.

قوله: (تأوي إليها الملائكة... إلخ) وقيل: هي الجنةُ التي أوى إليها آدم عليه السلام إلى أن أخرج منها، وقيل: لأنَّ جبريل وميكائيل يَأويان إليها، فهذا وجه تَسميتها: (جنة المأوى)، أو لأنَّ أهل السعادة يَأوُون إليها.

---

(١) رواه أبو داوود (٥٢٣٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٦١١) عن سيدنا عبد الله بن حُبْشِيٍّ رضي الله عنه.

(٢) انظر «سنن أبي داوود» (٤/ ٣٦١).

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ ....

(﴿١٦﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿إِذْ﴾: حينَ ﴿يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ مِن طَيرٍ وغَيرِه، - و﴿إِذْ﴾ مَعمُولة لـ﴿رَءَاهُ﴾ -. ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ مِن النَّبيِّ ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما مالَ بَصَره عن مَرئيِّه المَقصُود لَهُ، ولا جاوَزَهُ تِلك اللَّيلة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا يَغْشَىٰ﴾) أبهمَ الموصولَ وصِلتَهُ؛ إشارةً إلى أنَّ ما غَشِيَها لا يُحيط به إلا الله تعالى.

قوله: (من طيرٍ وغيره) وردَ عنه ﷺ أنه قال: «رأيتُ السدرةَ يغشاها فراشٌ من ذهب، ورأيتُ على كلِّ ورقة ملكاً قائماً يُسبِّح الله تعالى»[1]، ووَرد أيضاً: أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ذهب بي جبريل إلى سِدرة المنتهى، وأوراقها كآذان الفِيَلة، وإذا ثمرها كقِلال هجر، فلمَّا غشيها من أمر الله تعالى ما غَشِيَها.. تغيَّرت، فما أحدٌ من خَلقِ الله تعالى يقدر أن يَنعتها من حُسنها، فأوحى إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يَوم وليلة»[2]، وقيل: يغشاها أنوارُ التجلي وقت مُشاهدة النبي ﷺ لربِّه؛ كما تجلَّى على الجبل عند مُكالمة موسى، لكن السدرة أقوى من الجبل، فالجبل صار دكًّا، وخرَّ موسى صَعِقاً، ولم تتحرَّك السدرة، ولم يَتزلزل محمد ﷺ.

قوله: (﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾) أي: لم يَلتفت إلى ما غشي السدرةَ من العجائب المتقدِّمة؛ لأنَّ الزيغ هو: الالتفاتُ لغير الجهة التي تَعنيه.

قوله: (﴿وَمَا طَغَىٰ﴾) الطغيانُ: مجاوزةُ الحدِّ اللائق؛ كما أفاده المفسِّر، فوصف ﷺ بكمال الثبات والأدب مع غرابة ما هو فيه إذ ذاك.

وسبق تنزيهُ عِلمه عن الضلال، وعملِه عن الغواية، ونُطقه عن الهوى، وفؤاده عن التكذيب، وهنا نزَّه بصرَه عن الزيغ والطغيان مع تأكيد ذلك وتحقيقِه بالأقسام، وناهِيك بذلك من ربِّ العِزَّة جلَّ جلاله ثناءً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥١٩) من حديث عبد الرحمن بن زيد، وروى أبو يَعلى في «مسنده» (٢٦٥٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾، قال رسول الله ﷺ: «رأيتُها حتى استَثبَتُّها، ثمَّ حال دونَها فراش الذهب».

(٢) رواه مسلم (١٦٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ ....

﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ فِيهـا ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ أي: العِظامِ، أي: بَعضها، فرأى مِن عَجائِب المَلَكُوت رَفرَفاً أخضَرَ سَدَّ أُفُق السَّماء وجِبريلُ لَه سِتمائة جَناح.

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾) اللام في جواب قسَمٍ محذوفٍ.

قوله: (﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾) أفاد المفسِّر أنَّ (مِن) للتبعيض، وهو مفعول لـ﴿رَأَىٰ﴾، و﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ صفة لـ﴿ءَايَٰتِ﴾، ووصفُه بوصف المؤنثة الواحدة؛ لجوازه، وحسَّنه مُراعاة الفاصلة[١]، وفسَّر (الكبرى) بـ(العظام)؛ إشارةً إلى أنه ليس المعنى على التَّفضيل؛ لعَدم حَصر تلك الآيات، ووصف العظم مَقُولٌ بالتشكيك فيها، فيَذهب السامع فيها كلَّ مَذهب[٢]، فتدبَّر.

قوله: (رفرفاً) قيل: هو في الأصل: ما تدَلَّى على الأسرَّة من غالي الثياب، ومن أعالي الفُسطاط، روِيَ: أنَّ رسول الله ﷺ لما بلَغ سِدرة المنتهى.. جاءه الرَّفرف، فتناوله من جبريل، وطارَ به إلى العرش حتى وَقف به بين يدَي ربِّه، ثمَّ لما حان الانصراف.. تناوَله، فطار به حتى أدَّاه إلى جبريل صلَوات الله عليهما، وجبريل يَبكي ويرفع صوته بالتَّحميد، فالرفرف خادمٌ من الخدَم بين يدَي الله تعالى، له خواصُّ الأمور في محل الدنوِّ والقُرب، كما أنَّ البُراق دابَّةٌ يركبها الأنبياء، مخصوصةٌ بذلك إلى الأرض[٣].

قوله: (﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾) استفهامٌ إنكاريٌّ، قُصِدَ به توبيخُ المشركين على عِبادتهم الأوثانَ بعد بياد تلكَ البرَاهين القاطعة الدالة على انفرادِه تعالى بالأُلوهيَّة والعظمة، وأنَّ ما سِواه تعالى وإن جلَّت مَرتبتُهُ وعَظُم مقامُهُ حقيرٌ في جانب جلال الله عزَّ وجلَّ.

قوله: (﴿ٱللَّٰتَ﴾) اسم صنَم كان في جوف الكعبة، وقيل: كان لِثَقيف بالطائف، وقيل: اسم رجل كان يَلُتُّ السويقَ ويُطعمه الحاجَّ، وكان يجلس عند حجرٍ، فلمَّا مات.. سمِّي الحجرُ باسمه، وعُبِدَ من دون الله.

---

(١) والظاهر أن (الكبرى) مفعول (رأى)، و(من آيات ربه) حال مُقدمة، والتقدير: لقد رأى الآيات الكُبرى من آيات ربه. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٩١).

(٢) المعنى المشترك إذا كانت النسبة فيه مُتفاضلة.. سماه المصطلِحُون من باب التشكيك، وإذا كانت النسبة واحدة سَمَّوه متواطئاً، والعِظَمُ هنا نِسبتُه مُتفاضلة.

(٣) أورده القرطبي في «التذكرة» (ص٥١٦).

وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ....

وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ لِلَّتين قَبلها ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ صِفة ذَمٍّ لِـ﴿ٱلثَّالِثَةَ﴾، وهي أصنامٌ مِن حِجارة كانَ المُشرِكُون يَعبُدُونَها ويَزعُمُون أنَّها تَشفَع لَهُم عِندَ الله، ـ ومَفعولُ (رأيت) الأولُ

حاشية الصاوي

و(أل) في ﴿ٱللَّٰتَ﴾ زائدة زيادةً لازمة، كما قال ابن مالك[1]: [الرجز]

وَقَــدْ تُــزَادُ لازِمــاً كَــ«الــلَّاتِ»

وتاؤه؛ قيل: أصلية، وعليه فأصله: (ليت)، وقيل: زائِدة، وعليه فأصله: (لوى، يَلوي) لأنهم كانُوا يَلوُون أعناقهم إليها، أو يَلتوُون؛ أي: يعتكفون عليها، ويَترتب على القولين الوقفُ عليها؛ فبعضُ القُراء يقف عليها بالهاء على القول بزيادتها، وبعضُهم بالتاء على القول بعدم زيادتها.

قوله: (﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾) تأنيث (الأعزِّ) كـ(الفُضلى) و(الأفضل)، وهي اسم صنمٍ، وقيل: شجرة سَمُرٍ لغطَفان، كانُوا يعبدونها، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، فقطَعها[2].

قوله: (﴿وَمَنَوٰةَ﴾) إمَّا بالهمز بعد الألف، أو بالألف وحدها، قراءتان سبعيَّتان، إما مشتَقة من (النَّوء) وهو المطر؛ لأنهم كانُوا يَستَمطرون عندها الأنواء، أو من (مَنَى، يَمْنِي) أي: صبَّ؛ لأنَّ دِماء النسك كانت تُصَبُّ عندها[3].

قوله: (للتين قبلها) أي: إمَّا صفةٌ بالنظر لِلفظ، أو بالنظر للمَرتبة، والمعنى: أنَّ رُتبتها عندهم مُنحطَّةٌ عن اللتين قبلها.

قوله: (صفة ذمٍّ لـ«الثالثة») أي: لأنها بمعنى: المتأخرةَ الوضيعةَ المقدارِ.

قوله: (وهي أصنام من حجارة) أي: أنَّ الثلاثة أصنامٌ من حجارة كانت في جوف الكعبة، وقيل: اللات لِثَقيف بالطائف، والعزَّى شجرة لغَطفان، ومَناة صخرة لهُذيل وخزاعة، أو لثقيف،

---

(١) كما في «الخلاصة»، باب: المعرَّف بأداة التعريف.

(٢) رواه الواقدي في «مغازيه» (٣/ ٨٧٣)، وفيه: فخرجت منها شَيطانة ناشرة شعرها، داعية وَيلها، واضعة يدها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول:

يــا عُــزَّ كُـفْـرَانَـكِ لا سُـبْـحَـانَـك إنــي رَأَيْــتُ اللهَ قَــدْ أَهــانَــك

ورجع فأخبر رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «تِلك العُزَّى، ولن تُعبد أبداً».

(٣) قرأ ابن كثير: (مناءة) بهمزة مفتوحة بعد الألف، والباقُون بألف وحدها. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٩٢).

أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ ....

﴿ٱللَّٰتَ﴾ وما عُطِف عليه، والثَّاني مَحذُوف ـ والمَعنَى: أخبِرُونِي أَلِهَذِه الأصنام قُدرةٌ على شَيء ما فتَعبُدُونَها دُونَ الله القادِر على ما تَقدَّم ذِكرُه، ولَمَّا زَعَمُوا أيضاً أنَّ المَلائكةَ بَناتُ الله مع كراهَتِهم البَنات نزَل: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾: جائِرةٌ، مِن (ضازَهُ يَضِيزُهُ): إذا ظَلَمَهُ وجارَ علَيه.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنْ هِىَ﴾ أي: ما المَذكُوراتُ ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي: سَمَّيتُم بِها ....

حاشية الصاوي

وقيل: إنَّ اللات أخذَه المشركون من لفظ (الله)، والعُزَّى من (العزيز)، ومَناة من: مَنَى الله الشيءَ: قدَّره.

قوله: (والثاني محذوف) أي: وهو جملة استفهاميَّة استفهاماً إنكاريًا، ذكرها بقوله: (ألهذه الأصنام... إلخ)، والمعنى: أفرأيتمُوها قادرةً على شيء؟

قوله: (ولما زعمُوا أيضاً) أي: كما زعمُوا أنَّ الأصنام الثلاثة تَشفَع لهم عند الله تعالى.

قوله: (﴿تِلْكَ إِذًا﴾) أي: إذ جعلتُم البنات له، والبَنين لكم.

قوله: (﴿ضِيزَىٰ﴾) بكسر الضاد بعدها همزة، أو ياء مكانها، قراءتان سبعيَّتان، وقرئ شذوذاً بفتح الضاد وسكون الياء[1].

قوله: (وجار عليه) عطف تفسير، وهذا المعنى لكلٍّ من القراءات الثلاثة.

قوله: (ما المذكورات) أي: الأصنام المذكورات من حيث وصفُهَا بالأُلوهيَّة، والمعنى: ليس لها من وصف الألوهيَّة التي أثبتوها إلا لفظها، وأمَّا معناها.. فهي خَلِيَّة عنه؛ لأنها من أحقَر المخلوقات وأذلِّها.

قوله: (أي: سمَّيتم بها) دفع بذلك ما يُقال: إن الأسماء لا تسمَّى، وإنما يسمَّى بها؛ فكيف قال: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾؟ فأجاب: بأنَّ الكلام من باب: الحذفِ والإيصال، والمفعول الأول محذوف، قدَّره بقوله: (أصناماً).

---

(١) قرأ ابن كثير: (ضئزى) بهمزة ساكنة، والباقون بياءٍ مَكانها، وزيد بن علي: (ضَيْزَى) بفتح الضاد، والياء الساكنة. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٩٥).

أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ ....

﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصناماً تعبُدُونَها، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: بِعِبادَتِها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾: حُجَّةٍ وبُرهانٍ، ﴿إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في عِبادَتِها ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ مِمَّا زَيَّنَ لَهُم الشَّيطانُ مِن أنَّها تَشفَعُ لَهُم عِند الله تَعالى، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ على لِسانِ النَّبيِّ ﷺ بِالبُرهانِ القاطِعِ، فلَم يَرجِعُوا عمَّا هُم علَيهِ.

(﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ أي: لِكُلِّ إنسانٍ مِنهُم ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ مِن أنَّ الأصنامَ تَشفَعُ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَنتُمْ﴾) ضمير فصل، أتى به توصلاً لعطف ﴿وَءَابَآؤُكُم﴾ على الضمير المتصل في ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾، على حدِّ قول ابن مالك[1]: [الرجز]

وإنْ عَلى ضَميرِ رَفعٍ مُتَّصِلْ عَطَفْتَ، فافصِلْ بالضميرِ المنفَصِلْ

قوله: (﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾) التفت من خطابهم إلى الغيبة؛ إشعاراً بأنَّ كثرة قبائحهم اقتضت الإعراضَ عنهم.

قوله: (مِما زيَّن لهم) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾) الجملة حاليَّة من فاعل ﴿يَتَّبِعُونَ﴾، والمعنى: يتبعون الظنَّ وهوى النفس في حالة تُنافي ذلك، وهي مجيء الهدى من عند ربهم.

قوله: (بالبرهان) حال من ﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾، والباء للملابسة، والمراد بالبرهان: المعجزات.

قوله: (﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾) ﴿أم﴾: مُنقطعة تفسَّر بـ(بل) والهمزة، والاستفهام إنكاريٌّ، والمعنى: ليس للإنسان ما يتمنَّى، بل يُعامل بضدِّه حيث تتبَّع هواهُ وخرج عن حدود الشرع، فالمراد بالإنسان: الكافر، وهذه الآية تجرُّ بِذَيلها على من يلتجئ لغير الله طلباً للفاني، ويتبع نفسه في ما تَطلبه، فليس له ما يتمنَّى، قال العارف[2]: [مخلع البسيط]

لا تَتْبَعِ النَّفْسَ في هَوَاهَا إنَّ اتِّبَاعَ الهَوَى هَوَانُ

(١) كما في «الخلاصة»، باب: عطف النسَق.

(٢) البيت لسيدي عبد الرحيم البرعي كما في «ديوانه» (ص٢٠٥).

فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ....

لَهُم؟ لَيسَ الأمرُ كذلك، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي: الدُّنيا، فلا يَقَع فيهِما إلَّا ما يُرِيدهُ تَعالى.

﴿٢٦﴾ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ أي: وكَثِيرٌ مِن المَلائكةِ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وما أكرَمَهُم عِند الله ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ لَهُم فِيها ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ مِن عِبادِه، ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ عنهُ لِقَولِه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ومَعلُوم أَنَّها لا تُوجَد مِنهُم إلَّا بَعد الإذن فِيها، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(﴿٢٧﴾ - ﴿٣٠﴾) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ....

حاشية الصاوي

وأمَّا أهلُ الصدق مع ربهم.. فلهم ما يتمنَّون وفوق ذلك؛ لوعد الله الذي لا يُخلف.

قوله: (﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾) كالدليل لما قبله، والمعنى: أنه تعالى لا يُعطي ما فيهما إلا لمن اتَّبع هداه، وترك هواهُ؛ لأنه مالكُ للدنيا والآخرة.

قوله: (﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾... إلخ) هذا تقنيطٌ للكفار من تَعلُّق آمالهم بشفاعة معبوداتهم.

قوله: (أي: وكثير مِن الملائكة... إلخ) أشار به إلى أنَّ (كم) خبرية بمعنى: كثيراً.

قوله: (وما أكرَمهم عند الله) جملة تعجبيَّة، جيء بها للدلالة على تشريف الملائكة، وزيادة تَعظيمهم، ومع ذلك فلا تُغني شفاعتهم شيئاً.

قوله: (﴿لِمَن يَشَآءُ﴾) أي: فيمن يشاء.

قوله: (ومعلوم أنها لا تُوجد منهم) راجع لقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾، والقصد من ذلك: التوفيق بين الآيتَين في توقف الشفاعة على الإذن.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾) أي: وهم مُشركو العرب.

إن قُلتَ: كيف يقال: إنهم غير مؤمنين بالآخرة مع أنهم يَقُولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله؟

أجيب: بأنهم غيرُ جازمين بالآخرة؛ بدليل قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، وإنما اتَّخذوهم شفعاء على سبيل الاحتمال.

وأجيب أيضاً: بأنهم لا يُؤمنون بالآخرة على الوجهِ الذي بيَّنته الرسل.

تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ ....

﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ حيثُ قالُوا: هُم بَناتُ الله، ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾: بِهَذا المَقُول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فِيه ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الذِي تَخيَّلُوهُ، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي: عن العِلم فِيما المَطلُوب فِيهِ العِلمُ. ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: القُرآنِ ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، وهذا قَبل الأمرِ بِالجِهادِ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: طَلَب الدُّنيا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾) أي: بتسمية الإناث، وذلك أنهم رأوا في (الملائكة) تاء التأنيث، وصحَّ عندهم أن يُقال: سجدت الملائكة، فقالُوا: الملائكة إناث، وجعلوهم بنات الله؛ لكونهم لا أب لهم ولا أم.

قوله: (بهذا القول) أي: هُم بنات الله.

قوله: (﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾) أي: لأنهم لم يُشاهِدُوا خلقهم، ولم يَسمعُوا ما قالوه من رسول، ولم يرَوه في كتاب، بل عوَّلُوا على مجرَّد ظنِّهم الفاسد، ولو أذعنُوا للقرآن وللنبي.. لأفادهم صِحة التوحيد ونفعه.

قوله: (أي: عن العِلم) أشار بذلك إلى أنَّ (من) بمعنى (عن)، و(الحق) بمعنى (العلم).

قوله: (فيما المَطلوب فيه العلم) أي: في الأمر الذي يُطلب فيه العلم، وهو الاعتقاديَّات، بخلاف العمَليات؛ فالظنُّ فيها كافٍ، كاختلاف الأئمَّة في الفروع الفقهيَّة، فتحصَّل أنَّ الأمور الاعتقاديَّة كمعرفة الله تعالى، ومَعرفة الرسل وما أتَوا به.. لا بدَّ فيها من الجزم المطابق للحق عن دليل، ولا يكفي فيها الظنُّ، وأمَّا الأمورُ العمَليَّة كفروع الدين.. فيكفي فيها غلَبة الظن.

قوله: (﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾) أي: اترُك دعوتَهُ والاهتمامَ بشأنه؛ فإنه لا تُفيد دعوته إلا عناداً وإصراراً على الباطل.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد) أي: فهو منسوخ بآية القتال، وقد تبع المفسِّر في ذلك أكثر المفسرين، وقال الرازي: (إنها ليست منسوخة بآية القتال، بل هي موافقة لها؛ وذلك لأنَّ النبي ﷺ في الأول كان مأموراً بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة، فلمَّا عارضُوه.. أُمِرَ بإزالة شُبَههم والجوابِ عنها، فقيل له: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ثمَّ لما لم ينفع ذلك فيهم..

مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ......

﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ﴾ أي: نِهايةُ عِلمِهم أن آثَرُوا الدُّنيا على الآخِرةِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: عالِم بِهِما فيُجازِيهِما.

﴿٣١﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو مالِكُ لِذلك ومِنهُ الضَّالُّ والمُهتَدِي؛ يُضِلُّ مَن يَشاء ويَهدِي مَن يَشاءُ، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ مِن الشِّرك وغَيرِه، ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ بِالتَّوحِيدِ وغَيرِه مِن الطَّاعات، ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾ أي: الجَنَّةِ. وبَيَّن المُحسِنِين بِقَولِه:

حاشية الصاوي

قيل له: «أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان؛ فإنهم لا يَنتفعون به، وقاتلهم فثمرة الإعراض القتال»[1]، وقد يقالُ: إنَّ الخلاف لفظي؛ فمَن أراد بالإعراض الكفَّ عن مجادلتهم ومعامَلَتهم بالتي هي أحسن.. قال بالنسخ، ومن أراد بالإعراض عنهم تركَ جدالهم ومُعامَلتهم بالسيف.. قال بِعَدَمه.

قوله: (﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ﴾) تسميتُه علماً تهكُّم بهم.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾) تعليلٌ للأمر بالإعراض، والمعنى: أنَّ الله عالمٌ بالضالِّ فيُجازيه على ضلاله، وبالمهتدي فيُجازيه على هُداه، ومن هنا خافت العارِفون من سوء الخاتمة؛ لعدم اعتِمادهم على أعمالهم.

قوله: (ومنه الضَّالُّ والمُهتدي) دفع بذلك ما يُقال: كيف يجعل الجزاء عِلة لملك السماوات والأرض مع أنه ثابتٌ لله تعالى بالذات؟ فأجاب: بأنه عِلَّة لمحذوف، دلَّ عليه قوله: ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾.

قوله: (﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾... إلخ) ويصح أن تكون اللام للعاقبة والصيرورة، والمعنى: أنَّ عاقبة أمر الخلقِ أن يكون فيهم المحسِن والمسيء، فيُجازي المحسن بالإحسان، والمسيء بالإساءة.

قوله: (وبيَّن المُحسنين... إلخ) أي: فـ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ بدلٌ أو عطفُ بيان أو نعتٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾، أو مفعولٌ لمحذوف، تقديره: (أعني)، أو خبرٌ لمحذوف تقديره: (هم الذين... إلخ).

---

(١) «تفسير الرازي» (٢٨/ ٢٦٠).

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ ....﴾

﴿٣٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ هو صِغارُ الذُّنُوب كالنَّظْرةِ والقُبلةِ واللَّمسةِ، ـ فهو استِثناءٌ مُنقَطِع ـ والمَعنى: لَكِنَّ اللَّمَم يُغفَرُ باجتِنابِ الكَبائِر، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ بذلك وبِقَبُولِ التَّوبة. ونَزَلَ فِيمَن كانَ يَقُولُ: صَلاتُنا صِيامُنا حَجُّنا: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ﴾ أي: عالِم ﴿بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: خَلَقَ أباكُم آدم مِن التُّراب، ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ﴾: جَمع (جَنِين) ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾: لا تَمدَحُوها أي: على سَبِيلِ الإعجابِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾) جمع (كبيرة)، وهي: ما ورد فيها وعيدٌ أو حَدٌّ.

قوله: (﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾) إمَّا عطفُ مرادفٍ إن أريد بها الكبائر، أو خاصٍّ إن أريد بها ما ترتَّب عليه عظيمُ مَفسَدة، كالقتل والزنا والسرقة ونحو ذلك.

قوله: (﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾) هو في الأصل: أن يُلِمَّ بالشيء ولم يرتكبه، والمراد به: فعل الصغائر.

قوله: (كالنظرة) أي: وكالكذب الذي لا حدَّ فيه، ولم يترتَّب عليه إفسادٌ بين الناس، وهجرِ المسلم فوق ثلاث، والتَّبختر في المشي ونحو ذلك.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾) تعليل لقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾، والمعنى: أنَّ عدم المؤاخذة على الصغائر لا لِكونها ليست ذنباً، بل لِسَعة مغفرة الله.

قوله: (بذلك) أي: باجتناب الكبائر.

قوله: (أي: عالم) أشار بذلك إلى أنَّه ليس المرادُ صيغةَ التفضيل.

قوله: (﴿إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾) أي: فهو عالمٌ بِتَفاصيل أمُوركم حين ابتدأ خلق أبيكم آدم من التراب، وحين صوَّركم في الأرحام.

قوله: (جمع «جَنين») سمِّي بذلك؛ لاستِتاره في بطن أمِّه.

قوله: (لا تَمدحوها) أي: لا تثنُوا عليها، ولا تَشهدُوا لها بالكمال والتقى؛ فإنَّ النفس خسيسةٌ؛ إذا مُدِحَت اغترَّت وتكبَّرت، فالذي ينبغي للشخص هَضمُ النفس وذلُّها واستخفافُها.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ ....

أمَّا على سَبِيل الاعتِراف بِالنِّعمةِ فحَسَن، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿بِمَنِ اتَّقَىٰٓ﴾.

(﴿٣٣﴾ - ﴿٣٥﴾) ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمانِ أي: ارتدَّ لَمَّا عُيِّرَ بِه وقال: إنِّي خَشِيتُ عِقابَ الله، فضَمِنَ لَهُ المُعِير لَهُ أن يَحمِلَ عنهُ عَذابَ الله إن رَجَعَ إلى شِركِه وأعطاهُ مِن مالِه كَذا، فرَجَعَ، ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ مِن المالِ المُسَمَّى، ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: مَنَعَ الباقِيَ، مَأخُوذ مِن الكُدْيَة وهي أرضٌ صُلبةٌ كالصَّخرةِ تَمنَع حافِرَ البِئر إذا وصَلَ إلَيها مِن الحَفر، ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾: يَعلَم مِن جُملَتِه أنَّ غَيرَه يَتحَمَّل عنهُ عَذاب الآخِرة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أمَّا على سبيل الاعتراف بالنعمة.. فحسنٌ) أي: ولذا قيل: المسرَّةُ بالطاعة طاعةٌ، وذكرُهَا شكرٌ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] (١).

قوله: (﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ﴾) أي: بِمن أخلص في طاعته وتقواه، فيَنتفع بها، ويثاب عليها، وأمَّا المرائي.. فلا ينتفع بطاعة، بل يُعاقب عليها؛ لأنَّ الرياء يُحبط العمل.

قوله: (أي: ارتدَّ) أي: بعد أن أسلم بالفعل، وهذا أحدُ قولين، وقيل: قارَب الإسلام ولم يسلم بالفعل.

قوله: (وأعطاه مِن ماله) الضمير المستتر في (أعطى) عائد على الذي تولَّى، والبارز عائد على الذي ضَمن له عذاب الله، فتحصَّل أنَّ الضامن جعل على المتولي شيئين: الرجوع إلى الشرك، وأن يدفع له عدداً مُعيناً من ماله، وجعل على نفسه هو شيئاً واحداً وهو ضَمان عذاب الله.

قوله: (﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾) هو في الأصل من: أكدَى الحافر: إذا أصاب كدية مَنعته من الحفر، ومثله: أجْبَلَ؛ أي: صادف جبلاً منعه من الحفر، ثمَّ استُعمِلَ في كلِّ من طُلِبَ منه شيءٌ فلم يُعطِه.

قوله: (﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾) استفهامٌ إنكاريٌّ بمعنى النفي؛ أي: ليس عنده علم الغيب.

قوله: (﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾) عطف على قوله: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾، فهي داخلةٌ في حيِّز الاستفهام.

---

(١) انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ١١٥)، وفي «مسند الإمام أحمد» (٥/ ٢٥٢) عن سيدنا أبي أمامةَ رضي الله عنه أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما الإيمانُ؟ قال: «إذا سرَّتك حسنتُك، وساءتك سيِّئتُك.. فأنتَ مؤمن».

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝٣٧﴾ ....

لا وهو الوَلِيد بن المُغِيرة أو غَيرُه، ـ وجُملةُ ﴿أَعِندَهُ﴾ المَفعُول الثَّانِي لِـ(رأيت) بِمَعنى أخبِرْني ـ.

(٣٦ - ٤١) ﴿أَمْ﴾ بَل ﴿لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾: أسفارِ التَّوراة أو صُحُفِ قَبلها، ﴿وَ﴾ صُحُف ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾: تَمَّمَ ما أُمِرَ بِه، نَحو: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهو الوليدُ بن المغيرة) أي: وهو قول مُقاتل، وعليه الأكثر.

قوله: (أو غيره) أي: فقيل: هو العاص بن وائل السَّهمي، وقيل: هو أبو جهل[1]، وهذا الخلاف في بيان الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى، وأمَّا الذي عيَّره وضَمن له أن يحمل عنه العذاب.. فلم يذكرُوا تَعيينه.

قوله: (﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾) ﴿أَمْ﴾: مُنقطعة، والمعنى: أبل لم يخبَر بالذي في صُحف موسى... إلخ، حتى يغترَّ بما قيل له؟ وقدَّم موسى؛ لِقُرب عهده منهم، وخصَّ هذين الرسولَين؛ لأنهم كانُوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره، فكان الرجل إذا قَتلَ، وظفر أهل المقتول بأبي القاتل أو ابنِه أو أخيه أو عمِّه أو خاله.. قتَلوه، حتى جاءهم إبراهيم فنهاهم عن ذلك، وبلَّغهم عن الله: أن لا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى.

قوله: (تمَّم ما أُمِرَ به) أي: من تبليغ الرسالة، وقيامِه بالضِّيفان، وخِدمته إياهم بنفسه، فكان يخرج يتلقَّى الضيفان من على مسافة فرسخ، فإن وجد الضيفان.. أكرمهم وأكل معهم، وإلَّا.. نوى الصوم، وصبرِهِ على النار، وعلى ذبح وَلده.

وقيل: المراد: وفَّى سهام الإسلام، وهي ثلاثون: عشرة في (التوبة): ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾، وعشرة في (الأحزاب): ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، وعشرة في (المؤمنون): ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

وقيل: المراد: وفَّى بكلمات كان يقولهنَّ إذا أصبح وإذا أمسى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ...﴾ إلى ﴿تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٨]، والمعنى: أنه ما أمرَه الله تعالى بشيء إلا وفَّى به.

---

(١) انظر الأقوال وسببَ النزول في «زاد المسير» (١٩١/٤).

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ ....

وبيانُ (ما): ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ...﴾ إلخ، - و(أن) مُخففةٌ مِن الثقيلة - أي: أنَّه لا تَحمِل نَفسٌ ذنبَ غيرِها، ﴿وَأَن﴾ أي: أنَّهُ ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ مِن خَير فلَيسَ لَهُ مِن سَعيِ غيرِه الخير شَيء، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وبيان «ما») أي: فقوله: ﴿أن لا تزر﴾ في محل جرٍّ بدل من (ما) في قوله: ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾، ويصحُّ رفعه على أنه خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو أن لا تَزِر، ونصبه على أنه مفعول لمحذوف.

قوله: (﴿وَازِرَةٌ﴾) صفة لموصوف محذوف؛ أي: نفسٌ وازرةٌ؛ أي: مُكلَّفة بالوزر، وليس المراد: وازِرة بالفعل.

قوله: (﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾) أي: وزرَ نفسٍ أخرى.

قوله: (إلى آخره) المراد به قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾، وهذا على فتح همزة (أن) في قوله ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ وما بعده وهي ثمانية تَضم الثلاث قبلها، فتكون الجملة أحدَ عشر شيئاً، وأمَّا على قراءة الكسر في هذه الثمانية.. فيكون المراد بقوله: (إلى آخره) ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾، فيكون البيان بالثلاثة الأُوَلِ فقط[1].

قوله: (و«أنْ» مخففة من الثقيلة) أي: واسمها محذوف هو ضمير الشأن، و(لا تزر) هو الخبر.

قوله: (﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾) استُشكِل هذا الحصر بأمور؛ منها: أنَّ الدَّالَّ على الخير كفاعله، ومنها: (أتبعناهم ذرياتهم بإيمان)[2]، ومنها: «**إذا مات ابن آدم.. انقطع عمله إلا من ثلاث**» إلى قوله: «**أو ولد صالح يدعو له**»[3]، ومنها: غير ذلك.

قال الشيخ تَقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية: مَن اعتقد أنَّ الإنسان لا ينتفع إلا بعمَله.. فقد خرَق الإجماع، وذلك باطلٌ من وجوه كثيرة:

---

(١) العامَّة على فتح الهمزة وما عُطف عليها؛ بمعنى: أن الجميع في صُحف موسى وإبراهيم، وقرأ أبو السمال بالكسر في الجميع على الابتداء. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٠٥).

(٢) كذا في الأُصول، وهي قراءة أبي عمرو بإسناد الفعل إلى المتكلِّم المعظم نفسه. وانظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٢).

(٣) رواه مسلم (١٦٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ....

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أي: يُبصَرُ في الآخِرة، ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾: الأكمَلَ، يُقال:

حاشية الصاوي

أحدها: أنَّ الإنسان يَنتفع بدعاء غيره، وهو انتفاعٌ بعمل الغير.

ثانيها: أنَّ النبي ﷺ يَشفع لأهل الموقف في الحساب، ثمَّ لأهل الجنة في دخولها.

ثالثها: لأهل الكبائر في الخروج من النار.

رابعها: أنَّ الملائكة يَدعون ويستغفرون لمن في الأرض.

خامسها: أنَّ الله تعالى يُخرج من النار مَنْ لم يعمل خيراً قطُّ بِمَحض رحمته، وهذا انتفاعٌ بغير عملهم.

سادسها: أنَّ أولاد المؤمنين يَدخلون الجنَّة بعمل آبائهم.

سابعها: قال تعالى في قِصة الفلاحين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

ثامنها: أنَّ الميت ينتفع بالصدقة عنه، وبِالعتق بنصِّ السنَّة والإجماع.

تاسعها: أنَّ الحج المفروض يَسقط عن الميت بحجِّ وليِّه بنصِّ السنَّة.

عاشرها: أنَّ الحج المنذور ـ أو الصوم المنذور ـ يَسقط عن الميت بعمل غيره بنصِّ السنَّة، وهو انتفاعٌ بعمل الغير.

حادي عشرها: المدين، قد امتَنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينَهُ أبو قتادة، وقضى دينَ الآخَر علي بن أبي طالب، وانتفع بصلاة النبي ﷺ، وهو مِن عمل الغير.. إلى آخر ما قال[1].

وأُجيب بأجوبةٍ منها: أنَّ الآية منسوخةٌ، ورُدَّ: بأنها خبرٌ، والأخبار لا تُنسخ، ومنها: أنَّ المراد بالإنسان: الكافر، ومنها: أنَّ هذا حكايةٌ عمَّا في صُحف موسى وإبراهيم؛ فليس من شرعِنا.

قوله: (أي: يُبْصَرُ في الآخرة) أي: لأنَّ العمل يُصوَّرُ بصورة جميلة إن كان صالحاً، وقبيحةٍ إن كان سيئاً؛ ليكون سُروراً للمؤمن، وحزناً للكافر.

قوله: (﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾) الضمير المرفوع عائدٌ على الإنسان، والمنصوب عائدٌ على السعي.

قوله: (﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾) مصدرٌ مبيِّنٌ لِلنوع.

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٤/٣٠٦ ـ ٣١٤).

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾ ....

جَزَيْتُه سَعيَه وبِسَعيِه.

(٤٢ - ٤٦) ﴿وَأَنَّ﴾ - بِالفَتحِ عَطفاً، وقُرِئَ بِالكَسرِ استِئنافاً، وكذا ما بَعدها، فلا يَكُون مَضمُونُ الجُمَلِ في الصُّحُف على الثَّانِي - ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: المَرجِعُ والمَصير بَعد المَوت فيُجازِيهِم، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾ مَن شاءَ أفرَحَهُ، ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ مَن شاءَ أحزَنَهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (يقال: جزيته سعْيَهُ... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الجزاء يتعدَّى بنفسه وبحرف الجرِّ.

قوله: (بالفتح عطفاً) أي: على قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ...﴾ إلخ، وعليه: فيكون مِن جُملة ما في صحف موسى وإبراهيم.

قوله: (وقرئ بالكسر استئنافاً) أي: وعليه: فيكون زائداً على ما في صُحف موسى وإبراهيم؛ لأنَّ القرآن فيه ما في الصحف وزيادة.

قوله: (وكذا ما بعدها) أي: من قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾، والكسرُ شاذ[1].

قوله: (﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾) أي: مُنتهى أمرِ الخَلق ومرجعُهُم إليه تعالى، وهذا كالدليل لقوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾، كأنَّه قال: الله يَجزي الإنسان على أعماله الجزاء الأوفى؛ لأنه إليه المنتهى في الأمور كلِّها، وإذا كان كذلك.. فينبغي للإنسان أن يَرجع إلى ربِّه في أموره كلِّها، ولا يُعوِّلَ على شيءٍ من الأشياء؛ لأنه الآخِذُ بالنواصي.

واختُلف في المخاطب بقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾؛ فقيل: كلُّ عاقل، وقيل: محمد ﷺ، وهذا على قراءة الكسر، وأمَّا على قِراءة الفتح.. فقيل: كلُّ عاقل، وقيل: موسى وإبراهيم على سبيل التوزيع؛ لأنه مَحكيٌّ عن صحفهما.

قوله: (أفرحه) أشار بذلك إلى أنَّ الضحك مُستعمَلٌ في حقيقته، وكذا البكاء، وأنَّ مفعول كلٍّ من الفعلين محذوفٌ.

---

(١) وبه قرأ أبو السمال في الجميعِ على الابتداء. انظر «الدر المصون» (١٠/١٠٥).

وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ....

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدُّنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ لِلبَعثِ، ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾: الصِّنفَينِ ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾: تُصَبُّ في الرَّحِم.

(﴿٤٧﴾ - ﴿٥١﴾) ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ﴾ - بِالمَدِّ والقَصر - ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾: الخَلقةَ الأُخرَى لِلبَعثِ بَعد الخَلقةِ الأُولَى، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ النَّاسَ بِالكِفايةِ بِالأموالِ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أعطَى المالَ المُتَّخذَ قُنيةً، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ هو كَوكَبٌ خَلفَ الجَوزاءِ كانَت تُعبَدُ في الجاهِلِيَّة، ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾... إلخ) الحكمةُ في إسقاط ضمير الفصل في هذا، وإثباته في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾: الإشارةُ لدفع توهُّم أنَّ للمخلوق مَدخلاً في الإضحاك والإبكاء، والإماتة والإحياء، فأكَّده بالفصل، ولَمَّا لم يحصل في خلق الذكر والأنثى وما بعده توهُّمُ أنَّ لِلغير مدخلاً.. لم يُؤكِّده بضمير الفصل.

قوله: (﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾) أي: بحكم الوعد الكائنِ في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ [ق: ٤٣]؛ إذ لا يَجب عليه تعالى فعلُ شيءٍ، ولا تركُه.

قوله: (بالمدِّ والقصر) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (أعطى المال المتَّخذ قُنيَةً) أي: الذي يَدوم عند صاحبه.

قوله: (﴿رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾) اعلَم: أنَّ الشعرى في لسان العرب كوكبانِ: أحدهما: الشِّعرى العَبُورُ، وتسمَّى الشِّعرى اليَمانية، تطلع بعد الجوزاء في شدة الحرِّ، كانت تَعبدها خُزاعة من العرب، وأوَّل من سنَّ عبادتها رجلٌ من ساداتهم يقال له: أبو كبشة، وهي المرادة في الآية.

والثاني: الشعرى الغُمَيصاء؛ بضمِّ الغين وفتح الميم، من: الغَمَصِ - بفتحتين - وهو: سَيَلان دمع العين.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الشين، وبعدها ألف مَمدودة قبل الهمزة، والباقون بسكون الشين، وبعدها الهمزة المفتوحة. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٣٨).

﴿وَثَمُودَا فَمَآ أَبۡقَىٰ ٥١ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ٥٢﴾ ....

- وفي قِراءة بِإدغامِ التَّنوين في اللّام وضَمِّها بِلا هَمز - هي قومُ عادٍ والأُخرى قَومُ صالِح، ﴿وَثَمُودَا﴾ - بِالصَّرفِ اسم لِلأبِ وبِلا صَرف لِلقَبيلةِ، وهو مَعطُوف على ﴿عَادًا﴾ - ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ مِنهُم أحَداً.

(٥٢ - ٥٥) ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ﴾ أي: قَبل عادٍ وثَمُودَ أهلَكناهُم، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ مِن عادٍ وثَمود لِطُولِ لُبثِ نُوح فِيهِم، فلَبِثَ فِيهِم ألفَ سَنة إلّا خَمسِينَ عاماً، وهُم مَع عَدَم إيمانِهِم بِه يُؤذُونَهُ ويَضرِبُونَه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بإدغام التنوين) أي: بعد قلبه لاماً، وقوله: (في اللام) أي: لام التعريف، وقوله: (وضمِّها) أي: بِنَقل حركة همزة (أولى) إليها، وقوله: (بلا همز) أي: الواو التي بعد اللام المدغم فيها التنوين، وبقي قراءة ثالثة سبعيَّة أيضاً، وهي هذه القراءة بعينها إلا أنَّ الواو المذكورة تُقلب همزة ساكنة[1].

قوله: (هي قوم هود) أي: وسمِّيت أولى؛ لتقدُّمها في الزمان على عاد الثانية التي هي قوم صالح، وهم ثمود، فأُهْلِكَت الأولى بالريح الصَّرصر، والثانية بصيحة جبريل، وتسمَّى كلٌّ من القبيلتين عاداً؛ لأنَّ جدَّهم واحدٌ، وهو عادُ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

قوله: (وهو معطوف على ﴿عَادًا﴾) أي: ويَصحُّ نصبه بفعل محذوف، تقديره: وأهلك ثموداً، وليس منصوباً بـ﴿أَبۡقَىٰ﴾؛ لأنَّ ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها.

قوله: (أهلكناهم) صوابُه: (أهلكهم)، وأشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾ منصوب بفعل محذوف، ويَصحُّ عطفه على ما قبله.

قوله: (﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾) الضميرُ عائد على قوم نوح خاصَّة، وعليه مشى المفسِّر، ويصحُّ عَوده على الفِرَق الثلاثة[2]، والمعنى: أظلم وأطغى من غيرهم.

قوله: (يُؤذونه ويضربونه) أي: حتى يُغشى عليه، فإذا أفاق.. قال: ربِّ؛ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو بتشديد اللام بعد الدال المفتوحة نقلاً، وهمَز قالُون الواو بعد اللام همزة ساكنة، والباقون بتنوين الدال، وكسر التنوين، وسكونِ اللام، وبعدها همزة مضمومة. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٣٩).

(٢) كذا في الأصول بإثبات التاء؛ لأن العدد إذا تأخَّر جاز فيه الموافقةُ لِلمعدود أو المخالفةُ.

وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ ....

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ وهي قُرَى قومِ لُوط ﴿أَهْوَىٰ﴾: أسقَطَها بَعد رَفعِها إلى السَّماء مَقلُوبةً إلى الأرض بِأمرِه جِبرِيلَ بِذلك، ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ مِن الحِجارةِ بَعد ذلك ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ أُبهِمَ تَهوِيلاً، وفي (هُود): ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾: أنعُمِه الدَّالَّة على وَحدانِيَّتِه وقُدرَتِه ﴿تَتَمَارَىٰ﴾: تَتشكَّك أَيُّها الإنسانُ أو تُكذِّب؟

(﴿٥٦﴾ - ﴿٥٨﴾) ﴿هَٰذَا﴾ مُحمَّد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ﴾ مِن جِنسِهِم، أي: رَسُولٌ كالرُّسُلِ قَبله، أُرسِلَ إلَيكُم كما أُرسِلُوا إلى أقوامِهِم. ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾) منصوب بـ﴿أَهْوَىٰ﴾، قدِّم رعايةً للفاصلة، ومعنى (المؤتفكة): المنقَلِبة؛ لأنَّ الائتفاك الانقلاب.

قوله: (مقلوبة) حال من ضمير (أسقطها).

قوله: (﴿فَغَشَّىٰهَا﴾) أي: ألبَسها وكساها، والفاعل ضمير عائد على الله تعالى، وقوله: ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ مفعول به.

قوله: (تهويلاً) أي: تفخيماً وتعظيماً، والمعنى: غشَّاها أمراً عظيماً من حجارةٍ وغيرها ممَّا لا تسَع العقول وَصفه.

قوله: (وفي «هود»: فجعلنا... إلخ) الصواب أن يقولَ: وفي (هود): ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا...﴾ إلخ، أو يقولَ: وفي (الحجر): ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ بدل قوله: ﴿عَلَيْهَا﴾.

قوله: (﴿فَبِأَيِّ﴾) الباء: ظرفيَّة متعلقة بـ﴿تَتَمَارَىٰ﴾، والمعنى: في أيِّ آلاء ربِّك تُشكِّك؟

قوله: (أيها الإنسان) أي: مطلقاً، وقيل: المراد به: الوليدُ بن المغيرة، وقيل: الخطاب للنبي والمراد غيره.

قوله: (﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ﴾) النذير: بمعنى المنذِر، والتنوين للتفخيم.

أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ....

﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾: قَرُبَت القِيامةُ، ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نَفسٌ ﴿كَاشِفَةٌ﴾ أي: لا يَكشِفها ويُظهِرُها إلَّا هو، كقَولِه تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(﴿٥٩﴾ - ﴿٦٢﴾) ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تَكذِيباً؟ ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استِهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ لِسَماعِ وَعدِه ووَعِيدِه، ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾: لاهُونَ غافِلُونَ عمَّا يُطلَبُ مِنكُم، ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ الذِي خَلَقَكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾) أَزِفَ: من باب (تَعِبَ): دنَا وقرُبَ.

قوله: (قربت القيامة) أي: الموصوفة بالقرب، فهي في نفسها قريبةٌ من يومِ خلق الله الدنيا؛ لأنَّ كلَّ آتٍ قريبٌ، وقد ازدادت قُرباً ببعثة رسول الله ﷺ؛ لأنه من أمارات الساعة كما هو معلومٌ.

قوله: (نفسٌ ﴿كَاشِفَةٌ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿كَاشِفَةٌ﴾ صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ.

قوله: (أي: لا يَكشفها ويُظهرها إلا هو) أي: فهو من: كَشَفَ الشيءَ: عرف حقيقته، ويَصِحُّ أن يكون من: كشَف الضرَّ: أزاله، والمعنى: ليس لها مزيلٌ غيره تعالى، لكنه لم يفعل ذلك؛ لأنه سبَق في علمه وقوعها.

قوله: (﴿أَفَمِنْ﴾) هذا الحديث مُتعلق بـ﴿تَعْجَبُونَ﴾.

قوله: (تكذيباً) قيَّد به؛ لأنَّ التعجب قد يكون استحساناً، وكذا يُقال في قوله: (استهزاء).

قوله: (﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾) إمَّا مستأنفٌ، أو حالٌ.

قوله: (لاهون غافلُون) أي: فالسُّمُود: اللهو والغَفلة، وقيل: الإعراض والاستكبار.

قوله: (﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾) يحتمل أنَّ المراد به سُجود الصلاة، وهو ما عليه مالك، ويحتمل أنَّ المراد به سُجود التلاوة، ويُؤيِّده: ما رُوي: (أنَّ النبي ﷺ سجَد في «النجم» وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس إلا أبي بن خَلَف؛ رفع كفًّا من تراب على جَبهته وقال: يكفي هذا)[1]، وبه أخذ الشافعي.

(١) رواه البخاري (١٠٧٠)، (١٠٧١)، ومسلم (٥٧٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وليس فيهما تَسمية الذي لم يسجد.

﴿وَٱعۡبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَٱعۡبُدُواْ﴾ ولا تَسجُدُوا لِلأصنامِ ولا تَعبُدُوها.

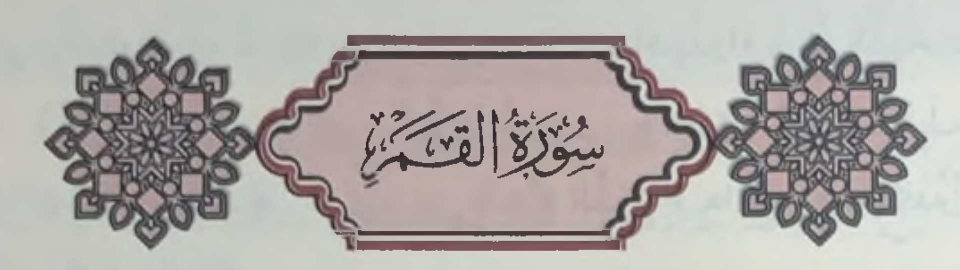
✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱعۡبُدُواْ﴾) عطف عامٍّ على خاصٍّ، وقوله: (ولا تسجدُوا للأصنام... إلخ) أخَذه من لام الاختصاص، ومِن السياق.

✿ ✿ ✿

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ ....



مكيَّة إلَّا ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ...﴾ الآية، وهي خمسٌ وخمسونَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾: قَرُبَت القِيامةُ، ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾: انفلَقَ فِلقَتَينِ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ القَمَرِ

جميع فواصل آياتِها على الراء الساكنة.

قوله: (الآية) أي: وآخِرها: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾.

قوله: (قرُبت القيامة) أشار بذلك إلى أن الفعلَ المزيد بمعنى المجرد، وإنما أتى بالمزيد مبالغةً؛ لأنَّ زيادة البناء تدلُّ على زيادة المعنى، والمراد بالقيامة: خروجُ الناس من القبور، وله أسماء كثيرة: الحاقة، والواقعة، ويوم الدين، ويوم الجزاء، وغير ذلك.

قوله: (﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾) اعلَم: أنه يسمَّى قمراً بعد ثلاث من الشهر، وقبلها هلال إلى أربعة عشر وليلتها يسمَّى بدراً.

قوله: (فلقتَين) تَثنية (فِلْقَةٍ) بالكسر كـ(قِطْعَةٍ) وزناً ومعنًى، والانشقاق كان قبل الهجرة بخمسِ سنين، وهل كان ليلة أربعة عشر من الشهر أو لا؟ لم يَثبت، وأمَّا قول البوصيري[1]: [الخفيف]

شُقَّ عَنْ صَدْرِهِ وشُقَّ لَهُ البَدْ ... رُ، ومِنْ شَرْطِ كُلِّ شَرْطٍ جَزَاءُ

فإن كان عن نقلٍ صحيحٍ.. فهو مقبولٌ؛ لأنه حُجة، وإلَّا.. فتَسميته بدراً مجازٌ. وما ذكَره المفسِّر من أنه انفلَق بالفعل هو المشهور، وقيل: المعنى: سيَنشقُّ القمر إذا قامت القيامة؛ لأنَّ السماء تَنشق حينئذٍ بما فيها، وقيل: إنَّ المعنى: ظهَر الأمر واتَّضح.

---

(١) في همزيته المشهورة. انظر «المنح المكية» (ص٣٢٥).

وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ....

على أبِي قُبَيسٍ وقُعَيقِعانَ آيةً لَهُ ﷺ، وقد سُئِلَها فقال: «اشهَدُوا» رَواهُ الشَّيخانِ.

(٢ - ٣) ﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ أي: كُفَّارُ قُرَيش ﴿ءَايَةً﴾: مُعجِزَةً لَه ﷺ ﴿يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟﴾: هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: قَوِيٌّ، مِن المِرَّة القُوَّة أو دائمٌ. ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ النَّبيَّ ﷺ ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في الباطِل ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقُعَيْقِعَانَ) هو جبلٌ مُقابل أبي قُبَيْس[1].

قوله: (وقد سُئِلَهَا) الجملة حاليَّة، والمسؤول إمَّا مُطلقُ آيةٍ، أو خصوصُ انشقاق القمر، رِوايتان[2].

قوله: (فقال: «اشهدوا») أي: بأني رَسول الله، ولستُ بساحرٍ كما تزعمون.

قوله: (﴿يُعْرِضُوا۟﴾) أي: عن الإيمان بها.

قوله: (هذا ﴿سِحْرٌ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿سِحْرٌ﴾ خبرٌ لمحذوفٍ.

قوله: (قويٌّ أو دائمٌ) هذان قَولان من أربعة أقوال، والثالث: أنَّ معناه: ذاهبٌ لا يبقى، مأخوذ من المرور، والرابع: أنَّ معناه: مرٌّ بشعٌ لا نقدر أن نُسِيغه كما لا نُسيغ المرَّ.

قوله: (﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟﴾) عبَّر بالماضي؛ إشارةً إلى أنَّ التكذيب واتِّباع الهوى من عادتهم ودَأبهم.

---

(١) قيل: سمِّي به؛ لأنَّ جرهماً لما تحارَبوا.. كثرت قعقعة ـ أي: حكاية صوت السلاح ونحوه ـ هناك. انظر «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/ ٨٨).

(٢) روى الأُولى البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢) عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ قال: (سأل أهل مكة أن يُريَهم آيةً، فأراهم انشِقاق القمر)، وروى الثانية أبو نعيمٍ في «دلائل النبوة» (٢٠٩) عن سيدنا ابن عباس قال: (اجتمَعت المشركون إلى رسول الله ﷺ، منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يَغوث، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزى، وزَمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث ونُظراؤهم كثير، فقالُوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً.. فشُقَّ القمر لنا فرقتَين: نصفاً على أبي قُبيس، ونصفاً على قُعيقعان...) الحديث.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ ....

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ مِن الخَير والشَّرِّ ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ بِأهلِه في الجَنَّة أو النَّارِ.

(٤ - ٥) ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾: أخبارِ إهلاكِ الأُمَم المُكَذِّبة رُسُلَهم ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ لَهُم، ـ اسم مَصدَر أو اسم مَكان، والدَّالُ بَدل مِن تاء الافتِعال ـ وازدَجَرتُه وزَجَرته: نَهَيتُه بِغِلظةٍ، ـ و﴿مَا﴾ مَوصُولة أو مَوصُوفة ـ. ﴿حِكْمَةٌۢ﴾ ـ خَبَر مُبتدأ مَحذُوف أو بَدَل مِن ﴿مَا﴾ أو مِن ﴿مُزْدَجَرٌ﴾ ـ ﴿بَٰلِغَةٌ﴾: تامَّة ﴿فَمَا تُغْنِ﴾: تَنفَعُ فِيهِم ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: جَمع (نَذِير) بِمَعنَى مُنذِر، أي: الأُمُورُ المُنذِرةُ لهم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ مركبةٌ من مبتدأ وخبر، قاطعةٌ لأطماعِهم الكاذبة، والمعنى: كلُّ أمرٍ من الأمور مُنْتَهٍ إلى غايةٍ يستقرُّ عليها؛ إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

قوله: (﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ بأهله) الباء: بمعنى اللام، والمعنى: ثابتٌ لأهله ما يَنشأ عنه من ثوابٍ وعقابٍ.

قوله: (أو اسم مكان) أي: على أنَّ فيه تجريداً، والمعنى: أنه موضع ازدجارٍ[1].

قوله: (بدل من تاء الافتعال) أي: لأنَّ الزاي حرفٌ مجهورٌ، والتاء حرفٌ مهموسٌ، فأبدلوها إلى حرفٍ مجهورٍ قريبٍ من التاء وهو الدال، وكما تُقلب تاء الافتعال دالاً بعد الزاي كذلك تقلب دالاً بعد الدال والذال، قال ابن مالك[2]: [الرجز]

فـي «ادَّانَ وازْدَدْ وادَّكِـرْ» دَالاً بَـقِـي

قوله: (و﴿مَا﴾ موصولةٌ، أو موصوفةٌ) أي: وهي فاعل بـ(جاء)، و﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾: حالٌ منها.

قوله: (أو بدل من ﴿مَا﴾) أي: بدلَ كلٍّ من كلٍّ، أو بدل اشتمالٍ.

قوله: (﴿بَٰلِغَةٌ﴾) أي: تامَّةٌ لا خللَ فيها.

قوله: (أي: الأمورُ المُنذرة لهم) أي: كما وَقع للأُمم السَّابقة من العذاب.

قوله: (﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾) حُذِفَتِ الياء لفظاً لالتقاء الساكنين، وتُحذف في الخطِّ اتباعاً للفظ ولرسم المصحف.

---

(١) عبارة أبي السعود في «تفسيره» (٨/ ١٦٨): (أو موضع ازدجار على أن «في» تجريدية، والمعنى: أنه في نفسه موضع ازدجار)، وانظر «الفتوحات» (٤/ ٢٥٠).

(٢) كما في «الخلاصة»، باب: الإبدال.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦﴾ ....

ـ و(ما) لِلنَّفي أو لِلاستِفهامِ الإنكارِيِّ، وهي على الثَّاني مفعولٌ مُقدَّم ـ.

(٦ - ٨) ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ﴾ هو فائِدةُ ما قَبله وتَمَّ به الكلام، ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ هو إسرافيلُ ـ وناصِب ﴿يَوۡمَ﴾ ﴿يَخۡرُجُونَ﴾ بعدُ ـ ﴿إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ ـ بِضَمِّ الكاف وسُكُونِها ـ أي: مُنكَر تُنكِرُه النُّفوسُ لِشِدَّته وهو الحِسابُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مفعولٌ مقدَّمٌ) أي: مفعولٌ به، والمعنى: فأيَّ شيءٍ من الأشياء النافعةِ تُغني النُّذر؟ أو مفعولٌ مطلقٌ، والمعنى: فأيَّ إغناءٍ تغني النُّذر.

قوله: (﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ﴾) قيل: منسوخةٌ بآية السيف، وقيل: غير مَنسوخة، بل معناها: فتولَّ عنهم ولا تُكلِّمْهم، بل قَاتِلْهُم.

قوله: (هو فائدة ما قبله) أي: نتيجتُهُ وثَمرتُهُ.

قوله: (﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾) حُذفت الواو من ﴿يَدۡعُ﴾ لفظاً لالتقاء الساكنين، وخطًّا تبعاً لِرَسم المصحف واللفظ، وحذفت الياء من (الداعي) خطًّا؛ لأنها من ياءاتِ الزوائد، وأما في اللفظ.. فقُرِئ في السبع بإثباتها وحذفها، وكذا يُقال في ﴿ٱلدَّاعِ﴾ الآتي[1].

قوله: (هو إسرافيل) هذا أحد قولين، وقيل: هو جبريل يقول في ندائه: «أيَّتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحومُ المتفرقة، والشعور المتمزِّقة؛ إنَّ الله يَأمركنَّ أن تجتمِعنَ لفصل القضاء»[2].

قوله: (وناصبُ ﴿يَوۡمَ﴾: ﴿يَخۡرُجُونَ﴾ بعدُ) أي: أو محذوف، تقديره: اذكُر.

قوله: (بضمِّ الكاف... إلخ) أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[3].

قوله: (تُنكره النفوس) أي: جميعُهَا، أو نفوسُ الكفار؛ لأنَّ المؤمنين حينئذٍ يَكونون آمنِين.

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو بحذف الياء بعد العين وقفاً وإثباتها وصلاً، وابن كثير بإثباتها وقفاً ووصلاً، والباقون بحذفها وقفاً ووصلاً. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٤٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٢) من حديث كعب.

(٣) العامَّة على ضمِّ الكاف وهو صفة على (فُعُل)، وابن كثير بسكون الكاف، فيحتمل أن يكون أصلاً، وأن يكون مخففاً من قراءة الجماعة. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٢٤).

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ ....

﴿خَٰشِعًا﴾ أي: ذَلِيلاً ـ وفي قِراءة: ﴿خُشَّعًا﴾ بِضَمِّ الخاء وفَتح الشِّين مُشدَّدةً ـ ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ ـ حالٌ مِن فاعِل: ـ ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي: النَّاس ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: القُبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ لا يَدرُونَ أينَ يَذهَبُون مِن الخَوف والحَيرةِ. ـ والجُملةُ حال مِن فاعِل ﴿يَخْرُجُونَ﴾، وكذا قولُه ـ: ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي: مُسرِعِينَ مادِّينَ أعناقَهُم ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ مِنهُم: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (حال) أي: قوله: ﴿خَٰشِعًا﴾، و﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ فاعل به، وأسند الخشوع للأبصار؛ لأنه يَظهر فيها أكثر من بقيَّة البدن.

قوله: (أي: الناس) أي: مُؤمنهم وكافرهم.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾) جمع (جَدَثٍ) بفتحتين؛ كـ(فَرَسٍ وأَفْرَاسٍ).

قوله: (﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾) أي: في الكثرةِ والانتشار في الأمكنة.

قوله: (لا يدرون أين يَذهبون... إلخ) اعلَم: أنَّ الناس حين الخروج من القبور شُبِّهُوا في هذه الآية بالجراد المنتَشر، وفي الآية الأخرى: بالفراش المبثوث، فمِن حيثُ تحيُّرهم وتداخلُهُم بعضهم في بعض شُبِّهُوا بالفراش المبثوث، ومِن حيثُ انتشارُهُم وقصدُهُم الجهةَ التي يَجتمعون فيها شُبِّهُوا بالجراد المنتشر. إذا علمتَ ذلك.. فما قاله المفسِّر لا يُناسب تشبيهَهم بالجراد، بل بالفراش، هكذا قالُوا، فتدبَّر.

قوله: (مادِّين أعناقَهُم... إلخ) أي: فمعنى ﴿مُّهْطِعِينَ﴾: مادِّين الأعناق مع سرعة المشيِ.

قوله: (﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾... إلخ) استئنافٌ وقع جواباً عمَّا نشَأ من وصف اليوم بالأهوال وشدائدِها، كأنه قيل: فما يَقول الكافر حينئذٍ؟

---

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين، والباقون بضم الخاء ولا ألفَ بعدها وفتح الشين مشدَّدة، أمَّا القراءة الأولى.. فهي جارية على اللغة الفصحى من حيث إنَّ الفعل وما جرَى مَجراه إذا قُدِّم على الفاعل وُحِّدَ تقول: تخشع أبصارهم، ولا تقول: تخشَعن أبصارهم، وأمَّا القراءة الثانية.. فجاءت على لُغة طيئ؛ يَقولون: أكلُوني البراغيث. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٤٤).

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ ....

أي: صَعبٌ على الكافِرين كما في (المُدَّثِّر): ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المدثر: ٩-١٠].

(﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ قُريشٍ ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ - تأنيثُ الفِعل لِمَعنَى (قَوم) - ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نُوحاً ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ أي: انتَهَرُوهُ بِالسَّبِّ وغَيرِه، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾ - بِالفَتح - أي: بِأنِّي ﴿مَغْلُوبٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (**كما في «المدثر»**) أي: ففي (المدثر) ما يُفيد أنَّ الصعوبة والشِّدة لخصوص الكافر.

قوله: (﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾) تفصيلٌ لِما أجمل أولاً في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾.

قوله: (**لمعنى «قوم»**) أي: وهو الأُمَّة.

قوله: (﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾) تفصيلٌ لقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؛ فالمكذِّب والمكذَّب في الموضعَين واحد[١].

قوله: (﴿وَازْدُجِرَ﴾) عطف على (قالُوا)، والمعنى: قالوا: مجنونٌ، وانتَهرُوه.

قوله: (**وغيره**) أي: كالضرب والخَنق، فكانُوا يَضربونه ويَخنقونه حتى يغشى عليه، فيتركونه فإذا أفاق.. قال: «**اللهمَّ؛ اغفر لقومي فإنهم لا يَعلمون**».

قوله: (﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾) أي: بعد صبره عليهم الزمنَ الطويلَ، فمكث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً يعالجهم، فلم يَنَل منهم شيئاً.

قوله: (﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾) بفتح الهمزة في قراءة العامَّة على حكاية المعنى، ولو حكى اللفظ.. لقال: (إنه مغلوب)، وقرئ شذوذاً بكسر الهمزة على إضمار القول، والمعنى: فدعا ربَّه قائلاً: إني مغلوبٌ[٢].

---

(١) وقيل: معنى تكرار التكذيب: أنهم كذبوه تكذيباً على عَقب تكذيب؛ كلما مضى منهم قرنٌ مكذِّبٌ.. تَبِعه قرنٌ مكذِّب، أو كَذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدَنا؛ أي: لما كانوا مُكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأساً.. كذبوا نوحاً؛ لأنه مِن جملة الرسل؛ ففي الوجه الأول الذي ذكره المصنف المكذِّب هو المكذَّب في الموضعين، وفي الثاني: المكذِّب ـ بالكسر ـ متعددٌ وإن اتَّحد المكذَّب، وفي الثالث: المكذَّب ـ بالفتح ـ مُتعدِّدٌ. انظر «الكشاف» (٤/ ٤٣٤)، و«حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ١٢١).

(٢) قرأ ابن أبي إسحاق والأعمش ورُويت عن عاصم بالكسر؛ إما على إضمارِ القول؛ أي: فقال، فسَّر به الدعاء، وهو مذهب البصريين، وإمَّا إجراءً لِلدعاء مجرى القول، وهو مذهب الكوفيين. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٣١).

فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ....

﴿فَٱنتَصِرْ﴾.

(﴿١١﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ ـ بالتَّخفيف والتَّشديد ـ ﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾: مُنصَبٌّ انصِباباً شَدِيداً، ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تَنبُعُ، ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾: ماءُ السَّماء والأرضِ ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾ حالٍ ﴿قَدْ قُدِرَ﴾ قُضِيَ بِه في الأزَلِ وهو هَلاكُهُم غرَقاً، ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ أي: نُوحاً ﴿عَلَىٰ﴾ سَفِينةٍ ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ وهو ما تُشَدُّ بِه الألواحُ مِن المَسامِير وغَيرِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٱنتَصِرْ﴾) أي: انتَقِم لي منهم، وذلك بعد يَأسه من إيمانهم؛ حيث أوحى الله إليه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، ودعا عليهم أيضاً بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وبقوله: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٨].

قوله: (﴿فَفَتَحْنَآ﴾) عطفٌ على محذوف، تقديره: فاستَجبنا له.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾) أي: جميعَها، ويُؤخذ من ذلك: أنَّ السماء لها أبوابٌ حقيقةً، تُفتح وتُغلق، وهو كذلك.

قوله: (﴿بِمَآءٍ﴾) الباء: لِلتعدية مبالغةً؛ حيث جعل الماء كالآلة التي يُفتح بها.

قوله: (﴿مُّنْهَمِرٍ﴾) المنهمر: الغزير النازل بقوَّة.

قوله: (﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾) تمييز مُحوَّل عن المفعول؛ لأنَّ أصله: وفجَّرنا عيون الأرض.

قوله: (تنبع) أي: تَخرج من العين، ومكَث الماء يُصَبُّ من السماء، ويَنبع من الأرض أربعين يوماً، قيل: كان ماء السماء بارداً مثلَ الثلج، وماء الأرض حارًّا مثل الحميم، وهل كان ماء السماء أكثرَ، أو ماء الأرض، أو مُستويان؟ أقوالٌ.

قوله: (﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾) أي: جنسُهُ الصادقُ بماء السماء وماء الأرض.

قوله: (وغيرها) أي: كالصفائح والخشب الذي يُسْمَرُ فيه الألواح والخُيوط ونحوها.

(١) قرأ ابن عامر بتشديد التاء بعد الفاء، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٤٥).

تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝١٥ ....

واحِدُها (دِسار) كـ(كِتاب)، ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾: بِمَرأى مِنّا أي: مَحفُوظةً ﴿جَزَآءٗ﴾ ـ مَنصُوب بِفِعلٍ مُقدَّر ـ أي: أُغرِقُوا انتِصاراً ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نُوح علَيهِ السَّلام، ـ وقُرِئ: ﴿كَفَرَ﴾ بِناءً لِلفاعلِ أي: أُغرِقُوا عِقاباً لَهُم ـ.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ﴾: أبقَينا هَذِه الفَعلَةَ ﴿ءَايَةٗ﴾ لِمَن يَعتَبِرُ بِها أي: شاعَ خَبَرها واستَمَرَّ، ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾: مُعتَبِرٍ ومُتَّعِظ بِها؟ ـ وأصلُه: (مُذتَكِرٌ) أُبدلت التاءُ دالاً مُهملةً وكذا المُعجَمة، وأُدغِمَت، فيها ـ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (جمع دسار) وقيل: جمع (دَسْرٍ) بسكون السين كـ(سُقُفٍ وسَقْفٍ).

قوله: (﴿تَجۡرِي﴾) صفةٌ ثانيةٌ لِلموصوف المحذوف.

قوله: (﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾) حال من ضمير ﴿تَجۡرِي﴾.

قوله: (منصوب بفعل مقدر) أي: مفعول لأجلِه.

قوله: (وهو نوح) أي: لأنه نعمةٌ كفرُوها؛ إذ كلُّ نبيٍّ نعمةٌ على أُمَّته.

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً[1].

قوله: (هذه الفَعلة) أي: وهي الغرَق على هذا الوجه، وقيل: هي السفينة بناءً على أنها بقيت على الجُودي زماناً مديداً حتى رَآها أوائل هذه الأمَّة[2].

قوله: (مُعتبر متَّعظ بها) أي: يَعتبر بما صنع الله بقوم نوح، فيَترك المعصية، ويفعل الطاعة.

قوله: (وكذا المعجمة) أي: الذال التي قبل التاء أُبدلت دالاً مهملة، وقوله: (وأدغمت) أي: الدالُ المهملة المنقلبة عن المعجمة، وقوله: (فيها) أي: في الدال المنقلِبة عن التاء.

---

(١) وهي قراءة يزيد بن رومان وعيسى وقتادة، و(كَفَرَ) خبر (كان)، وفيه دليل على وقوع خبر (كان) ماضياً من غير (قد)، وبعضهم يقول: لا بد من (قد) ظاهرةً أو مضمرةً، ويجوز أن تكون (كان) مزيدة. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٣٥).

(٢) رواه البخاري تعليقاً، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ من حديث قتادة.

فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ ....

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري؟ - استِفهام تَقرير، و(كيفَ) خَبَر ﴿كَانَ﴾ وهي لِلسُّؤالِ عن الحال -، والمَعنَى حَملُ المُخاطَبِينَ على الإقرار بِوُقُوعِ عَذابِه تَعالى بِالمُكَذِّبِين لِنُوحٍ مَوقِعَه.

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾: سَهَّلناهُ لِلحِفظِ وهَيَّأناهُ لِلتَّذكُّرِ، ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾: مُتَّعِظ بِهِ وحافِظٍ لَه؟ والاستِفهام بِمَعنَى الأمر ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَنُذُرِ﴾) بإثبات الياء لفظاً وحذفها، قراءتان سبعيَّتان، وأمَّا في الرَّسم.. فلا تثبت؛ لأنها من ياءات الزوائد، وكذا يُقال في المواضع الآتية[١].

قوله: (و«كيف» خبر ﴿كَانَ﴾) أي: فهي ناقصة، و﴿عَذَابِي﴾ اسمها.

قوله: (وهي للسؤال عن الحال) أي: فإذا أرَدت أن تختبر حال شخصٍ تقول له: كيف أنتَ؟ أصحيحٌ أم سقيمٌ؟ مثلاً.

قوله: (بوقوع عذابه تعالى... إلخ) أي: أنه في غاية العدل؛ فلا ظُلمَ فيه، ولا جَوْرَ.

قوله: (سهَّلناه للحفظ) أي: أعنَّا عليه مَنْ أراد حِفظه، فهل من طالبٍ لحفظه فيُعَانَ عليه؟ وليس من كتابٍ يُقْرَأُ عن ظهر قلبٍ إلا القرآن، ولم يكن هذا لِبَني إسرائيل، ولم يكونُوا يقرؤون التوراة إلا نظراً غير موسى، وهارُون، ويُوشع بن نون، وعُزَير، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعِين، ومن أجل ذلك افتَتَنُوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبٍ حين أُحْرِقَتْ، ومِن هذا المعنى قولُه تعالى في الحديث القدسي: «وجَعلتُ من أُمَّتك أقواماً قلوبُهُم أناجيلُهُم»[٢].

قوله: (أو: هيَّأناه للتذكُّر) أي: بأن أودَعنا فيه أنواعَ المواعظ والصبر، وبِالجملة: فقد جعل الله القرآن مُهيَّأً ومُسهَّلاً لمن يُريد حفظ اللفظ، أو حفظ المعنى، أو الاتِّعاظ به، فهو رأسُ سعادة الدنيا والآخرة.

قوله: (والاستفهام بمعنى الأمر) أي: فهو للتحضيض.

---

(١) قرأ ورش بإثبات الياء بعد الراء وصلاً لا وقفاً، والباقون بغير ياء وقفاً ووصلاً. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٤٦).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٤٢٤)، ونحوُه عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٤٦).

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾

أي: احفَظُوهُ واتَّعِظُوا بِهِ، ولَيسَ يُحفَظ مِن كُتُب الله عن ظَهر القَلب غَيرُه. ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نَبِيَّهم هُوداً فعُذِّبُوا، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: إنذارِي لَهُم بِالعَذابِ قَبل نُزُولِه؟ أي: وقَع مَوقِعَه، وقد بَيَّنَه بِقَولِه:

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شَدِيدةَ الصَّوت ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾: شُؤمٍ ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾: دائِمِ الشُّؤم ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: احفظوه واتَّعظُوا به) أي: لِيُكمل لكم الاصطفاء؛ فإنَّ من آتاه الله القرآن حفظاً أو اتعاظاً.. فقد جعَله الله من أهله[1]، ومَن جمَع بين الأمرين.. فهو على أكمَلِ الأحوال.

قوله: (﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾... إلخ) هذا أيضاً من جُملة تفصيل قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، وذكر قصَّة عادٍ عقب قصَّة قوم نوح؛ لأنهم مِن ذُرية نوح؛ لأنَّ عاداً هو ابن إرَم بن سام بن نوح.

قوله: (﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾) مُرتَّبٌ على محذوفٍ، قدَّره بقوله: (فعُذِّبوا).

قوله: (أي: وقع مَوقعه) أي: فتعذيبُه لهم عدلٌ منه تعالى؛ لأنه أنذرهم أوَّلاً على لسان نبيِّهم، فلم يُؤمنوا؛ وذلك لأنه جرَت عادة الله تعالى أنه لا يُؤاخِذُ عبداً بغير جُرمٍ؛ تنزُّلاً منه تعالى، وإلَّا.. فلو أخذ عبادَه بغير جرمٍ.. لا يُسمَّى ظالماً؛ لأنه تصرَّف في ملكه، والظلمُ: التَّصرُّفُ في مُلك الغير بغير إذنه.

قوله: (وبيَّنه بقوله... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ تفصيلٌ لما أجمل أوَّلاً.

قوله: (شؤمٍ) أي: غيرِ مباركٍ.

قوله: (دائم الشؤمِ) أي: إلى الأبَد عليهم، وهو يومٌ مبارَكٌ على هود ومَنْ تَبعه، فهو يوم نَحسٍ على الكافرين، ويومٌ مباركٌ على المؤمنين.

---

(١) روى النسائي في «الكبرى» (٨٠٣١)، وابن ماجه (٢١٥) عن سيدنا أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله أهلِين من الناس»، قالوا: يا رسول الله؛ مَن هم؟ قال: «هُم أهل القرآن، أهل الله وخاصَّتُه» أي: أولياؤه المختصُّون به اختصاصَ أهل الإنسان به.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠﴾ ....

أو قَوِيِّه، وكانَ يَوم الأربِعاء آخِرَ الشَّهر، ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: تَقلَعُهُم مِن حُفَرِ الأرض المُندَسِّينَ فيها وتَصرَعُهم على رُؤُوسِهم فتَدُقُّ رِقابَهم فتَبِينُ الرَّأسَ عن الجَسَد، ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالُهم ما ذُكِرَ ﴿أَعْجَازُ﴾ أُصُول ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: مُنقَلِع ساقِط على الأرض، وشُبِّهُوا بِالنَّخلِ لِطُولِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أو قويِّه) أي: فهو مأخوذٌ من: (المِرَّةِ)، وهي القُوَّة، وفي الحقيقة: هو دائم الشؤم قَوِيُّه.

قوله: (آخر الشهر) أي: شهر شَوال لثمانٍ بَقِين منه، واستمرَّ إلى غروب الشمس من يوم الأربعاء آخِره، والمعنى: أنه أتاهم العذاب يوم الأربعاء والباقي من شوال ثمانية أيام، واستمرَّ عليهم لآخِرِه، قال تعالى في سورة (الحاقة): ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]. إذا علمتَ ذلك.. فليس المراد بقول المفسِّر: (آخر الشهر): أنَّ يوم نُزول العذاب كان آخِرَ الشهر، بل هو مُنتهاه.

قوله: (﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾) أظهر في مَقام الإضمار؛ ليكون صريحاً في عُمُوم الذكور والإناث، وإلَّا.. فمُقتضى الظاهر: (تنزعهم).

قوله: (المندسِّين فيها) أي: فقد رُوي: أنهم دخلُوا في الشعاب والحفر، وتمسَّك بعضهم ببَعض، فنزعتهم الريح منها، وصرَعتهم موتى[1].

قوله: (وحالهم ما ذُكِرَ) الجملة حاليَّة من ضمير ﴿كَأَنَّهُمْ﴾، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ حالٌ من ﴿ٱلنَّاسَ﴾ مُقدَّرةٌ؛ وذلك لأنهم حين إخراجهم من الحفر لم يكونُوا كأعجاز النخل، بل كانُوا كذلك بعد ما حصَل لهم ما ذُكِرَ.

قوله: (أصولُ نخلٍ) المراد بها: النخل بِتَمامها من أوَّلها لآخرها ما عدَا الفروعَ، والمعنى: كأنهم نخلٌ قد قُطِّعت رؤوسُهُ.

قوله: (منقلع) تفسيرٌ لـ﴿مُّنقَعِرٍ﴾، وفيه إشارةٌ إلى قُوَّتهم وثباتِ أجسامِهم في الأرض، فكأنَّهم لعِظَمِ أجسامهم وكمال قُوَّتهم يقصدون مُقاومة الريح، فلم يستطيعوا؛ لأنها لشدَّتها تَقلعهم كما تقلع النَّخلَ من الأرض.

---

(١) انظر «تفسير البيضاوي» (٥/١٦٦).

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝٢٣ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَأُلْقِيَ ....﴾

ـ وذُكِّرَ هُنا وأُنِّثَ في (الحاقَّة) ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] مُراعاةً لِلفَواصل في المَوضِعَين ـ. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

(٢٣ - ٢٤) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾: جَمع (نَذِير) بِمَعنَى مُنذِر، أي: بِالأُمُورِ التِي أنذَرَهُم بِها نَبِيُّهم صالِح إن لَم يُؤمِنُوا بِه ويَتَّبِعُوه، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا﴾ ـ مَنصُوب على الاشتِغال ـ ﴿مِّنَّا وَاحِدًا﴾ ـ صِفَتانِ لـ(بَشَراً) ـ ﴿نَّتَّبِعُهُ﴾ ـ مُفَسِّر لِلفِعلِ النَّاصِب لَه، والِاستِفهام بِمَعنَى النَّفي ـ، المَعنَى: كيفَ نَتَّبِعهُ ونَحنُ جَماعةٌ كَثِيرة وهو واحِدٌ مِنَّا ولَيس بِمَلَكٍ؟ أي: لا نَتَّبِعهُ، ﴿إِنَّا إِذًا﴾ أي: إنِ اتَّبَعناهُ ﴿لَّفِي ضَلَالٍ﴾: ذَهابٍ عن الصَّوابِ ﴿وَسُعُرٍ﴾: جُنُون.

(٢٥ - ٢٦) ﴿أَأُلْقِيَ﴾ ـ بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانِية، وإدخالِ أَلِف بينَهما

حاشية الصاوي

قوله: (وذكَّر هنا) أي: حيث قال: ﴿مُّنقَعِرٍ﴾، ولم يقُل: (منقعرة)، وقوله: (وأنَّث في «الحاقة») أي: حيث قال: ﴿خَاوِيَةٍ﴾، ولم يقُل: (خاوٍ).

قوله: (في الموضعين) أي: فهُنا الفاصلة على الراء، وهناك على الهاء.

قوله: (﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾) كرَّره للتهويل، وللتعجب من أمرِهم.

قوله: (أي: الأمور التي أنذرهم بها) هذا أحد وجهَين في تفسير (النذر)، والثاني: أنه جمع (نذير) بمعنى: الرسل المنذرين لهم، وجمعهم؛ لأنَّ من كذَّب رسولاً فقد كذَّب جميعَ الرسلِ.

قوله: (منصوب على الاشتغال) أي: وهو الفصيحُ الراجح؛ لِتَقدُّم أداةٍ هي بالفعل أولى.

قوله: (والاستفهام بمعنى النفي) أي: فهو إنكاريٌّ.

قوله: (جنونٍ) أي: فـ(سُعُر) مُفرد، ويصحُّ أن يكون جمع (سعير)، وهو النَّار.

قوله: (وإدخال ألف بينهما... إلخ) أي: فالقراءات أربعٌ سبعيَّاتٌ[1].

---

(١) سهَّل الهمزة الثانية مع إدخال ألف الفصل بينهما قالون وأبو جعفر، وسهَّلها مع الإدخال وعدمِه أبو عمرو، وسهَّلها من غير إدخال ورشٌ والمكي ورويس، ولهشام ثلاثة أوجه: التسهيل مع الإدخال، والتحقيقُ مع الإدخال وعدمه، وللباقين التحقيقُ بلا إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (ص٣٠٩).

﴿ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ٢٦ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ ....

على الوَجهَينِ وتَركِه ـ ﴿ٱلذِّكۡرُ﴾: الوَحيُ ﴿عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا﴾ أي: لَم يُوحَ إلَيهِ، ﴿بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قَولِه: إنَّهُ أُوحِيَ إلَيهِ ما ذُكر، ﴿أَشِرٞ﴾: مُتكَبِّر بَطِرٌ، قال تَعالى: ﴿سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا﴾ في الآخِرةِ ﴿مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ﴾ وهو هُم، بِأن يُعَذَّبُوا على تكذِيبِهم نَبِيَّهم صالحاً.

(٢٧ - ٢٨) ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾: مُخرِجُوها مِن الهَضبةِ الصَّخرة كما سَأَلُوا، .....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنۢ بَيۡنِنَا﴾) حالٌ من الهاء في ﴿عَلَيۡهِ﴾، والمعنى: أَخُصَّ بالرسالة منفرداً من بيننا وفِينا من هو أكثر منه مالاً وأحسَنُ حالاً؟

قوله: (أي: لم يُوْحَ إليه) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ.

قوله: (قال تعالى) أي: وعيداً لهم، ووعداً له.

قوله: (أي: في الآخرة) هذا أحد قولَين في تفسير (الغد)، وقيل: المرادُ به: يومُ نزول العذاب الذي حَلَّ فيهم في الدنيا.

قوله: (﴿مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ، والجملة سَدَّت مسدَّ المفعولَين، والمعنى: سيعلمون غداً أيَّ فريقٍ هو الكذاب الأشَرُّ؛ أهو هُم أو صالح عليه السلام؟

قوله: (﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾) استئنافٌ مَسُوقٌ لبيان مبادئ الموعود به من العذاب؛ وذلك لأنه جرَت عادة الله تعالى أنه إذا أراد تعذيب قومٍ.. اقترَحُوا آيةً ولم يُؤمنُوا بها. وردَ: أنهم قالُوا لصالح عليه السلام: نُريد أن نعرفَ المحقَّ منا؛ بأَن ندعو آلهتنا، وتدعُوَ إلهك، فمن أجاب إلهه.. عَلمنا أنه الحق، فدعَوْا أوثانهم، فلم تجبهم، فقالوا: ادعُ أنت، فقال: فما تريدون؟ قالُوا: تخرج لنا من هذه الصخرة ناقةً عشراء وَبْراء، فأجابهم إلى ذلك بشَرط الإيمان، فواعدُوه بذلك وأكَّدُوا، فكذبُوا ثانياً بعد ما كذبُوا أولاً في أنَّ آلهتهم تُجيبهم[1].

قوله: (من الهَضْبَةِ) أي: بفتح الهاء وسكون الضاد، وهو الجبل المنبسِط على الأرض، ويُجمَع على: هَضِيب، وهِضاب.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢٠٨/٢) عن ابن إسحاق ووهب وغيرهما.

فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ ....

﴿فِتْنَةً﴾: مِحنةً ﴿لَّهُمْ﴾ لِنَختبِرَهُم، ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ يا صالِحُ، أي: انتَظِر ما هُم صانِعُون وما يُصنع بِهِم، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ - الطَّاء بَدَل مِن تاء الافتِعال - أي: اصبِرْ على أذاهُم. ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ﴾: مَقسُومٌ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبَين النَّاقة؛ فيَومٌ لَهُم ويَوم لَها، ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾: نَصِيبٍ مِن الماء ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾: يَحضُرُهُ القَوم يَومَهم والنَّاقة يَومها، فتَمادَوا على ذلك، ثُمَّ مَلُّوهُ فهَمُّوا بِقَتلِ النَّاقة.

(﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾) ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ قُداراً لِيَقتُلَها، ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾: تَناوَلَ السَّيفَ ﴿فَعَقَرَ﴾ بِهِ النَّاقةَ أي: قَتَلها مُوافَقةً لَهُم، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: إنذارِي لَهُم بِالعَذابِ قبل نُزُولِه؟ أي: وقَع مَوقِعَه، وبيَّنَه بِقَولِه:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾) مفعولٌ لأجله.

قوله: (بدل من تاء الافتعال) أي: لوقوعها إثْرَ حرفٍ من حروف الإطباق، وهو الصاد.

قوله: (﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾) أي: أخبِرْهم.

قوله: (﴿أَنَّ الْمَاءَ﴾) أي: وهو ماء بئرهم الذي كانُوا يَشربون منه.

قوله: (﴿قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة) ظاهره: أنَّ الضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ واقعٌ عليهم فقَط، وأنَّ في الكلام حذفَ الواو مع ما عطفَت، والأسهل: أنَّ الضمير واقعٌ عليهم وعلى الناقة على سبيل التغليب.

قوله: (ويومٌ لها) أي: فكانت لا تبقي شيئاً في البئر، وفي يَومها يكتفون بِلَبَنها.

قوله: (﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾) مرتَّب على محذوف، قدَّره بقوله: (فتمادَوا على ذلك... إلخ)، والمعنى: أنهم بقُوا على ذلك مُدَّة، ثم مَلُّوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مَواشيهم، فأجمعُوا على قَتلها، فقال بعضهم لبعض: نكمن للناقة حيث تمرُّ إذا صدرت عن الماء، فاجتمعُوا وكمَن لها قدار بن سالف في أصل شجرةٍ في طريقها التي تمرُّ بها، فرماها، فقطع عَضلة ساقها، فوقَعت وأحدثت ورغَتْ رُغاءةً واحدة، ثمَّ نحرَها.

قوله: (موافقةً لهم) قصَد بذلك الجمع بين ما هنا وما في (الشعراء)؛ حيث قال: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، فتحصَّل أنَّ مباشرةَ القتل كان منه، لكن بإجماعهم عليه.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾

(﴿٣١﴾ - ﴿٣٢﴾) ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ هو الذي يَجعَل لِغَنَمِه حَظِيرةً مِن يابِس الشَّجَر والشَّوك يَحفَظُهُنَّ فِيها مِن الذِّئاب والسِّباع، وما سَقَط مِن ذلك فداسَتْهُ هو الهَشِيم. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

(﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾) ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: بِالأُمور المُنذِرة لَهُم على لِسانِه، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: رِيحاً ترمِيهِم بِالحَصباءِ وهي صِغارُ الحِجارة، الواحِد دُونَ مِلء الكَفِّ فهَلكُوا، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ وهُم ابنَتاهُ مَعهُ ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ مِن الأسحار أي: وقتَ الصُّبح

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً﴾) أي: صاحَ بهم جبريل في اليوم الرابع من عقرِ الناقة، وذلك أنَّ عَقْرَها يوم الثلاثاء، فتوعَّدهم صالح بالعذاب، وأخبرهم بأنهم يُصبِحون يوم الأربعاء صُفرَ الوجوه، ويوم الخميس حُمْرَ الوجوه، ويوم الجمعة سُودَ الوجوه، وفي السبت ينزل بهم العذاب، فكان الأمرُ كما ذكر[1].

قوله: (﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾) تشبيهٌ لإهلاكهم، والحَظيرة: زَريبة الغنم ونحوها، و(المحتظر) بكسر الظاء: اسم فاعل، وهو الذي يتَّخذ حظيرةً من الحطَب وغيره؛ لتكون وقايةً لِمَواشيه من الحرِّ والبرد والسباع.

قوله: (﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾) أي: وهم الجماعة الذين سكن عندهم وأُرْسِلَ لهم، وذلك أنَّ لوطاً هو ابنُ أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، خرج مع عَمِّه من العراق، فنزَل إبراهيم بفلسطِين، ولوط بسَذوم وقراها، فأرسله الله لهم، فكذَّبوه، فحلَّ بهم العذاب.

قوله: (المنذرة) أي: المخوِّفة.

قوله: (ريحاً ترميهم بالحصباء) أشار بذلك إلى أن ﴿حَاصِبًا﴾ اسم فاعل، صفة لموصوف محذوف، وفيه دليلٌ على أنَّ أمطار الحجارة وإرسالها عليهم كان بِواسطة إرسال الريح لها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/٥٢٩).

نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ....

مِن يَوم غَيرِ مُعيَّن، ولَو أُرِيد مِن يوم مُعيَّن لَمُنِع الصَّرف لِأنَّه مَعرِفة مَعدُول عن السَّحَر؛ لِأنَّ حَقَّه أن يُستَعمَل في المَعرِفة بِـ(أل)، وهل أُرسِل الحاصِب على آلِ لُوط أو لا؟ قَولانِ ـ وعبَّرَ عن الاستِثناء على الأوَّل بِأنَّهُ مُتَّصِل، وعلى الثَّاني بِأنَّهُ مُنقَطع وإن كان مِن الجِنس، تَسمُّحاً ـ.

(﴿٣٥﴾ ـ ﴿٣٦﴾) ﴿نِّعۡمَةٗ﴾ ـ مَصدَر ـ أي: إنعاماً ﴿مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثل ذلك الجَزاءِ ﴿نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ أنعَمْنا وهو مُؤمِن، أو مَن آمَن باللهِ ورَسُولِه وأطاعَهُما. ....

حاشية الصاوي

قوله: (من يومٍ غيرِ معيَّن) أي: غير مَقصود تعيينه للمخاطبين، فلا يُنافي تعيينه في الواقع ولِمَن حضر.

قوله: (أي: وقت الصبح) هذا تفسيرُ مرادٍ، يدلُّ عليه قولُه في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾، وإلا.. فحقيقة السَّحر: ما كان آخِرَ الليل، والباء بمعنى (في).

قوله: (لأنَّ حقَّه أن يُستعمل في المعرفة) أي: في إرادة التعريف.

قوله: (تسمُّحاً) أي: تساهلاً في العبارة، وأشار بذلك إلى أنَّ وجهَ كون الاستثناء منقطعاً بعيدٌ؛ لأنَّ أهل لُوط من جنس القوم على كلِّ حالٍ، سواء قُلنا بنزول الحاصِب على الجميع، أو على غير أهل لُوط، فتحصَّل: أنَّ الاستثناء مُتَّصل على كلِّ حالٍ؛ لكون المستثنى من جنس المستثنى منه، وجعلُهُ مُنقطعاً بعيدٌ.

قوله: (مصدر) أي: مُؤكِّد لعامله في المعنى، وهو ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم﴾؛ إذ الإنجاءُ نعمةٌ، أو مفعول لمحذوف من لَفظه؛ أي: أنعَمنا عليهم نعمةً[1].

قوله: (أي: مثل ذلك الجزاء) أي: الذي هو الإنجاء.

قوله: (﴿نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾) أي: فلا خُصوصيَّة لآل لوط، بل هو عامٌّ لكلِّ من شكر نِعمَهُ تعالى، قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ...﴾ [الزمر: ٦١] الآية.

قوله: (وهو مؤمن) الجملة حاليَّة، وقوله: (أو من آمن) عطف على ﴿مَن شَكَرَ﴾ عطفَ تفسير،

(١) ويَصحُّ نصبه على المفعول لأجله، تعليلاً للعامل المذكور. «فتوحات» (٤/٢٥٨).

وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً ....

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾: خَوَّفهُم لُوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾: أخذَتنا إيَّاهُم بِالعَذابِ ﴿فَتَمَارَوْا۟﴾: تَجادَلُوا وكذَّبُوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾: بِإنذارِه.

﴿٣٧﴾ ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ أي: أن يُخَلِّيَ بينَهم وبَين القَوم الذِينَ أتوهُ في صُورةِ الأضيافِ لِيَخبُثُوا بِهِم وكانُوا مَلائكةً، ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾: أعمَيناها وجَعَلْناها بِلا شَقٍّ كباقِي الوَجه بِأن صَفَقَها جِبريلُ بِجَناحِه، ﴿فَذُوقُوا۟﴾ فقُلنا لَهُم: ذُوقُوا ﴿عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: إنذارِي وتَخوِيفِي، أي: ثَمرتَه وفائِدَته.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾: وقتَ الصُّبح مِن يَومٍ غَير مُعيَّن ....

حاشية الصاوي

وفي ذلك إشارةٌ إلى تفسيرَين للموصول؛ فقيل: إنَّ المرادَ: مَنْ شكر النِّعمة مع أصل الإيمان، وقيل: هو مَنْ ضمَّ إلى الإيمان عملَ الطاعات.

قوله: (تجادلُوا وكذَّبوا) أشار بذلك إلى أنه ضمَّن (تمارَوا) معنى التكذيب، فتعدَّى تعديتَه.

قوله: (بإنذاره) أي: أو بالأمورِ التي خوَّفهم بها لوط.

قوله: (﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾) أي: أرادُوا منه تمكينَهم ممَّن أتاه من الملائكة في صُورة الأضياف للفاحشة. والمراوَدة: الطلب المتكرِّر.

قوله: (ليَخْبُثُوا بهم) الخبَث: الزنا، والمراد به: ما يَشمَل اللواط، وهو المراد هنا، وهو من باب (قتَلَ).

قوله: (عميناها) صوابه: (أعمَيناها) بالهمز؛ لأنَّ (عمي) ثلاثي لازم، والمتعدِّي إنما هو الرباعي.

قوله: (وجعلناها بلا شقٍّ) هذا أحدُ قولين، وقيل: بل أعماهُم الله مع صِحة أبصارهم، فلم يَروهم.

قوله: (فقُلنا لهم) أي: على ألسِنة الملائكة.

قوله: (من يوم غير معيَّن) أي: لم يُرد الله تعيينه لنا، وإلا.. فهو مُعيَّن في علم الله، وعِلم من بقي من المؤمنين.

عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾: دائمٌ مُتَّصِل بِعَذابِ الآخِرة، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

(﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾) ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قَومَه مَعهُ ﴿النُّذُرُ﴾: الإنذارُ على لِسان مُوسى وهارُون فلَم يُؤمِنُوا، بل ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ التِّسع التي أُوتِيَها مُوسى، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بِالعَذابِ ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾: قَوِيٍّ ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: قادِر لا يُعجِزهُ شَيء.

﴿٤٣﴾ ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا قُرَيشُ ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ المَذكُورِين مِن قَوم نُوح إلى فِرعونَ .....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾) أي: فقَلع جبريل بلادهم، فرفعها وقلبها، وأمطر الله عليها حجارةً من سجِّيلٍ.

قوله: (دائمٌ متَّصلٌ بعذاب الآخرة) أي: فلا يَزول عنهم حتى يَصِلُوا إلى النار.

قوله: (﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ ... إلخ) حِكمة تكرار ذلك في كلِّ قصَّة: التَّنبيه على الاتعاظ والتدبر، إشارةً إلى أنَّ تكذيب كلِّ رسولٍ مُقتضٍ لنزول العذاب، كما كرَّر قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ تقريراً لِلنِّعم المختلفة المعدودة، فكلما ذكر نعمةً وبَّخ على التكذيب بها.

قوله: (الإنذار) أي: فهو مصدرٌ، ويصحُّ جعلُه جمع (نذير) باعتبار الآيات التسع.

قوله: (﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾) استئنافٌ بيانيٌّ، واقع في جواب سؤالٍ مقدَّرٍ، تقديره: ماذا فعلوا حينئذ؟ فقيل: كذبُوا... إلخ.

قوله: (أي: التسع) أي: وهي العصا، واليد، والسِّنين، والطمس، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

قوله: (﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾) من إضافة المصدر لِفاعله.

قوله: (﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾) أي: في القُوة والشدة.

قوله: (من قوم نوح إلى فرعون) أي: وهم خمسُ فِرق: قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وفرعون وقومه.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ ... ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۝٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ۝٤٤ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ ....

فلَم يُعذبُوا، ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ يا كُفَّار قُريش ﴿بَرَاءَةٌ﴾ مِن العَذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: الكُتُب ـ والاستِفهامُ في المَوضِعَينِ بِمَعنى النَّفي ـ أي: ليسَ الأمرُ كذَلك.

(﴿٤٤﴾ - ﴿٤٦﴾) ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: كُفَّارُ قُريشٍ: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أي: جَمعٌ ﴿مُنْتَصِرٌ﴾ على مُحمَّد؟ ولَمَّا قال أبُو جَهل يوم بَدر: إنَّا جمعٌ مُنتَصِر نزَل: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ فهُزِمُوا بِبَدرٍ ونُصِرَ رَسولُ الله ﷺ علَيهِم. ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بِالعَذابِ ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ أي: عَذابُها ﴿أَدْهَىٰ﴾: أعظَم بَلِيَّة ﴿وَأَمَرُّ﴾: أشَدُّ مَرارةً مِن عذابِ الدُّنيا.

حاشية الصاوي

قوله: (فلم يُعذبوا) مُسبَّب عن المنفي، والمعنى: أتزعمون أنَّ كفاركم خير ممَّن كفر من الأمم قبلكم، فيتسبَّب عن ذلك عدم تَعذيبكم؟!

قوله: (﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ إلى وجهٍ آخرَ من التبكيت.

قوله: (بمعنى النفي) أي: فهو إنكاريٌّ.

قوله: (﴿مُنْتَصِرٌ﴾) أي: فنحن يدٌ واحدةٌ على مَنْ خالَفنا، منتصرٌ على مَنْ عادانا، ولم يَقل: (منتصرون)؛ لِمُوافقة رؤوس الآي.

قوله: (نزل) أي: يومَ بدر، أو كُرِّرَ نزولها؛ لِما روي: أنها لما نزلَت.. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لم أعلَم ما هي؟ ـ أي: ما الواقعة التي يكون فيها ذلك ـ فلمَّا كان يومُ بدرٍ ورأيتُ رسول الله ﷺ يَلبس الدرع ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾، فعلمتُه)[1] أي: علمتُ المراد من هذه الآية.

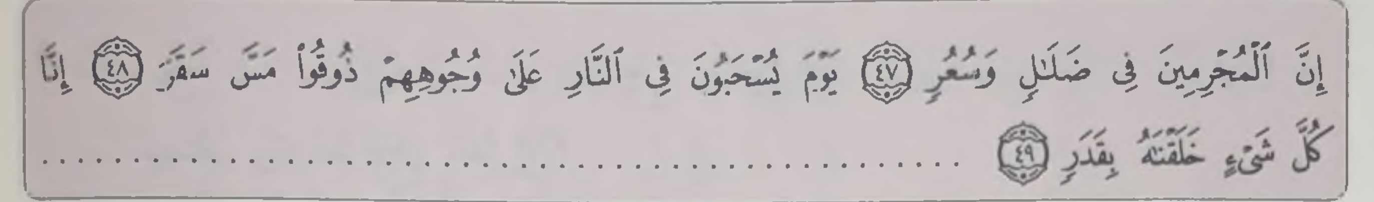
قوله: (﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾) هو اسم جنس؛ لأنَّ كلَّ واحد يُوَلي دبره، وأتى به مفرداً؛ لموافقة رُؤوس الآي.

قوله: (﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾) أي: فليس ما وقع لهم في الدنيا تمامَ عُقوبتهم، بل هو مُقدِّماته.

قوله: (﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾) أفعلُ تفضيل من الداهية، وهي الأمر الفظيع الذي لا يُهْتَدى لِلخلاص منه، والإظهارُ في مَقام الإضمار للتهويل.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٢)، وأورَده ابن كثير في «مُسند الفاروق» (١/ ٦٢).



﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ ....

(﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾) ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ﴾: هلاكٍ بالقتل في الدُّنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾: نارٍ مُسعَّرةٍ بالتَّشديد أي: مُهيَّجةٍ في الآخرة، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: في الآخرة ويُقالُ لَهُم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾: إصابةَ جهنَّمَ لَكُم.

(﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾) ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ﴾ ـ مَنصوب بِفعلٍ يُفسِّرهُ ـ ﴿خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ بِتَقديرٍ ـ حال مِن ﴿كُلَّ﴾ ـ أي: مُقدَّراً ....

حاشية الصاوي

قوله: (نار مُسعرة) أي: شَديدة.

قوله: (﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾) ظرفٌ لقول محذوف، تقديرُه: ويقال لهم، أو ظرفٌ لـ(سُعُرٍ).

قوله: (إصابةَ جهنَّم) أشار بذلك إلى أنَّ المسَّ مجازٌ، أُطلق وأُريد منه الإصابة. و﴿سَقَرَ﴾: علمٌ لجهنم مشتقَّة من: سَقَرَتْهُ الشمس أو النار: لَوَّحَتْهُ؛ أي: غيَّرته.

قوله: (منصوب بفعل... إلخ) هذه قراءة العامَّة، وهي أرجح؛ لأنَّ الرفع يُوهم عقيدة فاسدة على جعل (كلٌّ) مبتدأ و﴿خَلَقْنَـٰهُ﴾ صفة لـ﴿شَىْءٍ﴾ و﴿بِقَدَرٍ﴾ خبره؛ لأنه يكون مَفهومه أنَّ هناك شيئاً ليس مخلوقاً لله، وليس بقدَرٍ، مع أنه على مختار أهل السنَّة: كلُّ شيءٍ مخلوقٌ لله تعالى، والمعنى: كلَّ شيءٍ خلَقناه بقضاء وحكم، وتدبير مُحكَم، وقُوَّة بالغة.

واختلف في تعريف القدر؛ فقالت الأشاعرة: هو إيجادُ الله الأشياء على طِبق ما سبق به عِلمه وإرادته، وعليه: فهو صفة فعل، وهي حادثة.

وقالت الماتريدية: هو تحديدُه تعالى كلَّ مخلوق أزلاً بحدِّه الذي يُوجد به؛ من حُسنٍ وقبحٍ وغير ذلك، فهو تعلُّق العِلم والإرادة، وعليه: فهو قديمٌ.

والقضاء عند الأشاعرة: إرادةُ الله المتعلقة بالأشياء أزلاً، فهو قديم.

وعند الماتريدية: هو الفعل مع زيادةِ إحكام، فهو حادث.

وقيل: هما شيءٌ واحدٌ، وهو إيجاد الله الأشياء على طبق تعلُّق العِلم والقدرة.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١﴾

ـ وقُرئ: ﴿كُلُّ﴾ بالرفع مُبتدأ خبرُه ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ ـ. ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ لِشيءٍ نُريد وُجودَه ﴿إِلَّا﴾ أَمْرَةٌ ﴿وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ في السُّرعةِ، وهي قَول: كُن فيُوجَد، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

﴿٥١﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾: أشباهَكُم في الكُفر مِن الأُمَم الماضِيةِ، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ـ استِفهام بِمَعنى الأمرِ ـ أي: اذكُروا واتَّعِظُوا.

حاشية الصاوي

واقتصر على (القدَر)؛ لأنَّ بينهما تلازماً، أو لِتَرادفهما، وفي هذه الآية ردٌّ على القدريَّة القائلين بأنَّ العبد يَخلق أفعال نفسه الاختيارية، والقائلين بأنَّ الله لا يَعلَم الأشياء إلا بعد وقوعها، تعالى الله عن قَولهم، وهذه الفِرقة قد انقرَضت قبل زمن الشافعي[1].

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً[2].

قوله: (خبره ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾) أي: وقوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾ إمَّا خبرٌ ثانٍ، أو حالٌ من ضمير الخبر.

قوله: (﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾) أي: شأنُنا في إيجاد شيءٍ أو إعدامِهِ.

قوله: (﴿إِلَّا﴾ أمرةٌ ﴿وَٰحِدَةٌ﴾) أي: مرَّة من الأمر، وفي الحقيقة: ليس هناك قولٌ ولا أمرٌ، وإنما هو كِنايةٌ عن سرعة الإيجاد.

قوله: (﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾) حالٌ مِن متعلق الأمر، والمعنى: حال كونه يوجد سريعاً بالمرَّة من الأمرِ، ولا يتراخى عنها.

واللَّمح: النَّظر بسرعة، فكما أنَّ لمحَ أحدكم بِبَصره لا كُلفة عليه فيه.. فكذلك الأفعال كلُّها عند الله.

قوله: (وهي «كن») بيانٌ لِلأمرة الواحدة، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ...﴾ إلخ دليلٌ لهذه الآية.

قوله: (أشباهَكم في الكفر) أي: الذين يُشبِهونكم فيه.

قوله: (﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾) أي: بما وقع لهم، فيرتدع وينزجر.

---

(١) ولم يبقَ أحدٌ من أهل القبلة على هذا القول الشنيع، وصارَت القدَرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يَقولون: الخير من الله، والشَّر من غيره، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيراً. «فتوحات» (٤/ ٢٦١).

(٢) وبالرفع قرأ أبو السمال. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٤٦).

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾

(٥٢ - ٥٣) ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العِبادُ مَكتُوب ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾: كُتُبِ الحَفَظة، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ مِن الذَّنب أو العَمَلِ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: مُكتَتَبٌ في اللَّوح المَحفُوظ.

(٥٤ - ٥٥) ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿وَنَهَرٍ﴾ - أُرِيد بِه الجِنس، وقُرِئ بِضمِّ النُّون والهاء جَمعاً كـ(أَسَدٍ وأُسد) - والمَعنى: أنَّهُم يَشرَبُون مِن أنهارِها الماء واللَّبَن والعَسَل والخَمر، ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: مَجلِس حَقٍّ لا لَغوَ فِيه ولا تَأثِيم، أُرِيد بِه الجِنس، - وقُرِئ: (مَقاعِد) - المَعنَى: أنَّهُم في مَجالِس مِن الجَنَّات سالِمةٍ مِن اللَّغو والتَّأثِيم، بِخِلافِ مَجالِس الدُّنيا، فقَلَّ أن تَسلَم مِن ذلك. - وأُعرِبَ هذا خَبَراً ثانِياً وبَدَلاً، وهو صادِق بِبَدلِ البَعض وغَيره - ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ - مِثال مُبالَغة - أي: عَزِيز المُلك واسِعِه ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: قادِرٍ لا يُعجِزُه شَيء، وهو الله تعالى، و﴿عِندَ﴾ إشارةٌ إلى الرُّتبة والقُربة مِن فَضلِه تَعالى.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾) جمع (زَبور)، وهو الكتاب.

قوله: (أُريد به الجنس) أي: لِمناسبة جمع (الجنات)، وأُفْرِدَ؛ موافقةً لرؤوس الآي.

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً[1].

قوله: (﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾) من إضافة الموصوف لِصفته.

قوله: (وقرئ: «مقاعد») أي: شُذوذاً[2].

قوله: (ببدل البعض) أي: لأنَّ المقعد بعضُ الجنات، وقوله: (وغيره) أي: وهو بدل الاشتمال؛ لأنَّ الجناتِ مُشتملةٌ على المقعد.

قوله: (﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾) خبرٌ ثانٍ إن جعل ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ بدلاً، وثالثٌ إن جعل خبراً ثانياً.

قوله: (و«عند» إشارةٌ لِلرتبة) أي: فهي عِنديَّة مكانة، وقوله: (والقربة) أي: التقرب، فهما مُتَّحدان.

✿ ✿ ✿

(١) قرأ أبو نهيك وأبو مجلز والأعمش وزهير الفرقبي: (ونُهُر) بضمِّ النون والهاء. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٥٠).

(٢) قرأ عثمان البتِّي: «مقاعِد» وهو مناسبٌ للجمع قبله. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٥١).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾ ....



مكيَّة، أو إلَّا ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ...﴾ الآية فمَدنيَّة، وهي سِتٌّ أو ثمانٌ وسَبعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾ ....

حاشية الصاوي

سورة الرحمن

وتسمَّى: عَروس القرآن؛ لما ورَدَ: «لكلِّ شيءٍ عَروسٌ، وعروسُ القرآن سورة الرحمن»[١].

قوله: (مكيَّة) أي: كلُّها، وقوله: (أو إلا: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ...﴾ إلخ) حكايةٌ لقول آخرَ، وبقي قول ثالث، وهو كلُّها مدنيٌّ.

قوله: (الآية) الأوضَحُ أن يقول: (الآيتين)؛ لأنَّ المدنيَّ على هذا القول: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ وقوله عَقِبها: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ولا شكَّ أنهما آيتان.

قوله: (﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾) إمَّا خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي: الله الرحمن، أو مبتدأ خبره محذوفٌ؛ أي: الرحمن ربنا، وهذان الوجهان على القول بأن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ آيةٌ مستقلَّة، وأمَّا على أنه ليس آيةً مُستقلَّةً.. فـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مبتدأٌ، خبرُهُ ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾.

وسببُ نزولها: أنه لما نزَل ﴿ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾.. قال كُفار مكة: وما الرحمن؟ فأنكرُوه وقالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمانَ اليمامة، فنزلت؛ ردًّا عليهم[٢]، وفيها ردٌّ عليهم أيضاً حيث قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾، فأفاد أنَّ الذي يُعلِّمه هو الرحمن لا غيره.

---

(١) رواه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٢٢٦٥) عن سيدنا عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧١٥)، وانظر «زاد المسير» (٤/ ٢٠٥).

عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾

﴿عَلَّمَ﴾ مَن شاءَ ﴿ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ أي: الجِنسَ ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: النُّطقَ.

(﴿٥﴾ - ﴿٩﴾) ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾: يَجريانِ بِحِساب، ....

حاشية الصاوي

وافتتح هذه السورة بلفظ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ إشارةً إلى أنها مُشتملة على نِعَم عظيمةٍ؛ وذلك لأنَّ الرحمن هو: المنعِم بجلائل النِّعم كمًّا وكيفاً؛ ولذا ذكر قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرَّة فيها.

قوله: (﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾) إمَّا من: التَّعليم، وهو التَّفهم؛ أي: عرَّفه، فـ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ مفعولٌ ثانٍ له، والأول محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (من شاء) أي: مِن عباده، إنساً وجنًّا وملَكاً، وقدَّره بعضهم (محمداً) أو (جبريل)؛ ردًّا على المشركين في قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾، والأول أولى؛ لعمومه. . أو مِن: العلامة، والمعنى: جعله علامةً وآيةً يُعْجِزُ بها المعارِضِين.

وقدَّم تعليم القرآن على خَلق الإنسان مع أنه متأخِّرٌ عنه في الوجود؛ لأنَّ التعليم هو السبب في إيجاده وخلقه.

قوله: (﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾) هذه الجملة والتي بعدها خبرانِ عن ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، أو حالان، وترك العاطف منهما؛ لشدَّة الاتصال.

قوله: (أي: الجنس) أي: الصادقَ بآدم وأولاده، وحينئذٍ: فالمراد بـ﴿ٱلْبَيَانَ﴾: النُّطقُ الذي يتميَّز به عن سائر الحيوان، وهذا أحدُ أقوال في تفسير ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾.

وقيل: هو محمَّد ﷺ؛ لأنه الإنسانُ الكامل، والمراد بـ﴿ٱلْبَيَانَ﴾: عِلمُ ما كان وما يكون وما هو كائنٌ.

وقيل: هو آدم عليه السلام، والمراد بـ﴿ٱلْبَيَانَ﴾: أسماءُ كلِّ شيءٍ، ما وُجد وما لم يوجد بجميع اللغات، فكان يتكلَّم بسبع مئة لغة، أفضَلُها العربيَّة.

قوله: (﴿بِحُسْبَانٍ﴾) متعلِّق بمحذوف، خبر المبتدأ الذي هو ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾، تقديرُه: يجريان.

قوله: (بحسابٍ) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ مصدرٌ مفردٌ بمعنى: الحِساب؛ كـ: الغُفران والكفران، ويصحُّ أن يكون جمعَ (حساب) كـ: شِهاب وشُهبان، ورغيف ورُغفان، والمعنى: أنَّ الشمس والقمر يجريان في بُروجهما ومنازلهما بمقدار واحد لا يَتعدَّيانِه؛ لمنافع العباد، على حسَب الفصول والشهور القَمرية والقبطية، مِن مبدأ الدنيا لِمُنتهاها.

وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ....

﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾: ما لا ساقَ له مِن النَّبات ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾: ما لَهُ ساقٌ ﴿يَسۡجُدَانِ﴾: يَخضَعانِ لِما يُرادُ مِنهُما، ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾: أثبتَ العَدل، ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ﴾ أي: لِأجلِ أن لا تَجُوروا ﴿فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾: ما يُوزَن بِه، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بِالعَدلِ، ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾: تَنقُصُوا المَوزُون.

(﴿١٠﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا﴾: أثبَتَها ﴿لِلۡأَنَامِ﴾: لِلخَلقِ الإنسِ والجِنِّ وغَيرِهم، ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ﴾ المَعهود ....

حاشية الصاوي

قوله: (ما لا ساق له) أي: وهو المفروش على الأرض؛ كالقثَّاء والبطيخ ونحوهما.

قوله: (ما له ساقٌ) أي: وهو المرتفع؛ كالنَّخل والنَّبْقِ ونحوهما.

قوله: (يخضعان) أي: ينقادان لما يراد منهما طوعاً، فلا تخالف ما أُمِرت به؛ فلو أراد منها الإثمار أو عدمه.. لم تخالِف، بل تأتي على طِبق ما أراده.

قوله: (أثبت العدل) أي: في جميع الأمور، والمعنى: أنَّ الله تعالى شرع العدل وأمر به في كلِّ شيءٍ، لا سيما في الكيل والوزن.

قوله: (أي: لأجل ألَّا تجوروا) أشار بذلك إلى أنَّ (أن) ناصبة، و(لا): ناهية، و﴿تَطۡغَوۡاْ﴾: منصوب بـ(أن)، وقبلها لامُ العِلة مقدَّرة.

قوله: (﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ﴾) إيضاحُ لقوله: ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾، وذلك لأنَّ الطغيان في الميزان: أخذُ الزائد، والإخسار: إعطاء النَّاقص، والقِسْطُ: التوسُّط بين الطرفين.

قوله: (أثبتها) أي: دحاها وخفضها.

قوله: (﴿لِلۡأَنَامِ﴾) أي: لانتفاعهم بها؛ من أكلٍ وشربٍ ونومٍ ونحو ذلك.

قوله: (وغيرهم) أي: كباقي البهائم.

قوله: (﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾) الجملة حاليَّة.

ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ......

﴿ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾: أوعِيةِ طَلعِها، ﴿وَٱلْحَبُّ﴾ كالحِنطةِ والشَّعير ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾: التِّبن ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: الورَق أو المَشمُوم، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾: نِعَم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيُّها الإنسُ والجِنُّ ﴿تُكَذِّبَانِ﴾؟ ذُكِرَت إحدَى وثَلاثِينَ مَرَّةً، والاستِفهام فِيها لِلتَّقرِيرِ؛ لِما رَوَى الحاكِم عن جابِرٍ قال: قَرأ علَينا رَسولُ الله ﷺ سُورةَ الرَّحمَن حتَّى خَتَمها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾) جمع (كِمٍّ) بالكسر، وهو وعاء الطَّلع وغطاءُ النَّوْرِ، ويجمع أيضاً على: (أكِمَّةٍ)، وأمَّا بالضمِّ.. فهو لِلقَميص.

قوله: (﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾... إلخ) إمَّا برفع الثلاثة، أو نصبِها، أو رفع الأولَين وجرِّ الثالث، ثلاث قراءات سبعيَّات؛ فرفعُ الجميع عطف على ﴿فَٰكِهَةٌ﴾، ونصبُها بفعل محذوف؛ أي: خلق، ورَفع الأولين عطف على ﴿فَٰكِهَةٌ﴾، وجرُّ الثالث عطف على ﴿ٱلْعَصْفِ﴾[1].

قوله: (﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾) أي: بأيِّ فردٍ من أفراد تلك النِّعم المذكورة تكذبان؟ أي: تنكرانها وتكابِران فيها وذلك شأن الكفار، أو: لا تشكران ربَّكم عليها، وذلك شأن العُصاة. و﴿ءَالَآءِ﴾: جمع (إِلًى) أو (أَلًى) كـ(مِعًى) و(حَصًى)، و(إِلْيٍ) كـ(حِمْلٍ)، و(أَلْيٍ) كـ(أَصْلٍ)[2].

قوله: (أيها الإنس والجن) أي: فالخطاب للثقلين كما يُشعر به قوله فيما يأتي: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾.

قوله: (ذكرت إحدى وثلاثين مَرة) ثمانيةٌ منها عقب آيات تعداد النِّعم، ثمَّ سبعة عقب ذكر النار وشدائدها على عدَّة أبوابها؛ لأنَّ التخلص منها نِعمة، ثمَّ ثمانية عقب وصف الجنَّتين الأوليَين عدَّة أبوابها، ثمَّ ثمانية عقب وصف الجنَّتين اللتين هما دون الجنَّتين الأوليَين.

قوله: (والاستفهام للتقرير) ويصحُّ أن يكون للتوبيخ على ما فصَّل من فنون النِّعم الموجبة للشكر والإيمان.

---

(١) قرأ ابن عامر بنصب الثلاثة، وقرأ به مُوافقة لرسم مَصاحف بلده؛ فإن مصاحف الشام (ذا) بالألف، وقيل في نصب (الحب) أيضاً: إنه معطوف على (الأرض)، قاله مكي؛ لأن قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أي: خلَقها، فعطف (الحب) على ذلك، وقرأ حمزة والكسائيُّ: برفع (الحب) و(ذو)، وجرِّ (الريحان)، والباقُون برفع الثلاثة. انظر «الدر المصون» (١٠/١٥٩).

(٢) حكى اللغاتِ الأربع ابن النحاس في «إعراب القرآن» (٤/١٩٠).

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ....

ثُمَّ قال: «ما لِي أراكُم سُكُوتاً؟ لَلجِنُّ كانُوا أحسَن مِنكُم رَدًّا، ما قَرَأتُ علَيهِم هذِه الآيَةَ مِن مرَّة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلَّا قالُوا: ولا بِشَيءٍ مِن نِعَمك ربَّنا نُكذِّب، فلَك الحَمدُ».

(﴿١٤﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: آدم ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ﴾: طِين يابِس يُسمَع لَه صَلصَلةٌ أي: صَوتٌ إذا نُقِرَ ﴿كَٱلۡفَخَّارِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ثم قال: «ما لي أراكم سكوتاً؟»... إلخ) يُؤخذ من ذلك: أنه يَنبغي لسامع هذه السورة أن يجيبَ بهذا الجواب.

قوله: («كانُوا أحسن منكم ردًّا») أي: في الجواب؛ فلا يُنافي أنَّ الإنس أحسَنُ منهم، فهذه مَزيَّة.

قوله: (﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾... إلخ) بدل من (هذه الآية).

قوله: («إلا قالوا: ولا بشيءٍ من نِعمك»[1]... إلخ) ظاهره: أنَّ جميعَ ما في هذه السورة نِعَمٌ مع أنَّ فيها: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ...﴾ إلخ، و﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ﴾، و﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ ونحو ذلك، وأجيب: بأنَّ رفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة والتسوية في الموت بين الشريف وغيره.. من جملة النِّعم، فحسُنَ جوابُ الجنِّ عقب كلِّ واحدةٍ.

قوله: (آدم) أشار بذلك إلى أنَّ (أل) في ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ للعهد، بخلاف ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ المتقدِّم؛ ففيه احتمالات ثلاث.

قوله: (إذا نقر) أي: ليختبر هل فيه عيبٌ أو لا.

قوله: (﴿كَٱلۡفَخَّارِ﴾) أي: في أنَّ كلًّا مِنهما يُسمع له صوتٌ إذا نُقر.

واعلم: أنه تعالى أفاد في هذه السورة: أنَّ خلقَ آدم كان ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾، وفي سورة (الحجر): ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ أي: طين أسودَ مُتغيِّر، وفي (الصافات): ﴿مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ أي: يَلصق باليد، وفي (آل عمران): ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾، ولا تَنافيَ بينها؛ وذلك لأنه تعالى أخذه من تراب الأرض، فعجَنه بالماء فصار طيناً لازباً، ثمَّ تركه حتى صار حمأً مَسنوناً، ثمَّ صوَّره كما تُصوَّرُ الأواني، ثمَّ أيبَسه حتى صار في غاية الصلابة كالفخار؛ إذا نُقِرَ صوَّتَ، فالمذكور هنا آخرُ أطواره،

---

(١) الحديث رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٤)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٢٢٦٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ....

وهو ما طُبخ مِن الطِّين، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾: أبا الجنِّ وهو إبلِيس ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ هو لَهَبها الخالِصُ مِن الدُّخان، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

(﴿١٧﴾ - ﴿٢٣﴾) ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾: مَشرِق الشِّتاءِ ومَشرِق الصَّيف، ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ كذَلك، ....

حاشية الصاوي

وفي غير هذا الموضع تارةً مبدؤه، وتارةً أثناؤه؛ فالأرض أمُّه، والماء أبُوه، ممزوجان بالهواء الحامل للحرِّ الذي هو من فيح جهنَّم، فهو من العناصر الأربع، لكن الغالب في خِلقتِه الطين، كما قيل: إن الجانَّ من العناصر الأربع، لكن الغالب في جِبِلَّته النار؛ ولذا نُسِب لها.

قوله: (وهو ما طبخ من الطين) أي: فكان مُجوَّفاً كالأواني، وليس كالآجُرِّ[1].

قوله: (وهو إبليس) هذا أحدُ قولين، وهو الصحيح، وقيل: أبو الجنِّ غيرُ إبليس.

قوله: (﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾) «مِن» الأولى: لابتداء الغاية، والثانية: يصح أن تكون لِلبيان، أو للتبعيض.

قوله: (هو لهبُها الخالص من الدخان) هذا أحدُ أقوال في تفسير (المارج)، وقيل: هو ما اختَلط من أحمرَ وأخضر وأصفر، وهو مُشاهَد في النار، ترى الألوان الثلاثة مختلطاً بعضُهَا ببعض، وقيل: هو الأحمرُ الكائن في طرَف النار، وقيل: اللهبُ المختلط بسواد.

قوله: (﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾) أي: بأيِّ نِعَمِ ربِّكما الناشئة عنه تكفُران؟

قوله: (﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾) بالرفع في قراءة العامَّة على أنه خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو ربُّ المشرقين، وقرئ شذوذاً بالجرِّ على أنه بدلٌ أو بيانٌ لـ﴿رَبِّكُمَا﴾[2].

قوله: (كذلك) أي: مغرب الشتاء، ومغرب الصيف، وأما آية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].. فباعتبار مَشرقِ كلِّ يومٍ ومغربِه.

---

(١) لأنه ليس له صَلصلة. «فتوحات» (٤/ ٢٦٥).

(٢) وقيل في توجيه الرفع: إنه مبتدأ، خبره (مرج البحرين) وما بينهما اعتراض، وبالجرِّ قرأ ابن أبي عبلةَ. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٦٣).

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ ....

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ﴾: أرسَلَ ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: العَذبَ والمِلحَ ﴿يَلۡتَقِيَانِ﴾ في رَأْيِ العَين، ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ﴾: حاجز مِن قُدرَته تَعالى ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾: لا يَبغِي واحِدٌ مِنهُما على الآخَر فيَختَلِط بِه، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ﴾ - بِالبِناء لِلمفعُولِ والفاعِل - ﴿مِنۡهُمَا﴾: مِن مَجمُوعِهما الصَّادِق بِأحَدِهِما وهو المِلحُ ﴿ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾: خَرز أحمَرُ أو صِغارُ اللُّؤلُؤِ، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾) أي: بأيِّ نعمةٍ من هذه النِّعم العظيمة تكفران بها؟

قوله: (﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾) المرجُ بفتحتين في الأصل: الإهمال والترك والإرسال، وبسكون الراء: الأرض ذات النبات والمرعى، يقال: مَرَجَ الدابة؛ أي: أرسلها ترعى في المرْجِ.

قوله: (﴿يَلۡتَقِيَانِ﴾) حالٌ من ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ أي: يَتماسَّان على وجه الأرض، بلا فصلٍ بينهما في رُؤية العين.

قوله: (﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ، أو حالية من ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾.

قوله: (﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾) أي: لا يتجاوز كلُّ واحد منهما ما حدَّه له خالقه، فالماء العذب الداخل في المِلْحِ باقٍ على حاله لم يمتزج بالملح، فمتى حَفرتَ في جنب الملح في بعض الأماكن.. وجَدتَ الماء العذب، بل كلَّما قرُبت الحفرة من الملح.. كان الماء الخارج منها أحلى، فخلَطهما الله في رأي العين، وحجَزهما بِقُدرته تعالى، وإذا كان هذا حال جمادٍ لا إدراكَ له ولا عقل.. فكيف يَبغي العقلاء بعضهم على بعض؟!

قوله: (بالبناء للمفعول والفاعل) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (الصادق بأحدهما) هذا غير ظاهر؛ لأنَّ المجموع لا يَصدُق على البعض إلا إذا كان متعدداً؛ كقولك: كل رجل يَحمل الصخرة العظيمة، فالأَولى أن يُجعل الكلام على حذف مضاف؛ أي: مِن أحدهما.

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو: (يُخْرَجُ) مبنيًّا لِلمفعول، والباقون مبنيًّا للفاعل على المجاز. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٦٤).

وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ ....

(﴿٢٤﴾ - ﴿٢٨﴾) ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ﴾: السُّفُن ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾: المُحدثات ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾: كالجبالِ عِظماً وارتِفاعاً، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا﴾ أي: الأرضِ مِن الحَيوان ﴿فَانٖ﴾: هالِك، ـ وعبَّرَ بـ(مَن) تَغليباً لِلعُقلاءِ ـ ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾: ذاتُه ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ﴾: العَظَمةِ ﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ لِلمُؤمِنين بأنعُمِه علَيهم، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

حاشية الصاوي

وقيل: لا تقدير في الآية، بل يَخرجان من الملح في الموضع الذي يَقع فيه العذب، وهو المشاهد عند الغوَّاصين، وقيل: العذب كالرجل، والملح كالمرأة، واللؤلؤُ والمرجان يخرجان منهما كما يخرج الولد من الرجل والمرأة، وقال ابن عباس: تكون هذه الأشياء في البحر بِنُزول المطر، والصدف تَفتح أفواهها للمطر.

قوله: (﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ﴾) جمع (جارِية)، وهي السفينة، صفةٌ جرَتْ مجرى الأسماء، سمِّيت بذلك؛ لأنَّ شأنها الجريُ.

قوله: (﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾) بفتح الشين: اسم مفعول؛ أي: أنشَأها الناس بسبب تعليم الله لهم، وكسرِها: اسم فاعل؛ أي: تُنْشِئُ الريح بجريها، أو تنشئُ السَّير إقبالاً وإدباراً، ونسبة الإنشاء لها مجازٌ، وهما قراءتان سبعيَّتان، وقرئ شذوذاً بتشديد الشين مع فتحِها مبالغةً[1].

قوله: (أي: الأرض) أي: وعلى هذا التفسير: فلا يستثنى شيءٌ، بخلاف قوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾؛ فيُستثنى الجنَّة والنار، والحُور والولدان، والعرش والأرواح.

قوله: (هالك) أي: بالفعل.

قوله: (﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾) الخطاب إمَّا لرسول الله ﷺ؛ اعتناءً بشأنه، وإمَّا لأيِّ سامع؛ لِيَعلم كلُّ أحدٍ أنَّ غير الله فانٍ.

قوله: (﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾) فيه وعدٌ ووعيدٌ؛ فبوصف (الجلال) إفناءُ الخلق، وتعذيبُ الكفار، وبِوَصف (الإكرام) إحياؤُهم، وإثابةُ المؤمنين.

---

(١) قرأ حمزة وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الشين، والباقون بالفتح، وقرأ ابن أبي عبلة (المنشَّآت) بتشديد الشين. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٦٧).

يَسْأَلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) ....

(٢٩ - ٣٢) ﴿يَسْأَلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بِنُطقٍ أو حالٍ ما يَحتاجُون إلَيهِ مِن القُوَّة على العِبادةِ والرِّزق والمَغفِرةِ وغَير ذلك ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾: وقتٍ ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

و﴿ذُو﴾: بالرفع في قراءة العامَّة نعتٌ لِلوجه، وقرئ شذوذاً بالجر صفة لِلرب[١]، وأمَّا في آخر السورة.. فالقراءتان سبعيَّتان[٢].

قوله: (﴿يَسْأَلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أي: لأنهم مفتقرون إليه تعالى في جميع لحَظاتهم، قال ابن عباس: أهل السماوات يَسألون المغفرة، ولا يَسألونه الرزق، وأهل الأرض يسألونهما جميعاً.

وقال ابن جريج: تَسأله الملائكة الرزقَ لأهل الأرض، فسؤال خير الدنيا والآخرة صادرٌ من كلٍّ من أهل السماوات والأرض، وفي الحديث: «إنَّ من الملائكة ملَكاً له أربعة أوجه: وجهٌ كوجه الإنسان يَسأل الله تعالى الرزق لبني آدم، ووجهٌ كوجهِ الأسد يَسأل الله تعالى الرزق للسباع، ووجهٌ كوجه الثور يسأل الله تعالى الرزق لِلبهائم، ووجهٌ كوجه النسر يَسأل الله تعالى الرزق للطير»[٣].

قوله: (بِنُطق) أي: بلسان المقالِ، وقوله: (أو حال) أي: بلسان الحال، وهو الذلُّ والاحتياج

قوله: (﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾) ﴿كُلَّ﴾: ظرف منصوب بالمحذوف الذي تعلَّق به الجارُّ والمجرور، والمراد باليوم: اللحظة من الزمن، وبالشأن: التصريفُ في خَلقه؛ لما وردَ: «أنَّ الإنسان يخرج منه في اليوم والليلة أربعةٌ وعشرون ألف نفَسٍ، في كل نفَسٍ تحمل مئة ألف، ويُولد مئة ألف، ويعزُّ مئة ألف، ويذلُّ مئة ألف، ويُفرِّج عن مئة ألف»، وفي رواية: «في كل واحدة ستُّ مئة ألف».

وحُكي: أنَّ ابن الشجريِّ كان يُقرِّر في درسه هذه الآية، فجاءه الخضر وقال له: ما شأن ربِّك اليوم؟ فأطرق برأسه وقام متحيِّراً، فنام فرأى النبي ﷺ في مَنامه، فعرض عليه السؤال، فقال له: السائل لك الخَضر، فإن أتاك وسألك.. فقل له: شؤونٌ يُبْدِيها ولا يَبْتَدِيها، يرفع أقواماً، ويَضع آخرين، فلمَّا أصبح.. أتاه وسأله، فأجابه بذلك، فقال له: صلِّ على مَنْ علَّمك.

---

(١) وبالجرِّ قرأ سيدنا أُبي بن كعب، وسيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٦٨).

(٢) قرأ ابن عامر (ذو الجلال) بالواو، وجعَله تابعاً للاسم، وهكذا هي مَرسومة في مُصحف الشاميين، والباقون بالياء صفة للربِّ. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٨٨).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٦٦).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ ....

أمرٍ يُظهِرهُ على وَفق ما قَدَّرهُ في الأزل؛ مِن إحياءٍ وإماتةٍ وإعزازٍ وإذلالٍ وإغناءٍ وإعدام وإجابةِ داعٍ وإعطاءِ سائل وغيرِ ذلك، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: سنَقصِدُ لِحسابِكُم ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾: الإنسُ والجِنُّ، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

(﴿٣٣﴾ - ﴿٣٦﴾) ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟﴾: تَخرُجُوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾: نواحِي ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ - أمرُ تعجيز - ....

حاشية الصاوي

قوله: (أمرٍ يُظهره... إلخ) أي: فالشَّأنُ صفةُ فعلٍ، وقوله: (من إحياء... إلخ) بيانٌ له، فالتغيُّر راجع لِلمصنوعات، وأما ذاته تعالى وصفاته.. فيستحيل عليها التغير، فهو يُغيِّر ولا يتغيَّر.

قوله: (﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾) أي: بأيِّ نعمةٍ من تلك النِّعم التي أنشأها خالقكما ومُدبِّركما تكفرانِ بها؟

قوله: (سنقصد لِحسابكم) جوابُ عمَّا يقال: إنَّ الله لا يَشغله شأنٌ عن شأنٍ؛ فكيف قال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾؟ فأجاب بما ذكر، وإيضاحه أن تقول: الفراغ من الشيء يُطلق على: التفرغ من الشواغل، وهو بهذا المعنى مُستحيلٌ عليه تعالى؛ ويُطلق على: القصد للشيء والإقبال عليه، وهو المراد هنا، وحينئذٍ: فيكون مَعناه: سأريد حسابكم، وهذا لا يظهر إلا على القول بأنَّ للإرادة تعلُّقاً تنجيزيًّا حادثاً، وأمَّا على القول بِنفيه.. فلا يظهر، فكان المناسب له أن يقول: (سأحاسبكم). وفي الآية وعدٌ للطائعين، ووعيدٌ للعاصِين[1].

قوله: (﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾) تثنية (ثَقَلٍ) بفتحتين، سمِّيا بذلك؛ لأنهم أثقلا الأرض، أو حصل لهما الثِّقَل والتَّعب بالتَّكاليف.

قوله: (﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾) أي: التي من جُملتها إثابة أهل الطاعات، وعقاب أهل المعاصي.

قوله: (﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾... إلخ) هذا إلزامٌ وتعجيزٌ لمن لم يرضَ بقضاء الله وقدَره،

---

(١) عبارة الزمخشري: (﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: مُستعار من قول الرجل لِمَن يتهدده: سأفرغ لك، يريد: سأتجرَّد للإيقاع بك من كل ما يَشغلني عنك، حتى لا يكون لي شُغل سواه، والمراد: التوفر على النكاية فيه والانتقام منه، ويجوز أن يراد: ستنتهي الدنيا وتَبلغ آخرها، وتنتهي عند ذلك شؤون الخَلق التي أرادها بقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغاً لهم على طَريق المثل). انظر «الكشاف» (٤/ ٤٨٨).

لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا ....

﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾: بِقُوة ولا قُوَّةَ لَكم على ذَلك، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا﴾ ....

حاشية الصاوي

وهو إشارةٌ لمعنى حديث قدسي: «مَن لم يرضَ بقضائي، ويَصبر على بلائي.. فليخرج من تحت سمائي، ويتخذ له ربًّا سِواي»[1]، وعلى هذا: فالخطاب يقال لهما في الدنيا، وقيل: يقال لهم هذا يوم القيامة؛ لما وردَ: «إذا كان يوم القيامة.. أمر الله السماء الدنيا فتشقَّق بأهلها، فتكون الملائكة على حافَتِها حتى يأمرهم الرَّبُّ، فيَنزلون إلى الأرض، فيُحيطون بالأرض ومن فيها، ثمَّ يأمر الله السماء التي تليها كذلك، فيَنزلون فيكونون صفاً خلف ذلك الصفِّ، ثمَّ السماء الثالثة، ثمَّ الرابعة، ثمَّ الخامسة، ثمَّ السادسة، ثمَّ السابعة، فتنزل ملائكة الرفيع الأعلى؛ فلا يأتون قُطراً من أقطارها إلا وجدُوا صفوفاً من الملائكة، فذلك قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ...﴾ الآية»[2].

والحكمةُ في تقديم الجن هنا على الإنس، وتأخيرهم عنهم في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [الإسراء: ٨٨]: أنَّ الجنَّ أقوى من الإنس، فقُدِّموا فيما يتعلق بالهروب، والإنس أفصَحُ من الجنِّ، فقدِّموا فيما يتعلق بالمعارضة بالقرآن، فقُدِّمَ في كلِّ موضعٍ ما يُناسبه.

قوله: (قوة) هذا أحد قولين في تفسير (السلطان)، وقيل: هو البيِّنة والحُجَج الواضحة.

قوله: (﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾) أي: من التَّنبيه والتحذير والعَفو، مع كمال القدرة على العقوبة.

قوله: (﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا﴾) إمَّا جملة مستأنفة، قُصِدَ بها بيان أحوال يوم القيامة، وهذا على القول بأنَّ الخطاب المتقدِّم في الدنيا، وأمَّا على القول بأنه في الآخرة.. فالكلام مُرتبطٌ ببعضه، وليس مستأنفاً.

---

(١) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٠٥٤) عن سيدنا أبي هِند الداري رضي الله عنه، والطبراني في «المُعجم الكبير» (٨٠٧) بنَحوه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٢/ ١٠٣) مِن حديث الضحاك.

﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦﴾ ....

﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ هو لَهَبُها الخالِص مِن الدُّخان أو مَعهُ، ﴿وَنُحَاسٌ﴾ أي: دُخانٌ لا لَهَب فِيه ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾: تَمتَنِعانِ مِن ذلك، بل يَسُوقُكم إلى المَحشَر، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿شُوَاظٌ﴾) بكسر الشين وضمِّها، قراءتان سبعيَّتان، ولُغتان بمعنًى واحدٍ[1].

قوله: (وهو لهبها الخالصُ من الدخان. . . إلخ) هذان قولان من أربعة، وقيل: هو اللهب الأحمر، وقيل: هو الدخان الخارج من اللَّهب.

قوله: (﴿وَنُحَاسٌ﴾) إمَّا بالرفع عطف على ﴿شُوَاظٌ﴾، أو الجرِّ عطف على ﴿نَّارٍ﴾، سبعيَّتان، لكن قراءة الجرِّ لا بدَّ فيها من كسر شين (شِوَاظٍ)، أو إمالة (نارٍ)؛ فمن قرأ بجرِّ (نحاسٍ) بدون أحد الأمرين. . فقد وقع في التَّلفيق[2].

قوله: (أي: دُخان. . . إلخ) هذا التفسير إنما يناسب قراءة الرفع لا الجرِّ، وإلا. . فيصير المعنى: يرسل عليكما شواظ ـ أي: لهبٌ ـ من نحاس؛ أي: دخانٍ لا لهب فيه[3]، وهو لا يَصح إلا أن يُقال: (الشواظ) يُطلق بالاشتراك على اللهب الخالِص، والدخان.

قوله: (﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾) أي: لا تجدان لكم ناصراً.

واعلم: أنَّ هذا الأمرَ ـ وهو سَوْقُ الجنِّ والإنس بالنار إلى المحشر، وازدحامُهم حتى يكون على القدم ألفُ قدمٍ ـ ليس لعموم الجنِّ والإنس، بل وردَ في أناس: أنهم يخرجون من قُبورهم لِقُصورهم، لا يحزنهم الفزع الأكبر، وكلُّ واحدٍ ممَّن حضر الموقف على قَدْرِ عمله؛ فمنهم من يُظَلُّ في ظلِّ العرش، ومنهم من يُلجمه العرق، ومنهم من يَراه قصيراً، ومنهم من يراه طويلاً، هذا هو التحقيق.

قوله: (من ذلك) أي: المذكورِ من الشواظ والنحاس.

قوله: (بل يَسوقكم) أي: المذكورُ منهما.

---

(١) قرأ ابن كثير بكسر الشين، والباقون بضمِّها. انظر «الدر المصون» (١٠/١٧١).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرٍو بالجرِّ، والباقون بالرفع. انظر المرجع السابق.

(٣) وقيل: النحاس هو: الصفر المعروف، يُذيبه الله تعالى، ويُصَبُّ على رُؤوسهم. «فتوحات» (٤/٢٧٠).

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾﴾ ....

(﴿٣٧﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: انفرَجَت أبواباً لِنُزُولِ المَلائكةِ ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: مِثلَها مُحمَرَّةً ﴿كَالدِّهَانِ﴾: كالأدِيمِ الأحمَرِ على خِلافِ العَهدِ بِها ـ وجَوابُ (إذا): فما أعظَمَ الهَولَ! ـ، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ عن ذَنبِه ويُسألُونَ في وقتٍ آخر، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، والجانُّ هُنا

حاشية الصاوي

قوله: (لنزول الملائكة) أي: لتحيط بالعالم من سائر جهات الأرض.

قوله: (﴿كَالدِّهَانِ﴾) إمَّا خبرٌ ثانٍ، أو نعت لـ﴿وَرْدَةً﴾، والدهان: إمَّا جمعٌ (دُهن) كـ(رِمَاح، ورُمح)، ويكون بمعنى قوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨] أي: كدَرْدِيِّ الزيت، أو مفردٌ كـ(حِزَامٍ) و(إدَامٍ)، وهو الأديم الأحمر؛ أي: الجِلد، وقد مشى على الثاني المفسِّر.

قوله: (على خلاف العهد بها) أي: على خلاف لونها الذي نراه ونَعهده، وهو الزرقة؛ فإنها عارضةٌ، قيل: بسبب جبل (ق) المحيط بها، وأما لونُها الأصلي.. فهو الحُمرة[1].

قوله: (﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾) التنوين عوضٌ عن جملة؛ أي: فيوم إذ انشقَّت السماء.

قوله: (﴿وَلَا جَانٌّ﴾ عن ذنبه) أشار بذلك إلى أنَّ الجارَّ والمجرور محذوفٌ من الثاني؛ لدلالة الأوَّل عليه.

قوله: (ويُسْأَلُونَ في وقتٍ آخر) أشار بذلك لِوَجه الجمع بين ما هنا وبين الآية التي ذكرها، وإيضاحُ الجمعِ أن يُقال: إنهم حين يخرجون من القبور لا يُسْأَلون، ويُسْأَلون حينَ انفضاضِ الموقفِ.

قوله: (والجان... إلخ) قد يقال: لا حاجةَ له؛ لأنَّ الجانَّ والإنس كلٌّ منهما اسمُ جنس، يُفرَّق بينه وبين واحده بالياء كـ: (زِنج وزِنجي).

---

(١) وزعم المتقدمون أنَّ أصل لون السماء الحُمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبُعْدِ المسافة واعتراض الهواء بيننا وبينها تُرى بهذا اللون الأزرَق، وشبَّهوا ذلك بعُرُوق البدن؛ هي حمراء كحمرة الدم، وترى بالحائل زرقاء، فإن كان هذا صحيحاً.. فإنَّ السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز تُرى حمراء؛ لأنه أصلُ لونها. انظر «تفسير الماوردي» (٥/ ٤٣٦)، و«الفتوحات» (٢/ ٢٧١).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٠ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤﴾

وفِيما سيأتِي بِمَعنى الجِنِّي، والإنسُ فِيهما بِمَعنى الإنسِيِّ، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

(٤١ - ٤٥) ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: سَوادِ الوُجُوه وزُرقةِ العُيُون ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: تُضَمُّ ناصِيةُ كُلٍّ مِنهُم إلى قَدَمِيهِ مِن خَلفٍ أو قُدَّام، ويُلقَى في النَّار ويُقالُ لَهُم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ﴾: يَسعَونَ ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾: ماءٍ حارٍّ ﴿ءَانٍ﴾: شَدِيدِ الحَرارة يُسقَونَه إذا استَغاثُوا مِن حَرِّ النَّار ـ وهو مَنقُوص كـ(قاضٍ) ـ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾) أي: نِعَمِهِ العظيمةِ التي من جملتها الزَّجر عمَّا يُؤدي للعذاب.

قوله: (أي: سواد الوجه وزُرْقُ العيون) أي: وأخذ الصحف من وراء الظهر باليسرى.

قوله: (﴿بِٱلنَّوَٰصِى﴾) جمع (ناصية)، وهو نائب الفاعل[1].

قوله: (مِن خلف) أي: فحينئذٍ يكسر ظهره كما يكسر الحطَب، قال الضحاك: يُجْمَعُ بين ناصيته وقدَمه في سلسلةٍ من وراء ظهره.

قوله: (ويُقال لهم) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ قوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ مقولٌ لقولٍ محذوفٍ.

قوله: (﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾) أي: يتردَّدون بينها، فحين يَستغيثون من النار.. يُسْعَى بهم إلى الحميم؛ فيُسْقَوْنَ منه، ويُصَبُّ فوق رؤوسهم، فإذا استغاثُوا منه.. يُسْعَى بهم إلى النار... وهكذا.

قوله: (يُسْقَوْنه... إلخ) أي: ويُغمَسون فيه؛ لما وردَ عن كعبٍ: (آنٍ): وادٍ من أودية جهنَّم يجتمع فيه صديد أهل النار، فَيُغْمَسُونَ بأغلالهم فيه حتى تَنخلع أوصالهم، ثمَّ يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً، فَيُلْقَوْنَ في النار، فذلك قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾[2].

قوله: (وهو منقوص كـ«قاض») أي: فيقال: (أَنَى يَأْنِي) كـ: (قَضَى يَقْضِي)، فهو (آنٍ) كـ: (قاضٍ)، وأصله: (آنِيٌ) استُثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقاء الساكنين.

(١) (يؤخذ) متعدٍّ، ومع ذلك تعدَّى بالباء؛ لأنه ضمِّن معنى (يدفع) أي: يدفعون. انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٧٦).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ٤٥٠).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٥ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ....

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

(﴿٤٦﴾ - ﴿٥٣﴾) ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ أي: لِكُلٍّ مِنهُم أو لِمَجمُوعِهِم ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: قِيامَه بينَ يَدَيهِ لِلحِسابِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾) أي: لكلِّ شخصٍ خائفٍ؛ سواءٌ كان من الإنس أو من الجنِّ، فالجنُّ كالإنس في النعيم، وهو ما عليه الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة: إنَّ مَنْ مات من الجنِّ مسلماً يَصير تراباً كالبهائم، ولا حظَّ له في النَّعيم.

قوله: (أي: لكلٍّ منهم) أي: لكلِّ فردٍ من أفراد الخائفين جنَّتان.

واختُلف في المراد بالجنتين اللتين يُعطاهما كلُّ خائفٍ؛ فقيل: جنَّةٌ لعقيدته، وجنَّة لِعمله، وقيل: جنَّة لطاعته، وجنَّة لترك المعاصي، وقيل: جنَّة يُثاب بها، وجنة يُتَفَضَّل بها عليه، وقيل: إحدى الجنَّتين مَنزله، والأخرى منزل أزواجه كعادة الأكابر في الدنيا، وقيل: إحدى الجنَّتين مسكنُه، والأخرى بُستانه، وقيل: إحدى الجنَّتين خُلقت له، والأخرى جنَّة ورثها من الكفار، وعلى كلٍّ من الأقوال تسمَّى إحداهما: جنة عدَن، والأخرى: جنة النعيم.

وروي عن ابن عباس في وصف الجنَّتين أنه قال: (الجنتان: بُستانان في عرض الجنة، كل بستان مسيرة مئة عام، في وسَط كل بستان دارٌ من نور، وليس منهما شيءٌ إلا يهتزُّ نعمةً وخضرةً، قرارُها ثابت، وشجرها نابت)[1]، وقيل: المراد بالجنتين: جنَّة واحدة، وإنما ثنَّى رعايةً للفواصل.

قوله: (أو لِمجموعهم) أي: إنَّ الكلام على سبيل التوزيع، فإحدى الجنَّتين للخائف الإنسي، والأخرى للخائف الجني، فكلُّ خائفٍ ليس له إلا جنَّة واحدة، والأول هو المعتمَد.

قوله: (قيامه بين يديه... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ (المقام) مصدرٌ مِيمي بمعنى (القيام)، وهو أحدُ احتمالاتٍ ثلاثٍ في تفسير (المقام)، الثاني: أنه اسم مكان؛ أي: خاف مكان وُقوفه للحساب، والثالث: أنه مصدرٌ ميمي؛ بمعنى: قيام الله عزَّ وجل على الخلائق؛ أي: إشرافه واطِّلاعه عليهم، ومُناقَشته لهم في الحساب.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٧٧)، وقال: (وذكره المهدوي والثعلبي أيضاً من حديث أبي هريرة)، وفيه: (يهتز نغمة) بدل (يهتز نعمة).

جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ....

فتَرَكَ مَعصِيَته ﴿جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ﴾ ـ تثنية (ذَوات) على الأصلِ، ولامُها ياءٌ ـ ﴿أَفْنَانٍ﴾: أغصانٍ، جمعُ (فَنَن) كـ(طَلَل)، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ في الدُّنيا أو كُلِّ ما يُتَفكَّه بِه ﴿زَوْجَانِ﴾: نَوعانِ رَطب ويابِس، والمُرُّ مِنهُما ....

حاشية الصاوي

قوله: (فترك معصيته) أي: فتسبَّب عن خوفه تركُهُ المعاصي.

واعلم: أنَّ الخوف مَرتبتان: مرتبة العامة: وهي خوف تعذيب الله إياهم، ومَرتبة الخاصة: وهي خوف جلال الله وهيبتِه، وفيها فليَتنافس المتنافسون.

وللعارفين تفسيرٌ آخرُ، وهو أنَّ المراد بالخوف: خوفُ الإجلال والتعظيم والهَيبة، والمراد بالجنَّتين: جنةُ الشهود؛ في الدنيا بالقلب، وفي الآخِرة بالأبصار، وجنَّة الثواب في الآخرة لا غير.

قوله: (﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾) أي: نعمِهِ ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ أبِتلك النِّعم التي من جملتها الجنَّة ونعيمها أم بغيرها؟

قوله: (﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾) إمَّا صفةٌ لـ﴿جَنَّتَانِ﴾، أو خبرٌ لمحذوف؛ أي: هما.

قوله: (تثنية «ذوات») أي: الذي هو مُفرد.

قوله: (على الأصل) أي: وذلك لأنَّ أصلهما (ذَوَي) تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، فصار (ذَوَا) كـ(فَتَى)، فهذه الألف لام الكلمة، وإنما قلبت الياء ألفاً دون الواو مع أنَّ كلًّا منهما متحرِّك وما قبله مفتوحٌ؛ لأنها طرفٌ، والطَّرف محلُّ تغييرٍ، ولم تُرَدَّ هذه الألف في التثنية إلى الياء فيُقال: (ذويتان)؛ لأنه لما زِيدت التاء في هذا اللفظ.. تحصَّنت الألف من الرَّد إلى الياء. وما في الآية هو الفَصيح في تثنيتها، وقد تُثَنَّى على لفظها فيقال: (ذاتان).

قوله: (أغصان) أي: وهي فروع الشجر التي تشتمل على الورق والثمار.

قوله: (جمع «فنَن») هذا أحد قَولين، وقيل: جمع (فَنٍّ) أي: نوعٍ وشكلٍ.

قوله: (﴿فِيهِمَا﴾) أي: في كلٍّ واحدةٍ منهما.

قوله: (﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾) أي: بالماء الزُّلال، إحداهما تسمَّى: التَّسنيم، والأخرى: السلسبيل، وقيل: إحداهما من ماءٍ غيرِ آسِنٍ، والأخرى من خمرٍ لذَّةٍ للشاربين.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ ....

في الدُّنيا كالحَنظَلِ حُلوٌ، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

(﴿٥٤﴾ - ﴿٦١﴾) ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ ـ حالٌ عامِله مَحذُوف ـ أي: يَتَنعَّمُون ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾: ما غَلُظَ مِن الدِّيباج وخَشُنَ، والظَّهائِرُ مِن السُّندُس ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾: ثَمَرُهما ﴿دَانٍ﴾: قَرِيبٌ يَنالُهُ القائِم والقاعِدُ والمُضطَجِع، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (في الدنيا) أي: ما هو فاكهةٌ في الدنيا؛ فلا تشمل الفاكهةُ على هذا مثلَ الحنظل.

قوله: (أو: كلِّ ما يتفكَّه به) أي: في الآخرة ولو كان في الدنيا غيرَ فاكهةٍ؛ كالحنظل، وقوله: (والمرُّ منهما... إلخ) مبنيٌّ على القول الثاني.

قوله: (﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾) أي: مُضطجعين، أو متربِّعين؛ فالتوكؤ: الاضطجاع، أو التَّربع؛ لما في الحديث: «أمَّا أنا فلا آكل مُتكئاً»[1] أي: جالساً جلوسَ المتربِّع ونحوه من الهيئات التي تستدعي كثرة الأكل، فالتوكؤ في الدنيا مذمومٌ، وفي الآخرة غير مَذموم؛ لارتفاع التكليف.

قوله: (أي: يتنعمون) الضمير عائدٌ على (مَن) في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾.

قوله: (﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾) هذه الجملة صفة لـ﴿فُرُشٍۭ﴾.

قوله: (من السندس) أي: وهو ما رقَّ من الديباج.

قوله: (﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾) (جنى): مبتدأ بمعنى (مجني)، خبره ﴿دَانٍ﴾، وأصله: (دَانِوٌ) كـ: (غازٍ) و(قاضٍ).

قوله: (يناله القائم... إلخ) قال ابن عباس: تدنُو الشجرة حتى يجتنيَهَا وليُّ الله إن شاء قائماً، وإن شاء قاعداً، وإن شاء مُضطجعاً[2]، وقال الرازي: (جنة الآخرة مُخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجُه: أحدها: أنَّ الثمرة على رؤوس الشجر في الدنيا بعيدة عن الإنسان المتكئ، وفي الجنة يتكئ والثمرة تتدَلى إليه، وثانيها: أنَّ الإنسان في الدنيا يسعى إلى الثمرة ويتحرَّك إليها، وفي الآخرة تدنُو

(١) رواه الترمذي (١٨٣٠) عن سيدنا أبي جحيفة رضي الله عنه، والبخاري (٥٣٩٨) بلفظ: «لا آكل متكئاً».

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ٣٧٠).

قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ ....

في الجَنَّتينِ وما اشتَمَلَتا علَيهِ مِن العَلالِي والقُصُور ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ العَين على أزواجِهنَّ المُتَّكِئين مِن الإنسِ والجِنِّ ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾: يَفتَضَّهُنَّ وهُنَّ مِن الحُور أو مِن نِساء الدُّنيا المُنشَآتِ ﴿إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ﴾ ....

حاشية الصاوي

منه وتدُور عليه، وثالثها: أنَّ الإنسان في الدنيا إذا قرب من ثمرة شجرة بَعُدَ عن غيرها، وثمار الجنة تدنُو إليه في وقتٍ واحد، ومكان واحد)[١].

قوله: (في الجنتين... إلخ) جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّرٍ، حاصله: كيف أتى بضمير الجمع مع أنَّ المرجع مثنى؟

قوله: (﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾) أي: محبوساتٌ على أزواجهنَّ، لا يَبغين بغيرهم بدلاً؛ لما روي: أنها تقول لزوجها: «وعزَّة ربي؛ ما أرى في الجنَّة أحسنَ منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي، وجعَلني زوجتك»[٢].

قوله: (﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾) الطَّمْثُ: الجماعُ المؤدِّي إلى خروج دم البِكر، ثمَّ أُطلق على كلِّ جماع، فالمعنى: لم يُصِبْهُنَّ بالجماع قبل أزواجهنَّ أحدٌ.

قوله: (من الحور) أي: فيكنَّ قسمَين: إنسيَّات للإنس، وجنِّيات للجنِّ.

قوله: (المُنشآت) أي: المخلوقات من غير واسِطة ولادة، راجعٌ لـ(الحور)[٣].

قوله: (﴿إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾) أي: إنَّ كلَّ واحدٍ من أفراد النوعين يَجد زوجاته في الجنَّة اللاتي كنَّ في الدنيا أبكاراً وإن كنَّ في الدنيا ثيِّباتٍ، لم يمسَّها غيره.

قوله: (﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ﴾) هذه الجملة نعتٌ لـ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾، أو حالٌ منه.

---

(١) «تفسير الرازي» (٢٩/ ٣٧٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٣) من حديث ابن زيد.

(٣) أي: فيكون (المنشآت) في كلام المفسِّر رحمه الله صفةً لـ(الحور)، وقيل: إنَّ نساء الدنيا يخلقهنَّ الله في القيامة خلقاً جديداً، مِن غير توسط ولادة، خلقاً يُناسب البقاء والدوام، وذلك يستلزم كمال الخَلق، وتوفر القوى الجسمية، وانتفاء سمات النقص، وعليه: فـ(المنشآت) صفة لـ(نساء الدنيا). انظر «الفتوحات» (٤/ ٢٧٥).

وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ....

صَفاءً ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أي: اللُّؤلؤُ بَياضاً، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ﴾: ما ﴿جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ بالطَّاعةِ ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ بالنَّعيم؟ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

(﴿٦٢﴾ - ﴿٦٩﴾) ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: الجَنَّتينِ المَذكورَتينِ ﴿جَنَّتَانِ﴾ أيضاً لِمَن خاف

حاشية الصاوي

قوله: (صفاءً) أي: فالتشبيه بالياقوت من حيث الصفاء، ومن حيث الحمرة، فلا يقال: مُقتضاه: أنَّ لون أهل الجنة البَياضُ المشربُ بالحمرة.

قوله: (أي: اللؤلؤ بياضاً) أي: فالمرجان يُطلق على الأحمر والأبيض، والمراد به هنا: الأبيض، رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ المرأة من نساء أهل الجنة يُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلَّة حتى يُرى مخُّها**»[1].

قوله: (﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾) اعلم: أنَّ (هل) تَرِد لأربعة أوجه: تكون بمعنى (قد) كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، وبمعنى الاستفهام كقوله: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤]، وبمعنى الأمر كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، وبمعنى النفي كقوله: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وكما هنا، فهي هنا للنفي، والمعنى: لا جزاءَ للإحسان ـ أي: الطاعاتِ، وترك المعاصي ـ إلا الإحسان؛ أي: الثواب الجزيل.

قوله: (﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾) قيل: مَعناه: أدنى منهما، وأصحابُ هاتين الجنَّتين أهلُ اليمين، وهم دُون الخائفين مقامَ ربِّهم في المنزلة، وهذا على حدِّ ما يأتي في سورة (الواقعة): أنَّ أهل اليمين أقلُّ من السابقِين.

وقيل: الجنَّات الأربع لمن خاف مقام ربِّه، ومعنى قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾: أقرَب وأدنى منهما للعرش، ويُؤيِّده ما وردَ: أنَّ الأُولتين من ذهب وفضة، والآخِرتان من الياقوت[2]، وتقدَّم: أنَّ الأولتين جنَّة عدن، وجنَّة النعيم، وهاتان جنَّة الفردوس، وجنَّة المأوى، وهو ما مشى عليه المفسِّر.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. والمخُّ: ما في داخل العظم، والمراد به: وصفها بالصفاء البالغ، وأن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ٤٥٧) عن الضحاك.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ....

مَقامَ رَبِّه، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ﴾: سَوداوانِ مِن شِدَّةِ خُضرَتِهما، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾: فَوَّارتانِ بِالماء لا تَنقطعانِ، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ هُما مِنها، وقِيل: مِن غَيرِها، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾) من: الدُّهْمَةِ، وهي السَّواد.

قوله: (من شدَّة خُضرتهما) أي: لِكثرة بساتينهما.

قوله: (فوَّارتان) أي: وليستا كالجاريتين؛ لأنَّ النَّضخ دون الجري، وهذا بناءً على أنَّ هاتين أقلُّ من الأُولَتَين، وأمَّا على القول بأنهما أعلى منهما فمعنى ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ كما قال ابن عباس وابن مسعود: أنهما يَنضخان على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دُور أهل الجنة كما ينضخ رشُّ المطر[1]، أو أنَّ المراد: فوَّارتان مع الجَري، ولا شكَّ أنهما أعلى من الجاريتَين فقط.

قوله: (هما منها) أي: من الفاكهة وهو ظاهر، وقوله: (وقيل: من غيرها) أي: وذلك لأنَّ النَّخل كان عامَّةَ قُوتِهِمْ، والرمان كالشراب، فكان يكثر غَرسهما عندهم لحاجتهم إليهما، وكانت الفواكه عندهم الثِّمارَ التي يُعجبون بها.

روي: «أنَّ نخل الجنَّة جذوعها زمرُّد أخضر، وكرَمها ذهبٌ أحمر، وسَعَفها كسوةٌ لأهل الجنة؛ منها حُلَلُهم، وثمارها مِثلُ القِلال أو الدِّلاء، أشدُّ بياضاً من اللَّبن، وأحلى من العسل، وأليَنُ من الزبد، ليس لها عَجَمٌ»[2]، وروي: «أنَّ الرُّمَّانة من رمَّان الجنَّة كجِلد البعير المقتَّب»[3]، وروي: «أنَّ نخل أهل الجنَّة نضيدٌ، وثمارها كالقِلال، كلَّما نُزِعَتْ منها واحدةٌ.. عادت مكانها أخرى، العُنقود منها اثنا عشر ذراعاً»[4].

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٨٥).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١١٠٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (١٤٩٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٥٩) من حديث مسروق.

فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ....

(﴿٧٠﴾ - ﴿٧٨﴾) ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنَّتَينِ وما فِيهِما ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ أخلاقاً ﴿حِسَانٌ﴾ وُجُوهاً، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ﴾: شَدِيداتُ سَواد العُيُون وبَياضِها ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾: مَسْتُوراتٌ ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ مِن دُرٍّ مُجوَّف ....

حاشية الصاوي

قوله: (**أي: الجنتين وما فيهما... إلخ**) جوابٌ عمَّا يُقال: كيف جمع الضمير مع أنه راجع للمثنى؟

قوله: (﴿خَيْرَٰتٌ﴾) إما جمع (خَيْرَة) بوزن (فَعْلَة) بفتح الفاء وسكونِ العين، أو جمع (خَيِّرة) مخفف (خَيِّرة) بالتشديد، وفي الحديث: «إنَّ الحور العين يأخذ بعضهنَّ بأيدي بعضٍ، ويتغنَّيْنَ بأصواتٍ لم يَسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها: نحن الراضيات؛ فلا نسخط أبداً، ونحن المقيمات؛ فلا نَظعن أبداً، ونحن الخالدات؛ فلا نموت أبداً، ونحن الناعِمات؛ فلا نَيبس أبداً، ونحن خيرات حِسان حبيبات لأزواج كِرام»[1].

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إنَّ الحور العين إذا قُلْنَ هذه المقالة.. أجابهنَّ المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصلِّيات وما صَلَّيتنَّ، ونحن الصائمات وما صُمتنَّ، ونحن المتوضِّئات وما تَوضأتنَّ، ونحن المتصدِّقات وما تَصدقتنَّ»، قالت عائشة رضي الله عنها: «فغَلبنَهُنَّ والله»[2].

واختُلف؛ هل الحور العين أكثرُ حُسناً وأبهى جمالاً أو نساء الدنيا؟ والصحيح: أنَّ نساء الدنيا يكنَّ أفضلَ من الحور العين بسَبعين ألف ضعف[3].

قوله: (**من دُرٍّ مُجوَّف**) قال ابن عباس: (الخيمة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب)[4]، ورُوي: أنَّ سحابة مطرت من العرش، فخُلِقَتِ الحور من قَطرات الرحمة، ثمَّ ضُرِبَ على كلِّ واحدةٍ منهنَّ خيمةٌ على شاطئ الأنهار، سَعتها أربعون ميلاً، وليس لها بابٌ، حتى إذا حلَّ

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (٢٥٦٤) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه: (لا نَبْأس) بدل (لا نيبس).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٨٧)، و«لطائف الإشارات» (٣/ ٥١٥).

(٣) وروى الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٠) عن سَيدتنا أُم سَلمة رضي الله عنها قالت: (قلتُ: يا رسول الله؛ أنساء الدنيا أفضَل أم الحور العين؟ قال: «بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفَضل الظهارة على البطانة»، قلتُ: يا رسول الله؛ وبم ذاك؟ قال: «بِصَلاتهنَّ، وصِيامهنَّ، وعبادتهنَّ لله عزَّ وجلَّ»).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٥٨).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾

مُضافةٍ إلى القُصور شَبيهة بِالخُدُور، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ أزواجِهنَّ ﴿وَلَا جَآنٌّ ۝٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٥ مُتَّكِـِٔينَ﴾ أي: أزواجُهُنَّ، وإعرابُه كما تَقدَّم ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾: جَمع رَفرَفةٍ أي: بُسُط أو وسائِدَ ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾: جَمع (عَبقرِيَّة) أي: طَنافِس، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ تقدَّمَ ...

حاشية الصاوي

وليُّ الله الجنَّة.. انصدعت الخيمة عن بابٍ؛ ليعلم وليُّ الله أنَّ أبصار المخلُوقين من الملائكة والخُدَّام لم تأخذها، فهي مقصورةٌ، قد قُصِرَ بها عن أبصار المخلُوقين[١].

قوله: (مُضافة إلى القصور) أي: إنها في داخلها، فالخيمةُ في داخل القصر.

قوله: (بالخُدور) جمع (خِدْرٍ)، وهو السِّتر الذي يتَّخذ في البيوت كالناموسيَّة.

قوله: (وإعرابه كما تقدَّم) أي: إنه حال، عامله محذوفٌ؛ أي: يتنعَّمون.

قوله: (جمع «رفرفة») أي: واحده (رفرفة)، والرَّفرف: اسم جنس جمعي، أو اسم جمع[٢].

قوله: (أي: بُسط أو وسائد) هذان قولانِ في معنى (الرفرف)، وقيل: هو شيءٌ إذا استوى عليه صاحبه.. رَفرف به وأهوى به كالمرجاح يميناً وشمالاً، ورفعاً وخفضاً، يتلذذ به مع أنيسته.

قوله: (﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾) منسوب إلى (عَبْقَر) قريةٍ بناحية اليمن، يُنْسَجُ فيها بسطٌ منقوشةٌ، فقرَّب الله لنا فراش تلك الجنَّتين به، وقيل: إنَّ الياء ليست للنسب، بل هي كياء (الكرسي) و(البختي)، فهو اسمٌ للفراش المنقوش البالِغ الغاية في الحُسن.

قوله: (أي: طنافس) جمع (طنفسة) بكسرتين أو فتحتين: بساطٌ له خَملٌ رَقيقٌ.

قوله: (﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾) بالياء والواو، قراءتان سبعيَّتان[٣].

---

(١) عزاه القرطبي في «تفسيره» (١٧/١٨٨) للحكيم الترمذي.

(٢) فلا مفرد له من لفظه، ونقل القولَين مَكي في «مُشكل إعراب القرآن» (٢/٧٠٨).

(٣) قرأ ابن عامر: (ذو الجلال) بالواو، وجعَله تابعاً للاسم، وهكذا هي مرسومة في مصحف الشاميين، والباقون بالياء صفة للربِّ؛ فإنه هو الموصوف بذلك. انظر «الدر المصون» (١٠/١٨٨).

ـ ولفظُ (اسم) زائدٌ ـ.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (ولفظ «اسم» زائد) أي: لأنَّ أوصاف التنزيه والتعظيم في الحقيقة لِلمسمَّى، وقد يقال: أسماء الله وصفاته يُسْنَدُ لها التَّنزيه والتَّعظيم حقيقةً، فعدمُ زيادتِه أبلغُ في التَّعظيم والتَّنزيه.

✿ ✿ ✿



مكيَّة إلَّا ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ...﴾ الآية، و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ...﴾ الآيةَ، وهي سِت أو سبعٌ أو تِسعٌ وتِسعونَ آية.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

قال مسروق: من أراد أن يَعلم نبأ الأوَّلين والآخرين، ونبأ أهل الجنة وأهل النار، ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة.. فليَقرأ سورة (الواقعة)(١).

وحكي: أنَّ عثمانَ دخل على ابن مسعود يَعُوده في مرضه الذي مات منه، فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: أفلا ندعُو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: أفلا نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجةَ لي فيه، حبَسْتَه عنِّي في حياتي، وتَدفعه لي عند مماتي، قال: يكون لِبَناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي فاقةً من بعدي؟ إني أمرتهنَّ أن يقرأن سورة (الواقعة) كلَّ ليلةٍ؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ سورة الواقعة كلَّ ليلةٍ.. لم تُصِبْهُ فاقةٌ أبداً»(٢).

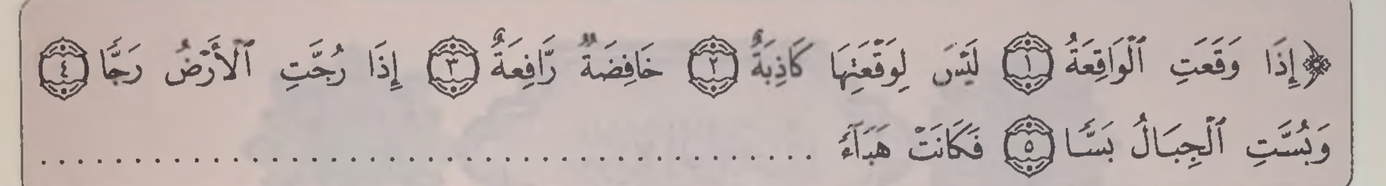
قوله: (**إلا** ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾... **إلخ**) هذا قول الكلبي، وقول المفسِّر: (الآية) أوَّلاً وثانياً مرادُهُ: الجنسُ الصادقُ بالآيتَين؛ فالمدَني على هذا القول أربع آيات: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.

وقيل: مكيَّة كلُّها، وقيل: مكيَّةٌ إلا آيةً منها وهي قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

---

(١) رواه أبو عبيد القاسم بن سلَّام في «فضائل القرآن» (ص٢٥٧).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٦٧)، وفيه: (لم يفتقر) بدل (لم تُصبه فاقة أبداً)، وبنحوه عند الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٧٤).


﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً ....﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: قامَتِ القِيامةُ، ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾: نَفسٌ تكذِب بأن تَنفِيَها كما نَفَتْها في الدُّنيا، ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: هي مُظهِرةٌ لِخَفضِ أقوامٍ بِدُخُولِهِم النَّار ولِرَفعِ آخَرِينَ بِدُخُولِهِم الجَنَّةَ.

(٤ - ٦) ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾: حُرِّكَت حَرَكةً شَدِيدةً، ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾: فُتِّتت، ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾: غُباراً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾) ﴿إِذَا﴾: إمَّا ظرفٌ ليس فيه معنى الشرط، وعاملُه: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ من حيثُ إنها تضمَّنت معنى النفي، كأنَّه قيل: انتفى التكذيب وقت وقوعها؛ أو شرطيَّةٌ، وجوابها محذوفٌ، تقديره: يَحصل كذا وكذا، وهو العامل فيها[1].

قوله: (قامت القيامة) أي: فـ(الواقعة) من جملة أسماء القيامة.

قوله: (﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾) اللام: بمعنى (في) على حذف مضاف، والمعنى: ليس نفسٌ كاذبةٌ توجد في وقتِ وقوعها.

قوله: (﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾) خبر مبتدأ محذوف كما أفاده المفسِّر بقوله: (أي: هي... إلخ).

قوله: (لخفض أقوام... إلخ) أي: حسًّا ومعنًى، فأهل الجنة ترقِّيهم حسًّا ومعنًى، وأهل النار تخفضهم كذلك، ونسبةُ الخفض والرفع إليها مجازٌ، من إسناد الفعل لمحلِّه وزمانه.

قوله: (﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾) إمَّا بدلٌ من ﴿إِذَا﴾ الأولى، وعليه مشى المفسِّر، أو تأكيدٌ لها، أو شرطٌ وعاملها مقدَّرٌ.

قوله: (حرِّكت حركة شديدة) أي: فترتجُّ كما يرتجُّ الصَّبي في المهد، حتى يَنهدم ما عليها، ويتكسَّر كلُّ شيءٍ عليها من الجبال وغيرها. والرَّجة: الاضطرابُ.

---

(١) وقيل: العامل فيها الفعل الذي بعدها ويليها، وهو اختيار الشيخ أبي حيان، وتبع في ذلك مكيًّا، قال مكي: (والعامل فيها «وقعت»؛ لأنها قد يجازى بها، فعمل فيها الفعل الذي بعدها كما يَعمل في «ما» و«مَن» اللَّتين للشرط في قولك: ما تَفعل أفعل، ومَن تُكرم أكرم). انظر «الدر المصون» (١٠/ ١٩٠).

مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ....

﴿مُّنۢبَثًّا﴾: مُنتشِراً ـ و﴿إِذَا﴾ الثانيةُ بَدلٌ مِن الأُولى ـ.

(﴿٧﴾ ـ ﴿٩﴾) ﴿وَكُنتُمْ﴾ في القِيامةِ ﴿أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً ﴿ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ وهُم الذِين يُؤتَونَ كُتُبَهم بِأيمانِهِم ـ مُبتَدأ خَبرُه ـ: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ تَعظِيمٌ لِشَأنِهِم بِدُخُولهم الجَنَّة، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي: الشِّمال بِأن يُؤتَى كُلٌّ مِنهُم كِتابَه بِشِمالِه ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ تَحقِيرٌ لِشَأنِهِم بِدُخُولِهِم النَّار.

(﴿١٠﴾ ـ ﴿١٨﴾) ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الخَيرِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (مُنتشراً) أي: متفرقاً بنفسه من غير حاجةٍ إلى هواء يفرِّقه، فهو كالذي يُرَى في شعاع الشمس إذا دخل في كُوَّة.

قوله: (﴿وَكُنتُمْ﴾) الخطاب لجميع الخلائق المكلَّفين، والمعنى: قُسِّمتُم باعتبار طَبائعكم وأخلاقكم في الدنيا أصنافاً ثلاثةً.

قوله: (﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾) شروعٌ في ذكر أحوال الأزواج الثلاثة على سَبيل الإجمال، وسيَأتي تفصيلهم بعد ذلك.

قوله: (مبتدأ، خبره: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾... إلخ) فـ(أصْحابُ) الأول: مبتدأ، و﴿مَآ﴾: استفهاميَّة، مبتدأ ثان، وما بعده خبره، والجملة خبر الأول، وتكرير المبتدأ بلفظه مُغنٍ عن الرابط.

قوله: (تعظيمٌ لشأنهم) أي: إنَّ في هذا الاستفهام تعظيمَ شأنِهِم، كأنه قيل: فأصحاب الميمَنة في غاية حُسن الحال، وأصحاب المشأمة في نهاية سُوء الحال.

قوله: (بأن يُؤتَى كتابه بشماله) ما ذكره المفسِّر في الفريقين أحدُ أقوالٍ، وقيل: أهل الميمَنة: هم الذين يُؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأهل المشأمة: الذين يُؤخذ بهم ذاتَ الشمال إلى النار، وقيل: أصحاب الميمنة: أصحاب المنزلة السنيَّة، وأصحاب المشأمة: أصحاب المنزلة الدنيَّة.

قوله: (﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾... إلخ) أخَّرهم مع كونهم أعلى الأقسام الثلاثة؛ لِئلا يُعْجَبُوا بأعمالهم، وقدَّم أهل اليمين؛ لئلا يَقْنَطُوا من رحمة الله.

﴿ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٤﴾ . . . .

وهُم الأنبِياءُ ـ مُبتدأ ـ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ ـ تأكيدٌ لِتَعظيمِ شَأنِهِم، والخبَر: ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ـ مُبتَدأ ـ أي: جَماعةٌ مِن الأُمَمِ الماضِيَة، ﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ مِن أُمَّة مُحمَّد ﷺ، وهُم السَّابِقُون مِن الأُمَمِ الماضِيَة وهذِه الأُمَّة، ـ والخَبر ـ:

حاشية الصاوي

قوله: (وهم الأنبياء) هذا أحدُ أقوالٍ في تفسير السابِقين، وقيل: هم الذين سبقُوا إلى الإيمان والطاعة عِند ظهور الحقِّ، وقيل: هم المسارِعون إلى الخيرات، وقيل: هم الذين سبقُوا في حِيازة الفضائل.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾) أي: الذين قُرِّبَت درجاتهم، وأُعليت مراتبهم، واصطفاهم الله لرؤيته في الجنة بُكرةً وعشيًّا، فحيث تسابقُوا لخدمته وطاعته.. فكان جزاؤهم من الله القربَ والاصطفاءَ، زيادة على كونهم في الجنة.

قوله: (﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾) خبرٌ ثان، أو حال من الضمير في ﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾.

قوله: (﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾) الثُّلة بالضمِّ في قراءة العامَّة: الجماعة من الناس، وأما بالكسر.. فمَعناه: الهَلَكَةُ.

قوله: (وهُم السابقون... إلخ) أي: إلى الإيمان بالأنبياء عياناً، واجتمعُوا عليهم؛ وذلك لأنَّ المؤمنين الذين اجتمعُوا على الأنبياء جماعةٌ كثيرةٌ، والمؤمنين الذين اجتمعُوا على رسول الله ﷺ جماعةٌ قليلةٌ بالنسبة لمجمُوع الأمم، وهذا لا يُنافي كون هذه الأمَّة المحمديَّة ثلثي أهل الجنة؛ لأنَّ ما هنا فيمن اجتمع بالأنبياء مشافهةً. إذا علمتَ ذلك؛ فتفسير المفسِّر السابقين المتقدم ذِكرهم بالأنبياء.. غيرُ واضحٍ، فالمناسب أن يقول: والسابقون إلى الخير من أمَّة كلِّ نبيٍّ، وبعضُ المفسِّرين جعل الخطاب في قوله: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ﴾ لهذه الأمَّة، وحينئذٍ: فالمراد بالسابِقين: خِيارهم، وأهل اليمين عوامُّهم، وأهل المشأمة كفَّارهم، وقوله: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يعني: جماعة كثيرةً من أوائل هذه الأمة، وقوله: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ يعني: أنَّ من أتى بعد أوائل هذه الأُمَّة من الخيار.. قليلٌ بالنسبة لأوائلها وإن كان كثيراً في نَفسه، ولعلَّ هذا التفسير أقرَب.

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ....

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾: مَنسُوجة بِقُضبانِ الذَّهَب والجَواهِر، ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ ـ حالانِ مِن الضَّمِير في الخَبر ـ، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ لِلخِدمةِ ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ على شَكلِ الأولادِ لا يَهرَمُون، ﴿بِأَكْوَابٍ﴾: أقداحٍ لا عُرَا لَها، ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ لَها عُراً وخَراطِيمُ، ﴿وَكَأْسٍ﴾: إناءِ شُرب الخَمر ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ أي: خَمرٍ جارِية مِن مَنبَع لا يَنقَطِعُ أبَداً.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾) جمع (سرير)، وهو: ما يُوضع للشخص من المقاعد العالية كرامةً وإجلالاً، قال الكلبي: طُول كلِّ سريرٍ ثلاث مئة ذراع، فإذا أراد العبد أن يَجلس عليه.. تواضع وانخفَض له، فإذا جلس عليه.. ارتفع.

قوله: (﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾) أي: على السُّرر.

قوله: (﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾) أي: فلا يَنظر بعضهم إلى قفَا بعض، بل إذا أراد أحدهم الانصراف.. دار به سَريره.

قوله: (﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾) هذه الجملة إمَّا حالٌ، أو استئنافٌ.

قوله: (﴿وِلْدَٰنٌ﴾) بكسر الواو باتفاق القُراء، جمع (وليد) بمعنى: (مولود).

قوله: (على شكل الأولاد) أي: فهم مخلوقون في الجنة ابتداءً؛ كالحُور العين، ليسُوا من أولاد الدنيا، وإنما سمُّوا أولاداً؛ لكونهم على شَكل الأولاد؛ كما أفاده المفسِّر، وهذا هو الصحيح، وقيل: هُم أولاد المؤمنين الذين ماتُوا صغاراً، ورُدَّ: بأنَّ الله أخبر عنهم أنهم يَلحقون بآبائهم في السيادة والخلقة، وقيل: هم صِغار أولاد الكفار، وقيل: غير ذلك.

قوله: (لا يَهرمون) تفسير لقوله: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾، والمعنى: لا يَتغيَّرون عن حالة الوِلدان؛ من الطَّراوة والنعومة، بخلاف أولاد الدنيا في الدنيا فإنهم يتغيَّرون بالشيخوخة.

قوله: (﴿وَأَبَارِيقَ﴾) جمع (إبريق)، مُشتق من: البريق؛ لِصفاء لونه.

قوله: (لها عُرًى) أي: ما يُمسك بها، المسمَّاة بالآذان.

قوله: (وخراطيم) هي المسمَّاة بالبَزابيز.

لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ ....

﴿١٩﴾ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ ـ بِفتحِ الزَّاي وكَسرِها مِن (نُزِفَ الشَّارِبُ، وأنزَفَ) ـ أي: لا يَحصُل لَهُم مِنها صُداعٌ ولا ذَهابُ عَقل بِخِلاف خَمرِ الدُّنيا.

(﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢٣﴾) ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ لَهم لِلاستِمتاع ﴿وَحُورٌ﴾: نِساءٌ شَدِيداتُ سَواد العُيُون وبَياضِها، ﴿عِينٌ﴾: ضِخامُ العُيُون ـ كُسِرَت عَينُه

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾) أي: لا يَحصل لهم صداعٌ من أجلها. والصداع: داءٌ معروفٌ، يَلحق الإنسانَ في رأسه.

قوله: (أي: لا يَحصل لهم) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾) أي: يَختارون.

قوله: (﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾) ورَدَ: أنَّ في الجنة طيراً مثل أعناق البخت، تعطف على يَد وليِ الله، فيقول أحدها: يا وليَ الله؛ رعيتُ في مُروج تحت العرش، وشربت من عيون التسنيم، فَكُلْ منِّي، فلا يَزَلْنَ يفتخرْنَ بين يدَيه حتى يَخْطُرَ على قلبه أكلُ أحدِها، فيخرُّ بين يديه على ألوانٍ مختلفةٍ، فيأكل منها ما أراد، فإذا شَبع. تجمَّع عظام الطير، فطار يرعى في الجنة حيث شاء، فقال عمر: يا نبي الله؛ إنها لَناعمة، قال: «آكِلُهَا أنعم منها»[1]. وقال ابن عباس رضي الله عنه: يَخطر على قلبه لحمُ الطير، فيَصير بين يديه على ما يشتهي، أو يقع على الصحفة، فيأكل منها ما يشتهي، ثمَّ يطير[2].

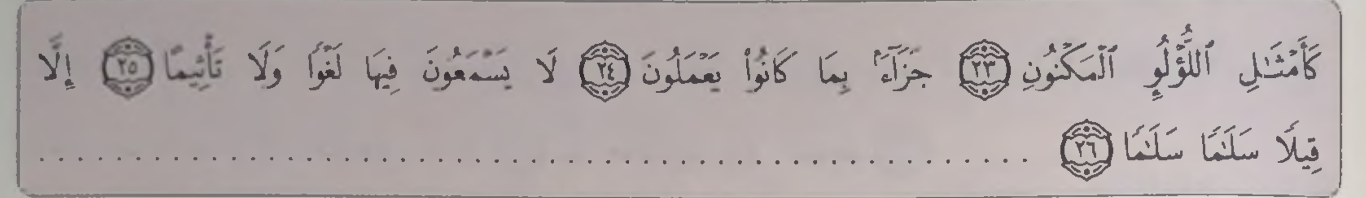
قوله: (﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾) مبتدأ، خبره محذوفٌ، قدره بقوله: (لهم).

قوله: (شديدات سَواد العيون) هذا من جملة تفسير (العِينِ)؛ فلو أخَّره بعده.. لكان أوضح،

---

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٠٤)، وعزاه للثعلبي من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه، وروى النسائي في «الكبرى» (١٠/ ٣٤٦) عن سيدنا أنس بن مالك أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله؛ ما الكوثر؟، قال: «نهرٌ أعطانيه ربي في الجنَّة، هو أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيورٌ أعناقُها كأعناق الجزر»، قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، إنها لَناعمة، قال: «آكلُها أنعَمُ منها».

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٨/ ١٠).


كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ....

بَدلَ ضَمِّها لِمُجانَسةِ الياء، ومُفرَدُه عَيناءُ كـ(حَمراء)، وفي قِراءة بِجرِّ (حُور عِين) ـ ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾: المَصُونِ.

﴿٢٤﴾ ﴿جَزَآءًۢ﴾ ـ مَفعُول لَه أو مَصدَر، والعامِل مُقدَّر ـ أي: جَعَلنا لَهُم ما ذُكِر لِلجَزاءِ أو جَزيناهُم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: في الجَنَّة ﴿لَغْوًا﴾: فاحِشاً مِن الكَلام ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: ما يُؤثِم، ﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿قِيلًا﴾: قَولاً ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ ....

حاشية الصاوي

فـ(العِيْنُ): شديدات سواد العيون مع سَعتها، وأمَّا (الحور) فقيل: هو بياض أجسادهنَّ، وقيل: هو شدَّة بياض العين في شدَّة سوادها.

قوله: (بدل ضمِّها) أي: الذي هو حقُّها؛ لأنَّ أصلها (عُيْنٌ) بضمِّ العين، وسكون الياء، كُسرت العين لِتَصح الياء.

قوله: (وفي قراءة بجرِّ «حور عين») أي: وهي سبعيَّة أيضاً عطف على ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، كأنه قيل: هُم في جنات النعيم وفاكهةٍ ولحمٍ وحُورٍ عينٍ[1].

قوله: (﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾) أي: المستور في الصدف، لم تمسَّه الأيدي ولا الشمس والهواء. روي: «**أنه يَسْطَعُ نورٌ في الجنة، فيَقولون: ما هذا؟ فيقال: ثغرُ حوراءَ ضحكت في وجه زوجها**»، ويروى: «أنَّ الحوراء إذا مشَتْ يُسْمَعُ تقديسُ الخلاخل من ساقها، وتمجيدُ الأسورة من ساعدها، وعقدُ الياقوتِ في نحرها، وفي رجلها نعلانِ من ذهب؛ شِراكهما من لؤلؤ، يَصيحان بالتسبيح»[2].

قوله: (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾) الباء: سببيَّة، و(ما): مَصدريَّة، أو موصولة.

قوله: (لكن ﴿قِيلًا﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء مُنقطعٌ؛ وذلك لأنَّ السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بخفض الاسمين، والباقون بالرفع، وقيل في توجيه الجرِّ أيضاً: إنه عطف على ﴿سُرُرٍ﴾؛ فإنَّ النساء في معنى المتكأ؛ لأنهنَّ يُسَمَّين فراشاً. وانظر «السراج المنير» (٤/ ١٨٤).

(٢) انظر الخبرين في «تفسير البغوي» (٨/ ١١).

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ....

ـ بَدَل من ﴿قِيلًا﴾ ـ فإنَّهم يَسمَعُونه.

(٢٧ - ٣٤) ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ﴾: شَجَرِ النَّبِق ﴿مَّخْضُودٍ﴾: لا شَوكَ فيه، ﴿وَطَلْحٍ﴾: شَجَرِ المَوز ﴿مَّنضُودٍ﴾ بِالحَملِ مِن أسفَلِه إلى أعلاهُ، ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾: دائِم، ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: جارٍ دائِماً، ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زَمَن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بِثَمَنٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من ﴿قِيلًا﴾) أي: أو نعت له، أو منصوب بـ﴿قِيلًا﴾ أي: إلا أن يقولوا: سلاماً سلاماً.

قوله: (فإنهم يَسمعونه) أي: من الله، والملائكة، وبعضِهم بعضاً.

قوله: (﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾) شروعٌ في تفصيل ما أُجمل من أوصافهم إِثْرَ تفصيل أوصاف السَّابقين.

قوله: (﴿فِى سِدْرٍ﴾) خبرٌ ثانٍ عن قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾.

قوله: (﴿مَّخْضُودٍ﴾) من: خَضَدَ الشَّجر: قطَع شَوكه، من باب (ضرَب).

روي: أنَّ أعرابيًّا أقبل يوماً فقال: يا رسول الله؛ لقد ذكر الله في القرآن شجرةً مُؤذيةً، وما كنت أرى أنَّ في الجنَّة شجرةً تُؤذي صاحبها، فقال رسول الله ﷺ: «وما هي؟»، قال: السدر؛ فإنَّ له شوكاً مؤذيًّا، فقال رسول الله ﷺ: «أوليس يقول: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾؟، خضد الله شَوكه، فجعل مكان كلِّ شوكةٍ ثمرةً؛ فإنها تُنبت ثمراً على اثنين وسبعين لوناً من الطعام، ما فيها لونٌ يُشبه الآخَر»[1]. وليس ثمرُ الجنة في غلافٍ كثمر الدنيا، بل كلُّه مأكولٌ ومشروبٌ ومشمومٌ ومنظورٌ إليه.

قوله: (دائِم) أي: لا تنسخُهُ الشَّمس.

قوله: (جارٍ دائماً) أي: على وجه الأرض، ليس في حُفَر.

قوله: (﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بثمنٍ) الأولى أن يقول: (بشيء)؛ لِيَشمل الحائط والباب والشوك ونحوَ ذلك، والمعنى: لا تُمْنَعُ عن متناولها بوجهٍ من الوُجوه، بل إذا اشتهاها العبد.. دنَتْ منه حتى يَأخذها بلا تعبٍ.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٢/ ٧٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٠٥) عن سيدنا سُلَيم بن عامر رضي الله عنه.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ على السُّرُر.

(﴿٣٥﴾ ـ ﴿٤٠﴾) ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ أي: الحُورَ العِينَ مِن غيرِ وِلادة؛ ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾: عَذارَى كُلَّما أتاهُنَّ أزواجُهُنَّ وجَدُوهُنَّ عَذارَى ولا وجَع، ﴿عُرُبًا﴾ ـ بِضمِّ الرَّاء وسُكُونِها ـ: جَمع (عَرُوب) وهي المُتَحَبِّبةُ إلى زَوجِها عِشقاً لَه، ﴿أَتْرَابًا﴾: جَمع (تِرب) أي: مُستَوِياتٍ في السِّنِّ، ﴿لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ على السرر) وقيل: مرفوعةٍ: بعضُها فوق بعضٍ؛ لما وردَ: «أنَّ ارتفاعها كما بين السَّماء والأرض، مسيرةُ ما بينهما خمسُ مئةِ عامٍ»[(١)].

قوله: (أي: الحورَ العينَ من غيرِ ولادةٍ) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في ﴿أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ عائدٌ على الحُور العين المفهوماتِ ممَّا سبق، وهذا أحد قولَين، وقيل: هو عائدٌ على نساء الدنيا، ومعنى ﴿أَنشَأْنَاهُنَّ﴾: أعَدنا إنشاءهنَّ، ويُؤيِّده: ما وردَ: أنَّ أمَّ سلمة سألت رسول الله ﷺ عن قَوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾، فقال: «يا أمَّ سلمة؛ هنَّ اللواتي قُبِضْنَ في دار الدنيا عجائزَ شُمطاً رُمصاً، جعلهنَّ الله بعد الكبر أتراباً على ميلادٍ واحد في الاستواء، كلَّما أتاهنَّ أزواجُهُنَّ.. وجدوهنَّ أبكاراً»[(٢)]، فلمَّا سَمعت عائشة رسول الله ﷺ يقول ذلك.. قالت: واوجَعاه، فقال رسول الله ﷺ: «ليس هناك وجعٌ»[(٣)]، ويَصحُّ عَودُ الضمير على ما هو أعمُّ من الحور العين ونساءِ الدنيا، وهو الأنسَب بالأدلة.

قوله: (بضمِّ الراء وسكونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[(٤)].

قوله: (أي: مستوياتٍ في السِّنِّ) أي: وهو ثلاثٌ وثلاثون سنةً؛ لِما في الحديث: **«يدخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ جُرداً مُرداً بيضاً مكحولين، أبناء ثلاثين ـ أو قال: ثلاث وثلاثين ـ على خلق آدم عليه**

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٠)، وروى الترمذي (٣٢٩٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ قال: «إنَّ من المنشآت اللائي كنَّ في الدنيا عجائز عُمشاً رُمصاً».

(٣) رواه الثعلبي بسَنده في «تفسيره» (٩/ ٢١٠) من حديث المسيب بن شريك.

(٤) قرأ حمزة وشعبة بسكون الراء، والباقون بضمِّها؛ كـ: رُسْلٍ ورسُلٍ، وفُرْشٍ وفُرُشٍ. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٨٧).

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ﴾

ـ صلة ﴿أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ أو (جعلناهنَّ) ـ، وهم ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

(﴿٤١﴾ - ﴿٤٨﴾) ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ﴾: رِيحٍ حارَّة مِن النَّار تنفُذ في المَسامِّ، ....

حاشية الصاوي

السلام، سِتون ذراعاً في سبعة أذرع»[١]، وروي أيضاً: أنه ﷺ قال: «**مَن دخل الجنة من صغير أو كبير. يُرَدُّ إلى ثلاثين سنة في الجنة، لا يُزاد عليها أبداً**»[٢].

قوله: (صلة ﴿أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾) أي: مُتعلِّقة به، والمعنى: أنشأناهنَّ لأجل أصحابِ اليمين، ويصحُّ تعلُّقها بـ﴿أَتۡرَابٗا﴾، والمعنى: جعلناهنَّ أتراباً ـ أي: مُسَاوياتٍ ـ لأصحاب اليمين في الطول والعَرض والجمال؛ فلا تتخير[٣] امرأةٌ عن رجل في الجنَّة.

قوله: (﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾) خبرٌ لمحذوفٍ، قدَّره بقوله: (وهم).

واختُلف في المراد بـ(الأولين) و(الآخرين)؛ فقيل: أوائلُ هذه الأمة كالصحابة والتابعين وتابع التابعين، وأواخِرهم من يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، وقيل: المراد بـ(الأولين): الأُمَم السابقة، وبـ(الآخرين): هذه الأمَّة، فالخلافُ هنا نظير ما تقدَّم[٤].

وقال فيما سبَق: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ وقال هنا: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾؛ لأنَّ ما تقدَّم في ذكر السابقين، وهُم في الآخرين قليلٌ، وهنا في أصحاب اليمين، وهم كثيرُون في الأوَّلين والآخِرين.

قوله: (﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾... إلخ) شُروعٌ في ذكر بعض صفات أصحاب المشأمة المتقدِّم ذكرُهُمْ.

قوله: (﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾) خبر أول، وقوله: ﴿فِي سَمُومٖ﴾: خبرٌ ثانٌ.

قوله: (تنفذ في المسامِّ) أي: تَدخُل في أعماق أبدانهم.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مُسنده» (٢/ ٢٩٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وبنحوه عند الترمذي (٢٥٤٥) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٦٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: (وكذلك أهل النار)، وقد شطب عليها في (أ).

(٣) في (أ): (فلا تتجبر).

(٤) انظر (٦/ ٥٢٢).

وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ . . .

﴿وَحَمِيمٍ﴾: ماءٍ شَدِيد الحَرارة، ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾: دُخانٍ شَدِيد السَّواد، ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كغيرِه مِن الظِّلالِ ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حَسَنِ المَنظَر؛ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ في الدُّنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾: مُنعَّمِين لا يَتعَبُون في الطَّاعة، ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ﴾: الذَّنبِ ﴿الْعَظِيمِ﴾ أي: الشِّركِ، ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ - في الهَمزَتَينِ في المَوضِعَينِ التَّحقِيقُ وتَسهِيلُ الثَّانية، وإدخالُ أَلِف بينَهما على الوَجهَين - . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَحَمِيمٍ﴾) أي: يَطلبونه عند اشتعال السموم في أبدانهم، فيزيد عطشهم، فيُسْقَوْنَ من ماء الحميم، فتَتقطَّع عند ذلك أمعاؤهم.

قوله: (﴿مِّن يَحْمُومٍ﴾) صفة أولى لـ(ظلٍّ)، وقوله: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾: صفة ثانية وثالثة له.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ . . . إلخ) تعليلٌ لاستِحقاقهم تلك العقوبة، ولم يذكر في أصحاب اليمين سببَ استحقاقِهُم الثوابَ؛ إشارةً إلى أنَّ الثواب حاصلٌ من فَضله تعالى، لا وجوباً عليه، فعدم ذكر سَببه لا يُوهم نقصاً، وأمَّا العقاب. . فمِن عَدله تعالى؛ فلو لم يذكر سببه. . لربَّما تُوُهِّمَ الجورُ في حقِّه تعالى.

قوله: (لا يتعبون في الطاعة) أي: تركُوا الطاعات، واشتغلُوا بالملاذِّ المحرَّمة، وأمَّا فعل الطاعات مع التَّنعُّم بالمَلاذِّ الحلال. . فلا ضررَ فيه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ. . .﴾ [الأعراف: ٣٢] الآية.

قوله: (وإدخال ألف بينهما على الوجهين) المناسب أن يقولَ: (وتركه)؛ ليكون منبِّهاً على أربع قراءات، وكلُّها سبعيَّة، وهي: التحقيق، والتسهيل، مع الألف، ودُونها[1].

---

(١) قرأ قالون: (أئذا) بتَحقيق الهمزة الأولى المفتوحة، وتسهيل الثانية المكسورة، وإدخالِ ألف بينهما، وكسر الميم من (مِتْنَا)، وهمزة واحدة مكسورة في (أئنا)، وقرأ ورش بتحقيقِ الأولى، وتسهيل الثانية، ولا إدخالَ بينهما، وكسرِ ميم (مِتْنا)، وهمزة واحدة مكسورة في (أئنا) مع النَّقل عن أصله؛ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالاستفهام فيهما مع تَسهيل الثانية إلا أنَّ أبا عمرو يدخل بينهما ألفاً فيهما، وابن كثير لا يُدخل ألفاً، وضَمَّا ميم (مُتْنا). انظر «السراج المنير» (١٩٠/٤).

أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ ـ بِفَتح الواوِ لِلعطف والهمزة لِلاستِفهام، وهو في ذلك وفِيما قبلَه لِلاستِبعادِ، وفي قراءةٍ بِسُكون الواو عطفاً بـ(أو)، والمعطوفُ علَيه مَحلُّ (إنَّ) واسمِها ـ.

(﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥٥﴾) ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾ : لِـوَقـتِ ﴿يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ أي: يوم القِيامة، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ﴾ بَيان لِلشَّجر، ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا﴾ : مِن الشَّجر ﴿ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ﴾ أي: الزَّقوم المَأكُول ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهو في ذلك) أي: الاستفهام في هذا الموضع، وهو قوله: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾، وقوله: (وفيما قبله) أي: وهو قوله: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا﴾، ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (والمعطوف عليه) أي: على كلٍّ من القراءتين[2].

قوله: (﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ... إلخ) ردٌّ لإنكارهم واستبعادِهم.

قوله: (لوقت ﴿يَوۡمٖ﴾) أي: فيه، وضمَّن (الجمع) معنى (السَّوق) فعدَّاه بـ(إلى)، وإلَّا.. فمُقتضى الظاهر تعديَتُهُ بـ(في).

قوله: (﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ﴾) عطف على ﴿إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، والخطابُ لأهل مَكة وأضرابِهم.

قوله: (﴿مِّن زَقُّومٖ﴾) هو أخبَثُ الشجر، يَنْبُتُ في الدنيا بتِهامة، وفي الآخرة في الجحيم.

قوله: (بيانٌ للشجر) أي: فـ(مِن) بيانية، وأمَّا (مِنْ) الأُولى.. فهي لابتداءِ الغاية، أو زائدة.

قوله: (مِن الشجر) أي: وإنما أعاد الضمير عليه مؤنثاً؛ لِكَون الشجر اسمَ جنسٍ، يجوز تذكيرُهُ وتأنيثُهُ.

---

(١) قرأ قالُون وأبو جعفر وابن عامر بإسكان الواو، والباقون بفتحها. انظر «البُدور الزاهرة» (ص٣١٢).

(٢) فمَن فتح الواو جاز عندَه في (آباؤنا) وجهان: أحدهما: أن يكون معطوفاً على محل (إن) واسمها، والثاني: أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في (لمبعوثون)، واستغنى بالفصل بهمزة الاستفهام، ومَن سكنها.. تعيَّن فيه الأول دون الثاني على قول الجمهور؛ لعدم الفاصل. انظر «الدر المصون» (٢٩٦/٩).

مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ....

﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ﴾ - بِفتحِ الشِّين وضَمِّها مَصدَر - ﴿ٱلْهِيمِ﴾: الإبِل العِطاش - جمع (هَيمان) لِلذَّكرِ و(هَيمَى) لِلأُنثَى، كـ(عَطشانَ وعَطشَى) -.

﴿٥٦﴾ ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾: ما أُعِدَّ لَهُم ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: يومَ القِيامة.

(﴿٥٧﴾ - ﴿٥٩﴾) ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾: أوجَدْناكُم مِن عَدَم، ﴿فَلَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بِالبَعثِ؛ إذ القادِرُ على الإنشاء قادِرٌ على الإعادةِ؛ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾: تُرِيقُونَ مِن المَنِيِّ في أرحامِ النِّساء، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾) تفسيرٌ للشُّرب الأول، وفي الآية تنبيهٌ على كثرة شُربهم من الحميم، وأنه لا ينفعهم، بل يزدادون به عذاباً.

قوله: (بفتح الشين وضمها) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (جمع «هَيمان»... إلخ) هذا سبق قَلم، والصواب أن يقول: (جمع «أهيَم» و«هَيماء»)؛ لأنَّ (هِيْم) أصله (هُيْم) بضمِّ الهاء بوزن: (حُمْر)، قُلبت الضمَّة كسرةً؛ لتصحَّ الياء، و(حُمْر) جمعٌ لـ(أحمر) و(حَمراء)، والمعنى: يكونون في شُربهم الحميم كالجمَل أو الناقة التي أصابها الهُيام، وهو داءٌ معطِّش، تَشرب منه الإبل إلى أن تموت، أو تمرض مرضاً شديداً.

قوله: (﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾) أي: ما ذكر من مأكولهم ومَشروبهم. والنُّزُلُ في الأصل: ما يهيَّأ للضيف أوَّلَ قُدومه من التُّحف والكرامة، فتسميتُهُ نزلاً تهكُّمٌ بهم.

قوله: (بالبعث) أي: بالإحياء بعد الموت.

قوله: (﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾... إلخ) احتِجاجات على الكافرين المنكرين للبعث، والمعنى: أخبِروني، فمفعولها الأول ﴿مَّا تُمْنُونَ﴾، والثاني: الجملة الاستفهاميَّة.

قوله: (﴿مَّا تُمْنُونَ﴾) بضمِّ التاء في قراءة العامَّة، من: (أمْنَى يُمْنِي)، وقرئ شذوذاً بفتحها، من: (مَنَى يَمْنِي) بمعنى: صبَّ، والمعنى: أخبِروني الماء الذي تَقذفونه وتَصُبُّونه في الرحم؛ أنتم تخلقونه... إلخ؟.

---

(١) قرأ نافع وعاصم وحمزة بضمِّ الشين، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٩١).

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠﴾ ....

﴿ءَأَنتُمْ﴾ ـ بِتَحقِيقِ الهَمزَتَين، وإبدالِ الثَّانية ألِفاً، وتَسهِيلِها، وإدخالِ ألِف بينَ المُسهَّلة والأُخرَى وتَركِه في المَواضِع الأربعةِ ـ ﴿تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي: المَني بَشَراً ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾؟

(٦٠ - ٦١) ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ ـ بالتَّشدِيد والتَّخفِيف ـ ﴿بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بِعاجِزِين، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بتحقيق الهمزتين) في كلامه تنبيهٌ على أربع قراءات سبعيَّات، مع أنها خمسٌ؛ وذلك لأنَّ التحقيقَ إما مع إدخال ألف بينهما ممدودةٍ مدًّا طبيعيًّا، أو بدونها، والتسهيل كذلك، وإبدال الثانية ألفاً ممدودة مدًّا لازماً، وقوله: (في المواضع الأربعة) أي: هذا وقولُهُ بعد: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾، ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾، ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾[1].

قوله: (﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾) يحتمل أنَّ (أم) منقطعةٌ؛ لأنَّ ما بعدها جملة، والمتصلة إنما تعطف المفردات، وحينئذٍ: فيكون الكلام مُشتملاً على استفهامين: الأول: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾، وهو إنكاري، وجوابه: (لا)، والثاني: مأخوذ من (أم) إن قُدِّرت بـ(بل) والهمزة، أو بالهمزة وحدها، ويكون تقريريًّا[2]، ويحتمل أن تكون مُتصلةً؛ وذلك لأنها عطفت المفرد وهو (نحن)، والإتيانُ بالخبر زيادةُ تأكيدٍ[3].

قوله: (﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾) أي: حَكمنا به وقضيناه على كلِّ مخلوقٍ؛ فلا يستطيع أحدٌ تغيير ما قدَّرنا.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[4].

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتحقيق الأُولى وتسهيل الثانية بخلاف عن هشام، وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو وهشام، ولم يُدخِل بينهما ورش وابن كثير، ولورش وجه ثان، وهو إبدال الثانية ألفاً، والباقون بتحقيقِهما مع عدم الإدخال بينهما. انظر المرجع السابق.

(٢) أي: بل أنحن الخالقون؟ وجوابه: (نعم).

(٣) إذ لو قال: (أم نحن).. لاكتفي به دون الخبر، ونظير ذلك جواب مَنْ قال: مَنْ في الدار؟ زيد في الدار، أو: زيد فيها، ولو اقتصر على (زيد).. لكان كافياً، ويُؤيد كونها متصلةً: أنَّ الكلام يقتضي تأويله: أيُّ الأمرين واقع؟ وإذا صلح ذلك.. كانت مُتصلة؛ إذ الجملة بتأويل المفرد. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢١٤).

(٤) قرأ ابن كثير بتخفيف الدال، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (٤/ ١٩٢).

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ ....

﴿عَلَىٰٓ﴾: عن ﴿أَن نُّبَدِّلَ﴾: نَجعَل ﴿أَمْثَـٰلَكُمْ﴾ مَكانَكُم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾: نَخلُقكُم ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن الصُّوَر كالقِرَدةِ والخَنازِير.

﴿٦٢﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ ـ وفي قِراءة بِسُكُونِ الشِّين ـ ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ـ فِيه إدغامُ التَّاء الثَّانية في الأصلِ في الذَّال ـ.

(﴿٦٣﴾ ـ ﴿٦٧﴾) ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾: تُثِيرُون في الأرضِ وتُلقُونَ البَذْرَ فيها، ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾: تُنبِتُونَه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ﴾) يصحُّ تعلُّقه بـ(مسبوقين) أي: لم يُعجزنا أحدٌ على تبديلنا أمثالكم، أو بـ﴿قَدَّرْنَا﴾، والمعنى: قدَّرنا بينكم الموت على أن نُميتَ طائفةً، ونجعلَ مكانها أخرى.

و﴿أَمْثَـٰلَكُمْ﴾: إمَّا جمع (مِثْلٍ) بكسر فسكون، والمعنى: نحن قادرُون على أن نعدمكم، ونخلُق أقواماً آخرين أمثالكم، أو جمع (مَثَلٍ) بفتحتين؛ بمعنى: الصفة، والمعنى: نحن قادرُون على أن نغيِّر صفاتِكُم، ونُنشئكم في صفاتٍ أخرى غيرها.

قوله: (﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾) ﴿مَا﴾: موصولة، وحينئذٍ: فتُكتب مفصولةً من حرف الجرِّ. والمعنى: نَخلقكم في صورٍ لا عِلم لكم بها.

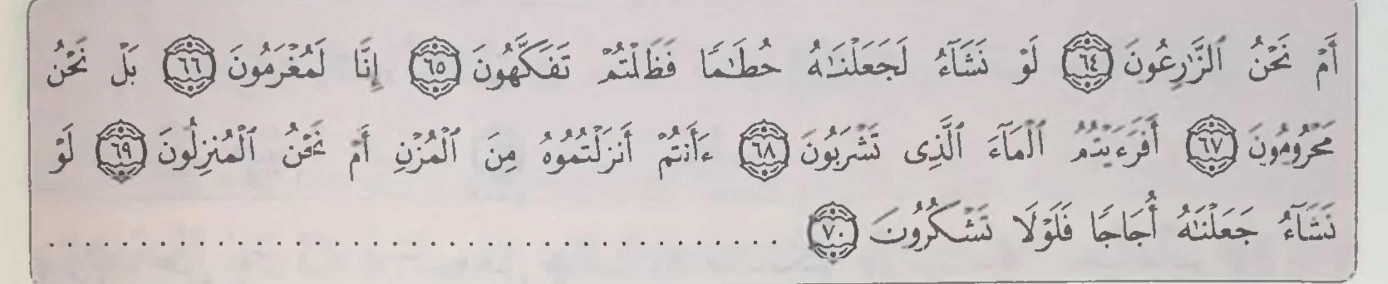
قوله: (﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾) أي: الترابيَّة لأبيكم آدم، واللحميَّة لأمِّكم حواء، والنطفيَّة لكم، ولا شكَّ أنَّ كلًّا منها تحويلٌ من شيءٍ إلى غيره.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (تُثيرون الأرض... إلخ) إنما فسَّر (الحرث) بمجمُوع الأمرين؛ مراعاةً لمعناه اللغوي، ولأنَّ الشأن أنَّ البذر يكون معه إثارةُ أرضٍ، والمناسب هنا تفسيرُه بـ(البذر)، والمعنى: أفرأيتم البذرَ التي تُلقونه في الطين؛ أأنتم تُنبتونه... إلخ؟.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (النَّشَاءة) بفتح الشين، وبعدها ألف قبل الهمزة، والباقون بسكونها، ولا ألف بعدها، فإذا وقف حمزة.. نقَل حركة الهمزة إلى الشين. انظر المرجع السابق.



﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾: نباتاً يابساً لا حَبَّ فِيهِ ﴿فَظَلْتُمْ﴾ ـ أصلُه: ظَلِلتُم بِكَسرِ اللَّام حُذِفَت تخفِيفاً ـ أي: أقمتُم نَهاراً ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ ـ حُذِفَت مِنهُ إحدَى التَّاءَين في الأصل ـ: تَعجَبُون مِن ذلك وتَقُولُون: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ نَفَقةَ زَرعِنا، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: مَمنُوعُون رِزقَنا.

(۝٦٨ - ۝٧٠) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝٦٨ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾: السَّحابِ جَمع (مُزنةٍ) ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾: مِلحاً لا يُمكِنُ شُربُه، ﴿فَلَوْلَا﴾: فهَلَّا ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (نباتاً يابساً لا حَبَّ فيه) أي: وقيل: هشيماً لا يَنْتَفِعُ به في مطعمٍ آدميٌّ ولا غيرُهُ.

قوله: (﴿تَفَكَّهُونَ﴾) هو في الأصل: من (التفكُّه)، وهو إلقاءُ الفاكهة من اليد، وهو لا يكون من الشخص إلا عند إصابة الأمر المكرُوه، فقوله: (تَعْجَبُون) أي: من غرابة ما نزل بكم، تفسيرٌ باللازم.

قوله: (وتقولون: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ مقولٌ لقولٍ محذوفٍ، حال، تقديرُه: فظَلتم تفكهون قائلين: إنا لمغرمُون؛ أي: لَمُلزمون غرامة ما أنفقنا، أو مُهلكون بسبب هلاكِ رزقنا.

قوله: (﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾) هو بالضمِّ: السَّحاب مطلقاً كما قال المفسِّر، أو المراد به: أبيضُه، أو المحتوي على الماء.

قوله: (﴿جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾) حذفت اللام هنا؛ لعدم الاحتياج إلى التأكيد؛ إذ لا يُتَوَهَّمُ مِلْكُ السحاب وما فيه من الماء، بخلاف الزَّرع والأرض؛ ففي ذلك شائبةُ مِلْكٍ، فأتى في جانبه بالمؤكِّد، وهو اللام.

قوله: (لا يُمكن شربُهُ) أي: ولا انتفاعُ الزرع به.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ....

(﴿٧١﴾ - ﴿٧٤﴾) ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾: تُخرِجُون مِن الشَّجَر الأخضَرِ، ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ كالمَرخ والعَفارِ والكلخ ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً﴾ لِنارِ جهنَّمَ ﴿وَمَتَـٰعًا﴾: بُلْغةً ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾: لِلمُسافِرين، مِن (أقوَى القومُ) أي: صارُوا بالقَوَى ـ بالقصرِ والمَدِّ ـ أي: القَفرِ، وهو مَفازةٌ لا نَباتَ فِيها ولا ماءَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّتِى تُورُونَ﴾) مِن: (أوريت الزَّنْد): قَدحتَه لِتَستخرج ناره، وأصله: (تُوْرِيُون)، استُثقلت الضمة على الياء، فحذفت، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما، وقلبت الكسرة ضمَّةً؛ لِمناسبة الواو.

قوله: (من الشجر الأخضر) أي: أو مِن غيره، وإنما اقتصر على الشجر الأخضر؛ لِكونه أعظمَ وأبهرَ في الدلالة على عظمةِ الله، وباهرِ قدرتِهِ.

قوله: (كالمَرْخِ والعَفَار) تقدَّم الكلام على ذلك في سورة (يس)[1]، وأما الكلخ.. فهو معروفٌ في بعض بلاد المغرب والشام، يُؤخذ منه قِطعتان، وتضرب إحداهما بالأخرى، فتخرج النار، وعن ابن عباس أنه قال: ما من شجرٍ ولا عُودٍ إلا وفيه النار سوى العُنَّاب[2].

قوله: (المسافرين) أي: وخصُّوا بالذكر؛ لأنَّ مَنفعتهم بها أكثرُ من المقيمين؛ فإنهم يُوقدونها بالليل؛ لتهرب السباع، ويَهتدي الضال، ونحو ذلك من المنافع.

قوله: (من: أَقْوَى القومُ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بـ(المقوين): المسافرُون، وأنه مأخوذٌ من: أَقْوَى القَوْمُ: إذا صارُوا بالقِوَى، وهي الأرض الخالية من السكَّان، وقيل: المراد بهم: ما هو أعمُّ؛ لأنَّ المُقوي من الأضداد، يقال للفقير: (مُقْوِي) لخلوِّه من المال، وللغني؛ لقوَّته على ما يُريد، والمعنى: جعلناها متاعاً ومنفعةً لِلأغنياء والفقراء، المسافرين والحاضرين، فلا غِنَى لأحدٍ عنها.

قوله: (بالقصر والمد) أي: مع كسر القاف فيهما.

---

(١) انظر (٥/ ٤٨٠)، وكيفيَّة إيقاد النار منهما: أن يجعل العَفَار كالزند يُضرب به على المرخ، وقيل: يؤخذ منهما غُصنان خضراوان، ويُسحَق المرخ على العفار، فتَخرج منهما النار بإذن الله تعالى.

(٢) انظر «الكشاف» (٤/ ٣٣).

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ....

﴿فَسَبِّحْ﴾: نَزِّهْ ﴿بِٱسْمِ﴾ - زائِد - ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: اللهِ.

(﴿٧٥﴾ - ﴿٨٠﴾) ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ - (لا) زائِدة - ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾: بِمَساقِطِها لِغُرُوبها،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾) مُفرَّع على ما تقدَّم، والمعنى: ادْعُ الخلق إلى توحيد الله وطاعته، ووضِّح لهم الأمر بما تقدَّم، فإن لم يَهتدوا.. فارجع إلى ربِّك، وسبِّحه، ولا تَلتفت لغيره، والمراد: نزِّهْهُ عمَّا لا يَليق به؛ سواء كان بخصوص: (سبحان الله)، أو بغيره من بَقِيَّة الأذكار.

قوله: (زائد) أي: لفظ (اسم) زائدٌ، والمعنى: سبِّح ربَّك. و(سبِّح) يتعدَّى بنفسه وبالباء، وما مشى عليه المفسِّر من زيادة لفظ (اسم) أحدُ قولين، والآخرُ: أنه ليس زائداً، بل كما يجب تعظيم الذات وتنزيهُها عن النقائص.. كذلك يجب تعظيمُ الاسم وتنزيهه عن النقائص؛ ولذا قال الفقهاء: مَنْ وجد اسم الله تعالى مكتوباً في ورقةٍ وموضوعاً في قَذر وتركه.. فقد كفر؛ وذلك لأنَّ التهاوُنَ بأسماء الله كالتهاون بذاته؛ لأنَّ الاسم دالٌّ على المسمَّى، وهذا هو الأتمُّ.

فائدة:

أثبتُوا في الخط ألفَ (اسم) هنا، وحذفوها من البسملة؛ لكثرة دَوَران البسملة في الكلام، دُون ما هنا.

قوله: («لا» زائدة) أي: للتأكيد؛ لأنَّ المقصودَ القَسَمُ، وهذا أحدُ أقوال فيها، وقيل: هي لام الابتداء دخَلت على مبتدأ محذوف، تقديره: أنا أقسم، حذف المبتدأ، فاتصلت بخبره[1]، وقيل: هي نافيةٌ، ومنفيُّها محذوفٌ، تقديره: فلا يصح قول المشركين فيك وفي قرآنك، وقوله: (أقسم... إلخ) جملة مستأنفةٌ؛ تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (بمساقطها لغروبها) هذا قول قتادة، وقيل: هو مَنازلها، وقيل: المراد بـ(مواقع النجوم): نزول القرآن نجوماً؛ فإنَّ الله تعالى أنزله من اللوح المحفوظ من السماء العُليا إلى السفرة الكاتبين جملةً واحدةً، ونجَّمه السفرة على جبريل، وهو على محمَّد في عشرين سنة.

(١) والتقدير: فلأنا أقسم، وإنما قدَّر المبتدأ؛ لأنَّ لام الابتداء لا تدخل على الجملة الفعلية، ولا يَصح أن تكون لام القسم؛ لأنَّ حَقه أن يؤكَّد بالنون. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ١٤٧).

وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القَسَم بِها ﴿لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: لَو كُنتُم مِن ذَوِي العِلم لَعَلِمتُم عِظَمَ هذا القَسَم، ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: المَتْلُوُّ علَيكُم ﴿لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ﴾: مَكتُوب ﴿مَّكْنُونٍ﴾: مَصُونٍ وهو المُصحَف، ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ - خَبر بِمَعنَى النَّهي - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾) هذه الجملة مُعترضة بين القسَمِ وجوابه، وفي أثنائها جملة معترضة بين الصفة والموصوف وهي قوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾، وليس هذا من باب الاعتراض بأكثر من جملة؛ لأنَّ الجملتَين في حُكم جملةٍ واحدةٍ.

قوله: (أي: لو كُنتم... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ جواب (لو) محذوفٌ، وإلى أنَّ الفعل مُنزَّل مَنزلة اللازم.

قوله: (لَعلمتم عِظَمَ هذا القسَم) أي: لِما فيه من الدلالة على عظيم القُدرة، وكمال الحكمة، ولأنَّ آخرَ الليل الذي هو وقت تساقط النجوم محلُّ الرَّحمات والعطايا الربانيَّة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩].

قوله: (﴿لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾) أي: كثيرُ النَّفع، وُصِفَ بالكرم؛ لاشتِماله على خير الدين والدنيا والآخرة، ففيه مزيدُ البيان والنور والاهتداء، فكلُّ عالمٍ يطلب أصلَ علمه منه؛ من معقولٍ ومنقولٍ.

قوله: (مصونٍ) أي: من التغيير والتبديل؛ فلا يَأتيه الباطل من بين يدَيه، ولا من خَلفه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قوله: (وهو المصحف) أي: وقيل: هو اللوح المحفوظ، وعليه: فمعنى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾: لا يطَّلع عليه إلا الملائكة المطهرون من الأقذار المعنوية، ولا يكون في الآية دليلٌ لنهي المحدِثِ عن مَسِّ المصحف.

قوله: (خبرٌ بمعنى النَّهي) أي: فأطلق الخبر، وأريد النَّهي، وإلا.. فلو أُبقِيَ على خبريَّته.. لَلزم عليه الخُلْفُ في خبره تعالى؛ لأنه كثيراً ما يمسُّ بدون طهارةٍ، والخلفُ في خبره تعالى محالٌ، وما مشى عليه المفسِّر أحدُ وجهَين، والآخر: أنَّ (لا) ناهيةٌ، والفعل مجزوم بسكون مقدَّر على آخره، مَنع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام، وإنما حرِّك بالضمِّ؛ إتباعاً لحركة الهاء.

﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣﴾ ....

﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾: الذِين طَهَّرُوا أنفُسَهم مِن الأحداثِ، ﴿تَنزِيلٌ﴾: مُنزَلٌ ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

(٨١ - ٨٢) ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القُرآنِ ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾: مُتَهاوِنُون مُكذِّبُون، ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ مِنَ المَطَرِ أي: شُكرَه ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بِسُقيَا الله حيثُ قُلتُم: مُطِرنا بِنَوءِ كذَا.

(٨٣ - ٨٥) ﴿فَلَوْلَآ﴾: فهلَّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الرُّوحُ وقتَ النَّزْعِ ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ هو مَجرَى

حاشية الصاوي

إن قُلت: : إنه يلزم على هذا الوجه الفصل بين الصفات بجملة أجنبيَّة؛ فإن قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ صفة رابعة لـ(قرآن).

وأُجيب: بأنه لا يتعيَّن أن يكون صفةً؛ لجواز جعله خبراً لمبتدأ محذوف؛ أي: وهو تنزيلٌ.

قوله: (منزَّل) أشار بذلك إلى أنَّ المصدرَ بمعنى اسم المفعول.

قوله: (﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾... إلخ) الاستفهام توبيخيٌّ، والمعنى: لا يَليق منكم ذلك.

قوله: (﴿مُّدْهِنُونَ﴾) الإِدْهَانُ في الأصل: جعلُ الشيء مدهوناً بالدُّهن؛ لِيَلين ويحسن، أُطلق وأريد به اللين الظاهري الذي هو النِّفاق؛ ولذا سميت المداراة والملاينة مُداهنةً، فالدَّهن[1] هو الذي ظاهرُهُ يخالفُ باطنَهُ، والمراد به هنا: الكفر مطلقاً؛ كما أفاده المفسِّر.

قوله: (بسُقيا الله) مصدرٌ مضافٌ لفاعله.

قوله: (حيث قُلتم: «مُطِرْنا... إلخ») أي: وقائل ذلك كافرٌ إن اعتقد تأثير الكوكب في المطر، وعاصٍ إن لم يَعتقده.

قوله: (﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾... إلخ) الظرفُ متعلق بـ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ مقدَّمٌ عليه، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ...﴾ إلخ: جملة حاليَّة من فاعل ﴿بَلَغَتِ﴾، وكذا قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾.

---

(١) كذا في الأصول، ولعلها: (والمُدْهِنُ)، وعبارة القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٧): (والمدهن: الذي ظاهره خلاف باطنه، كأنه شبِّه بالدُّهن في سُهولة ظاهره).

وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ....

الطَّعام، ﴿وَأَنتُمْ﴾ يا حاضِرِي الميتِ ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ إليه، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعِلم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ مِن البَصِيرةِ، أي: لا تعلَمُونَ ذلك.

(﴿٨٦﴾ - ﴿٨٧﴾) ﴿فَلَوْلَا﴾: فهَلَّا ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: مَجزِيِّين بِأن تُبعَثُوا أي: غير مَبعُوثِين بِزَعمِكُم، ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾: تَرُدُّون الرُّوحَ إلى الجَسَد بعدَ بُلُوغ الحُلقوم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِيما زَعَمتُم، ـ فـ(لَولا) الثَّانِية تَأكِيد لِلأُولى، و(إذا) ظَرف لِـ(تَرجِعُونَ) المُتعلِّق به الشَّرطانِ ـ، والمَعنَى: هلَّا تَرجِعُونَها إن نَفَيتُم البَعثَ صادِقِينَ في نَفيِه، أي: لِيَنتَفِيَ عن مَحَلِّها المَوت كالبَعثِ.

حاشية الصاوي

قوله: (من البصيرة) أي: أو من البَصر، والمعنى: لا تُبصرون أعوانَ ملكِ الموت. وردَ: «أنَّ ملك الموت له أعوانٌ يَقطعون العروق، ويجمعون الروح شيئاً فشيئاً حتى يَنتهُوا بها إلى الحُلقوم، فيَتوفاها ملك الموت»[(١)].

قوله: (مجزيين) أي: فـ﴿مَدِينِينَ﴾ من: الدِّين بمعنى: الجزاء، وقوله: (غير مبعوثين) تفسيرٌ للمراد هنا.

قوله: («فلولا» الثانية) أي: التي في قوله: ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾.

قوله: (تأكيد) أي: لفظي، وقوله: (للأولى) أي: التي في قوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾[(٢)].

قوله: (المتعلِّق به الشرطان) أي: وهما ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ومعنى تعلُّقِهما به: أنه جزاءٌ لكلٍّ منهما.

قوله: (والمعنى: هلَّا... إلخ) أي: فهي للطلب، والمعنى: ارجعونها[(٣)].

قوله: (إن نَفيتم البعث) هذا هو الشرط الأول، وقوله: (صادقين في نفيه) هو الشرط الثاني.

قوله: (لينتفي... إلخ) عِلَّة للجزاء، وقوله: (عن محلها) أي: الذي هو الجسد، والمعنى:

---

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٣١).

(٢) فيكون ترتيب الآية: فلولا فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتُم غير مَدينين. انظر «الكشاف» (٤/ ٤٦٨).

(٣) كذا في الأصول، ولعله سبقُ قلم، والصواب: (ارجعوها).

فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ ....

(﴿٨٨﴾ - ﴿٩٤﴾) ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الميتُ ﴿مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ﴾ أي: فلَه استِراحةٌ ﴿وَرَيۡحَانٞ﴾: رِزقٌ حَسَن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ ـ وهَل الجَواب لِـ(أمَّا) أو لـ(إنْ) أو لَهُما؟ أقوالٌ ـ. ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ﴾ أي: لَهُ السَّلامةُ مِن العَذاب ....

حاشية الصاوي

إن صدَقْتُم في نفي البعث. فرُدُّوا رُوح المحتضر إلى جسده؛ لينتفي عنه الموت؛ فينتفي البعث الذي تُنكِرونه؛ لِتَرتُّبه على الموت.

قوله: (﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾... إلخ) شُرُوعٌ في بيان حال المتوفَّى بعد المماتِ إِثْرَ بيان حاله عنده.

قوله: (﴿مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾) أي: وهُم المعبَّر عنهم فيما سبق بالسَّابقِين.

قوله: (﴿فَرَوۡحٞ﴾) بفتح الراء في قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بضمِّها، ومعناها: الرحمة[1].

قوله: (أي: فلَه) أشار بذلك إلى أنَّ (روح) مبتدأ، خبره محذوفٌ.

قوله: (﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾) تُرسم هنا بالتاء المجرورة، والوقف عليها إمَّا بالهاء أو التاء، وفي ذكر الجنَّة عَقِب الروح والريحان إشعارٌ بأنَّ محل ذلك هو الجنَّة.

قوله: (وهل الجواب لـ«أمَّا») أي: وجوابُ (إن) محذوف؛ لِدلالة المذكور عليه، وهذا هو الراجح؛ لأنه عُهِدَ حذف جواب (إن) كثيراً.

قوله: (﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ﴾) أي: يا صاحبَ اليمين من أصحاب اليَمين؛ ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تعظيماً لِصاحب اليمين[2].

قوله: (أي: لَه السلامة) أشارَ بهذا إلى أنَّ (السلام) بمعنى (السلامة)، وهو خلاف ما قُلنا، فهما تفسيران.

---

(١) وبها قرأ ابن عباس وعائشة والحسنُ وقتادة في جماعة كثيرة، وتُروى عن النبي ﷺ، قال الحسن: الرُّوح: الرحمة؛ لأنها كالحياة للمرحوم. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٣١).

(٢) يعني أنه التفاتٌ بتقدير القول، و(مِن) للابتداء كما يقال: سلامٌ مِن فُلان على فلان؛ أي: يقال له: سلام لك من إخوانك الذين يُسلمون عليك بإرسال التحية لك. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ١٥٠).

مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ مِن جِهةِ أنَّهُ مِنهُم، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾.

(﴿٩٥﴾ - ﴿٩٦﴾) ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ ـ مِن إضافةِ المَوصُوف إلى صِفَتِه ـ، ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ تَقدَّم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (من جِهة أنه منهم) أشار به إلى أنَّ (مِن) تعليلية؛ أي: مِن أجل أنه منهم.

قوله: (﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾) لم يَقُل: (وأما إن كان من أصحاب الشمال)؛ تبكيتاً عليهم، وإشعاراً بالأفعال التي أوجَبَت لهم هذا العذاب.

قوله: (﴿فَنُزُلٌ﴾) مبتدأ، خبره محذوفٌ؛ أي: له نُزل من حميم، والمعنى: أنه يَشربه بعد أكل الزقوم، وسمِّي نُزُلاً؛ تهكماً بهم.

قوله: (﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾) أي: احتراقٌ بها.

قوله: (﴿إِنَّ هَٰذَا﴾) أي: ما ذكر من قِصَّة المحتضرين، أو: ما قَصصناه عليك في هذه السورة.

قوله: (تقدَّم) الذي تقدَّم في كلامه: أنَّ (سبِّح) بمعنى (نزِّه)، وأنَّ لفظ (اسم) زائدٌ، وتقدَّم لنا القولُ بعدم زيادته ووجهه، وأنه الأولى.

و﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ يصح أن يكون صفة للاسم، وأن يكونَ صفة لـ﴿رَبِّكَ﴾؛ لأنَّ كلًّا مِنهما مجرور. وفي ذكر لفظ التسبيح في آخِر هذه السورة شِدَّة مناسبة لما بعدها من التسابيح، كأنَّ الله تعالى يقول: سبِّح باسم ربك؛ لأنه سبَّح له ما في السماوات والأرض، والله أعلَم بأسرار كتابه.



﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ....



مكيَّة أو مَدنيَّة، تسعٌ وعِشرُون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: نَزَّهَهُ كُلُّ شَيء، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الحَدِيدِ

سمِّيت بذلك؛ لِذكر الحديد فيها، من باب: تسمية الكل باسم بعضِه، على حُكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه.

قوله: (مكيَّة) أي: لما قيل: إنَّ سبب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه دخل على أُخته، وكانت أسلمت قبله، فوجد أوائل هذه السورة إلى قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مكتوباً في صحيفةٍ، فأسلم[1].

قوله: (أو مدنيَّة) وهو لابن عباس، وعليه الجمهور، وقال القرطبي: (إنها مدنية في قول الجميع)[2]، وإسلامُ عمر كان بأوائل (طه)[3]، وعلى القول بأنه كان بأوائل هذه السورة.. فتُستثنى هذه الآياتُ من القول بأنها مدنيَّة.

قوله: (﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾) عبَّر هنا وفي (الحشر) و(الصف) بالماضي، وفي (الجمعة) و(التغابن) بالمضارع، وفي (الأعلى) بالأمر، وفي (الإسراء) بالمصدر؛ إشعاراً بأنَّ التسبيح مطلوبٌ من الإنسان في كلِّ حالٍ، وصدَّر بالمصدر؛ تنبيهاً على أنَّ تنزيهه تعالى مطلقٌ لا يَتقيَّد بزمان ولا مكان،

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢١٦)، وانظر «سُبل الهدى والرشاد» للعلامة الشامي (٢/ ٢٧٠).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٣٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (ص٢٧٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢١٩).

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ....

ـ فاللَّامُ مَزِيدة ـ وجِيء بِـ(ما) دُون (مَن) تَغلِيباً لِلأكثَرِ، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلكِه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

حاشية الصاوي

ولا بفاعل مُعين، كما أنَّ المصدر مطلقٌ من الفاعل والزمان، ثمَّ بالماضي؛ لتقدُّم زمنه، ثمَّ بالمضارع لِشُموله للحال والاستقبال، ثمَّ بالأمر؛ لتأكيد الحثِّ على طلبه من الشخص، فكأنه قال: حيث عَلمت أيها الشخص أنَّ ربَّك مُنزَّهٌ تنزيهاً مطلقاً، وسبَّحه من تقدَّم من المخلوقات، واستَمرُّوا على تسبيحه.. فعليك بالاشتغال به.

والتسبيح: تَنزيه المَولى عن كلِّ ما لا يَلِيق به قولاً وفعلاً واعتقاداً، مِن: سبَّح في الأرض والماء: ذهب وأبعد فيهما.

إن قُلت: إنَّ (سبَّح) مُتعَدٍّ بنفسه، فما وجه الإتيان باللام؟

أجيب: بأنَّ اللام زائدة للتأكيد؛ كما في: نصَحتُ له، وشكَرتُ له، وعليه اقتصر المفسِّر، أو: للتعليل، والمعنى: فعَل التسبيح لأجل رضاء الله تعالى وخالصاً لِوجهه، لا لغرضٍ آخرَ.

قوله: (فاللام مزيدة) أي: للتأكيد، وهو مُفرَّعٌ على قوله: (أي: نزِّهه)، أو أصليَّة للتعليل؛ كما عَلمتَ.

قوله: (تغليباً للأكثر) أي: وهو غير العاقل، فالمرادُ بـ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: جهة العُلوِّ والسُّفل، فيَشمل نفس السماوات والأرض.

واعلم: أنَّ تسبيح العقلاء بِلسان المقال اتفاقاً، واختُلف في تسبيح غيرهم؛ فقيل: بالحال؛ أي: أنَّ ذاتها دالَّةٌ على تنزيه صانعِها عن كلِّ نقصٍ، وقيل: بِلسان المقال أيضاً، ولكن لا يطَّلع على تسبيحها إلا مَنْ خصَّه الله بذلك.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلكه) أي: الغالبُ على أمره، لا يغلبه شيءٌ.

قوله: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعه) أي: يضع الشَّيْءَ في محلِّه؛ فلا حرجَ عليه، ولا مُعقِّب لحكمه.

لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ

(﴿٢﴾ - ﴿٣﴾) ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ﴾ بالإنشاءِ ﴿وَيُمِيتُ ۖ﴾ بعدَه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبلَ كُلِّ شَيء بِلا بِدايةٍ، ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ بعدَ كُلِّ شَيء بِلا نِهايةٍ، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدِلَّة علَيه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ كالدليل لِما قبلها، كأنه قيل: هو العزيز الحكيم؛ لأنَّ له مُلك السماوات والأرض، يَتصرَّف فيه على ما يريد.

قوله: (بالإنشاء) أي: من العدَم، وفيه ردٌّ على مَنْ يَزعم أنَّ الإحياء يكون بترك الحيِّ من غير قتل مثلاً كالنُّمروذ؛ حيث قال في محاجَّة إبراهيم عليه السلام: أنا أُحيي وأميت، وأتى برجلَين، فأطلق أحدَهما، وقتل الآخر.

قوله: (﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده) أي: بعد الإحياء الحاصل بالإنشاء، وأمَّا الإحياء الثاني.. فلا موتَ بعده، قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦].

قوله: (﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾) بضمِّ الهاء وسكونها، قراءتان سبعيَّتان في جميع القرآن[١].

قوله: (﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كلِّ شيءٍ) أي: السابقُ على جميع الموجودات، وقوله: (بلا بداية) أي: فلا افتتاحَ لِوجوده.

قوله: (﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ بعد كلِّ شيءٍ) أي: الباقي بذاته بعد استِحقاق كلِّ ما سِواه الفناء، وبهذ. اندفع ما يقال: إنَّ الجنَّة والنَّار وما فيهما لا يَطرأ عليهما الفناء، ؛ لأنَّ كلَّ موجودٍ بعد عدمٍ قابلٌ للفناء، وبقاءُ ما ذُكِرَ بِبَقاء الله تعالى، لا ذاتيٌّ له، قال العارف[٢]: [الكامل]

مَـنْ لَا وُجُـودَ لِـذَاتِـهِ مِـنْ ذَاتِـهِ فَـوُجُـودُهُ لَـوْلَاهُ عَـيْـنُ مُـحَـالِ

قوله: (بالأدلة عليه) أي: وهي آثارُه وتصاريفه في خَلقه: [المتقارب]

فَـفِـي كُـلِّ شَـيءٍ لَـهُ آيَـةٌ تَـدُلُّ عَـلَـى أَنَّـهُ الـوَاحِـدُ[٣]

قوله: (عن إدراك الحواس) أي: الظاهريَّة والباطنيَّة؛ فلا تُحيط به في الدنيا ولا في الآخِرة،

---

(١) قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء، والباقون بضمِّها. انظر «السراج المنير» (٤/٢٠١).

(٢) البيت لسيدي أبي مدين الغوث رضي الله عنه؛ كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى في شرحه لـ«جوهرة التوحيد» (ص١٤٧).

(٣) البيت لأبي العتاهية، كما في «ديوانه» (ص٤٥).

وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ ....

﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ عن إدراكِ الحَواسِّ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿٤﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِن أيَّام الدُّنيا، أوَّلها الأحَد وآخِرُها الجُمُعة، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: الكُرسِيِّ استِواءً يَلِيق بِه، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يَدخُلُ

حاشية الصاوي

وإنَّما رؤيتُهُ وسماعُ كلامِهِ في الآخرة من غير كيْفٍ ولا انحصارٍ ولا إحاطةٍ، فكلُّ مَخلوقٍ عاجزٌ عن الإحاطة به، بل كلَّما عظُمَ قربُ العبد منه.. ازداد خشيةً وهيبةً وعجزاً؛ ولِذا ورَد في الحديث: «سبحان مَنْ لا يَعلم قدْرَهُ غيرُهُ، ولا يَبلغُ الواصفون صفتَهُ»، ورُوي: أنه ﷺ قال: «**إذا أراد أحدكم أن ينام.. فليَضطجع على شقِّه الأيمن ويَقول: اللهم؛ ربَّ السماوات وربَّ الأرض وربَّ العرش العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحبِّ والنَّوى، مُنْزِلَ التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ، أعُوذ بك من شرِّ كلِّ شيءٍ أنت آخذٌ بِناصِيَته ـ وفي رواية: بناصِيَتها ـ اللهمَّ؛ أنت الأول فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيءٌ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطن فليس دُونك شيءٌ؛ اقضِ عنا الدَّينَ، وأغنِنا من الفقر**» انتهى[١].

وأتى بالواو الأولى والثالثة؛ لِلجمع بين الوصفين الأوَّلين والوصفين الآخرَين، والثانية للجمع بين مجمُوع الأوصاف الأربعة، فهو تعالى متَّصفٌ بالأوليَّة وضدِّها، والظاهريَّة وضِدِّها، وتلك الصفاتُ الأربع مجموعةٌ فيه تعالى، فالواو الأولى والثالثة عطَفت مفرداً على مفردٍ، والثانية عطفت مجموع أمرين على مجمُوع أمرَين[٢].

قوله: (الكرسي) تقدَّم غيرَ مرَّةٍ أنَّ المناسبَ إبقاءُ العرشِ على ظاهرِهِ.

قوله: (استواء يَليق به) تقدَّم أنَّ هذا تفسير السَّلف، وأمَّا الخلف.. فيُؤوِّلُونه بالقهر والغلَبة[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٧١٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وروايةُ (ناصيتها) عند ابن ماجه في «سننه» (٣٨٧٣).

(٢) وهذه الواو في المفردات كالواو العاطفة قصَّة على قصَّة في الجُمَل؛ لأنها لو عطفت (الظاهر) وحدَه على أحد الأوَّلين.. لم يَحسن؛ لعدم التناسب بينهما، والمجموع مناسب للمجموع في الاشتمال على أمرَين متقابلين. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ١٥٢).

(٣) انظر (٢/ ٥٤٧).

فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ ....

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالمَطَرِ والأموات، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنَّباتِ والمَعادِن، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كالرَّحمةِ والعَذاب، ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾: يَصعَدُ ﴿فِيهَا﴾ كالأعمالِ الصَّالِحة والسَّيِّئةِ، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بِعِلمِه ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(٥) - (٦) ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: المَوجُودات جَمِيعُها، ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾: يُدخِلُهُ ﴿فِى ٱلنَّهَارِ﴾ فيَزِيد ويَنقُص اللَّيل، ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيَزِيد ويَنقُص النَّهار، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِما فِيها مِن الأسرارِ والمُعتَقَدات.

(٧) ﴿ءَامِنُوا۟﴾: داوِمُوا على الإيمانِ ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟﴾ في سَبِيل الله ....

حاشية الصاوي

قوله: (والسيئة) المناسبُ حذفُهُ؛ لأنَّ الذي يُرفَعُ إنما هو الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

قوله: (بِعلمه) أي: وقُدرته وإرادته، فالمراد بالمعيَّة: تصاريفُهُ في خَلقه.

قوله: (﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) ذكَره ثانياً مع الإعادة، كما ذكره أوَّلاً مع ابتداء الخلق؛ فلا تكرار.

قوله: (﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾) بفتح التاء وكسر الجيم مبنيًّا للفاعل، وبضمِّ التاء وفتح الجيم مبنيًّا لِلمفعول، قراءتان سبعيَّتان في جميع القرآن[١].

قوله: (يُدخله في النهار فيزيد) أي: النهار بِسبب دخول الليل فيه، وكذا يقال في النهار.

قوله: (بما فيها من الأسرار والمُعتقدات) أي: من خيرٍ وشرٍّ.

قوله: (﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾) لَما ذكر أنواعاً من الدلائل الدالَّة على التوحيد.. شَرع يأمر عباده بالإيمان، وبِترك الدنيا والإعراض عنها، والنفقة في وجوه البرِّ.

قوله: (دُومُوا على الإيمان) جوابٌ عمَّا يُقال: إنَّ الخطاب للمؤمنين، وحينئذٍ: ففيه تحصيل

---

(١) قرأ الشامي ويعقوب والأخوان وخَلف بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون بضم التاء وفتح الجيم. انظر «البدور الزاهرة» (ص٣١٣).

مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ ....

﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ مِن مالِ مَن تَقدَّمكُم وسيَخلُفُكُم فِيه مَن بَعدكُم، نَزَل في غَزوةِ العُسرةِ وهي غَزوةُ تَبُوك، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ﴾ إشارةٌ إلى عُثمانَ رضي الله عنه ....

حاشية الصاوي

الحاصل، وهذا نتيجة ما قبله؛ لأنه لما ذكر أدلَّة التوحيد ولا شكَّ أن التفكر فيها يزيد في الإيمان، ويُوجب الدوام عليه.. نتَج منه الأمر بالدوام على الإيمان.

قوله: (من مال مَنْ تقدَّمكم... إلخ) أي: فأنتُم خلفاء عمَّن تقدَّمكم، ويصحُّ أنَّ المعنى: من الأموال التي جعَلكم الله خُلفاءَ في التصرف فيها، فهي في الحقيقة له، لا لَكم.

واعلَم: أنَّ الأموال في الحقيقة لله تعالى، فخلَّف فيها آدمَ يتصرَّف فيها، وأولادُهُ خلفٌ عنه، وحينئذٍ: فالخلافةُ إمَّا عمَّن له التصرف الحقيقي وهو الله تعالى، أو عمَّن تصرَّف فيها قبله ممَّن كانت في أيدِيهم، وانتقلت لهم، وفي هذا حثٌّ على الإنفاق، وتهوينٌ له على النفس؛ فلا ينبغي البخلُ بمال الغير، بل يُنفِقه في الوجوه التي تَنفعه في المعاد.

قوله: (وسيخلفكم فيه مَنْ بعدكم) أي: من المال الذي هو بأيدِيكم؛ سواءٌ كان من مال مَنْ تقدَّمكم، أو من مالٍ اكتَسبتُموه بأنفسكم.

قوله: (وهي غزوة تَبوك) بالصرف؛ نظراً للبقعة، ومنعِهِ؛ لِلعَلمية والتأنيث، وهو مكان على طرف الشام، بينه وبين المدينة أربعة عشر مَرحلة[1]، وكانت تلك الغزوة في السنة التاسعة بعد رجوعه ﷺ من الطائف، وهي آخرُ غزَواته، ولم يقع فيها قتالٌ، بل لما وصلُوا إلى تبوك، وأقامُوا بها عشرين ليلة.. وقَع الصلح على دَفع الجزية، فرجع ﷺ بالعزِّ العظيم، وتقدَّم تفصيلها في سورة (براءة).

قوله: (إشارة إلى عثمان) أي: فإنه جهَّز في تلك الغزوةِ ثلاث مئة بعيرٍ بأقتابها وأحلاسِها وأحمالها، وجاء بألف دينار، ووضعها بين يدَي رسول الله ﷺ[2]، وفي رواية: (حمل عثمان في جيش العُسرة على ألف بعير، وسبعين فرساً)[3]، وقال في حقِّه رسول الله ﷺ: «ما على عثمانَ

(١) كذا في الأصول، والقاعدة تقتضي (أربع عشرة مرحلة).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٠٠) عن سيدنا عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه، وليس فيه ذكر التصدق بألف دينار، وهو عند الترمذي (٣٧٠١) من رواية سيدنا عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

(٣) رواها ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٦٠) عن قتادة قال: (إن عثمان حمل في جيش العسرة على ألف بعير إلا سبعين، كلها خيلاً).

﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ . .

﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿٨﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ ـ خِطاب لِلكُفَّار ـ أي: لا مانِعَ لَكُم مِن الإيمانِ ﴿بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أُخِذَ﴾ ـ بِضمِّ الهَمزة وكَسرِ الخاء، وبِفَتحِهِما ونَصبِ ما بعدَه ـ ﴿مِيثَاقُكُمْ﴾ علَيهِ أي: أخَذَهُ الله في عالَم الذَّرِّ حينَ أشهَدَهُم على أنفُسِهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، . . . .

حاشية الصاوي

ما فعَل بعد هذه»[١]، وفي رواية: «غفَر الله لك يا عثمان ما أسررتَ، وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يُبالي ما عمل بعدها»[٢]. ولا خُصُوصية لعثمان بهذه الإشارة، بل غيرُه بذل فيها جُهْدَهُ.

قوله: (﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾) أي: عظيمٌ.

قوله: (﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾) جملة مِن مبتدأ وخبر وحال، والمعنى: أيُّ شيءٍ ثبَت لكم حالَ كَونكم غير مؤمنين؟

قوله: (أي: لا مانعَ لكم من الإيمان) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾) الجملةُ حاليَّة من الواو في ﴿تُؤْمِنُونَ﴾، والمعنى: لا مانعَ لكم من الإيمان والحالُ أنَّ الرسول يَدعوكم إليه بالمعجِزات الظاهرة، والحُجَج الباهرة.

قوله: (﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾) الجملة حاليَّة أيضاً من الكاف في ﴿يَدْعُوكُمْ﴾.

قوله: (بضمِّ الهمزة وكسر الخاء) أي: ورفع (ميثاقُكم)، وترَكَه لِوضوحه.

قوله: (وبفتحهما) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٣].

قوله: (أي: أخذه الله. . . إلخ) تفسيرٌ لِلقراءتين.

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٠٠) عن سيدنا عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه.

(٢) رواها الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٧٣٦) من حديث حسان بن عَطية، وليس فيه: (ما يُبالي ما عمل بعدها).

(٣) قرأ أبو عمرو بضم الهمزة وكسر الخاء ورفع القاف، وغيره بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف. انظر «البدور الزاهرة» (ص٣١٣).

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم ....

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مُرِيدِين الإيمان بِه فبادِرُوا إلَيه.

﴿٩﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: آياتِ القُرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكُفرِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمانِ، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ﴾ في إخراجِكُم مِن الكُفر إلى الإيمانِ ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعدَ إيمانِكُم ﴿أَلَّا﴾ - فِيه إدغامُ نُون (أنْ) في لام (لا) - ﴿تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بما فِيهِما فتَصِل إلَيهِ أموالُكُم مِن غَير أجرِ الإنفاقِ، بِخِلافِ ما لَو أنفَقتُم فتُؤجَرُون، ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مُريدين الإيمانَ به) جوابٌ عمَّا يُقال: كيف قال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؟ ويجاب أيضاً: بأنَّ المعنى: إن كنتُم مؤمنين بموسى وعيسى؛ فإنَّ شريعتَهُما مُقتضيةٌ للإيمان بمحمَّد ﷺ.

قوله: (فبادِرُوا إليه) أشار بذلك إلى أنَّ جوابَ الشرط محذوفٌ.

قوله: (﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾) أي: وهو محمَّد ﷺ.

قوله: (﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾) أي: حيث طلَبكم للإيمان، وأقام لكم الحجج على ألسِنة الرسل، وأمهَلَكم.

قوله: (﴿أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾) توبيخٌ لهم على تركِ الإنفاق المأمورِ به بعد تَوبيخهم على ترك الإيمانِ.

قوله: (﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) أي: طاعتِه؛ جهاداً أو غيره.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) الجملة حاليَّة، والمعنى: أيُّ شيءٍ يَمنعكم من الإنفاق في سبيل الله والحالُ أنَّ ميراث السماوات والأرض له؟ فالدنيا له ابتداءً وانتهاءً، وإنما جعلكم خلفاءَ، لكم أجرُ الإنفاق، وعليكم وِزْرُ الإمساك.

قوله: (﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم﴾... إلخ) أي: لأنَّ الذين أنفقُوا من قبلُ وقاتلُوا من قبلُ فعلُوا ذلك قبل عزَّة الإسلام وعزَّة أهلِه، فنَصرُوا الدين بأنفسهم وأموالهم، وهم السابقون الأوَّلون من المهاجرين

مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ ....

مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ لِمَكَّة ﴿وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا﴾ مِن الفَرِيقَين، - وفي قِراءة بِالرَّفع مُبتَدأ - ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجَنَّة، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيُجازِيكُم بِه.

﴿١١﴾ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاقِ مالِه ....

حاشية الصاوي

والأنصار، الذين قال فيهم رسول الله: «لو أنفق أحدكم مثلَ أُحُدٍ ذهباً.. ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفه»[1]، بخلاف مَنْ أنفَق وقاتل من بعد الفتح، فسعيُهُ وإن كان مشكوراً لا يَصِل لتلك المزيَّة.

قوله: (﴿مَنْ أَنفَقَ﴾) هو فاعل ﴿لَا يَسْتَوِى﴾، والاستواء لا يكون إلا بين شيئين، فحذف المقابل؛ لِوُضوحه، والتقدير: ومَنْ أنفق مِنْ بعد الفتح، وهو صادقٌ بكلِّ مَنْ آمن وأنفَق مِنْ بعد الفتح إلى يوم القيامة.

قوله: (لمكة) وقيل: هو صُلحُ الحديبية.

قوله: (﴿وَكُلًّا﴾) بالنصب مفعول مقدَّم، وقرأ ابن عامر بالرفع مبتدأ، والجملة بعده خبرٌ، والعائد محذوفٌ؛ أي: وعَده الله، والمعنى: أنَّ كلًّا ممَّن آمَن وأنفَق قبل الفتح، ومَنْ آمن وأنفق بعده ومات على الإيمان.. وعَده الله الحسنى؛ أي: الجنَّةَ وإن كانت درَجاتُ الأوائل أعلى من درَجات الأواخِر[2].

قوله: (﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى﴾) يحتمل أنَّ ﴿مَّن﴾: اسم استفهام مبتدأ، و﴿ذَا﴾: خبره، و﴿ٱلَّذِى﴾: بدل منه، ويحتمل أنَّ ﴿مَّن ذَا﴾ مبتدأ، والموصول خبره، وقوله: ﴿يُقْرِضُ ٱللَّهَ...﴾ إلخ: صِلة الموصول على الاحتمالين.

وهذا تنزُّلٌ منه سبحانه وتعالى؛ حيث ملَّك عبادَه الأموال من عنده، وسمَّى رُجوعها إليه قرضاً

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) قراءة العامة بالنصب على أنه مفعول مقدَّم، وهي مرسومة في مصاحفهم (وكلًّا) بألف، وابن عامر برفعه وهي في مصاحف الشام مَرسومة (وكل) بدون ألف؛ فقد وافق كل مُصحفه. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٣٨).

قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ....

في سَبِيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بِأن يُنفِقَهُ لله ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ ـ وفي قِراءة: (فيُضَعِّفهُ) بِالتَّشدِيد ـ ﴿لَهُۥ﴾ مِن عَشر إلى أكثَر مِن سَبعِمائَةٍ كما ذُكِرَ في (البَقَرة)، ﴿وَلَهُۥٓ﴾ مَع المُضاعَفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مُقترِن بِهِ ....

حاشية الصاوي

مع أنَّ العبد وما ملَكت يداه لِسَيده، قال صاحب «الحكم»: (ومِن مزيد فضله عليك أن خلق ونسب إليك»[(١)].

قوله: (في سَبيل الله) أي: طاعته، جهاداً أو غيره.

قوله: (﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾) قال بعض العلماء: القرضُ لا يكون حسناً حتى يجمع أوصافاً عشرةً، وهي أن يكون المال من الحلال، وأن يكونَ من أجود المال، وأن تتصدَّق به وأنت محتاجٌ إليه، وأن تَصرف صدقتك إلى الأحوَج إليها، وأن تَكتم الصدقة ما أمكنك، وألا تُتبِعَها بالمنِّ والأذى، وأن تَقصد بها وجه الله ولا ترائيَ بها الناس، وأن تَستحقر ما تعطي وإن كان كثيراً، وأن يكون من أحبِّ أموالِك إليك، وألَّا ترى عزَّ نفسك وذلَّ الفقير، فهذه عشر خِصال إذا اجتَمعت في الصدقة.. كانت قرضاً حسناً.

قوله: (بأن يُنفقه لله) أي: خالصاً لوجهه، لا رياءَ ولا سمعة.

قوله: (وفي قراءة: «فيضعِّفه»... إلخ) أي: وعلى كلٍّ من القراءتين فالفعل إمَّا مرفوعٌ عطفاً على ﴿يُقْرِضُ﴾، أو مُستأنفاً؛ أو منصوبٌ بـ(أن) مُضمَرة وجوباً بعد الفاء الواقعة في جواب الاستفهام، فالقراءاتُ أربعٌ سبعيَّاتٌ[(٢)].

قوله: (﴿وَلَهُۥٓ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾) فإنَّ العبدَ إذا عمل الحسنة.. يُضاعف له في الجزاء من عشرٍ إلى سبع مئةٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ، على حسَب إخلاصه في العمل، ويُعطى فوق ذلك أجراً كريماً وهو رضا الله ورؤية وَجهه، حقَّقَنا الله بذلك[(٣)].

---

(١) انظر «شرح الحكم» لِلعلامة الشرنوبي (ص٩٨).

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم بنصب الفاء بعد العين، والباقون بالرفع، وقرأ ابن كثير وابن عامر بغير ألف بعد الضاد وتشديد العين، والباقون بألف بعد الضاد وتخفيف العين. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٠٥).

(٣) وقع في بعض النسخ المطبوعة بعد قوله (أجر كريم): (ظاهر المفسِّر: أنَّ العبد إذا عمل الحسنة، تضاعف له إلى سبع مئة، ويعطى فوق ذلك أجراً كريماً، لا يَعلم قدره إلا الله تعالى، ولكن الذي يظهر: أن الأجر الكريم يَحصل له =

يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم ....

رِضاً وإقبالٌ.

﴿١٢﴾ اذكُـر ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: أمـامَـهُـم ﴿وَ﴾ يَـكُـون ﴿بِأَيۡمَٰنِهِم﴾ ويُقالُ لَهُم: ....

حاشية الصاوي

قوله: (رضاً وإقبال) فاعل (مقترن)، والمعنى: أنه يُعْطَى ثوابَ أعماله مع الرضا والإقبالِ عليه من الله تعالى؛ كما قال: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: ٧٢].

قوله: (اذكر ﴿يَوۡمَ تَرَى﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿يَوۡمَ﴾ ظرفٌ لمحذوفٍ، وهو أحدُ أوجهٍ، أو ظرفٌ لـ﴿أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾، والمعنى: لهم أجرٌ كريم في ذلك اليوم، أو ظرفٌ لـ﴿يَسۡعَىٰ﴾، والمعنى: يَسعى نور المؤمنين والمؤمنات يومَ تَراهم.

قوله: (﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾) الجملة حاليَّة؛ لأنَّ الرؤية بصريَّة، وهذا إذا لم يُجعل عاملاً في ﴿يَوۡمَ﴾.

قوله: (﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾) أي: على الصراط.

قوله: (﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيۡمَٰنِهِم﴾) قدَّر (يكون)؛ دفعاً لِما قد يُتوهَّم من تسليط ﴿يَسۡعَىٰ﴾ عليه: أنه يكون النور في جهاته بعيداً عنه.

والمراد بالأَيْمانِ: جميعُ الجهات، فعبَّر بالبعض عن الكل، قال عبد الله بن مسعود: (يُؤتَون نُورهم على قَدْرِ أعمالهم؛ فمنهم من يُؤتى نوراً كالنخلة، ومنهم من يُؤتى نوره كالرَّجل القائم، وأدناهم نُوراً مَن نوره على إبهامه، فيُطْفِئُ مرةً، ويتَّقد أخرى)[1]، وقال قتادة: وذكر لنا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مِن المؤمنين مَنْ يضيء نُوره إلى عدَن وصنعاء ودون ذلك، حتى إنَّ من المؤمنين مَنْ لا يضيء نورُهُ إلا مَوضعَ قدمِهِ»[2].

قوله: (ويُقال لهم) أي: تقول الملائكة الذين يَتلقَّونهم: ﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ أي: بشارتكم العظيمة في جميع ما يَستقبِلكم إلى غير نهاية.

= في نظير العمل المضاعف، وذلك أن المضاعفة تُكتب للعبد في الدنيا، وتُوزن له يوم القيامة، ويَستوفي أجرها الكريم في الجنة) بدل ما أثبت في الأصل، وقد شطب عليها في (أ)، وصُحّح ما أثبت.

(١) رواه الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٤٧٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٨).

بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ ....

﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ﴾ أي: دُخُولُها ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا﴾: أَبصِرُونا، ـ وفي قِراءة بِفَتحِ الهَمزة وكَسرِ الظَّاء: أمهِلُونا ـ ﴿نَقۡتَبِسۡ﴾: نَأخُذِ القَبَس والإضاءةَ ﴿مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ﴾ لَهم استِهزاءً بِهِم: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ فرَجَعُوا ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم﴾ وبينَ المُؤمِنِين ﴿بِسُورٖ﴾ قِيل: هو سُورُ الأعرافِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: دخولها) أي: أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿جَنَّٰتٞ﴾ خبر ﴿بُشۡرَىٰكُمُ﴾ على حذف مضاف.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾) أي: الجنَّةُ وما فيها من النَّعيم المقيم.

قوله: (﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾) بدلٌ من ﴿يَوۡمَ تَرَى﴾.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1]، ثمَّ يحتمل أنَّ القراءة الأولى بمعنى هذه؛ لأنه يُقال: (نظره) بمعنى (انتظره)؛ وذلك لأنه يُسرع بالمؤمنين الخالصين إلى الجنَّة على نُجُبٍ، فيقول المنافقونَ: انتَظرونا؛ لأنا مُشاة لا نستطيع لحوقكم، ويحتمل أن يكون مِن: (النظر)، وهو الإبصار كما قال المفسِّر؛ وذلك لأنهم إذا نظرُوا إليهم.. استقبلوهم بِوُجوههم، فيضيء لهم المكان.

قوله: (أمهِلونا) أي: تمهَّلُوا لنا؛ لنُدْرِكَكُم.

قوله: (﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾) أي: إلى الموقف، أو الدنيا، أو المعنى: ارجعُوا خائبِين لا سَبِيل لكم إلى نُورنا، وهذا استهزاءٌ بهم؛ وذلك لأنهم لا يَستطيعون الرجوع إلى الموقف، ولا إلى الدنيا.

قوله: (﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ﴾) الفعل مبنيٌّ لِلمجهول و﴿بِسُورٖ﴾ نائب فاعل، والباء: زائدة.

قوله: (قيل: هو سُورُ الأعراف) وقيل: حائطٌ يُضرب بين الجنَّة والنَّار موصوف بما ذكر، وقيل: هو كنايةٌ عن حَجْبِهم عن النُّور الذي يُعْطَاهُ المؤمنون.

---

(١) قرأ حمزة: بقطع الهمزة في الوصل وكسر الظاء، والباقون بوصل الهمزة ورفع الظاء. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٠٦).

لَهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ ....

﴿لَهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ مِن جِهةِ المُؤمِنِين ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ مِن جِهةِ المُنافِقِين ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾.

(﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾) ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ﴾ على الطَّاعةِ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ بِالنِّفاقِ، ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ بِالمُؤمِنِين الدَّوائرَ، ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: شَكَكتُم في دِين الإسلامِ، ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾: الأطماعُ ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: المَوتُ ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾: الشَّيطان. ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَهُۥ بَابُۢ﴾) الجملة صفة لـ(سُور)، وقوله: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾: صفة ثانية له أيضاً، ويجوز أن تكون في مَوضع رفع صفة لـ﴿بَابُۢ﴾، وهو أولى؛ لِقربه.

قوله: (﴿يُنَادُونَهُمۡ﴾) الجملة مستأنفةٌ، والمعنى: يُنادي المنافقون المؤمنين: ألم نَكن معكم نُصلي كما تُصلون، ونُطيع كما تطيعون؟

قوله: (﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾) أي: كنتُم معنا في الظاهر.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾) أي: أهلَكتموها.

قوله: (بالنفاق) أي: والمعاصي والشَّهوات.

قوله: (الدوائرَ) أي: الحوادثَ.

قوله: (﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾) قرئ في السَّبع بإسقاط الهمزة الأُولى مع المدِّ والقصر، وتسهيل الثانية مع تحقيق الأولى، وبتَحقيقهما، فالقراءات أربعُ سبعيَّات[1].

قوله: (﴿ٱلۡغَرُورُ﴾) بفتح الغين هو: الشيطان؛ كما قال المفسِّر، وقرئ بالضمِّ شذوذاً، وهو مَصدر بمعنى: الاغترار بالباطل[2].

(١) قرأ قالون وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى مع المدِّ والقصر، وقرأ وَرش وقُنبل بتسهيل الثانية، وأيضاً لهما إبدالها، والباقون بتحقيقهما. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٠٧).

(٢) وهي قراءة سماك بن حرب. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٤٦).

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٥ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ ....﴾

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ - بالياء والتّاء - ﴿مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: أولَى بِكُم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هيَ.

﴿١٦﴾ ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: يَحِن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ نزَلَت في شَأنِ الصَّحابة لَمَّا أكثَرُوا المُزاح ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٱلْيَوْمَ﴾) الظرف متعلّق بـ﴿يُؤْخَذُ﴾.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) عطف الكافرين على المنافقين؛ لِتَغايرهم في الظاهر.

قوله: (﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾) يجوز أن يكون مصدراً؛ أي: وِلايتكم؛ أي: ذاتُ وِلايتكم، وأن يكون مكاناً؛ أي: مكانُ وِلايتكم، وأن يكون بمعنى (أولى) أي: هي أولى بكم، وهو الذي اقتصر عليه المفسِّر، ويصح أن يكون بمعنى (ناصركم) أي: لا ناصرَ لكم إلا النَّار، وهو تهكُّمٌ بهم.

قوله: (﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ . . . إلخ) العامَّةُ على سكون الهمزة، وكسر النون مضارع (أنى، يَأني) كـ(رمَى يَرمي)، مجزوم بحذف حرف العِلة، والمعنى: ألم يأنِ أوانُ الخشوع أو الخضوع لِقلوب الذين آمنُوا، وحينئذٍ: فالذي ينبغي لهم الإقبالُ على شأنهم، وتركُهُم ما لا يَعنيهم، وقرئ شذوذاً بكسر الهمزة، وسكونِ النون مضارع (آنَ) كـ(باع)، فلمَّا جزم سكن وحُذفت عينه؛ لالتقاء الساكنين[2].

إذا علمتَ ذلك. . فقول المفسِّر: (يَحِنْ) حلُّ معنًى لا حلُّ إعراب، وإلا. . فهو يُناسب القراءة الشاذة؛ لأنه من: (حانَ يَحين) كـ(باع يبيع)، فهو مجزوم بالسكون، ومعنى (حان): قَرُبَ وقتُه.

قوله: (﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾) «أنْ» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر، فاعل ﴿يَأْنِ﴾ أي: ألم يَقرب خُشوع قلوبهم؟

قوله: (لما أكثرُوا المزاح) أي: بسبب لِين العيش الذي أصابُوه في المدينة؛ وذلك لأنهم لما

---

(١) قرأ ابن عامر: (تؤخذ) بالتأنيث؛ لِلفظ الفدية، والباقون بالياء من تحت؛ لأنَّ التأنيث مجازي وللفصل. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٤٦).

(٢) وهي قراءة الحسن. انظر المرجع السابق.

مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ....

ـ بالتَّشدِيد والتَّخفِيف ـ ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القُرآنِ، ﴿وَلَا يَكُونُوا۟﴾ ـ مَعطُوف على ﴿تَخْشَعَ﴾ ـ ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ هُم اليَهُود والنَّصارَى، ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾: الزَّمَنُ بَينَهم وبينَ أنبيائِهِم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: لَم تَلِن لِذِكرِ الله، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قدمُوا المدينة.. أصابُوا من لين العيش ورَفاهيته، ففتَرُوا عن بعض ما كانُوا عليه، فعُوتبُوا على ذلك[١]، وهذا محمولٌ على فِرقة قليلة، فرحُوا بمظاهر الدنيا، فحصَل منهم المزاح والهزل، فعُوتبُوا عليه، وأمَّا غالبهم كأبي بكر وأضرابِهِ.. فمَقامهم يجلُّ عن ذلك.

قوله: (بالتخفيف) أي: وضمير ﴿نَزَلَ﴾ عائد على القرآن، وقوله: (والتشديد) أي: والضمير عائدٌ على الله تعالى، والعائد محذوفٌ، تقديره: نزَّله، والقراءتان سبعيَّتان[٢]، وقوله: ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ بيان لـ(ما).

قوله: (معطوف على ﴿تَخْشَعَ﴾) أي: و(لا): نافية، ويصحُّ أن تكون (لا) ناهِية، فيكون انتقالاً إلى نهيهم عن التَّشبه بمن تقدَّمهم؛ فإنَّ الدوامَ على المزاح ربَّما أدَّى لذلك.

قوله: (﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾) «أل» فيه: لِلجنس الصادق بالتوراة والإنجيل.

قوله: (﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾) قرأ العامَّة بتخفيف دال ﴿ٱلْأَمَدُ﴾، ومعناه: الزمن، وقرأ غيرهم بتشديدها، وهو الزَّمن الطويل[٣].

قوله: (لم تَلِنْ لذكر الله) أي: لم تَخضَعْ ولم تذلَّ.

قوله: (﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾) أي: خارجُون عن طاعة الله وطاعة نبيِّهم، والقليلُ متمسِّكٌ بشرع

---

(١) روى ابن أبي شيبة في «مُصنفه» (٣٥٧١٥) عن عبد العزيز بن أبي رواد: أنَّ أصحاب النبي ﷺ ظهَر فيهم المزاح والضحك، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

(٢) قرأ نافع وحفص: (نزل) مخففاً مبنيًّا للفاعل، وباقي السبعة كذلك إلا أنه مُشدد، والجحدري وأبو جعفر والأعمش وأبو عمرو في رواية: (نُزِّلَ) مشدداً مبنيًّا للمفعول، وعبد الله: (أَنزل) مبنيًّا للفاعل وهو الله تعالى. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٤٧).

(٣) وهي قراءة ابن كثير في رواية عنه. انظر المرجع السابق.

اَعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ....

﴿١٧﴾ ﴿اَعْلَمُوٓا﴾ - خِطابٌ لِلمُؤمِنِين المَذكُورِين - ﴿أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بِالنَّباتِ، فكذلكَ يَفعَلُ بِقُلُوبِكُم يَرُدُّها إلى الخُشُوع، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَٰتِ﴾ الدَّالة على قُدرَتِنا بِهذا وغيرِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ﴾ - مِن التَّصدُّق، أُدغِمَت التَّاء في الصَّاد - أي: الذِينَ تَصدَّقُوا ﴿وَالْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ اللَّاتِي تَصدَّقنَ، - وفي قِراءة بِتَخفِيفِ الصَّاد فِيهِما مِن التَّصدِيق: الإيمانِ - ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ راجِعٌ إلى الذُّكُور والإناث بِالتَّغلِيبِ، - وعَطَفَ الفِعل على الاسم في صِلةِ (أل) لِأنَّهُ فِيها حلَّ مَحلّ الفِعل، ....

حاشية الصاوي

نبيِّه، وهذا الإخبارُ عنهم قبل ظُهُوره ﷺ، وأمَّا بعد ظهوره.. فكلُّ من لم يُؤمن به فهو فاسقٌ خارجٌ عن طاعة الله تعالى.

قوله: (خطاب لِلمؤمنين المذكورين) أي: الذين عُوتبُوا في شأن المزاح، كأنَّ الله تعالى يقول لهم: يا عبادِي؛ لا تَقنطُوا من رحمتي؛ فإنَّ شأني إحياءُ الأرض الميتة بالنبات، فكذلك إذا حصَل منكم الإنابةُ والرجوعُ أحيَيْتُ قُلوبكم بالذكر والفكر، فأنبتت العلومَ والمعارفَ.

قوله: (بهذا) أي: كونه يُحيي الأرض بعد موتها، وقوله: (وغيره) أي: من الأُمور العجيبة الدَّالَّة على باهِر قدرته تعالى.

قوله: (أدغمت التاء في الصاد) أي: بعد قلبها صاداً.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (راجع إلى الذكور والإناث) أي: فهو معطوفٌ على مجموع الفعلَين، لا على الأول فقط؛ لِما يَلزم عليه من العطف على الصِّلة قبل تمامها.

قوله: (في صلة «أل») الجملة نعت لـ(الاسم) أي: الاسم الكائن في صِلة (أل)، وقوله: (لأنَّه فيها) مُتعلق بـ(حلَّ)، وهذا مِن قَبيل قول ابن مالك: [الرجز]

---

(١) خفف الصَّاد ابن كثير وأبو بكر، وثقَّلها باقي السبعة. انظر المرجع السابق.

يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا ....

وذِكرُ القَرض بِوَصفِه بَعد التَّصَدُّق تَقيِيد لَه - ﴿يُضَٰعَفُ﴾ - وفي قِراءة: (يُضَعَّف) بِالتَّشدِيد - أي: قَرضُهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾: المُبالِغُون في التَّصدِيق ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ على المُكذِّبين مِن الأُمَم، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾

حاشية الصاوي

واعطِف على اسمٍ شِبْهِ فعلٍ فِعلَا

... إلخ[١].

قوله: (وذكر القرض... إلخ) جوابٌ عمَّا يُقال: إن قوله: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ﴾ على قراءة التشديد يُغني عنه؛ لأنَّ المراد بالقرض: الصدقةُ، فأجابَ: بأنه ذكَره تَوطئةً لوصفه بالحُسن، فقوله: (تقييدٌ له) أي: للتَّصدق بوصف القَرض، وهو الحسَن.

قوله: (﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾) أي: يُجازَون على الحسنة بعشرة إلى سبع مئة... إلى غير ذلك.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[٢].

قوله: (﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾) أي: فوق عَملِهم المضاعفِ.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) مُبتدأ أول، و﴿أُولَٰئِكَ﴾: مُبتدأ ثان، و﴿هُمُ﴾: إمَّا ضمير فصل، أو مبتدأ ثالث، و﴿الصِّدِّيقُونَ﴾: خبر الثالث، وهو وخبرُه: خبر الثاني، وهو وخبره: خبر الأول.

قوله: (﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾) أي: الموصوفُون بالإيمان بالله ورسله، والمرادُ: بالإيمان الكامل، وإلَّا.. فمُجرَّد الإيمان لا يسمَّى الشَّخصُ به صدِّيقاً؛ لأنَّ الصِّدِّيقيَّة مَرتبةٌ تحت مَرتبة النبوَّة.

قوله: (﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾) يحتمل أن يكون معطوفاً على ما قبله؛ فالوقفُ تامٌّ على قَوله: (الشهداء)، ويكون أخبرَ عن الذين آمنُوا بأنهم صِدِّيقون شُهداء، وقوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ظرف مُتعلِّق بقوله بعد: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، ويحتمل أن يكون مبتدأً، وخبرُه إمَّا الظرف بعده، أو جملة ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾.

---

(١) تمامه كما في «الخُلاصة»، باب (عطف النسَق):

وعَكساً استَعمِلْ تَجِدْهُ سَهْلَا

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بحذف الألف وتشديد العين، والباقون بإثباتِ الألف وتخفيف العين، ولا خلافَ بينهم في رفع الفاء. انظر «البدور الزاهرة» (ص٣١٤).

أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ ....

الدَّالَّةِ على وَحدانِيَّتِنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: النَّار.

﴿٢٠﴾ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾: تَزيِين ﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ أي: الاشتِغالُ فِيها، وأمَّا الطَّاعاتُ وما يُعِين علَيها فمِن أُمُورِ الآخِرة،

حاشية الصاوي

قوله: (النار) أي: فمُراده بـ﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾: دارُ العذاب، لا خُصوصُ الطبَقة المسمَّاة بالجحيم.

قوله: (﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ﴾... إلخ) لَما ذكر الآخرة وأحوال الخَلق فيها.. شَرع يُزهِّدهم في الدنيا؛ لأنها قليلة النفع، سريعةُ الزوال.

قوله: (﴿لَعِبٞ﴾) أي: يَتْعِبُ الناسُ فيها أنفسَهم جدًّا؛ كإتعاب الصبيانِ أنفسَهم في اللعب مِن غير فائدة.

قوله: (﴿وَلَهۡوٞ﴾) أي: مُشغِلٌ عن الآخرة.

قوله: (﴿وَزِينَةٞ﴾) أي: ما يُتزيَّن به من اللباس والحُلي وغيرهما.

قوله: (﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ﴾) أي: مُفاخَرة حاصِلة فيما بينكم، والعامَّةُ على تنوين (تفاخر)، وقرئ شذوذاً بإضافته إلى الظرف بعدها[١].

قوله: (أي: الاشتغالُ فيها) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ مبتدأٌ على حذف مضاف، والتقديرُ: إنما الاشتِغال بالحياة الدنيا لعبٌ... إلخ؛ فالشغل بها دائرٌ بين هذه الأمور الخَمسة، قال عليٌّ كرَّم الله وجهه لِعمَّار بن ياسر: (لا تحزَن على الدنيا؛ فإنَّ الدنيا ستَّة أشياء: مأكول، ومَشروب، وملبوس، ومَشموم، ومركوب، ومنكوح؛ فأحسَن طعامها العسلُ، وهو بَزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء، وهو يَستوي فيه جميع الحيوان، وأفضَل ملبوسها الديباج، وهو نَسج دودة، وأفضل مَشمومها المسك، وهو دم فَأرة، وأفضل المركوب الفرس، وعليها تُقتل الرجال، وأمَّا المنكوح.. فهو النساء، وهُنَّ مَبالٌ في مَبالٍ)[٢].

---

(١) وهي قراءة السلمي. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٥٠).

(٢) ذكره الراغب الأصفهاني في «الذريعة» (ص٢١٨)، والقُرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٥).

كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ ....

﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هي في إعجابِها لَكُم واضمِحلالِها كمَثَلِ ﴿غَيْثٍ﴾: مَطَر ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾: الزُّرَّاعَ ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ النَّاشِئ عنهُ، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يَيبَسُ ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾: فُتاتاً يَضمَحِلُّ بِالرِّياح، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لِمَن آثَر علَيها الدُّنيا، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لِمَن لَم يُؤثِر علَيها الدُّنيا، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾: ما التَّمتُّعُ فيها ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾) يحتمل أن يكون خبراً سادساً لـ(أنَّ)، ويَحتمل أن يكون خبراً لمحذوف، وعليه اقتَصر المفسِّر، و(المثَلُ) بمعنى: (الصفة)، والمعنى: صِفتُها كصفة غيث... إلخ.

قوله: (مطرٍ) أي: حصَل بعد جَدْبٍ ويأسٍ.

قوله: (الزُّراع) إنما سُمُّوا كفاراً؛ لأنهم يَسترون الأرض بالزرع بسَبب الحرث والبذر؛ كما سُمِّي مَنْ ستر الإيمان بالطغيان والجحد كافراً، ويصحُّ أن يبقى (الكفار) على حَقيقته؛ وذلك لأنَّ الكفار يفتخرون ويُعجبون في السَّراء، ويسخطون في الضرَّاء، فإذا كانُوا زُرَّاعاً.. افتخرُوا بالزرع إذا ظهر، وسَخطُوا إذا ضاع، فصفة الدنيا كصفة كفَّارٍ زرَّاعٍ تعبُوا في الأرض وحرثُوها وبذَروها، فظهر زرعها، ففرحُوا به فرَحَ بطرٍ وخيلاء، ثمَّ يجفُّ بعد خُضرته ونضارته، فتراه مُصفرًّا، ثمَّ يكون حُطاماً، وعبارة المفسِّر محتملة لِلمعنين؛ لأنَّ قوله: (الزراع) يحتمل أن يكون تفسيراً لـ(الكفار)، أو صفةً لهم.

قوله: (يَيْبَسُ) تفسيرٌ لـ﴿يَهِيجُ﴾، والحاملُ له على ذلك تفريعُ قوله: ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ عليه، وإلَّا.. فـ(يهيج) مَعناه في اللغة: يطول جدًّا.

قوله: (﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾) لَما ذكر أحوال الدنيا الزائلة.. ذَكر ما يكون عقب زوالها، وقسَّمه إلى قسمَين: عذابٌ شديدٌ، ومغفرةٌ ورضوانٌ، وفي الآية بشارة عظيمة؛ حيث قابل العذاب بشيئَين: المغفرة، والرِّضوان، فهو من باب: (لن يَغلبَ عسرٌ يُسرَين)[١].

قوله: (ما التَّمتُّع فيها) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ مبتدأ على حذف مضافٍ.

(١) من كلام سيدنا عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه؛ كما رَواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٤٦٦).

﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١﴾ ....

﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

٢١ ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لو وُصِلَت إحداهُما بالأُخرَى، والعَرضُ السّعة، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾) هو بالضمِّ: ما اغترَّ به الشَّخص مِن مَتاع الدنيا.

قوله: (﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾) أي: سارِعُوا مُسارعة المتسابقِين إلى ما يُوجب المغفرة، وهي التوبة من الذنوب، وإلى ما يُوجب الجنَّة، وهو فِعل الطاعات.

قوله: (﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أي: إنَّ السماواتِ السَّبعَ والأرضين السبعَ؛ لو جُعلت صفائح وأُلزق بعضُها إلى بعضٍ.. لكان عرض الجنَّة في عرضِ جميعها. قال ابن عباس: يريد أنَّ لكلِّ واحدٍ من المطيعِين جنَّةً بهذه السَّعة، وقيل: إنَّ ذلك تمثيلٌ للعباد بما يَعقلونه ويعرفونه، وأكثر ما يقع في نُفوسِهم مِقدار السماوات والأرض، فشبَّه عرض الجنة بما تَعرفه الناس.

رُوي: أنَّ جماعة من اليهود سألُوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالُوا له: إذا كانت الجنة عَرضها ذلك.. فأين النار؟ فقال لهم: أرأيتُم إذا جاء الليل؛ أين يكون النهار؟ وإذا جاء النهار؛ أين يكون الليل، فقالُوا: إنَّه لَمَثَلُها في التوراة[1].

قوله: (والعرض: السَّعة) جوابٌ عمَّا يُقال: إنه ذكر العَرض ولم يَذكر الطول، فأجاب المفسِّر: بأنه لم يُرِدْ بالعرض ما قابَل الطول، بل أراد به السَّعة، وأُجيب أيضاً: بأنه ترك ذكر الطول؛ تعظيماً لشأنها؛ لأنه إذا كان هذا شأنَ العرضِ.. فالطولُ أعظَمُ؛ لأنَّ العرض أَقلُّ من الطول.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾) أي: الموعودُ به من المغفرة والجنَّة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢١١)، ومعناه: أنه حيث يشاء الله، وقد روى مثلَه مرفوعاً الإمامُ أحمد في «المسند» (٤/ ٧٥) في حديث رسول قَيصر إلى رسول الله ﷺ.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا ....

﴿٢٢﴾ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِالجَدبِ ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ كالمَرَض وفَقدِ الوَلَد ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ يَعنِي اللَّوحَ المَحفُوظ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾: نَخلُقَها، ويُقالُ في النِّعمة كذلك، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿لِّكَيْلَا﴾ ـ (كَي) ناصِبة لِلفعلِ بِمَعنى (أنْ) ـ أي: أخبَرَ تَعالى بِذلك لِئلَّا

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن مُّصِيبَةٍ﴾) ﴿مِن﴾: زائدة في فاعِل ﴿أَصَابَ﴾، وعُهِدَ زيادتُها حيث وقَعت في جملةٍ مَنفيَّةٍ ومجرورها نكرةٌ.

قوله: (﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾) يَصِحُّ أن يكون متعلقاً بـ﴿أَصَابَ﴾، أو بمحذوف صِفة لـ﴿مُّصِيبَةٍ﴾، أو بنفس ﴿مُّصِيبَةٍ﴾.

قوله: (بالجدب) أي: وغيره كالعاهةِ والزَّلزلة.

قوله: (﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾) حال من ﴿مُّصِيبَةٍ﴾؛ لِتَخصُّصها بالوصف، والمعنى: إلا مكتوبةً في كتاب.

قوله: (﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾) الضمير عائدٌ على المصيبة.

قوله: (ويُقال في النعمة كذلك) أي: ما حصَل لِلخلق نعمةٌ في الأرض كالمطر، ولا في أنفُسِهم كالصحة والولد إلا مكتوبةً في اللوح المحفُوظ مِن قبل أن يخلقها الله، وأشار المفسِّر بهذه العبارة إلى أنَّ في الآية حذفَ الواو مع ما عطَفت؛ بدليل التعليل الآتي في قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

ويصحُّ أن يُراد بالمصيبة جميعُ الحوادث من خيرٍ وشرٍّ، وعلى ما مشى عليه المفسِّر من أنَّ المراد بالمصيبة: الشَّرُّ، فخصَّها بالذكر؛ لأنها أهَمُّ على البشر.

قوله: (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾) أي: سهلٌ لا مشقَّة فيه ولا تعبَ، بل هو بقول: (كن).

قوله: («كي» ناصبة للفعل) أي: بِنَفسها؛ لدخول اللام عليها؛ ولذا قال: (بمعنى «أن»).

قوله: (أي: أخبر تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ اللام حرف جرٍّ، متعلِّقة بمحذوف.

تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ......

﴿تَأْسَوْا﴾: تَحزَنُوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرَحَ بَطَر بَل فرَحَ شُكرٍ على النِّعمة ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ـ بِالمدِّ: أعطاكُم، وبِالقَصرِ: جاءَكُم مِنهُ ـ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: مُتكبِّر بِما أُوتِي، ﴿فَخُورٍ﴾ بِه على النَّاس.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تَأْسَوْا﴾) مضارع منصوب بحذف النون، والواو فاعل، وأصلُه: (تَأْسَيُونَ) تحرَّكت الياء، وانفتح ما قبلها، قُلبت ألفاً، فصار (تَأساوْن)، فالتقى ساكنان: الألف، والواو التي هي الفاعل، حُذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار وزنه (تَعْفَوْنَ)، ومصدره: (أَسًى)، وفعله: (أَسِيَ) كـ: (جَوِيَ جوًى)، فقولُ بعض النحاة: (والتقدير: لأجلِ عدم إساءتكم)[1] صوابُهُ: (أساكُم)؛ لأنَّ مصدره (أَسًى)، لا (إساءة).

قوله: (تَحزنوا) أي: حُزناً يُوجب القنوط، وإلا.. فالحزن الطبيعي لا يَنفكُّ عنه الإنسان؛ كالفرح الطبيعي.

قوله: (بل فرح شكرٍ على النِّعمة) أي: فالمنهيُّ عنه الحزنُ الموجبُ للجزع والقُنوط، والفرحُ الموجبُ للبطَر والشَّره وعدم شكر النعمة، وأمَّا الفرح والحزن الطبيعيَّان.. فلا محيصَ للشخص عنهما، ولكن يُسلِّم أمره لله، ويَرجع في جميع أموره لمالكه وسيِّده، فالمقصود من هذه الآية: بيانُ أنَّ الخير والشَّرَّ بيد الله، مقدَّرٌ كلٌّ منهما في الأزل، يجب الرضا به.

قوله: (﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾) أي: لأنَّه مقدَّرٌ لكم.

قوله: (وبالقصر) هما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (جاءكم منه) أي: من الله.

قوله: (﴿كُلَّ مُخْتَالٍ﴾) أي: مُعجبٍ بِنِعم الله عليه.

قوله: (بما أوتي) أي: من النِّعم.

قوله: (﴿فَخُورٍ﴾ به على النَّاسِ) أي: كثيرِ الفخر بما أُعطِيَهُ من النِّعم على الناس.

---

(١) انظر «شرح الأزهرية» (ص٤٦).

(٢) قرأ أبو عمرو: (بما أتاكم) مقصوراً من: الإتيان، وباقي السبعة: (آتاكم) مَمدوداً من: الإيتاء. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٥٢).

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٤ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا ....

(٢٤) ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بما يَجب علَيهِم ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ بِه لَهُم وعِيد شَدِيد، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عمَّا يَجب علَيهِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ ـ ضَمِير فَصل، وفي قِراءة بِسُقُوطِه ـ ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن غَيرِه، ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ لِأولِيائِه.

(٢٥) ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾) مبتدأ، خبره محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (لهم وعيد شديد)، ويصحُّ أن يكون خبراً لمحذوف، تقديره: هم الذين يَبخلون، أو بدل من قوله: ﴿كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾[1].

قوله: (بما يجب عليهم) أي: من المال؛ كزكاةٍ وكفارةٍ، ومن تعليم العِلم ونشره، ومن بيان صفة النبي ﷺ التي هي في الكُتب القديمة.

قوله: (﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾) أي: مَنْ يَعرفونه.

قوله: (﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾) أي: يُعرض، و(مَن): شرطيَّة، وجوابها محذوفٌ، تقديره: فالوبال عليه.

قوله: (وفي قراءةٍ بإسقاطه) أي: وهي سبعيَّة أيضاً، وهي تُعَيِّنُ أنه ضمير فصل؛ إذ لو صحَّ أن يجعل ضميراً منفصلاً.. لَما حسُن إسقاطه من غير دليلٍ؛ لأنه عمدة[2].

قوله: (﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾) أي: المستغني عمَّا سِواه.

قوله: (﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ لأوليائه) أي: المُثْني عليهم بالإحسان، المنعِمُ عليهم بجزيل الإنعام.

قوله: (﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾) اللام: مُوطئة لقسم محذوف[3]؛ أي: والله لقد أرسلنا... إلخ.

---

(١) وعليه اقتصر في «الكشاف» (٤/ ٤٧٧)، كأنه قال: لا يحبُّ الذين يَبخلون، يريد الذين يَفرحون الفرح المُطغي إذا رُزِقُوا مالاً وحظًّا من الدنيا، فلِحبهم له وعزَّته عندهم يَزوونه عن حقوق الله، ويبخلون به، ولا يَكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل، ويُرغبوهم في الإمساك، ويُزينوه لهم، وذلك كله نتيجة فرحهم به، وبطَرهم عند إصابته.

(٢) قرأ نافع وابن عامر: (فإن الله الغني) بإسقاط (هو)، وهو ساقطٌ في مصاحف المدينة والشام، والباقون بإثباته، وهو ثابتٌ في مصاحفهم؛ فقد وافق كلٌّ مُصحفه. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٥٢).

(٣) اللام واقعة في جواب قسم؛ كما قدَّره المصنف رحمه الله تعالى.

بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ ....

الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحُجَج القواطِع، ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكُتُب، ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: العَدلَ؛ ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾: أخرَجناهُ مِن المَعادِن،

حاشية الصاوي

قوله: (الملائكة إلى الأنبياء) تَبع في ذلك الزمخشريَّ[1]، ولم يَسبِقْهُ إليه أحدٌ، والحامل له على ذلك التفسيرِ تصحيحُ المعيَّة في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ لأنَّ الكُتب إنما تنزل مع الملائكة، والمناسبُ أن يُفسِّرَ الرسل بالبشر كما عليه الجمهور؛ لأنه لم ينزل بالكتب والأحكام على الرسل إلا جبريل فقط، وحينئذٍ: فقوله: ﴿مَعَهُمُ﴾ ظرفٌ متعلِّق بمحذوف حال مُنتظرة، والتقدير: وأنزلنا الكتاب حالَ كونه آيلاً وصائراً لأَنْ يكون منهم إذا وَصل إليهم، أو (مع) بمعنى (إلى).

قوله: (العدل) أي: فليس المراد بـ(الميزان) حقيقتَهُ فقط، بل ما يَشمله وغيرَهُ، والمراد بالعدل: التوسُّط في الأمور؛ فلا يَحصل منهم تفريطٌ ولا إفراطٌ.

قوله: (﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾) عِلَّةٌ لإرسال الرسل وإنزالِ الكتاب والميزان.

قوله: (أخرجناه من المَعادن) هذا أحدُ قولين في تفسير الإنزال، والآخر إبقاؤه على حقيقته؛ لِما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من حديد ـ وروي: من آلة الحدَّادين ـ السِّنْدَالُ والكَلْبَتانِ والمِيقَعةُ والمِطرَقة والإبرة)[2]، ورُوي: (ومعه المِبرَد والمِسحاة)[3]، ورُوي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله تعالى أربع بركات من السماء: الحديد، والنار، والماء، والمِلح»[4]، وعن ابن عباس أيضاً قال: (أنزل الله ثلاثة أشياء مع آدم: الحجر الأسود، وعصَا موسى، والحديد) انتهى[5].

والسندال: بكسر السين وفتحها، والكَلبتان: آلة يُؤخذ فيها الحديد المحمَّى، والميقعة: المبرد.

---

(١) انظر «الكشاف» (٤/ ٤٧٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٠١)، وفيه: (السندان) بدل (السندال)، وليس فيه ذكر الإبرة.

(٣) انظر «السراج المنير» (٤/ ٢١٤).

(٤) رواه الديلمي في «الفردوس» (٦٥٦).

(٥) أورده الماوَردي في «تفسيره» (٥/ ٤٨٣).

فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ....

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يُقاتَلُ به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ عِلمَ مُشاهَدةٍ ـ معطوف على ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ﴾ ـ ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ بأن يَنصُرَ دِينه بِآلاتِ الحَرب مِن الحَدِيد وغَيرِه ﴿وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ ـ حال مِن هاء ﴿يَنصُرُهُۥ﴾ ـ أي: غائباً عنهم في الدُّنيا، قال ابن عبَّاس: يَنصُرُونَه ولا يُبصِرُونه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ لا حاجة لَه إلى النُّصرة لَكِنَّها تنفع مَن يَأتي بِها.

﴿٢٦﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾) الجملة حاليَّة من ﴿ٱلْحَدِيدَ﴾.

قوله: (يُقاتل به) أي: فمِنه التُّرس، ومنه السلاح، ونحو ذلك.

قوله: (﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾) أي: فما مِن صنعةٍ إلا والحديدُ له دخلٌ في آلتها.

قوله: (عِلمَ مُشاهدة) أي: لِلخلق، والمعنى: ليظهر مُتعلَّق علمه لعباده، فاندفع ما يقال: إنَّ هذا التعليلَ يُوهم حدوثَ العلم مع أنَّه قديمٌ.

قوله: (معطوف على ﴿لِيَقُومَ﴾) أي: لكن المعطوف عليه عِلَّةٌ للإرسال والإنزال، والمعطوف علَّةٌ لإنزال الحديد، وفي الحقيقة قوله: (ليعلم) علَّةٌ للثلاثة.

قوله: (بآلات الحرب... إلخ) إنما خصَّ النصر بذلك؛ لِكون المقام والسياق يَقتضيه.

قوله: (من هاء ﴿يَنصُرُهُۥ﴾) أي: الواقعة على الله تعالى.

قوله: (غائباً عنهم) أي: مُتحجباً بجلاله وعظمته.

قوله: (ولا يُبْصِرونَهُ) أي: في الدنيا؛ فإنَّ رؤيته تعالى في الدنيا لم تَثبت إلا لرسول الله ﷺ.

قوله: (لا حاجة له إلى النُّصرة) أي: وإنما هو سعادةٌ لمن يَحصل النَّصر على يدَيه، وشقاوةٌ لمن لم يَحصل.

قوله: (لكنها تنفع من يأتي بها) أي: فنفعُ التكاليف عائدٌ على ذوات المكلَّفين، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾... إلخ) معطوف على قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾، وكرَّر القسَمَ؛ إظهاراً لِمزيد الاعتناء والتعظيم، وخصَّ هذين الرسولَين بالذكر؛ لأنَّ جميع الأنبياء من ذُرِّيتهما؛ وذلك لأنَّ نوحاً هو الأب الثاني لجميع البشر، وإبراهيم أبو العرب والرُّوم وبني إسرائيل.

فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً

يَعنِي الكُتُب الأربَعَةَ: التَّوراةَ والإنجيل والزَّبُور والفُرقان؛ فإنَّها في ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ، ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي رَفضُ النِّساء واتِّخاذُ الصَّوامِعِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (يعني: الكتب الأربعة) أشار بذلك إلى أنَّ (أل) في (الكتاب) للجنس، وخصَّ هذه الأربعة؛ لأنها أصول الكتب.

قوله: (والفرقان) في نسخة: (القرآن).

قوله: (﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾) أي: من الذريَّة، أو من المرسَل إليهم.

قوله: (﴿فَسِقُونَ﴾) أي: كافرون؛ بدليل مُقابلته بالمهتدي.

قوله: (﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾) الضمير عائدٌ على نوح وإبراهيم ومَنْ عاصَرهما من الرسل، وليس عائداً على الذرية؛ فإنَّ الرسل المقفَّى بهم من جُملة الذرية، والمعنى: ثمَّ أتبعنا رسولاً بعد رسول حتى انتهينا إلى عيسى عليه السلام.

قوله: (﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى﴾) أي: جعَلناه تابعاً لهم ومتأخراً عنهم في الزمان، وخصَّه بالذكر؛ للرَّدِّ على اليهود المنكرين لِنُبوَّته ورسالته.

قوله: (﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾) أي: من الحواريين وغيرهم.

قوله: (﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾) أي: شدَّةَ لينٍ وشَفقةٍ.

قوله: (﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾) يصح أن يكون بالنصب عطفاً على ﴿رَأْفَةً﴾، وجملة ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ صفة لـ(رهبانية)، و(جعل) إمَّا بمعنَى (خلَق) أو (صيَّر)؛ وذلك لأنَّ الرأفة والرحمة أمرٌ غريزيٌّ، لا كسبَ للإنسان فيه، بخلاف الرهبانيَّة فإنها من أفعال البدَن، وللإنسان فيها تكسُّبٌ، ويصحُّ أن تكون منصوبةً بفعل مُقدَّر يفسِّره الظاهر، فهو من باب الاشتغال.

قوله: (هي رفض النساء... إلخ) أي: المبالغةُ في العبادة والرياضة، والانقطاع عن الناس، والتقشف في المأكل والملبَس والمشرب مع التقليل من ذلك.

ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ ....

﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ مِن قِبَل أنفُسِهِم، ﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾: ما أمَرناهُم بِها، ﴿إِلَّا﴾: لَكِن فعَلُوها ﴿ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ﴾: مَرضاةِ ﴿ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ إذ تَرَكها كَثِير مِنهُم وكَفرُوا بِدِينِ

حاشية الصاوي

روي عن ابن عباس قال: (كانت مُلوك بعد عيسى عليه السلام بدَّلُوا التوراةَ والإنجيلَ، وكان فيهم جماعةٌ مؤمنون، يَقرؤون التوراة والإنجيل، ويدعونهم إلى دين الله، فقيل لِمُلوكهم: لو جمعتم هؤلاء الذين شقُّوا عليكم، فقَتلتموهم أو دخلُوا فيما نحن فيه، فجمَعهم ملكهم وعرَض عليهم القتل أو يتركُوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدَّلُوا منها، فقالوا: ما تُريدون منَّا إلا ذلك؟ دعُونا نحن نكفيكم أنفسَنا، فقالت طائفةٌ منهم: ابنُوا لنا أسطوانةً ثمَّ ارفَعونا فيها، ثمَّ أَعطُونا شيئاً نرفع به طعامَنا وشرابنا؛ فلا نَرِدُ عليكم، وطائفةٌ قالت: دعُونا نسيح في الأرض ونَهيم، ونشرب كما يَشرب الوحش، فإن قدَرْتم علينا في أرضكم.. فاقتُلونا، وقالت طائفة: ابنُوا لنا دُوراً في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونختَرق البقول، ولا نَرِدُ عليكم، ولا نمرُّ بكم، وليس أحدٌ من القبائل إلا وله حَميمٌ فيهم، قال: ففعلُوا ذلك، فمَضى أولئك على منهاج عيسى، وخَلَفَ قومٌ مِنْ بعدهم ممَّن غيَّرُوا الكتاب، فجَعل الرجل يقول: نكون في مكان فلان نتعبَّد فيه كما تعبَّد فلانٌ، ونَسيح كما ساح فلان، ونتَّخذ دُوراً كما اتخذ فلان، وهم على شِركهم لا علمَ لهم بإيمان الذين اقتَدوا بهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ أي: ابتدعها الصالحون، ﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ يعني: الآخَرين الذين جاؤُوا من بعدهم، ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ﴾ يعني: الذين ابتَدعوها ابتغاءَ رضوان الله، ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ هم الذين جاؤُوا من بَعدهم، فلما بعث النبي ﷺ ولم يَبْقَ منهم إلا القليل.. انحَطَّ رجلٌ من صَومَعته، وجاء سائح من سِياحته، وصاحب ديرٍ من ديره، فآمنُوا به وصدَّقوه، فقال تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾... إلخ انتهى[1].

قوله: (﴿إِلَّا﴾ لكن) أشار المفسِّر إلى أنَّ الاستثناء مُنقطع، وإلى هذا ذهب جماعة، وقيل: إنَّ الاستثناء مُتصل من عموم الأحوال، والمعنى: ما كتبناها عليهم لشيءٍ من الأشياء إلا لابتِغاء مرضات الله، ويكون (كتَب) بمعنى (قضى).

قوله: (﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾) أي: ما قامُوا بها حقَّ القيام، بل غَلَوْا في دِينهم غيرَ الحقِّ، وقالُوا بالتثليث، وكفرُوا بِدين عيسى من قبل ظهور محمَّد.

(١) رواه النسائي في «المجتبى» (٨/ ٢٣١)، وفيه: (نحترث البقول) بدل (نختر‌ق البقول).

﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ۝٢٧ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ ....

عِيسى ودَخَلُوا في دِين مَلِكِهِم وبَقِي على دِين عِيسى كَثيرٌ مِنهُم فآمَنُوا بِنَبِيِّنا، ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِهِ ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِعِيسى ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ مُحمَّد ﷺ وعِيسى ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾: نَصِيبَين ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بِهِ) أي: بنبيِّنا، وقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: مِن هؤلاء الذين ابتَدعوها وضيَّعوها.

قوله: (﴿فَـٰسِقُونَ﴾) أي: لم يُؤمنُوا بنبيِّنا، بل دامُوا على الكفرِ والقولِ بالتثليث، واقتدى بهم أمَّةٌ من بعد أمَّةٍ إلى نزول عيسى عليه السلام، فيَمحُوه، وما مشى عليه المفسِّر خلاف ما تُفيده رواية ابن عباس المتقدِّمة؛ فإنَّ مُقتضاها حملُ قوله: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ على مَنْ آمن بعيسى، وقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ على من غيَّر وبدَّل قبل بعثة نبيِّنا، وهم الذين لم يَرعوها حق رعايتها، فتدبَّر.

قوله: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ) لما قدَّم أنَّ أمَّة عيسى بعد رَفعه إلى السماء افترقوا؛ فمنهم مَنْ تمسَّك بالرهبانية الصحيحة وداموا عليها إلى أن ظهَر محمد ﷺ، ومنهم مَنْ غيَّر وبدَّل.. شرَع يبيِّن المطلوبَ منهم بعد ظُهوره ﷺ.

قوله: (آمنُوا بعيسى) هذا أحدُ قولين للمفسِّرين، ويَشهد له سياق الكلام، والثاني: أنَّ الخطاب عامٌّ لكلِّ مَنْ آمن بالرسل المتقدِّمين، فيَشمل المؤمنين بعيسى وبمَنْ قبله من الرسل.

إن قُلت: إنَّ هذا ظاهرٌ فيمن كانت مِلَّتهم صحيحةً، فنُسِخَتْ بملة محمد ﷺ، وأمَّا فيمن نُسِخَتْ ملَّته بملَّة عيسى كاليهود.. فلا يَظهر إثابتُهم على التمسُّك بها.

أجيب: بأنَّ إثابتَهم على تلك الملَّةِ المنسوخةِ من خصائص دخولهم في ملَّة الإسلام؛ ولذلك كان الإسلام يصحِّح أنكحتَهُم الفاسدةَ.

قوله: (﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي: امتثِلُوا أوامرَهُ، واجتنبُوا نواهيَهُ.

قوله: (﴿يُؤْتِكُمْ﴾) أي: يُثِبْكُمْ على اتِّباعه.

قوله: (﴿كِفْلَيْنِ﴾) تَثنية (كِفل)، وهو في الأصل: كساء يُعْقَدُ على ظهر البعير، فيُلْقَى مقدَّمه

مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ....

﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لِإيمانِكُم بِالنَّبِيَّيْنِ، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ على الصِّراطِ، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي: أعلَمَكُم بِذلك لِيَعلَمَ ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التَّوراةِ الذِينَ لَم يُؤمِنُوا بِمُحمَّدٍ ﷺ ....

حاشية الصاوي

على الكاهل، ومُؤخَّره على العَجُزِ، يَحفظ الراكب ويمنعه من السقوط، والمراد هنا: نَصيبان عظيمان من الرحمة، يمنعان الشخص من العذاب كما يمنع الكفل الراكبَ من السقوط، وهذان الكِفلان لا يخصَّان مَنْ ذُكِرَ، بل وردَ في الحديث: «ثلاثة لهم أجران: رجلٌ من أهل الكتاب آمَن بنبيِّه وآمَن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك الذي أدَّى حقَّ مَواليه وحقَّ الله، ورجلٌ كانت عنده أمَة يَطؤها، فأدَّبها وأحسَن تأديبها، وعلَّمها فأحسن تعليمها، ثمَّ أعتقها فتزوَّجها، فلَهُ أجران»[1].

قوله: (لإيمانكم بالنبيِّين) أي: فاستِحقاقهم الكفلين ظاهرٌ؛ لأنهم آمنُوا بعيسى، واستمرُّوا على دينه إلى أن بُعِثَ نبيُّنا ﷺ فآمنُوا به، فكِفْلٌ لإيمانهم بِعيسى، وكِفْلٌ لإيمانهم بنبيِّنا.

قوله: (﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا﴾) قيل: هو القرآن، وقيل: هو الهُدى والسَّبيل الواضح في الدين.

قوله: (﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾) أي: ما سبَق مِن ذنوبكم قبل الإيمان بمحمَّد ﷺ.

قوله: (﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾) سببُ نزولها: أنه لما سمع مَنْ لم يُؤمن من أهل الكتاب هذه الآية، وقولَهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قالُوا لِلمسلمين: أمَّا مَنْ آمن منَّا بِكتابكم.. فلَه أجره مرتين؛ لإيمانه بكتابنا وكتابكم، ومَن لم يُؤمن منَّا بِكتابكم.. فله أجرٌ كأجركم، فبأيِّ شيءٍ فُضِّلتم علينا؟ فنزَلت هذه الآية؛ رداً عليهم[2].

قوله: (أي: أعلمكم بذلك... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ (لا) زائدة، واللام مُتعلقة بمحذوفٍ، والمعنى: إن تتقُوا وتؤمنُوا بِرسوله.. يُؤتكم كِفلَين؛ لِيَعلم أهل الكتاب عدمَ قدرتهم على شيءٍ من فَضل الله، وأنَّ الفضلَ بِيَد الله.

(١) رواه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٠٩)، وانظر «زاد المسير» (٤/ ٢٤٠).

﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿أَنْ﴾ ـ مُخففة مِن الثَّقِيلةِ، واسمُها ضَمِير الشَّأن ـ والمَعنى: أَنَّهُم ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ خِلافَ ما فِي زَعمِهِم أَنَّهُم أَحِبَّاءُ الله وأَهلُ رِضوانِه، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾: يُعطِيهِ ﴿مَن يَشَاءُ﴾ فآتى المُؤمِنِينَ مِنهُم أجرَهُم مَرَّتَينِ كما تَقدَّم، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (والمعنى: أنهم ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾) أي: لا يملكونه ولا يَتصرَّفون فيه؛ بحيث يجعلونه لأنفسهم، ويَمنعونه من غيرهم، ومِن جملة فضل الله: الكِفلان، والمغفرة، والنور.

قوله: (خلافُ) بالرفع، خبرٌ لمحذوفٍ؛ أي: وعدمُ قدرتهم خلافُ ـ أي: مخالفٌ ـ لما في زعمهم.

قوله: (﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾) معطوف على قوله: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾.

قوله: (﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ، أو خبرٌ ثانٍ لـ(أنَّ)[1].

✿ ✿ ✿

(١) وقيل: هو الخبر وحده، والجارُّ قبله حال، وهي حال لازمة؛ لأنَّ كونه بيد الله تعالى لا ينتقل ألبتةَ. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٦٠).

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ....



سُورَةُ المُجَادلَة

مدنيَّة، اثنتان وعِشرُون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾: تُراجِعُك أيُّها النَّبيُّ ﴿فِى زَوْجِهَا﴾ المُظاهِرِ مِنها،

حاشية الصاوي

سُورَةُ المُجَادلَة

هي في الأصل: المحاوَرة في الكلام والمغالبة فيه بحقٍّ أو باطل، والمراد هنا: المحاورة في الكلام لِطلب الفرج من الله على لسان رسوله؛ فإنَّ تلك المرأة أصابها من ألَم الفراق ما حملها على إكثار الكلام مع رَسول الله، وترديد الكلام معه.

قوله: (مدنيَّة) أي: كلها، وهو قول الجمهور، وقيل: مدنيَّة إلا قولَه تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ نزلت بمكة، وقيل غير ذلك.

وهذه السورة أولُ النصف الثاني من القرآن باعتبار عدَد سُوَره، وأول عُشره الأخير باعتبار أجزائه، وليس فيها آيةٌ إلا وفيها ذكر الجلالة مرَّة أو مرتين أو ثلاثاً، وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون.

ومِن فوائدها: أن تُكتب حجاباً للقرينة، ويجعل ما فيها من الجلالة سطراً واحداً كهيئة النقطة الحمراء التي تُجعل وسَط القصيدة، ويكون حملها قبل نفخ الرُّوح في الجنين، وبعد الولادة تُنقل إليه.

قوله: (﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾... إلخ) ﴿قَدْ﴾: لِلتحقيق، والمراد بِسماع قولها: إجابةُ مطلوبها؛ بأن أنزل حُكم الظهار على ما يُوافق مرادها.

قوله: (﴿فِى زَوْجِهَا﴾) أي: شَأنه.

وكان قال لَها: أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمِّي، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وكان قال لها: «أنت عليَّ كظهر أُمي») شروعٌ في سبب نزولِ هذه الآيات، وأجمل المفسِّر في القصَّة، وحاصِلها تفصيلاً: أنه رُوي أنها كانت حسَنةَ الجسم، فدخل عليها زوجها مرَّةً فرآها ساجدة في الصلاة، فنظر إلى عجيزتها، فأعجَبه أمرها، فلمَّا انصرفت من الصلاة.. طلب وِقاعها، فأبَتْ، فغضب عليها، وكان به لَمَمٌ فأصابه بعضُ لَمَمه، فقال لها: أنت عليَّ كظهر أمي، ثمَّ نَدم على ما قال، وكان الظهار والإيلاء من طَلاق أهل الجاهلية، فقال: ما أظُنُّكِ إلا قد حرُمْتِ عليَّ، فقالت: والله ما ذاك طلاقٌ، فأتَت رسول الله ﷺ وعائشة تَغسل شقَّ رأسه، فقالت: يا رسول الله؛ إنَّ زوجي أوسَ بن الصامت تزوَّجني وأنا شابَّة غنيَّة ذات أهل ومال، حتى إذا أكل مالي، وأفنى شبابي، وتفرَّق أهلي وكبر سنِّي.. ظاهر منِّي، وقد نَدم؛ فهل من شيءٍ يجمعني وإيَّاه تُنْعِشُني به؟ فقال رسول الله ﷺ: «حرُمت عليه»، فقالت: يا رسول الله؛ والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وإنه أبُو ولدي وأحبُّ الناس إلي، فقال رسول الله ﷺ: «حرُمتِ عليه»، فقالت: أشكُو إلى الله فاقتي ووَحدتي، قد طالت له صُحبتي ونَفَضتْ له بطني، فقال رسول الله ﷺ: «ما أراك إلا قد حرُمتِ عليه، ولم أُومَر في شأنك بشيء»، فجعَلت تُراجع رسول الله ﷺ، وإذا قال لها رسول الله ﷺ: «حرُمت عليه».. هتَفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووَحدتي وشِدَّة حالي، وإنَّ لي صِبيةً صغاراً؛ إن ضمَمتُهم إليَّ جاعُوا، وإن ضمَمتُهم إليه ضاعُوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقُول: اللهم؛ أشكُو إليك، اللهم؛ فأنزِل على لسان نبيِّك فرجي، فكان هذا أول ظهارٍ في الإسلام.

فقامت عائشة تغسل شقَّ رأسِه الآخر، فقالت: انظر في أمري، جعَلني الله فداكَ يا رسول الله، فقالت عائشة: أَقْصِرِي حَدِيثَكِ ومُجادَلَتكِ، أما رأيتِ وجهَ رسول الله ﷺ؟ وكان إذا نزل عليه الوحي.. أخذه مثلُ السبات ـ أي: النوم ـ فلمَّا قُضِيَ الوحي.. قال: «ادعي لي زوجَك»، فدعته، فتلا عليه رسول الله ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا...﴾ الآياتِ إلى قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وروى الشيخان عن عائشة قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعُه الأصوات، لقد جاءت المجادلة

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٠)، وأصل حديثها رضي الله عنها في «سنن أبي داوود» (٢٢١٤)، و«سُنن النسائي الكبرى» (١١٥٧٠)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٦٣)، ومعنى (ونفضت له بطني): ولدت منه؛ كما في «الصحاح»، مادة (ن ف ض).

وقد سَألَت النَّبيَّ ﷺ عن ذلك فأجابَها بِأَنَّها حَرُمَت علَيهِ على ما هو المَعهُودُ عِندَهم مِن أنَّ الظِّهارَ مُوجَبُه فُرقةٌ مُؤبَّدةٌ، وهي خَولةُ بِنتُ ثَعلَبة وهو أوسُ بنُ الصَّامِت، ....

حاشية الصاوي

خولة إلى رسول الله ﷺ وكلَّمته وأنا في جانِب البيت وما أسمَع ما تقول، فأنزل الله: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ...﴾ الآيات)[١].

فقال ﷺ لزوجها: «**هل تستطيع العتق؟**»، فقال: لا والله، فقال: «**هل تَستطيع الصوم؟**»، فقال: لا والله، إني إن أخطأني الأكلُ في اليوم مرَّة أو مرَّتين.. كَلَّ بَصري، وظننتُ أني أمُوت، قال: «**فأطعِم ستين مسكيناً**»، قال: ما أجد، إلا أن تُعينني منك بِمُعونة وصِلة، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشرة صاعاً، فتصدَّق بها على ستِّين مسكيناً[٢].

وروي: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بها في زمن خلافته، وهو على حِمار والناس حوله، فاستَوقفته طويلاً ووَعَظته وقالت: يا عمر؛ قد كنتَ تدعى عميراً، ثم قيل لك: يا عمر، ثمَّ قيل لك: يا أمير المؤمنين، فاتَّق الله يا عمر، فإنَّه من أيقن بالموت.. خاف الفَوت، ومن أيقن بالحساب.. خاف العذاب، وهو واقفٌ يَسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين؛ أتقف لهذه العجوز هذا الموقِف؟ فقال: والله؛ لو حبَسَتني من أوَّل النهار إلى آخِره.. لا زِلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون مَن هذه العجوز؟ هي خَولة بنت ثعلبة، سمع الله قولها من فوق سبع سماوات؛ أيَسمع ربُّ العالمين قولها ولا يَسمَعُه عمر؟![٣]

قوله: (**عن ذلك**) أي: عن حُكمه؛ هل هو فراق أو لا؟

قوله: (**فأجابها بأنها حرمت عليه**) أي: وجوابه بالتحريم دالٌّ على استمرار الحرمة التي كانت في الجاهلية؛ لأنه لا يَنطِق عن الهوى.

قوله: (**وهي خولة بنت ثعلبة**) أي: ابنِ مالك الخزرجيَّة.

قوله: (**وهو أوس بن الصامت**) أي: أخو عُبادة بن الصامت.

---

(١) رواه البخاري تعليقاً، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾.

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٥٧٤)، والدارقطني في «سُنَنه» (٣٨٥٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن شبَّة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٣٩٤)، وانظر «تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٧٠).

وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ ....

﴿وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وَحدتَها وفاقَتَها وصِبْيَةً صِغاراً إن ضَمَّتهُم إلَيهِ ضاعُوا أو إلَيها جاعُوا، ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾: تراجُعَكُما، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾: عالِم.

﴿٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ﴾ ـ أصلُه: يَتظهَّرُون، أُدغِمَت التَّاء في الظَّاء، وفي قِراءةٍ بِألفٍ بينَ الظَّاء والهاء الخَفِيفةِ، وفي أُخرَى كـ(يُقاتِلُون)، والمَوضِع الثَّاني كذلك ـ ﴿مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾) أي: تتضرَّع إلى الله.

قوله: (وفاقتها) أي: فقرَهَا، وقوله: (وصبية) الجمع لِما فوق الواحد؛ لأنهما كانا ولَدين.

قوله: (ضاعوا) أي: من عدم تعهُّد الخدمة، وقوله: (جاعوا) أي: من عدم النفقة؛ لِفقرها، ولعلَّ نفقة الأولاد لم تكن إذ ذاك واجبةً على أبيهم.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾) استئنافٌ جارٍ مجرَى التعليل لما قبله.

قوله: (تراجعكما) أي: فالمحاورةُ: المراجعةُ في الكلام.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾) تعليلٌ لما قبله.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم﴾) شُروعٌ في بيان حكم الظهار، وهو الحُرمة بالإجماع، ومن استحلَّه. . فقد كفَر. وحقيقة الظِّهار: تَشْبِيهُ ظهر حلالٍ بِظهر محرم، فمَن قال لزوجته: أنت عليَّ كظَهر أمي. . فهو ظهارٌ بإجماع الفقهاء، وقاس مالك وأبو حنيفة غيرَ الأمِّ من ذوات المحارم عليها، واختَلف القول عن الشافعي؛ فروي عنه مثل مالك، وروي عنه: أنَّ الظهار لا يكون إلا بالأُمِّ وحدها.

قوله: (وفي قراءة بألف. . . إلخ) في كلامه التَّنبيه على ثلاث قراءات سبعيَّات[1].

قوله: (الخفيفة) نعت للهاء، وأما الظاء فمُشدَّدة.

قوله: (﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ﴾) أي: حقيقةً.

---

(١) قرأ عاصم في الموضعين بضم الياء وتخفيف الظاء، وبعدها ألف، وتخفيف الهاء مكسورة، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح الياء وتشديد الظاء وتخفيف الهاء مع فتحها، وبين الظاء والهاء ألف، والباقون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء ولا ألف بينهما. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٢١).

﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾

﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي﴾ - بِهَمزةٍ وياء وبِلا ياءٍ - ﴿وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ﴾ بِالظِّهارِ ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾: كَذِباً، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لِلمُظاهِرِ بِالكفَّارة.

﴿٣﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي: فِيه؛ بِأن يُخالِفُوهُ بِإمساكِ المُظاهَرِ مِنها الذِي هو خِلافُ مَقصُودِ الظِّهار مِن وَصف المَرأة بِالتَّحرِيمِ، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعتاقُها علَيهِ، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ بِالوَطء، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وبلا ياء) أي: فالقراءتان سبعيَّتان، وبقي قراءتان سبعيَّتان أيضاً، وهما تسهيل الهمزة، وقلبها ياء ساكنة[1].

قوله: (﴿مُنكَرًا﴾) أي: فظيعاً من القول، لا يُعْرَفُ في الشَّرع.

قوله: (بالكفارة) أي: فالمغفرة سببُها الكفارة، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الحدودَ جوابرُ.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾) تفصيلٌ للحُكم المترتِّب على الظهار إثْرَ بيان التَّوبيخ عليه.

قوله: (﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾) أي: لقولهم؛ فـ(ما) مصدرية، والعَوْدُ عند مالك: بالعزم على الوطء، وعند الشافعي: يَحصل بإمساكها زمناً يمكنه مُفارقتها فيه، وعند أبي حنيفة: يَحصل باستباحة استمتاعها.

قوله: (مَقصود الظهار) الكلام إمَّا على حذف مضاف؛ أي: ذِي الظهار، أو المعنى: المقصود بالظهار.

قوله: (﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾) مبتدأ، خبره محذوفٌ، قدَّره بقوله: (عليه)، والجملة خبر المبتدأ الذي هو الموصول.

قوله: (بِالوطء) هذا قول للشافعي قديم، وفي الجديد: أنه الاستمتاع بما بين السُّرة والركبة، وعند مالك: بالوَطء ومُقدِّماته.

(١) قرأ قالون وقنبل بالهمزة المكسورة ولا ياء بعدها، وقرأ ورش والبزي وأبو عمرو بتسهيل الهمزة مع المدِّ والقصر، وللبزي وأبي عَمرو أيضاً موضع الهمزة ياء ساكنة مع المدِّ، والباقون بهمزة مَكسورة وبعدها ياء، وهُم على مراتبهم في المدِّ. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٢١).

ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ ....

﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿٤﴾ ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رَقَبَةً ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي: الصِّيامَ ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ﴾ علَيهِ، أي: مِن قَبلِ أن يَتماسَّا حَملاً لِلمُطلَقِ على المُقيَّد؛ لِكُلِّ مِسكِين مُدٌّ مِن غالِب قُوت البَلَد ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التَّخفِيفُ في الكفَّارة ...

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ﴾) إشارةٌ إلى الحكم المذكور، وهو مبتدأ، خبره ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ أي: تُزجرون به على ارتكاب المنكر المذكور.

قوله: (﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾) مبتدأ، وقوله: ﴿فَصِيَامُ﴾ مبتدأ ثانٍ، خبره محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (عليه)، والجُملة خبر الأول.

قوله: (﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾) أي: فإن أفطر فيها ولو لعذرٍ. انقطع التتابع، ووجب استئنافهما.

قوله: (عليه) أي: على مَنْ لم يَستطع ومَنْ لم يجد، وهو خبرٌ عن كلٍّ من قوله: ﴿فَصِيَامُ﴾، وقوله: ﴿فَإِطْعَامُ﴾.

قوله: (حملاً لِلمطلق) أي: الذي هو وجوبُ الإطعام، أطلق في الآية عن التقييد بكونه من قبل أن يَتماسَّا، (على المقيد) الذي هو وجوب الصيام، ووجوب الرقبة، قُيِّدَ كلٌّ بكونه من قبل أن يَتماسَّا. والحملُ معناه: تقييدُ المطلق بالقيد الذي في المقيَّد.

قوله: (لكل مِسكين مدٌّ) ظاهره: أنه مُدُّ النبي ﷺ، وعليه الشافعي، وقال مالك: إنه مُدُّ هشام بن عبد الملك، وكان يزيد على مُدِّ النبي ﷺ ثلثاً؛ تشديداً على المظاهر، بخلاف باقي الكفارات فالمراد به: مُدُّ النبي ﷺ، وقدرُ الجميع تقريباً عند الشافعي في زماننا: ثلاثون قدحاً بالمصري، لكلِّ مسكينٍ نصفُ قدح، وعند مالك: أربعون قدحاً، لكل مسكين ثُلثَا قدحٍ، فتدبَّر.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) إشارةٌ إلى ما مرَّ من البيان والتعليم للأحكام والتَّنبيهِ عليها، وقوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا۟...﴾ إلخ أي: لِتَستمرُّوا على الإيمان، وتَعملُوا بشرائعه، وترفضُوا ما كان عليه الجاهليَّة.

لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَٰتٍۢ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ....

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ﴾ أي: الأحكامُ المَذكُورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ بِها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

(﴿٥﴾ - ﴿٦﴾) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾: يُخالِفُون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا﴾: أُذِلُّوا ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ في مُخالَفتِهم رُسُلَهم، ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَٰتٍۢ بَيِّنَٰتٍ﴾: دالَّةً على صِدقِ الرَّسُول، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ بِها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذُو إهانةٍ. ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: المنكرين لتلك الأحكام.

قوله: (﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾) هذه الآيةُ نَزلت في أهل مكة عام الأحزاب حين أرادُوا التحزُّب على رسول الله وأصحابه، وكانت في السنةِ الرابعة، وقيل: في الخامسة، والمقصودُ منها: تسليةُ رسول الله ﷺ، وبشارتُه بأنَّ أعداءهم المتحزِّبين القادمين عليهم يُكْبَتُون، أو يَذلُّون ويَفْتَرِقُ جمعُهُم؛ فلا تخشَوا بَأسهم[1].

قوله: (يُخالفون الله) أي: يُعادونه ورسوله، فسمَّى المُحَادَّةَ مخالفةً؛ لأنَّ المحادَّة أن تكون في حدٍّ يُخالف حدَّ صاحِبك، وهو كناية عن المعاداة.

قوله: (﴿كُبِتُوا﴾) أي: يكبتُوا، وعبَّر بالماضي؛ لتحقُّق الوقوع؛ لأنَّ هذه الآية نزلت قبل قُدُومهم.

قوله: (أُذلوا) وقيل: معناه: أُهْلِكُوا، وقيل: أُخِذُوا، وقيل: عذِّبُوا، وقيل: لُعِنُوا، وقيل: أُغِيظُوا، وكلُّها متقاربةٌ في المعنى.

قوله: (في مُخالفتهم) أي: بِسَببِها.

قوله: (﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا﴾... إلخ) الجملة حاليَّة من الواو في ﴿كُبِتُوا﴾.

قوله: (﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾) ظرف لـ﴿مُّهِينٌ﴾، أو لـ﴿عَذَابٌ﴾، أو لمحذوف، تقديره: اذكر.

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٢٣/ ٢٣٥).

جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ....

جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾.

﴿٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلَم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بِعِلمِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿جَمِيعًا﴾) أي: بحيث لا يبقى أحدٌ غير مبعوث، أو المعنى: مُجتمعين في حالةٍ واحدةٍ.

قوله: (﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾) أي: من القبائح، إما ببَيان صدورها منهم، أو بتصويرها بِصُورة قبيحة هائلة على رُؤوس الأشهاد؛ تخجيلاً لهم، وتشهيراً لحالهم.

قوله: (﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾) أي: لم يَفُتْهُ منه شيءٌ، بل أحاط بجميع ما صدَر مِن خلقه.

قوله: (﴿وَنَسُوهُ﴾) حال من مفعول (أحصى)، والمعنى: ذُهِلُوا عنه لِكثرته، أو تهاونهم به واعتِقادهم أن لا حِسَابَ عليه.

قوله: (﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾) استئنافٌ مَسُوقٌ لبيان أنَّ علمه وَسِع كلَّ شيءٍ، و﴿يَكُونُ﴾: تامَّة، و﴿مِن نَّجْوَىٰ﴾: فاعلها بزيادة (من)، ونجوى: مصدر، معناه: التَّحدُّث سرًّا، وإضافتها إلى ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ من إضافة المصدر إلى فاعله.

قوله: (﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾) الاستثناء في هذا وما بعده مُفرَّغ، واقعٌ في موضع نصبٍ على الحال، والمعنى: ما يُوجد شيءٌ من هذه الأشياء إلا في حالٍ من هذه الأحوال. وخصَّ الثلاثة والخمسة بالذكر؛ إمَّا لأنَّ الله وترٌ يحب الوترَ، فالعدد المفرد أشرف من الزوج، أو لأنَّ قوماً من المنافقين كانُوا يَتحلَّقون للتناجي، وكانُوا بهذا العدد؛ زيادة في الاختفاء، فنَزلت الآية بصفة حالهم.

قوله: (بِعلمه) أي: وسَمعه وبصره، ومتعلِّقٌ بهم قدرته وإرادته، ولأهل الله المقرَّبين في سرِّ المعيَّة مُشاهداتٌ وتجلِّياتٌ ومقاماتٌ يَذُوقها مَنْ شرب من مَشاربهم.

وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ....

﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَـنـظُـر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾) أي: من العدد المذكور، فالأدنى من الخمسة الأربعةُ، والأدنى من الثلاثة الاثنان، والواحد في خاصَّة نَفسه[1].

قوله: (﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾) بالجرِّ في قراءة العامَّة، عطف على لفظ ﴿نَّجْوَىٰ﴾، وقرئ شذوذاً بالرفع، معطوف على محلِّ ﴿نَّجْوَىٰ﴾[2].

قوله: (﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾) أي: من الأماكن؛ فإنَّ علمه تعالى بالأشياء لا يَتفاوت بقرب الأمكنة ولا بُعْدِهَا.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾) نزَلت في اليهود والمنافقين، كانُوا يتناجَوْن فيما بينهم، ويَتغامَزون بأعينهم إذا رأَوا المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ ثمَّ عادُوا لِمِثل فعلهم[3].

قوله: (﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾) التَّعبير بالمضارع؛ استِحضاراً للصورة العجيبة، ويُقال في قوله: ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ﴾ مثلُه.

قوله: (﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾) أي: عَداوةِ الرسول والمؤمنين.

---

(١) لأنَّ الواحد قد يناجي نفسه، فلا يقال: إن الواحد لا يتأتى؛ لأنَّ النجوى لا تقع إلا من مُتعدد. وانظر «الفتوحات» (٤/ ٣١٤).

(٢) قرأ الحسَن والأعمش وابن أبي إسحاق وأبو حيوة ويعقوب: (ولا أكثرُ) بالرفع، والوجه الثاني في توجيه الرفع: أن يكون ﴿أَدْنَىٰ﴾ مبتدأ، و﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ خبره، فيكون ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ عطفاً على المبتدأ، وحينئذ يكون ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ﴾ من باب: عطف الجُمَل، لا المفردات، وقرأ الحسن ويعقوب أيضاً ومجاهد والخليل: (ولا أكبرُ) بالباء الموحدة والرفع. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٦٩).

(٣) انظر «زاد المسير» (٤/ ٢٤٥).

وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ....

﴿وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ هُم اليَهُود نهاهُم النَّبيُّ ﷺ عمَّا كانُوا يَفعَلُونَ مِن تَناجِيهم - أي: تَحدُّثِهم سِرًّا - ناظِرين إلى المُؤمِنِين لِيُوقِعُوا في قُلُوبِهم الرِّيبةَ، ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ أيُّها النَّبيُّ ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وهو قَولُهم: السَّام علَيك أي: المَوتُ، ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ مِن التَّحِيَّة وأنَّهُ لَيس بِنَبيٍّ إن كان نَبِيًّا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾) رُسِمَتْ هنا وفيما يأتي بالتاء المجرورة، وإذا وُقِفَ عليها.. فبعض القرَّاء يَقفون بالهاء، وبعضهم بالتاء، وأمَّا الوصل.. فاتَّفقُوا على التاء[1].

قوله: (ليوقعُوا في قُلوبهم الريبة) أي: فيُوهموهم أنهم قد بلغهم خبرُ إخوانهم الذين خرجُوا في السرايا، وأنهم قتلُوا أو ماتُوا أو هزمُوا، فيقع ذلك في قلُوبهم ويحزنهم.

قوله: (﴿حَيَّوْكَ﴾) أي: خاطَبوك بشيءٍ لم يحيِّك به الله؛ أي: لم يَشرعه، ولم يَأذن فيه أن يَقُولوه لك.

قوله: (وهو قولُهم: السام عليك) أي: وكان يَرُدُّ فيقول: «عليكم»، في «البخاري»: (أنَّ اليهود أتوا النبي ﷺ، فقالوا: السَّام عليك، قالت عائشة: ففَهمتها، فقلتُ: عليكم السَّام، ولعنكم الله، وغَضب عليكم، فقال عليه الصلاة والسلام: «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإيَّاكِ والعنفَ والفحشَ»، قالَت: أولم تَسمع ما قالوا؟ قال: «أولم تسمعي ما قلتُ؟ رَددت عليهم، فيُستجابُ لي فيهم، ولا يستجابُ لهم فيَّ»)[2].

واختَلف العلماء في ردِّ السلام على أهل الذمَّة، فقال مالك: إن تحقَّق نُطقهم بالسلام.. وجب الرد عليهم، وإلا.. فلا يجب، وعند الشافعي: يجب الرَّدُّ بأن يقول: وعليك.

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾) أي: فِيما بَينهم.

قوله: (إن كان نبيًّا) مرتبطٌ بقولهم: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾، والمعنى: لو كان نبيًّا لعجَّل الله لنا العذابَ بسبب قولِنا.

---

(١) وقف عليه بالهاء المكي والبَصريان والكسائي، وغيرهم بالتاء. انظر «البُدور الزاهرة» (ص٣١٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٠٣٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ ....

﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي.

(﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾ بالإثم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بِغُروره؛

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾) أي: كافِيهم في العذاب، وقوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حال، وأمَّا إمهالهم في الدنيا.. فمِن كراماته على ربِّه؛ لِكونه بُعِثَ رحمةً.

قوله: (هي) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ المخصوص بالذمِّ محذوفٌ.

قوله: (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ﴾) يحتمل أن يكونَ الخطاب لِلمُؤمنين الصادقين، قصد به الزجر والتَّنفير من فعل اليهود، ويحتمل أنَّ الخطابَ للمؤمنين ظاهراً وهم المنافقون.

قوله: (﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾ بالإثم ونَحوِه) أي: فالغيبةُ والتَّكلم في أعراض المؤمنين سببها الشيطان؛ لِيُدخل بها الحزن على المؤمن المتكلَّم في عِرضه، وليس بضارٍّ له في الواقع، وإنما الوَبال على المتناجين بذلك، قال العارفون: (مِن أسباب سوء الخاتمة عند الموت الخوضُ في أعراض المؤمنين).

وتشمل الآية بعُمومها ما روي عن ابن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا كنتم ثلاثة.. فلا يَتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه؛ فإنَّ ذلك يُحزنه**»[1]، وعن عبد الله بن مسعود: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان ثلاثة.. فلا يتناجى اثنان دُون الآخَر حتى يختلطُوا بالناس من أجل أن يحزنه**»[2]، فبيَّن في الحديث غايةَ المنعِ. قال العلماء: ولا مفهوم لتناجي اثنين دون ثالث، بل المدارُ على ترك واحدٍ، كان المتناجي اثنين أو أكثر.

قوله: (﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾) نُسِبَتْ إليه؛ لكونه المزيِّنَ لها، والحاملَ عليها.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٤٦).

(٢) رواه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤)، وقوله: «فلا يتناجى» بألف لفظاً مقصورة ثابتة في الكتابة تحتية، وتَسقط في الدرج للساكنين، بلفظ الخبر ومعناه النهي، وللكشميهني: «فلا يتناج» بإسقاطها، بلفظ النهي ومَعناه. انظر «إرشاد الساري» (٩/ ١٦٧).

﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ ....

﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ﴾ هـو ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: إرادتـه، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١١﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟﴾: تَوَسَّعُوا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) بضمِّ الياء وكسر الزاي، من: أحزَنه، أو بفتح الياء وضمّ الزاي، من: حزَن، فهما قراءتان سبعيَّتان، والموصول على الأُولى مفعول، وعلى الثانية فاعل[1].

قوله: (﴿وَلَيْسَ﴾ هو) أي: الشيطان.

قوله: (﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾) أي: فيَحصُل منه الضَّرر؛ لإرادة الله إيَّاه، ففي الحقيقة الخير وضدُّه من الله، وهذه الآية مخوِّفةٌ لأهل الغيبة والنَّميمة من المؤمنين في كلِّ زمنٍ.

قوله: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟﴾... إلخ) لما نهى الله تعالى المؤمنين عمَّا يكون مُسبِّباً للتباغض والتنافُر، وهو التناجي بالإثم والعُدوان ومعصية الرسول.. أمرَهم الآن بما يكون سبباً لزيادة المحبَّة والمودَّة بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ...﴾ إلخ، وسبب نزولها: أنَّ رسول الله ﷺ كان يُكرم أهل بدرٍ من المهاجرين والأنصار، فجاء ناسٌ منهم يوماً وقد سُبِقُوا إلى المجلس، فقامُوا حيال النبي ﷺ فسلَّمُوا، فردَّ عليهم السلام، ثمَّ سلَّمُوا على القوم، فردُّوا عليهم السلام، ثمَّ سلَّمُوا على النبي ﷺ، فردَّ عليهم، ثمَّ سلَّمُوا على القوم، فردُّوا عليهم، ثمَّ قامُوا على أرجُلِهم ينتظرون أن يُوسع لهم، فلم يُفسحُوا، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ، فقال لِمَن حوله من غير أهل بدر: «قُم يا فلان، وأنتَ يا فلان»، فأقام من المجلس بِقَدر أولئك النفر الذين قامُوا بين يدَيه من أهل بدر، فشقَّ ذلك على مَن أُقيم من مجلسه، وعرَف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم، فأنزل الله هذه الآية[2].

وقيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شمَّاس، وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القومُ مجالِسَهم،

---

(١) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بفتح الياء وضم الزاي، والقراءة الأولى أشدُّ في المعنى على ما في «القاموس». انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٢٨).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٨/ ٥٧) من حديث مُقاتل بن حيان.

فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ ....

﴿فِي ٱلْمَجْلِسِ﴾: مَجلِس النَّبيِّ ﷺ والذِّكر حتَّى يَجلِسَ مَن جاءَكُم، - وفي قِراءة: ﴿ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ - ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجَنَّة، ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟﴾: قُومُوا إلى الصَّلاة وغَيرِها مِن الخَيرات ....

حاشية الصاوي

وكان يُريد القرب من رسول الله ﷺ؛ للصَّمم الذي كان في أُذُنيه، فوسَّعُوا له حتى قرب من رسول الله ﷺ، ثمَّ ضايَقَه بعضهم، وجرى بينه وبينَهم كلام، فنزَلت[1].

وعلى كلِّ حالٍ فالعبرة بِعُموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فيَتناول أيَّ مجلسٍ كان؛ سواء كان مجلسَ علمٍ، أو ذكرٍ، أو صلاةٍ، أو قتالٍ، أو غير ذلك؛ لِما ورد «**لا يُقِيمنَّ أحدكم الرجل من مَجلسه ثمَّ يجلس فيه، ولكن تفسَّحُوا وتوسَّعوا**»[2]، و«**لا يُقِيمنَّ أحدكم أخاه يومَ الجمعة، ولكن لِيَقُل: افسحُوا**»[3].

وقوله في الحديث: «لا يقيمنَّ أحدكم... إلخ» استُفيد منه: أنَّ القادم لا يقيم الجالس، وأمَّا قيامُ الجالس من نفسه له تواضعاً وأدباً، أو كبيرُ المجلسِ يُقيم أحداً من الجالسين لِمَصلحةٍ.. فلا بأس بذلك.

قوله: (مجلس النبي) أي: فإنهم كانُوا يتضامُّون فيه؛ حرصاً على القرب منه، واستماع كلامِه.

قوله: (وفي قراءة: ﴿ٱلْمَجَٰلِسِ﴾) أي: والجمع باعتبار أنَّ لكلِّ واحدٍ مجلساً، والقراءتان سبعيَّتان[4].

قوله: (﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾) مجزومٌ في جواب الأمر الواقع جواباً لِلشرط.

قوله: (في الجنة) أي: والدنيا، والقبر، والقيامة.

قوله: (وغيرها) أي: كالجهاد وكلِّ خيرٍ، وقيل: معنى ﴿ٱنشُزُوا۟﴾: ارتَفعُوا عن مواضعكم

---

(١) انظر «السراج المنير» (٤/ ٧٢) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (٢١٧٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: «لا يُقيمنَّ أحدُكم أخاه يوم الجمعة، ثم ليُخالف إلى مقعده، فيقعد فيه، ولكن يقولُ: افسحُوا».

(٤) قرأ عاصم: (المجالس) جمعاً، والباقون بالإفراد. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٧٢).

فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ ....

﴿فَٱنشُزُواْ﴾ ـ وفي قِراءة بِضَمِّ الشِّين فِيهِما ـ ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ بِالطَّاعةِ في ذلك، ﴿وَ﴾ يرفع ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ في الجَنَّة، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾: ....

حاشية الصاوي

حتى تُوسِّعُوا لإخوانكم، وقيل: كان رجال يَتثاقلون عن الصلاة في الجماعة إذا نُودي لها، فنزلت هذه الآية[١]، والمقصودُ: العمومُ في كلِّ ما يطلب فيه النهوضُ والإسراعُ، ففيه حثٌّ على التَّشمير عن ساعد الجدِّ والاجتهاد في الطاعات، وتركِ التَّكاسل.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً، وكلاهما لُغتان فصيحتان، من بابي (ضرب) و(نصر)[٢].

قوله: (في ذلك) أي: القيام إلى الصلاة ونحوها.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾) معطوفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عطفَ خاصٍّ على عامٍّ؛ لأنَّ الذين أوتُوا العلم بعضُ المؤمنين، لكن لَما جمع العلماء بين العلم والعمل.. استَحقوا رفعَ الدرجات، والاقتداءَ بهم في أقوالهم وأفعالهم.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ﴾... إلخ) الحكمةُ في هذا الأمر: تعظيمُ رسول الله ﷺ، وانتِفاع الفقراء، أو النهيُ عن الإفراط في السؤال، والتمييزُ بين المخلِص والمنافق، ومحبِّ الدنيا ومحبِّ الآخرة.

واختلف في هذا الأمر؛ فقيل: للندب، وقيل: للوجوب، رُوي عن علي كرَّم الله وجهه أنه قال: (إنَّ في كتاب الله آيةً ما عمل بها أحدٌ غيري، كان لي دينار فصرَفتُه بعشرة دراهم، وناجيتُ رسول الله ﷺ عشر مرات، أتصدَّق في كلِّ مرَّة بِدرهم)، وكان يقول: (آية في كتاب الله لم يَعمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي، وهي آيةُ المناجاة)[٣].

---

(١) انظر «زاد المسير» (٤/ ٢٨٤).

(٢) قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو بكر بخلاف عنه بضمِّ شين (انشزوا) في الحرفين، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٧١).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٣).

فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ ....

أَردتُم مُناجاتَه ﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾ قَبلها ﴿صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لِذُنوبِكُم، ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟﴾ ما تَتصدَّقُونَ بِه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمُناجاتِكُم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِكُم، يَعنِي فلا علَيكُم في المُناجاةِ مِن غيرِ صَدَقة، ثُمَّ نُسِخَ ذلك بِقولِه:

﴿١٣﴾ ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

ورُوي عنه أيضاً قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ فقال لي النبي ﷺ: «**ما ترى ديناراً؟**» قُلت: لا يُطيقونه، قال: «**فنصف دينار؟**» قُلت: لا يطيقونه، قال: «**فكَم؟**» قُلت: شعيرة، قال: «**إنك لزهيدٌ**»(١) أي: قليل المال.

ففي هذه الآية مَنقبةٌ عظيمةٌ لعلي بن أبي طالب، وليس فيها ذمٌّ لغيره من الصحابة؛ وذلك لأنه لم يتَّسع الوقت لِيَعملُوا بهذه الآية، ولو اتسع الوقت.. لم يَتخلفُوا عن العمل بها، وعلى القول باتساعه.. فلَعلَّ الأغنياء كانُوا غائبين، والفقراء لم يكن بِأيديهم شيءٌ.

قوله: (أردتُم مُناجاته) أشار بذلك إلى أنَّ الماضي ليس على حقيقته؛ أخذاً من قوله: ﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾) أي: التقديمُ خيرٌ؛ لِما فيه من طاعة الله ورسوله.

قوله: (يعني: فلا عليكم) أشار بذلك إلى أنَّ جواب الشرط محذوفٌ، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تعليلٌ للمحذوف، ودليلٌ عليه.

قوله: (ثمَّ نسخ ذلك) أي: الأمرُ بتقديم الصدقة بعد أن استمرَّ زمناً، قيل: هو ساعة، وقيل: يوم، وقيل: عشرة أيام، واختلفُوا في الناسخ للأمر، فقيل: هو الآية بعده، وعليه المفسِّر تبعاً للجمهور، وقيل: هو آية الزكاة.

قوله: (بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾... إلخ) مُراده الآية بتمامها.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٠٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٣٧)، ومعنى قوله: (شعيرة) يعني: وزن شعيرة من ذهب.

أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا ....

ـ بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإبدالِ الثَّانية أَلِفاً وتَسهِيلِها، وإدخالِ أَلِفٍ بينَ المُسهَّلة والأُخرى وتَركِه ـ أي: أَخِفتُم مِن ﴿أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ﴾ الفَقرَ، ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾ الصَّدَقةَ ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: رَجَعَ بِكُم عنها، ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: دُومُوا على ذلك، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنظُر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾ هُم المُنافِقُون ﴿قَوْمًا﴾ هُم اليَهُودُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بتحقيق الهمزتين... [1] إلخ) أشار بذلك لأربع قراءات سبعيَّات، وبقي قراءة خامسة سبعيَّة، وذلك أنَّ التحقيق إمَّا مع إدخال ألفٍ أو بِدُونه.

قوله: (الفقر) أشار بذلك إلى أنَّ مفعول (أشفقتم) محذوف، والمعنى: أخِفْتُم من تقديم الصَّدقة الاحتياجَ؟

قوله: (﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾) يحتمل أنَّ (إذ) باقيةٌ على بابها من المضي، والمعنى: إن تركتُم ذلك فيما مضى.. فتداركوه بإقامة الصلاة... إلخ، ويحتمل أنها بمعنى (إن) الشرطيَّة.

قوله: (﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾) الجملة حاليَّة، أو مُستأنفة مُعترضة بين الشرط وجوابه.

قوله: (رجع بكم عنها) أي: عن وُجوبها، فنسخها تخفيفاً عليكم.

قوله: (أي: دومُوا على ذلك) أي: المذكورِ من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا﴾... إلخ) المقصودُ من هذه الآية: التعجيبُ من حال المنافِقين الذين كانُوا يتَّخذون اليهودَ أولياءَ، ويُناصِحونهم، ويَنقلون إليهم أسرار المؤمنين.

وسبب نزولها: أنَّ عبد الله بن نَبْتَلٍ المنافقَ كان يجالس رسول الله ﷺ، ويَرفع حديثه إلى اليهود، فبَينما رسول الله ﷺ في حُجرة من حُجَرِه إذ قال: «يدخل عليكم اليوم رجلٌ قلبُهُ قلبُ جبَّار، ويَنظر

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام، وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو وهشام، والباقون بتحقيقهما ولا إدخال، والأولى محققة بلا خلاف. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٣٢).

غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ ....

﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم﴾ أي: المُنافِقُون ﴿مِّنكُمْ﴾: مِن المُؤمِنِين ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾: مِن اليَهُود، بَل هُم مُذَبذَبُون، ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ أي: قَولهم: إنَّهُم مُؤمِنُون، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم كاذِبُون فِيه.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مِن المَعاصِي، ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾: سِتراً على أنفُسِهم وأموالِهم، ﴿فَصَدُّوا۟﴾ بِها المُؤمِنِين ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الجِهادِ فِيهم بِقَتلِهم وأَخذِ أموالِهم، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذُو إهانَةٍ، ....

حاشية الصاوي

بعينَي شيطان»، فدخل عبد الله بن نبتل، وكان أزرق العين، فقال له النبي ﷺ: «علامَ تشتمني أنت وأصحابُك؟» فحَلف بالله ما فعل، وجاء بأصحابه، فحلفُوا بالله ما سبُّوه، فنزلت الآية[1].

قوله: (﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾) إخبارٌ عنهم بأنهم ليسُوا من المؤمنين الخُلَّص، ولا من الكافرين الخلَّص، لا يَنتسبون إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، وهذه الجملة إمَّا مستأنفة، أو حال من فاعل ﴿تَوَلَّوْا﴾.

قوله: (بل هم مُذبذبون) أي: مُتردِّدون بين الإيمان الخالص والكفر الخالص؛ لأنَّ فيهم طرفاً من الإيمان بحسَب ظاهرهم، وطرفاً من الكفر بحسَب باطنهم.

قوله: (﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) الجملة حاليَّة من فاعل (يحلفون)، والمعنى: يحلفون كاذبين والحال أنهم يعلمون ذلك، فيَمينُهُم غَموسٌ لا عذر لهم فيها، وهذه اليمينُ تُوجب لصاحبها الغمس في النار إن كان مؤمناً خالصاً، فما بالك إن كان كافراً؟ وفائدةُ الإخبار عنهم بذلك: بيانُ ذمِّهم عليه.

قوله: (﴿أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾) مفعولان لـ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟﴾، والمعنى: جعلُوا أيمانهم الكاذبة وقايةً لأنفسهم وأموالهم، فلولا ذلك.. لَقُوتلُوا، وأُخذ مالهم.

قوله: (﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾) أي: في الآخرة، والعذاب الأول في الدنيا، أو القبر.

---

(١) أورده بلفظه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٥٠)، ورواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وليس فيه تعيينُ اسم المنافق.

لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ....

﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مِن عذابِه ﴿شَيْـًٔا﴾ من الإغناءِ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

(﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾) اذكُر ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أنَّهم مُؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ مِن نَفعِ حَلِفهم في الآخِرةِ كالدُّنيا، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ﴾: استولَى ﴿عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بِطاعتِهم له، ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أتباعُهُ، ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

(﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾: يُخالِفُون ....

حاشية الصاوي

قوله: (مِن عذابه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿شَيْـًٔا﴾) مفعول مُطلق كما أشار له بقوله: (من الإغناء).

قوله: (﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾) أي: في الدنيا.

قوله: (﴿وَيَحْسَبُونَ﴾) حال من فاعل (يحلفون)، والمعنى: يَحلفون والحال أنهم يظنُّون أن حَلِفهم في الآخرة ينفعهم ويُنجِّيهم من عذابها كما نفَعهم في الدنيا بدفع القتال عنهم.

قوله: (﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾) هذا الفعل ممَّا جاء على الأصل، وخُولف فيه القياس؛ إذ قياسه: (استحاذ) بقلب الواو ألفاً؛ كـ: استعاذ، واستقام.

قوله: (﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾) أي: فلا يذكرونه بِألسنتهم ولا بقلوبهم، وما يقعُ منهم من صورة الذِّكر باللسان.. فهو كذبٌ.

قوله: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1]) أي: لأنهم فوَّتوا على أنفسهم النَّعيمَ الدائمَ، وعرَّضوها للعذاب المقيم.

---

(١) كذا في الأُصول وفي نسخةِ «الفتوحات»، وسياقُ الآية بدون (أولئك).

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ ....

﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾: المَغلُوبين، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللَّوحِ المَحفُوظ أو قَضَى: ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ بِالحُجَّة أو السَّيفِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ﴾: يُصادِقُون ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾) أي: مع الأذلِّين، أو مَعدُودون في جملتهم.

قوله: (المَغلوبين) أي: وهُم الكفار والمنافقون.

قوله: (﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾) ضمَّنه معنى (أقسم)؛ ولِذا أجيب بما يجاب به القسَمُ، وهو قوله: ﴿لَأَغۡلِبَنَّ﴾، ويصح أن يبقى على ظاهره، أو بمعنى (قضى)، وعليهما اقتصر المفسِّر، ويكون قوله: ﴿لَأَغۡلِبَنَّ﴾ جواباً لقسمٍ محذوفٍ.

قوله: (بِالحجة أو السيف) أو: مانعةُ خلوٍّ، تُجوِّز الجمع، فالرسول يَغْلِبُ تارةً بالسيف، وتارة بالبراهين والدلائل، وتارةً بهما معاً.

قوله: (﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾) أي: إيماناً صحيحاً، فالمؤمن الموصوف بهذه الصفة لا يُمكن أن يصادف الكفار ويُحبَّهم بقلبه؛ لأنَّه إن فعل ذلك.. لم يكن صادقاً في إيمانه، بل يكون مُنافقاً؛ كما قال الشاعر: [الوافر]

إذَا وَافَى صَدِيقُكَ مَنْ تُعَادِي فَقَدْ عَاداكَ وانْفَصَلَ الكَلَامُ

وأمَّا البَشاشة في وُجوه الكفار ظاهراً لأجل الضَّرورات.. فلا بأس بها؛ لما في الحديث: «إنا لَنَبَشُّ في وُجوه قومٍ وقُلوبنا تَلعنهم»[1].

قوله: (﴿يُوَآدُّونَ﴾) مفعولٌ ثانٍ لـ﴿تَجِدُ﴾ إن كان بمعنى (تعلَم)، وإن كان بمعنى (تلقى).. فالجملة حال من ﴿قَوۡمٗا﴾، أو صفة ثانية له. وقدَّم أوَّلاً الآباء؛ لأنهم تَجب طاعتهم، ثمَّ الأبناء؛ لأنهم أعلَق بالقلب، ثمَّ الإخوان؛ لأنهم الناصِرُون للشخص بمنزلة العضد من الذراع، ثمَّ بالعشيرة؛ لأنَّ بها يُستغاثُ، وعليها يُعْتَمَدُ.

---

(١) رواه البخاري تعليقاً من كلام سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه، في كتاب (الأدب)، باب: المُداراة مع الناس (٨/ ٣١)، وفيه: (لَنَكْشِرُ) بدل (لنبشُّ)؛ أي: نَضحك ونتبسَّم.

﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ ....

﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟﴾ أي: المُحادُّون ﴿ءَابَآءَهُمْ﴾ أي: المُؤمِنِين ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾؛ بَل يَقصِدُونَهُم بِالسُّوءِ ويُقاتِلُونَهُم على الإيمانِ كما وقَعَ لِجَماعةٍ مِن الصَّحابةِ ﷺ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذِين لا يُوادُّونَهُم ﴿كَتَبَ﴾: أثبَتَ ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ﴾: بِنُورٍ ﴿مِّنْهُ﴾ تَعالى، ....

حاشية الصاوي

قوله: (كما وقَع لِجماعة من الصحابة) رُوي عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال: ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ يعني: أبا عُبيدة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح، ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ يعني: أبا بكر الصديق، دعا ابنه يوم بَدر للبراز، وقال: يا رسول الله؛ دعني أكُنْ في الرَّعْلَةِ[1] الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: «متِّعنا بنفسك يا أبا بكر»، ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ يعني: مُصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ يعني: عمر بن الخطاب، قتَل خاله العاصم بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعلي بن أبي طالب وحمزة وأبو عبيدة[2] قتلُوا بني عمِّهم عُتبة وشيبة بني ربيعة، والوليد بن عُتبة يوم بدر)[3].

ورُوي أيضاً: أنَّ عبد الله بنَ عبد الله بنِ أُبيٍّ همَّ بقتل أبيه، فمنَعه رسول الله، ووقع لأبي بكر الصديق أنه صَكَّ أباه أبا قحافة حيث سمعه يَسُبُّ النبي ﷺ[4].

قوله: (﴿بِرُوحٍ﴾) بنورٍ، وقيل: الرُّوحُ: النَّصرُ، وقيل: القرآنُ والحججُ، وقيل: هو جبريل عليه السلام، يَأتيهم عند الموت، فيَطرد الفتَّانات عنهم[5].

---

(١) كذا في الأصول، ولعلها: (الرَّعلة) وهي القطعة مِنَ الفُرْسان. انظر «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٢٣٥).

(٢) كذا في الأصول، والصواب: (عبيدة) وهو ابن الحارث بن عبد المطلب. انظر «دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٧١).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٨/ ٦٣).

(٤) انظر الحادثتين في «زاد المسير» (٤/ ٢٥٢).

(٥) كذا جمعه في الأصول، ولعل الأولى (فُتَّان) كـ(رُمَّان)، وفي الحديث عند أبي داوود في «سُننه» (٣٠٧٠): «المسلم أخو المسلم يَتعاونان على الفتَّان» يُروى بضم الفاء وفتحها، فالضم: جمع فاتن؛ أي: يُعاون أحدهما الآخرَ على الذين يُضلون الناس عن الحق ويَفتنونهم، وبالفتح هو الشيطان؛ لأنه يَفتن الناس عن الدين. انظر «تاج العروس»، مادة (ف ت ن)، و«النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤١٠).

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ يتَّبِعُون أمرَه ويَجتَنِبُون نَهيَه، ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائِزُون.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾) أي: عامَلهم معاملة الراضي؛ بأن وفَّقهم للطاعات، وقبِلَها منهم، وأثابهم عليها.

قوله: (الفائزُون) أي: بخيري الدنيا والآخرة.

✿ ✿ ✿



فهرس السور

✿ ✿ ✿